

القرآن المعطل

بقام : معاوية محمد الحكيم

« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً
فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجرًا حسناً ما كثيرون فيه أبداً » (الكهف) ٠

وبعد فان القرآن الكريم : يهدى به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجمهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى
صراط مستقيم (المائدة) ٠

فيتمثل هذا تحدث القرآن عن نفسه فهو الكتاب الخالد والمرجع
الوحيد للأمة وهو الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل « كتاب
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ٠
أنزله الله على نبيه عليه الصلاة والسلام منجماً « مفرقاً »
وقد استغرق نزوله بضعة وعشرين عاماً منذ بعثة النبي ﷺ الى أن
لحق بالرفيق الأعلى ٠

فيجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه على حظه من بيان
القرآن للدين ومن هداه من ضلال الخالقين ومن مواعظه للغافلين ،
فيقدر حظه من هذه الأصوات الثلاثة يكون مقامه في المتقيين ٠ وإن
هذا المقدار ليصغر ويكبر تبعاً لفهم القرآن وتدبره ، اذ تتجلى له
في كل سورة يتلوها آيات من بيانه في علمه وعرفانه وحكمه وأحكامه ،
فيه : من دلائل الاعجاز وفيه براءة النبي ﷺ ومن اتباهه من عبادة
ما يعبد المشركون من الأنداد والشفعاء فهو كتاب الدين والدنيا
وهو القانون الصالح لكل زمان ومكان « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً
لكل شيء » وقال تعالى « وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين
يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع

أهواهم » جمعه الصديق رضى الله عنه مع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وساعدهما نخبة طيبة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد رشحوا زيد بن ثابت لكتابه القرآن في عهد الصديق لأربع صفات ذكرها الصديق في قوله له : إنك رجل شاب وعاقل لا ننهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، وهذه صفات توفرت في زيد بن ثابت أولها : الشباب الذي يساعد على انجاز هذا العمل الشاق ، وثانيها : العقل وهو أصل كل خير ديني ودنيوي ، وثالثها : الأمانة وهي صفة سامية لابد منها في هذا العمل الشاق الدقيق ، ورابعها : كتابة الوحي وقد مارس ذلك بين يدي رسول الله ﷺ وتعرف ما هو قرآن مما ليس بقرآن وبذلك يصل التوثيق والاطمئنان .

ومن مميزات الكتابة في عهد الصديق أنه لم يقبل الا ما أجمع عليه الجميع أنه قرآن ، وكان المuel في كتابة القرآن الحفظ والكتابة أى ما كان مكتوبا في الصحف وما كان محفوظا في الصدور .

وأنه كان مرتب الآيات على الوضع الذي يقرأاليوم وهذا ما اتفقت عليه الأمة « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » (يونس) .

وهذا موجز عن كيفية جمع القرآن والمحافظة عليه . فلزاما على الأمة أن تجعله في المكان اللائق به فتقتفهم آياته وتطبق تعاليمه لتفوز بالحسنين .

ولكن رغم تمييز الطريق وتيسير المطالب على أيدي السلف الصالح ، تتبعنا السبيل وضلانا الغایات ، وانه ليحزن كل مسلم ذي بصيرة موقف الأمة اليوم من كتابهم المجيد ودستور حياتهم الخالد « كتاب أحكمت آياته » هبطت به الى الدرك ، فلا تتفهم معانيه ولا تدرى مقاصده ولا تفقه أحكامه ولا تدرك حكمته ولا تحكم اليه ولا تحكم به ولا تتفقه فيه تنكبا عن الطريق وأخطاؤا فيه التطبيق . فما وصلنا الى غاية وما أدركنا أى نهاية .

فعجباً وأى عجب !! في أى العصور نعيش وفي أى المواقف نسير ؟
« وانا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا »
(رباه غياثاه) أدرك هذه الأمة بما لها مدرك سواه . فما هو
القرآن يلتى في المأتم ويقرأ في الحفلات ويisan في المتأسف ويُسرخ
للسحر وتحضير الجن ويقرأ على القبور . وبهذه الوسائل الشيطانية
يعطل القرآن .

فاللهم بذلك قول الله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتي
هي أقوم » فالى متى الغفلة ؟ « ولقد صرنا الناس في هذا
القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا » « كتاب فصلت
آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم
فهم لا يسمعون » .

فها هم القوم يارب قد انصرفوا عن كتابك الى متاع الدنيا
غلا دين أصابوا ولا دنيا أدركوا . فالى متى الغفلة ومتى العودة
إلى القرآن ؟

أفيفوا أيها المسؤولون واستيقظوا أيها الموحدون وأعلنوها
حرباً على شياطين الانس الذين عطلوا القرآن ومسخوه لماربهم
وأهواهم قاتلهم الله ألم يوفكون . وتذكروا قول ربكم : « ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فallahم اهدنا للعمل بكتابك وأعن المسؤولين على تطبيق أحكامه
حتى يعود للإسلام مجده ، انك سميع مجيب الدعوات .

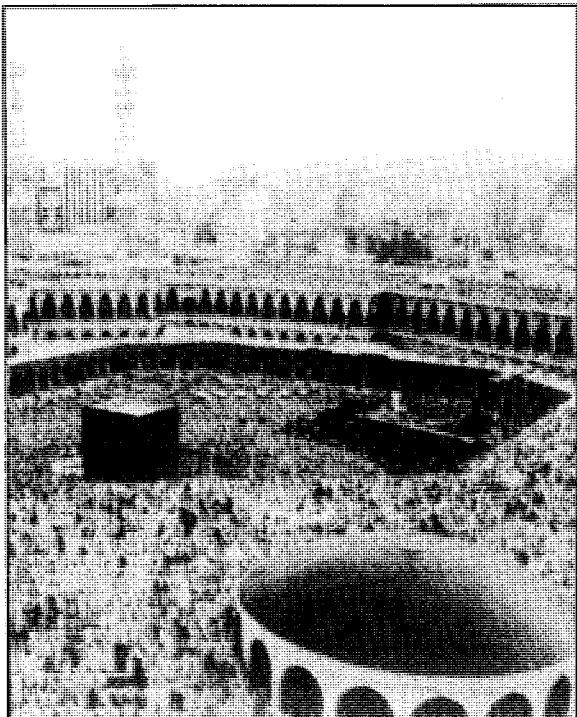
معاوية محمد هيكل

تذكرة

يذكر المذكر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية جميع فروع
الجماعة بموعد انعقاد الجمعية العمومية العادية للمركز العام المحدد
لها ظهر يوم الخميس ٢٦ رجب ١٤٠٧ الموافق ٢٦ مارس ١٩٨٧
والله ولي التوفيق

الهجرة النبوية والدروس المستفادة

بقلم الشيخ معاوية محمد هيكل



ففي تاريخ الأفراد والأمم والجماعات أحداث لها أثراً هاماً ودورها البالغ في تغيير دفة الحياة . وتاريخ أمتنا - التي نعتز بها ونفتخر - ليذخر بالأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ ، ولعل من أبرزها وأعظمها أثراً على الإطلاق في حياة الأمة حادث الهجرة المباركة . فالهجرة لم تكن حدثاً عادياً ولا عابراً كغيره من أحداث التاريخ ، بل كانت بمثابة محور الارتكاز ونقطة الانطلاق والتحول ، والحد الفاصل في مصير ومسار هذا الدين العظيم ، وإيذاناً بميلاد فجر جديد لدعوة ودولة التوحيد ، أشراق على الكون نوره بعد مخاض ليل طال على الأتباع معلنته وألامه .

وخليل الله ، إلى عيسى كلمة الله وروحه ، كلهم - على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم - أهينوا من عشيرتهم ، فصبروا ليكونوا مثالاً لمن يأتي بعدهم من متابعيهم في الثبات والصبر على المكاره ما دام ذلك في ذات الله . [« نور اليقين » (ص ٧٤)] .

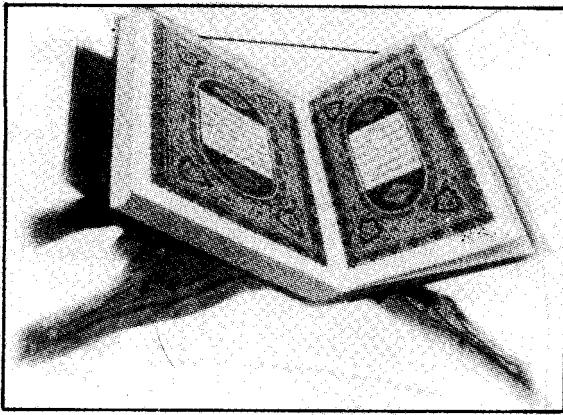
قال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرَسُولِهِمْ لَنُخْرِجَنَا مَنْ أَرْضَنَا أَوْ لَنَغْوِنَّ فِي مَلَئِنَا » [إبراهيم : ١٣] ، وقال تعالى : « وَإِذ يَمْكِرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُقْتِلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكِرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » [الأنفال : ٢٠] .

ونظرًا لهذه المكانة السامية التي تبوأها الهجرة النبوية واحتلتتها كأعظم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد اعتبره المسلمون الأوائل معلمًا بارزاً من أهم معلم حضارتهم ، فأرجعوا به لأحداثهم ووقائعهم ، ولم يوزعوا بتاريخ غيرهم ، حفاظاً على هويتهم واستقلالهم وتميزهم .

وحدثت هذا شأنه حري بغاً وجدير أن نقف على معانيه ؛ نستلهم منه الدروس والعظات والعبر .

* أولاً: الهجرة سنة ماضية :

في هذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأبياء ، فما من نبي منهم إلا نسبت^(١) به بلاد نشأته فهاجر عنها من لدن إبراهيم عليه السلام أبي الأبياء



* ثانياً : في الهجرة تأمين للدعوة :

فالنبي ﷺ لم يخرج من بين قومه إلا بعد أن تعاملوا العشرون على قتله ؛ منعًا له من الدعوة إلى الحق ، كما أوصلوا إليه ما لا يحتمله غيره من الأذى ، وفي هذا عبرة لمن دعا إلى دينه أن يصبر على أذى المدعويين ، حتى يخشى على نفسه الهاك فيفر بدينه إلى حيث يرجو أن تشر دعوته .

[« أصول السيرة المحمدية » (٧١ ، ٧٢)] .

فحيثما كان العبد في محل لا يمكن من إظهار دينه ، فإن له متسقًا وفصحه من الأرض يمكن فيها من عبادة الله . [« تفسير السعدي »] .

هجرة المؤمنين المضطهد़ين !!

فهجرة المؤمنين المضطهدِين بدينهِم في كل زمان ومكان ليس هروباً ولا نكوصاً ولا هزيمة ، إنما هو ترخيص بأمر الله ، حتى يأتي أمر الله .

فقد خرج أصحاب الكهف من الدنيا على رحابتها إلى كهف مظلم فراراً بدينهِم ، واعتزلوا للشر وأهله ، وخروجاً من الواقع السيني ، وطلبوا للسلامة ، فكانت هجرتهم محمودة ومشروعة ، وكذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم هاجروا من مكة إلى الحبشة مرتين ، ثم هاجروا إلى المدينة ، تاركين أوطانهم وأرضهم وديارهم وأهاليهم ، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين .

[« قصص القرآن » لسعيد عبد العظيم] .

الهجرة .. ودروس للدعاة !!

لذلك فإن الهجرة تعلمنا درساً هاماً ؛ وهو كيف أن على الدعاة إلى الله أن يبحثوا دائمًا عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انتلاق ونواة تأسيس .

[« في ظلال السيرة النبوية »] .

* ثالثاً : العقيدة هي الدافع والأساس :

ثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يتنازع لها عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس ، وعن

كل ما جبلت عليه الطبائع السليمة على حبه وإثاره والتمسك به والتزامه ، ولا يتنازع عنها شيء . وقد كانت مكة - فضلاً عن كونها مولداً ومنشأ للرسول ﷺ وأصحابه - مهوى الأفداء والقتوب ، ففيها الكعبة البيت الحرام الذي جرى حبه منهم جرى الروح والمدم ، ولكن شيئاً من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن ومقارفة الأهل والسكن حين صارت الأرض على هذه الدعوة والعقيدة وتذكر له أهلهما ، وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة عاطفة الحنين الإنساني وعاطفة الحب الإيماني في كلمته التي قالها مخاطباً مكة : « ما أطيتك من بلد وأحبك إلى ، ولو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك »^(٢) ؛ وذلك عملاً بقوله تعالى : « يَا عباديَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضَنِي وَاسِعَةً فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوهُنَّ » [العنكبوت : ٥٦] . [« السيرة النبوية » لأبي الحسن التدويني] .

* رابعاً : معية الله وحفظه وتأييده لأنبيائه وأوليائِه :

قال تعالى : « إِنَّا تَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ الشَّنِينِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجَنُودِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّلْطَنِيَّ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » [التوبية : ٤٠] .

فالجنود التي يخذل بها الباطل وينصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح ولا

محدثاً والوسائل كذلك والعقبات مأهولة بالصياغ
واختيار الطريق والمكان والتقويم ومن يحمل
الأغراض والدليل ، كل ذلك مؤمن مع احاطة ذلك
بالسرية والحيطة والحضر ، وكل ذلك يتبع عن
تخطيط وتنظيم وترتيب لا مثيل له . [في ظل
السيرة النبوية] .

الأخذ بالأسباب ... والتوكيل على الله !!

فالأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع ولا ينافي
ذلك الإيمان والتوكيل على الله ، فعدم الأخذ
بالأسباب قد في التشريع ، والاعتقاد في الأسباب
قدح في التوجيه ؛ لذلك فإن النبي ﷺ قد أحكم خطة
مجده وأعد لكل فرض عنته ، فأعد الراحلتين
ويترك على مكانه ، وسلك الطريق الجنوبي للتغير
بالمشركيين ، واستأجر ماهراً خبراً يدله على
الطريق ، وكانت أسماء رضي الله عنها تائياً لها
بالطعام ، ودخل غار ثور ، فعل ذلك وهو النبي
المؤيد من ربّه ﷺ . [قصص القرآن] سعيد عبد
العظيم .

ف شأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها
كلها كل شيء في النجاح ، ثم يتوكل بعد ذلك على
الله ؛ لأن كل شيء لا قيمة له إلا بالله ، فإذا
استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد
ذلك ، فإن الله لا يلومه على هزيمة بيها ،
وكلما يحدث ذلك إلا عن قدر قادر يعذر المرء فيه ،
وكتيرًا ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيبًا
حسناً ، ثم يجيء عن الله أعلى فيجعل هذا النصر
مضاعف الشمار . [فقه السيرة] للغزالى
[١٦٩] .

جوانب مستوحاة !!

فما أحراينا وقد شاهدنا عبرية التخطيط في
الهجرة لا يغيب عن هذه الجوانب الثلاثة :
١ - علينا أن نستفرغ الوع ونبذل كل الطاقة

صورة خاصة من الفوارق ، إنها أعم من أن تكون
مادية أو معنوية ، وإن كانت مادية فإن خطرها لا
يتمثل في مخانتها ، فقد تفكك جريمة لاتراما
العن بجيش ذي لحب ^(٢) ، وما يعلم جنود ربك
إلا هو [العذير : ٣١] . [فقه السيرة]
للغزالى] .

فعمية أصار المشركون عن رؤية النبي ﷺ
وصاحبها في غار ثور وهم عنده ، مثل تخشع له
القلوب من أمثلة العناية الإلهية بآياته ورسالته
ودعاته وأحباته ، فما كان الله في رحمته لم يعاده
لسلاح أن يقع رسول الله ﷺ في فسيحة
المشركون ، فيلقوا عليه وعلى دعوه ، وهو
الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، كذلك يعود عباده
المغاصبين أنه يلطف بهم في ساعات الشدة وينفذهم
من الماذن والغدر ، وليس في نجاة الرسول ﷺ
وصاحبها بعد أن أحاط به المشركون في غار ثور إلا
تصديق قوله تعالى : « إِنَّمَا تُنْصَرُ مُسْلِمًا وَالَّذِينَ
أَمْتَوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ »

[غافر : ٥١] ، وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ
عَنِ الْمُنْصَرِ أَمْتَوا » [الحج : ٤٨] . [السيرة
النبوية دروس وعبر] (١٨، ٦٧) يتصرف] .

وقال الشاعر :
وإذا العناية لاحتلك عيونها

تم فالحوادث كلهن أمان

فالدعاة إلى الله بحاجة دائمًا إلى أن يكون
راسخًا في أعقابه عن الله لهم حين تعجز قوتهم
البشرية عن إبراز ما يخطط لهم العدو بعد استنفاد
الطاقة واستفراغ الوع ، وأن تكون لديهم القاعدة
الثابتة تلك أن النصر أولاً وأخيراً بيد الله .

[المنبع الحركي للسيرة] (١٩٣ / ١) .

* خامساً : يتجلى في الهجرة بروز عنصر
التخطيط :
وأهمية ذلك في حياة المسلمين ، فكان الهدف

في التخطيط البشري .

٢- أن يكون اتكالنا على الله تعالى دون اعتمادنا على الأسباب .

٣- أن نقل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا ونطمئن إلى أنه خير للإسلام وال المسلمين .

[«المنهج الحركي للسيرة» (١٩٨٤)] .

* سادساً : التضحية والغداء :

ومن دروس الهجرة : أن الهندى الصادق المخصوص لدعوة الإصلاح يلدي قائد بعيته ، فهى سلامة القائد سلامة للدعوة ، وفي هلاكها خذلانها ووهنها ، فما فعله علي رضي الله عنه ليلة الهجرة في بيته على فراش رسول الله عليه تضحية بعيته في سبيل الإبقاء على حياة رسول الله عليه ، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيفون فتيل قريش على رأس علي رضي الله عنه انتقاماً منه ؛ لأنه سهل للرسول عليه النجاة ، ولكن علياً لم يبال بذلك ، فحسبه أن يسلم رسول الله عليه نبى الأمة وقائد الدعوة . [«السيرة النبوية دروس وعبر» (٦٧، ٧٥)] .

* ثامناً : النصرة :

وجوب نصرة المسلمين ليحصلهم البعض مما اختلفت ديارهم وببلادهم ما دام ذلك ممكناً ، فقد اتفق العلماء والأئمة على أن المسلمين إذا قدوا على استئصال المستضعفين أو المستهربين أو المظلومين من بخواهم المسلمين في أي جهة من جهات الأرض ، ثم لم يفطروا فقد يأذن لهم .

[«فقه السيرة» ، البوطى (١٧١)] .

فهل تأخذ الأمة من دروس الهجرة إذا بعد لها مجدها المفقود ، وهل تسترد دور الهجرة في حياتنا لنسائف دورنا في قيادة البشرية من جديد .
نسأل الله أن يوفقاً لسلوكه محبيل المؤمنين ، وأن يعز الله بنا الدين كما أعزه بالسابعين الأولين من الأنصار واليهود ، وأن يجمعنا بهم مع سيد الأولين والآخرين يوم يقوم الناس لرب العالمين .
وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه : معاوية محمد هيكل

عضو إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام

وذلك فعل أبو بكر رضي الله عنه ، فقد تجلى من معاملته لرسول الله عليه الحب الصادق والتضحية بالنفس ، وتجلى هذا في الغار و عند الخروج منه وفي الطريق حينما كان يمشي تارة خلفه ، وتارة أمامه ، وتارة عن يمينه . [«في ظلال السيرة النبوية»] . وهذه أمثلة في التضحية والغداء إذا خالطت بشاشته القلوب .

* سابعاً : الأخوة الصادقة :

قال تعالى : «وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شَعْنَسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الحشر : ٩] .

(١) المعنى : بما المكان بفلان لم يوافقه ، وهنا ليس المقصود المكان بل السكان الذين اشتدوا في معارضته ^{عليه السلام} وإذاته وأصحابه .

(٢) « صحيح الزمزمي » للألباني (٤٢٠٢) ، باب في فضل مكة .

(٣) المعنى : اللَّجْبُ : الصوت والصياح . [« لسان العرب »] .

اصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

بقلم الشيخ: معاوية محمد هيكل

الله عنهمما أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...» الحديث.

وقال رسول الله ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار». رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندأ دخل النار». أخرجه البخاري في «صحيحه».

وهذا النوع من التوحيد هو الذي جده الكفار وكانت الخصومة فيه بين الرسل وأمهم من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْخَبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [المائدة: ٥].

لذلك لما دعا رسول الله ﷺ مشركي العرب إلى عبادة الله وحده ونبذ الأنداد والآلهة الباطلة المدعاة تعجبوا لذلك، وقالوا: «أَجَعَّ الْآلهَةَ إِلَيْهَا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» [ص: ٥]، فرد عليهم القرآن: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» [الأنبياء: ٢٢]، وما علوا شركهم وبرروا كفرهم بقولهم عن الهمم: «مَا ظَبَدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُوْنَا إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا» [الزمر: ٣]، وقولهم: «هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» [يونس: ١٨]، فرد عليهم القرآن: «قُلْ لَهُمْ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا» [الزمر: ٤٤]، فهو لاء العرب لم يحققوا التوحيد لله رب العالمين؛ لذلك حاربهم النبي ﷺ.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى... وبعد:

فإن التوحيد هو أصل الإسلام وأساسه، وعلىه ترتكز دعائمه وأركانه، وهو أعظم الفرائض وأهم الواجبات وأولها، ومفتتح الدعوات والرسالات، لأجله أرسل الله رسلاه وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجله نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبه انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكافر والأبرار والفحار، وهو منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، عليه نصبت القبلة وأسست الملة، ولأجله جردت سيفون الجهاد، وهو حق الله على العباد. قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ» [الذاريات: ٥٦]، وقال: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اغْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ» [النحل: ٣٦]، وقال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الأنعام: ٢٥].

وهو أمر الله تعالى لعباده، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اغْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ٢١]، وقال: «وَمَا أُمِرْتُمْ إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنْفَاءِ» [البيت: ٥].

وفي «الصحابيين» عن ابن عباس رضي

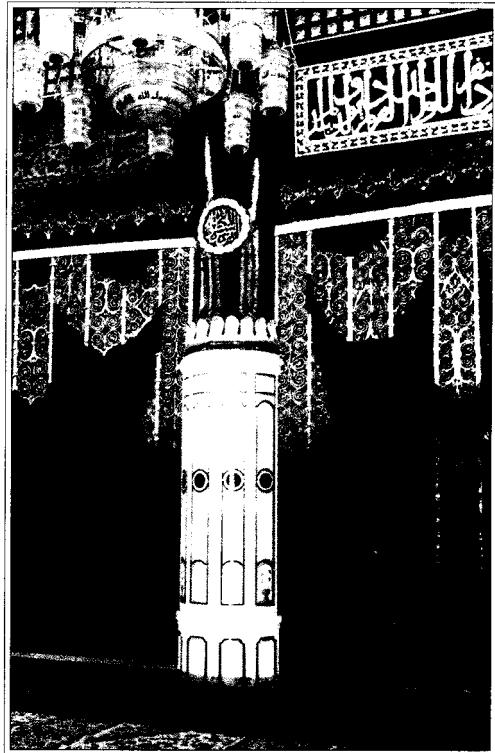
٢- الاعتقاد: فإذا علمت ولم تعتقد واستكبرت لم تتحقق التوحيد، قال تعالى حاكياً قول الكافرين: «أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» [ص: ٥]، فما اعتقدوا انفراد الله بالالوهية.

٣- الانقياد: فإذا علمت واعتقدت ولم تنقد لم تتحقق التوحيد، قال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَنَا لِشَاعِرٍ مُجْهُونِ» [ص: ٣٥، ٣٦]. «القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين.

لذلك فإن تحقيق التوحيد يقتضي تهذيبه وتصفيفته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله.

فمن حق التوحيد بأن امتلاً قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقه الأعمال بأن انقادت جوارحه إلى أوامر الله طائعة منتبة مخبطة، ولم يجر ذلك بالإصرار على المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

ومن أخص ما دل على تحقيقه؛ كمال القنوت لله وقوه التوكل على الله، بحيث لا يلتفت العبد إلى المخلوقين في شأن من شؤونه ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله متبعاً فيها رسولاً الله ﷺ. «القول السديد» [ص: ٢٠].



اعلم أن العبد لا يكون موحداً التوحيد الذي ينجيه في الدنيا من عذاب القتل والأسر وفي الآخرة من عذاب النار بمجرد اعتقاده أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه المدب للأمور جميعاً، فإن مثل هذا التوحيد كان يقره المشركون الذين أمر رسول الله ﷺ بقتالهم، قال تعالى: «وَلَئِن سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» [لقمان: ٢٥]، بل لا بد من توحيد الإلهية، وذلك بإفراد الله تعالى بالعبادة.

وهذا التوحيد لا يتحقق إلا بأمور ثلاثة:

- ١- العلم: فلا يمكن أن تتحقق شيئاً قبل أن تعلم، قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [محمد: ١٩].



إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

الحلقة الثانية

بِقَلْمِ معاوية محمد هيكل

فالعرب كانوا يتشارعون بالأنواع ويتنازعون بها، فبعض النجوم يقولون: هذا نجم نحس لا خير فيه وبعضها يتنازعون به فيقولون: هذا نجم سعود وخير، وإذا أ茅روا، قالوا: مطربنا بنوء كذا وكذا، ولا يقولون مطربنا بفضل الله ورحمته، ولا شك أن هذا غاية الجهل، فالنوع لا تأثير له، فقولنا: طلع هذا النجم، كقولنا: طلعت الشمس، فمن قال: مطربنا بنوء كذا فقد انكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سبباً فتعلقت نفسه بهذا السبب ونسي نعمة الله.

وفي عصرنا الحاضر يعلق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهذا وإن كان سبباً حقيقياً لكن الواجب أن نقول: مطربنا بفضل الله وبرحمته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤْلِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَحْمِلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصَبِّبُ بِهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَصْرُفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَةً بِرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقْبَلُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لَأُولَئِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثْبِرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَثْبِرُ وَيَحْمِلُهُ كَسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبَشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

صور من حيطة الشريعة لجناب العقيدة ولما كان توحيد الألوهية هو أخطر وأشرف أنواع التوحيد فقد احتاط له الشرع الحنيف أكبر الحيطة، واهتم به أعظم الاهتمام، ونفى عنه كل شائبة وقطع الطريق على كل وسيلة مفعمية إلى الإخلال بأساسه وقواعده حتى يبقى منيع الجانب مصون الحمى، ولقد بذل النبي ﷺ وأفنى حياته كلها في جهاد متواصل للحلقات من أجل إقرار هذه العقيدة المباركة وتثبت دعائمها وأركانها وتنقيتها من شوائب الشرك الجلي والخفي وقربية أصحابه عليها، كما حرص عليه الصلاة والسلام أشد الحرص ألا يخدش جناب التوحيد أو يخرق سياجه أو يمس حمامه.

وإليك صوراً من حيطة ﷺ لذلك:

أولاً: التحذير الشديد من تعلق القلب بغير الله:

- عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحدبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فاما من قال مطربنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطربنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

النوع: واحد الأنواع، والأنواع: هي منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلاً، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة.

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى يوماً بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة، وكان عمر قد أعجبه ما فيها، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وقال لعمر: «أهذا وأنت بين أظهركم، لقد جئتكم بها بغضائني، والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني». رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وحسنه الألباني.

ويستفاد من الحديث:

١- أن الإسلام يعلو ولا يعلى، فهو دين الله للعالمين ورحمته للخلق أجمعين، وهو النظام الإلهي الكامل الذي خلق الله به الرسالات، فلا يحل لأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم أن يدينوا بغيره أو يذعنوا لسواه.

قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغَ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِيَنًا فَلَنْ يُفْلِمَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [آل عمران: ٨٥].

ولقوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودياً ولا نصراوياً ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

٢- لا يجوز الالهادء بمنهج غير منهج القرآن والسنة في إصلاح وتذكية النفس وتهذيب السلوك، فالكتاب والسنة هما مصدراً التقلي في الفهم والاستنباط عند أهل السنة والجماعة، خلافاً لما عليه غيرهم من الصوفية الذين يعتمدون في منهجهم على المنanات والفتوحات والذوق والماكشفات، حيث يقول الواحد منهم: حدثني قلبي عن ربِّي!! والمعزلة الذين يقدمون العقل على النقل، ويعتمدون منهج التأويلات الكلامية الفلسفية، فيبطلون نصوص الشريعة إذا خالفت عقولهم، ومعلوم أنه لا تعارض بين عقل صحيح وبين نص

فتتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف العبد عن تعلقه بربيه، فذهبت أنواع الجahلية وجاءت المنخفضات الجوية، وما أسببه ذلك من الأقوال التي تصرف الإنسان عن ربه، نعم المنخفضات الجوية قد تكون سبباً لنزول المطر، لكن ليست هي المؤثر بنفسه، فتنبه. «القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين.

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ فبایعه تسعه وأمسك عن رجال منهم، فقالوا: ما شأنه؟ فقال ﷺ: «إن في عضده تميمة». فقطع الرجل التميمة، فبایعه رسول الله ﷺ، ثم قال: «من علق فقد أشرك». رواه أحمد والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الترهيب » (٣٤٥٥).

فامتناع النبي ﷺ عن مبایعة الرجل لأجل التميمة التي في عضده دليل على أن تعليقها لدفع البلاء أو رفعه من الشرك؛ لقوله ﷺ: «من علق فقد أشرك»، فلما قطعها بایعه رسول الله ﷺ، وذلك حتى يسلم القلب من التعليق بغير الله.

- عن أبي بشير الانصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسوله ﷺ: «ألا يبقين في رقبة بغير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت». رواه البخاري ومسلم.

وهذا نهي وتحذير من الرسول ﷺ لهؤلاء، لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك يدفع العين عن البعير، وهذا اعتقاد فاسد؛ لأنه تعلق بما ليس بسبب وأن التعلق بما ليس بسبب شرعي أو حسي شرك؛ لأنه بتعلقه أثبت للأشياء سبباً لم يثبته الله لا بشرعه ولا بقدرها؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بقطع هذه القلائد. ثانياً: حماية مصدر التقلي ونبع الهدایة:

صريح.

فمنهج أهل السنة والجماعة هو تقديم النقل على العقل والاستدلال بالأيات القرآنية والأحاديث النبوية ورفض القاوiyات الفلسفية الكلامية، فالنزاع إذاً في مصدر العلم ومنهج الفهم.

لذلك فإن أي دعوة إصلاحية على وجه الأرض لا ترتكز دعائهما على العقيدة السلفية الصحيحة ولا تستمد أصولها من منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والسلوك والفهم والتصور، فهي دعوة لا أساس لها ولا قرار، ومهمماً ادعى أصحابها أنهم على الصواب فهم أدعية؛ لأنهم لم يلتزموا منهج الأنبياء، فالخير كل الخير في الاتباع، والشر كل الشر في الابتداع.

فمنهج أهل السنة والجماعة هو المعيار الذي توزن به العقائد وتقاس على أساسه الأفكار والمناهج.

٣- يستفاد من قوله ﷺ: «والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني» أن مكانة النبي ﷺ هي أعظم مكانة بين جميع الأنبياء ورسالته أشرف وأكمل رسالة، فلو عاد جميع الأنبياء إلى الحياة الدنيا، فالواجب في حقهم جميعاً متابعة النبي ﷺ والدعوة إلى رسالة الإسلام، وفي ذلك رد واضح على مزاعم دولة العصابات اللقيطية يهود الشتات شذاذ الأفاق، فلو عاد أنبياءبني إسرائيل لانضموا إلى صفوف المؤمنين الموحدين ولانحازوا إلى كتائب المجاهدين في جهادهم ضد اليهود، ولطهروا المسجد الأقصى من دنسهم.

٤- بل إن هذا سيحدث بالفعل عندما ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، ويصلّي خلف المهدى في المسجد الأقصى؛ تكرمة من الله لهذه الأمة، ثم يخرج بعد الصلاة فيقاتل اليهود ويقتل الدجال.

ثانياً: النهي عن التقرب إلى الله في مكان يعبد فيه غير الله:
عن ثابت ابن الصحاح رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟» قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوف بندرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم». رواه أبو داود، وصححه الألباني (٢٨٣٤).

وفي الحديث نهي عن الشرك ووسائله، فالشرك: «هل كان فيها وثن». ووسائله: «هل كان فيها عيد من أعيادهم».

قال شيخ الإسلام: فقوله ﷺ: «أوف بندرك» هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله أو في محل أعيادهم معصية؛ لأن قوله: «أوف بندرك» تعقيب للوصف بالحكم، وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم، ويكون سبب الأمر بالوفاء خلوه من هذين الوصفين، فلما قالوا: لا، قال: «أوف بندرك». وهذا يعني أن كون البقعة مكاناً لعيدهم أو بها وثن من أوثانهم مانع من الذبح بها ولو نذره. (فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لأهالتهم تقرباً إليها وشراكاً بالله صار مشرعًا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح المسلم ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه بالشركين وشاركتهم في مشاعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم، ومن هذا الباب نهى الشارع عن مشاركة الكفار في مشاعرهم وأعيادهم وهياكلهم وملابسهم وجميع ما يختص بهم بإبعاداً لل المسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم حتى نهى عن صلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبه المحذور. قاله الشيخ السعدي).
والحديث بقية إن شاء الله تعالى.

إصلاح المفاسد أساس كل إصلاح

الحلاقة الثالثة

بقلم: معاوية محمد هيكل

هي من صفات الخالق وحده.

وقال مبالغًا في غلوه:
يا أكرم الرسل ما لي من الولد به
سواء عند حلول الحادث العم
فرد عليه الشاعر الموحد:
لذ بالله ولا تذر بسواء
من لاذ بالملك الجليل كفاه

فانظر كيف أدى به الغلو إلى الشرك
الأكبر، فلم يعد يدري ولا يعرف له ربًا يلوذ به
ويلجأ إليه ويسْتغْيِثُ به عند الشدائِدِ
والملمات والأزمات، فنطَقَ لسانه بهذه
الشركات التي تهتز لها الأرض والسماءات،
وقد قال الله تعالى مخاطبًا نبيه صلى الله
عليه وسلم: «قُلْ لَا أَمْلَكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...» [الأنعام: ١٨٨]، فهل يملك
ذلك لغيره عليه الصلاة والسلام، فالنافع
الضار المعطي المانع هو الله وليس أحد
سواء، قال تعالى: «وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الأنعام: ١٧].

وقال تعالى: «وَلَا تَدْنُعْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَخْرُكَ فَإِنْ قَعْلَتْ فَأَئِنَّكَ إِذَا مِنْ
الظَّالِمِينَ» [يوحنا: ١٠٦].

الفلوفي الصالحين سبب الشرك في الأولين والآخرين
في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها
 من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل
 الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره
 مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار
 الخلق عند الله».

وقال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله
 اليهود والنصارى، اتخاذ قبور أنبيائهم
 مساجد»؛ يحذر ما صنعوا، متفق عليه.

رابعاً: التحذير من الغلو وخطره:

تعريف الغلو: هو مجاوزة الحد مدحًا أو
 قدحًا، قال تعالى: «بِمَا أَهْلَكَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُبُوا فِي
 دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا
 الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلْمَةُ
 أَقْلَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرَزَحَ مَنْهُ» [النساء: ١٧١].

والخطاب يتناول جميع الأمة تحذيرًا لهم
 من أن يغلووا في نبيهم كما فعل اليهود
 والنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام.
 فالنصارى غلووا في عيسى مدحًا، فقالوا:
 إنه الله، وابن الله، وثالث ثلاثة، واليهود غلووا
 فيه قدحًا، فقالوا: إن أمه زانية، وإنه ولد زنا!
 فكلا الطرفين غلا في دينه وتجاوز الحد بين
 إفراط وتفريط، ولهذا حذر النبي صلى الله
 عليه وسلم من الغلو في شخصه عليه الصلاة
 والسلام، فقال: «لَا تطْرُونِي كَمَا أطْرَتُ
 النصارى ابْنَ مَرِيمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقَوْلُوا:
 عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». [رواوه الشیخان]

والإطراء وهو المبالغة في المدح كان سبباً
 رئيساً وببداية لغلو النصارى في عيسى ورغم
 الحيطة والتحذير من البشير الذين، بقوله:
 «لَا تطْرُونِي». وقوله: «إِيَاكُمْ وَالْغَلُوُ فِي الدِّينِ،
 فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغَلُوُ فِي الدِّينِ».
 [رواوه النسائي (٢٨٨٣)، وابن ماجه (٣٠٢٩)].
 وصححه الألباني]. إلا أن الأمة وقعت فيما
 حذر منه وأنذر عليه الصلاة والسلام، حتى
 قال البوصيري- يزعم مدح النبي صلى الله
 عليه وسلم وتعظيمه:-

فإن من جودك الدنيا وضرتها
 ومن علومك علم اللوح والقلم

يجعل الدنيا والآخرة من جوده وأن علم
 اللوح والقلم من بعض علومه وهذا كله من
 أوصاف الربوبية والآلهية التي لا يجوز بأى
 حال من الأحوال وصف أى مخلوق بها وإنما

سيشفع لزوار مولده، فأبى هذا العالم أن يفتني قائلًا ما معناه: «إن البدوي ذو بطش شديد».

٣- ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس: أن رجلاً فرنسيًا دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهايدي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية، وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريحًا في المسجد يعتقدون فيه، فدخل (سيد أحمد) الضريح، ثم خرج مهولاً بما سينالهم من المصائب، وقال لهم: إن الشيخ ينصحكم بالتسليم؛ لأن وقوع البلاد صار محتملاً، فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع، بل دخلها الفرنسيون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م.

٤- ومن المواقف المعاصرة في ذلك: أنه قد زعم خليفة السيد البدوي في مولد عام ١٩٩١م: (أن السيد البدوي موجود معك أينما كنت، ولو استعنت به في شدتك)، وقلت: يا بدوي مدد، لاعانك وأغاثك!! قال ذلك أمام الجموع المحتشدة بسرادق وزارة الأوقاف أمام العلماء والوزراء، وقد تناقلته الإذاعات وشاشات التلفاز. [مجلة البيان: العدد ١٢٣].

وبذلك يتبيّن لك أخي القارئ كيف أن الغلو في الأنبياء والصالحين كان له أكبر الاثر السييء في إفساد حقيقة الدين وتشويه معالله والانحراف به عن الصراط المستقيم ونشر العقائد الهدامة في صفوف الأمة بدعوى محبتهم وتعظيمهم وكذبوا فيما ادعوا فإن تعظيم الأنبياء والصالحين لا يكون إلا باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح وسلوك منهجمهم في إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم ودون إتخاذهم أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله إشراكاً بالله وعداؤه لله ولرسوله ولصالحين من عباده.

للحديث بقية

وآخر دعواانا أن الحمد لله رب العالمين

وأخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكل بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتتنفس العلم عبدت.

فتنة التمثال والقبور هي العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد؛ لأنها هي التي أوقعت كثيراً من الأمم في الشرك الأكبر وما دونه. قاله شيخ الإسلام.

فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين، سلماً إلى عبادتها، فكل ما عيد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوي البصائر كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإن أعظم الهرتمن أحmed البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فصل ولا علم ولا عبادة، ومع هذا صار أعظم الهرتمن، فزين لهم الشيطان عبادته، فاعتتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطغى الحريق وينجي الغريق، وصرفوا له الربوبية والألوهية وعلم الغيب، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة ومنهم من يسجد على عتبة حضرته. «قرة العيون».

صور فاضحة لعباد الأضرحة:

١- قال ابن القيم رحمة الله: فقد آل الأمر بهؤلاء الضلال والمشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه: «مناسك حج المشاهد»، مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام.

٢- وفي أيام حكم السلطان المملوكي قيل لأحد العلماء بأن يفتني بإبطال مولد البدوي لما يحدث فيه من زنا وفسق ولوساطة وتجارة مخدرات، وما يشيشه الصوفية من أن البدوي

الصلاح العقيطة أساس لملء إصلاح

الحلقة الرابعة

بِقَلْمِ معاوية محمد هيكل

[الاتّعام: ٩٥]، وقال تعالى مخاطبنا نبيه ﷺ: «قُلْ لَا أَمْلُكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَّخَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا سَتَّنِي السُّوءُ» [الأعراف: ١٨٨].

ولقد أعلن الإسلام النكير على الكهنة والدجالين والعرافيين، فقال ﷺ محنزاً الأمة منهم ومن شرهم: «من أتي عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٤٢).

ولما سئل النبي ﷺ عن العرافين قال: «ليسو بشيء». رواه البخاري (٦٢١٣). وذلك تحييراً لشانهم وحططاً من قدرهم.

ولما شك الصحابة في «ابن صياد اليهودي» الذي كان يسكن المدينة، وظفوه الدجال الذي حدث عنه الرسول ﷺ، وأخذ الرسول ﷺ معه جماعة وزاره في منزله، قال له الرسول مختبراً: «لقد خبأت لك خبئاً». وكان الرسول ﷺ قد أضمر في نفسه «سورة الدخان»، فسأله الرسول ﷺ عما في نفسه، فقال عدو الله: «هو الدخ»، ولم يستطع أن يكمل الكلمة، فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك» - أي لن تتعدى كونك كاهناً تتصل بالجنة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «كيف ترى؟» قال: ياتيني أحياناً صادقاً وكاذباً، أي تأتيه أخبار من الشيطان صادقة أحياناً، وكاذبة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: «قد تُبَشِّسُ عليه». رواه البخاري ومسلم.

وفي هذا الحديث دليل على أن الشيطان من المكن أن يسترق السمع ويطلع على ما في نفس المؤمن ويخبر وليه من الآنس، فإن صدق مرة كذب معها مائة مرة، وإننا مأمورون لا نصدق من الغيب إلا ما أتناه من طريق الله، ومن طريق رسول الله ﷺ فقط، وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

خامساً: النبي عن التشبه بالشركين وأهل الجاهلية

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حشاه عهد بـ كفر والشركين سدراً يعكفون عندها وينتوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواع، فمررتنا بـ سدراً، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع، فقال الرسول ﷺ: «الله أكبير، إنها السنن، قلت والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل موسى: «اجعل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» [الأعراف: ١٢٨]، لتركت سنن من كان قبلكم». رواه الترمذى وأحمد والطبرانى وحسنه الألبانى.

في هذا الحديث ظن بعض الصحابة أن تعليق سيفهم كما يفعل المشركون يجلب لهم النصر على عدوهم فنهاهم وحرزهم عليه الصلاة والسلام من مشابهتهم، وبين لهم أنه لا يجوز للعبد أن يطلب المدد والبركة والنصر والعون من غير الله؛ لأن هذا شرك به سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام: فانكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطم من ذلك؛ من مشابهتهم المشركين في الشرك بعينه؛ فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المكرات وبغضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو قناة جارية أو جبلأً أو مغاربة، وسواء قصدها ليصللي عندها، أو ليدعوا عندها أو ليقرأ أو ليذكر الله عندها أو ليتنفس عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً.

سادساً: إعلان التكير على الكهنة والعرافيين

لقد استأثر الله تبارك وتعالى بعلم الغيب وحده وأثبتته لنفسه ونفاه عن سائر الخلق أجمعين فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسى ولا ولد صالح.

قال تعالى: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ» [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: «وَعَنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»

تعريف البرك : تبرك: تفعّل، من البركة. والبركة هي كثرة الخير

وثبوتها.

قال الخليل: البركة من الزيادة والنماء. وفي حديث أم سليم فحنته وبرك عليه؛ أي دعا له بالبركة. وروى ابن عباس: ومعنى البركة الكثرة في كل خير.

قال ابن الأثير في حديث: «وبارك على محمد وعلى آل محمد» أي: أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة. وهو من برك البعير إذا آتاك في موضع فلزمه، وتطلق على الزيادة، والأصل الأول. والتبرك طلب البركة، وهي ثبوت الخير في الشيء وزيارته، وطلب ثبوت الخير وزيارته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه. وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها.

من فوقها وبارك فيها» [فصلت: ١٠]، وقال: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يُبَكِّهُ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ٩٦]. وقال عن نبيه ﷺ: «سَبَّحَنَ اللَّهَ الَّذِي أَسْرَى بِعَيْنِيهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لِرُبْرِيَّةِ مِنْ آيَاتِنَا» [الإسراء: ١]. وقال عن نبيه موسى عليه السلام: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَّ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ» [آل عمران: ٣٠]. وقال عن نبيه عيسى عليه السلام: «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَّةِ» [مريم: ٣١]. وقال عن نبيه سليمان عليه السلام: «تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا» [الأنبياء: ٨١]. وطاعة الله تعالى هي السبيل لتحصيل البركات منه سبحانه، قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْبَى أَمْتُوا وَأَنْقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

البركة من الله ولا تطلب إلا بطاعته
لقد دلت الآيات القرآنية على أن البركة من الله، فقال رب العزة جل وعلا في معرض الثناء على نفسه: «إِلَّا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» [الأعراف: ٥٤]، وقال: «تَبَارَكَ الَّذِي بَيَّنَهُ الْمُكَلَّفُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الملك: ١]، وقال: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ شَذِيرًا» [الفرقان: ١]. ومعنى تبارك يعني تعاظم وتعالى وكثرة خيره وعم إحساناته وفاض جوده، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجليل والبر الكبير، فكل بركة في الكون فمن آثار رحمته سبحانه وتعالى. فطلب البركة لا يكون إلا من الله. قال تعالى: «وَنَرَأَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَثَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ» [ق: ٩]، وقال سبحانه: «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ

صلوات

من البرك

الله

والباقي

بِقلم: معاوية محمد هيكل

البقرة فإن أخذها برقة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة». أخرجه مسلم.
ومن بركات القرآن: أنه شفاء للناس، وهدى ورحمة، قال تعالى: «وَنَرَأُوا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» [الإسراء: ٨٢]. وقال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء: ٩].

وَمِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي تَكُونُ سَبِيلًا لِلْبَرَكَةِ

○ طلب العلم وتعلمـه، فمن بركته الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: «يُرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ درجات» [المجادلة: ١١].
وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع». رواه أبو داود والترمذـي، وحسـنه الألبـاني.

○ ومن ذلك: أداء الصلاة جماعة مع المسلمين، فمن بركة ذلك مضاعفة الحسنات، وتکفير السيئات والبراءة من النار والنفاق، قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً». رواه البخاري ومسلم. وقال: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرية الأولى كتب له براءاتان؛ براءة من النار، وبراءة من النفاق». رواه الترمذـي وحسـنه الألبـاني في «صحيح الترغيب» (٤٠٤).

○ ومن ذلك: الصدقات المفروضة والمستحبة؛ فمن بركة الزكاة أنها نماء وبركة وتطهير للنفس من رذيلة البخل والطمع. قال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَنْقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَزُرْكِيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَنَّلَتْكَ سَكَنَ لَهُمْ» [التوبـة: ١٠٣].
وقال رسول الله ﷺ: «من أدى زكـاة ماله فقد ذهب عنه شره». رواه الطبرـاني، وحسـنه الألبـاني في «صحيح الترغيب» (٧٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيـmine، ثم يربـيها لصـاحبـها كما يربـي أحـدـكم فـلوـهـ، حتى تكون مثل الجبل». رواه البخارـي ومـسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقـىـ مصارع السـوءـ، وصـدقـةـ السـرـ تـطـفـيـ غـضـبـ الـربـ، وـصـلـةـ الـرـحـمـ تـزـيدـ فـيـ الـعـمـرـ». رواه الطـبرـاني، وحسـنه الألبـاني في «صحيح الترغيب» (٨٧٥).

برـكاتـ مـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ» [الأعراف: ٩٦].

صـورـ منـ التـبـرـكـ الشـرـوعـ حـثـ عـلـيـهـ الشـرـيعـةـ

١- التـبـرـكـ بـالـأـقـوـالـ وـالـأـفـعـالـ وـالـهـيـئـاتـ

فـهـنـاكـ أـقـوـالـ وـأـفـعـالـ وـهـيـئـاتـ إـذـ جـاءـ بـهـاـ الـمـسـلـمـ مـلـتـمـسـاـ لـلـخـيـرـ وـالـبـرـكـ حـصـلـ لـهـ مـاـ أـرـادـ، إـذـ اـتـبـعـ فـيـ ذـلـكـ السـنـةـ، وـلـمـ يـكـنـ فـيـ ذـلـكـ مـانـعـ.

فـمـنـ هـذـهـ الـأـقـوـالـ: ذـكـرـ اللـهـ، وـتـلـاوـةـ كـتـابـهـ، فـمـنـ

بـرـكـةـ الذـكـرـ قـالـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ: «إـنـ لـهـ مـلـائـكـةـ يـطـوفـونـ فـيـ الـطـرـقـ يـلـتـمـسـونـ أـهـلـ الذـكـرـ...» وـفـيـ أـنـ اللـهـ يـقـولـ: «فـاـشـهـدـكـمـ أـنـيـ قدـ غـفـرـتـ لـهـمـ». قـالـ: «يـقـولـ مـلـكـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ: فـيـهـمـ فـلـانـ لـيـسـ مـنـهـمـ إـنـماـ جـاءـ لـحـاجـةـ. قـالـ: هـمـ الـجـلـسـاءـ لـاـ يـشـقـيـ بـهـمـ جـلـيـسـهـمـ».

أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ.

وـأـفـضـلـ الذـكـرـ لـإـلـهـ إـلـاـ اللـهـ، قـالـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ: «خـيـرـ الدـعـاءـ دـعـاءـ عـرـفـةـ، وـخـيـرـ مـاـ قـلـتـ أـنـاـ وـالـنـبـيـونـ مـنـ قـبـلـيـ: لـإـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، لـهـ الـمـلـكـ وـلـهـ الـحـمـدـ وـهـوـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ». وـهـيـ كـلـمـةـ النـجـاهـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ، وـأـسـاسـ كـلـ بـرـكـةـ حـاـصـلـةـ، وـذـكـرـ مـاـ اـشـتـملـتـ عـلـيـهـ مـنـ نـفـيـ الشـرـكـ وـتـوـحـيـدـ اللـهـ، وـهـوـ أـفـضـلـ وـأـجـلـ الـأـعـمـالـ، وـأـسـاسـ الـمـلـلـةـ وـالـدـيـنـ، فـمـنـ قـالـهـاـ وـعـمـلـ بـمـقـتـضـاهـاـ مـنـ الـعـلـمـ وـالـيـقـيـنـ وـالـصـدـقـ وـالـإـلـاـصـ وـالـمحـبـةـ وـالـقـبـولـ وـالـأـنـقـيـادـ وـغـيـرـ ذـكـرـ مـاـ تـقـنـيـهـ تـلـكـ الـكـلـمـةـ الـمـبـارـكـةـ وـاسـتـقـامـاـنـ عـلـىـ ذـكـرـ فـهـذـهـ الـحـسـنـةـ لـاـ يـعـدـلـهـاـ شـيـءـ.

قـالـ تـعـالـىـ: «إـنـ الـذـيـنـ قـالـوـاـ رـبـنـاـ اللـهـ ثـمـ اـسـتـقـامـوـاـ فـلـأـ خـوـفـ عـلـيـهـمـ وـلـاـ هـمـ يـحـرـنـونـ» [الـأـحـقـافـ: ١٣].

مـنـ بـرـكـاتـ الـقـرـآنـ

قـالـ تـعـالـىـ: «وـهـذـاـ كـتـابـ أـنـزـلـنـاـهـ مـبـارـكـ مـصـدـقـ الـذـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ» [الـأـنـعـامـ: ٩٢]. وـقـالـ: «وـهـذـاـ ذـكـرـ مـبـارـكـ أـنـزـلـنـاـهـ أـقـانـثـ لـهـ مـنـكـونـ» [الـأـنـبـيـاءـ: ٥٠].
وـقـالـ: «وـهـذـاـ كـتـابـ أـنـزـلـنـاـهـ مـبـارـكـ فـاتـيـعـهـ وـأـتـقـوـاـ لـعـلـكـمـ تـرـحـمـونـ» [الـأـنـعـامـ: ١٥٥].

وـمـنـ بـرـكـاتـ الـقـرـآنـ أـنـ الـحـرـفـ الـوـاحـدـ بـعـشـرـ حـسـنـاتـ، وـمـنـ ذـكـرـ مـاـ رـوـاهـ أـبـوـ أـمـامـ الـبـاهـلـيـ أـنـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ قـالـ: «اقـرـأـوـاـ الـقـرـآنـ فـيـهـ يـأـتـيـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ شـفـيـعـاـ لـأـصـحـابـهـ، اـقـرـأـوـاـ الـزـهـرـاوـيـنـ الـبـقـرـةـ وـسـوـرـةـ الـأـلـعـبـانـ، فـإـنـهـمـ تـاتـيـانـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ كـانـهـمـ غـامـتـانـ. أـوـ كـانـهـمـ غـيـاثـيـانـ. أـوـ كـانـهـمـ فـرقـانـ مـطـيرـ صـوـافـ تـحـاجـانـ عـنـ أـصـحـابـهـمـ، اـقـرـأـوـاـ سـوـرـةـ

وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه». رواه الترمذى، وصححه الألبانى .(١٣٥٨).

ومن اليمات المباركة

الاجتماع على الطعام والأكل من جواب القصعة، ولعق الأصابع، وكيل الطعام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، ببارك لكم فيه». أخرجه أحمد، وأبو داود، وحسنه الألبانى فى «صحىح أبي داود» (٧١٧/٢).

وقال : «البركة تنزل في وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الألبانى فى «صحىح أبي داود» (٧١٩/٢).

وأمر : بلعق الأصابع، وقال: «إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه، فإنه لا يدرى في أيتهن البركة». رواه أحمد، وصححه الألبانى فى «صحىح الجامع» .(٣٨٢)

قال : «كيلوا الطعام ببارك لكم فيه». أخرجه البخارى.

وكل قول أو فعل أمر الله به ورسوله قام به العبد مع الإخلاص والمتابعة، فإنه سبب للبركة .
٢- التبرك بالأمكانة:

هناك أمكنة معينة جعل الله فيها البركة إذا تحقق في العمل الإخلاص والمتابعة. فمن هذه الأماكن المساجد، والتماس البركة فيها إنما يكون بأداء الصلاة فيها، والاعتكاف، وحضور مجالس العلم، وغير ذلك مما هو مشروع، ولا يكون بالتمسح بجدرانها أو ترابها مما هو منع.

ومن المساجد ما يكون له مزية وزيادة في البركة، كمسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى، فصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي المسجد النبوى بالف صلاة، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة. أخرجه أحمد، والنمسائى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى «صحىح ابن ماجه» (٢٣٨/١).

وكذلك الصلاة في مسجد قباء. قال رسول الله : «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة». رواه أحمد والنمسائى وابن ماجه، وصححه الألبانى فى «صحىح ابن ماجه» (١/٢٣٨).

(للحديث بقية ياذن الله)

○ ومن ذلك: الصيام؛ فمن بركته مغفرة الذنب. قال رسول الله : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه». وقال رسول الله : «عليك بالصوم فإنه لا مثل له». «صحىح الترغيب» (٩٧٣).

○ ومن ذلك: الحج والعمرمة؛ فمن بركتهما نفي الفقر والذنب ودخول الجنة. قال رسول الله : «تابعوا بين الحج والعمرمة، فإنهم ينفيان الفقر والذنب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجارة المبرورة ثواب إلا الجنة». رواه الترمذى وابن ماجه، وصححه الألبانى فى «صحىح الترمذى» (٦٥٠).

○ ومن ذلك: صلة الأرحام؛ فمن بركة ذلك طول العمر والبركة في الرزق. قال رسول الله : «من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمة». رواه البخارى ومسلم.

وقال رسول الله : «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم منجاة في الأهل، منسأة في الآخر، ومثراة في المال». رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى «السلسلة» (٢٧٦).

○ ومن ذلك: الجهاد في سبيل الله؛ فهو ذروة سنام الإسلام وبركاته أجل وأعظم من أن تحصر، فمن برkatاته ذليل الشهادة ودخول الجنة. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَآمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يَقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي النُّورَةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»

[التوبه: ١١١]. وقال تعالى: «وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ فَتَّلُوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُ أَبْلَى أَحْيَاءً عَنْ دِرَبِهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحَيْنَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسْتَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحِقُوْا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمُ الْأَخْوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَرْجِئُونَ يَسْتَشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

وقال رسول الله : «للشهيد عند الله ست خصال؛ يغفر له في أول دفعه، ويرى مقعده من الجنة، ويُجاه من عذاب القبر، ويُمان من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوفار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين

ليلة القدر، قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَّةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» [الدخان: ٣]، والعشر الأول من شهر ذي الحجة، ويوم عرفة، قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة إنني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله». صحيح الترغيب (٩٩٦).

وكذلك يوم الجمعة، فإن بركته أنه خير يوم طلعت عليه الشمس، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة إجابة، وكذلك الثالث الأخير من الليل، ويوم الاثنين والخميس، وغير ذلك من الأزمنة التي خصها الشرع بمزينة ويكون فيها من الخير والفضل والبركة الشيء الكثير والتماس البركة في هذه الأزمنة يكون باتباع ما أرشد إليه النبي ﷺ. [انظر «التبrik» للعلياني (٣٣)].

ومن ذلك يوم عاشوراء؛ فمن بركته أن صيامه يكفر سنة مضية. عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يُكفر

بِيَنَا فِي الْمَقَالِ السَّابِقِ
صُورًا مِنَ التَّبِرَّكِ الْمُشْرُوعِ،
وَفِي هَذَا الْمَقَالِ نَكْمِلُ مَا
بِدَأْنَاهُ، ثُمَّ نَتَنَاهُ صُورًا مِنَ
الْتَّبِرَكِ الْبَدْعِيِّ؛ مُسْتَدِلِّينَ
فِي كُلِّ ذَلِكَ بِالْأَدْلَةِ
الشَّرِعِيَّةِ مِنَ الْكِتَابِ
وَالسَّنَةِ النَّبَوَيَّةِ، وَالْيَكَ
الْبَيَانِ؛

وَمِنَ الْأَمْكَنَةِ الْمُبَارَكَةِ

مَكَةُ، وَالْمَدِينَةُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَمَ مَكَةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَمَ إِبْرَاهِيمَ مَكَةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمَدَهَا بِمَثْلِي مَا دَعَا إِبْرَاهِيمَ لِأَهْلِ مَكَةَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.
فَمِنْ سُكُنِ مَكَةَ أَوِ الْمَدِينَةِ طَالِبًا مَا فِيهَا مِنَ الْبَرَكَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا ﷺ فَقَدْ وَفَقَ إِلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ، بِخَلَافِ مَا لَوْ طَلَبَ التَّبِرَكُ بِالْقَمْسَحِ بِتَرَابِهَا وَجَدْرَانِهَا وَأَشْجَارِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا لَمْ يَرِدْ بِهِ الشَّرْعُ، فَإِنَّهُ بَدْعَةٌ وَمَدْخَلٌ إِلَى الشَّرِكَةِ، وَكَذَا الْمَشَاعِرُ الْمَقْدِسَةُ، كَعْرَفَةُ وَمَزْدَلَفَةُ وَمَنِيُّ، فَهِيَ أَمَانَاتٌ مُبَارَكَةٌ مَا يَحْصُلُ فِي أَوْقَاتِهَا الْمُشْرُوعَةِ مِنْ غَفْرَانِ الذَّنْوَبِ وَحَصْولِ الْأَجْرِ الْكَبِيرِ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ.

الْتَّبِرَكُ بِالْأَزْمَنَةِ

هُنَاكَ أَزْمَنَةٌ خَصَّهَا الشَّرْعُ بِزِيَادَةِ فَضْلٍ وَبِرَكَةٍ، مُثْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ مَا فِي صِيَامِهِ مِنْ غَفْرَانِ الذَّنْوَبِ وَزِيادةِ رَزْقِ الْمُؤْمِنِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَمِنْ ذَلِكَ

الْحَلْقَةُ الثَّالِثَةُ

بِقَلْمِ:
مَاوَاعِيَةُ مُحَمَّدٌ هِيكَلٌ

السنة الماضية». رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصوم من التاسع». رواه مسلم.

وذكر بعض أهل العلم كابن القيم وغيره، أن صيام عاشوراء على مراتب ثلاث:

١- أن يصوم عاشوراء وتأسوعاً، وهذا أفضل

الأنواع؛ لأن النبي ﷺ قال: لئن بقيت إلى قابل لأصوم من

الناس» يعني: مع العاشر.

٢- أن يصوم عاشوراء والحادي عشر، وهذا دون

الأول.

٣- أن يصوم عاشوراء وحده، فكرهه بعض العلماء؛

لأن النبي ﷺ أمر بمخالفة اليهود، ورخص فيه بعض العلماء.

ومن الأطعمة التي تلمس فيها البركة

١- زيت الزيتون: فإن النبي ﷺ قال: «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة». رواه الترمذى وابن ماجه، وصححه الألبانى.

٢- اللبن: لحديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين» أخرجه أحمد وابن ماجه.

٣- الحبة السوداء: كما قال النبي ﷺ: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام». رواه ابن ماجه.

٤- ماء زمزم: كما قال

من سكن مكة أو المدينة طالبًا فيها من البركة التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم فقد وفق إلى خير كثير !!

رسول الله ﷺ: «إنها مباركة،

إنها طعام طعم..». رواه مسلم.

٥- العجوة: قال رسول الله ﷺ: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سوء ولا سحر». رواه البخاري. قال القرطبي: ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السحر والسم، والمطلق منها محمول على المقيد.

٦- العسل: قال تعالى: «يُخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفُ الْوَانَةِ فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ» [النحل: ٦٩]. وقال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمري عن الكي». رواه البخاري

(٣٢/٤). صور من التبرك الباطل حذر منها

الشريعة

١- التبرك بالامكانة المباركة على غير ما ورد في الشرع، كتبديل أبواب المساجد، والتمسح بأعتابها، والاستنشق بتربيتها، والتمسح بجدران الكعبة، أو مقام إبراهيم، أو الحجرة النبوية، أو صخرة بيت المقدس، وغير ذلك.

٢- وكذلك لا يجوز التبرك بالحجر الأسود؛ لأن الأصل فيه أن يتبعده لله بمسحه وتبقيه اتباعاً للرسول ﷺ، وبذلك تحصل بركة التواب، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «إني أعلم أنك حجر لا ضر ولا تنفع، ولو لا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك». رواه البخاري. فتبقيه عبادة محضة، خلافاً للعادة الذين يظنون أن به بركة حسية، ولذلك إذا استلمه بعضهم مسح على جميع بدن تبركاً بذلك، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة للركن اليماني، فالسنة فيه مسحة فقط، اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ. القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين.

٣- ومن ذلك أيضاً الذهاب إلى القبور، لا لقصد الزيارة، وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل. قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط وصححه الألبانى (٢٥٤/٢).

زمان معین أو مكان معين
عبادة يقتصر فيها على
المشروع.

٧- ومن ذلك تخصيص
أزمنة معينة بنوع من التعظيم
والاحتفال والعبادات، كيوم
مولد الرسول ﷺ، وليلة
الإسراء والمعراج، وليلة
النصف من شعبان، ويوم
المهجة، ويوم بدر، وفتح مكة،
وغير ذلك، فالثبرك بالأزمنة
على هذا النحو من البدع.

-٨- ومن التبرك الباطل:
التبرك بذوات الصالحين
وأثارهم، فلم يؤثر عن أحد من
الناس أنه تبرك بوضوء أبي
بكر رضي الله عنه، أو عرقه،
أو ثيابه، أو غير ذلك، ولا عمر،
ولا عثمان، ولا علي بن أبي
طالب، رضي الله عنهم، وإنما
كان الصحابة رضي الله عنهم
يتبركون بوضوء النبي ﷺ
وجسمه وعرقه وريقه وشعره
وملابسه، وهذا خاص بالنبي ﷺ، لا يجوز أن يُقاس عليه
أحد من الصالحين، ولو كان
الخلفاء الراشدين أو العشرة
المبشرين، فضلاً عن غيرهم؛
لأن التبرك عبادة مبناتها على
التوقيف والاتباع. [انظر
«الاعتصام» للشاطبي (ص: ٨)،
و«اقتضاء الصراط المستقيم»
(ص: ٣٣٩)، و«رسالة التبرك
المشروع» للعلياني (ص: ٨١)].
وللحديث بقية إن شاء الله

والله من وراء القصد.

علم أنه من البدع المحدثة.
وقد رد الشیخ ابن باز في
«فتاویه» (٣/٣٣٤) على من
طلب بإحياء الآثار النبوية
کطريق الهجرة، ومکان خیمة
أم معبد، ونحو ذلك، فبین أن
ذلك یجر إلى تعظیمها
والدعاء عندها والصلوة،
ونحو ذلك. وهذا من الوسائل
المفضية إلى الشرك.

٥- وكذا الأمكنة التي
صلى فيها الرسول ﷺ اتفاقاً؛
كأن يكون في سفر ونحو ذلك،
ولم يقصد تخصيصها
بالصلاه، فإنه لا يشرع تتبعها
والقرب إلى الله بالصلاه
فيها؛ لأنها لم تكن مقصودة
لذاتها، ولو جاز ذلك لكان من
باب أولى الأماكن التي
ارتبطت بحوادث نبوية
معينة، كغار حراء، وغار ثور،
وموقعة بدر، ومكان شجرة
بيعة الرضوان، وغير ذلك.
روى ابن سعيد في
«الطبقات» (١٠٠/٢) عن نافع
قال: كان الناس يأتون الشجرة
التي يقال لها شجرة
الرضوان، فيصلون عندها،
فبلغ ذلك عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فأوعدهم فيها
وأمر بقطعها.

٦- وكذا الأزمنة المباركة،
كشهر رمضان، وليلة القدر،
واليوم الجمعة، وغير ذلك، إنما
تلتمس بركتها بالقيام
المشروع فيها من العبادات،
ولو التمست بركة تلك الأزمنة
بأعمال غير مشروعة لأنكر
عليه، لأن التماس البركة في

المستقيم» (ص ٣٣٤): فاما إذا
قصد الرجل الصلاة عند
بعض قبور الأنبياء، أو بعض
الصالحين تبركاً بالصلاحة في
تلك البقعة، فهذا عين المحادة
لله ورسوله والمخالفة لدينه
وابتداع دين لم يأن به الله،
وكذلك الذهاب إلى الأضرحة
الموجودة في المساجد
والمنتشرة في أكثر بلاد
المسلمين للأسف الشديد
للاعتقاد عندها والطواف
حولها والسجود على اعتابها
طلبًا للبركة حتى أصبح في
كل قرية - إلا من رحم الله -
وثن مخصوص لذلك تذبح له
القرابين وترتجى عنده
ال حاجات وتلتسم منه
البركات. فإننا لله وإننا إليه
راجعون.

٤- قال شيخ الإسلام: مثل من يذهب إلى حراء ليصلّي فيه ويُدعى، أو يسافر إلى غار ثور ليصلّي فيه ويُدعى، أو يذهب إلى الطور الذي كلام الله عليه موسى عليه السلام ليصلّي فيه ويُدعى، أو يسافر إلى غير هذه الأمكانة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء، ولا شرع للامة زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة، ومعلوم أنه لو كان هذا مستحبًا يثيب الله عليه، لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك، وأسرعهم إليه، ولكن أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه من بعدهم، فلما لم يكونوا بالتفتون إلى شيء من ذلك،

ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد، لا على قبر نبى، ولا قبر صحابى، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضفت خلافة بنى العباس وتفرقت الأمة، وكثُر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقىدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية في أرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر. [مجموع الفتاوى ٤٦٦/٢٧]

فاسلف رضوان الله تعالى عليهم كانوا يأنفون من تشييد قبور الأموات وتنظيم الرفات لتحقّقهم النهي الصريح عن ذلك، من صاحب الشريعة الفراء الحنيفية السمحنة التي جاءت لاستصال شافة الوثنية ومحو آثار التعظيم للرفات أو العكوف على قبور الأموات، ويررون أن أشرف الذكر في أشرف الأعمال، لهذا اختفت عن أى بعد جيلهم ذلك قبور كبار الصحابة وجل المجاهدين إلا ما نذر، ولو كان في صدر الإسلام أثر لتعظيم القبور والحفاظ على أماكن الأموات بتشييد القباب والمساجد عليها لما غابت عن قبور أولئك الصحابة الكرام، كما لم تغيب قبور الرجالين، التي ابتدعوا بعد العصور الأولى مبتدعة المسلمين وخالفوا فعل الصحابة والتبعين، حتى باتت أكثر هذه القباب تمثل هيكل الأقدمين، وتعيد سيرة الوثنية باقيم أنواعها وأبعد منها عنها عن الحق وأقربها إلى الشرك، ولو اعتبر المسلمون بعد باختفاء قبور الصحابة الذين أخذوا عنهم هذا الدين، وبهم نصر الله الإسلام لما اجترأوا على إقامة القباب على القبور وتعظيم الأموات تعظيماً ياباه

حيطة السلف الصالح لجناب التوحيد

بقلم: معاوية محمد هيكل

في سلسلة حديثنا عن تصحيح العتقد فتناول بأذن الله تعالى في هذا المقال صوراً من حيطة السلف الصالح لجناب التوحيد، ويحسن بتناقل الشروح في المقصود أن نعرف القارئ الحبيب بالسلف الصالح ومنهجهم.

فالمراد بالسلف الصالح هم الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدي النبي ﷺ، الحافظون لسنّته، اختارهم الله لصحابته وانتخابهم لإقامة دينه ورضيهم أئمّة الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وأفروغوا جهدهم في نصّ الأمة ونفعها، وبنلوا في مرضاة الله أنفسهم، وقد أثني الله عليهم في كتابه فقال: «كُنْتُ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ...»، فيجب اتباعهم فيما نقلوه، واقتفاء آثارهم فيما عملوا، والاستغفار لهم.

والمراد بمنهج السلف هو ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتبعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأئمّة الدين من شهدوا بالإمامية، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلقاً عن سلف كالائمة الأربع، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنّ، دون من رُمي ببدعه، أو اشتهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والجبرية، والمعزلة. فالسلفيون نسبة إلى السلف الصالح رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان، دون من مالت بهم الأهواء بعد الصحابة رضي الله عنهم من الخلف الذين فارقوا منهج السلف.

لذلك فإن كل من خالف الكتاب والسنة فليس سلفي، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتبعين وتابعى التابعين. فالسلفية منهج وطريقة حياة في الاعتقاد والسلوك والفهم، وليس حقبة تاريخية. والآن مع مواقف السلف الصالح في الحيطة لجناب التوحيد والذود عن حياضه.

موقف السلف الصالح من تقديس القبور والأضرحة !!

لم يكن في العصور المفضلة على عهد الصحابة والتبعين وتابعيهم مشاهد على القبور والأضرحة ولا شيء من ذلك في بلاد الإسلام، لا في الحجاز،

أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق، فلو وضعوا معاً لم يجز. ولا يجوز ولا تصلح الصلاة في هذا المسجد لنبي النبي ﷺ عن ذلك ولعنه من اتخذ مسجداً، أو أودع عليه سراجاً، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه، وغربته بين الناس كما ترى. [زاد المعاد (٢٢٣)].

ثانياً: أمرهم بتسوية القبور.

- ١- عن أبي الهجاج الأنصاري قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع نثراً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته. [رواه مسلم].
- ٢- عن ثامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بـ«رووس» فتوفي صاحب لنا، فامر فضالة بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها. [رواه مسلم].
- ٣- عن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة قال: رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور، فقيل له: هذا قبر أم عمر وبنت عثمان، فامر به فسوى. [رواه ابن أبي شيبة وأبو زرعة وصححه الألباني في تحذير الساجد].
- ٤- قال أبو العالية: لما فتحنا تسر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فاتأ أول رجل من العرب قراء مثل ما أقرأ القرآن. فقال خالد بن دينار لأبي العالية: فيما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة قبور متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها، لنعمييه على الناس لا ينشونه، فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت النساء إذا حبسن عنهم أبزروا السرير فيمطرون. [إغاثة اللهفان (٣١٨/١)].

ثالثاً: نهيهم عن كثرة التردد إلى القبور والتمسح بها.

٥- عن علي بن حسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعوه، فدعاه رسول الله ﷺ: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تتردّدوا قبرى عيدها، ولا بيوتك قبوراً، وصلوا على، فإن صلاتكم وتسلیمکم تبلغنى حيثما كنتم». ويقويه ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن خزيمة في حديث على بن حجر وابن عساكر من طريقين عن سهيل بن أبي سهيل: أنه رأى قبر النبي ﷺ فاللزمته ومسحه، قال: فحصبني حسن بن حسن بن علي بن أبي

العقل والشرع وخالفوا في هذا كله الصحابة والتبعين الذين أدوا إليناأمانة نبائهم فأضاعناها، وأسرار شريعته فعيثنا بها. [مشاهير الإسلام (٥٢٤)].

أولاً: تحذيرهم من اتخاذ القبور مساجد والبناء عليها.

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخاذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: فلولا ذاك أبزر قبره، غير أنه خسي أن يتخذ مسجداً. قال ابن حجر في معنى قول عائشة: (فلولا ذاك أبزر قبره أي: كشف قبر النبي ﷺ ولم يتتخذ عليه الحائل، والمورد الدفن خارج بيته. [آخرجه البخاري في الجنائز، رقم (١٣٩٠)، ومسلم في المساجد رقم (٥٢٩)].

قال الألباني رحمة الله: (إذ المعنى فلولا ذلك اللعن الذي استحقه اليهود والنصارى بسبب اتخاذهم القبور مساجد المستلزم البناء عليها لجعل قبره ﷺ في أرض بارزة مكشوفة، ولكن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك خشية أن يبني عليه مسجد من بعض من يأتي بعدهم فتشملهم اللعنة).

٧- ويؤيد هذا ما روى ابن سعد (٤١/٢) بسند صحيح عن الحسن البصري قال: ائتمروا أن يدفنوه ﷺ في المسجد، فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ كان واضغاً رأسه في حجري؛ إذ قال: «قاتل الله أقواماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». واجتمع رأيهم أن يدفنوه حيث قُبض في بيت عائشة.

٨- عن أبي بردة قال: أوصى أبو موسى حين حضره الموت، فقال: إذا انطلقت بجنازتي فاسرعوا المشي ولا يتبعني مجرم، ولا تجعلوا في لحدى شيئاً يحول بيني وبين التراب، ولا تجعلوا على قبري بناء، وأشارهكم أنني بريء من كل حالة، أو ساقفة، أو خارقة. قالوا: أَوْ سمعت فيه شيئاً؟ قال: نعم، من رسول الله ﷺ. [آخرجه أحمد (٣٩٧/٤)، وقولي إسناده الألباني].

٩- عن أنس: كان يكره أن يُبنى مسجد بين القبور. [رواه ابن أبي شيبة (تحذير الساجد)].

١٠- عن إبراهيم بن زييد النخعي أنه كان يكره أن يجعل على القبور مساجد. [رواه ابن أبي شيبة، وصححه الألباني].

وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بني على قبر، كما ينبعش الميت إذا دُفِن في المسجد، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبيل، بل

فرض ولا نفل، فإنه منهى عنه». [كذا في الفتاوى له (١) / ١٩٢/٢، ١٠٧].

سادساً: نهيم عن التبرك بآثار الأنبياء.

قال المغرور ابن سويد: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر: «الَّمَّا تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْنَابِ الْفَيْلِ»، و«لَيَلَافَ قُرْيَشَ»، فلما قضى حجه ورجع الناس يبترون، قال: ما هذا؟ فقال: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: هكذا هك أهل الكتاب، اتخاذوا آثار أنبيائهم بيعاً من عرضت له منكم فيها الصلاة فليصل، ومن لم يعرض له منكم فيها الصلاة فلا يصل. [رواه ابن أبي شيبة، وصححه الألباني (في تحذير الساجد)].

سابعاً: نهيم عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة.

١- عن قزعة قال: سالت ابن عمر: أتى الطور؟ فقال: دع الطور ولا تاتها، وقال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. [رواه ابن أبي شيبة والازرقى في أخبار مكة، وصححه الألبانى].

٢- عن أبي بصرة الغفارى: أنه لقي أبا هريرة وهو جاء، فقال: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الطور ووصلت فيه. قال: أما إني لو أدركتك لم تذهب، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تُشَدُ الرحال إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدٍ: الْمَسَاجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسَجِدُهَا هَذَا، وَالْمَسَاجِدُ الْأَقْصِى»». [آخرجه الطيبالىي، وأحمد، وصححه الألبانى فى الجنائز (٢٢٦)]. قال شيخ الإسلام: فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والاعتكاف من الأعمال الصالحة، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم.

ثامناً: نهيم عن رفع القبور فوق الحد.

٥- عن عمرو بن شرحبيل قال: لا ترفعوا جدي - يعني القبر- فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك. [رواه ابن سعد، وصححه الألبانى].

قال الألبانى رحمة الله: وهذه الآثار وإن اختلفت دلالاتها، فهي متفقة على النهى في الجملة عن كل ما ينبع عن تعظيم القبور تعظيمًا يخشى منه الوقوع في الفتنة والضلال، مثل بناء المساجد والقباب على القبور، وضرب الخيام عليها، ورفعها أكثر من الحد المشروع، والسفر والاختلاف إليها، والتمسح بها، ومثل التبرك بآثار الأنبياء، ونحو ذلك، فهذه الأمور كلها غير مشروعة عند السلف الذين سمعناهم من الصحابة وغيرهم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

طالب، فقال: قال رسول الله ﷺ «لَا تتخذوا بيتى عيدها، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا على حيئماً كنتم فإن صلاتكم تبلغني». [انظر تحذير الساجد].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ووجه الدليل أن قبر النبي ﷺ هو أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدها، فقبر غيره أولى بالنهاي كائناً من كان.

رابعاً: نهيم عن نصب الخيام على القبور.

١- ورأى ابن عمر فسطاطاً على قبر عبد الرحمن فقال: اذزعه يا غلام، فإنما يظله عمله. [رواه البخاري (تعليق)].

٢- عن أبي هريرة: أنه أوصى أن لا يضرروا على قبره فسطاطاً. [رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن سعد وصححه الألبانى].

٣- عن سعيد بن المسيب: أنه قال في مرضه الذي مات فيه: إذا ماتت، فلا تضرروا على قبرى فسطاطاً. [رواه ابن سعد (١٤٢/٥)].

خامساً: نهيم عن الصلاة بين القبور أو إليها أو عليها.

١- عن عمرو بن دينار - وسئل عن الصلاة وسط القبور- قال: ذكر لي أن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلعنهم الله تعالى». [رواه عبد الرزاق، قال الألبانى: وهو مرسل صحيح الإسناد (تحذير الساجد)].

٢- عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بين القبور. [رواه البزار، وصححه الألبانى في أحكام الجنائز].

٣- عن أبي سعيد الخدري: أن الرسول ﷺ نهى أن يبني على القبور، أو يقعد عليها، أو يصلى إليها. [رواه أبو يعلى في مسنده، وصححه الألبانى في تحذير الساجد].

وقد سئل شيخ الإسلام رحمة الله بما نصه: هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتي الجمعة والجمعة أم لا؟ فأجاب: الحمد لله، اتفق الأئمة أنه لا يبني مسجد على قبر؛ لأن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا كَانُوكُمْ كَانُوا يَتَخَذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدًا، إِلَّا فَلَا تَتَخَذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا، فَإِنَّمَا أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»، وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن، غير؛ إما بتسوية القبر، وإما ببسشه، إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني بعد القبر، فإما أن يزال المسجد وإنما تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه

حطة

السلف

الصالح

لجناب

التوحيد

الحلقة الثانية

بقلم:
معاوية محمد هيكل

لقتلنكم بأخبث قتلة، فابوا إلـا ذلك، فقال: يا قنبر، أئنتـي بفعلة معهم مرورهم - عـمال معهم أدوات حـفرهم - فـخذ لهم أخـدودـاً بين المسـجد والقـصر، وـقال لهم: اـحرفـوا، فـأبـعدـوا فيـ الأرض، وجـاء بالـحـطـبـ فـطـرـحـهـ فيـ النـارـ فـيـ الـأـخـدـوـ، وـقـالـ: إـنـيـ طـارـحـكـمـ فـيـهاـ أوـ تـرـجـعـونـ؟ فـأـبـواـ آنـ يـرـجـعـواـ فـقـذـبـهـ بـهـمـ حـتـىـ اـحـرـقـواـ . وـقـالـ:

ما رأيت الأمر أـمـراًـ منـكـراًـ

أـوـ قـدـتـ نـارـيـ وـدـعـوتـ قـنـبـراـ

(إسناده حسن)

وـلـاـ بـلـغـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـبـاسـ

رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـ تـحـرـيقـهـمـ، قـالـ:

لـوـ كـنـتـ آنـاـ لـمـ أـحـرـقـهـمـ؛ لـقـولـ النـبـيـ

صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ؛ لـاـ تـعـذـبـواـ

بـعـدـ اللـهـ»ـ، وـلـقـاتـهـمـ لـقـولـ النـبـيـ

صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ؛ مـنـ بـدـلـ

بـيـهـ فـاقـتـلوـهـ». فـلـمـ بـلـغـ ذـلـكـ عـلـيـاـ،

قـالـ: صـدـقـ اـبـنـ عـبـاسـ. [رواهـ

الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ].

مـوقـفـ السـلـفـ الصـالـحـ مـنـ لـبـسـ الـحـلـقـةـ وـالـخـيـطـ

وـالـرـقـيـ الـبـدـعـيـ وـتـقـلـيقـ التـائـمـ !!

أـ - رـأـيـ عـبـدـ اللهـ بـنـ مـسـعـودـ

فـيـ يـدـ زـوـجـتـهـ خـيـطاـ فـقطـهـ، وـقـالـ:

لـقـدـ أـصـبـحـ آلـ عـبـدـ اللـهـ فـيـ غـنـىـ عـنـ

الـشـرـكـ.

بـ - وـرـوـيـ وـكـيـعـ عـنـ حـذـيفـةـ، أـنـهـ دـخـلـ عـلـىـ مـرـيـضـ يـعـودـهـ،

فـلـمـ سـعـدـهـ، فـإـذـاـ فـيـهـ خـيـطـ

فـقـالـ: مـاـ هـذـاـ؟ قـالـ: شـيـءـ رـقـيـ لـيـ

فـيـهـ فـقطـهـ، وـقـالـ: لـوـ مـتـ وـهـوـ

عـلـيـكـ مـاـ صـلـيـتـ عـلـيـكـ.

وـالـرـقـيـ: جـمـعـ رـقـيـةـ، وـهـيـ

الـعـوـذـةـ الـتـيـ يـرـقـىـ بـهـ صـاحـبـ

الـأـقـةـ كـالـحـمـىـ وـالـصـرـعـ وـغـيرـ ذـلـكـ

مـنـ الـأـفـاتـ، وـيـسـمـونـهـ الـعـزـائمـ.

وـالـتـائـمـ: وـهـيـ جـمـعـ تـمـيمـةـ،

وـهـيـ مـاـ يـعـلـقـ بـأـعـنـاقـ الصـبـيـانـ

لـدـفـعـ الـعـيـنـ، وـقـدـ يـعـلـقـ عـلـىـ الـكـبارـ

بـيـنـاـ فـيـ المـقـالـ السـابـقـ صـورـاـ

مـنـ حـيـطـةـ السـلـفـ الصـالـحـ لـجـنـابـ

الـتـوـحـيدـ، وـقـيـ هـذـاـ المـقـالـ تـكـملـ

بـدـأـنـاـ، فـنـقـولـ بـحـولـ اللـهـ وـقـوـتهـ:

مـوقـفـ السـلـفـ الصـالـحـ مـنـ الغـلـوـ

الـأـحـيـاءـ وـتـقـديـسـهـمـ

لـمـ يـتـوقـفـ أـمـرـ سـلـفـناـ الصـالـحـ

عـنـ تـحـذـيرـ الـأـمـةـ مـنـ الغـلـوـ فـيـ

الـأـمـوـاتـ وـتـقـديـسـ الرـفـاتـ، بـلـ اـشـتـدـ

تـكـيرـهـمـ عـلـىـ كـلـ مـحاـوـلـاتـ الغـلـوـ

فـيـ الـأـحـيـاءـ وـتـقـديـسـهـمـ

وـلـقـدـ كـانـ الشـيـعـةـ أـوـلـاـ فـنـتـ

بـابـ الغـلـوـ فـيـ الـأـشـخـاصـ، وـذـلـكـ

بـغـلـوـهـمـ فـيـ عـلـىـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ

وـذـرـيـتـهـ، حـتـىـ ذـهـبـواـ فـيـ ذـلـكـ

مـذـاهـبـ شـتـىـ، فـمـنـهـمـ مـنـ اـدـعـىـ أـنـ

عـلـىـ وـذـرـيـتـهـ مـعـصـومـونـ، وـمـنـهـمـ

مـنـ اـدـعـىـ أـنـ عـلـىـاـ كـانـ نـبـيـاـ، وـمـنـهـمـ

مـنـ غـالـيـ فـيـهـ، حـتـىـ اـدـعـىـ أـنـ إـلـهـ

وـأـنـ رـوـحـ إـلـهـ حـلـتـ فـيـهـ وـفـيـ

الـأـقـمـةـ مـنـ ذـرـيـتـهـ. وـهـذـاـ مـنـ أـفـطـعـ

وـاـشـنـعـ صـورـ الغـلـوـ.

مـوقـفـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ مـنـ الـغـلـةـ الـذـينـ

أـهـمـوـهـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ !!

فـهـذـاـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ

الـلـهـ عـنـهـ يـنـكـلـ بـالـغـلـةـ الـذـينـ أـهـمـوـهـ

مـنـ دـوـنـ اللـهـ.

قـالـ الحـافـظـ اـبـنـ حـرـمـ

طـرـيقـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ شـرـيكـ الـعـامـريـ

عـنـ أـبـيـهـ: قـيلـ لـعـلـيـ: إـنـ هـنـاـ قـوـمـاـ

عـلـىـ بـابـ الـسـجـدـ يـزـعـمـونـ أـنـكـ

رـبـهـمـ، فـدـعـاهـمـ عـلـىـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ،

فـقـالـ لـهـمـ: وـيـلـكـ إـنـاـ مـثـلـكـ

أـكـلـ الـطـعـامـ كـمـ تـاـكـلـونـ وـاـشـرـبـ

كـمـ تـشـرـبـونـ، إـنـ أـطـعـتـ اللـهـ

أـثـابـنـيـ، إـنـ عـصـيـتـهـ خـشـيـتـ أـنـ

يـعـذـبـنـيـ، فـاتـقـوـ اللـهـ وـارـجـعـوـاـ

فـأـبـواـ. فـلـمـ كـانـ الـغـدـوـ عـلـيـهـ

فـيـاءـ قـنـبـرـ، فـقـالـ: قـدـ وـالـلـهـ رـجـعـوـاـ

يـقـلـوـنـ ذـلـكـ الـكـلـامـ، فـسـالـ

فـاـدـخـلـهـمـ فـقـالـوـاـ كـذـلـكـ، فـلـمـ كـانـ

الـيـوـمـ ثـالـثـ قـالـ: لـئـنـ قـلـتـ ذـلـكـ

أنقذها من الرق لأنه أنقذه من رق الشيطان والهوى.
اهـ. من «القول المفيد».

وكذلك لو كانت من القرآن فالصحيح عدم
الجواز والمنع.

هـ - عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون
التمائم كلها من القرآن وغير القرآن، وهو قول ابن
مسعود وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة
بن عامر وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين
منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها
كثير من أصحابه وجزن بها المتأخرون واحتج بما
رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله
ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك.
[سبق تخرجه].

وهذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة:

- 1- عموم النهي ولا مخصص للعموم.
- 2- سد الذريعة فإنها تفضي إلى تعليق ما ليس
مباحاً.

3- أنه إذا علق شيئاً من القرآن فلا بد أن
يمتهنه المعلم بحمله معه في حال قضاء الحاجة
والاستنجاء، ونحو ذلك. *«فتح الميدب»*.
قال ابن عثيمين رحمة الله، وفي هذا الوقت
أصبح تعليق القرآن مجرد التبرك والزيينة كالقلائد
الذهبية أو الحلي التي تكتب عليها لفظ الجلاله أو
آية الكرسي أو القرآن كاملاً، فهذا كله من البدع،
فالقرآن ما نزل ليستشفي به على هذا الوجه، إنما
يستشفى به على ما جاء به الشرع.
غير خلف لغير سلف

قال الله تعالى: «وَالسَّائِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رُضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَلُهُمْ جَنَاحَاتٍ تُجْرِي تَحْتَهَا
الْأَنْهَارَ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدَى ذَلِكَ الْفُورُونَ الْعَظِيمُونَ» [التوبه
]. [١٠٠]

وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا
السبيل ومضوا على نفس الطريق في الحيطنة
لجناب التوحيد، فراحوا يدافعون عنه وينافحون،
ومن الشرك وخطره يذرون.

ومن الأمثلة على ذلك:

1- قال ابن كثير في حوادث سنة ٢٣٦ هـ: فيها
أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب،
وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس: من
وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبنا به إلى المطبق
(السجن). *«البداية والنهاية»*.

من الرجال والنساء.

شروط الرقية الشرعية

قال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز
الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

- 1- أن تكون بكلام الله أو باسمه وصفاته.
- 2- وإن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.
- 3- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل
بتقدير الله تعالى.

عن عوف بن مالك قال: كنا نرقى في الجاهلية،
فقلت: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال:
«اعرضوا علي رقام، لا باس بالرقى ما لم يكن فيه
شرك». [رواه مسلم (١٨٧/١٤)].

جـ - ويقول عيسى بن عبد الرحمن بن أبي
ليلي: دخلت على عبد الله بن عكيم أبي عبد
الجهني أعوده وبه حمرة، فقلت: الا تتعلق شيئاً؟
فقال: الموت أقرب من ذلك، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: «من تعلق شيئاً وكل إليه». [رواه
الترمذى وصححه الألبانى].

قوله: من تعلق أي: علقتها متعلقاً بها قبله في
طلب خير أو دفع شر. و«التميمية» قال المنذري: خرزة
كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات، وهذا
جهل وضلالة؛ إذ لا مانع ولا دافع إلا الله. وعن ابن
مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله
ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك. [رواه أبو
داود وأحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه الألبانى
في «السلسلة» (٣٣١)].

قال الألبانى رحمة الله: ولا تزال هذه الضلالـةـ
أي التمامـةـ فاشية بين البدو والفلاحـينـ وبـعـضـ
المـدنـيينـ، ومـثـلـهاـ الخـرـزـاتـ الـتـيـ يـضـعـهـاـ بـعـضـ
الـسـائـقـينـ أـمـاـمـهـمـ فـيـ السـيـارـةـ أـوـ فـيـ مـؤـخـرـتهاـ،
وـغـيرـهـمـ يـعـلـقـونـ نـعـلـ فـرـسـ فـيـ وـاجـهـةـ الدـارـ وـالـدـكـانـ،
كـلـ ذـلـكـ لـدـفـعـ العـيـنـ كـمـاـ زـعـمـواـ، وـغـيرـ ذـلـكـ مـاـ عـمـ وـطـمـ
بـسـبـبـ الجـهـلـ بـالـتـوـحـيدـ وـمـاـ يـنـافـيـهـ مـنـ الـخـرافـاتـ
وـالـوـثـنـيـاتـ. اـهـ.

لذلك فإن السلف كان يحرصون كل الحرص على
قطع التمام والتخلص منها بل ويحثون الناس على
ذلك، بذلك الآتي:

دـ - عن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من
إنسان كان كعدل رقبة. [رواه وكيع].
 وإنما كان قطع التميمة كعقم رقبة لأنه إنقاد
للنفس من رق الشرك فهو كمن اعتقها بل لبلغ، فهو
من باب القياس، فمن أنقذ نفساً من الشرك فهو كمن

قام بها الأمير سعود بن عبد العزيز رحمة الله ما يلي:

ففي حوادث سنة ١٢١٦هـ حين توجه سعود بالجيوش إلى كربلاء، فهدم القبة الموضعية على قبر الحسين.

ويقول أيضاً: وفي حوادث سنة ١٢١٧هـ حين دخل سعود مكة وطاف وسعى فرق جيشه بهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء في أسفلها ووسطها، وببيوتها.

فأقام فيها أكثر من عشرين يوماً ولبث المسلمين في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون، يباكون إلى هدمها كل يوم، وللواحد الأحد يتقررون، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدوها وجعلوها تراباً.

٥- وفي سنة ١٣٤٣هـ قام أتباع الدعوة السلفية بهدم القباب وأبنية القبور بمكة، مثل القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها. وقام الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي -في جنوب الجزيرة العربية- بهدم قبة في الساحل بمشاركة بعض زملائه، وبقايا قبة على قبر الشريف حمود المكرمي في سامطة. [دموعة على التوحيد (١٥٤)، (١٥٥)].

وبعد، فهذا هو منهج سلفنا الصالحة في الحيطة لجناب العقيدة الصحيحة والذود عنها من كل ما يكرر صفوها، ولا سبيل لنجاها الأمة من كبوتها واستعادة عنتها وكرامتها وريادتها إلا بالتمسك به والدعوة إليه والأخذ بأسباب النصر والتكمين من الإيمان والعمل الصالح ومتابعة سيد المرسلين. قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلُفُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ بِيَدِهِمُ الَّذِي أَرْتَصَنَ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلُهُمْ مِنْ بَعْدِ حَرْقَهُمْ أَمْنًا يَعْنِدُونَنِي لَا يَشْرُكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بِعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكُ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [النور: ٥٥].

فهل يبذل العلماء العاملون والداعية المخلصون جهدهم لإعلاء كلمة التوحيد والأخذ بأيدي الحيارى والتألهين والغارقين في ظلام الشرك والوثنية إلى نور التوحيد والهدایة الربانية، هذا ما نأمله ونرجوه، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢- قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ): ولقد أتعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبياني أن أحد الصالحين ببلاد إفريقيا في المائة الرابعة، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كانت العامة قد افتقنوا بها، يأتونها من الآفاق، من تعذر عليها نكاح أو ولد قال: امضوا بي إلى العافية، فتعرف بها الفتنة، قال أبو عبد الله: فإنما في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجده قد هدمها، وأنذ الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً. قال: فما رفع لها رأس إلى الآن.

٣- الإمام محمد بن عبد الوهاب يتقرب إلى العلي الوهاب بهدم القبور والقباب.

ذكر ابن غنام في تاريخه ما فعله الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمة الله مع عثمان بن معمر من هدم القباب وأبنية القبور، فقال: فخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعتهم إلى الأماكن التي فيها الأشجار يعذلها عامة الناس والقباب وأبنية القبور، فقطعوا الأشجار وهدموا المشاهد والقبور، وعدلوها على السنة، وكان الشيخ هو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب بيده، وكذلك قطع شجرة الذيب مع بعض أصحابه.

ومما يجدر التنبيه عليه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد سلك هذا المسلك الاحتسابي العملي لما كان عنده من شوكة وقوه، ولكنه كان في أول أمره قد سلك مسلك الدعوة برفق ولدين، كما قال تلميذه وحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب رحمة الله: «كما جرى لشيخنا محمد ابن عبد الوهاب رحمة الله في ابتداء دعوته، فإذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: الله خير من زيد تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظرًا إلى المصلحة وعدم النفرة».

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ما فعلوه أثناء دخولهم مكة (شرفها الله) سنة ١٢١٨هـ فكان مما قاله: «بعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه، ورجاء النفع، ودفع الضر بسببه مع جميع البناء على القبور وغيرها، حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يعبد، فالحمد لله على ذلك».

٤- جيوش التوحيد بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز تهدم صروح الشرك ومعاقل الوثنية. يقول المؤرخ ابن بشر عن بعض الأعمال التي

موقف السلف من السحر والعرافه والكهانة

بقلم: معاوية محمد هيكل

مطبوب (أي مسحور). فقال: من طببه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر. قال: واين هو؟ قال: في بصر زروان. فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه. فجاء فقال: يا عائشة، كان ماعها نفاعه الحناء، وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين». قلت: يا رسول الله، أفلأ استخرجته؟ قال: «قد عاقاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا». فامر بها دقنت.

ويقال المشاطة ما يخرج من الشحر إذا مشطه والمشاطة من مشاطة الكتان.

جف الطبع: وهو الغشاء الذي يكون على الطبع.

حقيقة السحر

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: قال المازري: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وإن له حقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً من إنكر ذلك ونفي حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقيقة لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضًا مصدر باطلاته وأنه أشياء دفت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالاته كونه من الحقائق محال، ولا يستتر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرب العادة عند النطق بكلام مافق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأشياء منها قاتلة كالسموم، ومنها مسكنة كالآدوية الحادة، ومنها مضرة كالآدوية المضادة للمرض. لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتاله أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرق.

قال القرطبي رحمه الله وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعترضة وأبى إسحاق الإسفاقي، حيث قال: إنه تمويه وتخيل.

دفع الشبهات التي أثيرت حول الحديث

أولاً: قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى

السحر في اللغة: ما خفي ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحرًا»، ومنه سمي السحر لأخر الليل؛ لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكل شيء خفي سببه يسمى سحراً. وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وتتأثر السحر بذن الله الكوني القدري، قال تعالى: «فَقَنِعُلَمُونَ مِنْهُمَا مَا تُفَرِّقُونَ بِهِ تَقْنُنَ الْمُزَعِّجِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِخَارِقِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِذَنِ اللَّهِ» [البقرة: ۱۰۳]. قال تعالى: «وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» [العلق: ۴] يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفعن في عقدهن ولو لا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذه منه. «الكافي».

والسحر عمل شيطاني، وكثير منه لا يتوصيل إليه إلا بالشرك والأرواح الخبيثة بما تحب والتوصيل إلى استخدامها بالإشراك بها، ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هي؟ قال: «الإشراك بالله والسحر...» الحديث.

فهو داخل في الشرك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم والتقرب إليهم بما يحبونه ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين، قال تعالى: «وَلَكُنُ الشَّيَاطِينَ كَفُرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّخْرِ...» الآية [البقرة: ۱۰۲].

الناحية الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلالة. قال تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقِ...»، أي نصيب وإذا كان كذلك فلا شك أنه كفر ينافي العقيدة. [كتاب التوحيد].

وفي الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخْبِلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتُ يَوْمٍ أَوْ ذَاتُ لَيْلَةٍ - وَهُوَ عَنِّي - لَكَنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةَ، أَشَعَّرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانَنِي فَيَمَا أَسْتَفِتَنِي فِيهِ: أَتَانِي رَجُلٌ فَقَعَدَ أَدْهَمَهَا عَنْ رَأْسِي وَالْأَخْرَى عَنْ رَجْلِي، فَقَالَ أَحْدَهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ:

وله الحكمة البالغة، والنعممة السابقة لا إله غيره، ولا رب سواه.

فالسحر الذي أصابه **ﷺ** كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك، ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمى عليه **ﷺ** في مرضه ووقع حين انكفت قدمه وجحش شفهه، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعه في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به: من القتل، والضرب، والشتيم، والحبس، فليس ببدع أن يتلّى النبي **ﷺ** من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما اتّلي بالذئب رماد فশجه، وابتّل بالذئب الذي على ظهره سلي الجزور وهو ساجد، وغير ذلك، فلا نقص عليهم، ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله». «التفسيير القيم»، إلى غير ذلك.

حكم السحر

قال تعالى: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّمْرَرَ» [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: «وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِينَ أُتَى» [طه: ٦٩]. وقد سماه الله عز وجل - كفرًا في قوله في قصة هاروت وماروت، حيث قال تعالى على لسانهما: «إِنَّمَا تَحْنُنُ فِتْنَةً فَلَا تَكُفُرُ» [البقرة: ١٠٢].

قال ابن عباس: وذلك أنهما علموا الخير والشر والكفر والإيمان، فعرف أن السحر من الكفر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله **ﷺ** قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمة الله: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي **ﷺ** من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا.

حكم الساحر

واختلف العلماء أيكرر الساحر أم لا؛ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكرر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهما الله، وقال الشافعي: إذا تعلم السحر قلنا له: صفتنا سحرك، فإن وصف ما يجب الكفر مثل ما اعتنقه أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يجب الكفر فإن اعتقاد إياه كفر.

لذلك فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكرر؛ لأنّه لا يرتّي ذلك إلا بالشرك غالباً؛ لقوله تعالى:

بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتصم على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب ووصف بعضهم فيه مصنقاً مفردًا حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه من قال: غلط واشتبه عليه الأمر ولم يكن من هذا شيء.

قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يسحر. فإنه يكون تصديقاً لقول الكفار: «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجَلًا مُسْخُورًا» [الإسراء: ٤٧]، قالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى: «إِنِّي لَأَظْلَمُكَ يَا مُوسَى مُسْخُورًا» [الإسراء: ١٠١]، وكما قال قوم صالح له: «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْتَحْرِينَ» [الشعراء: ١٥٣]، وكما قال قوم شعيب له: «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْخُرِينَ» [الشعراء: ١٨٥].

وقالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسخروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين.

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، فما للتكلمين وما لهذا الشأن؟ لقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيف هذا الحديث ولم يتكلّم فيه أحد من أهل العلم بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأيامه من المتكلمين.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله: قد انكر بعض الناس أن يكون النبي **ﷺ** ساحر، بحجّة أن هذا القول يستلزم تصديق الفطالين الذين قالوا: «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجَلًا مُسْخُورًا» [الإسراء: ٤٧]، ولكن هذا لا شك - أنه لا يستلزم موافقة هؤلاء الظالمين بما وصفوا به النبي **ﷺ**؛ لأن أولئك يدعون أن الرسول **ﷺ** مسحورٌ فيما يتكلّم به من الوحي، وأن ما جاء به هذيان كهذيان المسحور، وأما السحر الذي وقع للرسول **ﷺ**، فإنه قلم يؤثر عليه في شيء من الوحي، ولا في شيء من العبادات، ولا يجوز لنا أن نكتبه الأخبار الصحيحة بمجرد فهم شيء فهو من فهمه. اهـ.

ثانياً: وأما قولكم إن سحر الأنبياء ينافي حماية الله لهم:

فإنّه سبحانه كما يحمّهم ويصونهم ويحفظهم ويتوّلهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليس توجّبوا كمال كرامته وليس على به من بعدهم من أمهem وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم، ولنقتلى صاع الكفار فيستوجبون ما أعد الله لهم من النكال والعقوبة الأجلة، فيمحقّهم بسبب بغيهم وعدوانهم، فيجعل تطهير الأرض فدّهم، فهذا من بعض حكمته تعالى في إبقاء الأنبياء ورسله بإيذاء قومهم،

«وَأَتَبْعُوا مَا نَنْهَا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سَلَّمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلَّمَانَ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ...».

ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير وغيرها فلا يكفر، ولكنه يعتبر عاصيًا معتمدًا. [القول المقيد لابن عثيمين].

حد الساحر

في صحيح البخاري عن جحالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواхر». روى أصله البخاري، وليس فيه: «اقتلو كل ساحر وساحرة» وكذلك الترمذى وهو صحيح كما في النهج السديد.

وعن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت. [رواه مالك والبيهقي عن عبد الله بن عمر بسنده صحيح، كما في النهج السديد].

وروى البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب قذب إنساناً وأبان رأسه معجناً، فجاء جندب الأزدي فقتلته.

وأما قتل الساحر: فإن كان سحره على وجه يكفر به قُتل قتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته وهو الصحيح، وإن كان سحره دون الكفر فإنه يقتل حداً يجب تنفيذه بدفعاً لشره وأذاته، والسحرة يجب قتلهم سواء قلنا بکفرهم أم لا؛ لعدم ضررهم وفطاعة أمرهم، والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية؛ لأنهم يسعون في الأرض فساداً، وفسادهم من أعظم الفساد، فقتلهم واجب على الإمام، ولا يجوز للإمام أن يخالف عن قتلهما؛ لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم في أرضهم وفي أرض غيرهم، وإذا قتلوا سلم الناس من شرهم وارتدع الناس عن تعاطي السحر.

[القول المقيد]

علاج السحر

روى الإمام أحمد بسنده جيد وأبو داود عن جابر رضي الله عنه أنه ^{عليه السلام} سُئل عن التشرة، فقال: «هي من الشيطان».

النشرة: قال الخطابي: النشرة ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن به مس الجن، وقال ابن القيم: التشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان فيقترب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يجب فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتلعوذات المشروعة والدعوات المباحة، فهذا جائز. فلا يجوز أن يعالج السحر بسحر مثله، بل يعالج بالآيات القرانية والأذكار التنبوية.

حكم الذهاب إلى السهرة والكهان والعرافين

الكافر أو العراف أو المنجم أو الرمال هو الذي

٠٠ إشهار

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالغربيه بأنه قد تم إشهار فرع أنصار السنة بشيشوة - الغربية، مركز أجا، تحت رقم ٩٦٢ بتاريخ ٢٠٠٤/٣٠، بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

التوسل بين أهل السنة ومخالفاتهم

الحلقة الأولى

بقلم: معاوية محمد هيكل

وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ ادْعُوا
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ
كُشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تُحْوِلُّا
أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِيَتَغُونَ إِلَى
رِبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْمَنَهُ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ
إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾
[الإسراء: ٥٦، ٥٧].

يتضح مما تقدم أن التوسل،
لغة وشراع.. لا يخرج عن معنى
التقارب أو ما يقول إليه من
القربى إلى الله تعالى بما يحبه
ويرضاه من الأعمال الصالحة
الظاهرة والباطنة.

لذلك فإن الوسيلة بمعنى
القربة ليس مقصوداً بها فقط
التوسل في الدعاء بل هي أشمل
وأعم من ذلك فهي تشمل كل
أنواع القربات من الواجبات
والمستحبات التي هي في ذاتها
وسائل يتقرب بها العبد إلى الله
كالصلوة والصيام والزكاة
والحج... إلى آخره.

تنبيه:

من الغريب أن بعض مدعى
العلم اعتادوا الاستدلال بالأئتين
السابقين على ما يلهم به كثير
منهم من التوسل بنواث الأنبياء
أو حقهم أو حرمتهم أو جاههم
وهو استدلال خاطئ لا يصح
حمل الآئتين عليه؛ لأنه لم يثبت
شرعاً أن هذا التوسل مرغوب
فيه، ولذلك لم يذكر هذا الاستدلال
أحد من السلف الصالح، ولا
استحبوا التوسل المذكور بل
الذى فهموه أن الله - تبارك
وتعالى - يأمرنا بالتقرب إليه بكل
قربة، والتوصل إلى رضاه بكل
سبيل.

ولكن الله - سبحانه وتعالى -
قد علمنا في نصوص أخرى
كثيرة أن علينا إذا أردنا التقارب
إليه - أن نتقدم إليه بالاعمال
الصالحة التي يحبها ويرضاهما،
وهو لم يكن ذلك الأعمال إلينا.

في هذا المقال نتناول قضية من أهم قضايا المعتقد عند
أهل السنة والجماعة وهي قضية التوسل والتي تعتبر
علمًا على منهجم تميزوا بها عن غيرهم قديماً وحديثاً.
التوسل لغة:

قال الجوهرى في صحاحه: «الوسيلة: ما يتقرب به إلى
الغير، والجمع: الوسائل والوسائل، والتوصيل والتوصيل
واحد، وسُلْ فلان إلى ربه وسيلة، وتوصل إليه بوسيلة، أي
تقرب إليه بعمل».

وفي القاموس: «الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك،
والدرجة والقربة. ووسائل إلى الله توصيلاً: عمل عملاً تقرب
به إلى الله، كتوسل، والوسائل: الواجب والراغب إلى الله
تعالى».

التوسل شرعاً:

هو التقارب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته، واتباع
أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه، قال ابن
عباس رضي الله عنهما: الوسيلة هي القرابة و قال قنادة في
تفسير القراءة: أي تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما
يرضيه، وهكذا... فإن كل ما أمر به الشرع من الواجبات
والمستحبات، فهو توسل شرعى ووسيلة شرعية وكل ما
نهى عنه الشرع من الشرك والبدع والمعاصي فهو وسيلة
محرمة.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَنَا أَنْوَاهَ اللَّهِ وَابْتَغُوا
إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لِعَلْكُمْ تَفَلَّحُونَ ﴾
[المائدة: ٣٥].

أني أتوسل إليك بصلاتي وزكاتي
وصيامي وحجي أن تفرج كربلي.

الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: «الذين يقولون ربنا إننا أمنا فاغفر لنا ذنبينا وقنا عذاب النار» [آل عمران: ١٦]، وقال تعالى: «ربنا أمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين» [آل عمران: ٥٣]، وقال تعالى: «ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فامنوا ربنا فاغفر لنا ذنبينا وکفر عنا سيئاتنا وتوفتنا مع الأبرار» [آل عمران: ١٩٣].

الأدلة من السنة الصحيحة:

١ - عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال، سمع النبي ﷺ رجلا يقول: اللهم إني أسلك باني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: قد سألك الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعى به أجاب [رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه الالباني].

٢ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم، حتى أوهام المبيت إلى غار، فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيك من هذه الصخرة، إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم». فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران كنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنای بي طلب شجر يوماً فلم أرُّ عليهم حتى ناما. فحلبت لهم غبوقهما، فوجدهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما... فلبت والقدح على يدي، انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر (زاد بعض الرواية: والصبية

وصححه الالباني في الصحيحه].

٢ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: قل «اللهم إني خللت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنت الغفور الرحيم».

[أخرجه أحمد والبخاري ومسلم].

في الحديث التوسل باسمين جليلين عظيمين مناسبين للمطلوب، وهما الغفور والرحيم.

٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء»، فال قال الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعود بك من شر كل شيء أنت أخذ بناصيتك. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عنا الدين وأغننا من الفقر».

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذى].

٥ - عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغث»

[رواه الترمذى وحسنة الالباني].

ثانية: التوسل إلى الله عز وجل بالإيمان به والعمل الصالح:

وذلك بآن يقول الداعي اللهم بإيماني بك وبرسولك أسلك أن تغفر لي ذنبي أو يقول: اللهم

ولم يترك تحديدها إلى عقولنا وأذواقنا، لأنها حينذاك ستختلف وتتبادر وستضطرب، بل أمرنا - سبحانه - أن نرجع إليه في ذلك، ونتبع إرشاده وتعليماته لأنه لا يعلم ما يرضي الله - عز وجل - إلا الله وحده، فلهذا كان من الواجب علينا حتى نعرف الوسائل المقربة إلى الله أن نرجع في كل مسألة إلى ما شرعه الله - سبحانه - وبينه رسوله صلى الله عليه وعلى الله وسلم، وهذا هو الذي وصانا به رسولنا محمد.

صلوات الله عليه وسلم - حيث قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكت بهما؛ كتاب الله وسنة رسوله» (صحيح الجامع ٢٩٣٤).

أنواع التوسل المشروع:

أولاً: التوسل إلى الله عز وجل باسمائه الحسنة وصفاته العليا.

الدليل من القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: «ولله الأسماء الحسنة فادعوه به وذرعوا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون» [الأعراف: ١٨٠]، أي ادعوا الله عز وجل متوضلين إليه باسمائه الحسنة وصفاته العليا.

الأدلة من السنة النبوية الصحيحة:

١ - قال رسول الله ﷺ: «من كثر همه فليقل: اللهم إني عبدك وأبن عبدك وأبن أمتك، ناصيتي بيديك، ماض في حكمك، عدل في قضائك، أسلاك بكل اسم هو لك، سميتك به نفسك، أو علمته أحد من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أنهب الله همه وحزنه، وأبدل مكانه فرحا»

[رواه أحمد والحاكم]

الْمُقْبَلَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْطِبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السَّبِيلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكُهَا عَنَا فَرَفِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوْلَابِنَا وَلَمْ عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَيَّ الْأَكْمَامُ وَالظَّرَابُ وَبِطْوَنُ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابَتُ الشَّجَرِ» فَاقْلَعَتْ وَخَرَجَنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ) [رواه البخاري ومسلم].

٢- استنسقاء عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بدعاء العباس بعد
وفاة سوا الله بِهِ

فَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَطَحْتُوا
اسْتَسْقَى بِالْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَا كَانَتْ نَتْوَسِّلُ إِلَيْكَ
بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتْوَسِّلُ
إِلَيْكَ بَعْدَ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». قَالَ
فَتَسْقَفُونَ)

[رواه البخاري في صحيحه]
ومعنى قول عمر: إننا كنا
نتوسل إليك . بنبينا . صلى الله
عليه وعلى الله وسلم . وإنما
نتوسل إليك بعم نبينا ، أنتنا كنا
نقصد نبينا . صلى الله عليه
وعلى الله وسلم . ونطلب منه أن
يدعو لنا ، ونتقرب إلى الله
بدعائه ، والآن قد انتقل . صلى
الله عليه وعلى الله وسلم . إلى
الرفيق الأعلى ولم يعد من الممكن
أن يدعو لنا ، فإننا نتوجه إلى عم
نبينا العباس ، ونطلب منه أن
يدعو لنا ، وليس معناه أنهم
كانوا يقولون في دعائهم: اللهم
بجاه نبيك اسقنا ، ثم أصبحوا
يقولون بعد وفاته . صلى الله
عليه وعلى الله وسلم . بجاه
العباس اسقنا ، لأن مثل هذا دعاء
مبتدع ليس له أصل في الكتاب
ولا في السنة ولم يفعله أحد من
السلف الصالح . رضوان الله
تعالى ، عليهم . [التوسل للألباني].

ونفسه، وتوصيل الثاني إلى الله
عز وجل بعفته عن الحرام وعن
الوقوع في الفحشاء مخافة الله
سبحانه وتعالى وتوصيل الثالث
كذلك بامانته واستقامته
وبمعاملة أجيده كما يعامل
نفسه، وكل فعل ذلك ابتلاء
مرضاته الله تعالى لا خوفاً من
العباد ولا طمعاً بإطراء منهم أو
مدح أو جزاء. ولاشك أن هذه
الأعمال المباركة كانت سبباً
لنجاتهم من كربلا العظيم.

ثالثاً: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحة:

قال الألباني - رحمة الله :
كأن يقع المسلم في ضيق شديد
أو تحل به مصيبة كبيرة ويعلم
من نفسه التفريط في جنب الله .
تعالى - فيجب أن يأخذ بسبب
قوى إلى الله، فيذهب إلى رجل
يعتقد فيه الصالحة والتقوى
والفضل والعلم بالكتاب والسنّة،

فيفطب منه أن يدعوه له ربه،
ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه،
فهذا نوع آخر من التوسل
المشروع دلت عليه الشريعة
المطهرة وأرشدت إليه فمن ذلك:
١ - استسقاء الصحابة بدعاء
الذين شفوا في حال حراثة

فعن أنس رضي الله عنه:
«أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال: يا رسول الله: هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا. اللهم أغثنا. اللهم أغثنا». قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قمزة ولا بيننا وبين «سلع» من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسعت السماء انتشرت ثم أمطرت فلاماً (والله ما رأينا الشمس سبباً) ثم دخل حل من ذلك العاب فـ الجمعة

يتضاغون عند قدمي فاستيقظا
فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت
فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج
عنا ما نحن فيه من هذه
الصورة.

فانفرجت شيئاً لا يستطيعون
الخروج منها قال النبي ﷺ: قال
الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم،
كانت أحب الناس إلي.. فارتبها
عن نفسها فامتنعت مني، حتى
أمنت بها سنة من السنين،
فجاءتني وأعطيتها عشرين ومةة
دينار، على أن تخلي بيتي وبين
نفسها.. ففعلت. حتى إذا قدرت
عليها.. قالت لا يحل لك أن تغض
الخاتم إلا بحقه فتحرجت من
الوقوع عليها.. فانصرفت عنها.
وهي أحب الناس إلى، وتركت
الذهب الذي أعطيتها: اللهم إن
كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك،
فافرج عننا ما نحن فيه. فانفرجت
المخرفة، غير أنهم لا يستطيعون
الخروج منها.

قال النبي ﷺ: وقال الثالث:
اللهم إني استأجرت أجراء
وأعطيتهم أجرتهم غير رجل
واحد ترك الذي له، وذهب...
فثمرت أجره ... حتى كثرت منه
الأموال فجاعني بعد حين ... فقال
لي: يا عبد الله أذلي أجري.
فقلت: كل ما ترى من أجرك، من
الإيل والبقر والغنم والرقيق!!!
فقال: يا عبد الله لا تستهزئ
 بي!! فقلت إني لا أستهزئ بك،
 فأخذته كله ... فساقه فلم يترك منه
 شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك
 ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن
 فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا
 يمشون» [رواه البخاري ومسلم
 والنسيائي].

وَهُذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْلَةِ
وَأَوْضَحُهَا عَلَى التَّوْسِلَ إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَ بِتَقْدِيمِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ
بَيْنَ يَدِ الدَّعَاءِ، فَقَدْ تَوْسَلَ الْأُولُونَ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ بِيَرِهِ لِوَالِدِيهِ
وَتَفْضِيلِهِمَا عَلَى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ

٣- توصل الأعمى بدعاء
النبي ﷺ ..
عن عثمان بن حنيف رضي
الله عنه:

(أن رجلا ضريراً أتى النبي ﷺ
فقال: ادع الله أن يعافيني
فقال: «إن شئت دعوت، وإن شئت
صبرت وهو خير». قال: فادعه.
فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه
ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوجه
إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا
محمد إني أتوجه بك إلى ربِّي في
 حاجتي لشفائي، اللهم شفعي
في». فعاد وقد أبصر).

وفي رواية قال ابن حنيفة:

(فوالله ما تفرقنا وطال بنا
الحديث حتى دخل علينا كان لم
يكن به ضُرٌّ) [رواوه النسائي
والبيهقي وصححه الألباني].

وقد روى الترمذى، والحاكم
في مستدركه زيادة جملة في آخر
ال الحديث وهي (وشفتي فيه).

قال صاحب «كتاب التوصل»
إلى حقيقة التوصل، إذا أمعنا
نظرنا في هذا الحديث، تبين لنا
أن الأعمى ما كان يقصد التوصل
بذات أو جاء الرسول ﷺ، بل
بدعائه المستجاب، ولو أمل
الأعمى بالشفاء بدعاء رسول الله
ﷺ لم يأتاه وذلك للأدلة
المستخلصة من نص الحديث
نفسه..

١- إن قول الأعمى لرسول
الله ﷺ (ادع الله أن يعافيوني)
فيه بيان واضح جلي بقصد
الأعمى من المجيء وهو أنه ما

جاء إلا من أجل أن يدعوه له
رسول الله ﷺ بالشفاء من ضره.

٢- وإن قوله ﷺ مجيباً
للأعمى: «إن شئت دعوت وإن
شئت صبرت وهو خير»، لدليل
آخر على أن الأعمى ما جاء إلا من
أجل الدعاء وفيه تخيير من
رسول الله ﷺ له بالدعاء أو

من قائد يقوده إلى رسول الله
ﷺ، ولما كان هذا ليس من مراده،
إنما يريد الدعاء منه ﷺ؛ فإن
هذا يستلزم حضوره، وإخبار
الرسول بما حصل معه من العمى
ثم سؤاله أن يدعوه له ليعافيته
الله، لاعتقاده أن دعاء الرسول
ﷺ مستجاب فيحصل من الدعاء
على مراده من الشفاء.

وهكذا فقد حضر الأعمى إلى
رسول الله ﷺ وطلب منه الدعاء،
فدعاه له فاستجاب الله الدعاء من
رسوله، فعاد الأعمى بصيراً كان
لم يكن به من ضر.

وإن مجموع هذه الأدلة الستة
على ثبوت دعاء رسول الله
للأعمى - ليظهر لنا أمراً هاماً
يدور عليه مال الحديث، ويكشف
مغناه بشكل واضح وهو أن
معنى: «اللهم إني أسألك بنبيك»
أي بدعاء نبيك. وذلك مثل قول
عمر: «فتوصيل إليك بنبيك»، أي
بدعائه ولا يقهم منه التوصل
بذاته أو بجاهه ﷺ، ولا كان هذا
مراد الأعمى من مجئه إلى
الرسول ﷺ، حتى وإن معنى
التوصيل المتبارد إلى أذهان
الصحابية رضي الله عنهم في ذلك
الوقت كان محصوراً فقط في
طلب الدعاء من التوصيل به وليس
المعنى المتعارف عليه عند البعض
في الأزمنة المتأخرة. أي التوصيل
بذات المتوصيل به، فقد كان مثل
هذا التوصيل ينفر منه الصحابة
رضوان الله عليهم، فالخير كل
الخير في اتباع من سلف والشر
كل الشر في ابتداع من خلف.

والله من وراء القصد
هوامش

- (١) القرعة: السحاب المترافق.
- (٢) سلع: جبل في المدينة.
- (٣) سبئاً: أي أسيوعاً.
- (٤) الأكام: مرفعات الأرض.
- (٥) الظراب: الجبال الصغيرة.

الصبر حتى إذا شاء الأعمى
الدعاء دعا له... وفي تخييره هذا
وعد بالدعاء إن شاءه.

٣- وإن إصرار الأعمى على
طلب الدعاء منه ﷺ بقوله:
(فادعه) لدليل ثالث على أن
مجئه لم يكن إلا من أجل الدعاء،
ومن إصراره يفهم أن النبي قد
دعا له لأنه وعده بذلك إذا شاء
الدعاء. أمره ﷺ للرجل بالدعاء
ذلك على أن رسول الله ﷺ أحب
أن يكون للأعمى كذلك مشاركة
في الدعاء ولكنه لم يترك الأعمى
أن يدعوه ربه بما شاء؛ بل علمه
دعاء خاصاً وأمره أن يدعو الله
به بالإضافة إلى دعائه ﷺ.

٤- وإن قول الأعمى في آخر
الدعاء الذي علمه إياه رسول الله:
«اللهم شفعي في» لدليل رابع على
الدعاء، أي أقبل شفاعته في أي
دعاه في والشفاعة من رسول
الله ﷺ لا تكون إلا بدعاء الشافع
للمشفوع له. فدعاء الأعمى أن
يقبل الله شفاعة رسوله فيه يدل
على أن رسول الله ﷺ قد دعا له
والأعمى يطلب من الله قبل دعاء
رسوله ﷺ.

٥- إن في رواية الترمذى في
سننه، ورواية الحاكم في
مستدركه زيادة جملة (وشفعني
فيه) لدليل خامس على وقوع
الدعاء من رسول الله ﷺ للأعمى
ليعافيته الله تعالى ويرد إليه
بصره ومعنى (وشفعني فيه) أي
أقبل دعائي في أن تكون دعوته
لي مستجابة.

٦- وإن هناك دليلاً سادساً
مستنبطاً من واقع هذا الأعمى إذ
لو كان قصده التوصيل بشخص
الرسول أو بحقه أو بجاهه. وما
إلى ذلك؛ لكن يكفيه أن يبقى في
بيته، ويدعو الله قائلاً مثلاً:
اللهم رد بصري بجاه نبيك!! فكان
يكفيه هذا دون أن يحضر
ويتجشم عناء المشي وليس له

الحلقة الثانية

بِقَلْمِ مَعَاوِيَةِ مُحَمَّدِ هِيكَلِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين
اصطفى، وبعد.

فإن مما وقع فيه الاشتباه والإجمال من الألفاظ
لفظ «التوسل» فإن هذا اللفظ يطلق شرعاً على
التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الإيمان به
وتوحيده، وتصديق رسالته، وعلى التوسل إليه
بأسمائه الحسنى وصفاته، وعلى التوسل إليه بما
عمله المتتوسل من الأعمال الصالحة التي يحبها الله
ويرضاها، وعلى التوسل إلى الله بدعاء المتتوسل به
للمتتوسل وشفاعته.

وأما في عرف من خفي عليهم ذلك من المتأخرین
وهم الأكثرون، صار لفظ التوسل يطلق على غير
ذلك، فصار معبراً لصنوف عديدة من الشركيات
والخرافات والبدع، حتى صرفت العبادة لغير الله
وأحدث في الدين ما ليس منه، مما كان له الآخر
السيئ في إفساد عقائد الناس وتشويه معالم
الإسلام، تحت مسمى اسم التوسل زعموا.

وفي هذا المقال نلقي الضوء
بإذن الله على أنواع التوسل
غير المشروع حتى تتحض الرؤية
للقارئ الكريم وتستعين له
السبيل سائلين المولى عز وجل
أن يهدي الأمة إلى التي هي
أقوم، إلى منهاج أهل السنة
الإسلام والأعلم والأحكم.

تعريف التوسل غير
المشروع: هو أن يتتوسل إلى الله
عز وجل بما ليس بوسيلة أى
بما لم يثبت في الشرع بأنه
وسيلة؛ لأن التوسل بمثل ذلك
من اللغو والباطل المخالف
للمعقول والمنقول.

أو بمعنى آخر هو: أن يقصد
الإنسان التقرب إلى الله بالشرك
أو البدع أو المعاصي، فهذا لا
يوصله لمرضاة ربه؛ بل لسخطه
وعقابه كما أخبر عز وجل عن
قصد المشركين للقرب منه «لَفِي
بعيادة غيره، فمن ذبح أو نذر أو
حلف أو دعا غير الله يقصد
بذلك التقرب إلى الله فقد توسل
«وسيلة شركية»، ومن ابتدع في
الدين بدعة يريد بها التقرب إلى
الله فقد توسل وسيلة محرمة؛
لقول النبي ﷺ: «وَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً
لِيُسْعِلَهُ أَمْرَنَا فَهُوَ رَدٌ». وأما
من يتقرب إلى الله بالمعاصي؛
كم من يسرق ليتصدق فهو يجمع
بين البدعة والمعصية.

أنواع التوسل غير المشروع

النوع الأول: «التوسل
الشركي» كالاستغاثة - بغير
الله - ودعاء غيره، والاستغاثة
هي طلب الغوث ولا تكون إلا من
مكروب، والدعاء أعم من
الاستغاثة؛ لأنه من المكروب
وغيره.

قال ابن القيم رحمة الله: من
الشرك طلب الحوائج من الموتى
والاستغاثة والتوجه إليهم،
وهذا أصل شرك العالم، فإن
الميت قد انقطع عمله وهو لا

التوسل بين أهل السنة ومخالفاتهم

قال ابن القيم: فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدها عليهم حكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبد لما يرجو من نفعه، وإن فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذ فلا يكون المعبد مالكا للأسباب التي ينفع بها عباده أو شريكاً مالكها، أو ظهيراً أو وزيراً ومساعداً له، أو وجهاً ذا حرمة، ولا يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربع من

كل وجه وبطلت، انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواجهة، فتفى سبحانه عن الهم أن تملأ مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريرة مالك الحق فتفى شركتها له، فيقول قد تكون ظهيراً وزيراً ومساعداً، فقال: «وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ»، فلم يبق إلا الشفاعة فنفتها عن الهم، وأخبر أنه لا يشفع عنه أحد إلا بإذنه.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك أو نعزم أحداً من خلقك كتعظيمك.

النوع الثاني

التوسل إلى الله تعالى بدعاء الأموات أو الغائبين

كان يقول للميت أو الغائب: اشفع لي عند الله أو ادعوه له لي، وهذا توسل مبتعد لأن الميت إذا مات انقطع عمله فلا يمكن لأحد أن يدعو بعد موته، وقد أجمع السلف على عدم جواز هذا النوع من التوسل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يكن النبي بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشعروا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: «يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول ممات من الأنبياء والصالحين: يا نبى الله، يا رسول الله، ادع الله لي، سل الله لي، يا نبى الله أن يغفر لي، ولا يقول: أشكوا إليك ذنبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو أشكوا إليك فلاناً الذي ظلمني، ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك، ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضراً أنه استجear بفلان، ويدعوه بالحضور إلى من يعمل بذلك المحضر، ونحو ذلك ما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب وال المسلمين، كما يفعله النصارى في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند

يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن استغاثة به أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده.

مثال ذلك: أن يطلب الإنسان المدد من الأموات أو الغائبين سواء كانوا من الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين أو الجن، كان يقول: يا سيدي فلان أغثني واكشف كربلي واسف مريضي وهو يعتقد في ذلك أن هذا توسل إلى الله بداعء غيره، فهذا هو الشرك الأكبر من جنس توسل المشركين الذين قال الله عز وجل فيهم: «مَا نَعْبُدُهُمُ الْأَنْقَرُبُونَا إِلَى اللَّهِ رَلْفِي»، وكما قال عنهم: «وَنَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يُنْزَهُمْ وَلَا يُنْعَمُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شَفَاعَوْنَا عِبْدُ اللَّهِ».

وقال تعالى مندداً بما يدعون

ويعبدون غير الله: «وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَنْتَهِي لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥٠) وَإِذَا حَسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا يَعْبَدُونَهُمْ كَافِرِينَ»، فسماه الله عبادة لهم وإن كانوا هم يعتقدونه «رَلْفِي» إلى الله، فهو توسل شركي.

وقال تعالى: «ذَلِكُمُ اللَّهُ رِبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلَكُونَ مِنْ قُطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرْكِكُمْ»، يخبر الله تعالى عن حال المدعويين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على استجابته، فممتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عدلت بالكلية، فتفى عنهم عباس وبقوله: «مَا يَمْلَكُونَ مِنْ قُطْمِيرٍ». قال ابن عباس وغيره: «القطمير»: اللافافة التي تكون على نواة التمر، وتفى عنهم سماع الدعاء بقوله: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ»؛ لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما أمر به كالملائكة، ثم قال: «وَلَوْ سَعَوْا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ»؛ لأن ذلك ليس بملكهم، ثم بين أن دعاء غير الله شرك؛ لأن الدعاء عبادة، فقال عز وجل: «وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرْكِكُمْ»، [فتح الميد].

وقال تعالى: «قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعْمَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلَكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْقُعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ».

قبر الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتوارد بإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع شيئاً من ذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ﷺ وبالتالي لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربع ولا غيرهم ولا ذكر أحد من الأئمة في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له أو يدعوه لأمنته، أو يشكوا إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين، وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوفة العدو، وتارة بالذنب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكوا إليك الزمان أو قوة العدو، أو كثرة الذنوب، ولا يقول: سل الله لنا أو لأمنتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم، بل هذا وما يشبهه من البدع الحديثة... اهـ.

النوع الثالث

التوسل إلى الله تعالى بذوات الصالحين

كان يقول المتتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، ولا يعني إلا ذاته وشخصه، أن تقضي حاجتي.

إن التوسل بذات وشخص المتتوسل به إلى الله تعالى، عمل غير شرعي؛ لأنه لم يأمر به الله، ولا بلغه رسول الله ﷺ، على أن التوسل بذات الشخص بدون متابعة للعمل الذي كان يعمله، فبلغ به المنزلة الطيبة عند الله، إنما هو عمل ذمه الله تعالى لما وصف توسل المشركين، فقال حاكماً عنهم: «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِتَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَيْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» [الزمر: ٣].

فالتوسل بالعبد الصالح من غير متابعة له في الأعمال الصالحة لا يجوز أن يكون وسيلة، فهذا التزلف بذوات الأشخاص رده الله سبحانه وتعالى ولم يقبله، وإنه تعالى قد عاب عليهم في

هذه الآية أمرتين اثنين: عاب عليهم عبادة الأولياء من دونه، وعاب عليهم محاولتهم القربى والزلفى إليه تعالى بالأشخاص والعباد المخلوقين، فكلا الأمرين في الآية، عيب وذنب، وكلاهما باطل وكذب وضلال، وقال تعالى: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَمْوَالُكُمْ بِالَّتِي تُقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا زَلْفَى إِلَّا مِنْ أَمْنٍ وَعَفْلٍ صَالِحٍ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَرَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعَرْفَاتِ أَمْيَانُ» [سبا: ٣٧] أي: إن الذين يقربون عند الله درجات ومنازل عظيمة والذين تضاعف حسناتهم إنما تضاعف بآعمالهم لا بالجاهات ولا الوساطات.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجلين تناظرا، فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بينما وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل بغير ذلك، فأجاب رحمة الله:

الحمد لله رب العالمين، إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله، وهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما توعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله من اسمائه الحسنة، وصفاته العليا، التي تعجز العقول عن معرفتها، وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده، فالمؤمنون بالرسل المبعون لهم هم المقربون الذين يقربهم لديه زلفى، ويعرفون درجاتهم، ويكرهم في الدنيا والآخرة، وأما المخالفون للرسل، فإنهم ملعونون، وهم عن ربهم ضالون محظوظون.

ثم قال: وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المนาفع، ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، ويسالونه ذلك، ويرجعون إليه فيه، فهو من أعقل الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء شفاعة، يجتibون بهم المนาفع، ويدفعون بهم المضار. اهـ. «التوصل إلى حقيقة التوسل».

وللحديث بقية العدد القادم

توفي يوم الأحد الموافق ٢٢/٦/٢٠٢٩ هـ ١٤٢٢ م رضا أبو الروس رئيس فرع طوخ طنطا / منوفية.
ومجلس إدارة الجماعة يقدم العزاء لأسرته ولإخوانه ويسأل الله أن يتغمده بمغفرته ورحمته وأن يبارك في عقبه.

التوسل بين أهل السنة ومخالفاتهم

بقلم معاوية محمد هيكل

الحلقة الثالثة

دفع شبهة قياس الخالق على المخلوق

وقد تولى رد هذه الشبهة ودفعها الشيخ اللبناني رحمة الله بكلام رائع حسن، سد به كل المنافذ والطرق على المخالف، فلم يجد أمامه إلا الإنذار لسخطه الدليل والبرهان، وهكذا البيان:

يقول المخالفون: إن التوسل بذوات الصالحين وأقدارهم أمر مطلوب وجائز؛ لأنه مبني على منطق الواقع ومتطلباته، ذلك أن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسئول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة، لأنه يشعر أنه ربما لا يلتفت إليه، هذا إذا لم يرده أصلاً، ولذلك كان من الطبيعي إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عنمن يعرفه، ويكون مقرراً إليه أثيراً عنده، ونجعله واسطة بيننا وبينه، فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا، وقضيت حاجتنا، وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله سبحانه -بزعمهم- فالله عزوجل عظيم العلماء، وكبير الكبار، ونحن مذنبون عصاة، وبعيدون لذلك عن جناب الله، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة، لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يرددنا على أعقابنا خائبين، أو لا يلتفت إلينا فنرجع بخفي حنين، وهناك ناس صالحون ك الأنبياء والرسل والشهداء قربيون إليه سبحانه، يستجيب لهم إذا دعوه، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لديه، أفالاً يكون الأولى بنا والأخرى أن نتوسل إليه بجاههم، ونقدم بين يدي دعائنا ذكرهم، عسى أن ينظر الله تعالى إلينا إكراماً لهم، ويجب دعاعنا مراعاة لخاطرهم، فلماذا تمنعون هذا النوع من التوسل، والبشر يستعملونه فيما بينهم، فلم لا يستعملونه مع ربهم ومع عبودهم؟

ونقول جواباً على هذه الشبهة: إنكم يا هؤلاء إذن تقيسون الخالق على المخلوق، وتشبهون قيوم السماوات والأرض، أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، الرءوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين، والمتسطلين المتجررين الذين لا يأبهون لصالح الرعية، و يجعلون بينهم وبين الرعية حجباً واستاراً، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائل ووسائل، ترضي هذه الوسائل بالرشاوي والهبات، وتختضع لها وتتنزل، وتترضاها وتقترب إليها، فهل خطير ببالكم أنها المساكين أنكم حين تفعلون ذلك تدمرون ربكم، وتطعنون به، وتؤذونه، وتصفونه بما يمقنه وما يكرهه؟ هل خطير ببالكم أنكم تصفون الله تعالى بأشنع الصفات حين تقيسونه على الحكام الظلمة، والمتسطلين الفجرة، فكيف يسوغ هذا لكم دينكم، وكيف يتفق هذا مع ما يجب عليكم من تعظيمكم لربكم، وتحميدكم لخالقكم؟

ترى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهًا لوجه، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أیكون ذلك أكمل وأمده له، أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائل قد تطول وقد تقصّر؟ يا هؤلاء إنكم تفخرون في أحاديثكم بعمري بن الخطاب رضي الله عنه وتمجدونه وتشيدون به وتبيتون للناس أنه كان متواضعاً لا يتكبر ولا يتجرّب، وكان قريباً من الناس يتمكن أضعفهم من لقائه ومخاطبته، وأنه كان يأتيه الأغراطي الجاهل الغلط من البداية، فيكلمه دون واسطة أو حجاب، فينתרف في حاجته ويقضيها له إن كانت حقّاً، ترى هل هذا النوع من الحكام خير وأفضل، أم ذلك النوع الذي تضربون لربكم به الأمثال؟

فما لكم كيف تحكمون؟ وما لعقولكم أين ذهبت، وما لتفكيركم أين غاب، وكيف ساعك لكم تشبيه الله تعالى بالملك الظالم، أم كيف غطى عنكم الشيطان بشاعة قياس الله سبحانه على الأمير الغاشم؟ يا هؤلاء إنكم لو شبّهتم الله بأعدل الناس وأتقى الناس وأصلح الناس لكتّرتم، فكيف وقد شبّهتموه سبحانه بظلم الناس وأفجر الناس وأخربت الناس؟

تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ

معناه- قواعده- أراء فرق الصالل
في هذا القسم من التوحيد
الحلقة الأولى

١- معناه:

هو إثبات ما أثبتته الله تعالى أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تمثيل، ولا تكليف، ولا تحريف، ولا تعطيل.
وهذا الباب الخطير من التوحيد قد ضلت فيه أفهام وزللت به أقدام.
وهذا الباب المهم جداً يخفي على الكثير من المسلمين اليوم، فنجد منه الأشاعرة يسيطر على كتب جامعات المسلمين ومعاهدهم إلا القليل منهم اليوم، فيشيّع منها تأويل الصفات تارة، وتحريفها تارة، وتطييلها تارة، وصرفها عن مقصود رب العالمين تارة، لذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله: «ومن بما قال الله على مراد الله، ونؤمن بما قال رسول الله ﷺ على مراد رسول الله». .

٢- قواعد توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة: القاعدة الأولى:

أن الله عز وجل له أسماء وصفات، أثبتتها لنفسه، وأثبتتها له نبيه ﷺ، وأمن بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيْجُرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].
وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].
ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةُ وَتَسْعِينَ اسْمًا، مَائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مِنْ أَحْصَاهَا دَخْلُ الْجَنَّةِ». .

يا هؤلاء، إنكم لو قسمتم ربكم الجليل على عمر بن الخطاب التقى العادل لوقعتم في الشرك، فكيف تردي بكم الشيطان، فلم ترضوا بذلك حتى أوقعكم في قياس ربكم على أهل الجور والفساد من الملوك والأمراء والوزراء؟

إن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر كله حذر منه سبحانه حيث قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ مُؤْنَةِ اللَّهِ مَا لَا يَمْكُلُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِعُونَ. فَلَا تَتَنَاهُوا عَنِ اللَّهِ الْأَمَّاثَلِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٣-٧٤].

كما نفى سبحانه أي مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته، فقال: ﴿لَيْسَ كَمَتْهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ولكن شر تشبيهه أن يشبه المرء بالاشتار والفحار والفساق من الولاة، وهو يظن أنه يحسن صنعاً! إن هذا هو الذي يحمل بعض العلماء والمحققين على المبالغة في إنكار التوصل بذوات الأنبياء، واعتباره شركاً، وإن كان هو في نفسه ليس شركاً عندنا، بل يخشى أن يؤدي إلى الشرك، وقد أدى فعلًا بأولئك الذين يعتقدون للتوصّل بهم بذلك التشبيه السابق الذي هو الكفر بعينه لو كانوا يعلمون.

ومن هنا يتبيّن أن قول بعض الدعاة الإسلاميين اليوم في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين: «والداعاء إذا فُرِنَ بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة» ليس صحيحاً على إطلاقه لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري، إذ فيه شرك صريح كما سبق، ولعل مثل هذا القول الذي يهون من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين إلى عدم البحث فيه، وتحقيق الصواب في أمره، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى استمرار المبتدعين في بدعهم، واستفحال خطرها بينهم، ولذلك قال الإمام العز بن عبد السلام في رسالة «الواسطة» (ص: ٥): «ومن أثبت الأنبياء من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاج الذين بين الملك ورعايته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حواجز خلقه، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حواجز الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أبداً منهم أن يباشروا سؤال الملك، لأن طلبهم من الوسائط انفع لهم من طلبهم من الملك، لكنهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهو لاءٌ مشبهون لله، شبهوا بالخلق بالخلق، وجعلوا لله أداماً». وللحديث بقية

تذكير الخلان بفضائل رمضان

بقلم / معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي خص بالفضل شهر رمضان على سائر الأيام، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام، والصلوة والسلام على سيد الأنام خير من قام وبعد، فإن لقاء الكريم له في النفوس بهجة وفي القلوب فرحة سيما إذا كان بعد طول غياب واحتجاب. فبين الأيام والشهور تفاوت في الفضل بقدر ما جعل الله بها من مزايا وما أودع فيها من نفحات وبركات.

ولشهر رمضان مزية على غيره من الشهور، لما استجمع من الفضائل وجلال الأعمال، وخال الخير وكريم الخصال، وما حوى من ألوان الطاعات والقربات، فهو شهر لا تحصى فضائله ولا تستقصي شمائله. فوالله ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان.

وليس من نافلة القول ولا مكرور الكلام أن نتحدث عن فضائل رمضان في كل عام بل هو من باب التذكرة والتوجيه كما قال تعالى: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» [الذاريات: ٥٥].

فمن فضائله التي تفوق الحصر...

السماء الدنيا، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ثم نزل منجماً مفرقاً على قلب رسول الله ص حسب الواقع والأحداث.

والقرآن هو كلام الله تعالى أنزله على رسوله وتعبدنا بتلاوته. فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري].

وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ص يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه» [رواه مسلم].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ص قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين» [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ص: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» [رواه الترمذى وصححه الألبانى].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس

أولاً: أنه شهر القرآن:

فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، ونزل القرآن نعمة عظمى على الأمة تقود إلى سعادة الدنيا ونعم الآخرة وتقى طريق التخطيط والزلل كما قال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهِدِي لِلّٰهِي هِيَ أَقْوَمُ» وكما قال تعالى: «... وَرَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تَنْهِيَّاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» [النحل: ٨٩] وهو حبل الله المtin، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، لا يشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن، ولا تزيغ به الأهواء، من تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأدخله جهنم وساعت مصيرها.

قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبُيَّنَاتٌ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: «إِنَّ أَمْرَنَا هُنَّ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ» وقال تعالى: «إِنَّ أَمْرَنَا هُنَّ فِي لَيْلَةِ مِنَارَكَةٍ» [الدخان: ٣: ٢]. وقد نزل القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة من



كان أول ليلة من شهر رمضان صفت الشياطين
ومردة الجن. قال ابن خزيمة: (الشياطين مردة
الجن) وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب
وافتتح أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وبينادي
مناد: يا باجي الخير أقبل ويا باجي الشر أقصر
ولله عنقاء من النار وذلك كل ليلة». رواه الترمذى

والحاكم وصححة الألبانى.

وتصرفت الشياطين علامة لدخول الشهر،
وتعظيم لحرمه وذلك ليمنعوا من إيذاء المؤمنين
والتهويش عليهم، والمعنى أن الشياطين لا
يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره
لاستغلال المسلمين بالصوم الذي فيه قمع

الشهوات وقراءة القرآن وسائر العبادات.

وهذا التصرف على ظاهره وحقيقةه وكذلك
الأمر بالنسبة لتفريح أبواب الجنة وتغلق أبواب

جهنم وكل هذا لا يعلم كيفيته إلا الله عز وجل.

ومما يؤسف له أن وسائل الإعلام في كل عام
تحرصن - مازورة - على حشد كل ما لديها من
الأفلام والمسلسلات والمسرحيات والفوائز في
هذا الشهر المبارك ليفسدوها على الناس صيامهم
ونذلك تحت شعار (سل صيامك) ولو صدقوا لقالوا
(ضيع صيامك) فاحذر أخي المسلم من أساليب
شياطين الإنس والجن وتزبيفهم للحرمات
والنكرات في هذا الشهر الكريم حتى لا يضيع
عليك صيامك ولا تكون حظك منه الجوع والعطش.
ثالثاً: شهر التقوى

قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الصوم كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون» [البقرة].

فالغاية العظمى من الصيام تحصيل ثمرة
التقوى وأساس التقوى أن يعلم العبد ما يتقي ثم
يتقي، لذلك يجب على المسلم أن يتعرف على
الواجبات والمستحبات في هذا الشهر الكريم
فيتمثلها ويتعرف على المحرامات والمحرومات
فيتجنبها. وما اشتتمل عليه هذا الشهر المبارك
من التقوى كما يقول الشيخ السعدي في تفسيره.
١. أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل
والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليه نفسه
مقرباً بذلك إلى الله راجياً بتركتها ثوابه فهذا من
القوى.

نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون وبحزنه إذ
الناس يفرحون وببكائه إذ الناس يضحكون
وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه إذ الناس
يختالون».

وعن الفضيل قال: «حامل القرآن حامل رأيه
الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو
مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيمًا لحق
القرآن». لذلك ينبغي للمسلم في هذا الشهر المبارك
أن يحرص على تلاوة وتنبر كتاب الله عز وجل
والعناية به كما كان يفعل السلف الصالح رضي
الله عنه؛ فقد كان جبريل يدرس النبي ﷺ
القرآن في رمضان وكان عثمان بن عفان يختتم
القرآن كل يوم مرة وكان بعض السلف يختتم
القرآن في صلاة القيام، كل ثلاثة ليال وبعضهم
في كل سبع وبعضهم في كل عشر فكانوا يقرعون
القرآن في الصلاة وفي غيرها، فكان للشافعى في
رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة وكان
الأسود يقرأ القرآن في كل ليالٍ في رمضان،
وكان قتادة يختتم في كل سبع دائماً وفي رمضان
في كل ثلاثة وفي العشر الاواخر في كل ليلة وكان
الزهري إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث
ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من
المصحف وكان سفيان الثورى إذا دخل رمضان
ترك جميع العبادة إلى قراءة القرآن وهذا لا
يتعارض مع نهى النبي ﷺ عن قراءة القرآن في
أقل من ثلاثة.

قال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن
في أقل من ثلاثة على المداومة، فاما في الأوقات
المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليلى التي
يطلب فيها ليلة القدر، او في الأماكن المفضلة كمكة
لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من
تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان، وهو
قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأنتمة، وعليه
يدل عمل غيرهم، كما سبق ذكره.
ثانية: شهر الرحمة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا
دخل رمضان فتحت أبواب السماء» وفي رواية
فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلة
الشياطين، متفق عليه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا

أحدهما أن سائر العبادات مما يطلع عليه العباد، والصوم سر بين العبد وربه يفعله خالصاً ويعامله به طالباً لرضاه ولذلك أشار بقوله «فانه لي».

والآخر أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن والصوم يتضمن كسر النفس وتعریض البدن للنقصان وفيه الصبر على مضرض الجواع والعطش وترك الشهوات ولذلك أشار بقوله «يدع شهوته من أجلي».

ومعنى قوله في الحديث «وانا أجزي به».

قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وإنها تضاعف من عشر إلى سبعين مائة ضعف إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثبّط عليه بغير حساب وهذا بيان لعظم فضل الصوم وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخْبرَ بانه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء والعلاء» [مسلم بشرح النووي].

ومعنى قوله: «الصوم جنة».

قال ابن العربي إنما كان الصوم جنة من النار لأن إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له عن النار في الآخرة.

ومعنى قوله «للصائم فرحتان يفرجهما»:

وقال العلماء: أما فرحته عند لقاء ربه فيما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله عليه بتوفيقه لذلك.

واما عند فطرة فسيبها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليهما السلام قال: «من ضام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه البخاري ومسلم].

قال الخطاطي: قوله «إيماناً واحتساباً» نية وعزيزمة وهو أن يصومه على معنى التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصومه ولا مستطيل ل أيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب.

٣ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي عليهما السلام قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون. يقال يوم القيمة: أين الصائمون؟

٤ - أن الصائم يدرن نفسه على مراقبة الله تعالى فيتدرك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه.

٥ - أن الصيام يضيق مجري الدم فالصيام يضعف نفوذه وتقل معه المعاصي.

٦ - أن الصائم تكثر طاعته والطاعة من خصال التقوى.

٧ - أن الغني إذا ذاق الم جوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء والمعدومين وهذا من خصال التقوى.

٨ - (أن الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبتها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى كما قال عليهما السلام جنة») «زاد المعاد».

فضائل الصيام في السنة النبوية

١ - في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله عليهما السلام: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. والصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليلق: إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرجهما إذا افترط فرج بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه، وفي رواية لمسلم «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ضعف». قال الله تعالى: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشهوته من أجلي».

وهذا سؤال: لماذا أضيف الصوم لله سبحانه وتعالى دون سائر العبادات كما جاء في الحديث «إلا الصوم فإنه لي»؟

قال ابن الجوزي: «جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب بخلاف الصوم».

قال القرطبي: «ما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه أحد بمجرد فعله إلا الله أضافه لنفسه ولهذا قال في الحديث «يدع شهوته من أجلي».

وقال البيضاوي: «والسبب في اختصاص بهذه المزية أمران:

٣٤٠ - تعجيل الفطر:
عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، [متفق عليه]».
والمعنى لا يزال أمر الأمة منتظماً وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه [شرح النووي].
وتعجيل الفطر لا يتنافي مع صلاة الرجل بالمسجد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلى على رطبات فإن لم تكن رطبات فتمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء» [رواه الترمذى وأبو داود وصححه الألبانى].

٣ - الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام:
ثبت أنه ﷺ كان يقول: «ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى». [رواه أبو داود وحسنه الألبانى].
وقال الرسول ﷺ ثلاث دعوات لا ترد: «دعوة الوالد ودعوة الصائم ودعوة المسافر». [رواه البيهقي وصححه الألبانى في السلسلة الصحيحة رقم ١٧٩٧].

٤ - صيام الجوارح وصيانتها عن الذنب والآثام:
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخارى].
قال ابن العربي: «مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذكر لا يثاب على صيامه وقال البيضاوى: وليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطهير النفس الأمارة للنفس المطمئنة فإذا لم يحصل ذلك لا ينضر الله إليه نظر القبول».

لذلك قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم، إني صائم، رواه ابن خزيمة وأبن حبان والحاكم وصححه الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب . ١٠٦٨

فيجب على الصائم أن يتحفظ من الأعمال التي تدخله صومه، كالغيبة والنفيمة والفحش والبداء

فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب، زواه البخاري
ومسلم.

٤ - عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرتني بعمل ينفعني الله به قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له» [صحيح الجامع ٤٠٤].

٥ - عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وما له وجاره تكرها الصلاة والصيام والصدقة» [متفق عليه].

٦ - عن أبي سعيد الخدري: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً» [البخاري ومسلم].

٧ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يا معاشر الشباب من استطاع منكم الバعة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج فمن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء» [متفق عليه].

٨ - عن النمر بن تولب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر» [صحيح رواه أحمد وأبو داود].
آداب وخصال ينبغي أن يتعلّم بها الصائم

١ - تأخير السحور:
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تسخروا فإن في السحور بركة» [متفق عليه].
عن زيد بن ثابت قال: تسخربنا مع رسول الله ﷺ ثم قام إلى الصلاة. قال: قلت: كم كان بين الآذان والسحور. قال: قدر خمسين آية» [رواه البخاري].

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر».

والسحور هو الغذاء المبارك الذي يتقى به المؤمن على الصيام من السنة تأخيره وهو أرقى بالصائم وأسلم من النوم عن صلاة الفجر وينبغى أن يواكب عليه ولو بجرعة ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرین كما جاء في الحديث قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرین» [صحيح الترغيب والترهيب ١٠٥٣].
وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أجعل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً.

ينقص من أجر الصائم شيئاً» [الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى].

٤- الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر: في صحيح مسلم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره». وعنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله... [رواه الشیخان].

وكان ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده.

وكان رسول الله ﷺ يحرص على تحري ليلة القدر في العشر الأواخر ويأمر بذلك فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». [رواه البخاري].

وقال: رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه البخاري ومسلم].

٥- العمرة في رمضان.

قال رسول الله ﷺ: «عمرة في رمضان تعبد حجة»، أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية «حجـة معـي».

وبعد أخي في الله ففضائل رمضان لا يستوعبها الحصر والبيان فيها هي أيام المباركة قد أقبلت علينا وأطلت وشمس نفحاته الطيبة قد اشرقت علينا فقد فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين فلم يعد لك عنـر فاقبل على الخير والعطاء، ولبـ نداء رب الأرض والسماء، فقد نادى المنادي يا باغيـ الخـير أقبل فـشعر عن سـاعدـ الجـدـ وهـلـ إـلىـ مـرضـاهـ ربـكـ وـقـلـ بـلـسـانـ حـالـكـ: «وـعـجـلـتـ إـلـيـكـ ربـ لـتـرـضـىـ» اللـهـمـ تـقـبـلـ مـنـاـ الصـيـامـ وـالـقـيـامـ وـوـفـقـنـاـ إـلـىـ صـالـحـ الـأـعـمـالـ وـاجـعـلـنـاـ مـنـ عـتـقـاءـ هـذـاـ الشـهـرـ الـكـرـيمـ مـنـ النـارـ وـصـلـىـ اللـهـ وـسـلـمـ وـبـارـكـ عـلـىـ النـبـيـ الـأـمـيـنـ وـعـلـىـ أـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ عـلـىـ الـعـلـمـينـ.

هامـش:

(١) الـوـحـرـ: الـحـقـ وـالـغـيـظـ وـالـوـسـاوـسـ وـالـغـشـ. (الـسـانـ وـالـعـربـ).

والاستهزـاءـ وـالـنـظرـ الـمـحـرـمـ وـالـاسـتـمـاعـ إـلـىـ اللـهـ وـالـعـاـزـفـ لـأـنـ الصـيـامـ إـمـسـاكـ عـنـ الـأـكـلـ وـالـشـرـبـ وـسـائـرـ مـاـ نـهـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ عـنـهـ.

فـإـذـاـ صـمـتـ أـخـيـ فـيـ اللـهـ فـلـيـصـمـ سـمـعـ وـبـصـرـ وـلـسـانـكـ عـنـ الـكـذـ وـالـمـحـارـمـ وـدـعـ إـيـذـاءـ الـجـارـ وـلـيـكـ عـلـىـ وـقـارـ وـسـكـيـنـةـ وـلـاـ تـجـعـلـ يـوـمـ صـومـ وـيـوـمـ فـطـرـ سـوـاءـ.

٦- الـإـكـثـارـ مـنـ أـنـوـاعـ الـعـبـادـاتـ وـكـانـ مـنـ هـدـيـهـ إـكـثـارـ مـنـ أـنـوـاعـ الـعـبـادـاتـ فـكـانـ يـكـثـرـ فـيـهـ مـنـ الـصـدـقـةـ وـالـإـحـسـانـ وـتـلـاـوـةـ الـقـرـآنـ وـالـصـلـاـةـ وـالـذـكـرـ وـالـاعـتـكـافـ وـكـانـ يـخـصـ رـمـضـانـ بـالـعـبـادـةـ بـمـاـ لـيـخـصـ بـهـ غـيـرـهـ مـنـ الشـهـورـ وـمـنـ ذـلـكـ..

٧- الـجـودـ وـمـدـارـسـةـ الـقـرـآنـ رـوـيـ الـبـخـارـيـ عـنـ أـبـيـ عـبـاسـ قـالـ: «كـانـ رـسـولـ اللـهـ عـلـىـهـ السـلـامـ أـجـودـ النـاسـ وـكـانـ أـجـودـ مـاـ يـكـونـ فـيـ رـمـضـانـ حـينـ يـلـقـاهـ جـبـرـيلـ، وـكـانـ يـلـقـاهـ فـيـ كـلـ لـيـلـةـ مـنـ رـمـضـانـ فـيـ دـارـسـهـ الـقـرـآنـ، فـلـرـسـولـ اللـهـ عـلـىـهـ السـلـامـ أـجـودـ بـالـخـيـرـ مـنـ الرـسـلـةـ».

٨- صـلـاـةـ التـراـوـيـحـ ... عنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ: «كـانـ رـسـولـ اللـهـ عـلـىـهـ السـلـامـ يـرـغـبـ فـيـ قـيـامـ رـمـضـانـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـأـمـرـهـ بـعـيـزةـ ثـمـ يـقـولـ مـنـ تـقـدـمـ مـنـ ذـنـبـهـ، فـتـوـقـيـ رـسـولـ اللـهـ عـلـىـهـ السـلـامـ وـالـأـخـرـ عـلـىـ ذـلـكـ، ثـمـ كـانـ الـأـمـرـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ خـلـافـةـ أـبـيـ بـكـرـ وـصـدـرـ مـنـ خـلـافـةـ عمرـ» [أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ وـغـيـرـهـ].

فصـلـاـةـ التـراـوـيـحـ هـيـ مـنـ أـفـضـلـ الـقـرـيبـاتـ فـيـ شـهـرـ رـمـضـانـ وـتـشـرـعـ جـمـاعـةـ فـيـ الـمـسـاجـدـ وـهـيـ أـفـضـلـ مـنـ الـانـفـرـادـ، لـإـقـامـةـ النـبـيـ عـلـىـهـ السـلـامـ لـهـ بـنـفـسـهـ لـذـلـكـ لـأـنـ لـيـنـبـغـيـ لـلـمـسـلـمـ أـنـ يـتـخـلـفـ عـنـهـ لـيـنـالـ ثـوابـهـ وـأـجـرـهـ وـلـاـ يـنـصـرـفـ حـتـىـ يـنـتـهـيـ الـإـمـامـ مـنـهـ وـمـنـ الـوـتـرـ لـيـحـصـلـ لـهـ أـجـرـ قـيـامـ اللـيلـ كـلـ كـمـ قـالـ عـلـىـهـ السـلـامـ: «إـنـ الرـجـلـ إـذـ صـلـىـ مـعـ الـإـمـامـ يـنـصـرـفـ حـسـبـ لـهـ قـيـامـ اللـيـلـ»، [روـاهـ أـصـحـابـ السـنـنـ وـصـحـحـهـ الـأـلـبـانـيـ وـعـلـىـ ذـلـكـ جـرـىـ عـمـلـ السـلـفـ فـيـ عـهـدـ عمرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ].

٩- تـفـطـيرـ الصـائـمـ: عنـ زـيـدـ بـنـ خـالـدـ الـجـهـنـيـ قـالـ: قـالـ رـسـولـ اللـهـ عـلـىـهـ السـلـامـ: «مـنـ قـطـرـ صـائـمـاـ كـانـ لـهـ مـثـلـ أـجـرـهـ غـيـرـ أـنـهـ لـاـ

التوسل بين أهل السنة ومخالفتهم

بقلم / معاوية محمد هيكل

الحلقة
الأخيرة

الحمد لله والصلوة والسلام
على رسول الله وبعد : -
نواصل حديثنا حول موضوع
التوسل فنقول مستعينين بالله : -
 النوع الرابع

ثبوت الأمر به عنه ﷺ، ويوضح ذلك أن الركوع والسجود من مظاهر التعظيم فيما اصطلاح عليه الناس، فقد كانوا وما يزال بعضهم يقومون ويرکعون ويسجدون لملائكة ورؤسائهم والمعظم لديهم، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن محمداً ﷺ هو أعظم الناس لديهم، وأرفعهم عندهم، ترى فهل يجوز لهم أن يقوموا ويرکعوا أو يسجدوا له في حياته وبعد مماته؟

الجواب: إنه لا بد من يجوز ذلك، من أن يثبت وروده في الشرع، وقد نظرنا فوجدنا أن السجود والركوع لا يجوز أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وقد نهى النبي ﷺ أن يسجد أو يركع أحد لأحد، كما أثنا رأينا في السنة كراهة النبي ﷺ للقيام، فدل ذلك على عدم مشروعيته.

ترى فهل يستطيع أحد أن يقول عنا حين نمنع السجود لرسول الله ﷺ: إننا ننكر جاهه ﷺ وقدره؟ كلا، ثم كلا.
فظهور من هذا بجلاء- إن شاء الله تعالى- أنه لا تلازم بين ثبوت جاه النبي ﷺ وبين تعظيمه بالتوسل بجاهه مادام أنه لم يرد في الشرع.

وإن من جاهه ﷺ أنه يجب علينا اتباعه وإطاعته، كما يجب إطاعة ربنا، وقد ثبت أنه قال: «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا أمرتكم به». فإذا لم يأمرنا بهذا التوسل ولو أمر استحباب فليس عبادة، فيجب علينا

التوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقه أو حرمته أو بركته، لأن يقول المتسل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك.. أو بحرمتة.. أو بركته أن تقضي حاجتي.

فهذا عمل لم يشرعه الله ولم يبلغه رسوله ﷺ، ولا أمر به، ولا حض عليه، ولم يصل إلينا عن أحد من أصحابه، رضي الله عنهم.

وقد احتج المحيزنون لهذا النوع من التوسل بحديث: «تosalوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم». وهو حديث باطل لا أصل له في كتب الحديث، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة، كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة»، قال: «مع أن جاهه ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين، ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق، فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه، فهو شريك له في حصول المطلوب، والله تعالى لا شريك له، كما قال سبحانه: «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهم ما من شرك وما له منه من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا ملئ آذن له» [سبا: ٢٢، ٢٣]، فلا يلزم إذن من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيماً، أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم

الحلف بمخلوق على مخلوق، فكيف يجوز
الحلف بالمخلوق على الخالق؟! كأن يقول
مثلاً: اللهم أني أقسمت عليك بفلان، أو
أسالك بحق فلان أن تقضي حاجتي.
قال الشيخ ابن أبي العز الحنفي: «وأما
الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور؛
لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على
الخالق؟! وقد قال عليه السلام: «من حلف بغير الله
فقد أشرك». ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه
رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي:
أسالك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك،
وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، كما
أن القول: بجاه فلان عندك أو نتوسل إليك
بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلاناً
عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فاجب
دعائنا، وهذا أيضاً محذور فإنه لو كان هذا
هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلون في
حياة النبي صلوات الله عليه وسلم لفعلوه بعد موته، وإنما
كانوا يتتوسلون في حياته بدعائه، ويطلبون
منه أن يدعوا لهم، وهو يؤمّنون على دعائه،
كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات رسول
الله صلوات الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه: لما خرجوا
يسألونك: اللهم إنا كنا إذا أجدنا نتوسل
إليك بنبينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم
نبينا، معناه: بدعائه الله لنا، وشفاعته
عنه، وليس المراد أن نقسم عليك به - أو
نسألك بجاهه عنده، إذ لو كان ذلك مراداً،
لكان جاه النبي صلوات الله عليه وسلم أعظم وأعظم من جاه
العباس». اهـ.

الصحابي لم يقسموا على الله بالنبي.. ولم يسألوه به

قال ابن تيمية رحمه الله: التوسل بمعنى
الإقسام على الله بذاته صلوات الله عليه وسلم أو السؤال به،
فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في
الاستسقاء ونحوه لا في حياته، ولا بعد
مماته، لا عند قبره، ولا غير قبره، ولا يجوز

اتباعه في ذلك وأن ندع العواطف جانبها.
ولا ننسح لها المجال حتى تدخل في دين
الله ما ليس منه بداعوى حبه صلوات الله عليه وسلم، فالحلف
الصادق إنما هو بالاتباع، وليس بالابتداع،
كما قال عز وجل: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَأَتَيْنَّكُمْ يُحِبُّكُمُ اللَّهُ»، ومنه قول الشاعر:
تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا وربى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعنه
إن المحب ملئ يحب مطيع
وقال شارح الطحاوية رحمة الله: «ولا
 المناسبة بين ذلك - أي صلاح المتتوسل به - وبين
استجابة الدعاء، فكان المتتوسل يقول: لكون
فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي؛ وأي
 المناسبة في هذا... وأي ملازمة؟ وإنما هذا من
الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: (ادعوا
ربكم تضرعاً وخفية إنما لا يحب المغترين).
وهذا... ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم
ينقل عن النبي صلوات الله عليه وسلم ولا عن الأنئمة رضي الله
عنهم أجمعين، وإنما يوجد مثل هذا في
الحروز والهياكل - أي التمام - التي يكتب بها
الجهال والطريقية والدعاء من أفضل العبادات،
والعبادات مبناتها على السنة والاتباع لا على
الهوى والابتداع».

النوع الخامس: الإقسام على الله جل وعلا بالتتوسل به

كان يقول: اللهم أقسم عليك بفلان أن
تقضي لي حاجتي.. والأصل في القسم أو
الحلف أن يكون بالله تعالى؛ لأنَّه عبادة،
ومعلوم أن العبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله
عز وجل، ولذا فإنه لا يجوز القسم أو الحلف
بغيره سبحانه. وقد ثبت في الصحيحين أن
النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو
ليقسم». وفي لفظ: «من حلف بغير الله فقد
أشرك». رواه أحمد والترمذى والحاكم
وصححه، فإذا فهم هذا فيتعين أنه لا يجوز

هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة. ونختم الموضوع بهذه الفتوى الهامة :

فتوى رسمية
من مفتى الديار المصرية

نشرتها مجلة الإذاعة المصرية في ١٩٥٧/٣/٧

سئل فضيلة الأستاذ حسن مأمون مفتى الديار المصرية سؤالين هامين عن زيارة الأضرحة والتوكيل، فأجاب فضيلته بما يلي:
س ١: ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة، أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة، وتقبيلها والتوكيل بالأولياء؟

ج ١: أود أن أذكر أولاً: أن أصل الدعوة الإسلامية، يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزاج الشرك بالله. ولا شك أن التوكيل بالأضرحة والموتى، أحد هذه المزالق، وهي رواسب جاهلية، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نهى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام، قالوا له: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوكيل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله، أو التقرب منه، ومن مظاهر هذه الزيارات: أفعال تتنافى كلية مع عادات إسلامية ثابتة، فالطواف في الإسلام، لم يشرع إلا حول الكعبة، وكل طواف حوك إلى مكان آخر، حرام شرعاً، والتقبيل في الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله: «وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْبِلُ مَا فَعَلَتْ». فالتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح، أو أي مكان به حرام قطعاً.

وتاتي بعد ذلك الشفاعة، وهذه هي في الآخرة غيرها في الدنيا، فالشفاعة ارتبطت في

أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسان لأخر أخطأه عند رئيسه، وببيده أمره، يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة، غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة، فهذه الشفاعة لن تكون إلا من يرتضي الله أن يشفعوا، ولا شخص يستحقون هذه الشفاعة، وهؤلاء أيضاً يحددهم.

إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمه، فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أي كان، فإن هذا عبث؛ لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم.

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة غير الشرعية والطواف حولها وتقبيل المقصورة والأعتاب، والتوكيل بالأولياء، وطلب الشفاعة منهم، كل هذا حرام قطعاً ومناف للشريعة، أو فيه إشراك بالله، وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة، لتبيان هذه الحقائق، فإن الكثير من العامة بل ومن الخاصة، من لم تتح لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة، يقعون فريسة الرواسب الجاهلية التي تتناقض مع الإسلام، وإذا أخذ الناس بالرفق في هذا الأمر، فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة، لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم.

س ٢: هل يجوز النذر لغير الله، مثل أن ينذر أحدهم نتاج ما شنته أو ريع أرضه، أو مبلغًا من المال لأحد الأولياء؟ وهل يقر الإسلام هذه الذنور؟

ج ٢: وردت الآيات صريحة في أن النذر لا يجوز إلا لله، والنذر لغير الله شرك، فالنذر طاعة، ولا طاعة لغير الله. والله من وراء القصد.

القول الجلي

في

الولاية والولي

كتبه: معاوية محمد هيكل

وفي حديث العرباض بن سارية: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عصوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله». [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أيها الناس، من كان منكم مستنداً فليستن بن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوباً، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامته دينه فاعرفاً لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينيهم فإنهما كانوا على الهدى المستقيم». فالدين الخالص الذي يرضى به الله هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام علمًا وعملاً واعتقاداً.

وعلى أساس ذلك المنهج السلفي نتناول في هذا المقال حقيقة الولاية والولي فنقول مستعينين بالله العلي:

قال تعالى: «أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا يَخْوُفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ أَمْتُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشُّرِيَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُمُ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [يوسف: ٦٢-٦٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادي لي ولیاً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى عبدي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنواافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سالني لأعطيه، ولئن استعاذني لاعينته». [البخاري ج ٤/٥ - ٢٣٨٤ رقم ٦١٣٧].

وقد الحق الكذابون والوضاعون بهذا الحديث: « Ubidi أطعني تكن عبادي ربانيًا تقول للشيء: كن فيكون»، فلا بد من رد هذه الزيادة المذكورة، إذ لا يقول للشيء كن فيكون إلا الله تعالى.

الحمد لله وكفى وسلام على عباده
الذين اصطفى وبعد، فلكي نفهم الإسلام
فهمًا صحيحاً لأبد من الرجوع لسلف هذه
الأمة في فهم الكتاب والسنة، وإلا فإن إسلام
الشيعة يختلف عن إسلام الصوفية
والخوارج والمعتزلة، وكل هؤلاء يخالفون
ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته
الكرام، وقد أثنى الله على الصحابة بقوله:
﴿كُلُّنُّمْ خَيْرٌ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقال
النبي ﷺ: « خير الناس قرنى، ثم الذين
يلونهم، ثم الذين يلونهم ». [رواه البخاري
[٢٥٠٩]

الولاية... ومن تشمل؟!

الولاية ليست قاصرة على الأموات، بل تشمل الأحياء والأموات والرجال والنساء، والكبار والصغار، فكل مؤمن تقى فهو ولی من أولياء الله، وبحسب إيمانه وتقواه، تكون ولایته لله تعالى، تحرم معاداته ومن عاده دون وجه حق فقد عرض نفسه لحرب من الله لا طاقة له بها، وطريق الولاية طريق واضح لا طلسمات فيه ولا شعوذات، بل هو طريق اكتملت معانيه في الكتاب والسنة، وسلكه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان.

معنى الولادة والولى

فسر الطبرى الأولياء بأنهم أنصار الله، ثم نقل ما جاء من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة بمكانتهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أسموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور؛ لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾. [صحىح أبي داود (٣٠١٢)].

ثم قال الطبرى: والصواب من القول فى ذلك أن
يقال: «الولي - أعني ولی الله»: هو من كان بالصفة
التي وصفه الله بها وهو الذى أمن واتقى كما قال
الله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ». اهـ.

فأولياء الله هم خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقيل: إن الوالي سمي ولباً من مواليه للطاعات أي متابعته لها، وهذا المعنى يدور بين الحب والقرب والنصرة، وقد ذكرت الكلمة في تسعين موضعًا من كتاب الله، منها أربعة وخمسون في جانب أولياء الله، وستة وثلاثون في جانب أولياء الشيطان وأعداء الله، قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا وَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْرِبُونَ الصَّلَاةَ وَيَنْهَا وَنَّ عَنِ الرَّكَاةِ وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيِّرَ حُمُّمُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبه: ٧١]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الَّذِينَ

اتَّخِذُوا دِينَكُمْ هُرُوا وَلَعِيَا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أَوْلِيَاءُ ﴿الْمَائِدَةَ: ٥٧﴾ وَقَالَ تَعَالَى: أَتَتَّسِعُوا مَا أَنْزَلَ إِنَّكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ وَلَا تَنْتَسِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴿الْأَعْرَافَ: ٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجُذُوا عَدُوَّيْ وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءُ تَنْقُضُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُلْوَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُوكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحدة: ١٠]

الولاية ووسائل تخصيصها !!

هذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يتضمن الإيمان وإتباع الفرائض بالنهاول، والفرائض ليست فقط هي الخمس التي اشتمل عليها حديث أركان الإسلام في البخاري: «بني الإسلام على خمس»، بل هي كثيرة جداً يصعب حصرها، فمنها الجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام، وترك المعاصي من أعظم فرائض الجهاد، ومن الفرائض الباطنة للإخلاص والبعد عن سوء الخلق والتباغض والتدابر والكبير والعجب، والتزام الصدق والبعد عن التفاق وأداء الأمانة، والبعد عن الخيانة، والتحلي بالصبر والخشية والتوبه والحب في الله والبغض في الله.

والنوازل شاملة جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وزكارة وحج، وهي كل ما ندب الله سبحانه الله من غير إلحاح أو فرض.

التفاضل، س. الأولياء

وأفضل الأولياء هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسول هم أولوا العزم، وأفضل أولي العزم نبينا محمد ﷺ، ويتلوكه نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، صلوات الله عليهم وسلم، أجمعين، وأفضل هذه الأمة بعد نببيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين، لإجماع الصحابة على ذلك، ومن قدم علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهمما في الفضل والخلافة هو ضال مبتدع، بل ولا يصح تقديم علي على عثمان رضي الله عنهمما، وقد استقر الأمر على تقديم عثمان في الفضل والخلافة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهمما: «كنا نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم

أبا بكر رم عمر رم عُمان». (رواه البخاري).
وأفضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة الستة
الباقيون إلى تمام العشرة المبشرين بالجنة، ثم

هو رحمة الله أن الرفاعة دهنو أجسادهم بدهن الضفدع حتى يقاوموا النار، وبمثل هذه الأباطيل يلبس على كثير من الدهماء والعوام وتزيد الأعطيات وتوزع الهبات، وتملا خزانة هؤلاء الدجاجلة من غير حل، فالله أعلم بعذابنا من الزلزل.

وقد توسيع الصوفية في مفهوم الولاية حتى جعلوها للمجانين والمخلفين عقلياً، وكان الله تعالى لم يخل الولاية إلا لفادي العقول والحمقى والمغفلين ومرتكبي الكبائر، فإنما لله وإنما إليه راجعون. [الفكر الصوفي].

العجزة والكرامة!!

معجزات الأنبياء كثيرة، وقد كانت معجزة كلنبي من جنس ما برع فيه قومه مثل عصا موسى وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص -بإذن الله- ليعسى عليه السلام ومعجزة القرآن الكريم بالنسبة لرسول الله محمد ﷺ، وكذلك انشقاق القمر على عهده ﷺ ونبع الماء من بين أصابعه وتكتير الطعام وحنين الجزع والإسراء والمعراج وإجابة دعائة.

والكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يدولي من أوليائه معونة له على أمر ديني أو دينيوي، ويفرق بينها وبين المعجزة؛ لأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة. وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة ودللت الواقع قديماً وحديثاً على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لهدي أنبيائهم ولم تزل الكرامات موجودة في هذه الأمة لم تقطع إلى يوم القيمة، وقد انكر الفلاسفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كما انكر الكرامات المعتزلة وبعض الشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة وهي دعوى باطلة لأن الكرامة لا تقترب بدعوى الرسالة شرح الواسطية).

ومن كرامات الأولياء التي لا تُحصى في الأمم السابقة: قصة أصحاب الكهف، وقصة مريم عليها السلام، وفي الصحابة والتابعين ما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية لما أرسل جيشاً وأمر عليهم سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدواً فهزموانا فإذا بصائج: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأمسكنا ظهورها للجبل فهزمهم الله، ومن ذلك إخبار

البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحدبية، والصحابة كلهم رضوان الله عليهم هم خيار أولياء الله المتقدّن، لقول النبي ﷺ في الحديث: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

وأفضل التابعين على وجه الجملة هو أوييس بن عامر القرني، وأفضلهم علمًا هو سعيد بن المسيب، كما قال الإمام أحمد، وسيدنا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمره بنت عبد الرحمن، وعلماء الأمة من أولياء الله، كما قال الإمام الشافعي، رحمة الله، إذا لم يكن العلماء بأولياء الله، فليس لله ولـ، قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْتَنِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ». طبقات الأولياء!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين مقتصدون، والأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، فلا عصمة لأحد في هذه الأمة بعد النبي ﷺ لا لصاحب ولا لإمام ولا ولی، بل الجميع يجوز عليهم الكبار والصغار، لكن للصحابة مزية على كل من جاء بعدهم للسبق للإسلام ولجهادهم في سبيل الله، ولشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ، ولذلك قال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأُوَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَئْمَنَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ حَالَلِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبه: ١٠٠]، وقد توهם البعض أن الولاية لا تثبت إلا بحدث الكشوفات والخوارق أو أن الولاية قاصرة على المقيورين كأبي العباس المرسي، وإبراهيم الدسوقي وأحمد البدوي... وهذا كله خطأ و Zumع فاسد.

غاية لا ولاية!!

لقد شاع وذاع بين الناس أن الولي هو ذلك الドريش مرقع الثياب حافي القدمين الذي يهدي أحياناً ويتمتن بكلمات، وقد يتعامل مع شياطين الجن فيخبرونه عن بعض الأشياء أو يعمل في السحر والشعوذة، وقد تساعدهم الشياطين بجلب أشياء لهم، ونحو ذلك مما يلبس على كثير من الناس، وقصة شيخ الإسلام ابن تيمية مع الرفاعة مشهورة عندما تحداهم بأن يغسلوا بالماء الحار ويدخلوا النار كما كانوا يصنعون، فنكصوا وأخبروا

تَهْتُوا».

قال ابن تيمية: وإذا عرفت أنه لابد للولي من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنّة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء منها يخالف هذا المعيار فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولِي الله، فإن أمثل هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاراتق شيطانية وتلبسيات إبليسية، ولهذا نراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر ومن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرع الله سبحانه لعباده، وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستثمار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم وقانون معروف حتى ينتهي حاله، إلى أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد ويتناول بعد مضي أيام شيئاً يسيرًا فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية، فيدرك ما لا يدركه غيره، وليس هذا من الكرامات في شيء، ولو كان من الكرامات الربانية والتفضلات الرحمانية لم يظهر على أيدي أعداء الله كما يقع كثيراً من المرتاضين من كفارة الهند الذين يسمونهم الآن الجوكية، وقد يظهر شيء مما يظن أن كرامة على لسان بعض المجانين، وسبب ذلك مما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتذير للذين يستمران للعقلاء، فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء، في يأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتكب في القانونات قاعد في المزابل وما يشابهها. فيظن من لا حقيقة عنده أنه من أولياء الله، وذلك ظن باطل وتخيل مختل وهو في الحقيقة مجرون قد رفع الله عنه قلم التكليف ولم يكن ولينا الله ولا عدواً. اهـ

هامش:

(١) يقال للرجل الصادق الظن: محدث، والمحدث هو الملم الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدساً وفراسة. [إنسان العرب]

أبي بكر بأن بطن زوجته أثني، وإخبار عمر بن من يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ مع الأسد والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله أبداً قسمه، وأبي مسلم الخولاني في نجاته من النار التي أوقدها له الأسود العنسي مدعى النبوة باليمن. [«الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية].

ضوابط ومعايير!!

لا تلازم بين الولاية وظهور الأمور الخارقة للعادة، فكثير من أولياء الله الصادقين من الصحابة والتابعين لم يحدث لهم خوارق وهم من هم في الفضل والسبق.

يقول الليث: لو رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة. قال الشافعي رحمة الله: قصر والله الليث بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة. لذلك فالخوارق التي تحدث للعباد وتجري على أيديهم: منها كرامات رحمانية ومنها خوارق شيطانية، وضابط الكرامة لزوم الاستقامة. قال الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة. اهـ.

إذا استقام العبد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلا يبعد أن تحدث له كرامة رحمانية، كما حدث لكثير من الصحابة، وفي الحديث: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون» (١)، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم». [متافق عليه]. وفي لفظ في الصحيح: «إن في هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر».

ثم عمر رضي الله عنه مع كونه من المحدثين بالنصل، كان يشاور الصحابة ويشاورونه ويراجعونه، ويراجعونه، ويحتاج عليه بالكتاب والسنة، ويراجعون جميعاً إليهم، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول، أقول فيها، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله منه بريء، وكان أبو سليمان الداراني يقول: «إنها لتقع في قلبي النكتة - أي المسألة - من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة». وقال أبو عثمان - النيسابوري: «من أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول: «وَإِنْ تُطِعُوهُ»

واجب العبودية

معاوية محمد هيكل



إقامة واجب العبودية، هي الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» [الذاريات: ٥٦]، وهذا النوع من التوحيد هو أعظم أصول الدين، ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» [النحل: ٣٦].

وجميع الرسل أرسلوا لتحقيق إخلاص العبودية لله سبحانه وحده لا شريك له، فلا يعبد إلا الله وحده ولا يدعى إلا هو.

قال تعالى: «فَقَالَ يَا قَوْمَ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ» [المؤمنون: ٢٣]، وهذه هي دعوة هود وصالح وشعيب وإبراهيم.. وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهٌ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ» [الأنبياء: ٢٥]، وكان أول أمر يتوجه إليه «يَا أَيُّهَا الْمُذَّلُّرُ (١) قُمْ قَائِدُرُ (٢) وَرَبُّكَ فَكَبِرُ» [المذتر: ٣-١]، وربك فكبر أي عظم ربك بالتوحيد وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وهذا قبل الأمر بالصلاوة والزكاة والصوم والحج ومعنى قم فائز، أي أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده، وهذا قبل الإنذار عن الزنا والسرقة والربا وغير ذلك من المحرمات.

للرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَأَعْدَهُمْ عَدًا (٩٤) وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةَ فَرْدًا» [مريم: ٩٥-٨٨]. ووصف الملائكة بأنهم: «بَلْ عِبَادُ مَكْرُمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقُولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» [الأنبياء: ٢٧-٢٦]، وأمر الخلق بالعبادة حتى الممات فقال: «وَأَغْبَدْ رَبُّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينَ» [الحجر: ٩٩]، أي حتى يدرك الموت لا تتفكر عن طاعة الله ولا عن عبادته سبحانه، وكان النبي ﷺ يقول: «لَا تطروني سبّانه، وكأن النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ولما خير ﷺ بين أن يكوننبيًا ملّا وبين أن يكون عبدًا رسولًا تواضع لجذاب الله، واختار أن يكون عبدًا رسولاً، يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد وي تمام

العبودية تشريف وتكريم

وصف النبي ﷺ في أشرف مقاماته بالعبودية:

قال تعالى: «سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ» [الإسراء: ١] وفي مقام الدعوة «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَيْدًا» [الجن: ١٩]، وفي مقام الرد على من ادعى نبوة عيسى «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِيَنِي إِسْرَائِيلَ» [الزخرف: ٥٩]، وقال: «وَقَالُوا اتَّخِذِ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سَبّانَهُ بَلْ عِبَادُ مَكْرُمُونَ»، «وَقَالُوا اتَّخِذِ الرَّحْمَنَ وَلَدًا لَقَدْ جِئْنُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَشْقِقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجَبَالُ هَذَا (٩٠) أَنْ دَعَوْنَا لِلرَّحْمَنَ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي

نومة العبد، وهذا هو أشرف وأرفع المقامات.

تصحیح مفهوم العبادة

.

العبادة في اللغة هي التذلل والخضوع.

يقولون: طريق معبد أي مذلل ممهد.

وفي الشرع: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. من الدعاء والخوف والرجاء والتوكيل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والاستعاة والاستغاثة والذبح والنذر إلى غير ذلك من أنواع العبادة، وصرف شيء من هذا لغير الله شرك بالله، مناف لكلمة التوحيد: لا إله إلا الله التي أرسل لأجلها تعالي رسالته، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، وأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجars، فهي منثا الخلق والأمر والثواب والعقاب، عليها نصبت القبلة، وأسست الملة، وأجلها جردت السيف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار

السلام وعنها يسأل الأولون والآخرون: فلا تنزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسائلتين: ماذا كنت تعبد؟ وماذا أجبت المرسلين؟ جواب الأول بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة، كما ذكر ابن القيم - رحمة الله - .

العبادة الحقة

العبادة لابد فيها من كمال الحب مع تمام الخضوع والذل، فهما ركناً لانتهاء العبادة إلا بهما، فالرجل يحب زوجته مثلاً ولا يقال عبدها إذ خضوعه وذله لله تعالى.

ولا تصح العبادة إلا بالحب والخوف والرجاء، فلابد للعبد أن يكون محبًا لربه في كل أعماله، قال تعالي: «(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ)» [البقرة: ١٦٥]، وأن يكون خائفاً ربه، يخاف وعيده وعقابه، قال تعالي: «إِنَّمَا ذَلَّكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَعَهْ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٧٥].

وأن يكون راجياً رحمة ربِّه، قال تعالي: «يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبَاً وَرَهْبَاً وَكَانُوا لَنَا حَاسِعِينَ» [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالي: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [البقرة: ٢١٨].

قال بعض السلف: من عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجى ومن عبده بالحب فقط فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فقط فهو حروري (نسبة إلى حرورة التي اعتصم بها الخوارج) ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن

عموم مفهوم العبادة

ومن الأدلة على عموم مفهوم العبادة قول النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة» [روايه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وصححه الألبانى].

ثم قوله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠].

وقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك» [روايه الترمذى وأبو داود وصححه الألبانى].

وبين أهل العلم أن هذا يدل بمفهومه أن الحلف بالله عبادة لأنه تعظيم له عز وجل والعبد يحلف بمن يقدر على الانتقام منه إن حلف به كاذباً.

والتحاكم إلى شرع الله عز وجل، عبادة كما قال يوسف عليه السلام: «يَا صَاحِبِي السَّجْنِ

حُنَفَاءٌ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الرِّكَاهَ وَذَلِكَ بَيْنَ الْقِيمَةِ [البينة: ٥].

لأن الرياء محبط للعمل، قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل أشرك معه فيه غيري تركته وشركته».

٣ - أن تكون مبنية على أساس العقيدة الصحيحة، قال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكْرِ أَوْ أَثْنَى أَوْ هُوَ مُؤْمِنٌ» [النساء: ١٢٤]، وقال تعالى: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَنْتَهِي وَهُوَ كَافِرٌ» [البقرة: ٢٧]، وقال تعالى: «وَقَدِمْنَا إِلَيْهِ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مُنْثُرًا» [الفرقان: ٢٣]، فاليهود والنصارى وأشباههم لا يقبل منهم شيء ولو كان مما يتقربون به إلى الله تعالى.

العبادات توفيقية

والاصل فيها الحظر اي أنها تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا» [المائدة: ٣]، أما المعاملات فالاصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية.

رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمشي في الحج بين رجلين يسندانه فقال ﷺ: «ما هذا؟» فقالوا: يا رسول الله نذر أن يحج ماشياً. فقال ﷺ: «إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني مروه فليركب» رواه البخاري ومسلم، فنهى ﷺ عن فعل لم يشرعه الله عز وجل، وإن كان فاعله قاصداً به التبعد والتقرب إلى الله عز وجل. واتى رجل إلى الإمام مالك وقال: من أين أحرم؟ قال: من حيث أحرمت من أبعد منه. قال مالك: لا الرجل؛ فإن أحرمت من أبعد منه. فقال الرجل: تفعل فإني أخاف عليك الفتنة. فقال الرجل: فلما فتنتك في ازيد من الخير؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: «فَلِيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فَتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

معاني العبودية تتجلى في فريضة الحج

الحج من أبلغ أنواع التعبادات في ترکيبة النفوس، حيث ينصرف العباد إلى مقتضي الاسترقاء، وتظهر فيه معاني العبودية المضمرة عندما تعظم شعائر الله، ولذلك لبى

موحد، فال العبادة الحقة هي التي يتوافق فيها حب الله وخوفه لله، والرجاء فيما عند الله، ومن هنا ندرك خطأ من قال: أنا لا أعبد الله خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، ولكن أعبد الله حباً لذاته!! وهذا كلام مخالف لنصوص الشريعة ولما كان عليه الأنبياء والمرسلون، كما سبق بيانه.

وأدعية النبي ﷺ الثابتة كثيرة في سؤال الله الجنة والتعوذ به من النار، وهو صلوات الله وسلامه عليه سيد الأولين والآخرين، وأكثر الخلق عبودية وتقوى لله تعالى.

شروط صحة العبادة

العبادة لابد فيها من نية وصحة وإخلاص ومتابعة، قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠]. فإذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، والخاصص ما كان ابتعاه وجه الله، والصواب ما وافق سنة رسول الله ﷺ، فالواجب علينا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأن نعبد الله بما شرع وليس بشرع أحد سواه.

ومن هنا ندرك خطأ من يرفض الطاعات والعبادات بزعم الاكتفاء بالنوايا الحسنة، كما ندرك خطأ التقصير في واجب العبودية بسبب دواعي العرف والعادة، والكثرة. قال تعالى: «وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونُ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [السجدة: ٣٦].

وباختصار فال العبادة المقبولة لابد لها من شروط ثلاثة وهي:

١ - أن تكون مطابقة لما جاء به النبي ﷺ لأن الله يقول: «وَمَا أَنْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَتْهُوا» [الحشر: ٧] وقال: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء: ٨٠].

وقال الرسول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [صحيح الجامع: ٨٩٣]. وقال: صلوا كما رأيتموني أصلني» وقال: «خذوا عني مناسكم». [رواوه مسلم].

٢ - أن تكون خالصة لوجهه تعالى لأنه يقول: «وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

أنس رضي الله عنه: «لبيك بحجة حقا، لبيك
تعدا ورقا» ولبى غيره «لبيك ذا المعراج، لبيك ذا
الفواضل، لبيك وسعديك والخير كله بيديك،
والرغباء إليك والعمل» والتزم النبي ﷺ تلبية
«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن
الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وكلها إعلان بتوحيد الله عن جهل وإدامة
للطاعة والعبودية له، والاعتراف بشكره
سبحانه، وهي في ذات الوقت مجانية للمشركين
الذين كانوا يلبون «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا
شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك»
والمسلم يستشعر وهو يلبي، قيمة العقيدة التي
توحد قلوب العباد، ويعلم بتجابوب الكون
والأصداء من حوله، يقول رسول الله ﷺ: «ما
من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله، من
حجر، أو شجر، أو مدر حتى تقطع الأرض من
ها هنا وهاهنا» رواه الترمذى والبيهقى والحاكم
وصححه.

والرجل إذا حج يرتدي إزاراً ورداءً يذكره
بكفنه، ويقفز به من سجن ضيق إلى عالم فسيح،
حيث ينأى عن العادات والمالوفات، ويخرج من
بلده وقد شعر باخوة المؤمنين على اختلاف
الجنس واللون والوطن « وإن هذه أممكم أمة
واحدة وأنا ربكم فاعبدون ».

شعائر الحج رد على دعاء اتباع العقل

والحج تحد لعباد العقل، ودعوة إلى الإيمان
بالغيب واتباع الأمر المجرد بعيداً عن العادات
والمالوفات والحضارة المصطنعة والمجتمع
القاسي، فيصل إلى بيت يزوره الناس من كل فج
عميق وأوب سحيق، شرعاً غبراً متواضعين لرب
البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله. ليكون
ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم
وإنقيادهم ولذلك وظف عليهم في الحج أعمالاً لا
تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار
بالأحجار والتردد بين الصفا والمروءة على سبيل
التكرار وبمقابل هذه الأعمال يظهر كمال الرق
والعبودية «الم(1) أحسب الناس أن يئرثوا أن
يقولوا أمناً وهم لا يُفتنون (2) ولقد فتنَ الذين
من قبْلِهِم فليَعْلَمَنَ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَ
الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ٣٠] والحكمة ظاهرة في
الصلاوة والزكاة والصيام أما أعمال الحج فلا

اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في
الإقدام عليها إلا باعث الأمر المجرد وقد
الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع
فقط. ولذلك قال أنس لبيك بحجة حقا تعدا
ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها.

وعباد الرحمن إذا عرض لهم الشيطان
بخاطر أو وساوس فقال لهم: سمعت هاجر
فلماذا تسعى، ورمى إبراهيم لما عرض إيليس
له فلماذا ترمي؟ فاعلم أنها وسوسه ولا بد من
إرغام أنف الشيطان، ولأن تخر من السماء إلى
الأرض أهون عليك من أن تجد ما تجد فانت
عبد الله «إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون»
[الأعراف].

الحج طاعة يتقلب بها الحاج بين مكة
ومنى وعرفات والمزدلفة، يقيم ويرحل ويمكث
ويتنقل ويختيم ويقطع ليست له حرية ولا
اختيار ولا حكم إلا الامتثال فهو طوع إشارة
ورهين أمر، يلبت مبني ثم ينتقل إلى عرفات
من غير أن يقف بالمزدلفة وقد تحدثه نفسه
بالمكث بعد الغروب ولكنه ينصرف بسكنية
ووقار فليس البر بالإسراع. ويجمع الظهر
والعصر بعرفات بعد سماعه الخطبة. جمع
تقديم. ويجمع المغرب والعشاء بالمزدلفة جمع
تأخير ويصنف ذلك كما صنعه رسول الله ﷺ،
 فهو عبد لله وليس عبداً لعاداته، ثم يؤمر
بالانتقال إلى منى وهذا كانت حياة إبراهيم
وحياة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة
والسلام، نزول وارتحال ومكث وانتقال وعقد
وحل ونقض وإبرام ووصل وهجر لا خضوع
لعادة ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى،
ولذلك قال النبي ﷺ يوم عرفة «كونوا على
مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم»
[رواية الترمذى وقال حسن].

ولا يملك المسلم في النهاية إلا أن يهتف
بقوله تعالى: «قل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا
شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»
[الأنعام: ١٦٢].
 والله من وراء القصد .

ورحل الإمام العلّام

بقلم: معاوية محمد هيكل

وقال الحسن البصري: موت العالم ثلامة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

فقد فجعنا فجيعة عظمى اهتزت لها قلوب الموحدين، وذرفت لها دموع الصالحين، فقد فقدنا ويا أعز ما فقدنا - الإمام العلم - شيخنا ومعلمتنا، الشيخ صفتون نور الدين. ولكننا لا نقول إلا ما يرضي ربنا: إننا لله وإن إليه راجعون، وكما علمنا نبينا عليه السلام: إن القلب ليحزن، وإن العين لتندمع، وإن لفراقي يا إمامنا لمحزونون.

ففي زمان كسوف شمس العلماء وذهاب الآخيار والفضلاء، أفل نجم جديد في سماء التوحيد، ورحل عن عالمنا علم بارز من أبرز علماء الإسلام وأعلامنا النبلاء وإمام جليل بار من أئمتنا النجباء، جند حياته كلها وقلمه ولسانه لخدمة ونصرة دينه، حتى أتاه اليقين.

فعزاؤنا يا شيخنا أنك للتوحيد قد دعوت، وحياتك له قد وهبت، وطوئت به في بلاد الدنيا فشرقت وغربت، وعلى طريق السنة قد مضيت، ودافعت عنها ونافحت.

فقد كان لمقالاتكم ومحاضراتكم الأثر المبارك في قلوب جماهير الأمة، كما كان لها وقع السهام على رؤوس اللئام، فما زال الشرك يعصب رأسه من جراح عميقه ثخينة غرزها فيه قلمك ولسانك بالأمس، وإذا كانت

أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، ونحمد الله عز وجل رضي بقضائه واحتساباً لأجر الصبر على بلائه.

الحمد لله الذي كتب الفداء على كل شيء، فقال في كتابه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ عَاهَكَ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، والصلوة والسلام على من كان موته للناس أعظم مصاب شهادته الأرض، ومن مات له عزيز فليتعزز برسول الله عليه السلام الذي قال له ربه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَتَشَرَّبَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتْ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيَّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيَّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وبعد: فإن المصائب جلل، والخطب فادح والفراغ جد كبير، فقد أصيّبت الأمة الإسلامية في أعز ما تملك.

أصيّبت في علمائها وأئمتها، وأصبحنا نعيش زمان قبض العلماء، فقد قال النبي عليه السلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء».

المنية يا شيخنا قد وافتك على قدر، فإن ما
غرسته من خير لأمتك باق لك في الذكر
والاثر: «وَنَحْنُ نَوْكِبُ مَا قَدَّمْنَا وَأَثْارَهُمْ...» [يس:
.] ١٢

ونحن من ثمار غرسك، فاهم الحق
يموتون ويبقى ذكرهم، ولأن مصابينا يا
شيخنا فيك جلل، فنحن والله لا نقوى أن
نقول: قد مات لنا ميت، بل نقول: قد مات
فيينا ميت. نور الله بالإيمان قبرك، وأفسح لك
فيه مد بصرك، وجمعك بصحبك وسلفك
وببارك الله لك في عقبك، وعوضنا الله خيراً
في فقدك. اللهم آجرنا في مصيبتنا واحلف
لنا خيراً منها.

وأنتم يا أهل السنة، يا صفووة الأمة، قد
مضى الشيخ وأفضى إلى ربه، تاركاً لكم
الأمانة والمسؤولية، فكونوا عند حسن ظن
الناس بكم، فالدعوة مترخص بها في الداخل



والخارج، فخافوا الله وانتقوه، واعلموا أنكم
ملاقوه: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرُّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءَ فَالَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْرَاجًا» [آل عمران: ١٠٣]، «وَلَا تَنَازَعُوا
فَتَنَفَّسُلُو وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٦]، «وَلَا تَحَاسِدُوا وَلَا
تَنافِسُوا وَلَا تَباغضُوا وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا
عِبَادَ اللَّهِ إِخْرَاجًا».

وبادروا بالعمل الداعوب في الدعوة إلى
الله تعالى، وكما قال الحسن: فإنما هي
الانفاس لو حبس انتهت عنكم أعمالكم،
إنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل
محفوظ، الموت والله في رقابكم والنار بين
أيديكم، فتوقعوا قضاء الله في كل يوم
وليلة، لقد فضح الموت الدنيا، فلم
يترك لذى لب فرحاً، وإن أمرًا هذا
الموت آخره لحقيقة أن يزهد في
أوله، وإن أمرًا هذا الموت أوله لحقيقة
أن يخاف آخره، وإن الله لأن تصحب
إخوانًا يخوفونك حتى تدرك أمراً خيراً لك من
أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلتحق
المخاوف.

وكان سعيد بن جبیر يقول: لو فارق ذكر
الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليّ قلبي.
وقال عون بن عبد الله: كم من مستقبل
يوماً لا يستكمله، ومنظر غداً لا يبلغه، لو
تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل
وغررره.
أعانتنا الله وإياكم على حمل أمانة
التوحيد، ووقانا الله الفتنة ما ظهر منها وما
بطن.
والله من وراء القصد.

أنصار السنة المحمدية

«أصول وقواعد منهجية»

إعداد: معاوية محمد هيكل

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلاماً على
عبدة الذين اصطفى وبعد ...

فقد تميزت دعوة أنصار السنة
الحمدية منذ نشأتها الأولى وعبر
تاريخها الطويل بالمحافظة على أصول
المنهج السلفي الأصيل وقواعده في تلقي
الإسلام وفهمه وتطبيقه ودعوة الناس
إليه، وهي بذلك تمثل الخط المستقيم
والامتداد الطبيعي لل المسلمين الأوائل
الذين توفي النبي صلى الله عليه وسلم
وهو عنهم راض، قال تعالى:
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَضِيَّوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه : ١٠٠].

ولما كان الأمر كذلك كان لزاماً علينا أن نبني أصول المنهج الذي ننتمي إليه ونشرف بالانتساب إليه وقواعده

أولاً الأصول : قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فالأصول الثابتة بالكتاب والسنّة والإجماع هي بمنزلة الدين المشتركة بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ، ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام وهم أهل السنّة والجماعة ، وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوّعت فيه الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهُدُوا فِيَنَا لَهُمْ سَبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلَى الْحَسْنَى ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ رُضْوَانَةً سُبُّلَ السَّلَامِ وَيُرَجِّحُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَادِينَ وَيَهْبِطُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥، ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الْكِتَابَ فَلَا تَنْهَا عَنِ الْحُكُومَاتِ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [آل عمران : ٢٠٨] .

وقال أيضاً: ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ما شرعيه من الدين، وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء من الكتاب والسنة هو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون وهو الكتاب والسنة، وسيويف المسلمين تنصر هذا الشرع . اهـ .
وأول هذه الأصول:

تقديم الشع (النقل) على العقل

أول هذه القواعد اتباع السلف في الفهم والتفسير، وهي من السمات البارزة لمنهج السلف، ففي الصفات الإلهية إثباتها بلا كيفية، وفي المسائل الأخرى، اتخاذ الأولي قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولًا ثم الاقتداء بالصحابة؛ لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التالية، وكانوا مؤتلين في أصول الدين ولم يفترقوا فيه ولم يظهر فيهم البعد والأهواء، فيتميزون بأنهم يبدلون بالشرع ثم يُخصّبون العقل له، بما يتفق مع الشرع، وأن الأولي كانوا أكثر فهمًا ودرأة للشرع من غيرهم.

وَظَهَرَ أَصْوَلُ الْعِقِيدَةِ لِدِيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ بِصَفَاتِ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْمَائِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةِ عَلَيْهَا وَلَا نَقْصٍ
مِنْهَا وَلَا تَأْوِيلٍ لَهَا بِمَا يَخَالِفُظَاهِرَهَا وَلَا تَشْبِيهَهَا
بِصَفَاتِ الْمَلَوْقِينَ، بِلْ أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ فِي كِتَابِ
اللهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَرِدَوا عَلَمُهَا إِلَى قَاتِلَهَا.

قال ابن تيمية في «نقض المنطق» (ص ٣٠٩):
«العقل عندهما ما وافق هديهم ، والجهول ما
خالفهم ، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا

هذه الآثار».

طريقتهم في إخضاع العقل للنص ، لا العكس مخالفين بذلك قواعد المتكلمين من المعتزلة والأشعرية الذين قدموا العقل وأولوا النصوص تبعاً له ، مستدلين بما استدل به ابن تيمية من قوله تعالى : « أَنْتُونِي بِكِتابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثْارَةً مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ حَنَاقِينَ » ، وقوله : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَى إِنْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكُنْ صَدُودًا » ، فالآثار هي الرواية ، وفي الآية الثانية دليل على نفاق من يحاكم إلى غير الكتاب والسنة ، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات من الأمور الماخوذة من بعض طواغيت المشركين والكتابيين وهذا الاعوجاج في التفكير الذي قوله ابن تيمية هو الذي يتخذه أصحاب المنهج العقلي المعتزلي المعاصرون ، الذين يحاولون إخضاع الدين والشريعة لمطلقات العصر المتبددة ، ومن جملة هؤلاء محمد عبد وتلاميذه مدربته العقلانية ، ومن تأثر بهمنجه من اتباعه كعلى عبد الرزاق ، وطه حسين ، وقاسم أمين ، والكوكيبي.

ومنهجهم يصرحون فيه بوجوب تأويل النص ليوافي مفهوم العقل: وهو مبدأ خطر، فإطلاق كلمة « العقل » يرد الأمر إلى شيء غير واقعي! فهناك عقلي وعقلك وعقل فلان ، وليس هناك عقل مطلق لا يتناوله النص والهوى والجهل يحاكم النص القراني إلى مقراراته ، وإذا أوجبنا التأويل ليواافق النص هذه العقول الكثيرة فإننا ننتهي إلى فوضى! ولقد حاول أصحاب الاتجاه التغريبي إخضاع النصوص لأهوائهم وعقولهم ، وفسروا الدين في ضوء ما يذهب إليه مفكرو الشرق والغرب وفلسفته ، ولذا وجب الحذر والتحذير ، وخصوصاً مع اشتداد هذا التيار في أيامنا هذه بزعم الحداثة والتطوير والتنوير !! إن الإسلام جاء ليقوم عوج الحياة لا يذر بها عوجها.

أقوال علماء السلف

يقول ابن تيمية رحمة الله : ولا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بنوقة ووجود ومكافحة ، ولا قال قط : قد تعارض هذا العقل والنقل ، فضلاً عن أن يقول : فيجب تقديم العقل ، والنفل يعني: القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتبعين ، فإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه .

[مجموع الفتاوى ٢٨/١٣] .

يقول الشاطبي في الاعتصام : إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه

على السنة أنبيائه ورسله، ولذلك قال تعالى : « وما

كُنْتُ مُعذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَّتْ رَسُولًا » [الإسراء : ١٥] ، وقال : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » [النساء : ٥٩] ، وقال : « إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ » [الأنعام : ٥٧] ، وأشباه ذلك من الآيات والأحاديث، فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال في التشريع وأنه محسن ومقبح فابتدعوا في دين الله ما ليس فيه.

وقال شارح الطحاوية : « وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص ، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إليني حيث لم يسلم لأمر ربه ، بل قال : « أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طين » [الأعراف : ١٢] .

وقال تعالى : « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تُوَلِّ فَمَا أُرْسِلْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ حَفِظًا » [النساء : ٨٠] ، وقال تعالى : « قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَنْقُضُّ لَكُمْ دُنْبُوكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » [آل عمران : ٣١] ، وقال تعالى : « فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مِّمَّا قَضَيْتُ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [النساء : ٦٥] .

اقسام سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليماً .

» [الطحاوية] [ص ١٩، ١٩١] .

وقال أبو المظفر السمعاني : « أعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أنسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمتأثر بغير المعتقد ، وأما أهل السنة ، فقالوا: الأصل في الدين على الاتباع والمعقول تبع ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم وليبطل معنى الأمر والنهي ، وقال من شاء ما شاء ، ولو كان الدين بني على المعقول وجب لا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعلقاً . » [صون المنطق] [ص ١٨٢] .

ويقول ابن تيمية رحمة الله : إن كثيراً مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضاً والقرآن بين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وبينه عليه كما ذكر الله ذلك في غير موضع ، فإن الله سبحانه وتعالى بين من الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وغير ذلك مما أرشد العباد إليه ودلهم عليه ، كما بين أيضاً ما دل على نبوة أنبيائه ، وما دل على المعاد وإنما ، فهذه المطالب هي شرعية من جهتين : من جهة أن الشارع أخبر بها ، ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليها ، والأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية ، وقد بسطت في غير

والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القول بالجبر.

أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيمة؟
أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال.

أم عقل من قالوا بوحدة الوجود ... إلخ.
ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول : ثم المخالفون لكتاب والسنة ، وسلف

الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج». فإن من انكر الرؤية يزعم أن العقل يحييها، وأنه مضطرب فيها إلى التأويل ، ومن يحيي أن لله علمًا وقدرة ، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول : إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل ، بل من يذكر حقيقة حشر الأجساد ، والأكل والشرب الحقيقيين في الجنة ، يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطرب إلى التأويل ، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطرب إلى التأويل .

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيي العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله .

فيما ليت شعرى ، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟! فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم . [مجموع الفتاوى] .

هذا ، وإن فريقاً من قدسوا عقولهم ، وخدعوهم أنفسهم ، واتهموا سنة نبيهم قد انكروا رفع اللهنبيه عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء حيناً بذلة وروحاً ، ونزلوه آخر الزمان حكمًا وعدلاً ، لا شيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون ردها إلى الحكم منها ، واتبعاً لما ظنوه دليلاً عقلياً ، وما هو إلا وهم وخیال .

وردوا ما ثبت من سنة النبي صلى الله عليه وسلم نزولاً على ما أصلوه من أنفسهم من أن العقاد لا يستدل عليها بآحاديث الآحاد ، واتهاماً بعض الصحابة فيما نقلوا من الأحاديث ، وفي ذلك جرأة منهم على الثقات الأمئاء من أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان .

موضع ، وهي أيضاً عقلية من جهة أن تعلم بالعقل أيضاً . [مجموع الفتاوى ج ٣] .

وقال أيضاً في «نقض المنطق» (ص ٤٩) : «العجب أن من هؤلاء - مدعي النظر والاستدلال - من يصرح بـأن عقله إذا عارضه الحديث ، لا سيما في أخبار الصفات ، حمل الحديث على عقله وصرح بتقديمه على الحديث وجعل عقله ميزاناً للحديث ، فليت شعرى !! هل عقله هذا كان مصرياً بتقاديمه في الشريعة المحمدية فيكون من السبيل المأمور باتباعه ، أم هو عقل مبتدع جاهم ضال خارج عن السبيل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله». [انظر «ملاجم رئيسية للمنهج السلفي】 .

أنصار السنة يقتدون بسلف الأمة

وتفقون في وجه دعوة المدرسة العقلية!!

يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي - أحد شيوخنا وعلمائنا البارزين - ناعيًا على من يقدمون العقل على النقل :

ولا يغترن إنسان بما أتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير ، وببساطة في العلم ، فيجعل عقله أصلاً ، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعاً ، فما وافق منها عقله قبله واتخذه ديناً ، وما خالفه منها لوى به لسانه وحرقه عن موضعه ، وأوله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره ، وإلا رده ما وجد في ظنه إلى ذلك سبيلاً - ثقة بعقله - واطمئناناً إلى القواعد التي أصلها بتفكيره واتهامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو تحديدًا لمهمة رسالته وتضييقًا لدائرة ما يجب اتباعه فيه واتهامًا للثقات الأمة ودعولها ، وأئمة العلم ، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة ، ووصلت إلينا عن طريقهم قولًا وعملاً .

فإن في ذلك قلبًا للحقائق ، وإهداً للإنصاف مع كونه نزيعة إلى تقويض دعائم الشريعة وإلى القضاء على أصولها .

إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متباينة وعقولهم متباينة ، وقد تتسلط عليهم الأهواء ، ويشوب تفكيرهم الأغراض ، فلا يكادون يتفقون على شيء ، اللهم إلا ما كان من الحسنيات أو الضروريات .

فإي عقل من العقول يجعل أصلًا يحكم في نصوص الشريعة فترد أو تنزل على مقتضاه فهماً وتأوياً .

أعقل الخوارج في الخروج على الولاة ، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟
أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء

موقف السلف من قضية العقل

لم تكن مشكلة العقل والنقل أو الوحي والمعرفة الإنسانية موجودة لدى السلف الأولين، ذلك أن العقل المؤمن كان حاسماً في موقفه المنهجي المبني على منطق العقل السليم: الوحي من علم الله الذي يمثل الحق المطلق في كل ما قدمه من قضايا، ومن ثم: فإن أي تشكيك في قضية من قضاياه ينقض ذلك الإيمان أي أن هذا التشكيك يعني موقعاً غير عقلي.

العقل مصدر للمعرفة، وهو الوسيلة التي كلفنا الله على أساسها وأمرنا أن ننظر في أمر الرسالة، ومن ثم الوحي من خلالها: «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مُثْنَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَنْفَكِرُوا مَا يَصْحَّبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» [سبا : ٤٦]، لكن هذا العقل جزء من الإنسان المخلوق المحدود، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذي يقدمه الوحي، إنه علم الإنسان أمام علم الله، وهي معادلة واضحة وعاقلة.

درء تعارض العقل والنقل

بعد ذلك التقرير في التلازم بين العقل والنقل، يرد ابن تيمية على المعتزلة - ومن نحا نحوهم - الذين أحدثوا ذلك الانفصام المفتول بين العقل والنقل، وبين أن النقل الصريح لا يعارض العقل الصريح أبداً، حيث قال في كتابه الفريد «درء تعارض العقل والنقل»: «أنزل الله الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه؛ إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء، ولا ريب أن بعض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره، وإن لم يمكنه بيان ذلك لغيره، ولكن ما علم بصريح العقل لا يتتصور أن يعارضه الشرعاً الشريعة، بل المنقول الصريح لا يعارضه معقول صريح.

ولقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها المواقف للشرع.

وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك، وووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه: إنما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضته العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟! ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاوئه، بل يخبرون بما يعجز عن معرفته». [قراءات في منهاج السنة النبوية: للصاويان]

لكن ذلك لم يكن لدى أولئك السلف، أنه ينبغي أن يضم العقل وأن تبطل وظيفته الإبداعية ما دام الوحي موجوداً لم يتظروا إلى إيمانهم بالوحي وحائقته المطلقة على أنه استغناء عن العقل، ومن ثم عزل له، كلا إن العكس هو الصحيح، إن انطلاق العقل - لدى هؤلاء - وإبداعه وفوتوحاته في المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية، وتتنوع نشاطاته، كان نتيجة ذلك الإيمان بالوحي.

والمحض أن أنه لدى السلف - الأولين - من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعיהם بإحسان، كان وجود الوحي - مع توفر العقل - السبيل إلى قيام حياة إنسانية تتحلى في كل جوانبها بالكمال - الممكن بشريانياً - أمنوا بهذا في وعيهم، وتحققوا في حياتهم، فلم يكن وجودهما معاً مشكلة، بل إن المشكلة في فقدان أحدهما، حيث إن فقدان الوحي يحرم العقل من المهادي الذي يدفعه في مجالات العلم، ويحدد له غايات حركته ويرسم له الضوابط التي يحقق بالتزامه بها إنتاجاً منمراً.

كما أن فقدان العقل أو فساده: يعني أن لا يتحقق لتعاليم الوحي وجودها الواقعى في حياة الناس، فتبقى هذه الحياة دون مستواها الإنساني المأمول». [السلفة وقضايا العصر ١٩٧ - ١٩٨].

التلازم بين العقل والنقل

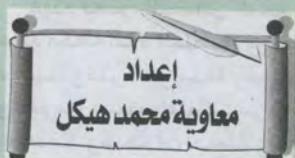
يذكر ابن تيمية وجود التلازم والتوافق بين الأدلة الشرعية النقلية، والأدلة العقلية، فيقول: «والقول كلما كان أفسد في الشرع، كان أفسد في العقل، فإن الحق لا يتناقض، والرسول إنما أخبرت بحق، والله فطر عباده على معرفة الحق، والرسول

أنصار السنة المحمدية

أصول قواعد منهجية

الحلقة الثانية

الحمد
والصلوة والسلام
على رسول الله وبعد
فاستكمالاً لحديثنا
عن الأصول والقواعد
المنهجية لأنصار
السنة المحمدية نقول
بتوفيق الله..



ثانياً: رفض التأويل الكلامي:

فالتأويل عند المتكلمين بعامة يقتضي اتخاذ العقل أصلاً في التفسير مقدماً على الشرع فإذا ظهر تعارض بينهما فينبغي تأويل النصوص إلى ما يوافق مقتضي العقل على العكس من السلف الذين احتجكوا إلى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فطوعوا المخاهيم العقلية لها، لأن العقل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو أمر يقوم بالعقل وليس هو عين قائمة بنفسها كما يعتبره بعض الفلاسفة، والعقل يعجز عن الإحاطة بحقائق الدين، لأنه قاصر، أما الدين فهو دين الله خالق الخلق ومالك الملك.
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤].

وعلى العكس من ذلك أصحاب المنهج الكلامي الذين اعتمدوا على ما رأوه ثم نظروا في الكتاب والسنة فإن وجدوا النصوص توافقه أخذوا بها، وإذا وجدوها تخالفه أولوها لما يتوافق مع عقولهم.

[يتصفون من قواعد المنهج السلفي / د. مصطفى حلمي]
معاني التأويل في الشرع
والتأويل ليس مذموماً كله قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهمْ فقهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلَّمْهُ التَّأْوِيلَ»
وقال تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَرَأْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»
[آل عمران: ٧].

فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل.

لذلك فالتأويل له معان متعددة، يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة والمال، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره.

أولاً: يكون بمعنى التفسير، كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية، يقولون: تأويل

وهذا الدين شامل لكل ناحية من نواحي الحياة، وصالح لكل زمان ومكان، ويتنااسب مع جميعخلق في الماضي والحاضر والمستقبل.

وأما العلم الإنساني الذي يحيط بكل شيء فلم يوجد في الماضي ولن يوجد أبداً قال تعالى: «...وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» [طه: ١١٠]، وقال: «..وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَيْلَادًا» [الإسراء: ٨٥]، وما زالت الاكتشافات العلمية تمضي في طريقها لتبرهن على أنه كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد إحساسًا بجهله وشعورًا بقصوره وعجزه.

وقد رد الإمام أحمد على الجهمية والمعزلة، فبين أن السلف كانوا ينفون عن كتاب الله تحريف الغاليين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وأن منهج السلف فيمن أراد معرفة شيء من الدين أن ينظر فيما قال الله وفيما قال الرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتذكر، وبه يستدل،

صور من تعريف النصوص

تحريف النصوص ظاهرة خطيرة جداً وقع فيها كثير من المبتدعة بدرجات متفاوتة، فقد وسّلفهم في هذا اليهود، فقد وصفهم الله بقوله: «أَفَنَظَمْتُعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [البقرة: 75]. وقال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشَرِّعُوا بِهِ ثُمَّ أَقْرَلُوا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبُوا وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» [البقرة: 79].

وعاقبة التحريف: تشويه النصوص وتکدير المذاهب، حتى يتضليل المبتدعة العبيث في دين الله تعالى.

وهو ثلاثة أنواع بعضها أخفى من بعض:

النوع الأول: تعريف الكلمة

أخذ اليهود بنصيبي وافر من هذه الصفة، فقد قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكَلَّوْا مِنْهَا حَيْثُ شَئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حَطَّةٌ تَعْفُرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسَدُونَ» [البقرة: 58، 59].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل: «وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة» فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوه، وقالوا: حطة حبة في شعرة» [البخاري / 164].

تأويل فاسد. ومن ذلك تأويل المتكلمين لآيات وأحاديث الأسماء والصفات بدعوى التنزية لموافقة أدلة لهم العقلية في قضية الأسماء والصفات. فهذا ليس بدليل تعارض به نصوص الكتاب والسنة ودعوى التنزية لا تعارض الإثبات الذي عليه أهل السنة إذ إنهم لا يكيفون صفة ولا يشبهون الخالق بالخلق، لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: 11] فنفي التشبيه تفريحاً للخالق مع إثبات صفتى السمع والبصر. وبالجملة فليست أدلة المتكلمين العقلية المأخوذة من علم الكلام باطلة تؤول أو تخصص أو تقيد بها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره بتطيل شرعى صحيح في نفس الأمر فهذا تأويل صحيح مقبول،

على أن التأويل الصحيح في النصوص عند أهل العلم يتطلب كذلك:

١ - أن يحتمل اللفظ لغة هذا المعنى المرجوح.

٢ - ورود ما يفيد وجوب هذا التأويل لظاهر النصوص الشرعية من النبي إذ يمتنع اقتضاء صرف ظاهرها نصوص الكتاب والسنة عن ظاهره بدون بيان وإرشاد من النبي ﷺ.

٣ - بيان النبي ﷺ لذلك وأن ظاهر النص غير مراد.

٤ - سلامية دليل التأويل من معارض.

[انظر أضواء البيان للشنقيطي ونقض المنطق لأن تيمية ص ٥٦، ٥٩].

قوله تعالى كذا وكذا. ثم يذكرون المعنى وسمى التفسير تأويله لأننا أو لنا الكلام، أي: جعلناه يؤول إلى معناه المراد به.

ثانية: تأويل بمعنى: عاقبة الشيء، وهذا إن ورد في طلب فتاوile فعله إن كان أمراً وتركه إن كان نهاية، وإن ورد في خبر فتاوile وقوعه.

مثلاه في الخبر قوله تعالى: «هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَةً يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحُقْقَ» [الأعراف: ٥٣].

فالمعنى: ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومال ما أخبروا به، يوم يأتي ذلك الخبر به، يقول الذين نسواه من قبل: قد جاءت رسائل ربنا بالحق.

ومنه قول يوسف لما خر له أبوه وإخوته سجداً قال: «..هذا تأويل رؤيائي من قبل..» [يوسف: ١٠٠] معناه: هذا وقوع رؤيائي لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

ومثلاه في الطلب قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ بعد أن أنزل عليه قوله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفُتُحُ» [النصر: ١] يكثر أن يقول في رکوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم أغفر لي» يتاؤل القرآن. أي: يعمل به.

ثالثاً: المعنى الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره المتبارد منه إلى احتتمال آخر مرجوح لدليل يقتضي ذلك.

فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل على الصحيح فهذا

فَعُلُوٌّ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ》 [الأنعام: ١١٢]. والعبارة للمعنى لا لالفاظ فكم من باطل اقيم على دليل مزخرف عورض به دليل الحق.

ومن أمثلة التحريف: تأوياً، المبتدعة لآيات الصفات كتفسير صفة الغضب بارادة الانتقام وتفسيرهم الرحمة بإرادة الإنعام وقولهم أن المراد باليدين النعمة أو القدرة، وكذلك تاویل الشفاعة والصراط، والمیزان، وعذاب القبر، وتحوها. وأسرف بعض القراءة والباطنية ومن نحا نحوهم حينما جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً، فجعلوا الظاهر: قرآن العامة، والباطن: قرآن الخاصة.

قال ابن تيمية: «التأویل المذموم الباطل هو: تاویل أهل التحریف والبدع الذين يتأولونه على غير تاویله، ويدعون صرف اللطف عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك. (الفتاوى ٦٧/٣).

وقال أيضاً: «هذا التاویل في كثير من الموضع - أو أكثرها - وعامتها - من باب تحریف الكلم عن مواضعه، من جنس تاویلات القراءة والباطنية، وهذا هو التاویل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصادروا بأهله من أقطار الأرض ورموا في آثارهم بالشہب» (الفتاوى ٤٩/٤).

وللامام ابن القیم کلام متین في خطورة التاویل، قال في مقدمته: «أصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التاویل الذي لم يرد له رسوله بكلامه، ولا دل عليه أن الله أراده، وهل اختللت الأمم على أنبيائهم إلا

هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَاءَ مُوسَىٰ
بِيَقْاتِنَا وَكَلَمَةُ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟ فهو المعتزل!

النوع الثاني: تحریف المعنى معبقاء الفظاعلي ما هو عليه:

والمحضوب به: صرف اللطف عن ظاهره، وما يفهمه كل عربي من معناه، وهو الذي يسميه بعض المتأخرین بالتأویل، وهو أكثر خفاء من النوع الأول، وباب التاویل الفاسد وغير المستساغ باب عريض دخل منه الزناقة لهدم الإسلام، حيث حرفاً النصوص وصرفوها عن معانیها الحقيقة، وحملوها من المعانی ما يشتهون، وقد قال بشر المریسي: «ليس شيء انقص لقولنا من القرآن، فأقاربوا به في الظاهر، ثم صرفوه بالتأویل».

قال ابن أبي العز الحنفي: «وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحریف: تاویلاً، تزیننا له وزخرفة، ليقبل. وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوحِي بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُّحْبَنْ القُولُ غُرُورًا وَلُؤْ شَاءِ رَبِّكَ مَا

والمعنى حبة حنطة. وتحريف اللطف يؤدي إلى تحريف المعنى غالباً ولهذا اتصف به المبتدعة ومن أمثلة ذلك تحريفهم لقوله تعالى «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [طه: ٥]: فظاهر اللطف أن الله استوى على العرش: علا عليه، ولكن المبتدعة صرفوا اللطف عن ظاهره وحرفوه وقالوا (استوى) بمعنى (استولى).

وهذا تحريف بين لأنه ما دل عليه دليل، بل الدليل على خلافه. وقد جمع الإمام ابن القیم في نونیته بين تحریف اليهود وتحریف الجهمية.

(٦٢/٢): فقال:

أمر اليهود بـان يقولوا حطة فابوا وـقالوا حنطة لهـوانـ وكذلك الجهمي قيل لهـ استـوىـ فـابـيـ وزـادـ الحـرـفـ لـلنـقـصـانـ لـلنـكـرانـ

ـنـونـ اليـهـودـ وـلامـ جـهـمـيـ هـماـ فيـ وـحـيـ رـبـ العـرـشـ زـائـدـتانـ وـقدـ كانـ المـعـتـزـلـةـ يـحـرـفـونـ كـثـيرـاـ مـنـ النـصـوـصـ، وـمـنـ ذـلـكـ

قول الله تعالى:

«وَرَسُّلًا قَدْ قَصَّصَتَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُّلًا لَمْ نَقْصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمُ اللهِ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤].

حيث يقرؤون لفظ الجلة بالنصب، لكي يوافق مذهبهم الباطل في نفي صفة الكلام لله عز وجل.

ومن لطائف الأجوية العلمية المفحمة للرد عليهم: أن أحد المعتزلة قال لأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: «وَكَلَمُ اللهِ مُوسَىٰ» بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت



براءة أنصار السنة من التحرير والتعطيل

التعطيل بمعنى التخلية والترك، كقوله تعالى: «وَيُنْهِي مُعْطَلَةً» [الحج: ٤٥]؛ أي: مخلة متروكة.

والمراد بالتعطيل: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلاً.

فأهل السنة والجماعة لا يعطّلون أي اسم من أسماء الله، أو أي صفة من صفات الله ولا يجحدونها، بل يقرّون بها إقراراً كاملاً.

فإن قلت: ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟

قلنا: التحرير في الدليل والتعطيل في المدلول؛ فمثلاً إذا قال قائل: معنى قوله تعالى: «بَلْ يَدْأَهُ مَبْسُوطَتَانِ» [المائدة: ٦٤]؛ أي بل يقوّاه هذا محرف للدليل، ومعطل للمراد الصحيح؛ لأن المراد اليد الحقيقة؛ فقد عطل المعنى المراد، وأثبتت معنى غير المراد. وإذا قال: بل يداه مبسّطتان؛ لا أدرى؛ أفوض الأمر إلى الله؛ لا أثبت اليد الحقيقة، ولا اليد المحرّف إليها اللّفظ. نقول: هذا معطل، وليس بمحرف؛ لأنّه لم يغير معنى اللّفظ، ولم يفسّره بغير مراده، لكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله عزّ وجلّ.

أهل السنة والجماعة يتبرّعون من الطريقتين: الطريقة الأولى: التي هي تحريف اللّفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى المعنى غير

من غير أن يدل الدليل عليه. كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه».

ثم يذكر مثلاً على ذلك يقول: «إذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله فالالتزام قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت واحد، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات، لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه، لأن التزام الأمور غير الازمة شرعاً شأنها أن تفيد التشريع، وخصوصاً مع من يقتدي به في مجتمع الناس كالمساجد، فإنها إذا ظهرت هذا الظهور، ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ في المساجد وما أشبهها كالاذان وصلاة العيددين والاستسقاء والكسوف. فهم منها بلا شك أنها سنن، إذا لم تفهم منها الفرضية، فاحرر إلا يتناولها الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعاً محدثة بذلك» [يتصرّف من منهج التقلي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة/ للصويان]

هذا النوع من التحرير من الانواع الخفية جداً، وقد يقع فيه كثير من يرد الخير وهو قليل البضااعة في العلم والفهم، كما أنه مدخل واسع لكثير من البدع، نسأل الله السلامة.

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام في شرح هذا النوع من التحرير: «يريد الدليل على مناطق فيصرف عن ذلك المناطق إلى أمر آخر موهماً أن المناطق واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن موضعه، والعياذ بالله...».

ثم قال: «وببيان ذلك: أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات، مثلاً فاتى به المكلف في الجملة، ذكر الله والدعاء والتواكل المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيه التوسعة، كان الدليل عاصداً لعلمه من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص، أو مقارناً لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية، أو الزمان، أو المكان، مقصود شرعاً



تعالى: «هُلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» [مريم: ٦٥]. ولكن المراد من نفي الكيف نفي علمنا بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته عزوجل إلا هو سبحانه.

وما سئل إمام دار الهجرة عن قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [طه: ٥]، قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة.

[شرح الواسطية/ للشيخ الهراس]

اعترافات علماء الكلام بذم التأويل الكلامي

وشهد شاهد من أهلها، فقد أدان علماء الكلام أنفسهم وندموا على استغفالهم بعلم الكلام وتبرعوا مما قالوا فمن ذلك:

قال الرازى في آخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق: القرآن. أقرأ في الإثبات «الرحمن على العرش استوى» و«إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه». وأقرأ في النفي: «ليس كمثله شيء» و«ولا يحيطون به علمًا». و«هل تعلم له سميًّا ثم قال: من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

[شرح العقيدة الطحاوية]

وقال أيضاً:

نهاية إقدام العقول عقال واكثر سعي العالمين ضلال وارواحنا في حشة من جسمونا وغایة دنيانا اذى ووبال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا قال أبو المعالي الجوهري: «لقد خضت البحر الخضم»

علوًا كبيرًا.
الثاني: كتشبيه المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، فيقولون له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق ونحو ذلك. تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.
قال ابن القيم - رحمه الله -: لسنا نشبه ربنا بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان كلا ولا نخليه من أوصافه إن المغطى عابد البهتان من شبه الله العظيم بخلقه فهو الشبيه بمشرك نصراني أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان

براءة أنصار السنة من تكييف صفات الله عزوجل

التكييف: هو أن تذكر كيفية الصفة، ولهذا تقول: كيف يكتيف تكييفًا، أي ذكر كيفية الصفة.
والفرق بين التكييف والتمثيل:
أن التكييف: أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا. أو يسأل عنها بكيف. وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

وليس المراد من نفي التكييف نفي الكيف مطلقاً فإن كل شيء لابد أن يكون على

كيفية ما، وصفات الله عزوجل لها كيفية، ولكن

لا تصل إليها

عقولنا كما قال

تعالى:

«لَيْسَ

كَمْ ثُلَّهُ

شَيْءٌ»

[الشورى: ١١]

، وقال



المراد. والطريقة الثانية: وهي طريقة أهل التفويض؛ فهم لا يفوضون المعنى كما يقول المفوضة بل يقولون: نحن نقول: «بَلْ يَدَاهُ»، أي: يداه، الحقيقيةتان «مَبْسُوطَاتَان»، وبها غير القوة والنعمة.
فعقيدة أهل السنة والجماعة بريئة من التحرير ومن التعطيل.
وبهذا نعرف ضلال أو كذب من قالوا: إن طريقة السلف هي التفويض.
فالذين يقولون إن مذهب أهل السنة هو التفويض؛ أخطأوا؛ لأن مذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية.

وليعلم أن القول بالتفويض - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - من شر أقوال أهل البدع والإلحاد:
[شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين]

براءة أنصار السنة من التشبيه والتمثيل بين الغالق والمخلوق

التمثيل كالتشبيه. وهو اعتقاد مشابهة المخلوق بالمخالق، وتمثيل صفاتهم. وهو ينقسم إلى قسمين:
الأول: تشبيه المخلوق بالخالق وذلك كتشبيه النصارى المسيح بن مريم بالله، وكتشبيه اليهود عزيزراً بالله، وكتشبيه المشركين أصنامهم بالله تعالى الله عن قولهم

بالتأويل الكلامي الفلسفى قد اعترفوا بأن تأویلهم لا مستند له وأن الحق هو اتباع منهجه السلف فله الحمد والمنة.

وختاماً فعقيدة أنصار السنة في هذا الباب مصدرها القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة

فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدراً في معرفة ذلك، ولا يجوز تشبيه الله بخلقه ولا تعطيل صفة من صفاته سبحانه، قال تعالى: «ولم يكن له كفوا أحد»، وقال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»، والكاف عن التأويل في هذا الباب، هو إجماع السلف لا تجوز مخالفته إذ اجمعواهم حجة على من بعدهم، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم، والتأويل بدعة وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن إثبات ذات رب إثبات وجود، لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات تفويض كيف لا تفويض السلف، الله تعالى، فتفويض السلف، تفويض كيف لا تفويض معنى، ومن نسب إليهم تفويض المعنى وأن آيات الصفات من المتشابه بمعنى أنه لا يعلم معناها بالكلية، وأن ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف.

فالخير كل الخير في اتباع من سلفه، والشر كل الشر في ابتداع من خلفه.

والله من وراء القصد.

كتابه (إلحاد العوام عن علم الكلام): «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني الصحابة والتابعين». ثم قال: «إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسلم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل» ثم بينها فقال:

الأول: من تلك الأصول أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم.

الاصل الثاني: أنه بلغ كما أوحى إليه ولم يكتم منه شيئاً.
الاصل الثالث: أن أعرف الناس بمعانى كلام الله وأحرامهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه وحضروا التنزيل.

الاصل الرابع: أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لاقبلوا عليه ودعوا إليه أولادهم وأهلهem.

ثم قال الغزالى: «وبهذه الأصول الأربع المسلمة عند كل مسلم نعلم بالقطع أن الحق ما

قالوه والصواب

ما رأوه». اهـ.

[انتظر

أضواء

البيان

للشنة يطي

المنتظم لابن الجوزي

ج ٩ ص ١٧]

وبعد فقد

بان واتضح

أن أساطين

القول

وغضت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليك بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأمأوت على دين العجائز، ويختتم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الاخلاص، فالويل لابن الجوزي».

وقال أيضاً: يا أصحابنا لا تستغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

قال أبو حامد الغزالى: من أشد الناس غلواً وإسراها طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقاد الشرعية بادلتها التي حررناها فهو كافر، فهو لاء ضيقوا رحمة الله على عباده أولاً، وجعلوا الجنة وقفًا على شرذمة يسيرة من المتكلمين.

وقال أيضاً: وأما الخلافيات التي أحدثت في العصور المتأخرة، وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف، فإياك أن تحيط حولها، واجتنبها اجتناب السم القاتل.

فإنها الداء العضال

واحترز من

شياطين الإنس، فإنهم

أراحو شياطين

الجن من التعب

في الإغواء والإضلal.

وقال

أيضاً في

أنصار السنة الحملية أصول وقواعد منهجية

الحلقة الثالثة

بعلم

معاوية محمد هيكل

من الوحي الذي ليس بالقرآن». وقال الطبيبي: «أعاد الفعل في قوله «وأطيعوا الرسول» إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في أولى الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لم تجب طاعته».

ونهى سبحانه وتعالى عن التقديم بين يدي الله ورسوله، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ» [الحجرات: ۱]، قال ابن عباس رضي الله عنهم: «لَا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»

[الطبراني: ۱۱۶/۲۶]

فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه فحقه التعظيم والإجلال والامتثال وهذا هو طريق الفوز والفالح قال تعالى: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [۵۱] وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» [النور: ۵۱، ۵۲].

إذا جاء الأمر من الله فلا مجال للاختيار أو التردد بل يجب التسليم والانقياد، قال تعالى: «وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونُ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الأحزاب: ۳۶].

وقد نفى الله الإيمان عنّ اعرض عن كلام رسول الله ﷺ ولم يرض به أو وجد في نفسه حرجاً من ذلك، قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسِّلَمُوا تَسْلِيماً» [النساء: ۶۵].

وبين الله عز وجل أن سبب الإعراض عن طاعة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد..

فإذا كان المسلمون اليوم يتلمسون طريقاً للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي. عودة الإسلام إلى معينة الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا هو الأصل الهام والمعلم البارز الذي تميز به أهل السنة عن غيرهم في الماضي والحاضر. وهذا ما نعرض له بالتفصيل في هذه الحلقة إن شاء الله فنقول بتوفيق الله:

ثالث: الاستدلال بالقرآن والسنة بفهم سلف الأمة

يعتمد المنهج الشرعي للاستدلال عند أهل السنة والجماعة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وإجماع السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، واختلف العلماء في القياس، ورجح الجمهور اعتباره مصدرًا من مصادر الاستدلال، إذا استوفى شروطه العلمية الصحيحة. وأدلة الشريعة كثيرة لا تحصى في الأمر بتعظيم الكتاب والسنة والالتزام بهما والإعراض عما سواهما قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنٌ تَأْوِيلًا» [النساء: ۵۹]، قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه والرد إلى رسوله إن كان حيًّا فإن قبضه الله إليه فالرد إلى سنته» [الطبراني: ۱۵۵/۵].

وقال الحافظ في الفتح: «فكان التقدير: أطيعوا الله فيما نص عليكم القرآن وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى: أطيعوا الله فيما أمركم به من الوحي المتبع بتلاوته وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به

لمنعهن^{١٩}. [أخرجه مسلم (٢١/٣)]
وعن قبيصية الشامي: أن عبادة بن الصامت
خرج مع رجل إلى أرض الروم فنظر إلى الناس
وهم يتبايعون كسرة الذهب بالدنانير وكسرة
الفضة بالدرارهم، فقال: يا أيها الناس، إنكم تأكلون
الربا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبايعوا
الذهب إلا مثلاً بمثل لا زيادة بينهما ولا نظرة»
فقال رجل: لا أرى الربا يكون في هذا إلا ما كان من
نظرة! فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ
وتحديثي عن رأيك؟ لئن أخرجنني الله لا أساكتك
بأرض لك على فيها إمرة. فلما قفل لحق بالمدينة
قال له عمر: ما أقدمك يا أبا الوليد؟ فقص عليه
القصة، فقال: ارجع إلى أرضك وبدلك ولا إمرة له
عليك، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك.
[الإياتانة (٢٥٧/١)]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:
تمتع النبي ﷺ (متعة الحج). فقال عروة بن
الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن
عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ،
ويقول: نهى أبو بكر وعمر!!.

[أخرجه أحمد (٤٨/٢)]

وحدث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد
بحديث أبي هريرة: «احتاج أدم وموسى» فقال أحد
الحاضرين: كيف هذا وبين أدم وموسى ما
بينهما^{٢٠} قال: فوثب هارون، وقال: يحدثك عن
الرسول ﷺ وتعارض بكيف^{٢١} فما زال يقول حتى
سكت عنه. [عقيدة السلف (١١٧)]

وقال رجل للزهري: يا أبا بكر، حديث رسول
الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود»، و«ليس منا
من لم يوقر كبارنا»، وما أشبه هذا الحديث^{٢٢}..
فاطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه فقال: من الله
عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلىنا
التسليم. [السنة للخلال (٥٧٩/٣)]

ثانياً: التثبت في فعل السنة والإنكار على من خالفها
من أجل ما تقدم كله كان السلف الصالح رضي
الله عنهم أشد ما يكونون في التثبت والتحري في
فعل السنة، فلا يفعلون شيئاً إلا بعلم، ولا
يحكّمون آراءهم، ولا يستحسنون بعقولهم عبادة
لم تكن من هدي النبي ﷺ. فها هو ذا رجل يعظن
إلى جنب عبد الله بن عمر، فيقول: الحمد لله،

رسوله إنما هو اتباع الهوى، قال تعالى: «فَإِنْ لَمْ
يُسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ
أَضَلَّ مِنْهُمْ أَنْتَ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ بَعْدَ هُنَّا مِنَ اللَّهِ إِنْ
اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [القصص: ٥٠].

وقد توعّد الله عز وجل المخالفين لأوامره
بقوله: «فَلَنْ يُحَذَّرُ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ عَنْ أَمْرِهِنَّ
تُصْرِيبَاهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصْرِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»
[النور: ٦٣]، وبقوله: «وَمَنْ يَشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ
يُبَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
لَوْلَهُ مَا تَوَلَّ وَنَحْنُ لِهِ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًا»
[النساء: ١١٥].

فأصل هذا الدين الاستسلام والخضوع
والانقياد لله ورسوله، قال تعالى: «وَمَنْ يُغْلِظْ
شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَفْوِي الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢].
والاعتماد على المصادر الثلاثة المعصومة -
وهي الكتاب والسنة والإجماع - هو أساس دين
الإسلام.

منهج السلف في تعظيم نصوص الشريعة

لقد سطر السلف الصالح رضي الله عنهم
أروع الأمثلة وأصدق المواقف في الالتزام بأمر
النبي ﷺ وتعظيمه . والوقوف عند حدوده بدون
زيادة أو نقصان، وقد ظهرت دلائل ذلك فيما يلي:

أولاً: تعظيم كلام النبي ﷺ

عن أبي قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين
في رهط منا، وفيينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران
يومئذ فقال: قال رسول الله ﷺ: «الحياة خير كله»
أو قال: «الحياة كله خير» قال بشير: إنا لنجد في
بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقاراً
للله، ومنه ضعف! قال: فغضب عمران حتى احرمت
عيناه وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ
وتعارض فيه!^{٢٣} قال: فأعاد عمران الحديث. قال:
فأعاد بشير، فغضب عمران. قال: فما زلتنا نقول
فيه إنه منا يا أبا نجید. إنه لا بأس به!! يعني:
أنه ليس متهمًا بالنفاق .. [أخرجه مسلم (٦٤/١)]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ
الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْنَذْتُمُهَا». فقال بلال بن
عبد الله : والله لمنعهن! قال: فاقبل عليه عبد
الله فسبه سبًا سيئًا، ما سمعته سبه مثله قط
وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله،

الكتاب أو السنة لم يتعدوه، اقتداءً بالنبي ﷺ». [فتح الباري (١٣٩٦/٣٣٩)]

وللإمام أحمد بن حنبل قصة طريفة في هذا الباب نقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، قال فيها: «أحمد بن حنبل يستحب المتعة.. متنة الحج.. ويأمر بها، حتى يستحب هو وغيره من الأئمة.. أئمة أهل الحديث.. ملن أحزم مفرداً أو قاريناً أن يفسخ ذلك إلى العمرة ويصير متمتعاً، لأن الأحاديث الصحيحة جاتت بذلك، حتى قال سلمة ابن شبيب للإمام أحمد: يا أبا عبد الله، قويت قلوب الرافضة لما افتتحت أهل خراسان بالمتعة فقال: يا سلمة، كان يبلغني عنك أنت أحمق، وكنت أدفع عنك، والآن فقد ثبت عندك أنت أحمق، عندي أحد عشر حديثاً صحيحاً عن النبي ﷺ، أتركمها لقولك!؟» [منهج السنة (٤/٥١)].

ولهذا قال ابن القيم: «وقد كان السلف يشتد عليهم معارضنة النصوص بآراء الرجال، ولا يقرؤن ذلك.

ومن الأمثلة التي يحسن ذكرها في هذا الباب: أن الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي قال: «روى الشافعي يوماً حديثاً فقلت: أتاخذ به؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة، أو على زnar، حتى إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به!؟» [حلية الأولياء (٩/٦٠)].

ونظير هذا أن محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: قلت لأحمد بن نصر.. وحدث بخبر عن النبي ﷺ.. أتاخذ به فقال ابن خزيمة: «أترى على وسطي زnar! لا تقل لخبر النبي ﷺ: أتاخذ به؟.. وقل: أصحح هو ذا؛ فإذا صح الخبر عن النبي ﷺ قلت به، شئت أو أبيت.» [ذم الكلام (٢/٧٨)].

دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي

قال الشافعي: «اجمع المسلمون على أن من استبان له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس». [إعلام المؤمنين (٢/٢٨٣)].

ـ عن صدقة بن أبي عبد الله أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلت منهم أن يعوّلوا واستحبيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن

والسلام على رسوله. فقال له عبد الله بن عمر: «أانا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال.»

[آخرجه الترمذى (٥/٨١)].
وعن ابن جرير أن طاووساً أخبره: أنه سال عبد الله بن عباس عن الركعتين بعد العصر؟ فنهاه عنهم، قال طاووس: فقلت له: ما دعهما؟ فقال ابن عباس: «ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَغْصُنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الأحزاب: ٣٤]. [الفقيه والمتفقه (١/٤٦)].

ونظير هذا أن سعيد بن المسيب رأى رجلاً يصلّى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة؟ فقال: «لا.. ولكن يعذب على خلاف السنة.

وقال رجل للإمام مالك بن أنس: يا أبا عبد الله، من أين أحزم؟ فقال مالك: من ذي الخليفة، من حيث أحزم رسول الله ﷺ. فقال: إني أريد أن أحزم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدوها! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنت سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: «فَلَيُحَذَّرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

[الفقيه والمتفقه (١/١٤٨)].
ونلاحظ أن هذه الأمثلة للمخالفين عن السنة كانت من منطلق الاحتياط أو الزيادة في الطاعة، ومع ذلك فقد أكد الأئمة على تعظيم النصوص والوقوف عند حدودها، وهم في ذلك على قاعدة عظيمة في تجريد الاتباع، ذكرها سعيد بن جبير وهي قوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع». [آخرجه مسلم (١/١٩٩)].

وقال سفيان الثوري: «إن استطعت لا تحك رأسك إلا باشر فافعل». [ذم الكلام (١/١٨١)].
ولهذا قال الإمام البخاري: «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمانة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها. فإذا وضع

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُهُوا؟! قالت: بلى، قال:
فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الله
وسلم يقول: «لعن الله النامضات».

[البخاري ٤/٨٨٦].

فكان القوم قد كذبوا بالقرآن - أيضا لأن القرآن
الزمن بطاعة رسول الله ﷺ مطلقاً.
وفي هذا رد واضح على أتباع الفرقاة الضالة
المنحرفة الذين يتسمون «بالقرآنيين» وحقيقة
مذهبهم رد الكتاب والسنّة، فينبغي الحذر منهم
والتحذير من منهجهم.

وبهذا يتبيّن أن الكتاب والسنّة هما أصل
الاستدلال، وهو المعيار الذي توزن به الآراء
والاجتهادات، ولا يستقيم إيمان المرء إلا
بتعظيمهما، وامتثال ما دلا عليه من القول والفعل
والاعتقاد.

ويخلص الطحاوي منهج أهل السنّة بقوله:
«ولا ثبت قدم الإسلام إلى على ظهر التسلیم
والاستسلام. فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم
يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامة عن خالص
التوحيد وصافي المعرفة، وصحّح الإيمان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:
«وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم - يعني:
أهل السنّة - اعتصامهم بالكتاب والسنّة فكان من
الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم
بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط يعارض القرآن
برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده.
فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات
البيّنات أن الرسول جاء بالهدي ودين الحق، وأن
القرآن يهدي للتّي هو أقوم». [الفتاوى
[٢٨/١٣]

وقال أيضًا: «فمن بنى الكلام في العلم
الأصول والفروع - على الكتاب والسنّة والآثار
المأثورة عن السالِّقين فقد أصاب طريق النبوة.
وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع
المتعلّق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال
القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنّة
والهدي الذي كان عليه محمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه فقد أصاب طريقة النبوة، وهذه
طريقة أئمّة الهدى...».

والله من وراء القصد

برأيهم، فإياكم وإياهم». - وقال رضي الله عنه: «سيّاتي ناس
يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذلهم بالسنّة، فإن
 أصحاب السنّة أعلم بكتاب الله».

- ولما أرسل أمير المؤمنين على رضي الله عنه
ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى الخوارج قال
له: «اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجهم بالقرآن،
 فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة».

[حجية السنّة ٣٢٩]

وأخرج البيهقي في «المدخل» من طريق شبيب
ابن أبي فضاله المكي، أن عمران بن حصين رضي
الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا
نجيد، إنكم تحدثونا باحاديث، لم نجد لها أصلا
في القرآن فغضب عمران، وقال للرجل: قرأت
القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة
العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغدّة
ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا.
قال: فعمن أخذتم ذلك؟ أستلم عنا أخذتموه، وأخذناه
عن النبي صلى الله عليه وعلى الله وسلم؟ قال: في
القرآن «وَلَيَطْوُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٩]،
أوجدتم فيه: فطوفوا سبعاً واركعوا ركعتين خلف
المقام؟ أوجدتم في القرآن: «لَا شَغَارٌ فِي الْإِسْلَامِ».
أما سمعتم الله قال في القرآن: «وَمَا أَتَاكُم
رَسُولُنَا فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُهُوا»
[الحشر: ٧]، قال عمران: «فقد أخذنا عن رسول الله
شيء ليس لكم بها علم». [حجية السنّة ٣٣٠]

وعن عبد الرحمن بن زيد: أنه رأى محرباً يحج
وعليه ثيابه فقال: أئنتني بآية من كتاب الله تنزع
ثيابي قال: فقرأ عليه «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُهُوا» [الحشر: ٧].

وتبثت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة
جاءت إليه، فقالت له: أنت الذي تقول: «لعن الله
النامضات والمتندضات والواشمات».. الحديث؟
قال: نعم. قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوله إلى
آخره، فلم أجده فيه ما تقول، فقال لها: إن كنت
قرأتني لقد وجديتني، أما قرأت: «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ

أنصار السنة المحمدية

الحلقة الأخيرة

أخذه لم يقلته ثم قرأ: «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد».

[أخرجه البخاري (٣٥٤/٨)، والترمذى (٢٨٩، ٢٨٨/٥)]
فإن هذا الحديث موافق ومؤكد ما في القرآن من قوله تعالى: «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد» [هود: ١٠٢].

٢. الحالة الثانية

وهي أن تأتي السنة مبينة وموضحة لما في القرآن الكريم قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل: ٤٤]، قال الشاطبي في المواقف روى الأوزاعي عن حسان ابن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك.

قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

وهذا البيان على أنواع:
(أ) تفصيل المجمل:

وهو: أن تفصل السنة ما أجمل في القرآن. ومن أمثلة ذلك ما فصلته السنة من مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وكيفياتها من مثل ما ورد من قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتمني أصلي....».

[أخرجه البخاري (١١٠/٢)]
وغير ذلك من الأحاديث فإنه مفضل لما أجمل في قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَذْكُرُوا الزَّكَاةَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [النور: ٥٦].

ومن أمثلة تفصيل المجمل أيضًا ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «فيما سقط السماء والعيون العشر وما سقي بالنضج نصف العشر». [أخرجه البخاري (٤٠٧/٣)]

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد..

فنختم بحثنا عن الأصول والقواعد المنهجية في بيان علاقة السنة بالقرآن الكريم فنقول بتوفيق الله:

أحوال السنة مع القرآن الكريم

وللسنة مع القرآن الكريم حالات ثلاث:
١. الحالة الأولى

وهي: أن توافق السنة أو تؤكّد أمرًا ورد في القرآن.

وفائدة ورود السنة على تلك الحالة تؤكّد، وتقرب، هذا الحكم الذي جاء في القرآن الكريم.

والأمثلة على ذلك متعددة منها:

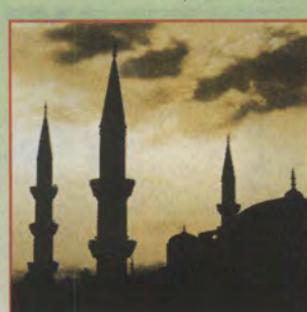
١ - ما ورد في السنة من أحاديث من مثل قوله ﷺ: «استوصوا النساء خيراً فانهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الصلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج».

[أخرجه البخاري (١٠٩١، ١٠٩٠/٩)]
٢ - ومثل قوله ﷺ: «اتقوا الله في النساء فانهن عوان عنكم. اخْلَقْنَاهُنَّ بِامانةِ الله واسْتَحْلَلْتُم فِرْوَاهُنَّ بِكَلْمَةِ اللهِ».

[أخرجه الترمذى (٣٦٧/٣)، وابن ماجه (٥٩٣/١)]
فهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في السنة في هذا الباب من الإحسان إلى النساء وحسن معاملتهن موافق ومؤكد لما ورد في القرآن الكريم.

في قوله تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْنَاهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرِهُوهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كثِيرًا» [النساء: ١٩].

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ورد في السنة من مثل قوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى - يملأ للظالم - وربما قال: يمهد للظالم حتى إذا



أصول وقواعد منهجية

إعداد / معاوية محمد هيكل

العام الذي ورد في القرآن الكريم وبينت أن المقصود بالظلم أشد واقبحه وهو: الشرك.

(ج) تقييد المطلق:

المطلق: هو ما دل على شائع في جنسه، والمقيد: ما أخرج المطلق عن شيوخه بوجه من الوجوه.

وأقول: المطلق هو اللفظ الموضوع لمعنى كلي، والمقيد: هو اللفظ الذي يضاف إلى مسماه معنى زائد عليه فيخرجه عن إطلاقه.

[ينظر: الحديث الشريف من الوجهة البلاغية ص ١٤] والأمر المطلق يرد في القرآن الكريم فتاتي السنة فتقييد هذا الإطلاق الذي ورد في القرآن الكريم.

١ - ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم في حد السرقة - مثلاً - في قوله تعالى: «وَالسَّارِقُ فَاقْطُعُوا أَيْمَانَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [المائدة: ٣٨].

ففي هذه الآية يأمر الله عز وجل وعلا بقطع يد السارق، وهذا أمر مطلق، فهل تقطع اليد اليمنى؟ أم اليسرى؟ أم اليدان معاً؟ ثم موضع القطع؛ هل هو من العضد؟ أم من الرسغ؟ وهذا كله إطلاق في الآية، قيدها السنة ببيانها أن المقصود بالأيدي إحداهما، ويبدأ في القطع باليد اليمنى، وأن موضع القطع من مفصل الكف لا من المرفق، وأن القطع يكون في سرقة ما قيمته ربع دينار فصاعداً، وهكذا فعل رسول الله ﷺ.

فقد روى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: «كان يقطع في ربع دينار فصاعداً».

[أخرجه الترمذى (٤٥٠/٤) وصححه الألبانى]

فهذا الحديث مفصل لما أجمل في القرآن الكريم من قوله تعالى: «وَاتُّوا الزَّكَاةَ».

(ب) تخصيص العام:

وهو: أن تخصيص السنة أمراً عاماً ورد في القرآن.

والعام: هو لفظ يستفرق جميع ما يصلح له بوضع واحد والتخصيص هو صرف الدلالة أو الحكم إلى بعض العام.. أو إلى أحد أنواعه.

[ابن القوي: الذخيرة في أصول الفقه]

ومن أمثلة ما ورد في السنة من تخصيص العام الذي ورد في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢].

فقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم من الآية الكريمة أن المقصود بالظلم عمومه، وهو يشمل أنواعاً كثيرة: ظلم الإنسان لنفسه وظلمه لغيره، وغيرهما.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ».

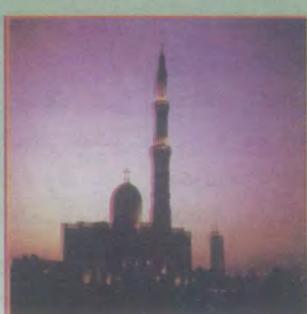
شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيها لا يظلم نفسه؛ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: «إِذَا قَاتَلْتَ لَفْقَانَ لَابْنَهُ وَهُوَ يَعْظِلُهُ يَا بُنْيَيْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣].

فتبين أن الظلم هنا مخصوص، وهو الشرك، لا عموم لفظ «الظلم».

[أخرجه البخاري (٢٧/١)، ومسلم (١١٤/١)، حديث رقم (١٢٤)]

وتلا ﷺ قوله تعالى: «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

فقد خصصت السنة اللفظ



بعده «من الفجر» فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار.

[أخرجه البخاري (٣٥٢)، ومسلم (٧٦٧/٢)]

الحالات التالية استقلال السنة بشرع بعض الأحكام التي لم ترد في القرآن.

والسنة في ذلك تأتي دوراً أساسياً - فوق ما سبق من بيان، أو تفصيل، أو تقيد. أو تخصيص - وهو تمام التشريع الإسلامي، وهي في ذلك لا تخرج عن الإطار العام الذي حدده القرآن بوجوب طاعة الرسول ﷺ وأن في ذلك طاعة الله.

وقد دل على ذلك القرآن والسنة.

١ - فمن القرآن:

١ - قال تعالى: «وَاطِّبُعُوا اللَّهَ وَاطِّبُعُوا الرَّسُولَ وَاحْذِرُوا» [المائدة: ٩٢].

قال الشاطبي: وسائل ما قرن فيه طاعة الرسول بطاعة الله فهو دال على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن، إذ لو كان في القرآن لكان من طاعة الله.

٢ - وقال تعالى: «فَلَيَحْتَرُّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

يقول الإمام الشاطبي: فقد اختص الرسول عليه الصلاة والسلام بشيء يطاع فيه وذلك السنة التي لم تأت في القرآن.

[الموافقات للشاطبي (٤/١٣، ١٤)]

ب - الدليل من السنة:

وقد ثبت في السنة أيضاً أحاديث كثيرة تبين أن أحكام الشريعة تؤخذ من أصلين معاً: الكتاب والسنة وأن في السنة ما ليس في الكتاب وأنه يجب الأخذ بما في السنة من الأحكام كما يؤخذ بما في الكتاب.

- وروى أبو داود - بسنده - عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، إلا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه».

فهنا قد حددت السنة القطع وأن اليد لا تقطع في أقل من ربع دينار.

٢ - ومثاله أيضاً تقديره **الوصية المطلقة** في قوله تعالى: «مَنْ يَغْدِي وَصِيَّةً يُوصَى بِهَا أَوْ نِتَّنْ» [النساء: ١١] بالثالث في قوله **«الثالث والثالث كثير»** [رواية البخاري].

(د) أن توضح السنة أمراً مشكلاً ورد في القرآن الكريم:

والامر المشكلا هو: الملتبس الذي يتسبس على القارئ أو السامع فيخلطه في غيره ولا يستطيع تحديده.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم من مثله قوله تعالى:

«وَكُلُوا وَاشْرِبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» [البقرة: ١٨٧].

فقد فهم بعض الصحابة - وهو عدي بن حاتم الطائي - من لفظ الآية أن المقصود به العقال الأبيض من العقال لأسود وجعل يمسك بهما وينظر فيهما فإذا ميز الأبيض من الأسود أمسك عن الطعام والشراب.

فيبين له النبي ﷺ توضيحاً للشك ان: المراد من الخيط الأسود هو سواد الليل، والمراد من الخيط الأبيض هو بياض النهار، وذلك لا يكون إلا بطلاوع الفجر الصادق.

روى مسلم بسنده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «لما نزلت **«حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ...»** الآية. قال عدي بن حاتم: يا رسول الله! إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالاً أبيض وعقالاً أسود أعرف الليل من النهار فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادتك العريض إنما هو سواد الليل وببياض النهار».

روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أنزلت **«وَكُلُوا وَاشْرِبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ...»** الآية. ولم ينزل **«مِنَ الْفَجْرِ»** فكان رجال إذا أرادوا الصومربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتها، فأنزل الله

٤. النهي عن قتل المسلم بالكافر:

- روى أبو داود بسنده - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين ساله قيس بن عباد هل عهد إليه رسول الله شيئاً لم يعهد إلى الناس عامة قال: «لا، وأخرج إليهم كتاباً وفيه: الا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده».

[أخرجه أبو داود (٤٦٩)، صحيح أبو داود (٣٧٩٧)]

٥. ذكارة الجنين ذكارة أمه:

روى الترمذى - بسنده صحيح - عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «ذكارة الجنين ذكارة أمه». [أخرجه الترمذى وأبو داود وصححه الألبانى] وهكذا نرى أن السنة قد تستقل ببعض الأحكام، وأحكامها في مجموعها لا تخرج عن الإطار الشرعى المحدد لها.

قال الإمام الشافعى: وما سن رسول الله ﷺ في حكم الله سنه وكذلك أخبرنا الله في قوله: «وَإِنْكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الشورى: ٥٢].

وقد سن رسول الله ﷺ مع كتاب الله، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سن فقد الزمان الله اتباعه وجعل في اتباعه طاعته وفي العنود(١). عن اتباعها معصيتها التي لم يغفر بها خلقاً.

[الرسالة للإمام الشافعى ٨٨، ٨٩]

وقد ذكر نحواً من ذلك ابن القيم فى كتابه (إعلام الموقعين) حيث قال فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ يجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديمها على كتاب الله، بل امثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى وسقطت طاعته المختصة به.

وقد قال الله تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّئِسُونَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ» [النساء: ٨٠].

والله من وراء القصد

هامش:

(١) (العنود) «بضم العين» الطغيان أو الميل والانحراف عن الحق مع معرفته. مختار الصحاح ص ٤٥٧.

وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله... الحديث.

[أخرجه أبو داود وصححه الألبانى (٣٨٤٩)]
قال الإمام الخطابى: في قوله: «أوتيت الكتاب ومثله معه» يحتمل أمرين:

١ - أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتى من الوحي الباطن غير المتنو مثل ما أعطى من الظاهر المتنو.

٢ - ثانهما: يحتمل أن يكون معناه أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى، وأوتى من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب.. وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به، كالظاهر المتنو من القرآن.

[معالم السنن للخطابى (١٠/٥)]

وقد ثبت في السنة أحكام كثيرة استقلت بذكرها واحتضنت بتشريعها، فوجب العمل بها. ومن هذه الأحكام:

١. تحرير الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها:

روى الإمام البخارى - بسنده - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها».

[أخرجه البخارى (٦٤/٩)]

وروى بسنده أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها».

[أخرجه البخارى (١٩٣، ١٩٠/٩)]

٢. تحرير الحمر (بضم الحاء والميم) الأهلية:

روى الإمام البخارى - بسنده - عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خير.

[أخرجه البخارى (٥٦٩/٩)]

٣. تحرير أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير:

روى الإمام البخارى - بسنده - عن أبي ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع. وفي رواية مسلم: «وكل ذي مخلب من الطير».

اتبعوا

ولا تبتعواوا

الحلقة الأولى

بقلم : معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي جعل اتباع
رسوله على محبته دليلاً، والصلاحة
والسلام على أكمل الناس هدياً
وأقومهم قيلاً... وبعد:

فإن متابعة النبي ﷺ هي مقتضى
الشهادة بأن محمدًا ﷺ رسول الله
ولازم من لوازمه؛ إذ معنى الشهادة له
بأنه رسول الله حقاً: طاعته فيما أمر،
وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى
عنه ونحوه، وعبادة الله بما شرع.

وهذا تمام المحبة وغاية التوقير؛
ولذا اشتد النكير من الله تعالى على من
سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها،
فقال: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْنَ بِهِ اللَّهُ﴾** [الشورى: ٢١].

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه
أمرنا فهو رُدّ». [رواه مسلم]. أي: مردود
عليه.

الاتباع دليل المحبة وثمرتها

قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٣١].

قال ابن كثير رحمة الله: هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذب في دعوته في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوى في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ولهذا قال: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ﴾** أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: «ليس الشأن أن تُحب، إنما الشأن أن تُحبب». وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**.

قال ابن القيم رحمة الله في «مدارج السالكين»: **«يُحِبِّكُمُ اللَّهُ»** إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ، وفائتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم لها حاصلة ومحبته لكم منافية.

معنى الاتباع

الاتباع هو الاقتداء والتآسي بالنبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك.

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبدون هذا لا يصير المسلم مسلماً، ذلك هو الاقتداء بالرسول ﷺ، وهو المعيار الذي ينبغي أن توزن به أفعال الناس وأقوالهم وع قائدهم وسائر أمرورهم، وطريق التأسي به مبني على العلم بهديه ﷺ في كافة أمور الدين والعمل به.

وقد وعت دواوين السنة وكتب السير والشمائل كافة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وسجياته وأخلاقه وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد وحفظت ذلك أتم حفظ. [محبة الرسول .١٢٤/١].

ضوابط مهمة في اتباع نبى الأمة ﷺ

أولاً: إن مبني دين الإسلام على الوحي والنقل الصحيح لا العقل والاستنباط، فما جاعنا من أمر ونهي في كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ وجب علينا قبوله والمبادرة إلى امتثاله فعلاً أو تركاً.

ولذا كان السلف رحمة الله يدورون مع النصوص حيث دارت،

ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الآخر. قال الزهري: «من الله الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعليها التسليم».

وقال ابن أبي العز شارحاً قول الطحاوي: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام». أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعرض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

وما أجمل مقولة الخليفة الراشد علي رضي الله عنه حين قال: «إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب - لعلم الله فيه - فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل

قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ مِّنْ كُلِّ مَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١].

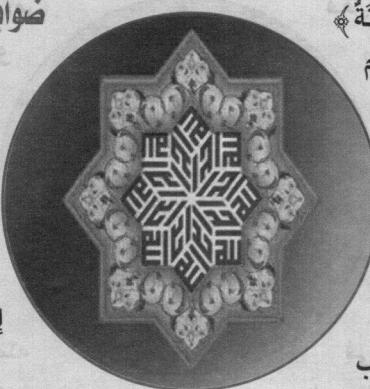
قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربِّه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين».

ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزوا وأضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ.

والتأسي بالنبي ﷺ هو: أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهي عنه من محرّم أو مكرور، كما يشمل التأسي به التأدب بأدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين.

فإذا قال الرسول ﷺ قوله قولاً قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلًا فعلنا مثله، وإذا ترك شيئاً تركناه فيما لم يكن خاصنا به، وإذا عظم شيئاً عظمناه، وإذا حقر شيئاً حقرناه، وإذا رضي لنا أمراً رضينا به، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه.

وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ هو تجريد متابعته والتلقي عنه وحده، فكما أن الرب سبحانه واحد فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد، فهما توحيدان: توحيد المرسل وهو الله سبحانه وتعالى، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ.



قول أحد على قوله.

رابعاً: ما تركه النبي ﷺ من جنس العبادات ولم يفعله مع وجود المقتضى لفعله على عهده ﷺ ففعله بدعة وتركه سنة، كالاحتفال بالمولود، وإحياء ليلة الإسراء والمعراج، والهجرة ورأس السنة ونحوها، يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». يقول الإمام مالك رحمة الله: «فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»: «والترك الراتب سنة، كما أن الفعل الراتب سنة». ويقول ابن كثير: «وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل أو قول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه».

خامساً: كل ما يحتاجه الناس في أصول الدين وفروعه، في أمور الدنيا والأخرة من العبادات والمعاملات في السكم وال الحرب، في السياسة أو الاقتصاد... إلخ

جاءت الشريعة ببيانه وإيضاحه، قال الله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَاهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْتَعِنِينَ» [النحل: ٨٩]. وقال سبحانه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيِنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمِ الْإِسْلَامَ دِيَنًا» [المائدة: ٣]. وقال بعض المشركين لسلمان الفارسي: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: «أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغانط أو بول..» الحديث رواه مسلم برقم (٢٦٢).

سادساً: أن الاتباع لا يتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور وهي:
1- السبب: فإذا تبع الإنسان لله تعالى بعبادة مقرونة بسبب ليس شرعاً فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثل إحياء ليلة السابع

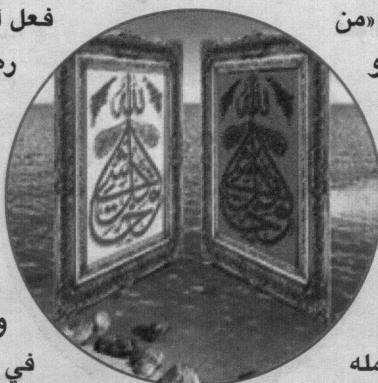
النار فينقب- لعلم الله فيه- فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لابد فالعليين فبالآموات لا بالأحياء، وأشار إلى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام». [الاعتصام للشاطبي .٣٥٨/٢]

وما أحسن مقوله أبي الزناد رحمة الله: «إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيراً على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بداً من اتباعها، من ذلك: أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة».

ثانياً: يجب على المسلم البحث عن الحكم الشرعي، والتثبت فيه قبل إتيان العمل في جميع شؤون حياته، لقوله ﷺ: «من

عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وتطبيق ذلك هو حقيقة الاتباع والتأسي برسول الله ﷺ، يقول الشاطبي في المواقف حول ذلك: كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل.

ثالثاً: المراد باتباع الرسول ﷺ العمل بكل ما جاء من أوامر ونواه في القرآن الكريم باعتباره وحيًّا من الله تعالى، إليه ﷺ والعمل بالسنة المطهرة، يقول ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥١٦)]. قال عطاء: طاعة الرسول ﷺ: اتباع الكتاب والسنة. وقال العلامة السعدي: وإن ما جاء به الرسول ﷺ يتعمّن على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وإن نصّ الرسول على حكم كنص الله - تعالى - لا رخصة لأحد ولا عنز في تركه، ولا يجوز تقديم



من الأمور: إن الحكمة أمر الله ورسوله في المأمورات، ونهى الله ورسوله في المنهيات، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونُ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٩٢]. وسئللت عاشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: كان يصيّبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصيام ولا نؤمر بقضاء الصلاة، فاستدللت بالسنة ولم تذكر العلة، وهذا هو حقيقة التسليم والعبادة، أن تكون مسلماً لأمر الله ورسوله عرفت حكمته أم لم تعرف، ولو كان الإنسان لا يؤمن بالشيء حتى يعرف حكمته لقلنا: إنك من

اتَّبَعْ هُوَاهْ فَلَا تَمْتَثِلْ إِلَّا حِيثْ
ظَهَرَ لَكَ أَنَّ الْإِمْتِثالَ خَيْرٌ.
[حقوق النبي ﷺ - ١٠١].

[١٠٣]

وَلَا يَفْهَمُ أَحَدٌ مَا سَبَقَ أَنْ
الْبَحْثُ عَنِ الْحُكْمِ وَالْمَعْنَى فِي
الْعِبَادَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا
الْقَرَائِنَ لَيْسَ بِمَطْلُوبٍ، كَيْفَ لَا وَقَدْ
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ شَيْئًا مِنْ

ذَلِكَ كَقُولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾،
﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾، وَقُولُ
النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّمَا جَعَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ
الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمَيَ الْجَمَارِ لِإِقْامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ.
[سنن أبي داود برقم ١٨٨٨، وحسنه الأرناؤوط
في تخريجه لجامع الأصول رقم ١٥٥٥].

وَلَكِنَّ الْمَرَادُ التَّحْذِيرُ مِنَ التَّنْطُعِ فِي
اسْتِخْرَاجِهَا، أَوْ رِبَطِ الْقِيَامِ وَالْتَّنْفِيذِ وَالْعَمَلِ
بِمَعْرِفَتِهَا.

وَالْحَدِيثُ بَقِيَّةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْعَشْرِينُ مِنْ رَجَبِ الْتَّهِجِيدِ يَدْعُونَ أَنَّهَا لِيَلَةُ
الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ، فَالْتَّهِجِيدُ فِي أَصْلِهِ عِبَادَةٌ، لَكِنَّ
مَا قَرَنَ بِهَا السَّبَبُ كَانَ بَدْعَةً لِكُونِهِ بَنِي عَلَى
سَبَبِ لَمْ يُثْبِتْ شَرْعًا.

٢- الجنس: فَإِذَا تَعَبَّدَ الْإِنْسَانُ لِلَّهِ تَعَالَى
بِعِبَادَةٍ لَمْ يُشْرِعْ جِنْسَهَا فِيهِ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ،
كَالْتَّضْحِيَةِ بِفَرْسٍ؛ لِأَنَّ الْأَضَاحِيَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ
جِنْسِ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ الْإِبْلُ أَوِ الْبَقَرُ أَوِ
الْغَنَمُ.

٣- الْقَدْرُ: فَلَوْ أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يُزِيدَ صَلَاةَ عَلَى
أَنَّهَا فَرِيَضَةٌ، أَوْ رَكْعَةٌ فِي فَرِيَضَةٍ فَعَمَلَهُ ذَلِكُ
بَدْعَةً مَرِبُودَةً لِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلشَّرِيعَةِ فِي الْمَقْدَرِ
أَوِ الْعَدْدِ.

٤- الْكِيفِيَّةُ: فَلَوْ نَكَسَ إِنْسَانٌ
الْوَضْوَءَ أَوِ الصَّلَاةَ لَمَا صَحَّ
وَضْوَؤُهُ وَلَا صَلَاتَهُ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُ
مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَةِ فِي الْكِيفِيَّةِ.

٥- الزَّمَانُ: فَلَوْ ضَحَّى
إِنْسَانٌ فِي رَجَبٍ، أَوْ صَامَ
رَمَضَانَ فِي شَوَّالٍ، أَوْ وَقَفَ
بِعِرْفَاتٍ فِي التَّاسِعِ مِنْ ذِي القَعْدَةِ
لَمَا صَحَّ ذَلِكُ مِنْهُ، مُخَالِفَتُهُ لِلشَّرِيعَةِ فِي
الزَّمَانِ.

٦- الْمَكَانُ: فَلَوْ اعْتَكَفَ إِنْسَانٌ فِي مَنْزِلِهِ لَا فِي
الْمَسْجِدِ، أَوْ وَقَفَ يَوْمَ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَةِ
بِمَزِيلَفَةٍ لَمَا صَحَّ ذَلِكُ مِنْهُ، مُخَالِفَتُهُ لِلشَّرِيعَةِ فِي
الْمَكَانِ. [الْإِبْدَاعُ فِي بَيْانِ كَمَالِ الشَّرِيعَةِ لِابْنِ
عَثِيمِيْنَ ٢١٢٢].

سَابِعًا: الْأَصْلُ فِي الْعِبَادَاتِ بِالنَّسْبَةِ لِلْمَكْلُوفِ
التَّعَبُّدُ وَالْإِمْتِثالُ دُونَ الْاِلْتِفَاتِ إِلَى الْحِكْمَةِ
وَالْمَعْنَى، وَإِذَا كَانَتْ ظَاهِرَةً فِي كَثِيرٍ مِنْهَا. يَقُولُ
الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِيْنَ رَحْمَهُ اللَّهُ: مَقْرَرًا ذَلِكَ:-
«يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، أَوْ
نَهَا اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْحَكْمَةُ، فَعَلِيَّنَا أَنْ
نَسْلِمُ، وَنَقُولُ إِذَا سَأَلْنَا أَحَدًا عَنِ الْحَكْمَةِ فِي أَمْرٍ



اتبعوا ولا تبتدعوا

الحلقة الثانية

إعداد: معاوية محمد هيكل



سخيف، وخروج عن جادة الحق وعبادة لم يشرعها الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: وأبلغ من الدليلين السابقين حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ثم أنكحني ابنة امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيصالها عن بعلها فتقول: **نعم** الرجل من رجل لم يطا لنا فراشاً ولم يفتح لنا كتفاً مذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر النبي ﷺ فقال: **ألقني به**. فلقيته بعد، فقال: **كيف تصوم**? قلت: كل يوم. قال: **وكيف تختتم**? قلت: كل ليلة. قال: **صم في كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر**. قال: **قلت: أطيق أكثر من ذلك**: **صم ثلاثة أيام في الجمعة**. قلت: **أطيق أكثر من ذلك**. قال: **صم أفضل الصوم صوم داود؛ صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة**. فليتنى قبلت رخصة رسول ﷺ وذلك أنني كبرت وضعفت. فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى فأفتر أياماً وأحصى وصام أياماً مثلاً كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه. [رواه البخاري]

رابعاً: وفي الحديث الصحيح الآخر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صومه، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وجلس عمر بن الخطاب يقول: **رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا**، حتى سكن غضب النبي ﷺ. [رواه مسلم].

وسر غضبه صلوات الله وسلامه عليه أن هذا السائل أراد أن يضاهي فعل الرسول ﷺ في هذه

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين

وأنم علينا النعمة، والصلوة

والسلام على رسول الهدى



ونبى الرحمة، وبعد :

ففي هذه الحلقة نبين - بحول الله -

كيف احتاطت الشريعة لجناب الاتباع،

حتى يظل منيع الجانب مصون الحمى.

والإيك صوراً من ذلك :

أولاً: رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمشي في الحج بين رجلين يمسدانه، فقال ﷺ: «**ما هذا؟**» فقالوا: يا رسول الله، نذر أن يحج ماشياً، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى**!! **مروه فليركب**». [رواه البخاري ومسلم]. فنهى النبي ﷺ عن فعل لم يشرعه الله عز وجل، وإن كان فاعله قاصداً به التعبيد والتقرب إلى الله عز وجل.

ثانياً: ومن ذلك ما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس: قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برج قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مرة فليتكلم، ولويستظل وليقعد وليلتم صومه**». رواه البخاري، فاقرره رسول الله ﷺ على الصوم الشرعي فقط، ونهاه عن الصوم المبدع وهو السكوت، وإن كان مشروعًا في شريعة سابقة، كما في قصة زكريا وقوم مريم عليهما السلام: «**إِنَّى نذرْتُ لِرَحْمَنْ صُومًا فَلَنْ أَكُمْ الْيَوْمَ إِسْبِيَا**»، ولكن الله عز وجل لم يتبعدنا بهذه الشريعة، وأمره بأن يتتحول إلى الظل؛ لأن الجلوس في الشمس مع وجود الظل تخلف

العبادة التي كان له فيها خصوصية، وهي أن يواصل اليوم واليومين والثلاثة، وكان يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فيقول: «لست كهيئةكم، إنما أبىت عند ربى يطعنني ويسقيني». [رواوه مسلم].

خامساً وأبلغ هذه الأدلة كلها مسألة التبعيد والتقارب وأنه لا يجوز فيه إلا اتباع المشرع، والتقييد بالكتاب والسنّة هو حديث النفر الثلاثة الذين أتوا إلى بيوت النبي ﷺ، فسألاه عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالواها، فقال أحدهم: وأين نحن من رسول الله ﷺ؟ إن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أما أنا فاقوم ولا أنم، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، فلما رجع رسول الله ﷺ وأخبر خبرهم، صعد المنبر، وجمع الناس، ثم قال: ما بال أقوام يقولون كذا، أما إن أعلمكم بالله، وأنتماكم لله أنا، أما إني أصوم وأفطر، وأقوم وأنم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس بي مبني». [رواوه البخاري ومسلم]

قال الحافظ في الفتح: قوله: « فمن رغب عن سنتي فليس بي مبني» المراد من ترك طريقتى وأخذ بطريقة غيري فليس بي مبني ولح بذلك إلى طريق الربانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى - ثم قال: - وطريقة النبي ﷺ الحنفية السمحاء فيفطر ليتقوى على الصوم وبينما ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتکثير النسل.

كل بدعة ضلاله

ولم يكتف الرسول ﷺ ببيان كل ذلك، بل أعلن في كل خطبة من خطبه للناس: «وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار». وقال أيضًا: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». فكل عمل محدث يرتد به التقرب إلى الله عز وجل فهو مردود على صاحبه، فالتعبد هو بالمشروع فقط، ولقد أصلّى الرسول ﷺ أصلًا خطيرًا، وهو تعمد مخالفة أهل الكتاب والأمم الأخرى، وذلك حتى تتحقق ميزة

الأمة بالمنهج المستقل والأفعال المستقلة حتى لا تختلط أفعال الأمة وعبادتها بآفعال الأمم الأخرى وعبادتها، فامر أن نصلّى بالنعال والخفاف مع العلم أن خلعها أتم لمعاني الخضوع والذلة، وذلك مخالفة لليهود والنصارى الذين لا يصلون في خفافهم ونعالهم، فقال: «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم».

[رواوه أبو داود وصححه الألباني ٦٠٧]

وعلى هذا النهج سار سلف الأمة رضي الله عنهم في الحيطة لجناب الاتباع، ومن أكبر الأدلة على ذلك ما رواه الدارمي بسند حسن عن عمرو بن يحيى قال: «سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد، قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا جميعاً، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنني رأيت في المسجد أنفًا أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: وما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهلوون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: أفلأ أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقفهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنفون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم فانا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، وينحركم يا أمة محمد؛ ما أسرع هلكتكم!! هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأننيتة لم تكسر، والذي نفسى بيده إنكم على ملة

الشريعة لا نصب المكتفي بما حد
له».

[الاعتصام للشاطبي]

وعلة ذلك أن المبتدع المخالف للسنة يرد بعض
ما جاء به الرسول ﷺ، أو يعارض قول الرسول
بما يجعله ظنيراً له من رأي أو كشف أو نحوه.
[الفتاوى (٤/٨٧)].

ولأن أهل البدع عموماً أصلوا أصولاً توافق
آهواهم، وتناقض الحق الذي أمر الله به، فلم
يهتدوا إلى الحق، بل جعلوا ما أصلوه مقدماً على
الشرع الحنيف، بل إنهم جعلوا كلامهم هو
المحكم، وكلام الشارع هو المجمل المتشابه. وهذا
هو عين المخادة والمراغمة التي تقود إلى
الاعتقادات الباطلة، والأعمال والأحوال الفاسدة،
والخروج عن الشريعة والمنهج الذي بعث به
الرسول ﷺ إلينا. [البدعة للغامدي (ص ٧٨)].

٣- إن الشيطان الرجيم في تدرجه المشين
لإضلال بني آدم بشروره واستحواذه، يسعى أولاً
إلى إدخال الإنسان في الكفر والشرك، وهذه غاية
أمانيه، فإذا لم يستطع ذلك انتقل إلى المرتبة
الثانية من الشر، وهي البدعة، وهي أحب إليه من
الفسق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الدين،
وهو ضرر متعدد، وهي ذنب لا يatab منه وهي
مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاعوا
به، وهي باب الكفر والشرك فإذا نال منه البدعة،
وجعله من أهلها بقي أيضاً نائبه، وداعياً من
دعاته، فإن أعجزه من هذه المرتبة، وكان العبد من
سبقت له من الله موهبة السنة، ومعاداة أهل
البدع والضلال، نقله إلى المرتبة الثالثة من الشر،
وهي الكبائر على اختلاف أنواعها. [بدائع الفوائد
٢٦٠/٢].

ذلك فإنه يخشى على المبتدع من سوء
الختامة. أعاذنا الله وإياكم من ذلك.
والله من وراء القصد.
واللهم بقية إن شاء الله.

هي أهدى من ملة محمد،
أو مفتتحوا باب ضلاله !! قالوا :
والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير،
ووهذا دليل منهم على صلاح نياتهم وإرادتهم
وجه الله تبارك وتعالى بهذا العمل المبتدع، ولكن
عبد الله بن مسعود قال لهم: وكم مرید للخير لن
يصيبه، وهذا معناه: أن النية وحدها لا تكفي
لتحقيق الفعل، بل لا بد أن ينضاف إلى ذلك
التقيد بالمشروع.

البدعة أشد خطراً من المعصية

البدعة شر من المعصية وأشد إثماً، قال سفيان
الثوري رحمه الله : البدعة أحب إلى إبليس من
المعصية، فإن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب
منها. [مجموع الفتاوى (٤٧٢/١١)]
ومن أسباب اعتبار البدع أشد في الإثم والذم
من العاصي ما يلي :

١- أن المبتدع بسان حاله يتهم الرسول ﷺ
بالخيانة في أداء الأمانة والرسالة، وذلك بكونه
يحدث من العبادات والاعتقادات والاقوال
والأعمال ما يعتقد أنه قربة إلى الله - تعالى -،
ولو كان كذلك لأخبرنا به نبينا محمد ﷺ؛ لأنه ما
ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شرّا إلا نهانا عنه،
وهذا المبتدع كأنه يقول بفعله: هذه طريقة حسنة،
وعبادة تقرب إلى الله وتتيل الثواب الوفير، وهذا
اتهام للمبلغ الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام،
كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس عليه رحمة
الله : (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة،
فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله
يقول: «اليوم أكملت لكم بيئكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا» [المائدة: ٣].
فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا).

٢- أن البدع مضادة للشريعة ومتهمة لها، إذ
تسدرك على الشرع بزيادة أو نقصان، أو تغيير
لأصل الصحيح الذي هو الصراط المستقيم،
فالبدع عموماً : «... مضاده للشارع، ومراغمة له
حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على

الله، وبعد:

فَلَقِدْ حَرَضَتْ جَمَاعَةُ انصَارِ السَّنَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنْذْ نَشَاطِهَا الْأُولَى عَلَى تَحْذِيرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبَدْعِ وَالخَرَافَاتِ لِمَا لَذَكَرَ مِنْ
أَثْرٍ سَيِّءٍ عَلَى الْعَقَائِدِ وَالْعَبَادَاتِ وَالسُّلُوكِ.
وَقَدْ تَظَاهَرَتْ وَتَضَافَرَتْ أَدَلَّةُ الْكِتَابِ
وَالسَّنَةِ وَأَقْوَالُ سَلْفِ الْأَمَةِ عَلَى ذَمِ الْبَدْعَةِ
وَالنَّهِيِّ عَنْهَا وَالتَّنْفِيرِ مِنْهَا مُطْلَقاً.

من أدلة القرآن:

١- قوله عز وجل: **«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبُّعُ فَيُشَغَّلُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ إِبْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَإِبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَقْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عَنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»** [آل عمران: ٧].

وقد جاء تفسيرها في حديث المصطفى ﷺ
كما روت عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ
تلا هذه الآية ثم قال: «إِنَّمَا رأَيْتُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمِّيَ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ». [أخرجه البخاري ١٦٦/٥].

وكذلك فسرها ابن عباس رضي الله عنهما
كما روى الأجري بسنده أنه ذكر لابن عباس
رضي الله عنهما الخوارج وما يصيّبهم عند
قراءة القرآن، فقال رضي الله عنه: يؤمّنون
بمحكمه ويضلّلون عند متشابهه **«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عَنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»** [آل عمران: ٧].

والخوارج كانوا أوائل المبتدةعة وكانت تلك
سماتهم وسمة من أتى بعدهم من أهل البدع
وهو إتباع المتشابه وترك المحكم.

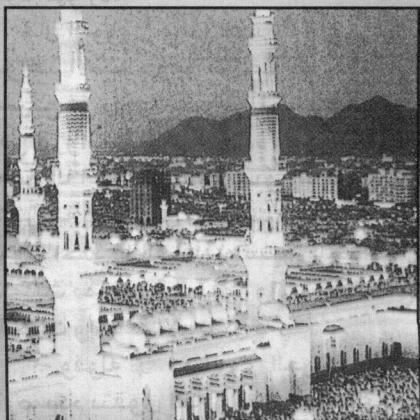
٢- قوله جل وعلا: **«وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَعَوَّلُوا السَّبِيلَ فَنَفَرُوا بَعْدَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ ثَقُولُونَ»** [الأنعام: ١٥٣].

فالصراط هو سبيل الله الذي دعا إليه
والسبيل هي سبل أهل الاختلاف والبدعة.

اتبعوا ولا تبتدعوا

••• الحلقة الثالثة •••

إعداد: معاوية محمد هيكل



- عليه أمرنا فهو رد.
- أي: فليحذر ويخش من خالق شريعة الرسول باطلاً وظاهراً «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة.
- ـ قوله تعالى: «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا».
- ـ قوله تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاعَةً مَصِيرًا».
- ـ قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...» [المائدة: ۳۲]. قال الشاطبي: هذه الآية تدل على أن الشريعة قد جاءت كاملة فلا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان، وحاصل كلام المبتدع وحاله أن الشريعة لم تتم وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراها في زعمه ولو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها، ولا شك أن من اعتقد هذا فهو ضال عن الصراط المستقيم.

الآدلة من السنة في ذم البدع

ومن أحاديث النبي ﷺ في ذم البدع:

- ـ قوله ﷺ: «أَمَا بَعْدَ، فَإِنْ خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدِيِّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ». وزاد النسائي: «وَكُلُّ ضَلَالٍ فِي النَّارِ».
- ـ وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».
- ـ وفي رواية مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

قال النووي : وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات في الدين، وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاني بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فيحتاج عليه بالثانية التي فيها التصرير برد كل المحدثات سواء أحدها الفاعل أو سبق بإحداثها . وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المكرات وإشاعة الاستدلال به.

ـ وقوله ﷺ كما روى العرياض بن سارية: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشاً، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطأ بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبيل ليس منها سبيل إلا عليه الشيطان يدعو إليه» ثم قرأ: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَاعَمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَنَقُّونَ» [رواه أحمد والحاكم وصححه] وروى أبو نعيم بسنده عن مجاهد في قوله: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» قال: «البدع والشبهات».

والنهي عن هذه السبيل يدل على ذمها.

ـ قوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَفَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (١٠٥) يوم تبكيض وجوهه وتسود وجوجه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرتون (١٠٦) وأما الذين ابixinت وجوههم ففي حرمته الله هم فيها خالدون» [آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥].

ـ وقد ورد ما يفسر هذه الآية من كلام الصادق عليه كما نقل ذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجاري بهم الأهواء كما يتجرأ الكلب بصاحبه ولا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله». [رواه أبو داود].

ـ وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: «يَوْمَ تَبْكِيَضُ وُجُوهُ وَتَسْوُدُ وَجُوْهُ» بقوله: «وَأَمَّا الَّذِينَ ابْخَسْتُ وَجُوْهُهُمْ» فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين أسودت وجوههم فأهل البدع والضلال.

ـ قوله سبحانه: «فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

ـ قال الحافظ ابن كثير: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبileه ومنهاجه وطريقته وستنه وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس

كثيراً فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين، عضواً عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات
الأمور فإن كل محدثة بدعة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن المحافظة على
عموم قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلاله متعين وأنه
يجب العمل بعمومه وأن من أخذ يصنف «البدع»
إلى حسن وقبح ويجعل ذلك ذريعة إلى أن لا
يحتاج بالبدعة إلا على النهي فقد أخطأ».

٤ - أخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليردن على
الحوض رجال من صاحباني، حتى إذا رأيتهم
ورفعوا إلى اختجاجوا دوني، فلما قالوا: أي رب
أصحابي أصحابي. فليقلن لي: إنك لا تدري
ماذا أحدثوا بعدك» وفي رواية مسلم أيضاً: «لا لا
يذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال.
أنا دهم لا هلم» فيقال: «إنهم قد بدلوها بعدك.
فأقول: سحقاً سحقاً».

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين ما لا
يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض
وأشدتهم من خالف جماعة المسلمين فالخوارج
والروافض وأصحاب الأهواء وكذلك الظلمة
المسرفيون في الجور وطمس الحق والمعلنو
بالكبائر فكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا من
عنوا بهذا الخبر» [الزرقاني على الموطأ]

آقوال سلف الأمة

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
«عليكم بالاستقامة والاش، وإياكم والتبع». ٢ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:
«اتبعوا ولا تتبدعوا فقد كفيتكم كل ضلالاً».

٣ - وروى الإمام أحمد في الزهد بسنده عن
الحسن البصري أنه قال: «اعرفوا المهاجرين
بغضهم، واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس
في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات». ٤ - قال أبيو السختياني: ما ازداد صاحب
بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعدها.

٥ - قال حسان بن عطيه المحاري: ما أحدث
قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها،
ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيمة.

٦ - قال سفيان الثوري: من جالس صاحب
بدعة لم يسلم من إحدى ثلات:
(١) إما أن يكون فتنة لغيره.
(٢) وإنما أن يقع بقبله شيء ينزل به فيدخله

البدعة لغةً وأصطلاحاً:

البدعة في اللغة: اسم هيئه من الابتداع
كالرفعه من الارتفاع وهي: كل شيء أحدث على
غير مثال سابق، سواء أكان محموداً أم مذموماً،
وهي مأخوذة من بدع الشيء يبده عه بدعه إذا
أنشأه وأخترعه.

وجاء في لسان العرب: بدع الشيء يبده عه بدعه
وابتدعه: أنشأه وبده، والبدع والبدع: الشيء
يكون أوله، وفي التنزيل: **فَلَمْ مَا كُنْتُ بِدِعًا مِنَ الرُّسُلِ**، أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلى
رسول كثير، والبدعة: الحديث وما ابتدع في الدين
بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبعد: أتي بدعه، قال
الله تعالى: **﴿وَرَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا﴾**، وبدعه: نسبة
إلى البدعة، والبدع: الحديث العجيب، وأبدع
الشيء: اخترعه لا على مثال، والبدع من أسماء
الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو
البدع الأول قبل كل شيء.

تعريف البدعة أصطلاحاً:

ومن التعريفات الكلية الجامعة: ما ذكره الإمام
الشاطبي رحمة الله في كتاب الاعتصام حيث بوب
لتعریف البدعة باباً مستقلاً ذكر فيه معناها
الاصطلاحي، وشرح التعريف وذكر محترزاته، وقد
عرف البدعة بتعريفين:

أحدهما: على رأي من يقول بعدم دخول
الابتداع في العادات والمعاملات، وإنما يخصه
بالعبادات، فقال فيه: «فالبدعة عبارة عن طريقة في
الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك

عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه».

الثاني: على رأي من يقول بدخول الابتداع في
الأمور العادية، دخوله في الأمور العبادية فقال
فيه: (البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي
الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد
بالطريقة الشرعية). [الاعتصام: ٣/١].

وسينتبين الرأي الراجح في قضية دخول

الابتداع في الأمور العادلة أو عدم دخوله، من
خلال محترزات التعريف، وبالتالي يتدين التعريف
الراجم.

شرح التعريف وبيان معناه

قوله: طريقة: يقصد بها السبيل وال سنة، وكل
ما رسم للسلوك عليه أو اتخاذ للتعبد به، سواء
كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية.

قوله: في الدين: تقييد للطريقة المسلوكة بانها
في الدين؛ لأنها فيه تُخترع وإليه تُنسب، وبه
يُصقُّها مخترعها، فلو كانت طريقة مخترعة في
الدنيا على الخصوص لم تُسم بداعية.

قوله: مخترعة: أي لا أصل لها في الشريعة،
ولا تعلق لها بها؛ لأن البدعة تتميز بأنها خارجة
عما رسمه الشرع.

وهذا القيد يخرج ما حدث ولو أصل في الشرع
كتصنيف العلوم الشرعية مثلاً، فإنها وإن لم
توجد في الزمان الأول، فأصولها موجودة في
الشرع، وهي مستمدّة من قاعدة المصالح المرسلة،
ولا ينبغي أن تسمى بداعية أصلاً.

قوله: تصاهي الشرعية: أي أن البدعة تشبه
الطريقة الشرعية من غير أن تكون كذلك بل هي
 مضادة لها من أوجه متعددة منها:

-وضع الحدود، وذلك كالنائز للصيام قائماً لا
يُقعد، ضاحياً لا يُستظل، والاقتصار من المأكل
والملبس على صنف دون صنف.

ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة،
كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ
يوم ولادة النبي ﷺ عيداً، وما أشبه ذلك.

-ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات
معينة، لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة،
وذلك كالتزام صيام يوم النصف من شعبان، وقيام
ليلته، وكون البدعة تصاهي الأمور المشروعة
وصف لازم لها، وإن كانت من باب الأفعال
العادلة.

ويبيّن ذلك، أن صاحب البدعة يخترعها

قرار ارشاد هاجر

رقم ١٠٢٦ بتاريخ ١٦/٧/٢٠٠٣

تشهد مديرية الشؤون الاجتماعية بأنه قد تم إشهار جمعية /أنصار السنة الجمديبة/ بأبو كبير
وذلك طبقاً للقانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون

الحلقة الرابعة ٠٠ أقسام البدع

بقلم: معاوية محمد هيكل

- ج . المرجئة:
تركوا اعتقاد دخول العمل في الإيمان.
- د . الجهمية:
تركوا اعتقاد الصفات لله عز وجل.
- وكل فرقة من الفرق الضالة تركت بعض الحق واعتنقت مكانه باطلا .
- (٢) **بدع تركية في العبادات:**
من أمثلة ذلك:
- ١ - ما يزعمه ملحدة الصوفية من سقوط التكاليف عن العارف وجواز تركه للوحي ولوارزمه استغناء عنه بالعلم اللدني .
- ٢ - ترك الرافضة المسح على الخفين .
- (٣) **بدع تركية في المعاملات:**
- ١ - مثل: ترك الزواج، وترك كسب الرزق الحلال لأجل التفرغ للعبادة والخلوة من أجل مزيد القربة كما يفعله المتصوفة ويعتقدونه ديناً وطاعة لله .
- ب - ترك الخوارج مؤاكلتهم المسلمين وممбait لهم ومناكحتهم وغير ذلك .
- (٤) **بدع تركية في الأقوال:**
- أ - ترك المتصوفة القرآن والحديث والاستعاضة عنهما بالغناء والرقص والأوراد المبتدةعة كصلوة الفاتح ونحوها وتركهم للأذكار الشرعية واستبدالها بأذكار طرقهم البدعية المليئة بالشركيات والخرافات والبدع .
- (٥) **بدع تركية في العادات:** مثل ترك كثير

اتبعوا ولا تتبعوا

الحمد لله والصلاحة والسلام على رسول الله، وبعد: ففي هذا المقال نتناول بمشيئة الله أقسام البدع كما بينها أهل العلم. فنقول مستعينين بالله عز وجل:

تنقسم البدع إلى أنواع عديدة بحسب مخالفتها للشرع، من جهة كونها تتعلق بالعوائد أو بالأحكام، وبحسب ارتباطها بأزمنة معينة أو أمكنة معينة أو بحسب ما يندرج تحتها من مخالفات للشرع، وإليك البيان:

القسم الأول: البدع التركية والبدع الفعلية

أولاً: **البدعة التركية:** فقد تكون البدع بترك ما فعله النبي ﷺ بزعم التقرب به إلى الله تعالى: من أمثلة ذلك:

(١) **بدع تركية في الاعتقادات:**
كل اعتقاد كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم من السلف الصالح فإنه يجب الأخذ به والملازمة له، وأنه هو الصواب الذي لا محيض عنه وكل فرقة من فرق الضلال والابتداع قد تركت شيئاً أو أشياء مما كان عليه النبي ﷺ فمن ذلك:

- ١ - **الرافضة:**
تركت اعتقاد محبة أصحاب النبي ﷺ وموالاتهم .
- ب - **الخوارج:**
ترکوا طاعة إمام المسلمين .

من المتصوفة تناول الطيبات من الرزق تنسكاً، وتعذيباً للنفس وحرمانها من الحال تعبداً لله. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيَّبَاتٍ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَغْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُغْتَدِينَ» [المائدة: 87].

ففي الآية نهي عن تحريم ما أحل الله، وإشعار بأن ذلك اعتداء لا يحبه الله.

وفي الحديث: أن بعض الصحابة أرادوا أن يحرموا على أنفسهم أنواعاً من الحال فحرم بعضهم على نفسه نوم الليل وحرم الآخر الأكل بالنهار وأخر أكل اللحم وأخر إتيان النساء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال أقوام يقولون أحدهم كذا وكذا؟ لكنني أصوم وأفتر وآتام وأقوم وأأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

ثانياً: البدعة الفعلية: قد تكون بفعل ما لم يفعله النبي ﷺ، والتقرب إلى الله تعالى بما لم يتبع به النبي ﷺ.

أ - كتخديص يوم من الأيام بصيام مع أن النبي ﷺ لم يخصصه بصيام.
ب - وكتخديص ليلة من الليالي بصلوة وقيام مع أن النبي ﷺ لم يخصصها بقيام وصلوة.

ج - وكتخديص زيارة المقابر في أيام معينة مع أن النبي ﷺ لم يخصصه بالزيارة.
وفي كل ذلك يزعم صاحبها التقرب إلى الله تعالى، وجلب خير لنفسه أو للمسلمين.

القسم الثاني: البدعة الحقيقة والبدعة الإضافية

أولاً: البدعة الحقيقة: هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل كما بين ذلك الشاطبي.

من أمثلتها:

- الطواف بغير الكعبة، والوقوف بغير عرفة، ووضع



الهيكل والشروع حول القبور والأضرحة.
٢ - الرؤى والكشف الشيطانية عند المتصوفة، حيث يبنون أعمالهم وأقوالهم المبتدعة على رؤيا رأها أحدهم أو رؤيت له أو رأها شيخه أو على كشف شيطاني بان له أو على ذوق نفسي وجده.

وإنكار الاحتجاج بالسنة وتقديم العقل على النقل، كما هو حال معتزلة العصر أتباع المدرسة العقلية، الذين يزعمون أن العقل سفينة النجاة.
٣ - اختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان، كالصلة بغير طهارة.

ثانياً: البدعة الإضافية: هي مالها من الأدلة متعلق، فلا تكون مخالفة للشرع من هذه الجهة، ولها كذلك جهة ليس لها متعلق من الشرع فهي بدعة.

أي أنها: بالنسبة إلى إحدى الجهات موافقة للشرع مستندة إلى دليل، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شيء.

الفرق بين البدعة الإضافية والبدعة الحقيقة

والفرق بين البدعة الإضافية والبدعة الحقيقة من جهة المعنى: أن الدليل على الإضافية من جهة الأصل قائم ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها دليل، مع أنها محتاجة إليه، لأن العبادات توقيفية تحتاج دليلاً شرعياً.

روى ابن وضاح بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: «كنت جالساً عند الأسود بن سريع وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع فافتتح سورة بنى إسرائيل حتى بلغ: (وكبره تكبيراً) فرفع أصواتهم الذين كانوا جلوساً حوله، وجاء مجالد بن مسعود يتوكأ على عصاه فلما رأه القوم قالوا: مرحباً مرحباً. اجلس. قال: ما كنت لأجلس إليكم وإن مجلسكم حسن، ولكنكم قبل صنعتم شيئاً أنكره المسلمون فإياكم وما أنكر المسلمين».

وأصحابه.
٨ - قراءة الصمدية مائة ألف مرة.

تنبيه: صاحب البدعة الإضافية يتقرب إلى الله تعالى بمشروعه وبغير مشروع، والتقارب إنما يكون بمحض المشروع، إذ لا يتقرب إلى الله إلا بما شرع، فكما يجب أن يكون العمل مشروعًا باعتبار ذاته يجب أن يكون مشروعًا باعتبار كيفيته. كما يفيده قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم.

لذلك ينبغي للدعاة الاهتمام بالبالغ عند بيان البدعة الإضافية لأنها تلتبس على كثير من الناس لعدم دراية فاعليها بحقيقة مخالفة الشرع فيها.

القسم الثالث: البدعة الكلية والبدعة الجزئية

أولاً: **البدعة الكلية**: هي التي تعتبر كالقاعدة أو الأصل لبدع أخرى تبني عليها ويتعدي أثرها إلى أمور كثيرة كما بين ذلك الشاطبي في الاعتراض.
من أمثلة ذلك:

١ - بدعة عصمة الأئمة عند الروافض: فهي بيعة كلية يترتب عليها جملة من الضلالات والبدع.
إذن لهم أئمتهم منزلة لا يصل إليها ملوك مقرب ولا نبى مرسلاً واعتقاد الصواب المطلق في أقوالهم وأفعالهم.

- واعتقاد خروج المهدى من السردار إلى غير ذلك من الضلالات.

٢ - القول بأن للشريعة ظاهراً وباطناً كما يقول الباطنية.

٣ - الرزعم بأن منزلة الولي فوق منزلة النبي كما يقول زنادقة الصوفية.

٤ - ترك العمل بالحديث النبوى كما يفعل الخوارج.

فتح حسنه المجلس كان لقراءة القرآن وأما رفع الصوت بالتكبير عند الآية فهو الأمر المحدث الذي نهى عنه مجالد وأنكره، وهذه هي البدعة الإضافية.

من أمثلة البدع الإضافية:
١ - صلاة ليلة النصف من شعبان: وهي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمه يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص إحدى عشرة مرة.

٢ - صلاة الرغائب: وهي اثننتا عشرة ركعة عقب صلاة المغرب ليلة الجمعة الأولى من ربى يفصل بين كل ركعتين بتسليمه يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات، والإخلاص اثننتي عشرة مرة.

قال الإمام النووي في صلاة الرغائب: «ليس لأحد أن يستدل على شرعيتها لما روى عنه ﷺ أنه قال: «الصلاوة خير موضوع فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من الوجوه وقد صح النهي عن الصلاة في الأوقات المكرهة»
اـهـ.

٣ - صلاة بر الوالدين.

٤ - صلاة مؤنس القبر.
وهذه كلها بدع قبيحة.

ووجه مشابهة الشرع استحباب صلاة التطوع لقوله ﷺ: «الصلاوة خير موضوع» رواه الطبراني في الأوسط، وهي بيعة من جهة التزام وقت مخصوص وكيفية مخصوصة ونية مخصوصة مخالفة للشرع لم تثبت.

٥ - التلحين في الأذان والزيادة فيه:
بإخراج كلماته عن كيفيتها الشرعية بإيقاعها على ألحان بدعة وزيادة لفظ التسديد في «شهادة أن محمداً رسول الله» والصلاحة والسلام عليه ﷺ مع الأذان جهراً وجعلها بمنزلة الأذان.

٦ - التأذين للعيدين: فالاذان قربة وهذا بيعة.
٧ - ختم الصلاة بصورة جماعية وبكيفية مخالفة في ذكرها لما كان يفعله النبي ﷺ

ثانياً: البدع المحدثة كالذكر أمام الجنائز وبدع زيارة القبور (قراءة الفاتحة ويس على المقابر، وقصد القبر للدعاء رجاء الإجابة، وقصدتها للصلوة، والتلوس إلى الله بالمقبر وطلب الحاجات من الموتى، اعتقاداً منهم أن الميت يتصرف في الأمور من دون الله عز وجل) تعالى الله عن ما يقولون علواً كبيراً.

القسم الخامس: بدع الأزمنة والأمكنة

وذلك باعتبار الأزمنة أو الأمكنة التي تقع فيها البدع:

١- بدع الأزمنة: كبدع الموالد والأعياد والمواسم مثل: الاحتفال بعيد شم النسيم وعيد رأس السنة الميلادية وغير ذلك من الأعياد المبتعدة.

٢- بدع الأمكنة: كبدع المساجد والمقابر والجناز والماتم، وهي كثيرة غير محصورة. وقد تكون البدع عامة لا تختص بزمان ولا مكان كتقليد المترنجين للأوربيين وأهل الجاهلية فيما هو مخالف للشرع.

وبعد فإن الأمثلة التي ذكرناها تحت كل قسم من أقسام البدع ليست حصرًا ولا استقصاء لها، وإنما فحصها لا ينتهي بل هي بعد الأهواء، بل بعد أنفاس أهل البدع.

هداانا الله وإياهم إلى طريق أهل السنة والجماعة ووكانا الله وإياهم البدعة والخلاف والفرقة.

والحمد لله رب العالمين وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

٥ - وإنكار الأحاديث النبوية. أو إنكار حجية أخبار الأحاداد في العقائد، فيدرج تحتها مالا نهاية له من المخالفات لفروع من أحكام الشريعة.

ثانياً: البدعة الجذرية:

فهي لا تتجاوز ذاتها فلا يبني عليها شيء من البدع ولا يمتد أثرها إلى شيء من الأعمال الأخرى التي يفعلها صاحبها فهي على عكس البدع الكلية.

ومن أمثلتها:

١. بدعة المداومة على المصافحة عقب الصلوات كقول بعضهم لبعض بعد التسليم «حرماً».

٢. وبذلة الجهر بالنية في الصلاة.

٣. وبذلة تلقين الميت في قبره بعد دفنه وبدعة التلحين والزيادة في الأذان.

القسم الرابع: البدع الاعتقادية والبدع العملية

أولاً: البدع الاعتقادية:

كاعتقاد خلاف ما جاء به الرسول ﷺ لا على وجه المعاندة للشرع بل بنوع من شبهاه:

١. كغلو الرافضة والمتتصوفة في أهل البيت والمشايخ والأولياء.

٢. كبدعة الخوارج في اعتقادهم تكفير عصاة المسلمين بل بأهوائهم اعتقدوا كفر عدد من الصحابة.

٣. كالمجسمة والمشبهة الذين شبهوا الله بخلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٤. كالجهمية الذين نفوا الصفات والأشاعرة الذين أولوا الصفات.

٥. كإنكار القدر وتعطيل الصفات أو تأويلها، وجعل الإيمان مجرد القول والاعتقاد فقط.

قرار إشهار

رقم ٦٠٦ بتاريخ ١٣/١١/٢٠٠٣

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بكفرالشيخ بأنه قد تم إشهار جمعية /أنصار السنة المحمدية ببلطيم

وذلك طبقاً للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون

البعوا

ولَا

لَيَأْتُهُمْ

الحَادِثَةَ

الخَامِسَةَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

وَبَعْدَ، فَقَدْ عَرَضَتْ

لِلْمُبْتَدِعَةِ شَبَهَاتٍ كَثِيرَةً

اسْتَدَلُوا بِهَا عَلَى تَحْسِينِ

بَدْعِهِمْ، مِنْهَا أَدَلَّةٌ صَحِيقَةٌ

لَا يُسَمِّنُ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى مَا

ذَهَبُوا إِلَيْهِ لَكِنَّهَا نَشَأتْ مِنْ

الْفَهْمِ الْخَاطِئِ بِسَبَبِ

تَحْرِيفِ الْأَدَلَّةِ عَنْ

مَوَاضِعِهَا وَمِنْهَا أَدَلَّةٌ باطِلَّةٌ

وَبِطْلَانُهَا يَقْنِي عَنْ رَدِّهَا.

في البدع

وفي هذا المقال نعرض للشبهات ونحضرها ونبين زيفها فنقول
مستعينين بالله عز وجل.
أولاً، القول بأن البدعة الشرعية تتقسم إلى حسنة وسيئة هو قول
محدث ومبتدع وذلك للأسباب الآتية:

١- أن أدلة ذم البدعة جاءت مطلقة عامة وعلى كثرتها لم يقع فيها
استثناء البته، ولم يأت فيها ما يقتضي أن منها ما هو حسن مقبول عند
الله ولا جاء فيها: كل بدعة ضلال إلا كذا وكذا ولا شيء من هذه المعاني
ولو كانت هناك محدثات يقتضي النظر الشرعي فيها أنها حسنة أو
مشروعية لذكر ذلك في نصوص الكتاب والسنة ولكنه لا يوجد ما يدل
على ذلك فدل على أن تلك الأدلة بأسارها على حقيقة ظاهرها من الكلية
والعموم الذي لا يتختلف عن مقتضاه فرد من الأفراد [الاعتصام للشاطبي]

٢- أنه قد ثبت في الأصول العلمية أن كل قاعدة كلية أو دليل شرعي
كلي إذا تكررت في أوقات متعددة وأحوال مختلفة ولم يقترب بها تقيد ولا
تخصيص فذلك دليل على بقاءها على مقتضى لفظها العام المطلق
وأحاديث ذم البدع والتحذير منها من هذا القبيل.

فقد كان النبي ﷺ يردد من فوق المنبر على ملايين المسلمين في
أوقات كثيرة وأحوال مختلفة أن: «كل بدعة ضلال».

ولم يرد في آية ولا حديث ما يقييد أو يخصس هذا اللفظ المطلق
العام، بل لم يأت ما يفهم منه خلاف ظاهر هذه القاعدة الكلية وهذا يدل
دلالة واضحة على أن هذه القاعدة على عمومها وإطلاقها.

[انظر الاعتصام للشاطبي]

٣- عند النظر في أقوال وأحوال السلف الصالح من الصحابة
والتابعين ومن يليهم نجد أنهم مجتمعون على ذم البدع وتقبيلها
والتففير عنها ولم يرد عنهم في ذلك توقف ولا استثناء فهو - بحسب
الاستقراء - إجماع ثابت يدل دلالة واضحة على أن البدع كلها سيئة لا
يوجد فيها شيء حسن.

٤- القول بالبدعة الحسنة يفسد الدين ويفتح المجال للمتلاعبين
فيأتي كل من يريد بما يريد تحت ستار البدعة الحسنة، وتحتم حينئذ
أهواء الناس وعقولهم وأنواعهم في شرع الله وكفى بذلك إثماً وضلالاً
مبيناً.

٥- عند النظر في بعض المحدثات التي يسمى بها أصحابها بدعا
حسنة نجد أنها قد جلبت على المسلمين المفاسد العظيمة كما في بدعة

وكمال القدرة على بيانه، وكمال الإرادة له، وكمال العلم والقدرة والإرادة يجب وجود المطلوب على أكمل وجه؛ فيعلم أن كلامه عليه السلام أبلغ ما يكون؛ وأتم ما يكون، وأعظم ما يكون بياناً لأمور الدين. [مجموع الفتاوى ١٧/١٢٩]

٩. يقال لِمُحَسْنِ البدع: إذا كان في الشريعة بحسب رزقك - بدعة حسنة فإننا نبتعد ترك البدعة الحسنة ونرى عدم جوازها وعدم العمل بها لأن ذلك هو الأتفع لعاجلتنا وأجلتنا وأجمع لكلمتنا وأبعد عن الفرقة والخلاف.

فإن كان قوله هذا صحيحاً وعليه برهان فلا تجوز مخالفته وإن لم يكن عليه برهان فهو بدعة حسنة وهو معمول بها عندكم فالبدعة على جميع الفروض باطلة وهو ما نريد.

ثانية: الأدلة الصحيحة التي استدل بها المبتدعة على تحسين بدعهم ومناقشتها.

١. استدل لهم بحديث رسول الله ص: «من سن في الإسلام سنة حسنة. وأن سن بمعنى اخترع وابتعد. على وجود البدعة الحسنة شرعاً».

فالجواب: أنه ليس المراد بالاستنان هنا الاختراع وإنما المراد به العمل بما ثبت في السنة النبوية أو إحياء أمر مشروع غفل عنه الناس أو تركوه وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول:

أن سبب ورود الحديث يفسر المراد بذلك وهو الحث على الصدقه المشروعة ففي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ص في صدر النهار فجاء قوم مجتaby النمار أو العباء متقدلي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتعمّر وجه رسول الله ص لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلا فاذن وأقام

المولد وما يترب عليها من فسوق وعصيان باختلاط الرجال والنساء والرقص والغناء. وكما في بدعة البناء على القبور وما يترب عليها من شرك بالتسلل والاستغاثة والدعاء ومن أكل لأموال الناس بالباطل ومن التطاول والتفاخر بالبناء على هذه الأضرحة وغير ذلك وهذا المذكور هنا إنما هو بمجرد التمثيل على أن البدع التي يطلق عليها أصحابها حسنة هي عين القبح والضلال والفساد، وإلا فلو استعرضتسائر البدع العلمية والعملية لوجدتها من هذا القبيل فسبحان من جعل التمسك بالكتاب والسنّة عصمة وجعل الافتئات عليهم ضالة.

٦. يقال لمعتقد حُسْنٍ بعض البدع: إذا جوَّزَتِ الزيادة في دين الله باسم البدعة الحسنة جاز أن يستحسن مستحسن حذف شيء من الدين بإسم البدعة الحسنة أيضاً ولا فرق بين البابين لأن الابتداع يكون بالزيادة والنقصان والاستحسان الذي تراه يكون كذلك بالزيادة والنقصان وكفى بهذا قبحاً وذمّاً وضلالاً.

٧. أن القول بالبدعة الحسنة يؤدي إلى تحرير الدين وإفساده، إذ كلما جاء قوم زاد في الدين عبادة وسموها: بدعة حسنة، فتكثر البدع، وتزيد على العبادات الشرعية، فيتغير الدين ويفسد كما فسدت الأديان السابقة، فيجب إغلاق باب الابتداع كله حماية للدين من التحرير والانتحال.

[انظر تحذير المسلمين عن الابتداع لابن حجر البوطامي]

٨. من علم أن الرسول ص هو أعلم الخلق بالحق، وأفصح الخلق في البيان والنطق، وأنصح الخلق للخلق، علم أنه قد اجتمع في حقه ص الكمالات كلها: كمال العلم بالحق

فصلٌ ثُمَّ خطبَ فِي قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...» الآية [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَنْظُرُ نَفْسًا مَا قَدَّمْتَ لِغُرِبِ...» [الحشر: ١٨].

تصدقُ رجلٌ من ديناره، من درهمه من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: «ولو بشق تمره» قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصره كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت. قال: ثم تتبع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعدهم من غير أن ينقص من أجورهم شيءٍ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٍ.

فسياق الحديث يدحض تفسيره الذي شاع عند المبتدعين: «من ابتدع في الإسلام بدعة حسنة...» فخصصوا عموم قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالٌ» ويدل على فساد تصورهم وتفسيرهم أن كل ما فعله الصحابي رضي الله عنه أنه أتى بتلك الصرفة فانفتح بسببه باب الصدقة وتتابع الناس بعده فكان فاتحة الخير في هذا الإحسان، وإذا نظرنا إلى ما فعله هذا الصحابي رضي الله عنه نجد أنه لم يخترع شيئاً جديداً وأن الصدقة أمر مشروع.

بل كان له الفضل في تبنيه الصحابة وتشجيعهم - بفعله - على الصدقة وعلى ذلك فالمراد بالسنة الحسنة في الحديث: هو العمل بالسنة خاصةً إذا غفل عنها الناس أو تركوها.

الوجه الثاني:

أن قوله: «من سن سنة حسنة... ومن سن سنة سيئة» لا يمكن حمله على الاختراع من أصل لأن كونها حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع لأن التحسين والتقبیح مختص بالشرع لا مدخل للعقل فيه وهو مذهب أهل السنة فلزم أن تكون «السنة» في الحديث: إما

حسنة في الشرع وإما قبيحة بالشرع فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة وما أشبهها من السن المنشورة وتبقي السنة السيئة منزلة على المعاصي التي ثبت بالشرع كونها معاصي، كالقتل المنبه عليه في حديث ابن آدم حيث قال عليه الصلاة والسلام: ... لأنَّه أول من سن القتل» وعلى البدع لأنَّه قد ثبت ذمها والنهي عنها بالشرع.

وعليه، فالسنة الحسنة هي: إحياء أمر مشروع لم يعهد العمل به بين الناس لتركهم السن ففي عصرنا لو أن إنساناً أحيا سنة مهجورة يقال: أتى بسنة حسنة ولا يقال: أتى ببدعة حسنة.

إذن فالسنة الحسنة هي ما كان أصله مشروعًا بتنص صحيح وترك الناس العمل بها ثم جاء من يجددها بين الناس مثال ذلك إحياء سنة صلاة العيددين في المصلى فقد كان الناس من قبل يصلونها في المساجد ظنًا منهم أنها السنة فجاء أهل السنة فنبهوا على هذه السنة المباركة. [البدعة وأثارها السئي في الأمة / الهلالي]

الوجه الثالث:

١ - أن القائل: «من سن في الإسلام سنة حسنة» هو القائل: «كل بدعة ضلالٌ» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق ﷺ قول يكذب له قوله آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً.

وعليه: فإنه لا يجوز لنا أن نأخذ بحديث ونعرض عن الحديث الآخر، فإن هذه حال من يؤمن ببعض الكتاب ويکفر ببعض.

٢ - أن النبي ﷺ قال: «من سن» ولم يقل: «من ابتدع» وقال: «في الإسلام»، والبدع ليست من الإسلام، وقال: «حسنة»، والبدعة ليست بحسنة.

٣ - لم ينقل عن أحد من السلف أنه فسر السنة الحسنة بالبدعة التي يحدثها الناس من عند أنفسهم؛ فبطل ما احتاج به أهل البدع على تحسين بدعهم. والله من وراء القصد.

اتبعوا واعثروا



هل في الإسلام پیدھائی حدائق



ـ إعداد
معاوية محمد هيكل

أشرنا في المقال السابق إلى بطلان استدلال المبتدة عن بحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» على تحسين بدعهم، وفي هذا المقال نفنن بطلان استدلالهم بالحديث الثاني في مقام الاحتجاج، وهو استدلالهم بقول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» وأن عمر قد سمي جمع الناس على قيام رمضان ببدعة واستحسنها.

و قبل مناقشة هذا الدليل نسوقه بنصه أولاً: فقد روى البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزع متفرقون، يصلى الرجل لنفسه و يصلى الرجل فيصلني بصلاته الرهط، فقال عمر: إنني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاته قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله.

نقول: وليس في هذا الحديث دليل على ما ذهبوا إليه من وجود البدعة الحسنة شرعاً، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن فعل عمر رضي الله عنه، حينما جمع الناس في التراويح على إمام واحد مأخذ من فعله رسول الله ﷺ، كما روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها أخبرت: أن رسول الله رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كان الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يخف عليكم مكانكم، ولكنني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها، فتوفي رسول الله رسول الله ﷺ والأمر على ذلك.

[البخاري ٢ / ٢٥٢].

ففي هذا الحديث النص الصريح على أن الناس اجتمعوا على إمام واحد في عهده رسول الله ﷺ، وبفعله عليه الصلاة والسلام، وأنه إنما ترك ذلك رأفة بأمته، وخشيته منه عليه السلام أن تفرض عليهم، وقد ذكر هذا المعنى الحافظ في الفتح نقاًلاً عن بعض العلماء عند شرحه

الجماعات في قيام رمضان سنة ليست بدعه، وإنما سماها عمر رضي الله عنه بذلك إرادة منه لمفهوم الغواني

الشرعى ٥٥

٥٥ فعل عمر رضي الله عنه محل اقتداء لكونه من الخلفاء الراشدين لقول النبي ﷺ : «عليكم بسنننا وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...»

لقول عمر رضي الله عنه عندما رأى الناس يصلون أوزاعاً قال: «لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل». قال: استنبط عمر ذلك من تقرير النبي ﷺ من صلى معه في تلك الليالي، وإن كان كره ذلك لهم فإنما كره خشية أن يفرض عليهم إلى أن قال ناقلاً عن غيره قيام رمضان سنة: لأن عمر إنما أخذه من فعل النبي ﷺ ، وإنما تركه النبي ﷺ خشية الافتراض. [فتح الباري ٤ / ٢٥٢]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على الذين يحتاجون بقول عمر: «نعمت البدعة» على حسن بعض البدع:

«أما قيام رمضان فإن رسول الله ﷺ سنه لأمتة، وصلى بهم جماعة عدة ليالٍ، وكانوا على عهده يصلون جماعة وفرادى، لكن لم يداوموا على جماعة واحدة؛ لثلا تفرض عليهم، فلما مات النبي ﷺ استقرت الشريعة، فلما كان عمر رضي الله عنه، جمعهم على إمام واحد، وهو أبي بن كعب الذي جمع الناس عليها بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه هو من الخلفاء الراشدين، حيث يقول ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضواً عليها بالنواخذة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء: فاما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة بل سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله في الجماعة، إلى أن قال: ولا صلاتها جماعة بدعة، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاماها رسول الله ﷺ في الجماعة أول شهر رمضان ليلتين بل ثلثاً، وصلاتها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات، إلى أن قال: وكان الناس يصلونها جماعات في المسجد على عهده ﷺ وهو يُقرّهم، وإنّه سنة منه ﷺ .

وبمثل قول شيخ الإسلام هذا، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمة الله والشاطبي في الاعتراض.

الوجه الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» ينصرف إلى البدعة اللغوية لا الشرعية، وذلك لأمور:

الأول: أن صلاة التراويح جماعة قد ثبت فعلها جماعة على إمام واحد في عهده ﷺ ، فلا يمكن أن يسمى عمر هذه السنة الثابتة بدعة إلا من باب اللغة.

الثاني: أن صرف قول عمر إلى البدعة اللغوية، فهل يعقل أن يرضي عمر بالبدعة في دين الله وقد تلقى مع غيره من الصحابة قول النبي ﷺ : «كل بدعة ضلاله» مع ما عرف عنه رضي الله عنه من حرص على اتباع السنة ومحاربة البدعة، بل وقطع كل ذريعة تؤدي إلى البدعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:... أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعي، إلى أن قال: ثم ذلك العمل الذي دل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سمي في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في

الاعتبار فلا مشاحة في الأسمى وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه ؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن موضعه...». [الاعتصام / ١٩٥ /].

الوجه الثالث: لو افترض أن هذا الفعل من عمر رضي الله عنه ليس له دليل من السنة ولا يصح صرف معنى قوله: «نعمت البدعة» إلى المعنى اللغوي، فإن فعله رضي الله عنه محل اقتداء لكونه من الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي ﷺ بالتزام سنته حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجد».

وإلى هذا المعنى أشار ابن رجب رحمه الله عند كلامه عن معنى قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» حيث بين أن هذا العمل له أصل في الشريعة، ثم ذكر أدلة المشروعية فقال: «ومنها أنه ﷺ أمر باتباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين، فإن الناس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم».

وأشار لهذا المعنى أيضاً شيخ الإسلام فقال: «فلمَا كان عمر رضي الله عنه جمعهم على إمام واحد، والذي جمّعهم أبي بن كعب جمع الناس عليها بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر هو من الخلفاء الراشدين حيث يقول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجد».

وعلى ذلك فالجماعية في قيام رمضان سنة وليس بدعة، وإنما سماها عمر رضي الله عنه بذلك إرادة منه للصرفهوم اللغوي، لا الشرعي، ولأن رسول الله ﷺ قد تركها مانعـ وهو خوف الافتراضـ قد زال بوفاته ﷺ.

وبذلك يسقط استدلال المبتدةـ بهـذاـ الحديثـ على تحسينـ بدعـهمـ،ـ وللهـ الحـمدـ والـمـلةـ.

الشريعة، وقد علم أن قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» لم يرد به كل عمل مبتداً، فإن دين الإسلام، بل كل دين جاء به الرسل فهو عمل مبتداً، وإنما أراد ما ابتدأ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ.

وقال رحمة الله: وكل ما لم يشرع من الدين فهو ضلالة، وما سُمِّي بدعة وثبت حسنـهـ بأدلةـ الشرعـ فـاـحـدـ الـأـمـرـيـنـ فـيـهـ لـازـمـ:ـ إـمـاـ أـنـ يـقـالـ لـيـسـ بـبـدـعـةـ فـيـ الدـيـنـ،ـ وـإـنـ كـانـ يـسـمـىـ بـبـدـعـةـ مـنـ حـيـثـ اللـغـةـ كـمـاـ قـالـ:ـ «ـنـعـمـتـ الـبـدـعـةـ هـذـهـ»ـ.

وقال في موضع آخر: «ولا يحتاج محتاج بجمع التراويف ويقول: «نعمت البدعة هذه» فإنها بدعة في اللغة».

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامـعـ العـلـوـمـ وـالـحـكـمـ:ـ «ـفـكـلـ مـنـ أـحـدـ ثـيـنـاـ وـنـسـبـهـ إـلـىـ الدـيـنـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ لـهـ أـصـلـ مـنـ الدـيـنـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ فـهـوـ ضـلـالـةـ وـالـدـيـنـ بـرـيءـ مـنـهـ،ـ وـسـوـاءـ فـيـ ذـلـكـ مـسـائـلـ الـاعـتـقـادـاتـ أوـ الـأـعـمـالـ أوـ الـاقـوالـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـنـةـ،ـ وـأـمـاـ مـاـ وـقـعـ فـيـ كـلـامـ السـلـفـ مـنـ اـسـتـحـسانـ بـعـضـ الـبـدـعـ،ـ فـإـنـماـ ذـلـكـ فـيـ الـبـدـعـ الـلـغـوـيـ لـاـ شـرـعـيـةـ،ـ فـمـنـ ذـلـكـ قـولـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ مـاـ جـمـعـ النـاسـ فـيـ قـيـامـ رـمـضـانـ عـلـىـ إـمـامـ وـاحـدـ فـيـ الـمـسـجـدـ وـخـرـجـ وـرـأـهـ يـصـلـونـ ذـلـكـ فـقـالـ:ـ «ـنـعـمـتـ الـبـدـعـةـ هـذـهـ»ـ.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «ـوـالـبـدـعـةـ عـلـىـ قـسـمـيـنـ:ـ تـارـةـ تـكـوـنـ بـدـعـةـ شـرـعـيـةـ،ـ كـقـوـلـهـ:ـ «ـفـإـنـ كـلـ مـحـدـثـةـ بـدـعـةـ وـكـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ»ـ،ـ وـتـارـةـ تـكـوـنـ بـدـعـةـ لـغـوـيـةـ،ـ كـقـوـلـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ عـنـ جـمـعـهـ إـيـاـهـمـ عـلـىـ صـلـةـ التـراـوـيـحـ وـاسـتـمـارـاهـمـ «ـنـعـمـتـ الـبـدـعـةـ هـذـهـ»ـ.

وتحدى الشاطبي معتبراً عن ما يشبه هذه المعاني في معرض رده على المستحسن للبدع، والمستدل عليها بقول عمر رضي الله عنه فقال: «ـوـإـنـماـ سـمـاـهـ بـدـعـةـ باـعـتـبـارـ ظـاهـرـ الـحـالـ منـ حـيـثـ تـرـكـهـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ وـاتـقـوـهـ أـنـ لـمـ تـقـعـ فـيـ زـمانـ أـبـيـ بـكـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ،ـ لـأـنـهـ بـدـعـةـ فـيـ الـمـعـنـىـ،ـ فـمـنـ سـمـاـهـ بـدـعـةـ بـهـذاـ

أولاً: اتباع الهوى

ومتابعة الهوى أصل الزيف عن صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هُوَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّسِعُونَ أَهْوَاءُهُمْ وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هُوَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. والابتداع بالهوى أشد أنواع الابتداع إثما عند الله تعالى، وأعظم جرمًا علىخلق، فكم حرف الهوى من شرائع، وبديل من ديانات، وأوقع الناس في ضلال مبين.

ومن هذا الباب سُمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم قدموا أهواهم ورجحوا آراءهم، وجعلوها مساوية للنصوص الشرعية، أو أعلى منها درجة ودلالة، بل ربما جعلوا عقولهم وأنواقهم هي الأساس والأدلة الشرعية للتعضيد والاستئناس.

قال ابن القيم: (وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول ﷺ في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية يسمونهم أهل الشبهات والأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهو لا دين، فصاحبه من اتبع هواه بغير هدى من الله، وغيته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة). [إغاثة الهاهن]. [١٢٨/٢]

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٨٤/٣): وأصل الضلال اتباع الظن والهوى، كما قال تعالى في حق من ذمهم: ﴿إِنْ يَتَّسِعُونَ إِلَّا الظُّنُونُ﴾، وقال في حق نبيه ﷺ: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هُوَى﴾ (١) ما ضلَّ صاحبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢، ١]، فنزهه عن الضلال والغواية الذين هما الجهل والظلم، فالضلال هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه.

وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس، بل هو وحي أوحاه الله إليه،

اتبعوا ولا تبتدعوا

أسباب الابتداع



بِقَلْمِ / معاوِيَةٍ مُحَمَّدٌ هِيكَلٌ



الحمد لله والصلوة والسلام على

رسول الله، وبعد:

لقد كان الإعراض عن القرآن والسنة
بفهم سلف الأمة ولا يزال السبب الرئيس
في ظهور البدع وانتشارها بين صفوف
الأمة مما كان له الأثر السيئ في إفساد
العقيدة والعبارة لدى كثير من المسلمين،
وفي هذا المقال نعرض للأسباب التي أدت
إلى الابتداع في دين الله عز وجل. فنقول
مستعينين بالله:

الخمسة، وكما فعلت الجهمية في آيات الصفات.

[مجموع الفتاوى ٤٤٠/١٦].

ردة النصوص الثابتة من علامات أهل البدع

ومما يدل على أن اتباع الهوى هو أحد أسباب البدع، إنك تجد من أهل البدع من يرد النصوص الصحيحة الصريحة، بجراة عجيبة لأنها خالفت أهواءهم.

من ذلك ما رواه عبيد الله بن معاذ عن أبيه: أنه سمع عمرو بن عبيد (إمام المعتزلة) يقول: - وذكر حديث الصادق المصدوق: إن أحدهم يجمع في بطنه أمه أربعين يوماً نطفة. ثم يكون علقة مثل ذلك... الحديث: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته؛ ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته؛ ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته؛ ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لربوته؛ ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا!»

وقال عمرو بن عبيد أيضاً: لو كانت (تبث يدا أبي لهب وتب المسد) في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العبادة حجة.

فانظر إلى هذا العدوان السافر والجرأة المتناهية في رد النصوص الثابتة المحكمة والاعتراض عليها وهي عالمة من علامات الزندقة والفحور، تزداد بازدياد الفساد والضلال.

قال ابن تيمية في معرض حديثه عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود: «وحدثني الثقة الذي رجع عنهم لما اكتشف له أسرارهم: أنه (يعني: التلماساني) قرأ عليه (فصوص الحكم) لابن عربي، قال: فقلت له: هذا الكلام يخالف القرآن! فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا (!!). قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحداً فلماذا تحرّم على ابنتي وتحل لـ زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت، الجميع حلال! لكن المحبوبون قالوا: حرام، فقلنا حرام عليكم.

ولهذا يصف ابن تيمية غلاة الصوفية بقوله: «ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الأسد، ولهذا يوصفون بأنهم إذا قيل لهم: قال المصطفى ﷺ، نفروا».

وقال أيضاً: «أهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل

فوصفه بالعلم ونزعه عن الهوى.

اتباع الهوى جنائية على الشرعية

ويشير ابن تيمية إلى وجوب تقديم الشرع على الهوى والرأي، وجعل ذلك أصلاً عظيماً يفترق فيه أهل السنة المتبعون لرسولهم ﷺ عن مخالفتهم من جميع الطوائف والفرق، حيث قال: «مطلوب وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على الهوى، فالاصل الذي افترق عليه المؤمنون بالرسل والمخالفون: تقديم نصوصهم على الآراء، وشرعيتهم على الأهواء، فمن نور الله قلبها، فرأى في النص والشرع من الصلاح والخير. وأصل الشر في تقديم الرأي على النص، والهوى على الشرع.

وإلا فعل عليه الإنقياد لنصر رسول الله ﷺ وشرعه، وليس له معارضته برأيه وهواء.

ويذكر ابن تيمية أن المبتعدة إنما يتصرفون بأهوائهم، فقال: «وأيضاً فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل بهواه لا ديانة، ويقصدُ عن الحق الذي يخالف هواه».

ويقول في موضع آخر أيضاً: «وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم لا يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، فيهم جهل وظلم، لا سيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً».

وقال الشاطبي: «سمى أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية، فأخذوا الافتقار إليها، والتغويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموها أهواهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورةً فيها من وراء ذلك».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وإياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا». [اللائكي ١/٢٢]

وهذا هو دأب أهل البدع، يضعون أهواءهم أولاً، ثم يطلبون الأدلة عليها من الشرع وكلام العرب، بعكس أهل الحق فإنهم يضعون الدليل أولاً، ثم ينقدون له فيعتقدون ويفحصون بعد ما يستدللون.

وأهل الأهواء إذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون، أولوها وحرفوها وصرفوها عن حقيقة معناها. [انظر الاعتصام ١/٢٤٩].

كما فعل المعتزلة في الأدلة المخالفة لأصولهم

يشرك به ويغفر ما دون ذلك ملن يشاء) النساء: ٤٨،
وماشاكلها من النصوص.

المثال الثاني: منهاج المرجنة

أخذ المرجئة نصوص الوعد، وتركوا نصوص
الوعيد، ففهموها على غير مرادها، وقالوا: لا يضر
مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهم
أخذوا بقول الرسول ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا
إله إلا الله دخل الجنة» وما في معناه.. وتركوا قول
الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» وأشباهه من
النصوص.

وإزاء هذا الإفراط والتغريب توسط أهل السنة،
وأخذوا بجميع النصوص الواردة، والفوا بينها
تاليفا علميا مستقيما يزيد الإشكال، ويدفع الخلط
والاضطراب.

ومن لطائف مناظرات أهل السنة في هذا الباب:
ما رواه قريش بن أنس قال: "سمعت عمرو بن عبيد
يقول: يؤتى بي يوم القيمة فاقام بين يدي الله
فيقول لي: لم قلت إن القاتل في النار؟ فاقول: أنت
قلتني، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَرَأْوْهُ جَهَنَّمْ حَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]. قلت له:
وما في البيت أصغر مني: أرأيت إن قال لك: قد قلت:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ
يَشَاء﴾ [النساء: ٤٨] من أين علمت أنى لا أشء أن
أغفر؟! قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً.

ولهذا قال ابن تيمية مبينا سبب ظهور البدع:
«ومن هنا تتبين الضلالات المبتدعة في هذه الأمة؛
حيث هي من الإيمان ببعض ما جاء به الرسول دون
بعض، وإما ببعض صفات التكليم والرسالة والنبوة
دون بعض، وكلاهما إما في التنزيل وإما في
التأويل».

وقال ابن تيمية أيضا: (لكن التحقيق الجمع بين
نصوص الوعد والوعيد، وتفسير بعضها ببعض من
غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمور
والنهي من غير تبديل شيء منها).

وقال الشاطبي: «كتيرا ما ترى الجهال يحتاجون
لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة اقتصارا
بالنظر على دليل ما، واطرحا للنظر في غيره من
الأدلة الأصولية والفرعية العاضة لنظره أو
المعارضة له».

وللحديث بقية إن شاء الله.

الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث،
فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره، وقد
يبغض إليهم حتى الكتاب فلا يحبون كتابا، ولا من
معه كتاب، ولو كان ما معه مصحفا أو حديثا، كما
حكي النصراني أنهم كانوا يقولون: يدع علم
الخرق ويأخذ علم الورق؛ قال: وكنت أستر الواحي
منهم، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي».

وقال أيضا: «فعدل كثير من المفتسبين إلى
الإسلام إلى نبذ القرآن وراء ظهره، واتبع ما تتلو
الشياطين، فلا يعظم أمر القرآن ونهايه، ولا يحوالى من
أمر القرآن بمواتاته، ولا يعادى من أمر القرآن
بمعاداته».

ونظير هؤلاء زنادقة العصر الحديث من
اليساريين والعلمانيين وأشباههم، الذين بلغت
جرأتهم في رد النصوص والاعتراض عليها حدا
عظيماً. والعياذ بالله، ومن أمثلهم حالا من زعم
منهم أن الدين تراث مقدس، لكنه ليس صالحًا لهذا
الزمان! ولهذا طالبوا بفصله عن جميع شؤون
الحياة، الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية،
والإعلامية.. ونحوها. [انته منهج التقى والاستدلال/الصوبان]

ثانياً: الاستدلال ببعض النصوص دون النظر في غيرها
منهج أهل السنة جمع النصوص الواردة في
الباب الواحد، ووضع كل نص في موضعه اللائق به
شرعا، فلا يجوز أن يؤخذ نص ويترك نص آخر ورد
في الباب نفسه؛ فإن كثيرا من البدع والضلالات في
القديم والحديث إنما ظهرت بسبب إهمال هذه
القاعدة الجليلة. فبعض المبتدعة وجهمة المتفقهة
والمقلدة يأخذون نصا ويتركون نصوصا أخرى قد
تكون مخصوصة أو مقيدة أو مبنية أو ناسخة. أو
نحو ذلك. فيفترض إليها من زاوية ويترك زوايا أخرى،
مما يؤدي إلى كثير من الخلط والاضطراب. وإليك
هذين المثالين:

المثال الأول: منهاج الخوارج

أخذ الخوارج بنصوص الوعيد، وتركوا
نصوص الوعد، ففهموها على غير مرادها. وراحوا
يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم وأموالهم
بغير حجة ولا برهان. فهم أخذوا قول الله - تعالى:ـ
(ومن يعص الله ورسوله ويتعود حدوده يدخله نارا
حالا فيها وله عذاب مهين) النساء: ١٤، ونحوها من
الآيات.. وتركوا قوله - تعالى: (إن الله لا يغفر أن

اتبعوا ولا تبتدعوا



أسباب الابتداع

(٢)

بِقَلْمِ / معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلوة والسلام

على رسول الله وبعد:

عرضنا في الحلقة السابقة لأول

الأسباب التي أدت إلى الابتداع في

دين الله عز وجل، وذكرنا من ذلك

اتباع الهوى والاستدلال ببعض

النصوص دون النظر في غيرها،

وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه،

فنقول مستعينين بالله عز وجل:

ثالثاً: الجهل بعلوم الشرعية:

الجهل من أعظم أسباب الابتداع سواء أكان جهلاً بالنصوص - بعدم الإطلاع عليها - أم كان جهلاً بمنزلتها في الدين أو بدللات الألفاظ ومقدار الشرعية.

قال الإمام أحمد في وصف المبتدعة: عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون لكتاب مجتمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعود بالله من فتن المضللين. اهـ.

شعار المبتدعة ترك الآثار، وشعار أهل السنة مثل ما قال محمد بن سيرين رحمة الله: «كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الآخر».

ولذلك فإن أهل السنة أتباع الحق والهدى، يسمون أهل الحديث تارة، وأهل الآخر تارة، كما قال هارون الرشيد: «طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته في الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث».

فانظر كيف فرق بين أتباع الهدى أصحاب الابداع، وأتباع الردى ذوي الابداع؛ لأن الله عصم أولئك بمسلكهم خلاف رسول الله ﷺ كما قال وكيع بن الجراح: «لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئاً إلا أن يمنعه من الهوى كان قد أصاب فيه».

وأساس علوم الإسلام كتاب الله وسنة رسوله، وقد أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام عن ذهب العلم فقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالماً اتّخذ الناس رؤوساً جهالاً، فاقتروا بغير علم فضلوا وأضلوا».

[أخرجه البخاري (١٩٤١/ فتح)]

ولقلة علمهم اتبعوا المتشابه، وتركوا المحكم، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «سيأتي ناسٍ يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهם بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل». [الشريعة للأجري]

وقد وصف الصادق عليهما السلام بصفات منها: ما رواه علي رضي الله عنه حيث قال: وإنني سمعت النبي ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فائينا لقيتهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا من قتلهم عند الله يوم القيمة».

[أخرجه البخاري (٦١٤)، ومسلم (٧٤٦/ فتح)]

وهم على عكس أهل السنة الذين من صفاتهم الرسوخ في العلم ورد المتشابه إلى المحكم، إذ من صفات المبتدعة

الزيغ، وقلة العلم، واتباع المتشابه، فمن جهة الجهل بالشرع حصل لهم الزيغ، فتركتوا الأدلة المحكمة واتبعوا المتشابه فقادهم ذلك إلى الابتداع.

وفروع جهل المبتداة بالشريعة كثيرة ومتنوعة، منها:

١- الجهل بالسنة النبوية والاعتماد على المرويات الواهية

فظهرت نتيجة ذلك بدع عديدة نذكر منها على سبيل المثال:

أ- بدعة الحقيقة الحمدية أو النور الحمدي، والتي تعتمد على حديث النور المكذوب الذي لا أصل له، المنسب إلى مصنف عبد الرزاق عن جابر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال النبي ﷺ: «إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور في القدر حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جهة ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جن، ولا إنسى، فلما أراد أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور أربعة أجزاء:

١- الجزء الأول وخلق منه القلم.

٢- ومن الثاني: اللوح.

٣- ومن الثالث: الجنة والنار.

٤- ثم قسم الرابع إلى أجزاء.

أ- فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين.

ب- ومن الثاني: نور قلوبهم- وهو المعرفة بالله.

ج- ومن الثالث: نور أنفسهم- وهو التوحيد- لا إله إلا الله، محمد رسول الله... الحديث. [كشف الخفاء للعجلوني].

وهذا كلام مصادم للنصوص الشرعية التي بينت أن مبدأ خلق العالم هو الماء والعرش كما في قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيِّئَةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَزِيزًا عَلَى الْمَاءِ»، وقوله ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الدَّرْكِ كُلَّ شَيْءٍ». [أخرجه البخاري]

[١٥٢٩]

وأما حديث: «أول ما خلق الله القلم ثم قال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيمة». [المسند ٣١٧٥/٥]. فالاولية في هذا الحديث مقيدة بالنسبة لما صدر منه العرش والماء، أو بالنسبة لما صدر منه من الكتابة، أي قبل له أول ما خلق: اكتب. [انظر فتح الباري ٢٨٩٦/٣].

ب- وبدعة وحدة الوجود أساسها حديث لا أصل له: «ما وسعتنى سمائي ولا أرضي، ولكن وسعنى قلب عبدي المؤمن». [٢٠٣٣]

ج- وكذلك بدعة خلق المخلوقات من أجل النبي ﷺ تعتمد على الحديث المكتوب: «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك». [الموالد وأfasad al-qadaan]

ومما يؤسف له أن مثل هذه الأحاديث الواهية والمكذوبة يروج لها الصوفية كل عام عبر وسائل الإعلام وهم يحتفلون ببدعة المولد النبوى التي لم يختلف بها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه، فينتشرون بذلك العقائد الفاسدة والمبادئ الهدامة في صفوف الأمة، ويشوّهون بذلك حقائق الدين الحنيف ومعالمه بدعوى محبة النبي ﷺ.

٢- الجهل بأساليب اللغة العربية

فقد جعل العلماء لزاماً على كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم لسان العرب الذي به أزيد ونقلت نصوص الشريعة، وأن ينظر في أساليبهم واستعمالاتهم.

قال الشاطبي في بيان مأخذ المبتداة في الاستدلال: «ومنها تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين، مع العزوف عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويختالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الخطا بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك».

والعجب أن من كان عالماً باللغة من المبتداة، فإنه قد يحرف قواعد اللغة وما تعارف عليه العرب، من أجل أن يوافق

٥٥ بسبب جهل المبتداة بالكتاب والسنة حصل لهم الزيغ فتركوا الأدلة المحكمة واتبعوا المتشابه فقادهم ذلك إلى الابداع.

٥٥ بدعة الحقيقة الحمدية أو النور المحمدي التي تعنى بها الصوفية تعتمد على حديث مكذوب لا أصل له وهو: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر».

٥٥ يروج الصوفية كل عام عبر وسائل الإعلام وهم يحتفلون ببدعة المولد النبوى لعقائد الفاسدة في صفوف الأمة ويشوهون معالم الدين الحنيف.

مذهب الباطل، وإليك هذين المثالين:

المثال الأول: إنكار رؤية الله تعالى في الجنة:

قال رب أرني أنظر إليك قال أن تراني قال موسى لم يقاتنا وكلمة رب

رغم المعزلة أن: «لن» تفيد تأييد نفي المستقبل. يعني:

لن تراني في الدنيا، ولن تراني في الآخرة وهذا

مخالف لقواعد اللغة؛ فـ: لن عند العرب لا تفيد النفي

المؤيد؛ ولليل ذلك قول الله تعالى: «فلن أبرح الأرض

حتى يأذن لي أبي» [يوسف: ٨٠]، وقوله تعالى: «إني

نذررت للرحمض صوّفاً فلن أكلم اليوم إنسينا» [مريم: ٦٦]

ولهذا قال ابن مالك في الفيتة:

ومن رأى النفي بـ(لن) مؤبداً

قوله اربد وسواه فاعضاً

وقال الخازن في تفسيره: «وقد تمسك من نفي

الرؤية من أهل البدعة والخوارج والمعزلة وبعض

المرجئة بظاهر هذه الآية، وهو قوله تعالى: «لن

تراني»، قالوا: «لن» تكون للتثبت والدואم ولا حجة

لهم في ذلك، ولا دليل؛ ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا

سنة، وما قالوه في أن «لن» تكون للتثبت خطأ بين

ودعوى على أهل اللغة، إذ ليس يشهد لما قالوه نص

عن أهل اللغة العربية، ولم يقل به أحد منهم».

ويidel على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود:

«ولن يتممُوا أبداً» [البقرة: ٩٥]، مع أنهم يتممون الموت

يوم القيمة، يدل عليه قوله تعالى: «وتأنروا يا مالك

لتفغض عليئاً ربكم» [الزخرف: ٧٧]، وقوله: «يا لئتها كانت

القاضية» [الحاقة: ٢٧].

فإن قالوا: إن «لن» معناها تأييد النفي، كـ«لا» التي

تنفي المستقبل، قلنا: إن صح هذا التأويل فيكون

معنى: «لن تراني». محمولاً على الدنيا؛ أي: لن تراني

في الدنيا؛ جمعاً بين دلائل الكتاب والسنّة؛ فإنه قد

ثبت في الحديث الصحيح: أن المؤمنين يرون ربهم عز

وجل يوم القيمة في الدار الآخرة. [انظر شرح الطحاوية: ٢٠٧]

المثال الثاني:

تأويل حديث النبي ﷺ: «إنما قلب ابن آدم بين

إصبعين من أصابع الرحمن». [آخره الدارمي وأبن أبي عاصم

في السنة: ١٣٢١] إلى أن المراد بالإصبعين «قررتين»، ولهذا

قال الدارمي: «فهذه الفاظ رسول الله ﷺ في الحديث

الذي بيته ورويته بلسان عربي مبين، ففي أي لغات

ووجد أنها قدرتين من القدر، وهل من شيء ليس تحت

قدرة الله التي وسعت كل شيء حتى خص رسول الله

الله ﷺ القلوب من بينها بقدرتين؟ إلى أن قال عن

الجهمي - فقال إصبعاه: نعمتاه، قال: وهذا جائز في

كلام العرب». [١١]

فيقال لهذا المعارض: في أي كلام العرب وجدت

إجازته؟ وعن أي فقيه أخذته فاستند إليه، وإنما فإنك من المفترفين على الله وعلى رسوله. [رد الدارمي على المرسي: ٦٦].

٣- الجهل بمقاصد الشرعية

فإن الدين قد كمل، ولم يتم رسول الله ﷺ، إلا وقد وضع كل شيء بشهادة الله سبحانه وتعالى، بذلك حيث قال سبحانه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمْتُ

عَلَيْكُمْ تَعْقِيْتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ بِيَنْتَهِيَا» [المائدة: ٣٢].

فاما النوازل الحادثة والوقائع المتعددة، فإنها تنضوي تحت كليات الشرع وقواعدـه «فلم يبق للدين قاعدة يحتاج إليها في الضروريات وال حاجيات، أو التكميليات، إلا وقد بُيّنت غاية البيان». [الاعتصام: ٣٥٠/٢].

والنوازل والجزئيات التي تستجد تدخل تحت هذه القواعد، وينظر في كل نازلة بمنظار الشرع، فإنه لا بد أن يكون لها حكم بالقبول أو الرد، سواء كان ذلك في مجال العبادات أو في المعاملات، ومن كليات هذا الدين وقواعدـه الأساسية التي تنتظم كل الجزئيات الحادثة قوله ﷺ: «واباكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بيعة وكل بيعة ضلالـة».

وهذه القاعدة الشرعية تصوغ لنا مقاصد شرعية

اغفلـها المبتـدةـةـ فـضـلـواـ وـأـضـلـواـ،ـ مـنـهـاـ:

١- النـفـرـ إـلـىـ الشـرـعـ بـعـيـنـ الـكـمـالـ لـأـبـعـنـ النـفـصـ،ـ بـحـيـثـ لـأـيـخـرـ عـنـهـ الـبـيـتـةـ،ـ وـلـأـيـقـدـمـ بـيـنـ يـدـيـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ بـشـيـءـ يـخـتـرـعـهـ،ـ فـإـنـ الزـائـدـ فـيـ الشـرـعـ وـالـنـفـصـ مـنـهـ هـوـ الـمـبـتـدـعـ الـمـنـحـرـفـ عـنـ الـجـادـةـ إـلـىـ بـيـنـاتـ الـطـرـقـ.

وعـنـدـمـ أـغـفـلـ الـمـبـتـدـعـ هـذـاـ الـمـقـصـدـ الـشـرـعـيـ،ـ اـسـتـدـرـكـوـاـ بـأـقـوـالـهـ وـأـفـعـالـهـ عـلـىـ الشـرـعـ الـكـرـيمـ فـاتـهـمـوـهـ بـوـاقـعـ حـالـهـ أـوـ بـمـقـالـهـ بـالـنـفـصـ.

[الاعتصام: ٣١١، ٣١٠/٢]

٢- الـوـقـلـ بـأـنـ لـأـتـضـادـ بـيـنـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ،ـ وـلـأـبـيـنـ الـأـخـبـارـ الـنـبـوـيـةـ،ـ وـلـأـبـيـنـ أـحـدـاـ مـعـ الـآـخـرـ،ـ بـلـ الـجـمـيعـ جـارـ فـيـ مـسـارـ وـاحـدـ مـنـتـظـمـ فـيـ نـظـمـ وـاحـدـ،ـ وـلـأـتـرـكـ الـمـبـتـدـعـ هـذـاـ الـيـقـيـنـ فـيـ الـنـظـرـ إـلـىـ الشـرـعـ،ـ تـخـبـطـواـ وـاخـتـلـفـواـ فـاعـرـضـواـ بـعـضـ الشـرـعـ،ـ وـضـرـبـواـ كـتـابـ اللـهـ بـعـضـهـ بـعـضـ.

٣- الـإـلـيـقـلـ بـأـنـ لـأـتـعـارـضـ بـيـنـ الـعـقـلـ الـصـرـيـعـ وـالـنـصـ الصـحـيـعـ مـلـقاـتـاـ،ـ فـلـماـ تـخـلـفـ هـذـاـ الـإـيـقـانـ عـنـ بـعـضـ الـمـبـتـدـعـ صـالـواـ عـلـىـ النـصـوصـ صـوـلـةـ الـمـهـارـيـنـ،ـ وـرـدـوـاـ الـأـحـادـيـثـ الـتـيـ جـرـتـ غـيرـ موـافـقـةـ لـأـغـراضـهـ وـمـذـاهـبـهـ،ـ وـيـدـعـونـ أـنـهـاـ مـخـالـفـةـ لـلـمـعـقـولـ الـمـلـكـيـنـ لـعـذـابـ الـقـبـيـنـ وـالـصـراـطـ وـالـمـيزـانـ،ـ وـرـؤـيـةـ اللـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ،ـ وـحـدـيـثـ الـذـبـابـ،ـ وـأـنـ فـيـ أـحـدـ جـنـاحـيـهـ دـاءـ وـفـيـ الـآـخـرـ دـاءـ،ـ وـأـحـادـيـثـ نـزـولـ عـيـسـىـ وـخـرـوجـ الـدـجـالـ وـالـدـاـبـةـ،ـ وـمـاـ أـشـبـهـ ذـلـكـ مـنـ الـأـحـادـيـثـ الصـحـيـحةـ الـمـنـقـولةـ عـنـ الـعـدـوـلـ مـنـ سـلـفـ الـأـمـةـ.

وـلـلـحـدـيـثـ بـقـيـةـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ

أَسْبَابُ الابْتِدَاعِ

وفي هذه الحلقة- إن شاء الله تعالى- نكمل ما بدأناه حول أسباب الابداع، فنقول مستعينين بالله: إن من أسباب الابداع كذلك.

رابعاً: تقديم آراء الأئمة والشيوخ والأكابر على النصوص الثابتة إن تقديم آراء الآباء والشيوخ والأكابر على النصوص الصحيحة من أخطر أسباب الابداع، يقول الله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَوْلَوْ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» [المائدة: ٤٠] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي: إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه قالوا: يكفيانا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرق والمسالك، قال الله تعالى: «أَوْلَوْ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» [المائدة: ٤١] أي: لا يفهمون حقاً، ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه؟! لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً.

وقال عز وجل: «يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولَ» (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلَّنَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا أَتَهُمْ ضَغَفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» [الأحزاب: ٦٦-٦٧]

قال الشوكاني: والمراد بالسادة والكبار هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم. وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبية على هذا والتحذير منه والتنفير عنه، ولكن من يفهم معنى كلام الله ويقتدي به وينتصف من نفسه، لامن هو من جنس الانعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب.

صور من انحراف الفرق الفاسدة

انحراف في هذا الباب طوائف عديدة، من أبرزها:

- ١- الرافضة الإمامية: الذين زعموا لأنتمهم العصمة المطلقة لعصمة النبي ﷺ، وهذا فهم لا يعتمدون على القرآن ولا على الحديث ولا على الإجماع، إلا لكون المعصوم منهم، ولا على القياس وإن كان واضحاً جلياً ..

اتبعوا وَلَا تُتَّبِّعُوا



الحمد لله والصلوة والسلام على

رسول الله وبعد.

عرضنا فيما سبق لأسباب التي أدت إلى الابداع في دين الله رب العالمين، وذكرنا من ذلك اتباع الهوى والاستدلال ببعض النصوص دون النظر إلى غيرها في الموضوع الواحد، ثم ذكرنا سبباً ثالثاً لابداع وهو الجهل بعلوم الشرعية، وعددنا من فروعه الكثيرة المتنوعة: الجهل بالسنة النبوية والاعتماد على المرويات الواهية والجهل بأساليب اللغة العربية، والجهل بمقاصد الشرعية.

وصاروا لذلك لا ينظرون في دليل ولا
تعليق [منهاج السنة ٤٧٨١].

ومن غلو الرافضة في الأئمة أنهم
حولوا حبهم لهم إلى شرك وعبادة
لغير الله تعالى، قال ابن تيمية ..
وكذلك الرافضة غلو في الرسل، بل
في الأئمة حتى اتخذوه أرباباً من
دون الله، فتركوا عبادة الله وحده لا
شريك له التي أمرهم بها الرسل ،
وكذبوا الرسول فيما أخبر به من
توبه الأنبياء واستغفارهم؛ فتجدهم
يعطّلون المساجد التي أمر الله أن
ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يصلون
فيها جماعة، وليس لها عندهم كبير
حرمة وأن صلوا فيها صلوا وحدانا
ويعظمون المشاهد المبنية على
القبور فيعكفون عليها مشابهة
للمشركين ويحجون إليها كما يحج
الحاج إلى البيت العتيق ومنهم من
 يجعل الحج إليها أعظم من الحج
إلى الكعبة بل يسبون من لا يستغني
بالحج إليها عن الحج الذي فرضه
الله على عباده، ومن لا يستغني بها
عن الجمعة والجماعة، وهذا من
جنس دين النصارى والمشركين الذين
يفضّلون عبادة الأواثان على عبادة
الرحمن، وقد ثبت في الصحيح عن
النبي ﷺ أنه قال «لعن الله اليهود
والنصارى اتخاذ قبور الأنبياء
مساجد» يحضر ما صنعوا.

[آخرجه البخاري مسلم]
وقد صنف شيخهم ابن النعيم،
- وهو شيخ الموسوي والطوسي -
كتاباً سماه "مناسك المشاهد" جعل
قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة
البيت الحرام الذي جعله الله قياماً
للناس، وهو أول بيت وضع للناس
فلا يطاف إلا به، ولا يُصلِّي إلا إليه
ولم يأمر الله إلا بحجّة، وقد علم
بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي

لَمْ يأْمِرْ بِمَا ذُكِرُوهُ مِنْ أَمْرِ
الْمَشَاهِدِ، وَلَا شَرِعَ لِأَمْتَهِ مِنْاسِكَ عِنْدِ
قُبُوْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِلَهُذَا مِنْ
دِيْنِ الْمُشْرِكِينَ.

[منهاج السنة ٤٧٦ / ٤٧٦]
٢- الصوفية الباطنية: الذين
عظموها الأولياء والأقطاب، وسلموا
لهم بكل ما يقولون، بل زعم بعضهم
أن الأولياء أفضل من الرسل، وقال
قائلهم:

مَقَامُ النَّبِيِّ فِي بَرْزَخِ
فَوْيِقِ الرَّسُولِ وَدُونِ الْوَلِيِّ
[الفتاوى ٢٢٢ - ٢١٩]

وبعض الباطنية يدعون أنهم
أعلم بالله من المرسلين، وأن الرسل
إنما تستفيد معرفة الله من
مشكّاتهم، ويفسرون القرآن بما
يوافق باطنهم الباطل.

صور من تأويلاتهم الفاسدة

قولهم في تفسير قوله تعالى:
«مَمَّا خَطَّيَّا تَهْمَمْ أَغْرِقُوا» فهي أي
- الخطئات - التي خطّت بهم فغرقوا
في بحار العلم بالله.

وقولهم: أن العذاب مشتق من
العنوبة، ويقولون إن كلام نوح في
حق قومه ثناء عليهم بلسان الذم
ويفسرون قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَذْرَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنْزِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» بعلم الظاهر، بل
«خَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قَلُوبِهِمْ» فلا يعلمون
غيره «وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ
أَبْصَارِهِمْ»، فلا يسمعون من غيره
ولا يرون غيره. ويقولون في قوله
تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ» إن معناه قدّر ذلك، لأنه ليس
ثم موجود سواه، فلا يتصرّف أن
يُعبدُ غَيْرُه، فكل من عبد الأصنام
والعجل ما عبدَ غَيْرَه، لأنَّه ما ثم
غَيْرُه.
وأمثال هذه التأويلات

إعداد معاوية محمد هيكل

فهم دلائل الكتاب
والسنة إنما يؤخذ عن
سفالأمة لأنهم
أعلم الناس بمراد الله
ومراد رسوله ﷺ
وخلاف ذلك ضلال
وانحراف

كلما ابتعد الرء عن
منهج الصحابة فهم
وعلما و عملا كلما
ازداد انحرافه وكثـر
جهله و ضلاله

إذا رأيت الرجل
ينقص أحداً من
 أصحاب رسول الله
ﷺ فاعلم أنه زنديق

ليس لأحد أن
يتصبّب لـأمة
شخصاً يدعو إلى
طريقته، يوالي
عليها ويعادي غير
كلام الله ورسوله
ﷺ وما اجتمع
عليه الأمة

إذا صح الخبر عنه. [إعلام الموقعين ٢٠١٢]

ولا بن تيمية - رحمة الله . كلام نفيسي حول ذلك، إذ يقول: فدين الله مبني على اتباع كتاب الله، وسنة نبيه، وما اتفقت عليه الأمة، وهذه الثلاثة هي المعصومة، وما تنازع فيهم الأمة رده إلى الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، يوالي عليها ويعادى، غير كلام الله ورسوله وما اجتمع عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة، يواليون به على ذلك الكلام أو تلك السنة ويعادون. [الفتاوى ١٦٤/٢٠]

وقال أيضاً: من أوجب طاعة أحد غير رسول الله ﷺ في كل ما يأمر به، وأوجب تصديقه في كل ما يخبر به، وأثبت عصمه، أو حفظه في كل ما يأمر به ويحذر من الدين؛ فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله ﷺ والمشاهدة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك، سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله ﷺ بعض الصحابة، أو بعض القرابة، أو بعض الأئمة والمشائخ، أو الأمراء وغيرهم.

[جامع الرسائل ٢٧٣/٨]

خامساً: الإعراض عن منهج السلف والطعن في الصحابة

إن فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ عن السلف، فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ ، وكل علم من علوم الشرع يؤخذ من غير طريقهم، أو بخلاف منهجهم فهو ضلال وانحراف، وصدق عمران بن حصين رضي الله عنه إذ يقول: يا قوم، خذوا عنا، فإنكم والله إلا تغلوا لتضلُّون. [الكتاب في علم الرواية: ص ١٥]

وأكثر المبتدعة انحرفوا في شأن الصحابة انحرافاً واضحاً، ولم يعتمدوا منهجهم، ولم يسيروا سيرتهم، ومنهم من قدح فيهم وكذبهم وافتري عليهم، ومنهم من كفُرُهم واتَّهمهم بالتفاق. عيادة بالله!!

وأول من وقع في هذا الانحراف هم الخوارج والرافضة، ثم تبعهم المعتزلة والجهمية، وسائر المبتدعة، ولهذا قال أبو حاتم الرازمي: عالمة أهل

والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علمًا ضروريًا أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد ﷺ .

[الفتاوى ٢٣٩/١٣]

٣- **الفلسفه الباطنية: الذين عظموا فلاسفة اليونان كأرسطو وأمثاله، وقلدوهم في منطقهم، وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم، والعجيب أنهم ينهون العامة عن تقليد الرسل، ومع ذلك فهم يقلدون رؤوسهم.** [الفتاوى ٢٨٩/٥]

٤- **جهلة مقلدة الأئمة الأربعه: الذين عظموا الأئمة المتبعين، وجعلوا أقوالهم هي المعيار في القبول والرد، وقدموها على الكتاب والسنة، حيث قال الكرخي: كل آية تختلف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة.**

[الرسالة في أصول الحنفية (ص: ١٦٩، ١٧٠)]

السلفيون يحدرون من التقليد الأعمى



وقد وردت آثار كثيرة عن السلف تحذر من ذلك، منها:

قول ابن عباس - رضي الله عنهما - لعروة بن الزبير حين قال في مسألة أما أبو بكر وعمر فلم يفعل؛ قال: والله ما أراكم منتهين حتى يذبكم الله، نحدثكم عن النبي ﷺ وتحذثونا عن أبي بكر وعمر!!

[جامع بيان العلم وفضله ١٢١٠ - ١٢٠٩/٢]

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: ألا يقلدون أحدكم دينه رجلاً، إن أمن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد مقتدين فبالميليت، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة. [اللائكي ١/٩٣]، وفي رواية عنه: لا يقلدون أحدكم دينه رجلاً، إن أمن آمن وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر.

[إعلام الموقعين ١٣٥/٢]

وقال عمر بن عبد العزيز: لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ . قال الشافعي: أجمع الناس على أن من استبان له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ .

وقال ابن خزيمة: لا قول لأحد مع رسول الله

عما بعث الله به النبيين، وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع، فإنما كان قصده الصد عن سبيل الله، وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله . [منهاج السنة النبوية: ١٨١]

وهجر منهج الصحابة رضي الله عنهم وعدم الاهتداء بهديهم، أدى إلى تخبط المبتدعه ت�بطاً شديداً، وكلما ابتعد المرء عن منهج الصحابة علماً وعملاً ازداد انحرافه وجحده، وكثير ضلاله وبعده عن منهج النبوة. ألم تر إلى الخارج حينما ضلوا وحاربوا المسلمين، ذهب إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وناظرهم، وردد على شباهاتهم، رجع معه أكثر القوم وعصمهم الله من الفتنة، ومن أعرض عنه ولم يسمع مشورته ضل وانتكس - والعياذ بالله . [منهاج التقى والاستدلال / للصويان]

فالخير كل الخير إنما هو في

تبع آثارهم والاقتداء بسنتهم.

والإعراض عن منهج الصحابة
رضي الله عنهم والسلف
والصالح، يؤدي بلا شك إلى
التخبط في فهم النصوص، وهجر
مقاصدها ولدائلها، قال ابن تيمية
في الفتاوى ١١٩/٧: وقد عدل
المرجئة عن هذا الأصل في بيان الكتاب
والسنة، وأقوال الصحابة والتبعين لهم
بإحسان، واعتمدوا على رأيهما، وعلى ما تأولوه
بفهمهم من اللغة، وهذه طريقة أهل البدع، ولهذا
كان الإمام أحمد يقول: أكثر ما يخطئ الناس من
جهة التأويل والقياس.

ولهذا تجد المعتزلة والرافضة وغيرهم من
أهل البدع، يفسرون القرآن برأيهما، ومعقولهم،
وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون
على كتب التفسير المأثورة والحديث وأثار
السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب
الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه طريقة
الملاحدة أيضاً، إنما يأخذون من كتب الفلسفة،
وكتب الأدب واللغة، وأماماً كتب القرآن والحديث
والأثار فلا يلتقطون إليها.

والخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر
كل الشر في ابتداع من خلف.
والحمد لله رب العالمين

البدع الواقعة في أهل الآخر.

[شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/١٧٩]

وقال الأوزاعي: ما ابتدع رجل إلا غل صدره
على المسلمين. [تاريخ الإسلام: ٤١ / ١٦٠]

ومن أمثلة جرأة المبتدة ووقعهم في الصحابة:

قال عمرو بن عبيد: لو شهد عندي على
وطحة والزبير وعثمان، على شراك نعل ما
أجزت شهادتهم !!

ولما قال له يحيى: كيف حديث الحسن عن
سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة؟
قبح الله سمرة . وقال الشاطبي بعدها: بل قبح
الله عمرو بن عبيد . [اعتصام: ١١٩ / ١]

وتتبّع مخاري المبتدة في هذا الباب أمر
يطول ذكره، وأشدتهم غلواً فيه الرافضة، قال ابن
تيمية: ثم إن الرافضة - أو أكثرهم -

لفرط جهمهم وضلالهم يقولون: إنهم

- يعني: أبا بكر وعمر - ومن
اتبعهم كانوا كفاراً مرتدين، وإن

اليهود والنصارى خيراً منهم؛ لأن
الكافر الأصلي خيراً من المرتد!
وقد رأيت هذا في عدة من كتبهم،
وهذا القول من أعظم الأقوال
افتراءً على أولياء الله المتقين، وحزب
الله المفلحين، وجدن الله الغالبين.

[منهاج السنة النبوية: ٧ / ٤٧٥]

وقد بين السلف الصالح أن حقيقة الطعن
في الصحابة هي: الطعن في الدين، ولهذا قال
الإمام أحمد: إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من
الصحاباة بسوء؛ فاتهمه على الإسلام .

[البداية والنهاية: ٨ / ١٣٩]

وقال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص
أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه
زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن
حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة
 أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن
يحرجو شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة،
والجرح بهم أولى، وهم زنادقة.

[الكفاية في علم الرواية: ص ٩٧]

وقال ابن تيمية: أول هذه الأمة هم الذين
قاموا بالدين تصدقاً وعلماء، عملاً وتبيغاً،
فالطعن فيهم طعن في الدين، موجب للإعراض



الحمد

لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تضافرت الأدلة الشرعية كتاباً وسنةً وإجماعاً على وجوب فهم الإسلام في ضوء منهاج سلف هذه الأمة، الذي هو منهج الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالخير، لأنه الفهم المجمع على صحته على توالى القرون، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آتَيْنَاكُمْ بِمِثْلِ مَا أَمْتَنَّنَا بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شَقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وعليه فلا يجوز لأي فرد كائناً من كان أن ينتهي منهجاً مغايراً لمنهجهم لما دلت عليه الآية السابقة. ودونك في هذا المقال صوراً عملية تؤيد ذلك وتؤكده من خلال مواقفهم المخبيئة مع أهل البدع مما يدل على أنهم على علم وقفوا وببصر ثاقب أخذوا.

ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتلہلیل والتسبیح.

قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتم! هؤلاء صحابة نبیکم ﷺ متواهرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأنيتها لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم على ملة أهدي من ملة محمد، أو مفتاحوا باب ضلاله. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مرید للخير لن يصبه.

إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

وأيم الله ما أدرى، لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

[أخرج الدارمي وصححة الألباني، انظر السلسلة الصحيحة ١٢٥] هذا الآخر العظيم تضمن أصولاً عظيمة وهي:

١- أن الذي شرع الغایة لم ينس الوسيلة، فعندما شرع الله الذكر لم ينس وسينته؛ فقد كان رسول الله ﷺ يعقد التسبیح بیمینه، ويقول: «إنهن مستنطقات». [أخرجه أبو داود ١٥٠٢]

وكثير من الناس إذا انكرت عليه بدعة يفعلها أو محدثة يرتكبها، يقول لك مسوغاً فعله: «هذه

صور من إنكار السلف على المبتدعة

أولاً: موقف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أصحاب حلقات الذكر المبتدع

عن عمرو بن سلمة: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جمیعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد أتفاً أمراً انكرته، ولم أر - والحمد لله - إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللو مائة، فيهلكون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك.

قال: أفلأ أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

من أهل البدع

إعداد: معاوية محمد هيكل

لأنها لم تخلص لأحد الطرفين : المخالفية الصريحة ، أو الموافقة الصحيحة .

فهؤلاء القوم لم يقولوا كفراً ، ولم يفعلوا نكراً - فيما يظهر لهم - بل كانوا يذكرون الله ، وهو أمر مشروع بالنص ، إلا أنهم خالفوا الكيفية والصفة التي سنها محمد ﷺ ، فانكر الصحابة عليهم ، وأمرتهم أن يدعوا سيناتهم .

٣- الله سبحانه وتعالى لا يعبد إلا ما شرع ، لا بالآهاء ، والعوائد ، والبدع .

٤- البدعة تقيت السنة ، فهؤلاء التفرّق اخترعوا صفة للذكر لم تؤثر عن رسول الله ﷺ ، فاماتوا هدي محمد ﷺ ، وهذا أصل فهمه السلف الصالحون ، وعلموا يقيناً أن البدعة والسنة لا تجتمعان .

قال التابعي الجليل حسان بن عطية رحمه الله: «ما ابتدع قوم بيعة في دينهم ، إلا نزع من سنتهم مثلها». [أخرج الدارمي / ٤٥١]

٥- البدعة سبب الهلاك ، لأنها تقود إلى ترك السنة ، وفي ذلك ضلال بعيد .

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ولو تركتم سنة نبيكم لضللكم». [مسلم / ١٥٦٦]

وإذا ضلت الأمة هلكت ، لذلك قال عبد الله بن مسعود لتلك الحلق: «يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم».

وفي الأثر دلالة على أن الصحابة جميعهم على هذا الإنكار ، لأن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه احتج على الحلق بأن الصحابة رضي الله عنهم متواترون .

وهذا شاهد صريح على أن الصحابة رضي الله عنهم علموا أن منهجهم حجة على من بعدهم ، مما يؤكد حجية منهج السلف .

وسيلة ، والغاية عبادة الله ، وللوسائل حكم الغايات أو المقاصد .

فهل قاعدة : «الوسائل حكم المقاصد» قاعدة مطردة ؟ وهل تنطبق على البدع التي نحن بصدده الكلام عليها ؟ أم أن لها مورداً آخر ؟

قال العالمة ابن قيم الجوزية رحمه الله مبيناً وجه الصواب في هذه القاعدة :

«...لا يلزم ذلك ، فقد يكون الشيء مباحاً ، بل واجباً - ووسيلته مكرورة - كالوفاء بالطاعة المندورة ، هو واجب مع أن وسليته - وهو النذر - مكرورة منه عنه ، وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة مكرورة ، ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة ، وهذا كثير جداً .

فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة تكره أو تحرم لأجلها ، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام ولا مكرورة . [مدارج السالكين / ١١٦/١]

وهذه قصة جليلة ، ترى فيها بجلاء كيف كان علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتعاملون مع العبادات بوسائلها ومقاصداتها ونيات أصحابها ، وببيان ذلك :

أ - قوم يذكرون الله تعالى : تكبيراً ، وتهليلاً ، وتسبیحاً .

ب - استعملوا في ذكرهم حصى ك «وسيلة» لعد هذا التكبير والتسبیح .

ج - نياتهم في عملهم هذا حسنة ، يريدون به: عبادة الله ، وذكره ، وتعظيمه ، ولذلك قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير .

د - ومع ذلك انكر عليهم عبد الله بن مسعود هذا العمل ضمن هذه الوسيلة ، لأنه لم يعهد عن رسول الله ﷺ ، رغم وجود المقتضي له في عصره .

ه - ربّ على عملهم المحدث هذا الإنتحار لمخالفتهم السنة ومواقعتهم البدعة .

٢- البدعة الإضافية ضلالاً :

وهي التي تستند إلى دليل من جهة الأصل ، وغير مستندة من جهة الكيف والصفة؛ فسميت إضافية .

ما من فعلة - وإن صفرت - إلا ينشر لها ديوان: لم؟ وكيف؟ أي: لم فعلت؟ وكيف فعلت؟

فالأول: سؤال عن علة الفعل وباعته وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح في الناس أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل؟

أم البعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى رب سبحانه وتعالى، وابتغاء الوسيلة إليه؟

ومحل هذا السؤال أنه: هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل بولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟
والثاني: سؤال عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك التعبيد؛ أي: هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسوله؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه؟

فالأول: سؤال عن الإخلاص، والثاني: عن المتابعة، فإن الله لا يقبل عملاً إلا بهما.

فطريق التخلص من السؤال الأول بتجرير الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال الثاني بتحقيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهو يعارض الاتباع.

وعلى ذلك فلا يجوز تسويغ باطل العمل بمجرد أن نية صاحبه حسنة، ولذلك قال عبد الله بن مسعود للخلق: «وكم من مرید للخير لن يصيّبه».

[أنظر البعد وأثرها السيء في الأمة / للشيخ الهلالي حفظه الله]

١٠. الرد على أصحاب الفرق الضالة: قال الشيخ الألباني رحمه الله: في هذه القصة عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السنة، فإن هؤلاء إذا أنكروا عليهم منكر ما هم فيه اتهموه بإنكار الذكر من أصله وهذا كفر لا ينفع فيه مسلم في الدنيا، وإنما المنكر ما الصدق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكن مشروعة على عهد النبي ﷺ، وإنما الذي أنكره ابن مسعود رضي الله عنه على أصحاب تلك الحلقات؛ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذker بعدد لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلق، ويأمرهم به من عند نفسه، وكأنه مشرع عن الله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْنَ بِهِ اللَّهُ» [الشوري: ٢١]. على ذلك أن السنة الثابتة عنه ﷺ فعلاً وقولاً إنما هي التسبيح بالأنامل. [السلسلة الصحيحة (١٢٥)]

٦- البدعة بريد الكفر: لأن المبتدع نصب نفسه مشرعاً، ولله نداً، فاستدرك على أحكام الحاكمين، وظن أنه على ملة أهدي من ملة محمد ﷺ.

٧- البدعة تفتح بباب الخلاف على مصراعيه. وهو باب ضلاله. ومن سنن في الإسلام سنة سيئة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة، لا ينقص من أوزارهم شيء؛ لأن الدال على الخير كفاعله.

٨- التقليل من شأن البدع يقود إلى الفسق والعصيان والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم، ألم تر أن هؤلاء النفر أصبحوا في صفوف الخوارج يوم النهروان يقاتلون الصحابة رضي الله عنهم بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي استناصل شافعهم في ذلك اليوم المشهود.

قال البربهاري رحمه الله: «واحدن صغار المحدثات؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً، يشبّه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان به، فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجل، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنتظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ، أو أحد من العلماء؛ فإن أصبت فيه أثراً عنهم، فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئاً، فتسقط في النار» [طبقات الجنابة ١٩-١٨/٢]

٩- إنما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة، والنية الحسنة لا تجعل الباطل حفاً، لأن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل، فلابد أن ينضم إليها التقييد بالشرع. [مدارج السالكين ١/ ٨٥]

ولذلك لم يجعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حسن نياتهم سبيلاً للتغاضي عن عملهم، أو دليلاً على صحة فعلهم، إذ النية الحسنة لا تجعل البدعة سنة، ولا القبيح حسنة.

قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: «لِيُبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» [آل عمران: ٢٤]، قال: «أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً، لم يقبل، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة».

قال ابن القيم - رحمه الله -: «قال بعض السلف:

ثانية: موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه

من الذكر المبتدع

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان من أشد الصحابة إنكاراً للبدعة، وهجراً للمبتدعين، فقد سمع رجلاً عطس، فقال: الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله.

فقال له: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ، بل قال: «إذا عطس أحدكم، فليحمد الله» ولم يقل: ول يصل على رسول الله.

ثالثاً: وعلى نفس النهج سار التابعون

وفي هذا الباب ما ورد عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه رأى رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعندي الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعنبك على خلاف السنة.

[البيهقي في السنن الكبرى (٤٩٦/٢)]

وهذه الحجة الربانية من بداعن أجوبة سعيد بن المسيب، فهي صاعقة على رؤوس المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم الذكر والصلوة، ثم يتذمرون على اتباع السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، أو أنهم يكرهون الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، فحافظوا على هذا الجواب، فإنه عين الصواب.

وهذه الآثار تضمنت فوائد جليلة منها:

أ - اعتراض الصحابة على كل من خالف السنة الصحيحة، وربما أغفلوا في الرد عليه.

ب - «إن كل عبادة مزعومة لم يشرعها لنا رسول الله ﷺ بقوله، ولم يتقرب هو بها إلى الله بفعله، فهي مخالفة لسننته. وعليه فالبدعة التركية ضلاله كما أن البدعة القولية أو الفعلية ضلاله فلا ينبغي قول أو فعل أو ترك ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

لأن السنة على قسمين: سنة فعلية، وسنة ترکية. فما تركه ﷺ من العبادات، فمن السنة تركه. إلا ترى مثلاً: أن الأذان للعيدين ولدفن الميت مع كونه ذكراً وتعظيمًا لله عز وجل لم يجز التقرير به إلى الله عز وجل، وما ذاك إلا لترك رسول الله ﷺ له.

وقد فهم هذا المعنى أصحابه رضي الله عنهم، فكثر عنهم التحذير من البدع تحذيراً عاماً، كما هو

رابعاً: إنكار الأئمة على المبتدعة

فمن مواقفهم المضيئة بنور الحق؛ موقف الإمام مالك رحمه الله عندما أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، من أين أحرم؟ قال: «من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ». فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.

قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: أي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدتها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله تعالى يقول: «فَلَيُحْذِرُ الَّذِينَ يُحَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِنَّ تُصَبِّهِمْ فِتْنَةً أَوْ يُصَبِّهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [النور: ٦٣].

[الفقيه والمتفقه (١٤٨/١)]

والحمد لله رب العالمين.

اتبعوا ولا تبتعدوا

سمات

أهل

البشع

إعداد

معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلوة والسلام على

رسول الله وبعد:

فالسلف الصالح هم الصدر الأول

الراسخون في العلم، المهتدون بهدي
النبي ﷺ الحافظون لسننته، اختارهم
الله تعالى لصحبة نبيه، وانتخبهم
لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة،
فجاهدوا في سبيل الله حق جهاده،
واجتهدوا في نصح الأمة ونفعها،
وبذلوا في مرضاته الله أنفسهم.

وقد أثني الله عليهم في كتابه
بقوله: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ أَشْدَأْتُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءً بَيْنَهُمْ»

[الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأُوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْتِسَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ وَأَعْدَ اللَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبه: ١٠٠].

فذكر الله تعالى المهاجرين والأنصار ثم مدح اتباعهم،
ورضي ذلك من الذين جاءوا من بعدهم، وتوعد بالعذاب من
خالفهم واتبع غير سبيلهم فقال: «وَمَنْ يَسْأَقِقُ الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَبَيَّنُ غَيْرُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولُهُ مَا
نُولَّى وَنَصْلُهُ جَهَنَّمْ وَسَاعَتْ مَصِيرًا» [النساء: ١١٥].
فيجب اتباعهم فيما نقلوه، واقتفاء أثرهم فيما عملوه،
والاستغفار لهم.

قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا الْغَفُورُ
لَنَا وَلَاخُوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلَّا لِلَّذِينَ آتَيْنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ» [الحشر: ١٠].
والمبتدعة الذين فارقوا منهج السلف لهم سمات عرفوا
بها نوضحها - بمشيئة الله - في هذا المقال تحذيرًا للأمة من
ضلالهم منها:

السمة الأولى: اتباع المتشابهات

وصف الله تعالى المبتدعة أهل الرذيع في قوله: «هُوَ الَّذِي
أَرْرَأَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ
مُتَشَابِهَاتٍ فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبُّعٌ فَيَتَبَيَّنُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» [آل عمران: ٧].

روت عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه
الأية، ثم قال: «إِذَا رأَيْتُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأَوْلَئِكَ
الَّذِينَ سَمِّيَ اللَّهُمَّ فَاحذِرُوهُمْ».

[آخرجه البخاري في التفسير (٧٤٥٤)]

وقال الطبرى: «هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها
نزلت فيه من أهل الشرك؛ فإنه معنى بها كل مبتدع في دين
الله بدعة، فما قلبها إليها، تأويلا منه لبعض متشابه أي
القرآن، ثم حاج وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من
أدلة آية المحكمات، إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من
المؤمنين، وطلبًا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائناً من
كان، وأي أصناف البدعة كان، من أهل النصرانية كان، أو
اليهودية، أو المجوسية، أو كان سبئياً، أو حروريًا، أو قريباً،
أو جهيناً». [تفسير الطبرى ١٨١/٣]

وقال في تفسير المتشابه: «ما تشابهت الفاظه وتصرفت
معانيه بوجوه التأويلات، ليتحققوا بداعائهم الأباطيل من
التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلاله والزيف عن محجة
الحق، تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه
تأويل ذلك، وتصارييف معانيه». [تفسير الطبرى ١٨١/٣]

الصفة الثانية: هجر النصوص الواضحة البينة واتباع النصوص المشكلة

درج المبتدةعة على هجر النصوص البينة الدلالة، وتتبع النصوص المشكلة، ولهذا بين الشاطبي صفة الدليل الذي يعتمد عليه عند الاستدلال، فقال: «وقد علم العلماء أنَّ كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة، حتى يتبيَّن معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك الاً يعارضه أصل قطعي. فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك، أو عارضه قطعي ظهور تشبيهه، فليس بدليل؛ لأنَّ حقيقة الدليل أن يكون ظاهراً في نفسه، ودالاً على غيره، وإنْ احتاج إلى دليل، فإنَّ دلَّ الدليل على عدم صحته فاحرى الا يكون دليلاً. ولا يمكن أن تعارض الفروع الجزئية الأصول الكلية؛ لأنَّ الفروع الجزئية إن لم تقتض عملاً فهي محل التوقف، وإنْ اقتضت عملاً فالرجوع إلى الأصول هو الصراط المستقيم، ويتناول الجزئيات حتى إلى الكليات، فمن عكس الأمر حاول شططاً ودخل في حكم الذم؛ لأنَّ متبوع الشبهات مذموم، فكيف يعتقد بالتشابهات دليلاً؟ أو يبني عليها حكم من الأحكام؛ وإذا لم تكن دليلاً في نفس الأمر فجعلها بدعة محدثة هو الحق». [الاعتصام / ٣٩٩/١]

الصفة الثالثة: تتبع الغرائب والأغلوطات

وقد درج بعض المبتدةعة على تتبع الغرائب، والاشتغال بالأغلوطات، ليشغبوا بها على علماء الأمة؛ فتراهم يحرضون على إثارة الشبهات، والتشكيك في المسلمات. ولهذا قال الحسن البصري: «شرار عباد الله: ينتقون شواز المسائل يعمون بها عباد الله». [الفقيه والمنفقه / ١١١/١]

فلا يجوز أن يعترض العلماء بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط، ليسزلوا بها ويستسقط رأيهم فيها. كما يكره التعمق والتتكلف فيما لا حاجة للإنسان إليه من المسألة، ووجوب التوقف عمَّا لا علم للمسؤول به.

ويزداد الفساد، ويعظم الشرر، إذا كانت الأغلوطات في القضايا العظمى، في أبواب الاعتقاد أو العمل.

السمة الثانية: الكذب على رسول الله ﷺ

يُنقسم المبتدةعة في روایتهم للسنة النبوية فريقيْن:

الفريق الأول: الذين يعتمدون الكذب والتزوير في

وقد ذكر الإمام ابن القيم: أنَّ الذين يتمسكون بالتشابه في ردِّ المحكم، لهم طريقان في ردِّ السنن: أحدهما: ردُّها بالتشابه من القرآن أو من السنن.

الثاني: جعلهم المحكم متشابهاً ليعطلاً دلالته، وأما طريقة الصحابة والتتابعين وأئمة الحديث كالشافعى والإمام أحمد ومالك وأبي حنيفة وأبى يوسف والبخارى وإسحاق، فعُكَّسْ هذا الطريق، وهي: أنَّهم يردُّون التشابه إلى المحكم، ويأخذون من المحكم ما يفسر لهم التشابه ويبين لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتتفق النصوص بعضها بعضاً؛ فإنَّ كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره». ثم ذكر ابن القيم ثمانية عشر مثالاً لرد المبتدةعة للمحكمات وتتبعهم للتشابهات. [علام الموقعين / ٢٩٤/٢]

وقال السعدي: «فالذين في قلوبهم مرض وزيف، وانحراف لسوء قصدhem، يتبعون التشابه منه. فيستدلون به على مقاالتهم الباطلة، وأراءهم الزائفة طلباً للفتنة، وتحريقاً لكتابه، وتأويلاته على مشاربهم ومذاهبهم ليضللوا ويُضلُّوا. وأما أهل العلم الراسخون فيه الذين وصل العلم واليقين إلى أفادتهم فاثمر لهم العمل والمعرفة، فيعلمون أنَّ القرآن كله من عند الله، وأنَّه كله حق محكمه ومتشابهه، وأنَّ الحق لا يتناقض ولا يختلف، فلعلمهم أنَّ المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لتناقض العلم ونواقص المعرفة، فيردون التشابه إلى المحكم فيعود كله محكماً». [السعدي / ٣٥٧/١]

صفات متبوع التشابهات

الصفة الأولى: ضربهم للنصوص بعضها ببعض زعم بعض المبتدةعة أنَّ النصوص الشرعية قد تتعارض وتخالف، وذكروا أمثلة كثيرة في هذا الباب. ولكن علماء السنة الأثبات ردوا بباطلهم وبذُنُوبهم وتناقضهم. وقد قال رسول الله ﷺ ما رأى قوماً يتمارون في آية من القرآن: «مَهْلَا يَا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أبنائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إنَّ القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، مما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فرددوه إلى عالمه». [صحيح أخرجه أحمد / ١٥١/٢]

كل عبادة لهم تبرأها أصحاب حاب

من سمات أهل البدع اتباع المتشابه وتحريف

بالحقائق المأخوذة عن الرسول؟!». [الفتاوى: (٩٦٥٤)]
وقال أيضاً: «أما أهل الأهواء ونحوهم
فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلاً، لا ثقة ولا
معتمد، وأهون شيء عندهم الكذب المختلف. وأعلم
من فيهم لا يرجع فيما ينقله إلى عدمة، بل إلى
سماعات عن الجاهلين والكاذبين وروايات أهل الإفك
المبين». [الفتاوى: (٤٧٢٧)]

وقال الشاطبي في بيان مأخذ أهل البدع في
الاستدلال: .. منها: اعتمادهم على الأحاديث الواهية
الضعيفة، والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ، والتي
لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها.
كحدث الاتصال يوم عاشوراء، وإكرام الديك
الأبيض، وأكل البانججان بنية، وأن النبي ﷺ تواجد
واهتز عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه، وما
أشبه ذلك...»

ثالثاً: تحريف النصوص

تحريف النصوص ظاهرة خطيرة جداً وقع فيها
كثير من المبتدة بدرجات متفاوتة ، وسلفهم في هذا
اليهود ، فقد وصفهم الله بقوله: (أَقْتَطَعُونَ أَنْ
يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
يَرْجُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقْلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: ٧٥].

وقال الله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ
بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَشْتَرِئُوا بِهِ ثُمَّ
قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا
يَكْسِبُونَ) [البقرة: ٧٩].

وعاقبة التحريف: تشویه النصوص وتکدير
المنابع، حتى يتسرى للمبتدة العبث في دین الله
تعالى.

من أنواع التحريف

١- تحريف اللفظ

أخذ اليهود بنصيب وافر من هذه الصفة ، فقد
قال الله تعالى: (اَدْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حَطَّةً

حديث النبي ﷺ ، وعامة هؤلاء من الزنادقة
والباطنيين أهل الأهواء، كالرافضة والجهامية. ولهذا
قال الإمام الشافعي: «لم أر من أهل الأهواء أشهد
بالزور من الرافضة». [الكتاب (ص ١٦٧)]

وقال شيخ راضي تاب: «كنا إذا اجتمعنا
واستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً».

[الجامع لأخلاق الراوي (١٣٨١)]

وقال ابن تيمية: «وقد اتفق أهل العلم بالنقل
والرواية والإسناد على أنَّ الرافضة أكذب الطوائف،
والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون
امتيازهم بكثرة الكذب». [منهج السنة النبوية (٥٩١)]

ووصف ابن تيمية الرافضة بأنهم: «أعظم
الطوائف كذباً على الله وعلى رسوله وعلى الصحابة
 وعلى ذوي القربى، وكذلك هم من أعظم الطوائف
 تكذيباً بالصدق، فيكتبون بالصدق الثابت المعلوم من
 المنقول الصحيح والمعقول الصرير».

[منهج السنة النبوية (٣٩١٧)]

الفريق الثاني: الذين لا يكتبن ولكنهم قد يروون
الكذب؛ إما مع علمهم بأنه كذب، وإما جهلاً منهم به،
ويروون الأحاديث الضعيفة، ولا يعنون بدراسة
المقولات وتحrir صحيحة من ضعيفها.

وعلى هذا عامة المبتدة، وقد جرَّ هذا التساهل
والتفريط على الأمة بلاءً وشرّاً كثيراً، قال ابن تيمية -
رحمه الله -: «.. ومن المعلوم أنَّ المعظمين للفلسفة
والكلام المعتقدين لمضمونها هم أبعد عن معرفة
ال الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء، هذا أمر
محسوس، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل
الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواتنه أموره
وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك
منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم
يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث
مكذوب موضوع عليه، وإنما يعتمدون في موافقته
على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً أو غير
موضوع، فيعدلون إلى أحاديث يعلم خاصة الرسول
بالضرورة اليقينية أنها مكذبة عليه، عن أحاديث

يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله، وهم لا
يعلمون مراده، بل غالباً هؤلاء لا يعلمون معاني
القرآن فضلاً عن الحديث بل كثير منهم لا يحفظون
القرآن أصلاً. فمن لا يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه،
ولا يعرف الحديث ولا معانيه، من أين يكون عارفاً

رسول الله ﷺ فـ لـ اـ تـ بـ دـ وـ هـ

النص وـ صـ وـ الـ كـ اـ بـ عـلـى رـسـوـلـ اللـهـ

تَعْفِرُ لَكُمْ حَطَابِيَاكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسَدُونَ

[البرة: ٥٩، ٥٨]

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قيل لبني إسرائيل : « وادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة ». فدخلوا يزحفون على أستاهم ، فبدعوا ، وقالوا : حطة ، حطة في شعرة ». [البخاري: كتاب التفسير (١٦٤/٨)، رقم (٤٤٧٩)]

وتحريف اللفظ يؤدي إلى تحريف المعنى غالباً ، ولهذا اتصف به أئمة المبتدعة . [ميزان الاعتدال: (٣٧٢/٢)]

وقد كان المعتزلة يحرفون كثيراً من النصوص ، ومن ذلك قول الله تعالى : « وَرَسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُلًا لَمْ تَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا » [النساء: ١٦٤] حيث يقرؤون لفظ الحالة بالنصب ، لكي يوافق مذهبهم الباطل في نفي صفة الكلام لله عز وجل .

ومن لطائف الأجوية العلمية المفحة للرد عليهم : أن أحد المعتزلة قال لأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة - : « أريد أن تقرأ : « وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى » بتنصب اسم الله ، ليكون موسى هو المتكلم لا الله ، فقال أبو عمرو : هب أنني قرأت هذه الآية كذا ، فكيف تصنع بقوله تعالى : « وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِيَقَاتِنَ وَكَلَمَهُ رَبُّهُ » [الاعراف: ١٤٣] فبعث المعتزلي .

[شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٢]

٢- تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه :

والقصد به : صرف اللفظ عن ظاهره ، وما يفهمه كل عربي من معناه ، وهو الذي يسميه بعض المتأخرین بالتأويل . وهو أكثر خفاءً من النوع الأول ، وباب التأويل الفاسد وغير المستساغ باب عريض دخل منه الزناقة لهدم الإسلام ، حيث حرروا النصوص وصرفوها عن معانيها الحقيقية ،

وحملوها من المعاني ما يشتهون .
قال ابن أبي العز الحنفي : « وبهذا تسلط المحرفون على النصوص ، قالوا : نحن نتأول ما يخالف قولنا ، فسموا التحريف : تأويلاً ، تزييناً له وزخرفة ، ليُقبل . وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل ، قال الله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجَنِّ يُوحِي بِغَهْنَمْ إِلَيْهِ بَعْضَ رُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَوْهُ فَذَرْنَمْ وَمَا يَفْتَرُونَ » [الأنعام: ١١٢] ، والعبرة للمعاني لا للألفاظ ، فكم من باطل أقيمت على دليل مزخرف عورض به دليل الحق » [شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٢]

ومن أمثلة التحريف : تأويل المبتدعة لآيات الصفات ، أو تأويل الشفاعة ، والصراط ، والميزان ، وعذاب القبر ، ونحوها ، وأسرف بعض القرامطة والباطنية ومن ناحية نوح لهم حينما جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً ، فجعلوا الظاهر قرآن العامة ، والباطن : قرآن الخاصة .

قال ابن تيمية : « التأويل المذموم الباطل هو : تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتناولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ». [الفتاوى: ٦٧/٣]

وقال أيضاً : « هذا التأويل في كثير من الموضعـ أو أكثرها وعامتها - من باب تحريف الكلم عن مواضعـه ، من جنس تأويلات القرامطة والباطنية ، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه ، واصحـوا بأهلهـ من أقطـارـ الأرضـ ، ورمـوا في آثارـهمـ بالـشـهـبـ ». [الفتاوى: ١٩/٤]

وللإمام ابن القيم كلام عظيم جداً في خطورة التأويل ، قال في مقدمته : « التأويل : أصل خراب الدين والدنيا ، إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه ، ولا دل عليه أنه مراده ، وهـ اختـلـفـ الـأـمـمـ عـلـىـ أـنـبـيـائـهـ إـلـاـ بـالـتـأـوـيلـ » وهـ وـقـعـتـ فيـ الـأـمـمـ فـتـنـةـ كـبـيرـةـ أـوـ صـفـيـرـةـ إـلـاـ بـالـتـأـوـيلـ ، فـمـنـ بـابـهـ دـخـلـ إـلـيـهـ وـهـ أـرـيـقـتـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ الـفـتـنـةـ إـلـاـ بـالـتـأـوـيلـ؟ـ وـلـيـسـ هـذـاـ مـخـصـصـاـ بـدـيـنـ إـلـاسـلـامـ فـقـطـ بـلـ سـائـرـ أـدـيـانـ الرـسـلـ لـمـ تـزـلـ عـلـىـ الـاسـتـقـامـةـ وـالـسـدـادـ حـتـىـ دـخـلـهـ التـأـوـيلـ ، فـدـخـلـ عـلـيـهـاـ مـنـ الـفـسـادـ مـاـ لـيـعـلـمـهـ إـلـاـ رـبـ الـعـبـادـ ». [إـلـاـمـ الـمـوـقـعـينـ: ٤/٢٥٠]

وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ

التبغوا

ولَا تبتعدوا

سمات

أهل

البدع

إعداد// مطربيلة تبريزيان شيكان

الحمد لله والصلوة

والسلام على رسول الله وبعد:

فإن أهل البدع الذين فارقوا منهج
السلف في الاعتقاد والفهم لهم سمات
عرفوا بها قديماً وحديثاً، ظهر ذلك من

خلال منهجهم الفاسد في التأقلي
والاستدلال والذي نعرض له في
هذه الحلقة إن شاء الله.

رابعاً: الغل في منهج التقلي والاستدلال

ومن ذلك :

١- رد النصوص التي تخالف أصولهم:
من السمات المشتركة لعامة أهل الأهواء والبدع أنها
يريدون نصوص الوحي من القرآن والسنة إذا خالفت
أهواءهم ، أو عارضت أصولهم الفاسدة ، وقواعدهم
الباطلة .

وفي ذلك يقول الشاطبي : « ومنها ردهم للأحاديث التي
جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدعون أنها
مخالفة للمعقول ، وغير جارية على مقتضى الدليل ، فيجب
ردها: كالمكرين لعذاب القبر ، والصراط ، والميزان ، ورؤبة
الله عز وجل في الآخرة ، وكذلك حديث الذباب وأن في أحد
جناحيه داء وفي الآخر دواء ، وأنه يقدم الذي فيه الداء ،
وحدث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺ بسقيه
العسل ، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المقلولة نقل
العدول ، ربما قدحوا في الرواية من الصحابة والتابعين -
رضي الله تعالى عنهم - وحاشاهم - وفيمن اتفق الأئمة
من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم ». [الاعتراض ٢٣١/١]

وبناءً لذلك يريدون أقوال الصحابة وأثار السلف ،
وفقههم للنصوص ، مع أن الصحابة والتابعين وعلماء
الإسلام ، أعلم بمراد الله وأفقه لدين الله ، ومنهجهم في
الدين أعلم وأسلم وأحكم ، لكن أهل الأهواء لا يفقهون .

« وذهب طائفة إلى نفي أخبار الأحاديث جملة ، والاقتصار
على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن ، حتى أباحوا
الخمر بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ الآية ، ففي هؤلاء وأمثالهم قال رسول
الله ﷺ: « لا ألفين أحدكم متكتئاً على أريكته ياتيه الأمر من
أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول: لا أدرى ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه ». [آخرجه أحمد في المسند ، وأبو داود ، والترمذى ،
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٧٤٩]

وهذا وعيد شديد تضمنه النهي لاحق بمن ارتكب رد
السنة. [الاعتراض: ٢٢٢/١]

وقال: « ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث
الصحيحة مناقضتها للقرآن ، أو مناقضة بعضها ببعضًا ،
وقدس معانيها أو مخالفتها للعقول - كما حکموا بذلك في
قوله ﷺ للمتحاكمين إليه : والذي نفسي بيده لاقضين
بينكما بكتاب الله : المائة شاة والخادم رد عليك ، وعلى
ابنك جلد مائة وتغريب عام ، وعلى المرأة هذه الرجم وأعد
يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، فغدا عليها
فاعترفت ، فترجمها. [البخاري: ٦٨٢٧] قالوا: هذا مخالف لكتاب
الله ؛ لأنه قضى بالرجم والتغريب ، وليس للرجم ولا
لتغريب في كتاب الله ذكر ، فإن كان الحديث باطلًا فهو ما
أردنا ، وإن كان حقًا فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم

والتفريغ». [الاعتصام: ٤٦١]

وقال شيخ الإسلام في أهل الأهواء: «يردون الأحاديث التي تعارض مقولاتهم وإن كانت صحيحةـ كما فعل الجبائي في رد حديث احتجاج آدم وموسى». [منهاج السنة: ٧٩٣]

وهذا مجرد مثال لا يخص شخصاً أو أشخاصاً منهم، بل نجد أن رد الأحاديث من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم الثابتة، كما فعلت القدرة في رد أحاديث القدر كحديث الصادق المصدق.

وكما فعلت الجهمية والمعتزلة في رد أحاديث الرؤية والشفاعة، وأحاديث الصفات. وكما فعلت الخوارج في رد أحاديث الوعد والشفاعة.

وكما فعلت الرافضة في رد سائر السنة التي رواها الصحابة رضي الله عنهم. وكما فعلت الصوفية في رد الأحاديث التي تنهى عن الابتداع.

ومن ذلك استدلالهم بالضعف والموضوع وما لا أصل له، وترك الدليل الأقوى والأصل.

قال شيخ الإسلام: «ومن ذلك أن أحدهم يحتاج بكل ما يجده من الأدلة السمعية، وإن كان ضعيف المتن والدلالة، ويدع ما هو أقوى وأبين من الأدلة العقلية، إما لعدم علمه بها، وإما لنفوره عنها، وإما لغير ذلك، وفي مقابلة هؤلاء من المنتسبين إلى الإثبات، بل إلى السنة والجماعة أيضاً، من لا يعتمد في صفات الله على أخبار الله ورسوله، بل قد عدل عن هذه الطريق وعزل الله ورسوله عن هذه الولاية، فلا يعتمد في هذا الباب إلا على ما ظنه من المعقولات، ثم هؤلاء مضرطون في معقولاتهم أكثر من اضطراب أولئك في المنشآت، تجد هؤلاء يقولون: إنما نعلم بالضرورة أمراً، والآخرون يقولون: نعلم بالنظر أو بالضرورة ما ينافقونهم في ذلك». [الصفية: ٢٩٤]

وقال: «وأهل الكلام الذين ذمّهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم عن مخالفنة السنة، ورد البعض ما أخبر به الرسول، كالجهمية والمشبهة، والخوارج والروافض، والقدرة، والمرجئة».

[درء التعارض: ١٨٢]

لذلك كان السلف يتهمون كل من تردد في قبول الأحاديث أو رد شيئاً منها.

قال البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يطعن على آثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار

رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء المذهب والقول». [شرح السنة للبربهاري: ٣٥]

٢- دعوى بعضهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفضيلات العقائد:

وهم في هذا صنفان: صنف يقول به صراحة، وصنف يُعد ذلك من لوازن مذهبة، قال شيخ الإسلام في قول بعض أهل الكلام وغيرهم بأن النصوص لا تفي بالشريعة كلها، أو قولهم بأن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة: «هذا القول قاله طائفة من أهل الكلام والرأي كأبي المعالي وغيره، وهو خطأ ، بل الصواب الذي عليه جمهور أئمة المسلمين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد . ومنهم من يقول : إنها وافية بجميع ذلك ، وإنما انكر ذلك من انكره لأنه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله وشمولها لأحكام أفعال العباد، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بجواب الكلم، فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية وقاعدة عامة تتناول أعياناً لا تحصى ، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطة بأحكام أفعال العباد». [الفتاوى: ٢٨٠]

وقال الشاطبي: «وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا ، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة ، فإن كان كذلك، فالمبتدع إنما محصور قوله ببيان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدارتها، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يكتد ولا استدرك عليها، وسائل هذا ضال عن الصراط المستقيم ، قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول: «الليوم أكملت لكم دينكم » فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً». [الاعتصام: ٤٩١]

٣- ومن ذلك رد الوحي بقواعد محدثة وأوهام:

أهل الأهواء لا يتورعون عن رد الوحي المنزل من الله تعالى بقواعدهم الفاسدة المحدثة، وفي هذا مشقة لله تعالى وللنبي ﷺ.

يقول الشاطبي: «والثالث: أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له؛ لأن الشارع قد عين لطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها، إلى

من ابتدع في الإسلام بدعه يراها حسنة، فقد زعم أن محمد عليه السلام

أهل البدع لا يتورعون عن رد نصوص الوحي إذا خالفت

منهج السلف الصالح هو الأخذ بكل ما صاح عن رسول الله ﷺ

ومن سلك سبيلهم، ثم تجراً أهل الكلام المتأخرن على ذلك، ومن أشهر من طعن في خبر الأحاديث الرازي، وهو منهج أهل الكلام من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم، يقول الرازي : «إن أخبار الأحاديث مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته». [أنساس التقىيس: ١٦٨]

ثم قال : «إن أجل طبقات الرواة قدرًا وأعلاهم منصباً الصحابة - رضي الله عنهم، ثم إننا نعلم أن رواتهم لا تقدر القطع والدقيقن».

[أساس التقديس: ١٦٩، ١٧٠]

وذكر أن سبب ذلك طعن بعضهم ببعض وكلامه يشبه كلام الرافضة هنا حيث سرد أموراً زعم أنها مطاعن في الصحابة وأن بعضهم يطعن في بعض، ثم هو يلمز السلف رواة الحديث، بأنهم راجح عليهم - لسلامة قلوبهم - الأحاديث المنكرة، حيث يقول: « وأن جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا في ترويجها على المحدثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها،

فإذا كانت هذه حال رواة الأحاديث العدول
الثقات عند الرازبي وأمثاله، فما بقي للأمة من
دينها؟ وكذلك البغدادي وهو من رؤوس أهل الكلام
(الأشاعرة)، يقول: «واما اخبار الاحاديث فمتي صح
إسنادها وكانت متونها غير مستحبة في العقل
كانت موضعه العجب» [١] .

الحمد لله أنه ليس في أخبار الأحاديث
ما يحيل العقل ، اللهم إلا العقول الفاسدة ، ولا
اعتنى لها ، فتأمل حفظك الله .

وَهُوَ الَّذِي يَرْعَمُونَهُ خَالِفٌ مِنْهُجَ السَّلْفِ فَإِنْ
التَّفْرِيقُ بَيْنِ خَبْرِ الْأَحَادِ وَغَيْرِهِ حَادِثٌ قَالَتْ بِهِ
الْجَهِيمَةُ وَالْمُعَذَّلَةُ أَوْلًا، ثُمَّ وَرَثَهُ عَنْهُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ.
قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : «وَكُلَّهُمْ يَعْنِي أَهْلَ الْفَقَهِ
وَالْأَثَرِ- يَدِينُ بِخَبْرِ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ فِي الاعْتِقَادَاتِ،
وَيَعْدِي وَيُوَالِي عَلَيْهَا، وَيَجْعَلُهَا شَرِعًا وَدِينًا فِي
مَعْتَقَدِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةُ أَهْلِ السَّنَةِ». [التَّهْمِيد: ٨/١]
فَالْأَلْزَمُ ذَلِكَ، وَفَقْنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُ.

غير ذلك؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع راد لهذا كله، فإنه يزعم أن ثم طرفاً آخر.

وقال ابن القيم : « وجاء أفضل متأخر لهم فنصب على حضون الوحي أربعة مجانيق : الأولى أدلة لفظية لا تغدو النقوش .

الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها.

الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمها عليها.

الرابع: أنها أخبار أحد ، وهذه المسائل علمية
فلا يجوز أن يحتج فيها بالأخبار . [الصواعق: ١٠٣٩/٣]
وقال ابن القيم أيضًا : إن هؤلاء المعارضين
للوحي بعقولهم ارتكبوا أربع عظام :
إحداها: ردهم نصوص الأنبياء - صلوات
الله وسلامه عليهم .

الثانية: إساعه الظن به ، وجعله منافيًّا للعقل
مناقضاً له.

الثالثة: جنایتهم على العقل ببردهم ما يوافق النصوص من المعقول، فإن موافقة العقل للنصوص التي زعموا أن العقل يردها أظهر للعقل في معارضته لها .

الرابعة: تكفيرهم أو تبديعهم وتخليصهم من خالفهم في أصولهم التي اخترعواها، وأقوالهم التي ابتدعواها ، مع أنها مخالفة للعقل والنقل ، فصوبوا رأي من تمسك بالقول المخالف للعقل والنقل ، وخطئوا من تمسك بما يوافقها ، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نوراً ، ولم يشرق على قوله زعم النهضة» [المجاهدة للرسالة / ٧- ٨٨- ٩٤] .

بـ «رسالة»، [الصواعق، جرسون].
أنهم جعلوا ظنونهم وأوهامهم (يقيينيات)،
وجعلوا (كلام الله ورسوله) ظننات، وهذا غرور
وتخلط، فكان أسلافهم الفلاسفة القدامى خيراً
منهم حين قرروا أن العلم الإلهي لا سبيل إلى
اليقين فيه، إنما الغاية من الكلام فيه الأخذ
بالأولى والأخلقي، كما ذكر ذلك الرازى في المطالب
العالية، لكنه يخالف ذلك في مسلكه الكلامى
أحياناً، ويضطرب في غالب الأحيان.

[٢٥٢/٢ الحمة: تلبيس بيان]

٦- الطعن في خبر الأحاداد:

كان الصحابة والتابعون وسائر السلف في
القرون الثلاثة وما بعدها، يأخذون بكل ما صر
عن رسول الله ﷺ دون تفريق بين الأحاديث وغيره،
ودون تفريق بين العمل والاعتقاد، ولم يخالف في
ذلك إلا طوائف من الجهمية والمعتنزة والخوارج

الصحابة، ويحيطون على آراء المتكلمين، وقواعد المتكلفين، فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمراء... وادعوا الإجماع على هذا التفريق، ولا يحفظ ما جعلوه إجماعاً عن إمام من أئمة المسلمين، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين... فنطالبهم بفرق صحيح بين ما يجوز إثباته بخبر الواحد من الدين، وما لا يجوز، ولا يجدون إلى الفرق سبيلاً إلا بدعوى باطلة... كقول بعضهم: الأصوليات هي المسائل العلميات، والفروعات هي المسائل العملية. (وهذا تفريق باطل أيضاً، فإن المطلوب من العمليات) أمران: العلم والعمل. والمطلوب من العمليات العلم والعمل أيضاً، وهو حب القلب وبغضه، وحبه للحق الذي دلت عليه وتضمنته، وبغضه للباطل الذي يخالفها، فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع. فكل مسألة علمية، فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذلك عمل، بل هو أصل العمل.

وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأفعال؛ وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي ﷺ غير شاكين فيه، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب، من حب ما جاء به والرضا به وإرادته، والموافقة والمعاداة عليه، فلا تهمل هذا الموضع فإنه مهم جداً، به تعرف حقيقة الإيمان.

فالمسائل العلمية عملية، والمسائل العملية علمية، فإن الشارع لم يكتف من المتكلفين في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العمليات بمجرد العلم دون العمل».

فتتحرر من كلام ابن القيم رحمة الله تعالى أن التفريق المذكور مع كونه باطل بالإجماع لمخالفته ما جرى عليه السلف، وتظاهر الأدلة على مخالفته، فهو باطل أيضاً من جهة تصور المفرقين عدم وجوب اقتران العلم بالعمل، والعمل بالعلم، وهذه نقطة هامة جداً تساعد المؤمن على تفهم الموضوع جيداً، والإيمان ببطلان التفريق المذكور يقيناً. والحمد لله رب العالمين.

خان الرسالة، فما لم يكن يومئذينا، فلا يكون اليوم دينا

أهواهم، أو عارضت أصولهم الفاسدة، وقواعدهم الباطلة

دون تفريق بين الأحاديذ وغيره، دون تفريق بين العمل والاعتقاد

وقال شيخ الإسلام : «يا زاء هؤلاء المكذبين بجنس الحديث ومن يقول عن أخبار الصحيحين وغيرهما : هذه أخبار أحاديث لا تفيد العلم ، وأبلغ من هؤلاء من يقول : دلالة القرآن لفظية سمعية ودلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين ، ويجعلون العمدة على ما يدعونه من العقليات ، وهي باطلة فاسدة، منها ما يعلم بطلانه وكذبه ، وهؤلاء أيضاً قد يكفرون من خالف ذلك ، كما فعل أولئك ، وكلا الطريقين باطل ولو لم يكفر مخالفه، فإذا كفر مخالفه صار من أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويکفرون من خالفهم فيها، كما فعلت الخارجون وغيرهم». [الفتاوى: ٤٣٢، ٤٣٢/١٦]

عدم الاحتجاج بحديث الأحاديث في العقيدة بدعة محدثة

قال الألباني رحمة الله : أدلة الكتاب والسنة، وعمل الصحابة، وأقوال العلماء تدل دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بحدث الأحاديث في كل أبواب الشريعة، سواء كان في الاعتقادات أو العمليات، وأن التفريق بينهما، بدعة لا يعرفها السلف؛ ولذلك قال العلامة ابن القيم رحمة الله تعالى (٤١٢/٢) :

«وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتاج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات (يعني العقيدة)، كما تحتاج بها في الطلبيات العمليات، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه دين، فشرعه وبينه راجع إلى اسمائه وصفاته. ولم ينزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتاجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته. فain سلف المفرقين بين البابين؟! نعم سلفهم بعض متاخرى المتكلمين الذين لا عنانية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال

الرابعة عشرة

الحلقة

لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

الحمد لله

فِلْقُ شَرْفِتْ جَمَاعَةً أَنْصَارَ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِأَنْتِسَابِهَا إِلَى الْمَنْهَجِ الْحَقِّ مِنْهُجِ الْسَّلْفِ، أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، الَّذِي يَقُولُ عَلَى اعْتِقَادِ أَنْ مَصَادِرَ الدِّينِ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ وَالْإِجماعُ، وَمَا عَدَ ذَلِكَ فَهُوَ باطِلٌ؛ لَأَنَّهُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ انْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَقَدْ أَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْدِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [الْمَائِدَةِ: ٢٣]، وَالرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَدَى الرِّسَالَةَ وَبَلَغَ الْأَمَانَةَ، وَقَالَ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيمَ كَيْمَ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضْلِلُوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنْنَتِي، وَلَنْ يَنْفَرِقَا حَتَّى يَرِدا عَلَى الْحَوْضِ». [صَحِيفَةُ الْجَامِعِ: ٢٩٣٤]

وَالْدِينُ الْحَقُّ يَقُولُ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالْإِتَّبَاعِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ تَعَالَى، أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالْوَحْيِ، وَأَكْمَلَهُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْدُثْ شَيْئًا زَاعِمًا أَنَّهُ مِنَ الدِّينِ، لَأَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». [مُتفَقٌ عَلَيْهِ]

أَمَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ فَقَدْ تَفَرَّقُوا بِهِمُ السُّبْلِ فِي مَصَادِرِ التَّلْقِيِّ وَالْإِسْتَدْلَالِ.

وَفِي هَذَا الْمَقَالِ نَكْمِلُ مَا بَدَأْنَا فِي الْحَلْقَةِ السَّابِقَةِ، وَنَتَنَاهُ صُورًا أُخْرَى مِنَ الْخَلْلِ فِي مِنْهَاجِ فَهْمِ الدِّينِ وَتَلْقِيهِ عِنْهُمْ، فَمَنْ ذَلِكَ:

وَيَقُولُونَ نَحْنُ نَفْسُ الْقُرْآنَ بِالْعُقْلِ وَالْلُّغَةِ، يَعْنِي
أَنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ مَعْنَى بِلْغَتِهِمْ وَرَأِيَّهُمْ، ثُمَّ يَتَأَوَّلُونَ
الْقُرْآنَ عَلَيْهِ بِمَا يَمْكُنُهُمْ مِنَ التَّاوِيلَاتِ وَالْتَّفْسِيرَاتِ
الْمُتَضَمِّنَةِ لِتَحْرِيفِ الْكَلْمَ عنِ مَوْاضِعِهِ.

[الفتاوى: ٣٥٥/١٧]

وَقَالَ: «وَأَهْلُ الْبَدْعِ سَلَكُوا طَرِيقًا أُخْرَى
أَبْتَدَعُوهَا اعْتَدُوا عَلَيْهَا، وَلَا يَذَكُّرُونَ الْحَدِيثَ، بَلْ
وَلَا الْقُرْآنَ فِي أَصْوَلِهِمْ إِلَّا لِلْأَعْتَضَادِ لِلْأَعْتَمَادِ»
[مِنْهَاجُ السَّنَةِ: ٣٧/٧]

وَقَالَ: «وَالْمَصْوَدُ هَذَا أَنَّ السَّلْفَ كَانُ
اعْتَصَامُهُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ، فَلَمَّا حَدَثَ فِي الْأَمَّةِ
مَا حَدَثَ مِنَ التَّفْرِقِ وَالْإِخْتِلَافِ صَارَ أَهْلُ التَّفْرِقِ
شَيْعَةً، وَصَارَ عَدْتُهُمْ فِي الْبَاطِنِ لَيْسَ عَلَى الْقُرْآنِ
وَالْإِيمَانِ، وَلَكِنَّ عَلَى أَصْوَلِ ابْتَدَعُهَا شَيْوَخُهُمْ،
عَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ فِي التَّوْحِيدِ وَالصَّفَاتِ وَالْقَدْرِ
وَالْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا ظَنُوا أَنَّهُ
يَوَافِقُهَا مِنَ الْقُرْآنِ احْتَجُوا بِهِ، وَمَا خَالَفَهَا تَأَوَّلُوهُ،
فَهُنَّا تَجَدُّهُمْ إِذَا احْتَجُوا بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لِمَ

صُورَ مِنَ الْخَلْلِ

فِي مِنْهَاجِ التَّلْقِيِّ وَالْإِسْتَدْلَالِ عَنْدَ الْمُبَدِّدِعَةِ
١. اعْتِمَادُهُمْ فِي تَقْرِيرِ الْعِقِيدَةِ عَلَى أَصْوَلِهِمُ الْفَاسِدَةِ
مِنْ مِنْهَاجِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ وَسَمَاتِهِمُ
الْعَامَّةِ، أَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى أَصْوَلِهِمُ الْفَاسِدَةِ فِي
تَقْرِيرِ الدِّينِ أَوْلًا، ثُمَّ يَتَلَمَّسُونَ مِنَ الْأَدَلَّةِ الشَّرِعِيَّةِ
مَا يَوَافِقُهُمْ عَلَى غَيْرِ نَهْجِ سَلِيمٍ.
قالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُبِينًا الْفَرْقَ بَيْنَ مِنْهَاجِ أَهْلِ
الْسَّنَةِ وَمِنْهَاجِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ: «وَالْأَلْفَاظُ نُوَاعَنْ، نَوْعٌ
يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَنَوْعٌ لَا يُوجَدُ فِي
كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَيَعْرِفُ مَعْنَى الْأَوَّلِ وَيَجْعَلُ
ذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ الْأَصْلُ، وَيَعْرِفُ مَا يَعْنِيهِ النَّاسُ
بِالثَّانِي وَيَرِدُ إِلَى الْأَوَّلِ، هَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْهَدِيَّةِ
وَالسَّنَةِ، وَطَرِيقُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْبَدْعِ بِالْعَكْسِ،
يَجْعَلُونَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَمَعَانِيهَا هِيَ
الْأَصْلُ، وَيَجْعَلُونَ مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ تَبَعًا لَهُ،
فَيَرِدُونَهَا بِالْتَّاوِيلِ وَالْتَّحْرِيفِ إِلَى مَعَانِيهِمْ،

إعداد/ معاوية محمد هيكل

المثل الأعلى من كل شيء، فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره. [درء التعارض: ٢٩/١]
إلا أن أهل الأهواء قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا قيده الهروب من الإثبات خوفاً من التشبيه، فقد قالوا في الصفات بمقاييس عقلية، ومن ذلك:

مقولتهم: «أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات، وأن ما لا يخلو من الصفات فهو محدث؛ لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة، ولأجلها التزم جهم التعطيل وفداء الجنة والنار». [درء التعارض: ٣٩/٤]

ثم التزم المعتزلة نفي الصفات، ثم التزم الكلابية والأشاعرة والماتريدية نفي أفعال الله الاختيارية، فتاویل الصفات.

«والترزيم أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة». [درء التعارض: ٤٠/١]

كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لاجلها نفي الصفات أو بعضها، التزموا كذلك القول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، وإنكار العلو على العرش.

[درء التعارض: ٤١، ٤٠/١]
ومن ذلك قولهم: «إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء»، والله منزه عن الأعضاء والجوارح، وعليه فليس لله يد ولا عين ولا وجه، فردو ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ بالاقيسة العقلية.

ولهذا قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التاویل والقياس، وقال: يجتنب المتكلم في الفقه هذین الأصلین: المحمل والقياس، وهذه طریقة یشتراك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغرى فھي طریق الجھمية والمعتزلة ومن دخل في التاویل من الفلسفۃ والباطنیة والملحدة.

[الفتاوی ١٧/ ٣٣٥]

يعتنوا بتحrir دلائلهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والأيات التي تخالفهم يشروعون في تاویلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول ﷺ؛ بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها». [الفتاوی ١٣/ ٥٨، ٥٩]

وقال: «أهل البدع والضلال الذين فرقوا بينهم و كانوا شيئاً هم كما قال مجاهد: أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل، كما قال فيهم الإمام أحمد: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يحتجون بالتشابه من الكلام، ويضللون الناس بما يشبهون عليهم، والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها ديناً وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم، ثم يعرضون ذلك على القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضاداً لا اعتضاداً، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تاویله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه ويقولون: نفوض معناه إلى الله، وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ما جاء به الرسول ﷺ، يجعلون أقوالهم البدعية محکمة بحسب اتباعها واعتقاد موجبهما، والمخالف إما كافر وإما جاھل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالأصول، و يجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلا الله، أو لا يعرف معناه إلا الراسخون في العلم، والراسخون عندهم من كان موافقاً لهم على ذلك القول». [الفتاوی ١٣/ ١٤٢، ١٤٣]

٢. استعمال الأقیسة العقلیة في صفات الله وسائل أصول الفقیلة

من المعلوم أن المذهب الحق في أمور العقيدة أنها توقيفية لا مجال للعقل في فيها إلا بالتسليم للنصوص الثابتة، لأن العقول والأفكار لا تحبط بالغيب، وأن القاعدة الشرعية أن الله تعالى له

والباطنية، قال الدارمي: «وصلنا أن بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجبار التي يحتاجون بها علينا في رد مذاهينا مما لا يمكن التذكير بها مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم، وأبيوب وابن عون عن ابن سيرين، عمرو بن دينار عن جابر، عن النبي ﷺ وما أشبهها؟»

قال: فقال المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن غالطوه بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلفظ إذ لم يمكنكم ردتها بعنف، كما فعل هذا المعارض سواء....». [رد الدارمي: ٢٠١، ٢٠٠]

ولما فعل ذلك بشر المريسي حيث الفكتاب في تأويل كثير من نصوص الصفات وأفعال الرب سيحانه وتعالى، تابعه آخرون من ينتسبون للسنة كابن الثلجي، ثم استمد ابن فورك من ابن الثلجي، وتاثر به بعض أوائل الأشاعرة كالبيهقي، والباقلي، والخطابي، ثم صار التأويل منهجاً للأشاعرة، ومنذ عهد الجويني (أبو المعالي) ثم الغزالى والرازى والأمدي والإيجي صار التأويل منهجاً للأشاعرة في صفات الله تعالى وأفعاله، وفتحوا أبواب التأويل على مصاريعها في الصفات وغيرها، فصار كل صاحب هوى أو شبهة أو نزعة عقلانية، يعارض ويرد ما يرد من شرع الله ونصول الوحي بالتأويل.

فحسبنا الله ونعم الوكيل. [انظر دراسات في الأهواء / د. العقل] قال ابن القيم: «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتناول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالمعيار على ما يتداول وما لا يتداول هو المذهب الذي ذهب إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقره ولهما يتناولوه، وما خالفها فإن مكثمن دفعه وإلا تاولوه، ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة؛ ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تاولوه.

ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحداً، ولا يرى بالأ بصار، ولا هو فوق عرشه مبائن

لخلقه، ولا له صفة تقوم به؛ أوكلوا كل ما خالف ما أصلوه.

ولما أصلت القدرية أن الله سبحانه لم يخلق

ولذلك قال شيخ الإسلام: «التمسك بالاقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع». [الفتاوى: ٣٩٢/٧]

ومما يدل على حال أهل الكلام يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى إلا حينما قاسوها على صفات الخلق وأفعالهم، ولم يعتقدوا أن الله تعالى: «ليس كمثله شيء».

٢. اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى وسائل العقيدة

فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء والبدع، فهو وسيط لهم لرد دلالة النصوص وتعطيل معانيها، دون تعرض لإنكسارها وردتها بالكلية، ومن ذلك:

تحريف التأويل وتحريف التنزيل، قال تعالى: «يُلُوْنَ السَّيْنَتُهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ» [آل عمران: ٧٨]، وقال

تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ

مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وأَخْرُ مُتَشَابَهَاتٍ فَإِمَّا الَّذِينَ فِي

قُلُوبُهُمْ رَيْغَ فَيَتَبَعُونَ مَا شَاءُوا

مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ ثَوَابِهِ

وَمَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَةً إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ

إِنَّمَا يَهِيَ كُلُّ مَنْ عَنِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكُرُ

إِلَّا أُولَئِكُمُ الْأَلْيَابُ» [آل عمران: ٧]

ومبدأ التأويل عند أهل الكلام كان في مسائل قليلة - كالكلام - وبحدوث شديد، ثم تجارت بهم الأهواء حتى فتحوا باب التأويل الفاسد.

ولما فتحوا باب التأويل لم يقف متاخروهم عند حد، فأولوا جميع الصفات الخبرية، حتى قال الكوثري: «وإذا صح التأويل لبرهان في شيء صح في بقية الأشياء، حتى لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ».

وهذا ما كان يُحذِّر منه السلف في تعليهم كراهية التأويل كما ذكر شيخ الإسلام وغيره، فقد كان السلف يقولون لمبتدع التأويل من أهل الكلام الأوائل: إذا فتحتم باب التأويل في بعض الصفات والسمعيات، فمن يامن أن يتذرع غيركم بذلك إلى التعطيل وتغيير جميع العقائد والشرائع، وقد حصل فعلاً أن عطلت الجهمية والفلسفه

الراحل التي سلكها أهل الأهواء في رد النصوص
المراحل الأولى: رد بعض السنة وتكذيبها
 والطعن في الرواية بما فيهم الصحابة وهذا
 منهج الجهمية والمعتزلة والأوائل، كعمرو بن
 عبيد، وثمامه بن أشرس، والنظام والجاحظ ثم
 عملت به الرافضة تجاه سائر الصحابة والسلف،
 وكذلك بعض الخوارج.
والمرحلة الثانية: التأويل، وذلك حينما وجدوا
 قوة تصدي السلف وتشريع العامة وتهديد الولاة،
 حيث عرضوه على السيف، فلجموا إلى تأويل
 نصوص الصفات كما فعل بشر المريسي، ثم تأثر
 بمنهجه بعض المنتسبين للحديث كابن الثلجي
 (محمد بن شجاع الحنفي)، وقد ألف كتاباً في
 تأويل أحاديث الصفات على نحو ما فعل بشر
 المريسي، وكطعنه في حماد بن سلمة لوقفه من
 أبي حنيفة، ثم صار التأويل منهجاً
 يعتمد عليه أهل الكلام وتقوم عليه
 عقائدهم في الصفات وبعض
 السمعيات.

فقد أخذ ابن فورك منهج
 التأويل (فيما يوافق أصول
 الكلابية ثم الأشاعرة) عن ابن
 الثلجي والمريسي، وتأثرت به
 الطبقة الوسطى من أوائل الأشاعرة
 كالخطابي والبيهقي.

المراحل الثالثة: مرحلة الجمع بين الرد لهـ (خبر الأحادـ)، والتأويل عند متاخرـي الأشاعـرة، كالجوينيـ والغزالـيـ والرازيـ والإيجـيـ.
المراحل الرابعة: الجمع بين الرد والتأويل والطعن في الرواية الأئمة العدول ليقـنـى منهـجـ أـهـلـ الكلـامـ سـالـماـ ولوـ عـلـىـ حـسـابـ السـنـةـ، كـمـاـ فـعـلـ الكـوـثـريـ ومـدـرـسـتـهـ. وـهـوـ أـشـبـهـ بـمـنـهـجـ المـرـيـسـيـ.

[انظر التكملـ للمعلمـيـ الـيـمـانـيـ]

المراحل الخامسة: مرحلة الرد والإعراض
 الكامل والرفض المعلن لمنهـاجـ السـلـفـ، وـهـيـ مـذـهـبـ
 أـخـلـافـ المـتـكـلـمـينـ منـ العـصـرـانـيـنـ الـذـيـنـ يـزـعـمـونـ
 الـحـاجـةـ إـلـىـ وـضـعـ منـاهـجـ جـدـيـدةـ لـتـلـقـيـ الـدـيـنـ،
 وـتـقـرـيرـهـ وـتـجـديـدـهـ.]

والحمد لله رب العالمين



أفعال عباده ولم يقدرها عليهم، أولوا كل ما خالـفـ
 أصولـهـمـ، وـلـمـ أـصـلـتـ المـعـتـزـلـةـ القـوـلـ بـنـفـوذـ الـوعـيدـ،
 وـأـنـ مـنـ دـخـلـ النـارـ لـمـ يـخـرـجـ مـنـهـ أـبـدـاـ، أولـواـ كـلـ ماـ
 خـالـفـ أـصـولـهـمـ.

وـلـمـ أـصـلـتـ المـرـجـئةـ أـنـ الإـيمـانـ هوـ الـعـرـفـةـ،
 وـأـنـهـ لـأـتـزـيدـ وـلـأـتـنـقـصـ، أولـواـ ماـ خـالـفـ أـصـولـهـمـ.
 وـلـمـ أـصـلـتـ الـكـلـابـيـةـ أـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ لـأـيـقـومـ بـهـ
 مـاـ يـتـعـلـقـ بـقـدـرـتـهـ وـمـشـيـئـتـهـ، وـسـمـوـاـ ذـلـكـ حلـولـ
 الـحـوـادـثـ، أولـواـ كـلـ ماـ خـالـفـ هـذـاـ الأـصـلـ.

[الصـوـاعـقـ الـمـرـسـلـةـ: ٢٣١، ٢٣٠/١]

وقـالـ ابنـ رـشدـ: «ـوـبـالـجـمـلـةـ فـاكـثـرـ التـاوـيلـاتـ
 الـتـيـ زـعـمـ الـقـائـلـونـ بـهـاـ أـنـهـ الـمـقـصـودـ مـنـ الشـرـعـ إـذـاـ
 تـؤـولـتـ وـجـدتـ لـيـسـ يـقـومـ عـلـيـهاـ بـرـهـانـ، وـلـأـتـفـعـلـ
 فـعـلـ الـظـاهـرـ فـيـ قـبـولـ الـجـمـهـورـ لـهـ وـعـلـمـ بـهـ،
 فـإـنـ الـمـقـصـودـ الـأـوـلـ بـالـعـلـمـ فـيـ حـقـ الـجـمـهـورـ مـاـ هـوـ
 الـعـلـمـ، فـمـاـ كـانـ أـنـفـعـ فـيـ الـعـلـمـ فـهـوـ
 أـجـدـنـ، وـمـاـ الـمـقـصـودـ بـالـعـلـمـ فـيـ حـقـ
 الـعـلـمـاءـ فـهـوـ الـأـمـرـانـ جـمـيـعـاـ، أـعـنـيـ
 الـعـلـمـ وـالـعـلـمـ».

ومـثـالـ مـنـ أـوـلـ شـيـئـاـ مـنـ
 الـشـرـعـ وـزـعـمـ أـنـ مـاـ أـوـلـهـ هـوـ الـذـيـ
 قـصـدـهـ الـشـرـعـ وـصـرـحـ بـذـلـكـ
 التـاوـيلـ لـلـجـمـهـورـ؛ مـثـالـ مـنـ أـتـىـ
 إـلـىـ دـوـاءـ قـدـ رـكـبـ طـبـبـ مـاهـرـ،
 لـيـحـفـظـ صـحـةـ جـمـيـعـ النـاسـ أـوـ الـأـكـثـرـ،

فـجـاءـ رـجـلـ فـلـمـ يـلـأـصـهـ ذـلـكـ الدـوـاءـ الـمـرـكـبـ الـأـعـظـمـ
 لـرـدـاءـةـ مـرـازـجـ كـانـ بـهـ لـيـسـ يـعـرـضـ إـلـاـ لـلـأـقـلـ مـنـ
 النـاسـ، فـزـعـمـ أـنـ بـعـضـ الـأـدـوـيـةـ الـتـيـ صـرـحـ بـاسـمـهـ
 الطـبـبـ الـأـوـلـ فـيـ ذـلـكـ الدـوـاءـ الـعـامـ الـمـنـفـعـ الـمـرـكـبـ
 لـمـ يـرـدـ بـهـ ذـلـكـ الدـوـاءـ الـتـيـ جـرـتـ العـادـةـ فـيـ الـلـسـانـ
 أـنـ يـدـلـ بـذـلـكـ الـأـسـمـ عـلـيـهـ. [منـاهـجـ الـأـدـلـةـ: ١٨٢، ١٨١]

وـقـالـ: «ـوـأـنـتـ إـذـ تـأـمـلـ مـاـ عـرـضـ فـيـ هـذـهـ
 الـشـرـيعـةـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ مـنـ الـفـسـادـ الـعـارـضـ فـيـهـاـ
 مـنـ قـبـلـ التـاوـيلـ تـبـيـنـتـ أـنـ هـذـاـ الـمـثالـ صـحـيـحـ، وـأـوـلـ
 مـنـ غـيـرـ هـذـاـ الدـوـاءـ الـأـعـظـمـ هـمـ الـخـوارـجـ، ثـمـ الـمـعـتـزـلـةـ
 بـعـدـهـ ثـمـ الـأـشـعـرـيـ، ثـمـ الـصـوـفـيـةـ، ثـمـ جـاءـ أـبـوـ
 حـامـدـ فـطـمـ الـوـادـيـ عـلـىـ الـقـرـيـ». [منـاهـجـ الـأـدـلـةـ: ١٨٢]

وـهـكـذـاـ مـرـ التـاوـيلـ الـبـاطـلـ بـمـراـحلـ عـلـىـ النـحوـ

التـالـيـ:

البعوا ولا تبعوا

الحلقة الخامسة عشرة

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلوة والسلام على
رسول الله، وبعد:

شهر رمضان شهر مبارك، وفقاً له
كثيرة، وقد شرع فيه من الأعمال
والقرارات الشيء الكثير، ولكن المبتدعة
المعارضين لقول الله تعالى: «اليَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ» [المائدة: ٣]، أحدثوا
بعدًا في هذا الشهر الفضيل، وأرادوا بها
شغل الناس عن القراءات المشروعة. ولم
يسعهم ما وسع رسول الله ﷺ
وصحياته رضوان الله عليهم ومن
تبعهم بإحسان من السلف الصالح رحمة
الله عليهم، الذين كانوا أحقر الناس
على الخير. فزادوا في الدين ما ليس
منه، وشرعوا ما لم يأتني به الله.
وفي هذا المقال نعرض لجملة من
البدع والمخالفات التي يقع فيها بعض
الناس فنتكلم مستعينين بالله عز وجل.

رمضان

البداع المتعلقة برؤية هلال رمضان

ومن المحدثات في شهر رمضان، ما تفعله العامة في بعض البلدان الإسلامية، من رفع الأيدي إلى الهلال عند رؤيته يستقبلونه بالدعاء قائلين: «هل هلالك، جل جلالك، شهر مبارك». ونحو ذلك، مما لم يعرف له أصل في الشرع، بل كان من عمل الجاهليه وضلالتهم.

والذى ورد عن النبي ﷺ أنه إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهْلِهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَالسَّلَامِ وَالصَّوْفِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّنَا وَرَبِّكَ اللَّهُ». [صحيف الترمذى ٣٤٥١] فما يفعله بعض الناس عند رؤية الهلال لم يعهد في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - ولا السلف الصالحة رحمة الله عليهم.

ومن ذلك أيضًا ما تفعله العوام، وأرباب الطرق الصوفية من الطواف في أول ليلة من رمضان في العوام ومع بعض القرى - المسماى بالرؤى - مع اشتتماله على قراءة الأوراد والأذكار، والصلوات مع اللغو والتلوين بضرب الطبول، واستعمال آلات اللهو، وزعزقات النساء وغير ذلك، مما هو مشاهد في بعض البلدان والاقطاع الإسلامية.
فإنه لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا أصحابه ولا أحد من السلف الصالحة.

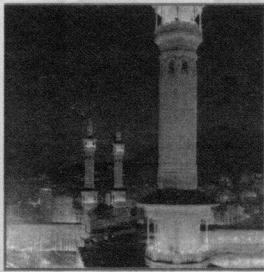
الإفطار بغير عذر في رمضان

صح عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ «بيِّنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رجُلٌ، فَاخْدَأَ بِضَبْعِي - عَضْدِي - فَاتَّيَا بِي جَبَلاً وَعِرَّا، فَقَالَ: أَصَدَّ، فَقَلَّتْ إِنِّي لَا أَطِيقُهُ، فَقَالَ: سَنْسَهِلُكَ، فَصَعَدَتْ حَتَّى إِذَا كَنْتُ فِي سَوَادِ الْجِبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتِ شَدِيدَةٍ، قَلَّتْ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: هَذِهِ عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنْتَ بِقَوْمٍ مَعْلَقِينَ بِعِرَاقِيهِمْ، مَشْقَقَةً أَشْدَاقَهُمْ، تَسْبِيلَ أَشْدَاقَهُمْ، قَالَ: قَلَّتْ مِنْ هُؤُلَاءِ: قَالَ: الَّذِينَ يَفْطَرُونَ قَبْلَ تَحْلِةِ صُومُهُمْ». [صحيف الترغيب والتربية ١/٤٢٠]

فإذا كان هذا وعید من يفطرون قبل غروب الشمس فكيف
بمن يفطر اليوم كله؟

قال الحافظ الذهبي رحمة الله: «وعند المؤذن مقرر: أن من ترك صوم رمضان بلا عذر أنه شر من الزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه، ويظلون به الزندقة والإخلال». وإذا كانت هذه عقوبة من تهاونوا في أداء فريضة الصوم فكيف بمن غيرروا وحرفوا وأولوا معانيها فأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه كحال الذين قالوا بإسقاط التكاليف الشرعية من الصوفية وبجاجلة الشيعة والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود و المجالهم ابن عربي النكرة.

وما ابتدع فيه



ظهور الدين إنما يتحقق بمخالفة طريقة المغضوب عليهم والضالين والاستقامة على هدي سيد المرسلين

كان صحابة النبي ﷺ أحرص الناس على الخير، ولذلك كانوا أعدل الناس فطراً وأخرهم حوراً

بدعة تأخير الفطر وتعجيل السحور

والتشبه بأهل الكتاب

لقد كان صحابة النبي ﷺ أحرص الناس على الخير، ولذلك كانوا أعدل الناس فطراً وأخر الناس سحوراً، اكتملت فيهم معاني الخيرية ولذلك أثني عليهم رب العزة من فوق سبع سموات بقوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» وأثني عليهم النبي ﷺ بقوله: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [أخرجه البخاري ومسلم]

ولن نستحق نحن وصف الخيرية هذا إلا إذا استقمنا على مثل ما استقاموا عليه، وسلكنا طريقهم رضي الله عنهم، ومن جملة ذلك تعجيل الفطر وتتأخير السحور، كما قال ﷺ: «لا يزال الدين ظاهراً، ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون». [روايه الترمذى وحسنه الابناني]. وفيه بيان أن ظهور الدين إنما يتحقق بمخالفة طريقة المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، والاستقامة على ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وإذا كان اليهود والنصارى يؤخرون فطهرهم فلا يجوز لنا أن نتشبه بهم».

وقال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، فإن اليهود يؤخرون». [روايه ابن ماجه وحسنه الابناني في صحيح الجامع: ١٩٥].

قال المناوى (٣٩٥/٦): «امتثالاً للسنة ومخالفة لأهل الكتاب حيث يؤخرون الفطر إلى ظهور النجوم، وفيه إيماء إلى أن فساد الأمور تتعلق بتغيير السنة، وأن تأخير الفطر علم على فساد الأمور». قال القسطلاني: «اما ما يفعله الفلكيون من التمكين بعد الغروب بدرجة فمخالف للسنة فلذا قلل الخير».

وقال رسول الله ﷺ: «فلا ثلاثة من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال».

[روايه الطبرانى وصححه الابناني في صحيح الجامع ٢٢٨٦]

صور من صوم أهل الضلال

يقول الحجاج شيخ الحolloية: إن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات أجزاء ذلك عن صيام رمضان، ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزاء عن الصلاة بعد ذلك.

وإن من جاور مقابر الشهداء ومقابر قريش عشرة أيام يصلى ويدعى ويصوم ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح والجريش أغنانه ذلك عن العبادة في بقية عمره. [البداية والنهاية: ١٥١/١١]

الإسماعيلية الباطنية

ينسلخون من دين الله بالكلية وينسلخون في مصر بالعبيدية «الباطنية» وفي الشام النصيرية والدروز وفي الهند بالبهرة وبالإسماعيلية والكافر ملة واحدة.

ذلك أنهم تطربوا في تأويلاً لهم الباطنية فذهبوا إلى تاليه الأئمة وطرح فرائض الشرع، وفسروا الصلاة بأنها الاتجاه القلبى للإمام، وأن الصوم عدم إفشاء أسرار الدعوة، والحج زياره الإمام، وأن الفجر هو المهدي المنتظر، وأن الأئمة هم الأئمة، والسماء هي الدعوة، والملائكة هم الدعاة.

[دراسات عن الفرق ص ٢١٣]
فهذا علي بن الفضل الإسماعيلي أفعى أتباعه من أداء الشعائر الإسلامية من صوم وصلاة وحج ودخل مدينة الجند في أول خميس من رجب فصعد المنبر وقال:

تولى النبي يقى هاشم
وهذا النبي يقى يعرب
لكل النبي ماضى شرعة
وهذه شريعة هذا النبي
فقد حط عنا قروض الصلاة
وطح الصيام ولم يتعرب
إذا الناس صلو قلا تتهض
وإن صوموا فكلي واشربى

[كتشf أسرار الباطنية ٨٣ - ٨٢]

بدع متعلقة بوداع رمضان

ولا سجود والذي يعد ركنا من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه. وقد ذكر العلماء أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمورين من فعل ما يسن فكيف بسرعة تمنعه فعل ما يجب، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ في صلاة التراويح فقد أخرج الشیخان عن عائشة رضي الله عنه قالت (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلى أربعاءً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعاءً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً). رزقنا الله حسن التأسي بالنبي ﷺ.

٢- رفع الصوت بالبكاء في الصلاة إلى حد الصراخ والعويل:

وليس هذا من هدي السلف رضي الله عنهم فقد كان نبينا ﷺ إذا قرأ القرآن سمع لصدره أزيز كازير الرجل فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ وهو يصلى ولصدره أزيز كازير) الرجل يعني بيكي (آخرجه أبو داود وقوى إسناده الحافظ في الفتح ٤٢٢) وقال عبد الله بن شداد سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف يقرأ: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [ذكره البخاري تعليقاً الفتح ٢٤١/٢]

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه على الخشوع في صلاته وأن يخفى صوته في البكاء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٣- تهاون البعض وعدم اعتنائهم بصلاة التراويح:-

حيث ينتظرون الإمام حتى يركع فإذا رکع دخلوا معه في الصلاة وهذا العمل فيه ترك متابعة الإمام وتغويت لتكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة فلا يليق بالمسلم فعل ذلك لما فيه من استهانة بأمر الصلاة، وكذلك تكاسلهم عن إتمام التراويح مع الإمام، فيكتفون ببعض الركعات مع الإمام ثم ينصرفون إلى أعمالهم وفي هذا تضييع لأجر عظيم وخير كثير قال عنه رسول الله ﷺ: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) [صحح رواه أهل السنن]

٤- بدعة القيام عند ختم القرآن في رمضان بسجادات القرآن كلها في ركعة:

قال أبو شامة: وابتدع بعضهم أيضاً جمع آيات السجادات، يقرأ بها في ليلة ختم القرآن وصلاة التراويح، ويسبح بالمأمورين في جميتها.

وقال ابن الحاج: وينبغى له أى الإمام- أن يتتجنب ما أحدثه بعضهم من البدع عند الختم، وهو أنهم يقومون بسجادات القرآن كلها فيسجدونها متواتلة في ركعة واحدة أو ركعتان، فلا يفعل ذلك في نفسه وينبه غيره عن فعله، إذ أنه من البدع التي أحدثت بعد السلف، وبعضهم يبدل مكان السجادات قراءة التهليل على التوالي، فكل آية فيها ذكر «لإله إلا الله» أو «لإله إلا هو» قرأتها إلى آخر الختمة،

ومن الأمور المحدثة المتعلقة بوداع رمضان، ما يفعله بعض الخطباء في آخر جمعة من رمضان، من ندب فراقه كل عام، والحزن على مضييه، وقوله: لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، ويكرر هذه التوجيهات مسجعات مرات عديدة، ومن ذلك قوله: لا أوحش الله منك يا شهر المصايب، لا أوحش الله منك يا شهر المفاتيح، فتأمل هداانا الله وإياك لما أتت إليه الخطب، لا سيما خطبة آخر هذا الشهر الجليل، الناس فيه بحاجة ماسة إلى أداب يتعلمونها مما يستقبّلهم من صدقة الفطر، ومواساة الفقراء، واستثمار ما ينتجه الصوم من الأمور الفاضلة، والآثار الحميدة، وتجنب البدع وغير ذلك مما يقتضيه المقام. [السنن والبدعات: ص ١٦٥]

بدعة الاحتفال بذكرى غزوة بدر

ومما أحدث في هذا الشهر المبارك الاحتفال بذكرى غزوة بدر، وذلك أنه إذا إذا كانت ليلة السابع عشر من شهر رمضان اجتمع الناس في المساجد وأغلبهم من العامة، وفيهم من يدعى العلم، فيبدعون احتفالهم بقراءة آيات من الكتاب الحكيم، ثم ذكر قصة بدر وما يتعلق بها من الحوادث، وذكر بطولات الصحابة رضوان الله عليهم والغلو فيها، وإن شاد بعض القصائد المتعلقة بهذه المناسبة.

فتخصيص هذه الليلة- ليلة السابع عشر من رمضان بالاجتماع والذكر والإقاء القصائد، وجعلها موسمًا شرعياً، ليس له مستند من الكتاب ولا من السنة، ولم يؤثر عن الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين ومن تبعهم، رحمهم الله أنهم احتفلوا بهذه المناسبة في هذه الليلة أو في غيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: وللنبي ﷺ خطب وعمهود ووقائع في أيام متعددة: مثل يوم بدر، وحنين، والخندق، وفتح مكة، ووقت هجرته، ودخوله المدينة، وخطب متعددة يذكر فيها قواعد الدين، ثم لم يوجب ذلك أن يتخذ أمثال تلك الأيام أعياداً، وإنما يفعل مثل هذا النصارى، الذين يتذمرون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً، أو اليهود، وإنما العيد شريعة، فما شرعة الله أتبع، وإن لم يُحدث في الدين ما ليس منه.

[البدع الحولية للتويجري]

بدع ومخالفات في صلاة التراويح

١- نقر صلاة التراويح:

من تأمل أحوال بعض الناس اليوم في صلاة التراويح وقارنها بما كان عليه زمن تشريعها الأول يرى أنهم قد ذهبوا بكل مزاياه وعطلاوا معظم شعائرها وأحدثوا بدعاً سيئة لا يرضاهما الله ورسوله فنرى بعض أئمة المساجد هداهم الله ينقرنون الصلاة نقر الغراب ولا يطمئنون في رکوع

الحق، واجعلنا منهم).

وفي رواية موقوفاً على عمر رضي الله عنه:
اللهم اغفر لنا، وللمؤمنين والمؤمنات، وال المسلمين
والMuslimات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم،
وانصرهم على عدوكم وعدوهم.

اللهم عن كفارة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك، ويذبحون رسلك، ويقاتلون أولياءك اللهم خالق بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأمسك الذي لا يرده عن القوم المحرمين. اهـ

فعلى الإخوة أئمة المساجد الاقتصار على ما
جاء في الهدي النبوي فخير الهدي هدي محمد
ولا بأس بأن يزيد الداعي من الأدعية الثابتة
والصحيحة شريطة لا يشق على المصلين ولا
يعتدى في الدعاء.

مخالفات تقع من بعض النساء

١- خروج المرأة إلى صلاة التراويح متعطرة متزينة: وهذه مخالفة عظيمة وكبيرة من كبار الذنوب حيث حذر النبي ﷺ من هذا السلوك المغيب فقال: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية) [آخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وأحمد وصححه الإلبانى] فهل يليق بامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر جات إلى المسجد لتعبد ربها وتطلب منه العفو والمغفرة أن تقع في مثل هذه الأمور التي تغضب ربها وتستحلب سخطه.

٤- عدم تستر المرأة تسترًا كاملاً والواجب عليه أن تلتزم الشرع في حجابها فلا يكون شفافاً ولا ضيقاً بل واسعاً ساتراً فضفاضاً ولا يكون زينة في نفسه ولا يشبه ملابس الكافرات ولا يشبه ملابس الرجال ولا تكون ثوب شهرة.

٣- بعض النساء يتربّن الصلاة أبداً في رمضان
وغيره، ويحافظن كل المحافظة على صيام رمضان،
حتى وهن حيض فيصمون طوال النهار الصيام
المحرم وقبيل الغروب يفطرن - بزعمهن، على لقمة أو
جرعة ماء، فواجعـاً لهنـ، يأمرـن اللهـ بالصلـاة
فيعصـينـه ولا يصـلـينـ، ويحرـم عـلـيهـنـ الصـيـامـ وـهـنـ
حيـضـ فـيـفـرـضـهـ عـلـىـ أـنـفـسـهـنـ جـهـلاًـ وـضـلـالـاًـ. وـالـلـوـمـ
فـيـ ذـكـلـ كـذـلـكـ عـلـىـ رـجـالـهـنـ إـذـ لـوـ عـرـفـواـ دـيـنـهـمـ لـعـلـمـواـ
نسـاعـهـمـ وـأـوـلـادـهـمـ.

٤- اصطحاب النساء للأطفال غير المميزين إلى المساجد وانشغالهن بالقيل والقال، فترتفع الأصوات، مما يحدث تشويشاً على المصلين والمصليات، وهذا يتنافى مع الواجب الذي يمليه عليهن الشرع مع بيوت الله والتائب بأداءها.

بدعة صلاة ليلة عيد الفطر ويومه

ذكروا أنها مائة ركعة بالفاتحة والإخلاص عشر مرات ويستغفر بعدها مائة مرة إلخ حديث طويل ذكره السيوطى فى الالى، وقال: موضوع، وكذا صلاة نهارها.

وذلك من البدع أيضًا. اهـ.

١- بِدْعَةُ سَرْدِ آيَاتِ الدُّعَاءِ:

ومن البدع التي أحدثت في رمضان بيعة سرد
جميع ما في القرآن من آيات الدعاء، وذلك في آخر
ركعة من التراويح، بعد قراءة سورة الناس فيطول
الركعة الثانية عن الأولى.

وذلك الذين يجمعون آيات يخصونها بالقراءة
ويسمونها آيات الحرز ولا أصل لشيء من ذلك،
فليعلم الجميع أن ذلك بدعة، وليس شيء منها من
الشريعة، بل هو مما يوهم أنه من الشرع وليس منه.

٦- بدعة الذك

التراویح:
وَمَا أَهْدَتْ فِي هَذَا الْشَّهْرِ الْفَضِيلِ: الْذِكْرُ بَعْدِ
كُلِّ تِسْلِيمَتَيْنِ مِنْ صَلَاتِ التِّراوِيْحِ، وَرَفْعِ الْمَصْلِينِ
أَصْوَاتِهِمْ بِذَلِكَ، وَفَعْلِ ذَلِكَ بِصَوْتِ وَاحِدٍ، فَذَلِكَ كُلُّهُ
مِنَ الدُّعَاءِ.

و كذلك قول المؤذن بعد نكحهم المحدث هذا: صلاة
القيام أتابكم الله، فهذا أمر محدث لم يثبت عن
النبي ﷺ

221-

بعض الأئمة يكترون السجع المتكلف فيه وقد
علمنا النبي ﷺ دعاء القنوت ومحله بعد سمع الله
ملح مدحه ربنا وللحمد فكان النبي ﷺ يجهز
بدعائة ويرفع يديه ويؤمن من خلفه، ومن هذه
الأدعية المداركة:

«اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت،
وتولنى فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقنى
شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنك لا
يذل من وليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا
وتعالیت، لا منجا منك إلا إلیك». ويزيد عليه في
النصف الثاني من رمضان.

(اللهم قاتل الكفارة الذين يصدون عن سبيلك
ويذبون رسلك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالف بين
كلمتهما، وألق في قلوبهم الرعب، وألق عليهم رجزك
وعذابك، إله الحق)، ثم يصلي على النبي ﷺ
ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير، ثم يستغفر
للمؤمنين. وكان يقول: «اللهم إنا نستعينك
ونستغفك، لا ننفك ونؤمن بك، ونخلع من يفجرك،
اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعي
ونحلف، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك
الجد بالكافر ملحق، اللهم عذب كفرا أهل الكتاب،
الذى يصدون عن سبيلك، ويذبون رسلك، ويقاتلون
أولياءك) .

(اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وأصلاح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة رسولك ﷺ، وزرع لهم أن يوفوا بعهدهم الذي عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوكم وعدوهم الله

العيد

أحكام وآداب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِقَمٍ / معاوية محمد هيكل

أما المعنى الإنساني في العيد، فهو أن يشترك أعداد لا حصر لها من أبناء الشرق والغرب بالفرح والسرور في وقت واحد، فإذا بالامة تلتقي على الشعور المشترك بالغبطة، وإذا ببناء الأمة الواحدة على اختلاف ديارهم يشتركون في السراء كما يشتركون في الضراء، ففي العيد تقوية لهذه الروابط الفكرية والروحية التي يعقدها الدين بين أبنائه من مختلف اللغات والأقوام. [أحكام الصيام - مصطفى السباعي]

من معانى العيد

العيد: هو كل يوم فيه جمع، واستيقاوه من: عاد يعود، كانهم عادوا إليه، ويقال: عيد المسلمين: شهدوا عيدهم، قال ابن الأعرابي: سُمِّي العيد عيدها لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد. [لسان العرب ٣٩/٣]. قال ابن عابدين: «سمى العيد بهذا الاسم لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي أنواع الإحسان العائنة على عباده في كل يوم، منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقه الفطر».

[HASHIYA IBN UABIDIN ١٦٥/٢]

أعيادنا وتحقيق الهوية

عن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ وأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: «قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية. وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما؛ يوم النحر، ويوم الفطر». [صحيح اخرجه احمد وابو داود]

لقد تميزت أعياد المسلمين عن غيرها من أعياد الجاهلية بأنها قربة وطاعة لله عز وجل، وفيها من تعظيم الله تعالى وذكره ما لا يخفيه الكتب الكبير في العيدين وحضور الصلاة في المصلى مع جماعة المسلمين وتوزيع صدقة الفطر والتقارب إلى الله تعالى بالأضافي مع إظهار الفرح والسرور على نعمة العيدين ونعمة إتمام الصيام في الفطر.

كما أنها مرتبطة بعبادات عظيمة، فعيد الفطر يأتي تتويجاً لشهر الصيام والقيام، وعيد الأضحى يتخلل شعيرة الحج العظيم وقبليه يوم عرفة أفضل الأيام، فكلا العيدين يرتبطون من أركان الإسلام، بينما أعياد الكفار ترتبط بأوثانهم التي يبعدونها من دون الله، كما في أعياد المشركين وأعياد الفراعنة وأعياد اليونان والروماني، أو ترتبط بمفاهيم خاطئة وعقائد فاسدة كما في أعياد أهل الكتاب وأعياد المبتدعة من رافضة وصوفية وغيرهم.

التجمل في العيد

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ عمر جبة من استبرق، تباع في السوق، فأخذها، فلما رأى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أبتعد هذه، تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله ﷺ: «إنما هذه لباس من لا خلاق له»، قلبث عمر ما شاء الله أن يلبث، ثم أرسل إليه رسول الله ﷺ بجبة دياج، فاقبل بها عمر، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك قلت: إنما هذه لباس من لا خلاق له» وأرسلت إلي بهذه الجبة، فقال له رسول الله ﷺ: «تبיעها أو تصيب بها حاجتك». [روايه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وأحمد]

قال الإمام السندي: «منه علم أن التجمل يوم العيد كان عادة متقررة بينهم، ولم ينكروا النبي ﷺ، فعلم بقاوها».

[HASHIYA SENADI UPON THE NASSANI ١٨١/١٣]

وكان ابن عمر: «يلبس أحسن ثيابه في العيدين». [فتح الباري ٤٣٩/٢]

الأغتسال يوم العيد قبل الخروج

عن نافع: «أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلوة والسلام على سيد الأنام، خير من صام وخير من قام، وبعد: فالعيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين في دنياهم وأخراهم إنما هي بفضل مولاهم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَفْخَلِ اللَّهُ وَيَرْحَمْهُ تَهْ فَيَذَلِكَ فَلَيَقْرَرُهُوا هُوَ خَيْرٌ مَمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

والعيد شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، ومظهر من أح金陵 مظاهره، يتجلى فيه من المعانى الاجتماعية والإنسانية ما ينشرح له الصدر، ففي العيد تتقابـل القلوب على الود، وتجتمع على الآلفة، ويجتمع الناس بعد افتراق، ويتصافون بعد كدر.

وفي العيد تذكير أبناء المجتمع بحق الضعفاء عليهم حتى تشمل الفرحة بالعيد كل بيت، وتعـمـنـعـةـ كلـ أـسـرـةـ، وإـلـىـ هـذـاـ المـغـرـىـ الـاجـتـمـاعـيـ العـظـيمـ يـرـمـ تـشـرـيـعـ صـدـقـةـ الفـطـرـ فيـ عـيـدـ الـفـطـرـ. فـفـيـ تـقـدـيمـ صـدـقـةـ الفـطـرـ لـلـيـلـتـهـ إـطـلـاقـ لـلـأـيـدـيـ الـخـيـرـةـ، فـلـاـ تـشـرـقـ شـمـسـ الـعـيـدـ إـلـاـ وـالـبـسـمـةـ تـعـلـوـ شـفـاهـ النـاسـ جـمـيـعـاـ.

[انظر: رسالة صلاة العبيدين في المصلى هي السنة، للألباني رحمة الله]

التكبير في العيدين

ثبت أن النبي ﷺ «كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضى الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير».

[رواه ابن أبي شيبة في المصنف وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٠)]

قال البغوي: «ومن السنة إظهار التكبير ليتلقي العيدين مقيمين وسفراً في منازلهم ومساجدهم وأسواقههم وبعد الغدو في الطريق، وبالمصلى إلى أن يحضر الإمام، كان ابن عمر رضي الله عنه يغدو إلى المصلى يوم الفطر إذا طلعت الشمس فيكبر حتى يأتي المصلى ثم يكبر بالمصلى حتى إذا جلس الإمام ترك التكبير».

[آخر حاكم والبيهقي وصححه الألباني، انظر: إرواء الغيل (٦٥٠) وكان ابن المسيب وعروة وأبو سلمة وأبو بكر يکبرون ليلة الفطر في المسجد مجھرون بالتكبير.

صيغ التكبير

«الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد». [رواه ابن أبي شيبة وصححه الألباني].

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد».

[عن ابن مسعود وابن عباس بسنده صحيح]

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً».

[رواه عبد الرزاق بسنده صحيح عن سليمان]

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر وأجل، الله أكبر على ما هدانا».

[رواه البيهقي، وصحح إسناده الألباني عن ابن عباس]

حكمة التكبير في العيدين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي تكبير الأعياد جمع بين القرینين، فجمع بين التكبير والتهليل والتحميد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاهُمْ وَلَا تُكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا لَمْ هَدِّنَهُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فإن الهداية اقتضت التكبير عليها، فضم إليه قرينه وهو التهليل، والنعمة اقتضت الشكر عليها، فضم إليه أيضًا التحميد».

فهكذا ذكر الأعياد اجتمع فيه التعظيم والنعمة، فجمع بين التكبير والحمد؛ فالله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا. ولذلك فإن حكمة التكبير في العيد مضادة المشركين فيما كانوا يفعلونه من التعظيم لأوثانهم، خاصة الذبح لها، لذا كان التكبير متاكداً في عيد الأضحى وأيام التشريق. [انظر: مجموع الفتاوى (٢٤: ٢٤٠)]

قال الخطابي رحمة الله تعالى: حكمة التكبير في هذه الأيام أن الجاهلية كانوا يذبحون لطواقيتهم فيها، فشرع التكبير فيها إشارة إلى تخصيص الذبح له

وعلى اسمه عز وجل. [انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٢٥: ٢)]

متى يأكل في العيدين

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا

يغدو إلى المصلى».

[أخرجه الإمام مالك، ورواه أيضًا الشافعى وعبد الرزاق وسنده صحيح]
قال الإمام سعيد بن المسيب: «سنة الفطر ثلاث المشي إلى المصلى، والأكل قبل الخروج، والاغتسال».
[إرواء الغيل (٤٠٤: ٢)]

الخروج إلى المصلى

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة». [رواه البخاري ومسلم والنسائي]
فالسنة في صلاة العيدين أن تؤدى في المصلى، وبذلك قال جمهور العلماء.

قال البغوي في «شرح السنة»: «السنة أن يخرج الإمام لصلاة العيدين، إلا من عذر، فيصلى في المسجد».

قال ابن الحاج في «المدخل» (٢٨٣): «والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى؛ لأن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من الفضة فيما سواه، إلا المسجد الحرام». ثم هو مع هذه الفضيلة العظيمة خرج النبي ﷺ إلى المصلى وتركه».

خروج النساء إلى المصلى

عن أم عطية: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى؛ العواتق، والحيض وذوات الخدور، فاما الحيض فيعتزلن الصلاة - وفي لفظ المصلى - ويشهدن الخير ودعوة المسلمين». [رواه مسلم]

والسنة خروج النساء إلى المصلى لصلاة العيدين، بل ذهب كثير من أهل الفقه إلى الوجوب، ومنهم الصنعاني والشوکانی، وصديق حسن خان، وهو ظاهر كلام ابن حزم، ومال إليه ابن تيمية في «اختياراته» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيد». [رواه ابن أبي شيبة وسنده صحيح]

حكمة صلاة العيدين في المصلى

قال الألباني رحمه الله عن حكمة الصلاة في المصلى: «إن هذه السنة - سنة الصلاة في الصحراء - لها حكمة عظيمة بالغة: أن يكون للمسلمين يومان في السنة، يجتمع فيها أهل كل بلدة، رجالاً ونساءً وصبياناً يتوجهون إلى الله بقلوبهم، تجمعهم كلمة واحدة، ويصلون خلف إمام واحد ويکبرون ويهللون، ويدعون الله مخلصين، كانهم على قلب رجل واحد، وقد أمر رسول الله ﷺ بخروج النساء لصلاة العيد مع الناس ولم يستثن منهن أحداً، حتى أنه لم يرخص من لم يكن عندها ما تلبس في خروجها، بل أمر أن تستعير ثوباً من غيرها، وحتى أنه أمر من كان عندهن عذر يمنعهن من الصلاة، بالخروج إلى المصلى «ليشهدن الخير ودعوة المسلمين».

ومقصد آخر: قول الدھلوي: «إن كل أمة لابد لها من عرضة يجتمع فيها أهلها لظهور شوكتهم وتعلم كثرةهم، ولذلك كان النبي ﷺ يخالف في الطريق ذهاباً وإياباً ليطلع أهل الطريقين على شوكة المسلمين».

ولا إقامة، ولا قول: الصلاة جامعة، والسنّة أئمّة لا يفعل شيء من ذلك.

قال الصنفاني في «سبيل السلام» (٦٧/٢): «وهو دليل على عدم شرعية إلّا صلاة العيد فإنّها بدعة».

كيفية صلاة العيد

عن عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر والأضحى: في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمساً سوى تكبيرة الركوع».

[رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبيهقي بإسناد صحيح]

ولم يصح عن النبي ﷺ أنه كان يرفع يديه مع تكبيرات العيد. [رواء الغيلاني ١٠٨٣-١١٢]، لكن قال ابن القيم: «كان ابن عمر مع تحريره للاتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة». [زاد المعاد ٤١/١]. قال الإمام مالك: «ارفع يديك مع كل تكبيرة» وهذا قول عطاء.

ولم يصح عن النبي ﷺ ذكر معين بين تكبيرات العيد، ولكن ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «بين كل تكبيرتين حمد لله عز وجل، وثناء على الله». [رواه البيهقي وجوب إسناده الألباني].

وفيه أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: «يحمد الله ويثنى عليه، ويصلى على النبي ﷺ». [صححه الألباني]. ومن فاقته صلاة العيد جماعة، يصلى ركعتين: قال البخاري رحمة الله «باب إذا فاته العيد يصلى ركعتين» وهو قول عطاء ومذهب الشافعى.

خطبة بعد الصلاة

السنّة في خطبة العيد أن تكون بعد الصلاة، عن ابن عباس قال: «شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمرو وعثمان رضي الله عنهم، فكلّهم كانوا يصلون قبل الخطبة». [رواه البخاري ومسلم وأحمد]. وخطبة العيد كسائر الخطب، تفتتح بالحمد والثناء على الله عز وجل.

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤٤٧-٤٤٨): «وكان يفتح خطبته كلها بالحمد لله، ولم يحفظ عنه في حديث واحد أنه كان يفتح خطبتي العيد بالتكبير، وإنما روى ابن ماجه في سننه عن سعد القرظمي مؤذن النبي ﷺ أنه كان يكثر التكبير بين أضعاف الخطبة، ويكثر التكبير في خطبتي العيد، وهذا لا يدل على أنه كان يفتتحها به».

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤٤٨/١): «ورخص من شهد العيد أن يجلس للخطبة أو أن يذهب». **الثالثة بالعيد**

قال جبير بن نفير: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك». [فتح الباري ٤٤٦/٢].

تقبل الله ممن وليه

والحمد لله رب العالمين.

يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات. [رواه البخاري].

قال المهلب: الحكمة في الأكل قبل الصلاة: أن لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلى العيد، فكانه أراد سد هذه الذريعة. [فتح الباري ٤٤٧/٢]

وعن بريدة رضي الله عنها قال: كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فباكل من نسيكته. [حسن: رواه الترمذى وابن ماجه]: **لا يصلى قبل العيد شيئاً**

عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يوم الفطر ركعتين، لم يصل قبلها ولا بعدها. [رواه البخاري]

قال ابن حجر في «الفتح» (٤٧٦/٢): «والحاصل أن صلاة العيد لم يثبت لها سنة قبلها ولا بعدها، خلافاً لما قاسها على الجمعة».

وعن أبي سعيد الخدري: «كان رسول الله ﷺ لا يصلى قبل العيد شيئاً، فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين». [رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الألباني]

حكم صلاة العيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا رجحنا أن صلاة العيدين واجبة على الأعيان، كقول أبي حنيفة وغيره، وهو أحد أقوال الشافعى، وأحد القولين فى مذهب أحمد، وقول من قال: لا تجب، في غاية البعد؛ فإنها من أعظم شعائر الإسلام، والناس يجتمعون لها أعظم من الجمعة، وقد شرع فيها التكبير، وقول من قال: هي فرض على الكفاية لا ينضبط».

[مجموع الفتاوى ١١١/٣]

قال العلامة صديق حسن خان في «الروضۃ النذیۃ» (٤٢/١): «من الأدلة على وجوبها أنها مسقطة للجمعة إذا اتفقنا في يوم واحد». وما ليس بواجب لا يسقط ما كان واجباً، وقد ثبت أنه ﷺ لازمها جماعة منذ شرعت إلى أن مات، وانضم إلى هذه الملزمة الدائمة أمره للناس بأن يخرجو إلى الصلاة.

وقت صلاة العيد

عن عبد الله بن بُسر صاحب النبي ﷺ أنه خرج مع الناس يوم فطر أو أضحى، فأنكر إبطاء الإمام، وقال: إنما كنا قد فرغنا ساعتنا هذه، وذلك حين التسبيح. [البخاري معلقاً ووصله أبو داود وسنده صحيح] أي وقت صلاة النافلة إذا مضى وقت الكراهة.

قال ابن القيم: «يؤخر صلاة عيد الفطر، ويعجل الأضحى».

لأذان ولا إقامة للعديد

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة. [رواه مسلم]

وعن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم قالا: «لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى». [رواه البخاري]

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤٤٢/١): «وكان إذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان،

اتبعوا
ولا تبدعوا

الحمد لله الذي جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، والصلاحة والسلام على سيد الأنام،

وبعد:

فقد رتب الشرع الحنيف على الحج المبرور أجرًا عظيمًا فقال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [متفق عليه]، ولكن يكون الحج مبروراً والعمل مقبولاً لابد أن يتحقق أصلين عظيمين الإخلاص لله عز وجل ومتابعة النبي ﷺ وفي هذا المقال نوضح جملة من الأخطاء والبدع التي يقع فيها بعض الحجاج تحذيرًا لهم حتى يسلم حجهم ويرضي عنهم ربهم فنقول مستعينين بالله عز وجل . ■■■

محرم شرعي، فقد صح عن النبي - ﷺ - قوله لا يحل لإمرأة أن تسافر إلا ومعها ذو محرم [صحيح البخاري ٢٦٤٦]. وجود المحرم للمرأة شرط في الحج من جهة استطاعتها إليه، وكذلك في العمرة.

ثانياً: البدع والأخطاء التي تقع في ركن الإحرام:

١- بعض الحجاج القادمين عن طريق الجو يؤخرن الإحرام حتى ينزلوا في مطار جدة فيحرموا منها أو دونها مما يلي مكة وقد تجاوزوا الميلقات الذي مرروا به في طريقهم، وقد قال ﷺ في المواقف: «هن لهن ولن أتى عليهم من غير أهلهن» فمن مر بالميقات الذي في طريقه أو حاذثه في الجو أو في الأرض وهو يريد الحج أو العمرة وجب عليه أن يحرم منه ، فإن تجاوزه وأحرم من بعده ثم وترك واجباً من واجبات النسك يجبره بدم ، وجدة ليست ميقاتاً إلا لأهلها ومن نوع النسك منها.

٢- بعض الحجاج إذا أحرموا أخذوا لهم صورة تذكرة يحتفظون بها ويطلعون عليها أصدقائهم ومعارفهم وهذا خطأ لما يلي:

أن التصوير في حد ذاته حرام ومعصية للأحاديث الواردة في تحريمه والوعيد عليه ، والحاج في عبادة فلا يليق به أن يبدأ هذه العبادة بالمعصية. كما يخشى أن يدخله الرياء إذا أحب أن يطلع الناس عليه وعلى صورته وهو حرام.

٣- من المخالفات التالفة بالذمة عند الإحرام في يقول الحاج : اللهم إني أريد الحج أو العمرة، والصواب أن ينوي الإحرام بقلبه ويتلفظ بالنسك بلسانه قائلاً «لبك عمرة» أو «لبك حجاً».

أولاً: الأخطاء الواقعة من قاصدي الحج والعمرمة:

١- أن يكون مرارده وقصده في أداء عبادة الحج والعمرمة ، أو غيرهما الذكر والمدح من الناس أو الرياء والسمعة. وهذا خطر عظيم يقدح في التوحيد وأصل الإيمان بالله، مع الهم العظيم بمراقبة الناس، قال ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يراء يراء الله به».

[البخاري ومسلم]

٢- اختيار رفقة أو صحبة غير صالحة ، لا تناسب وهذه العبادة الجليلة من أهل الفسق والفحش ، والتخلُّف عن الصلوات وأصحاب اللهو واللعب وكثرة المزاح ، فإن هؤلاء وأمثالهم من يصرفون عن العبادة ويشغلون الأوقات الفاضلة في الزمن الحرام ، والمكان الحرام بما يضر أو بما لا ينفع.

٣- بذل المال الحرام من الكسب الخبيث شرعاً لأداء النسك والله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً ، فيجب انتقاء أطيب مكاسب العبد لهذه العبادة، بل ولجميع شأنه الديني والتعبدية.

٤- تأخير الحج والعمرمة حتى يهرم الإنسان أو تركه الشيخوخة والعجز، والواجب المبادرة لقضاء فريضة الحج والعمرمة بمجرد الاستطاعة المالية والبدنية.

قال رسول الله ﷺ تعجلوا إلى الحج . يعني: الفريضة . فإن أحدهم لا يدرى ما يعرض له» [صحيح البخاري ٢٩٥٧]

٥- سفر المرأة وحدها أو مع نساء مثلاها بلا

A large-scale calligraphic mural in black and white featuring the Arabic phrase "الله اعلم" (Allah Knows Best) overlaid on a photograph of a mosque's minarets.



إعداد / معاوية محمد هيكل

دخول المسجد وتقديم الرجل اليمني وقول : بسم الله الرحمن الرحيم صل على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنبني وافتح لي أبواب رحمتك .

٢- كثير من الحجاج يتلزم أدعية خاصة لكل شوط من أشواط السعي أو الطواف يقرأها من كتبيات الأدعية المبتدعة وقد يكون مجموعات منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها ويرددها بصوت حماعي وهذا خطأ من ناحيتين:

الأولى: أنه التزم دعاء لم يرد التزامه في هذا
الموطن عن النبي ﷺ في الطواف أو السعي.

الثانية: أن الدعاء الجماعي بدعة وفيه تشويش على الطائفين، والمشروع أن يدعو كل شخص لنفسه وبدون رفع صوته.

٣- بعض الحاج يقبل الركن اليماني ، وهذا خطأ لأن الركن اليماني يستلم باليد فقط ولا يقبل وإنما يقبل الحجر الأسود ، فالحجر الأسود يستلم ويقبل إن أمكن أو يشار إليه عند الزحام ، والركن اليماني يستلم ولا يقبل ولا يشار إليه عند الزحام ، وبقية الأركان لا تستلم ولا تقبل.

٤- بعض الناس يزاحم لاستلام الحجر الأسود وتنقبيله ، وهذا غير مشروع لأن الزحام فيه مشقة شديدة وخطر على الإنسان وعلى غيره وفيه فتنية بمزاحمة الرجال للنساء ، والمشروع تقبيل الحجر واستلامه مع الإمكان ، وإذا لم يتمكن وأشار إليه بدون مزاحمة ومخاطرة وافتتان ، والعبادات مبناتها على اليسير والسهولة ، لا سيما وأن استلام الحجر وتنقبيله مستحب مع الإمكان ، ومع عدم الإمكان تكفي الإشارة إليه ، والمزاحمة قد يكون فيها ارتکاب محظيات ، فكيف تتكىء حمماً لتحصينا ، سنة .

٥- ومن البدع اعتقاد البعض أن الحجر الأسود نافع بذاته، ولذلك تجدهم إذا استلموه مسحوا بأيديهم على أجسامهم وهذا جهل وضلال فالنافع هو الله وحده، ولذلك وجدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استلم الحجر قال: إني لأعلم أنك

٤- تطهير ملابس الإحرام بالعطر والطيب
وهذا من محظورات الإحرام والواجب غسلها منه.

لمن فعل ذلك . لقول النبي ﷺ « لا تلبسو شيئاً من الثياب مسها الزعفران ولا الورث » [متفق عليه]

٥ - من الحالات ما يظنه كثيرون من الحجاج أن الإحرام هو لبس الإزار والرداء بعد خلع الملابس، والصواب أن هذا استعداد للإحرام؛ لأن الإحرام هو نية الدخول في النسك .

٦- بعض الرجال إذا أحromo كشفوا أكتافهم على هيئة الاختلطان وهذا غير مشروع إلا في حالة طواف القدوم أو طواف العمرة وما عدا ذلك يكون الكتف مسته، أي يلبداء في كل الحالات.

٧- بعض النساء يعتقدن أن الإحرام يتحذّل له لون خاص ، كالأخضر أو الأبيض مثلاً وهذا خطأ لأنّه لا يتعين لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام وإنما تحرم بثيابها العاديّة إلا ثياب الزينة أو الثياب الخبيثة أو الشفافة فلا يجوز لها لبسها لا في الإحرام ولا في غيره .

٨- بعض النساء إذا مرت بالميقات تريد الحج أو العمرة وأصابها الحيض قد لا تحرم ظناً منها أو من وليهما أن الإحرام تشترط له الطهارة من الحيض فتتجاوز الميقات بدون إحرام. فالحالات تحرم وتفعل ما يفعل الحاج غير الطواف بالبيت فإنها تؤخره إلى أن تطهر، كما وردت به السنة وإذا أخرت الإحرام وتجاوزت الميقات بدونه فإنها إن رجعت إلى الميقات وأحرمت منه فلا شيء عليها وإن لم ترجع فعلتها يهلك المأمور عليهما.

٩- يظن بعض الناس أن المحيط الذي منع منه
الحرم هو كل ما كان فيه خيوط وهذا فهم خاطئ بل
المراد بالمحيط ما كان مفصلاً على حجم العضو من
رأس، وذراع، وقدم، وغيره.

١٠ - ومن المخالفات ما يعتقد بعض الحاج من أن لباس الإحرام الذي ليسه عند المقيمات لا يجوز تغييره ولو اتسخ وهذا جهل منهم، بل يجوز أن يغفر لها أو يغسلها.

ثالثاً: بدء وأخطاء في السعي والطواف:

١- رفع بعض الحاجات يديه تحية للبيت وللكعبة
عند رؤيتها والمشروع الالتزام بالدعاء الوارد عند

- مناسككم». [رواہ مسلم]
- ٤- ومن المخالفات صيام بعض الحجاج يوم عرفة. تطوعاً.
 - ٥- كثير من الحجاج بعد العصر يشغل بالرحيل مع العلم أنه أفضل وقت للدعاء ، وهو وقت بناه الله بعباده .
 - خامساً: ومن الأخطاء التي تقع بمذللة :
 - ١- أن من الحجاج من إذا وصل إلى مذللة يبدأ بجمع الحصى والمشروع الذي عليه هديه - ﷺ البدء بالأذان ثم إقامة صلاة المغرب ثم العشاء وحصى الجمار لا يستشرط جمعها من المذللة وإنما من أي مكان في الطريق أو مني، ونذكر هنا من الأخطاء تأخير أداء صلاتي المغرب والعشاء إلى ما بعد منتصف الليل بغير عنذر. ويتحقق بهذا الخطأ مبادرة البعض بأداء هاتين الصالاتين في عرفة قبل الإفاضة إلى مذللة .
 - ٢- عدم التستر عند قضاء الحاجة من بعض الحجاج.
 - ٣- اعتقاد بعضهم أن الوقوف بمذللة وذكر الله لابد أن يكون في المشعر الحرام فقط ، وال الصحيح أن مذللة كلما موقف، كما قال ﷺ : «وقفت هاهنا وجمع (وهي مذللة) كلها موقف».
 - ٤- وأهم الأخطاء في هذا الموضع عدم وقوف بعضهن البتة بمذللة ، وهؤلاء تركوا شعيرة من شعائر الحج، ومنهم من يقف خارج المذللة ولا يتحرى حدودها وأعلامها ، والواجب أن يتقي العبد ربها ما استطاع .
 - ٥- ومن الأخطاء خروج بعض الناس من المذللة قبل منتصف الليل ومعلوم أن من لم يبيت بمذللة من غير عنذر فقد ترك واجباً من واجبات الحج يلزم به دم جبران مع التوبة والاستغفار.
 - سادساً: بعد وأخطاء عند رمي الجمرات :
 - ١- من الناس من يرمي في غير وقت الرمي ، بأن يرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق قبل زوال الشمس وهذا الرمي لا يجزئ لأنه في غير وقته المحدد له ، فهو كما لو صلى قبل دخول وقت الصلاة المحدد لها .
 - ٢- ومنهم من يخل بترتيب الجمرات الثلاث فيبدأ من الوسطى أو الأخيرة والواجب أن يبدأ بالصغرى ثم الوسطى ثم ينتهي بالكبرى وهي الأخيرة .
 - ٣- ومنهم من يرمي في غير محل الرمي وهو حوض الجمرة وذلك بأن يرمي الحصى من مكان بعيد فلا تقع في الحوض، أو يضرب بها الشاحن فتنطير ولا تقع في الحوض ، وهذا رمي لا يجزئ لأنه

- حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .
- ٦- نمسح بعض الحجاج وتبركهم بجدار الكعبة أو لباسها أو المقام أو أبواب الحرم وجدراته أو جدران المسعى أو جبل الصفا والمروءة، وهذه خرافات وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان تقدح في توحيد العبد وتخرجه عن مقصود حجه. قال تعالى: «فَلِيَعْبُدُوا رَبَّهُذَا الْبَيْتُ» [قریش: ٣]
 - ٧- بعض الحجاج بجهلهم يبدأون بالمرورة قبل الصفا وهذه مخالفة صريحة في عبادة السعي وإبطال له .
 - ٨- بعض الحجاج يكتفي بقص بعض شعره وهذا لا يكفي ولا يحصل به أداء النسك لأن المطلوب التقتصير من جميع الشعر لأن التقتصير يقوم مقام الحلق، والحلق لجميع الشعر، وكذا التقتصير يكون لجميع الرأس قال تعالى: «مُحَلَّقُونَ رُؤُسُكُمْ وَمُؤْصَرُونَ لَا تَخَافُونَ» .
 - ٩- من الأخطاء دخول بعض الطائفين داخل الحجر «الحطيم» مما يفسد عليه الطواف، ومن دخل الحجر في شوط وجب عليه إعادة ذلك الشوط .
 - رابعاً: الأخطاء الواقعة في الوقوف بعرفة :
 - ١- بعض الحجاج لا يتأكد من مكان الوقوف ولا ينظر إلى اللوحات الإرشادية المكتوب عليها بيان حدود عرفة فينزل خارج عرفة ، وهذا إن استمر في مكانه ولم يدخل عرفة أبداً وقت الوقوف لم يصح حجه، فيجب على الحجاج الاهتمام بهذا الأمر والتتأكد من حدود عرفة ليكون داخلها وقت الوقوف .
 - ٢- يعتقد بعض الحجاج أنه لابد في الوقوف بعرفة من رؤية الجبل أو الذهاب إليه والصعود عليه فيكفلون أنفسهم عنـاً ومشقة شديدة ، ويترضبون لأخطار عظيمة من أجل الحصول على ذلك وهذا كله غير مطلوب منهم وإنما المطلوب وقوفهم في عرفة في أي مكان منها لقوله ﷺ : «عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطん عرنة» سواء رأوا الجبل أو لم يروه ، ومنهم من يستقبل الجبل في الدعاء والمشروع استقبال الكعبة ، كما نتبه إلى أن جزءاً كبيراً من مسجد نمرة مما يلي القبلة ليس من عرفة.
 - ٣- بعض الحجاج ينصرفون ويخرجون من عرفة قبل غروب الشمس وهذا لا يجوز لهم ، لأن وقت الانصراف محدد بغرروب الشمس، فمن خرج من عرفة قبله ولم يرجع إليها فقد ترك واجباً من واجبات الحج ويلزمه به دم مع التوبة إلى الله لأن الرسول ﷺ مازال واقفاً بعرفة حتى غربت الشمس، وقد قال عليه الصلاة والسلام «خذنوا عنـي

- ٢- خروجهم من المسجد بعد طواف الوداع القهقري يزعمون بذلك تعظيم الكعبة، وهذه بدعة في الدين لا أصل لها . وكذلك التفات بعضهم إلى الكعبة عند باب المسجد الحرام بعد انتهاءهم من طواف الوداع ودعاؤهم بدعوات كالمودعين للكعبة ، وهذه أيضاً بدعة لم تشرع.
- ٣- ومن الأخطاء اعتقاد البعض حرمة طواف الإفاضة ليلاً، هذا قول باطل واعتقاد فاسد فالطواف مشروع ليلاً ونهاراً والنبي ﷺ قال: لا تمنعوا أحداً طاف بالبيت ليلاً أو نهاراً أن يصلّي».
- ٤- تعمد ترك طواف الوداع والفذية عنه بدم.
- ثامناً: البدع والأخطاء التي تقع عند زيارة **المدينة النبوية** :
- ١- التمسح بالجدران وقضاءن الحديـد عند زيارة قبر الرسول ﷺ وربط الخيوط ونحوها في الشبـابيك تبركاً والبركة في ما شرع الله ورسوله ﷺ لا في البدع.
 - ٢- الذهاب إلى المغارـات في جبل أحد ومثلها غار حراء وغـار ثور بمكة وربط الخرق عندها والدعاء بأدعـية لم يأذن بها الله وتحمـل المشقة في ذلك ، وكل هذه بـعد لا أصل لها في الشرع المطـهر.
 - ٣- ومن الأخطاء العظيمة التي يقع فيها بعض من يزورون المدينة أنـهم يذهبون لزيارة أمكنـة في المدينة أو مساجـد لا تـشرع زيارتها بل زيارتها بـعد مـحرمة ، كـزيارة مـسجد الغـمامـة وـمسجد القـبلـتين والـمساجـد السـبـعة وـغير ذلك من الأـمـكنـة التي يـتوـهم العـوـام والـجـهـال أنـ زـيـارتـها مـشـروعـة ، وـهـذا من أعـظم الأـخـطـاء ، لأنـه ليس هـنـاك ما تـشرع زـيـارتـهـا فيـ المـدـيـنـة منـ المسـاجـد غـير مـسـجـد الرـسـول ﷺ وـمسـجـد قـباء للـصلـاة فـيهـما ، أما بـقـية مـسـاجـد المـدـيـنـة فـهيـ كـغـيرـها منـ المسـاجـد فـيـ الـأـرـض لـأـمـرـة لـهـا عـلـىـ غـيرـها وـلـا تـشرع زـيـارتـها ، فـيـجـب عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ أـنـ يـتـبـهـوا لـذـكـرـهـمـ أـوـقـاتـهـمـ وـأـمـوالـهـمـ فـيـما يـبعـدـهـمـ عـنـ اللهـ لـأـنـ فـعـلـ شـيـئـاً مـنـ الـعـبـادـاتـ لـمـ يـشـرـعـهـ اللهـ وـلـا رـسـولـهـ فـهـوـ مـرـدـودـ عـلـيـهـ وـأـثـمـ فـيـهـ لـقـولـهـ ﷺ: «ـمـنـ عـلـمـ عـمـلاً لـيـسـ عـلـيـهـ أـمـرـاً فـهـوـ رـدـ» . [رواـهـ سـلـمـ]
 - ٤- دعـاء الأمـوـاتـ عـنـ زـيـارتـهـ مـقـابرـ الـبـقـيعـ وـمـقـابرـ شـهـداءـ أـحـدـ وـرمـيـ النقـودـ عـنـهـا تـقـربـاً إـلـيـهـاـ وـتـبـرـكـاً باـهـلـهـاـ وـهـذـهـ مـنـ الـأـخـطـاءـ الـجـسيـمةـ بـلـ مـنـ الشـرـكـ الـأـكـبـرـ كـمـاـ دـلـ عـلـيـهـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـولـهـ ﷺ لـأـنـ العـبـادـةـ لـلـهـ وـحـدـهـ ، لـيـجـوزـ صـرفـ شـيـئـاً مـنـهـ لـغـيرـهـ كـالـدـعـاءـ وـالـذـبـحـ وـالـنـذرـ وـنـحوـ ذـكـرـ لـقـولـهـ تـعـالـىـ : «ـوـمـا أـمـرـوا إـلـيـعـبـنـوـ اللـهـ مـخـلـصـيـنـ لـهـ الدـيـنـ» .
 - وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ
- لم يقع في الحوض والسبب في ذلك الجهل أو العجلة أو عدم المبالاة.
- ٤- ومنهم من يقدم رمي الأيام الأخيرة مع رمي اليوم الأول من أيام التشريق ثم يسافر قبل تمام الحج، وبعضاً من إذا رمى لليوم الأول يوكل من يرمي عنه البقية ويسافر إلى وطنه ، وهذا تلاعب ب أعمال الحج وغزوـرـ منـ الشـيـطـانـ ، فـهـذـاـ إـلـيـنـسانـ تـحملـ الشـيـاقـ وـبـذـلـ الـأـمـوـالـ لـأـدـاءـ الـحـجـ ، فـلـمـ بـقـيـ عـلـيـهـ الـقـلـيلـ مـنـ أـعـمـالـهـ تـلـاعـبـ بـهـ الشـيـطـانـ فـأـخـلـ بـهـ وـتـرـكـ الـقـلـيلـ مـنـ وـاجـبـاتـ الـحـجـ ، وـهـيـ رـمـيـ الـحـمـرـاتـ الـبـاقـيـةـ وـتـرـكـ الـمـبـيـتـ بـعـدـ لـيـاليـ أـيـامـ التـشـرـيقـ وـطـوـافـهـ لـلـوـدـاعـ فـيـ غـيرـ وـقـتـهـ لـأـنـ وـقـتـهـ بـعـدـ نـهـاـيـةـ أـعـمـالـ الـحـجـ .
- ٥- اعتقاد أن الرمي في الجمار الثلاث هو «ـالـشـيـطـانـ» وـتـسـمـيـةـ بـعـضـ الـحـجـاجـ لـهـ شـيـطـانـاً كـبـيرـاً وـشـيـطـانـاً صـغـيرـاًـ وـلـذـكـرـ نـزـيـلـ وـنـسـمـعـ مـنـ حـمـاـقـاتـ الـرـمـيـةـ الشـيـءـ المـزـرـيـ وـالـمـؤـسـفـ فـنـراـهـ يـرـمـيـونـ بـالـحـجـارـةـ الـكـبـيرـةـ وـبـالـأـحـذـيـةـ وـالـأـخـشـابـ مـصـحـوبـاًـ ذـكـرـ بـالـسـبـبـ وـالـشـتـمـ وـالـبـذـاءـ . وـمـنـ الـخـطاـ ماـ يـعـتـقـدـ الـبـعـضـ مـنـ غـسلـ الـحـصـىـ قـبـلـ الرـمـيـ .
- ٦- ومن الأخطاء أيضاً رمي الحصى دفعـةـ واحدةـ وهذاـ لاـ يـحـسـبـ إـلـاـ حـصـاةـ وـاحـدـةـ كـمـاـ قـالـ أـهـلـ الـعـلـمـ .
- ٧- من الحجاج من يفهم خطأه في معنى التعجل الذي قال الله تعالى فيه: «ـفـمـنـ تـعـجـلـ فـيـ يـوـمـيـنـ فـلـأـثـمـ عـلـيـهـ وـمـنـ تـأـخـرـ فـلـأـثـمـ عـلـيـهـ مـنـ اـتـقـىـ» .. الآية [٢٠٣] . فيـظـنـ أـنـ المـرـادـ بـالـيـوـمـيـنـ يـوـمـ الـعـيـدـ وـيـوـمـ بـعـدـهـ ، وـهـوـ الـيـوـمـ الـحـادـيـ عـشـرـ فـيـنـصـرـفـ فـيـ الـيـوـمـ الـحـادـيـ عـشـرـ وـيـقـولـ أـنـاـ مـتـعـجـلـ ، وـهـذـاـ خـطاـ فـاحـشـ سـبـبـهـ الـجـهـلـ ، لـأـنـ المـرـادـ يـوـمـ بـعـدـ يـوـمـ الـعـيـدـ . هـمـاـ يـفـنـرـ بـعـدـ أـنـ يـرـمـيـ الـجـمـارـ بـعـدـ زـوـالـ الشـمـسـ فـيـهـماـ فـيـنـفـرـ بـعـدـ أـنـ يـرـمـيـ الـجـمـارـ بـعـدـ زـوـالـ الشـمـسـ مـنـ الـيـوـمـ الثـانـيـ عـشـرـ فـلـأـثـمـ عـلـيـهـ ، وـمـنـ تـأـخـرـ إـلـيـ الـيـوـمـ الثـالـثـ عـشـرـ فـرـمـيـ الـجـمـارـ بـعـدـ زـوـالـ الشـمـسـ فـيـهـ ثـمـ نـفـرـ فـهـذـاـ أـفـضـلـ وـأـكـمـلـ .
- سابعاً: الأخطاء الواقعـةـ فيـ طـوـافـ الـإـفـاضـةـ وـالـوـدـاعـ**
- ١- نـزـولـ الـبـعـضـ مـنـ مـنـيـ يـوـمـ النـفـرـ قـبـلـ رـمـيـ الـجـمـراتـ فـيـطـوـفـ لـلـوـدـاعـ ثـمـ يـرـجـعـ إـلـيـ مـنـيـ فـيـ رـمـيـ الـجـمـراتـ ثـمـ يـسـافـرـ مـنـ هـنـاكـ إـلـيـ بـلـدـتـهـ فـيـكـونـ أـخـرـ عـهـدـ بـالـحـجـ رـمـيـ الـجـمـارـ لـأـ طـوـافـ بـالـبـيـتـ وـقـدـ قـالـ النـبـيـ ﷺ «ـلـأـ يـنـفـرـ أـحـدـ حـتـىـ يـكـونـ أـخـرـ عـهـدـ الـطـوـافـ بـالـبـيـتـ» [صـحـيـحـ الـجـامـعـ ٧٨٠٥] . فـطـوـافـ الـوـدـاعـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ بـعـدـ الـفـرـاغـ مـنـ أـعـمـالـ الـحـجـ وـقـبـيلـ الـسـفـرـ مـبـاشـرـةـ وـلـاـ يـمـكـثـ بـمـكـةـ بـعـدـ إـلـاـ لـعـارـضـ يـسـيرـ .

هذا هو الإسلام في الأصل

وذكر المفسرون أن المراد بالنهر هنا الأضحية والصلاوة هنا هي صلاة العدد.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكْنِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِكْرِ أَمْرُتُ وَأَنَا أُولُو الْسُّلْطَنِ﴾ [الأنعام: ١٦٣-١٦٤].

وأما السنة ف الحديث أنس رضي الله عنه قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكشين أملحين أقرئين ذبحهما بيده، وسمى وكبر ووضع رجله على صفاتهما». [البخاري ٢٣٧/٦] وقد أجمع المسلمون على مشروعيتها في الجملة لفعل الذي ودعا مولته عليها.

• الحكمة من الجمع بين الصلاة والنحر:

وفي الجمع بين الصلاة والنحر حكمة عظيمة، وبين عظيم منزلة الذبح والنحر في الإسلام وأنها قربة لا يجوز صرفها إلا لله.

يقول شيخ الإسلام رحمة الله: «أمره الله - يعني أمر النبي ﷺ - أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالثان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوه اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عونه وفضله، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحررون له خوفاً من الفقر ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿فَلَمْ يَنْصُتْ صَلَاتِي وَسُكْنِي﴾ [الانعام: ١٦٢]. إلى أن قال - رحمه الله -: وأجل العبادات البدنية الصلاة، وأجل العبادات المالية النحر، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية، وقد امتنع النبي ﷺ أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين

الحكمة من الأضحة:

١- التقرب إلى الله تعالى فالأضحية من أعظم ما يتقرب به العبد إلى مولاه، قال تعالى: ﴿فُلِّ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الانعام: ١٦٢]. والنسك هو الذبح تقرباً إلى الله تعالى.

٢- الأضحية إحياء لسنة إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام إذ أوحى الله إليه أن يذبح ولده إسماعيل ثم فداء بكبش ذبيحة بدلا عنه كما قال تعالى: ﴿وَقَدْنَا بِهِ بِذِبْحٍ﴾

٣ - شكر لله تعالى على ما سخر لنا من بهيمة الأنعام.

اتبعوا
ولا تبتعدوا

الحصة الثامنة عشرة

الحمد لله والصلوة والسلام
على رسول الله وعلى آله وصحبه
ومن والاه، أما بعد:

فالاضحية عبادة من اجل
العبادات المالية التي يتقرب بها
العبد إلى مولاه، وفي هذا المقال
نعرض بمشيئة الله لجملة من
الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه
الشعيرة المعاكمة.

تعريف الأضحية:

اسم لما يذبح من الإبل والبقر
والغنم يوم النحر، وأيام التشريق
تقرئنا إلى الله تعالى.

والأضحية شعيرة من شعائر
الله ودليل مشروعيتها الكتاب
والسنة والإجماع فاما الكتاب
فقوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾

أعداد

معاوية محمد هيكل

قال تعالى: «وَأَطْعُمُوا الْقَابِعَ وَالْمُعْتَرَ كَذَلِكَ سَخْرَنَاهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنْالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنْالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخْرَهَا لَكُمْ لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَكُمْ وَبَشَّرَ الْمُحْسِنِينَ» [الحج: ٣٦].

٤- التوسيعة على الناس يوم العيد وإشاعة الرحمة بين الفقراء والمساكين. [انظر منهاج المسلم ٤٣]

٥- حكم الأضحية:

اختلف أهل العلم في حكمها مع إجماعهم على مشروعيتها على قولين:
الأول: أنها واجبة وإليك الأدلة التي استدل بها الموجبون.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من كان له سعة ولم يضح فلا يقرب مصلاناً». [صحيف الجامع ١٤٩٠]

ووجه الاستدلال به: أنه لما نهى من كان ذا سعة عن قربان المصلى إذا لم يضح، دل على أنه قد ترك واجباً، فكانه لا فائدة من التقرب إلى الله مع ترك هذا الواجب.

٢- عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ يوم النحر، قال: «من كان ذبح قبل أن يصلى فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح فليذبح باسم الله». [متفق عليه]، والأمر ظاهر في الوجوب ولم يأت ما يصرفه عن ظاهره.

٣- قوله ﷺ وهو واقف بعرفة: «يا أيها الناس على أهل كل بيت في كل عام أضحية وعتيره هل تدرؤن ما العتيرة؟ هي التي تسمونها الرجبية»

[صحيف الترمذى ١٢٢٥]

قال أبو عبيد في [غريب الحديث] ١٩٥/١٠: العتيرة هي ذبيحة في رجب يتقرب بها أهل الجahلية ثم جاء الإسلام على ذلك حتى نسخ بعد ذلك.

قال ابن الأثير: والعتيرة منسوخة، وإنما كان ذلك في صدر الإسلام. [جامع الأصول ٣١٧/٣]

٦- الثاني: أنها مستحبة:

وأما الذين قالوا باستحباب الأضحية فاستندوا إلى قول النبي ﷺ : «إذا دخل العشر، فأراد أحدكم أن يضحى فلا يمس من شعره ولا من بشارة شيئاً». [رواه مسلم ١٩٧٧]

فقالوا فيه دليل على أن الأضحية غير واجبة لأنه ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن يضحى...» ولو كانت واجبة لم يفوض إلى إرادتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ردًا على هذه الشبهة: إن الظاهر وجوبها ومن قدر عليها ولم يفعل فهو أثم لأن الله تعالى ذكرها مقرونة بالصلاوة في قوله تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرِزْ» قوله: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي...». وأبدى فيها وأعاد ذكر أحكامها وفوائدها ومنافعها في سورة الحج، وشيء هذا شأنه ينبغي أن يكون واجباً وأن يلزم به كل من قدر عليه.

ثم قال رحمه الله: ونفاة الوجوب ليس معهم نص، فإن عمدتهم قوله ﷺ : «من أراد أن يضحى...» قالوا: والواجب لا يعلق بالإرادة وهذا كلام مجمل فإن الواجب لا يوصل إلى إرادة العبد فيقال: إن شئت فافعله، بل قد يعلق الواجب بالشرط لبيان حكم من الأحكام، كقوله: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» [المائدah: ٦٦]، وقد قدروا فيه: إذا أردتم القيام، وقدروا: إذا أردت القراءة فاستعد، والطهارة واجبة، والقراءة في الصلاة واجبة، وقد قال تعالى: «إِنَّهُوَ إِلَّا ذِكْرُ للْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» [التوكير: ٢٧].

٢٨، ومشيئة الاستقامة واجبة.
وأيضاً فليس كل أحد يجب عليه أن يضحى وإنما يجب على القادر فهو الذي يريد أن يضحى، كما قال: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد تضل الضالة وتعرض الحاجة». والحج فرض على المستطيع، فقوله: «من أراد أن يضحى...» كقوله: «من أراد الحج...». ووجوبها حينئذ مشروط بـ«من أراد الحج...».

يقدر عليها فاضلاً عن حواجه الأصلية.
[مجموع الفتاوى ١٦٤-١٦٢/٢٣]

٧- الأفضل في الأضحية:

اتفق العلماء رحمهم الله بأن الضحايا لا تجوز بغير بهيمة الأنعام وهي الغنم والبقر والإيل، لقوله تعالى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» [الحج: ٢٨].

ولأنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه أنهم ضحوا بغير بهيمة الأنعام واحتلقو بعد ذلك في الأفضل منها، فذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأفضل: الإيل ثم البقر ثم الكباش واحتلوا على هذه الأفضلية بالحديث المتفق عليه الذي قال فيه رسول ﷺ : «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنـة، ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بـقـرة، ومن راح في

موجوعين، والوجاء: هو الخشاء. وفيه جواز الخصي في الأضحية، والخشاء يفيد اللحم طيباً، وينفي عنه الزهومة وسوء الرائحة. [فتح الباري ١٢/١٠]

وقت ذبح الأضحية:

وقتها صباح يوم العيد بعد الصلاة أي بعد صلاة العيد فلا تجزئ قبله أبداً لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فنحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنه هو لحم قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء». [أخرجه البخاري ٥٥٤٥]، وقال ﷺ: «من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين».

[رواه البخاري ٥٥٦٤]

ومن الأمور المتفق عليها أيضاً أنه لا يجوز تأخير الأضحية حتى فوات وقتها وهو يوم العيد وأيام التشريق وعلى ذلك فأيام الذبح أربعة يوم العيد وثلاثة أيام بعده، وهذا القول هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والدليل على ذلك.

قول النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل» [صحيح مسلم ١١٤١] فجعل حكمها واحداً أنها أيام أكل لما يذبح فيها وشرب وذكر الله عز وجل. [انظر زاد المستقنع/ ابن عثيمين]

ما يستحب عند ذبح الأضحية:

ويستحب التكبير والتسمية عند الذبح، لما ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «ضحي رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، ذبهمما بيده، وسمّي وكبّر، ووضع رجله على صفاحهما».

[رواه البخاري ٥٥٥٨] و[مسلم ١٩٦٦]

ويستحب كذلك قول المضحي حال الذبح مع التسمية والتكبير «اللهم تقبل مني لقول النبي ﷺ ذلك كما في صحيح مسلم لما أخذ الكبش وأذبعه، ثم ذبّحه، «باسم الله، اللهم تقبل من محمد وأل محمد، ومن أمّة محمد» ثم ضحى به.

حكمة التسمية على الذبيحة:

قال الشيخ ابن باز رحمة الله: وفي ذكر اسم الله على الذبيحة حكم عظيمة، من ذلك ما قاله ابن القيم رحمة الله: ولا ريب أن ذكر اسم الله على الذبيحة يطيبها، ويطرد الشيطان عن الذابح والمذبوح، فإذا أدخل به لباس الشيطان الذابح والمذبوح فأثر خبثاً في الحيوان، انتهى المنصوص

الساعة الثالثة فكانما قرب كيشاً أقرب، ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

وقالوا: إن الضحايا قربة بحيوان فوجب أن يذهب إلى الأفضل منه، وهي الإبل فهي أكثر لحاماً وثمناً وأنفع للقراء، من الكباش، والكباش إنما تأتي أفضليتها إذا قيست بسائر أجناس الغنم وليس بأجناس الإبل والبقر. [المغني ٣٣٦/١٣]

ما لا يجزئ من الأضحى:

اتفق أهل العلم أنه لا يجزئ في الأضحى العوراء البين عورها ولا المريضة البين مرضها ولا العرجاء البين ضلعها ولا العجفاء التي لا تنقي أي التي لا مخ فيها، لقول النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب قال: «أربع لا تجوز - وفي رواية لا تجزئ - في الأضحى العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء الدين عرجها، والكسيرة التي لا تنقي». [صحيح رواه الخمسة]

وقد جاء النهي عن التضحية كذلك بأعضاً القرن والأذن (أي مكسورة القرن ومقطوعة الأذن) والغضب: قطع النصف فأكثر وكذلك جاء النهي عن التضحية بالمقابلة والمدايرة والشرقاء والخرقاء. المقابلة: التي قطع مقدم أذنها، والمدايرة: هي التي قطع مؤخر أذنها، والشرقاء: هي التي شقت أذنها، والخرقاء: هي التي حرقت أذنها. فعلى المسلم اجتناب هذا كله وأن يتقارب إلى الله تعالى بالطيب فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

سن الأضحية:

اجتمع العلماء رحمة الله أنه لا يجزئ إلا الثنائي من الإبل والبقر والمعز ولم ينقل عن أحدٍ من السلف أنه خالف في ذلك، أما الجذع من الضأن فقال الجمهور بإجازته وقد استدلوا بقول الرسول ﷺ: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فذبحوا جذعة من الضأن». [أخرجه مسلم ١١٥٥/١]

والجذع من الضأن ما تم له ستة أشهر، ودخل في السادس، والثاني من الضأن والمعز ما تم له ستة ودخل في السنة الثانية، والثاني من البقر ما تم له سنتان ودخل في السنة الثالثة، والثاني من الإبل ما تم له خمس سنوات ودخل في السنة السادسة.

[ذات المستقنع ٤٦٠/٧]

ولا بأس بالأضحية الخسي، فقد صح عن النبي ﷺ أنه ذبح كبشين أقرنين أملحين

● مسائل وتنبيهات تتعلق بالأضحية:

١ - تجزئ الشاة عن الواحد وعن أهل بيته لأن النبي ﷺ كان يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته.

كما تجزئ البقرة والبدنة عن سبعة لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نحرنا في عام الحببية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة». [أخرجه مسلم (١٣١٨)]

٢ - لا يعطي الجازر أجرة عمله من الأضحية لما ثبت عن على رضي الله عنه أنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدنِه وان أتصدق بلحومها وجلوتها وحالها (ما تلبسه الدابة لتصان به)، وأن لا أعطي الجازر منها شيئاً، قال: ونحن نعطيه من عندنا». [رواه بهذا اللفظ مسلم (٣١٧)]

ويجوز أن يعطى منها صدقة إن كان فقيراً وإن كان غنياً يعطى هدية.

٣ - يستحب استسمان الأضحى واستحسانها، واستعظامها لأن ذلك من تعظيم شعائر الله، والله تعالى يقول: «ذلِكَ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢] عن أبي أمامة بن سهل رضي الله عنه قال: كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمون، ثم لأن استسمان الأضحية أعظم للأجر وأنفع للناس. [فتح الباري (١٢/١٠)]

٤ - ينبغي لكل مسلم أن يذبح أضحيته في بلد ويتولاها بنفسه لأنها شعيرة ظاهرة يجب علينا المحافظة عليها وأن نعلمها أبناءنا، فيرونها وهي تذبح ثم ينظرون توزيعها واهداءها والأكل منها، وبهذا تبقى هذه الشعيرة بين المسلمين، إذ ليس المقصود الأول من الأضحية الصدقة على الفقراء والمساكين وإنما تحقيق التقوى بإراقة الدم تقرباً إلى الله، قال تعالى: «لَنْ يَنْتَلِ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا يَنْتَأْهَا وَلَكِنْ يَنْتَلِ اللَّهُ تَقْوَى مِنْكُمْ» [الحج: ٣٧] فلا يشرع إخراجها من بلد المضحي، بحجة أن هناك من هو أحوج لها، فنفع المماواح له أبواب أخرى قاله الشيخ ابن باز رحمه الله.

٥ - من عجز عن الأضحية من المسلمين، ناله أجر المحسنين من أمة النبي ﷺ، وذلك لأن النبي ﷺ قال عند ذبحه لأحد الكبشين «للهم هذا عني، وعمن لم يوضح من أمتني». [روايه الغليل (٣٥٤٢٤٩/٤)] فاحرصوا أيها المسلمون على إظهار هذه الشعيرة المباركة وضحوا قبل الله ضحاياكم والحمد لله رب العالمين

من كلامه رحمة الله، وصفة التسمية أن يقول الذاجب: «بِسْمِ اللَّهِ وَإِنْ زَادَ «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» فَهُوَ أَفْضَلُ لَفْلُ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يَجْزِي غَيْرُ التَّسْمِيَةِ، وَلَا يَقُولُ غَيْرُهَا مِنَ الْأَذْكَارِ مَقَامَهَا. انتهى.

● ما يحتجبه من عزم على الأضحية:

ويجب على من أراد أن يضحي أن يتتجنب الأخذ من شعره وأظفاره وبشرته منذ دخول العشر - عشر ذي الحجة - إن كانت نيتها للأضحية منذ بداية العشر، وإلا فيجب عليه الإمساك متى نوى أثناء العشر، لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحِي فَلِمَسْكِ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ» [آخرجه الجماعة إلا البخاري] والحكمة في ذلك كما يقول الشيخ ابن عثيمين في زاد المستقنع أن الله سبحانه وتعالى برحمته لما حصن الحاج بالهدي، وجعل لنسك الحج محترمات ومحظورات، وهذه المحظورات إذا تركها الإنسان لله أثيب عليها، والذين لم يحرموا بحج ولا عمرة شرع لهم أن يضحيوا في مقابل الهدي، وشرع لهم أن يتتجنبوا الأخذ من الشعور والأظفار والبشرة كالمحرم، يعني لا يترفه فهو لاء أيضاً مثله، وهذا من عدل الله وحكمته كما أن المؤذن يثاب على الآذان، وغير المؤذن على المتابعة، فشرع له أن يتتابع.

● كيف توزع الأضحية؟

قال تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُغَاثَرَ» [الحج: ٣٦]، وقال تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» [الحج: ٢٨]، والأمر هنا للإباحة أو الاستحباب كما بين أهل العلم لذلك يستحب لأهل البيت الذين ضحوا أن يأكلوا، وأن يهدوا منها وأن يتصدقوا، كما يجوز لهم أن يدخلوا، لقوله ﷺ: «كُلُوا وادْخُرُوا وتصدقوا». [رواه البخاري (٥٥٦٩) ومسلم (١٩٧١)]

وما ورد في النهي عن الإدخار فمسوخ.

[انظر فتح الباري (٢٦، ٢٥/١٠)]

وعلى ذلك فالامر في توزيع لحوم الأضحى واسع فلو تصدق بها كاملة دون الأكل منها أو الإهداء جاز، أو أكل وادخر وتصدق فلا حرج عليه. ولا دليل على تقسيمها ثلاثة أثلاث متساوية عن النبي ﷺ.

دُرُسٌ تَرْبُوِيَّةٌ مِنْ

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

ففي تاريخ الأفراد والأمم والجماعات أحداث لها أثراً ودورها البالغ في

تغيير دفة الحياة وتاريخ أمتنا - التي نعتز بها ونفتخر - يزخر بالأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ، ولعل من أبرزها وأعظمها أثراً على الإطلاق في حياة الأمة حادث الهجرة المباركة فالهجرة لم تكن حدثاً عادياً ولا عابراً كغيره من أحداث التاريخ، بل كانت بمثابة محور الارتكاز ونقطة الانطلاق والتحول، والحد الفاصل في مصير هذا الدين العظيم ومساره، وإيذاناً بميلاً فجر جديد لدولة التوحيد، أشراق على الكون نوره بعد مخاض ليل طال على الأتباع معاناته وألامه.

[إبراهيم: ١٣]، وقال تعالى عن قوم لوط: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مَّنْ قَرِيتُكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» [النمل: ٥٦]، وقال تعالى عن نبينا ﷺ: «وَإِذْ يَعْكُرُ بَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنَثِّيُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُخْرِجُوكُمْ وَيُمَكِّرُونَ وَيُمَكِّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» [الأنفال: ٣٠]. ولذلك قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «ليتنى فيها جذع ليتنى أكون حيأً إذ يخرجك قومك». فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مخرجي هم؟» قال: نعم؛ لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي». [الحديث رواه البخاري (٣١٣٠/١)]

ثانياً: في الهجرة تأمين للدعوة وحماية للدين؛ فالنبي ﷺ لم يخرج من بين قومه إلا بعد أن تمألاً المشركون على قتله، منعاً له من الدعوة إلى الحق، كما أوصلوا إليه ما لا يحتمله غيره من الآذى، وفي هذا عبرة لمن دعا إلى دينه أن يصبر على آذى المدعويين، حتى يخشى على نفسه ال�لاك فيفر بدينه إلى حيث يرجو أن تشعر دعوته.

فحيثما كان العبد في مكان لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعاً وفسحة من الأرض يمكن فيها من عبادة الله.

ونظراً لهذه المكانة السامية التي تبوأتها الهجرة النبوية واحتلتتها كأعظم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد اعتبره المسلمون الأوائل معلمًا بارزاً من أهم معالم حضارتهم، فأرخوا به لأحداثهم ووقائعهم، ولم يورخوا بتاريخ غيرهم، حفاظاً على هويتهم واستقلالهم وتميزهم.

وحدث هذا شأنه حري بنا وجدير أن نقف على معانيه، نستلهم منه الدروس والعظات والعبر.

أولاً: الهجرة سنة ماضية:

في هذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء، فما من نبي منهم إلا ثبت به بلاد نشأته وأخرجه أهلها فهاجر عنها من لدن إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وخليل الله، إلى عيسى كلمة الله وروحه، كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم - أهينوا من عشائرهم، فصبروا ليكونوا مثالاً لمن يأتي بعدهم من متبتعهم في الثبات والصبر على المكاره ما دام ذلك في ذات الله.

قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرَسُولِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَغُوَّطُنَّ فِي مِلَّنَا»

الهجرة النبوية

إعداد

نهاية تحمل دليل

يقول

ه تعالى: ﴿يَا عَبْدِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّاهُ
فَاغْبُدُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

**رابعاً: معية الله وحفظه وتاييده لأنبيائه
وأوليائه:**

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْرِنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرُوهَا
وَجَعَلَ كَلْمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلْمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٤٠]. فالله عز
وجل أرحم بنبئه وصحابه من أن يجعلهم نهايـاً
لعدوـهـماـ،ـ كما تؤكـدـ الآيـةـ كذلكـ حـمـاـيـةـ اللهـ لـنبـيـهـ
ونـصـرهـ وـتـايـيـدـهـ حـيـنـ تـخلـتـ عـنـ قـوـةـ الـأـرـضـ،ـ
وـالـجـنـوـدـ الـتـيـ يـخـذـلـ بـهـ الـبـاطـلـ وـيـنـصـرـ بـهـ
الـحـقـ لـيـسـ مـقـصـورـةـ عـلـىـ نـوـعـ مـعـيـنـ مـنـ
الـسـلـاحـ وـلـاـ صـوـرـةـ خـاصـةـ مـنـ الـخـوارـقـ،ـ إـنـاـ عـمـ
مـنـ أـنـ تـكـوـنـ مـادـيـةـ أـوـ مـعـنـوـيـةـ،ـ وـإـنـ كـانـ مـادـيـةـ
فـإـنـ خـطـرـهـاـ لـاـ يـتـمـثـلـ فـيـ خـاتـمـتـهـاـ،ـ فـقـدـ تـفـتـكـ
جـرـثـومـةـ لـاـ تـرـاهـاـ العـيـنـ بـجـيـشـ عـظـيمـ،ـ وـمـاـ
يـغـلـبـ جـنـودـ رـيـكـ إـلـاـ هـوـ﴾ [المدثر: ٣١].

فتعميمية أبصار المشركين عن رؤية النبي ﷺ
وصاحبه في غار ثور وهم عنده، مثل تخشع
له القلوب من أمثلة عنانية الله بآياته ورسله
وعذاته وأحبائه، فما كان الله ليوقع رسوله ﷺ
في قبضة المشركين، فيقضوا عليه وعلى دعوته،
وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وليس في
نجاة الرسول ﷺ وصاحبه بعد أن أحاط بهما
المشركون في غار ثور إلا تصديق قوله تعالى:
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الَّذِيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقوله
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعَفُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

هجرة الموحدين المضطهدـينـ..ـ جـهـادـ لـفـرارـ:
هـجـرـةـ الـموـهـدـيـنـ المـضـطـهـدـيـنـ بـدـيـنـهـمـ فـيـ كـلـ
زـمـانـ وـمـكـانـ لـيـسـ هـرـوـبـاـ وـلـاـ نـكـوـصـاـ وـلـاـ هـزـيمـةـ،ـ
إـنـمـاـ هوـ تـرـبـصـ بـأـمـرـ اللـهـ،ـ حـتـىـ يـأـتـيـ أـمـرـ اللـهــ.
فـقـدـ خـرـجـ أـصـحـابـ الـكـهـفـ مـنـ الدـنـيـاـ عـلـىـ
رـحـابـتـهـ إـلـىـ كـهـفـ ضـيقـ فـرـارـاـ بـدـيـنـهـمـ،ـ وـاعـتـزـاـلـ
لـلـشـرـ وـأـهـلـهـ،ـ وـخـرـوـجـاـ مـنـ الـوـاقـعـ السـيـئـ،ـ وـطـلـبـاـ
لـلـسـلـامـ،ـ فـكـانـ هـجـرـتـهـمـ مـحـمـودـةـ وـمـشـرـوـعـةـ،ـ
وـكـذـلـكـ فـعـلـ الصـحـابـةـ رـضـوانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ
هـاجـرـوـاـ مـنـ مـكـةـ إـلـىـ الـحـبـشـةـ مـرـتـيـنـ،ـ ثـمـ هـاجـرـوـاـ
إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ تـارـكـيـنـ أـوـطـانـهـمـ وـأـرـضـهـمـ وـدـيـارـهـمـ
وـأـهـلـيـهـمـ،ـ رـجـاءـ السـلـامـ بـالـدـيـنـ وـالـنـجـاـةـ مـنـ
فـتـنـةـ الـكـافـرـيـنـ.

دروس للدعاة

لـذـكـرـ فـإـنـ الـهـجـرـةـ تـعـلـمـنـاـ دـرـسـاـ هـامـاـ،ـ وـهـوـ
كـيـفـ أـنـ عـلـىـ الدـعـاـةـ إـلـىـ اللـهـ أـنـ يـبـحـثـوـ دـائـمـاـ
عـنـ أـمـاـكـنـ خـصـبـةـ لـدـعـوـةـ.

ثالثاً: العقيدة هي الدافع والأساس:

أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة
يتنازل لها عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس،
وعن كل ما جبلت الطياع السليمة على حبه
وإيثاره والتمسك به والتزامه، ولا يتنازل عنـهاـ
لـشـيءـ.

وقد كانت مكةـ فـضـلاـ عـنـ كـوـنـهـاـ مـوـلـداـ
وـمـنـشـاـ لـرـسـوـلـ ﷺـ وـأـصـحـابـهــ مـهـوـيـ الـأـقـيـدـةـ
وـالـقـلـوبـ فـيـهـاـ الـكـعـبـةـ الـبـيـتـ الـحرـامـ الـذـيـ جـرـىـ
حـبـهـ مـنـهـ مـجـرـىـ الـرـوـحـ وـالـدـمـ،ـ وـلـكـ شـيـئـاـ مـنـ
ذـلـكـ لـمـ يـمـنـعـهـ وـأـصـحـابـهـ مـنـ مـغـارـدـةـ الـوطـنـ
وـمـفـارـقـةـ الـأـهـلـ وـالـسـكـنـ حـيـنـ ضـاقـتـ الـأـرـضـ عـلـىـ
هـذـهـ الـدـعـوـةـ وـالـعـقـيـدـةـ وـتـنـكـرـ لـهـاـ أـهـلـهـ،ـ وـقـدـ
تـجـلتـ هـذـهـ الـعـاطـفـةـ الـمـزـدـوـجـةـ عـاـفـةـ الـحـنـينـ
الـإـنـسـانـيـ وـعـاطـفـةـ الـحـبـ الـإـيمـانـيـ فـيـ كـلـمـتـهـ الـتـيـ
قـالـهـاـ مـخـاطـبـاـ مـكـةـ:ـ «ـوـالـلـهـ إـنـكـ لـخـيرـ أـرـضـ اللـهـ،ـ
وـأـحـبـ أـرـضـ اللـهـ إـلـىـ اللـهـ وـلـوـلـاـ أـنـيـ أـخـرـجـتـ
مـنـكـ مـاـ خـرـجـتـ»ـ.ـ [ـصـحـيـحـ التـرـمـذـيـ:ـ ٣٠٨٢ـ].ـ وـذـلـكـ عـمـلـاـ

ففي سلامه القائد سلامه للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله على رضي الله عنه ليلة الهجرة في بياته على فراش رسول الله تضحيه بحياته في سبيل الإبقاء على حياة رسول الله ؓ؛ إذ كان من المحتمل أن تهوي سيف فتیان قريش على رأس علي رضي الله عنه انتقاماً منه، لأنه سهل للرسول ﷺ النجاة، ولكن علياً لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺنبي الأمة وقائد الدعوة.

وكذلك موقف أبي بكر رضي الله عنه، فقد تجلى من معاملته لرسول الله ﷺ الحب الصادق والتضحيه بالنفس، وتجلى هذا في دخول الغار وعند الخروج منه وفي الطريق حينما كان يمشي تارة خلفه، وتارة أمامه، وتارة عن يمينه.

وهذه أمثلة في التضحيه والفداء ينذر أن نرى لها في الدنيا نظيرًا، ولكنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب.

سابعاً: مظاهر محبة النبي ﷺ واستقبال أهل المدينة له:

تكشف لنا الصورة التي استقبلت بها المدينة رسول الله ﷺ عن مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفتدة الانصار من أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً.

قال ابن القيم رحمة الله واصفاً هذه المشاعر النبيلة: وبلغ الانصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وقصده المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرفة يتنتظرون أول النهار، فإذا اشتد حر الشمس، رجعوا على عادتهم إلى منازلهم، فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشرة سنة من النبوة، خرجوا على عادتهم، فلما حمي حر الشمس رجعوا، وصعد رجلٌ من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، مُبِّين، يزول بهم السراب، فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قبيلة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرونوه، فبارى الانصار إلى السلاح ليتلقوه رسول الله ﷺ، وسمعت الرجاء والتکبير في بنى

فالدعاة إلى الله بحاجة دائمةً إلى أن يكون راسخاً في أعماقهم عنون الله لهم حين تعجز قوتهم البشرية عن إدراك ما يخطط لهم العدو بعد استنفاد الطاقة واستفراغ الوسع، وأن تكون لديهم القناعة التامة، أن النصر أولاً وأخيراً من عند الله. قال تعالى: **﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** [آل عمران: ١٢٦].

خامساً: يتجلى في الهجرة بروز عنصر التخطيط وأهميته في حياة المسلمين:

فكان الهدف محدداً والوسائل كذلك والعقبات مأخوذة بالحسبان واختيار الطريق والمكان والتموين ومن يحمل الأخبار والدليل، كل ذلك مُؤمَّنٌ مع إحاطة ذلك بالسرية والحيطة والحذر، وكل ذلك ينبع عن تخطيط وتنظيم وترتيب لا مثيل له.

الأخذ بالأسباب والتوكيل على الله

فالأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع ولا ينافي ذلك الإيمان والتوكيل على الله، فعدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتماد على الأسباب قدح في التوحيد، لذلك فإن النبي ﷺ قد أحکم خطة هجرته وأعد عدته، فأعاد الراحلتين وترك علىاً مكانه، وسلك الطريق الجنوبي للتغیر بالمرشken، واستأجر ماهراً خبيراً يدلله على الطريق، وكانت أسماء رضي الله عنها تأتيهما بالطعم، ودخل غار ثور، فعل ذلك وهو النبي المؤيد من ربها.

فسان المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شيء في الحياة، ثم يتوكل بعد ذلك على الله، لأن كل شيء لا قيام له إلا بإذن الله، فإذا استفرغ المرء جهده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يعاقبه على هزيمة بي لها، وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً، ثم يجيء عنون الله أعلى فيجعل هذا النصر مضاعف الثمار.

سادساً: التضحيه والفداء، ومن دروس الهجرة: أن الجندي الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفقد قائدته ب حياته،

عمرٰو بن عوف، وكُبَرُ المُسْلِمُونَ فَرَحًا بِقدومِهِ
وَخَرَجُوا لِللقَائِمَةِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحْيُوهُ بِتَحْيَةِ النَّبُوَّةِ،
فَأَحْدَقُوا بِهِ مُطَيِّفِينَ حَوْلَهِ، وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ،
وَالوَحْيُ يَنْزَلُ عَلَيْهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَاهِرٌ﴾ [التحريم: ٤]. [زاد المعاذ ٥٢/٣]

ثَانِيًا: الأُخْوَةُ الصَّادِقَةُ وَأَمْثَلُهُ نَادِرَةُ:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ
مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَسَنَاتٌ وَمَنْ يُوقَ شُحًّا
نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فِي مَؤَاخِدَةِ الرَّسُول ﷺ بَيْنَ الْمَهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ أَقْوَى مَظَاهِرِ عِدَالَةِ الإِسْلَامِ
الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الْبَنَاءَ، فَالْمَهَاجِرُونَ قَوْمٌ
تَرَكُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ وَأَرَاضِيهِمْ، فَجَاءُوا
إِلَى الْمَدِينَةِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ حَاطِمِ الدِّينِ شَيْئًا،
وَالْأَنْصَارُ قَوْمٌ أَغْنِيَاءُ بِزِرْوَعِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
وَصَنَاعَتِهِمْ، فَكَانَ أَنْ حَمِلَ الْأَخْرَاءِ، وَاقْتَسَمَ
مَعَهُ سَرَاءَ الْحَيَاةِ وَضَرَاعَهَا، وَأَنْزَلَهُ فِي بَيْتِهِ،
وَأَعْطَاهُ شَطَرَ مَالِهِ، فَإِيَّاهُ أَخْوَةُ فِي الدِّينِ تَعْدُلُ
هَذِهِ الْأُخْوَةَ.

لَذِكْرُ أَثْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْأَنْصَارِ ثَنَاءً
عَظِيمًا بَعْدِ ثَنَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «لَوْلَا الْهَجْرَةُ
لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ». [البخاري: ٣٧٧٩]
وَقَالَ أَيْضًا: «لَوْ سَلَكْتُ الْأَنْصَارَ وَادِيًّا أَوْ شَعْبًا
سَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شَعْبَهُمْ». [البخاري:
٣٧٧٨].

تَاسِعًا: الْهَجْرَةُ وَالْإِصْلَاحُ الْمُشَوِّدُ:

قال العلامة محب الدين الخطيب: لو أننا
فهمنا الحكمة التي انطوت عليها حادثة
الهجرة، وعلمنا أن كتاب الله الذي نتلوه قد
أنهى باللانمة على جماعة من أصحاب رسول
الله ﷺ كانوا في مكة يصلون ويصومون
ولكنهم ارتكبوا البقاء تحت جناح أنظمة
خلاف الإسلام، فلا قوة لهم على تغييرها، ولم
يهاجروا إلى قلعة الإسلام ليكونوا من جنوده،
لعلمنا أن الإسلام لا يكتفي من أهله بالصلوة

والصوم، بل يريد منهم مع ذلك أن
يقيموا شرائعه وأدابه في بيوتهم وأسواقهم
وأنذيقهم، ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن
عليهم أن يتولوا بجميع الوسائل المشروعة
لتتحقق هذه الغرض الإسلامي بادئين به من
البيت وملحوظين ذلك في تربية من تحت
أمامتهم من بنين وبنات، ومتعاونين عليه مع من
ينشد للإسلام الرفعة والازدهار من إخوانهم،
حتى إذا عم هذا الإصلاح أرجاء واسعة تلاشت
تحت أشعته ظلمات الباطل، فكان لهذا الأسلوب
من أساليب الهجرة مثل هذه الآثار التي كانت
لهجرة النبي ﷺ وأصحابه الأولين.

روى مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه عن
أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود
السلمي قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول
الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله، بايعه
على الهجرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «قد
مضت الهجرة باهلها». قال مجاشع: فبأي شيء
تباعي؟ قال: على الإسلام والجهاد والخير. قال
أبو عثمان النهدي: فلقيت أبا معبد فأخبرته
بقول مجاشع فقال: صدق.

وفي كتب السنة وبعضاً في الصحيحين عن
عبد الله بن عمرٰو بن العاص وفضالة بن عبيد
بن ناقد الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «المهاجر
من هجر السَّيِّئَاتِ». فإلى الهجرة أيها المسلمون،
إلى هجر الخطايا والذنوب إلى هجر ما يخالف
تعاليم الإسلام في بيوتنا، وما نقوم به من
أعمالنا، إلى هجر الضعف والبطالة والإهمال
والترف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير
موقعها. [من إلهايات الهجرة: ص ١١-١٤]

فهل تأخذ الأمة من دروس الهجرة زادًا
إيمانًا تستعيد به مجدها المفقود، وهل نسترد
دور الهجرة في حياتنا لنسانف دورنا المشوش
في قيادة البشرية من جديد، هذا ما نأمله
ونرجوه.

نسال الله أن يوفقنا لسلوك سبيل المؤمنين،
وأن يعز الله بنا الدين كما أعزه بالسابقين
الأولين من الأنصار والمهاجرين، وأن يجمعنا
بهم مع سيد الأولين والآخرين يوم يقوم الناس
لرب العالمين.

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

ف لقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ تأسيسها على يد رعيلها الأول وعبر تاريخها الطويل على تبني المنهج السلفي معتقداً لها في تلقى الإسلام وفهمه وتطبيقه الدعوة إليه وهي بذلك تمثل الخط المستقيم والامتداد الأصيل لما كان عليه المسلمون الأوائل الذين فارقهم النبي ﷺ وهو عنهم راض.

وقد ظهر مصطلح السلف واشتهر حين ظهر النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية،
وحاول الجميع الانتساب الى السلف وأعلن أن ما هو عليه هو مكان على السلف الصالح.
وفي هذا المقال وقبل أن نتناول الأدلة على وجوب اتباع منهج السلف يحسن بنا أولاً أن نعرف
بالسلف اصطلاحاً ومنهجاً.

منهج السلف

المراد بمنهج السلف، مakan علیه الصحابة الكرام
رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان وأتباعهم
وائمة الدين من شهد له بالإمامية وعرف عظم شأنه
في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلافاً عن سلف
كالائمة الأربع وسفيان الثورى والليث ابن سعد
وابن المبارك والنخعى والبخارى ومسلم وسائر
أصحاب السنن، دون من رمى بالبدعة أو اشتهر
بلقب غير مرضى مثل: الخوارج والروافض والمرجئة
والجبرية والمعترضة، وكل من التزم بعقائد هؤلاء
الائمة وفقههم كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه
وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس
بتهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بهم نفس الزمان
ومكان. [العقائد السلفية / البوطاطي]

وعلى ذلك فالسلفية اصطلاح يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم ، وطريقة فهمه ، وليس محصوراً في دور تاريخي معين ، والسلفية بذلك تمثل الفهم الصحيح للإسلام ولن يستقىء على الفترة الزمنية المباركة كما يزعم من يريدون تعريتها عن مضمونها

لأدلة على وجود اتباع منهج السلف

تضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة
على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون
على الإطلاق لما لهم عند الله من المنزلة العالية
والمكانة السامية فقد مدحهم ربهم وزakahم من فوق

من هم السلف؟

السلف الصالح هم الصدر الأول الراسخون في
العلم ، المهتدون بهدى النبي ﷺ ، الحافظون لسننته
، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، واتخذهم لإقامة
دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، فجاهدوا في سبيل الله
حق جهاده ، وأفرغوا جهدهم في نصيحة الأمة
ونفعها ، وبذلوا في مرضاته الله أنفسهم .

وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّ أَعْلَى الْكُفَّارَ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، و قوله تعالى: ﴿وَالسَّائِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَاحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَلَهُمْ جِنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ١٠٠]. فذكر تعالى المهاجرين والأنصار ثم مدح أتباعهم ، ورضي ذلك من الذين جاءوا من بعدهم.

وَتَوَدُّ بِالْعَذَابِ مِنْ خَالِفِهِمْ وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ
 فَقَالَ : « وَمَنْ يَسْأَقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا ثَبَّتَ لَهُ
 الْهُدَىٰ وَيَتَبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُؤْلَئِكَ مَا تُوَلُّى
 وَنَصَّلُهُ حَمْمًٌ وَسَاعَتْ مَصْرِاً » (النساء: ١١٥)

ف يجب اتباعهم فيما نقلوه ، و اقتداء اثراهم فيما
عملوه ، والاستغفار لهم قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا حَوْانِنَ الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَبْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّ لِلَّذِينَ
أَمْتُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الجاثر: ١٠] .[اعترف بالغيرة لل LCS]

سبعين سموات ومدح من اتبع

سبيلهم وسار على هديهم، ونم من خالفهم، وكل ذلك

يؤكد وجوب الاقتداء بهم رضوان الله عليهم.

الادلة من القرآن

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - قال تعالى: ﴿وَالسَّائِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا

الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النور: ١٠٠]

قال ابن كثير - رحمه الله - يخبر تعالى عن

رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار

والتابعين لهم بإحسان ورضاه عنهم بما أعد لهم من

جنت النعيم المقيم.

وقال الشوكاني - رحمه الله - ومعنى ﴿وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ الذين اتبعوا السابقين الأولين

من المهاجرين والأنصار، وهم المتاخرون عنهم من

الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيمة.

[فتح القدير: ٣٩٨/٢]

وقال السعدي - رحمه الله - عند قوله: ﴿وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال،

فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية

المدح وأعظم الكرامات من الله.

٢ - قال تعالى: ﴿وَكُذِّلَكُ جَعْلَنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَأَ

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا﴾ [آل عمران: ١٤٣]

فقد جعلهم الله تبارك وتعالي أفضل الأمم

وأعدلها في العقيدة والقول والعمل فاستحقوا بذلك

أن يكونوا شهادة على الناس، فإذا كانت شهادتهم

عند الله مقبولة فلا شك أن فهمهم لنصوص الشريعة

حجحة على من بعدهم، لذلك أمر رب العزة باتباع

سبيلهم، فقال: ﴿وَاتَّبِعُ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيْهِ﴾

[القمان: ١٥]، وجعل الصحابة خير من أناب إلى الله

واستجاب، فوجب اتباع سبيلهم في فهم دين الله

تبارك وتعالي ولذلك هدد الله تعالى وتوعد من اتبع

غير سبيلهم بجهنم وبئس المصير. كما ظهر ذلك في

قوله تعالى:

٣ - ﴿وَمَنْ يَسْأَقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

الْهُدَى وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ثُوَلَهُ مَا تَوَلَّ

وَنُصْلِهُ جَهَنَّمُ وَسَاعَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

وتطبيقه والدعوة إليه

لقد حرصت جماعة أنصار الله منذ نشأتها على تبني
المنهج السلفي معهداً للداله في تلقى الإسلام وفيه منهجه

لأنه من السنة النبوية

فقد بين النبي ﷺ أن الفرقة الناجية والطائفة
المتصورة هم الجماعة وهي ما كان عليه الرسول ﷺ
و أصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سنده
من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال
رسول ﷺ - وفيه - : «والذي نفس محمد بيده
لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في
الجنة وثلاث وسبعين في النار» قيل يا رسول الله،
من هم قال: «الجماعه». [صحيح ابن ماجه ٣٦٤/٢]

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزموم الجماعة
فلم يراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به
قليل والمخالف كثير لأن الحق هو الذي كانت عليه
الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله
عنهم ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

[ابن الأثير على انكار البدع ص ٢٢]

وصدق عبد الله بن مسعود حيث قال: الجماعة
ما وافق الحق وإن كنت وحدك. [شرح أصول الاعتقاد ١٦٠]
وثبت عند مسلم من حديث ثوبان رضي الله
عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من
أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى
 يأتي أمر الله وهم كذلك». [رواه مسلم ١٥٢٣/٣]
قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: «إن لم
يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم» وقال ابن
المديني: «هم أصحاب الحديث» وقال البخاري:
«يعنى أصحاب الحديث» وقال أحمد بن سنان: «هم
أهل العلم وأصحاب الآخر».

[شرف أصحاب الحديث للبغدادي]

قال المناوي في [فيض القير ٣٩٥/٣] وفيه مجزأة
بينة فإن أهل السنة ما يزالون ظاهرين في كل عصر
إلى الآن من حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها
من الخوارج والمعترضة والرافضة وغيرهم لم يتم
لأحد منهم دولة ولم تستمر لهم شوكة بل كلما
أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بنور الكتاب والسنة
فلله الحمد والمنة.

. وثبت عند أبي داود من حديث العرياض بن
سارية قال: قال رسول الله ﷺ - وفيه: «فعلمكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجد، و إياكم ومحدثات
الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله» [رواية أبو

للطائفة المتصورة أهل

الحديث الذين اقتدوا أثر جيل القدوة

الأول محمد ﷺ و أصحابه.

وتعتمد إغاظة الكفار يوحى بأن هذه الطائفة هي
غرس غرسه الله وتعهده رسول الله صلى عليه
وسلم بالتربيه ، فهي من دلائل قدرة الله ؛ لأنها آداة
لإعاظة أعداء الله الذين يعملون على إطفاء نور الله ،
و إخماد جذوته في نفوس المسلمين ، ولكن الله متم
نوره ولو كره المشركون ، و مظهر دينه ، ولو كره
الكافرون . ولذلك ترى أهل البدع يعادون أهل
ال الحديث في كل عصر ومصر .

٥ - وقال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا حَوْلَنَا إِلَّا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَّا لِلَّذِينَ أَمْأَلُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحجر ١٠].

قال السعدي رحمة الله : «فوصف الله من بعد
الصحابه بالإيمان ، لأن قولهم : (سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)
دليل على المشاركة فيه ، وأنهم تابعون للصحابه في
عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة ،
الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم» فوجب
اتباعهم واقتفاء أثرهم .

٦ - وقال تعالى: «فَإِنْ أَمْأَلُوا بِمِثْلِ مَا أَمْتَنِّمْ بِهِ
فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلُّوا فَأَنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيِّكُ فِي كُلِّهِ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [القرآن ١٣٧]:

قال ابن كثير - رحمة الله - يقول الله تعالى:
«فَإِنْ أَمْأَلُوا» ، يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم
«بِمِثْلِ مَا أَمْتَنِّمْ بِهِ» يا أيها المؤمنون ، والإيمان
بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ،
«فَقَدْ اهْتَدُوا» أي أصابوا الحق وأرشدوا إليه .
انتهى.

و الآية أيضاً تتناول كل من جاء بعد جيل
الصحابه إلى عصرنا لأن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب كما هو معلوم عند علماء الأصول
و التفسير ، فإنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه
الأوائل من الصحابة في تمسكهم بكتاب الله وسنة
رسوله ﷺ حتى يحصل لهم الهدایة .

الصحابه هم خير الراقق رون على الإطلاق مدحهم ربهم وذكرهم: ومدح من أتبع سبباً ياهم وسار على هديهم، وذم من خالفهم

[راووه وصححه الابناني]. قال ابن حبان في

[صحيحه ١٠٤] في قوله : «عليكم بستني» بيان واضح ان من واصل على السنن، وقال بها ، ولم يرجع على غيرها من الآراء ، كان من الفرقه الناجية يوم القيمة. جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

و في الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : «إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدرى أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلثاً. [رواه البخاري ومسلم]

عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتي السماء ما توعده، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتي أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابي أتي أمتى ما يوعدون». [رواه مسلم]

وفي الحديث فوائد:

١- إذا كانت النجوم قد جعلها الله رجوماً للشياطين في استرافق السمع فإن الصحابة رضي الله عنهم زينة هذه الأمة كانوا رصداً لتأويل الجاهلين، وانتفال المبطلين، وتحريف الغالين، الذين اتبعوا أهواءهم .

٢- وإذا كانت النجوم كذلك مناراً لأهل الأرض يهتدون بها في البر والبحر فذلك الصحابة رضي الله عنهم يقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشبهات والشهوات ، فمن أعرض عن فهمهم فهو في غيه يتربى في الظلمات ليس بخارج منها .

٣- فهم الصحابة للقرآن والسنة تحصين من بدع شياطين الإنس والجن الذين يبتغون الفتنة ويبتغون تأويلها؛ ليفسروا مراد الله ورسوله فكان لهم الصحابة حرزاً من الشر وأسبابه .

[باختصار من المنهج السلفي للهالبي]

٤- فيه أن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم وانقضاء جيلهم يعقبه ظهور البدع والحوادث في الدين، وقد كان. وهذا كله من دلائل صدق نبوته ﷺ.

- ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن سبهم فقال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أتفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُّ أحدهم أو نصيفه».

[رواه مسلم]

أثواب الصالحة

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ فلما قام أحدهم ساعة . يعني مع النبي عليه الصلاة والسلام . خير من عمل أحدكم عمره . [روايه ابن أبي شيبة و ابن ماجه]

٢- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: والله لشهد رجل منهم . يعني الصحابة . مع رسول الله ﷺ يغير منه وجهه خيراً من عمل أحدكم ولو عمره نوح . ثم قال متودعاً من يبغضهم أو يسبهم: لا جرم لما انقطع اعمارهم أراد الله إلا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيمة . والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم . [روايه الترمذى وابو داود]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من كان مستينا فليسن بنمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضائهم ، واتبعوهم في اثارهم ، وتمسكون بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم . [جامع بيان العلم ٢٤٧/٢]

وقال الأوزاعي رحمه الله : اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكفوا عنهم واستل سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم . [شرح أصول الاعتقاد ١/١٥٤]

وقال أيضاً : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وأراء الرجال ، وإن زخرفوا لك بالقول . [الشريعة للأجري ٥٨/٦]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن خالق قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً . [التفسير الكبير ٢/٢٩٩]

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله في [الصارم المنكي]: لا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا ينحوه للأمة . وصدق مالك رحمه الله حيث قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولوها .

جعلنا الله وإياكم خير خلف لخير سلف . والحمد لله رب العالمين

A black and white photograph of a long, narrow, rectangular object, possibly a piece of wood or a metal strip, with various markings and holes along its length. The object is oriented horizontally across the frame. On the left side, there is a small circular hole near the top and a larger, irregularly shaped hole further down. In the center, there is a vertical slot or notch. On the right side, there is a large, irregularly shaped hole near the top, a smaller circular hole below it, and another small circular hole at the very bottom right corner.

السلام علي رسول الله وآلله وصحابه ومن والاه، وبعد:

لـ**كتاب علم** (٢٠٠٣) **د. بدأجل العلوم على الإطلاق كانت التشوه إلى تصحيح العقيدة**
وتفقد منها من شموعـ الشـرـ وـالـبـدـعـ قـرـبةـ عـظـمـىـ إـلـىـ اللهـ، وـبـدـعـ الـغـلـوـ تـعدـ مـنـ أـكـبـرـ أـسـبـابـ
الـإـنـدـرـافـ عـنـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ، مـاـ كـانـ لـهـ الـأـثـرـ السـيـءـ فـيـ إـفـسـادـ حـقـائـقـ الدـينـ وـتـشـوـيهـ مـعـالـمـ،
لـأـنـشـرـتـ الـعـقـائـدـ الـهـادـمـةـ وـالـمـاهـجـ الـبـاطـلـةـ فـيـ صـفـوـفـ الـأـمـةـ. وـفـيـ هـذـاـ الـمـقـالـ تحـذـيرـ مـنـ الـغـلـوـ

وَخَطْرَهُ فَنَقُولُ مُسْتَعِينَ بِاللَّهِ سَبَحَانَهُ.

كلا طرفي قصد الأمرور ذميم
قال ابن القيم رحمة الله: فعین الله بين الغافلي
فيه والجافي عنه، وخير الناس التمعط الأوسط الذين
ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو
المعتدين وقد جعل الله هذه الأمة وسطاً، وهي
الخيار العدول: لتتوسطها بين الطرفين المذمومين،
والعقل هو الوسيط بين طرفي الجحور والتفريط
والآفات إنما تنطلق إلى الأطراف، والأوساط محمية
بساط أقفا، فخبا، الأمه، أوساطها».

الاغاثة اللهمان (٢٠١/١)

السنة كذلک تحدى من الغله:

ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال لي رسول الله غادة العقبة وهو على ناقته: «القط لي حصى» فلما قطط له سبع حصيات هن حصى الخذف.

**فجعل ينضهن في كفه ويقول: «أمثال هؤلاء
فما، مما»، ثم قال: «يا أسماء الناس، إباكم والغلبه في**

فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». اللسان قديمة في شرح هذا الحديث

وقوله: «إيام والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد، بإن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يسمى بالغلو في ذلك.

هذه ملخص العقيدة

١- ويتمثل في مجاوزة حدود الاعتقاد الصحيح إلى غيره من ضروب الانحراف، والمتامل في آراء الفرق الكلامية التي فارقت أهل السنة والجماعة

اولاً: **غلا في الدين والآخر يغلو**
ثانياً: **جاوز حده، وفي التنزيل **لما يفظلوا في****
بنكهة.

وفي الحديث: «إياكم والغلو»، أي التشدد فيه
ومجاوزة الحد. [سان العرب ١٣٢/٥]
والغلو في الشرع موافق للمعنى اللغوي وهو
مجاوزة حدود الشريعة اعتقاداً وعملاً.

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تُقْرِبُوا فِي دِينِنَا
وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا حَقًّا إِنَّمَا الْمُسِيَّحَ عِيسَى بْنُ
عَزِيزٍ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِّمَتُهُ الْقَاتِلَاهُ إِلَيْهِ مُرْسَلٌ وَرُوحُ مُهَمَّةٍ
فَامْأُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا شَيْئًا إِنْتُمْ خَيْرٌ
كُمْ إِنَّا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾
النساء: ۱۷۱

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أهْلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُبُوا فِي
دِينِكُمْ عَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَنْتَعِشُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّلُوا مِنْ
قَبْلِكُمْ وَأَضْلَلُوا كَثِيرًا وَضَلَّلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

قال القرطبي: قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا
تَعْلُمُوا فِي دِينِكُمْ» نهى عن الغلو، والغلو التجاوز في
الحد، ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود
في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو الخماري فيه
حتى جعلوه ربياً، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر،
ولذلك قال مطرف بن عبد الله: الحسنة بين سيئتين
فلا ينفع الشاعر:

[View Details](#) | [Edit](#) | [Delete](#) | [Print](#)

وَالْكُرْهُ الْمُسْرِحِيُّ فِي الْإِنْكَارِ

خطر الغلو في العناوين وتقديم قبورهم

قال الإمام العلامة ابن القيم رحمة الله: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس الديرم رأى أحدهما مضاداً للأخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً.

- فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

- ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهة لبيوت الله.

- ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف ويوقدون القناديل عليها.

- ونهى عن أن تتحذى عيادة، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

وأمر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهجاج الأنصاري قال: «قال لي علي: ألا أبعنك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ! ألا تدع تمثالاً إلا طمسه ولا قبلًا مشرقاً إلا سويته». [صحيف مسلم ٣٦٩]

وهؤلاء يبالغون في مخالفة الحديث ويرفعونها عن الأرض كالببغاوات ويعتقدون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ أن يجصس القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه.

[مسلم ٤٧٠]

والمقصود: أن هؤلاء المغفلين للقبور، المتخذينها أعياداً، المؤذنين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب منافقون لما أمر به رسول الله ﷺ، محاذون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر. انتهى.

وهو يصف ما حدث في وقته، وقد زاد الأمر على ما وصفه بأضعاف، فغلوا في الموتى فعبدوهم من دون الله.

وكذلك غلوا في الصالحين، كما غالفيهم قوم نوع من قبل حتى اعتنقوه فيهم شيئاً من خصائص

بنوع اعتقاد يجدها قد غلت في ناحية من نواحي الاعتقاد حتى خرجمت عن الصراط المستقيم فأهل السنة يثبتون لله الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تحرير ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

أما من انحرف عن الاستقامة في هذا الباب فإنه إما أن يعطى أسماء الله وصفاته بدافع التنزية كما يقول، فيحمله الغلو في التنزية إلى أن ينفي ما سمى الله به نفسه أو وصف به نفسه أو سماه به رسوله أو وصفه به بحججة أن ذلك يلزم منه التشبيه، فيلنجا إلى التحرير والتأويل وجحود أسماء الله وصفاته، هذا من جانب المغطل والذي حمله على هذا التعطيل والإلحاد هو غلوه في التنزية، ولا شك أن تnzيز الله جل وعلا مطلوب، ولكن ليس من تnzيز الله نفي ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ، فإن الله جل وعلا أعلم بنفسه وأعلم بغيره وأحسن حديثاً من خلقه، ورسوله ﷺ أعلم الناس به عز وجل. فليس في تسميته الله تعالى بأسمائه وصفاته تشبيه، لأن الله جل وعلا أسماء وصفات تخصه وتليق به، وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بهم، وإن اشتراك في اللفظ والمعنى إلا أنها تختلف في الكيفية والحقيقة، هذا مسلك أهل السنة والجماعة.

الطرف الثاني، طرف المشتبه الذين غلوا في الإثبات، حتى شبّهوا الله بخلقه وجعلوا أسماءه وصفاته من جنس أسماء المخلوقين وصفاتهم لا فرق بينها حتى شبّهوا الخالق بالمخلوق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والذي حملهم على ذلك هو الغلو في الإثبات، والذي حمل الأولين هو الغلو في التنزية، فالغلو دائمًا وأبداً مرفوض؛ لأنه يفضي إلى ما لا تحمد عقباه، وطريق الاستقامة في هذا الباب هو ما عليه السلف الصالحة وأهل السنة والجماعة وهو إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل على وجه يليق بجلاله، فينزيهون الله جل وعلا عن مشابهته المخلوقين تnzيزها بلا تعطيل، ويثبتون لله الأسماء والصفات إثباتاً بلا تمثيل، هذا هو طريق أهل السنة والجماعة وهو الاستقامة وهو الاعتدال، والله الحمد.

بدعوة الغلو تعد من أكرواسباب الانحراف عن الصراط المستقيم، مما كان له الأثر السيء في افساد حقيقة الدين وتشويه معالمه

فجعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي ﷺ وإفضاله، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ! ومن عجيب الأمر أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته. وقال أيضاً مبالغًا في غلوه:

ما لي من الود به سواك
عند حلول الحادث العجم

فتتأمل ما في هذا البيت من الشرك: منها: أنه نفى أن يكون له ملائكة إذا حلت به الحوادث إلا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملائكة إلا هو. ومنها: أنه دعاه وناداه بالتضليل وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسائل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.

[تيسير العزيز الحميد / ٩٩]

صور من الغلو في النبي ﷺ أسلحت على الناس عقلائهم
قال العلامة الشيخ حامد الفقي رحمة الله مؤسس الجماعة تعليقاً على حديث إطراء النبي والغلو فيه:

١- فقد وقع ما نهى عنه النبي ﷺ فإن كثيراً من ينتسب إلى الإسلام يطري النبي غاية الإطراء فيعتقد فيه أنه يعلم الغيب وأنه لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وقد نفى الله عنه ذلك في القرآن فقال: «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سُتُّخَرُّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ» [الأعراف: ١٨٨].

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الانتهاء: ٥٠].

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاعًا مِنَ الرَّسُلِ وَمَا أَنْزَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الاحقاف: ٩٦]، ففكروا به واعتقدوا ما أوحته إليهم الشياطين.

٢- كثير منهم يعتقدون أنه يتصرف في الدنيا بعد موته ويزور من شاء في المشارق والمغارب. وقد بلغ الضلال بالدجال أحمد التيجاني أن زعم أن النبي ﷺ يحضر مجلس مكانه وتصديقه ومجالس كل من اتبעהه في طريقه الضال، فصار هؤلاء الزائفون إذا جلسوا للغط وللغو الذي يسمونه صلاة الفاتح، ويزعمون بضلالهم أن المرة الواحدة منها أفضل من القرآن ستة آلاف مرة.

الإلهية من جلب النفع ودفع الضر مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهتفوا باسمائهم عند الشدائدين والكريات، واستغاثوا بهم في كشف الملمات، وطاووا بقبورهم كما يطاف بالکعبـة، وذبحوا القرابـين عند قبورهم، وصرفوا لهم النذور.

قال الإمام العلامة ابن القيم: وقد أدخل الشيطان الشرك على قوم نوح من باب الغلو في الصالحين، وقد وقع في هذه الأمة مثل ما وقع لقوم نوح لما أظهر الشيطان لكثير من المفتوحـين الغلو والبدعـ في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقفهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله، فما زال يوحـ إلى عباد القبور ويلقي إليـهم أن البناء والعمـ علىـها من محبـة أهل القبورـ من الأنبياءـ والصالـحينـ وأن الدعـاءـ عنـدهـاـ مستـجابـ، ثمـ يـنقـلـهمـ منـ هـذـهـ المرتبـةـ إـلـىـ الدـعـاءـ بـهـاـ والإـقـسامـ عـلـىـ اللـهـ بـهـاـ، فإذاـ تـقـرـرـ ذـلـكـ عـنـهـمـ نـقـلـهـمـ مـنـهـ إـلـىـ دـعـاءـ الـمـقـبـورـ وـعـبـادـتـهـ وـسـؤـالـهـ الشـفـاعـةـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ وـاتـخـاذـ قـبـرـهـ وـثـنـاـ تـعـلـقـ عـلـىـهـ الـقـنـادـيلـ وـالـسـتـورـ وـيـطـافـ بـهـ وـيـسـتـلمـ وـيـقـبـلـ وـيـحـجـ إـلـيـهـ وـيـذـبـحـ عـنـهـ، فإذاـ تـقـرـرـ ذـلـكـ عـنـهـمـ نـقـلـهـمـ مـنـهـ إـلـىـ دـعـاءـ النـاسـ إـلـىـ عـبـادـتـهـ وـاتـخـاذـهـ عـيـداـ وـمـنـسـكـاـ، وـرـأـواـ أـنـ ذـلـكـ أـنـفـعـ لـهـ مـنـ دـنـيـاهـ وـأـخـرـاهـ.

إـذاـ تـقـرـرـ ذـلـكـ عـنـهـمـ نـقـلـهـمـ مـنـهـ إـلـىـ أـنـ مـنـ نـهـىـ عـنـ ذـلـكـ فـقـدـ تـنـقـصـ أـهـلـ هـذـهـ الرـتـبـ الـعـالـيـةـ وـحـطـهـمـ مـنـزـلـهـمـ وـزـعـمـ أـنـهـ لـاـ حـرـمـةـ لـهـمـ وـلـاـ قـدـرـ، وـقـدـ سـرـىـ ذـلـكـ فـيـ تـفـوسـ كـثـيرـ مـنـ الـجـهـاـلـ وـالـطـغـاـمـ وـكـثـيرـ مـنـ يـنـتـسـبـ إـلـىـ الـعـلـمـ وـالـدـيـنـ حـتـىـ عـادـوـ أـهـلـ التـوـحـيدـ وـرـمـوـهـمـ بـالـعـظـائـمـ وـنـفـرـوـهـ النـاسـ عـنـهـمـ. [التفرقـ المـجـيدـ]

٢- التـحـذـيرـ مـنـ الغـلوـ فـيـ النـبـيـ ﷺ .
ـ نـهـيـ النـبـيـ ﷺ عـنـ الغـلوـ فـيـ شـخـصـهـ فـقـالـ: لـاـ طـرـوـنـيـ كـمـاـ أـطـرـتـ النـصـارـىـ أـبـنـ مـرـيـمـ، إـنـمـاـ أـنـ عـبـدـ فـقـولـواـ عـبـدـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ. [رواـهـ الشـيـخـانـ]
ـ فـقـدـ كـانـ الـإـطـرـاءـ هـوـ بـدـاـيـةـ الـغـلوـ فـيـ عـيـسـىـ وـالـادـعـاءـ أـنـهـ اللـهـ أـوـ أـبـنـ اللـهـ أـوـ ثـالـثـةـ، وـالـإـطـراءـ هـوـ مـجاـوزـةـ الـحـدـ فـيـ الدـحـ وـالـكـذـبـ فـيـهـ.
ـ وـلـذـكـ كـانـتـ الـحـيـطةـ الـتـيـ لـمـ يـنـتـفـعـ بـهـ الـبعـضـ كـصـاحـبـ الـبـرـدـةـ «الـبـوـصـيرـيـ»ـ حـيـنـ قـالـ:

ـ فـيـانـ مـنـ جـوـدـ الـدـنـيـاـ وـضـرـتـهـ
ـ وـمـنـ عـلـوـمـكـ عـلـمـ الـلـوـحـ وـالـقـلـمـ

بدعة الاحتفال بالمولود النبوى يرجع تاريخها إلى الدولة العبيدية الفاطمية والى فشافيه الشركيات والخرافات والبدع تحت شعار التشيع وحب آل البيت

رضي الله عنه، ومولد فاطمة رضي الله عنها، ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر في ذاك الزمان.
ومن طريقهم انتشرت المولد وراجت رواجاً كثيراً لدى الصوفية.

[الابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ من علماء الازهر الشريف]
فصارت كل طريقة تعلم لشيخها مولداً يتاسب ومقام الطريقة وشيخها!! هذا مع حرصهم على مولد النبي ﷺ في كل عام وتسيير المراكب في الطرقات، وتنشيد القصائد، وتقام الحفلات إلى غير ذلك من مظاهر الاحتفال بالمولد النبوى.

والاحتفال بموالده ﷺ بدعة منكرة لما يليه . اتخاذه عيداً شرعياً، والأعياد الشرعية يومان الفطر والأضحى كما جاء بذلك النص. قال ﷺ : إن الله أبدلكم بهما يومي الفطر والأضحى .
جعله عبادة شرعية وقربة إلى الله، حتى إنهم في بعض البلدان يتهمون من لم يحضر المولد بالجفاء والمروق من الدين أحياناً.

[رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ٤٩٣/١]
- عدم فعل السلف له مع أنهم أشد الناس حباً له صلوات الله وسلامه عليه، وهو أعرف الناس بحقوقه، ولو كان خيراً لسبقونا إليه .
إن عمل المولد يتضمن أموراً منها عندها شرعاً كإنشاء القصائد الشركية والغلو فيه ﷺ وتشويه صورة الدين بأعمال الخرافيين والمشعوذين والدجالين على ما يجري عمله في أكثر البلاد .

هذا وقد استغلت الصوفية وسائل الدعاية لترويج هذه البدعة بدعوى أنها من أكبر مظاهر حبه ﷺ فالقفوا فيها الرسائل والكتب وسددوا بها صحائف كانت بيضاء، ونعتوا كل ناقد ووجه بعدم الحب والولاء لرسول الله ﷺ .

ولذا أن نقول إن الاحتفال بالمولد بدعة فيها مشابهة للنصارى في احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام لأن دينهم المحرف قام على الغلو في الأشخاص، وديننا ينهانا عن الغلو .
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لذتك رحمة إنك أنت الوهاب .
والحمد لله رب العالمين

وينشرون ثواباً أبيض في وسط حلتهم ليجلس عليه النبي والخلفاء، وإنما زعم الرجال التيجاني هذا تمويهاً على أشباه الأنعام العامة ليتبعوه على دجله وباطله ويرىهم أنه أتى بما لم يسبق إليه. وصدق فإنه لم يسبق إلى هذه الصورة في الكفر فنعود بالله من عمي القلوب، وشرع ما لم يأذن به الله. وتكلاد السموات يتقطرون منه.

٣. بعضهم يعتقد أن النبي ﷺ يزوره ويشرع له من الدين ما يخالف شرعيه الذي أتاهه الله وأكمله وارتضاه ديناً قبل موته ﷺ فادعى ذلك الشعرايني في كتاب العهود الحمدية. وزعم أن شيخه الخواص كان لا يفارق النبي ﷺ طرفة عين وهذا كله كذب وبهتان. فكم وقع بين الصحابة من الخلافات ما كان أولى أن يجعلهم فيها النبي ﷺ ليرجعهم فيها إلى الصواب الذي يطغى الفتنة لو أمكن ظهوره .

٤. بعضهم يعتقد أن السموات والأرض وما بينهما مملوقة بالنبي ولو كشف عننا الحجاب لرأيناه عياناً، فإذا سمع أهل الغرور هذه الخراقة أفنوا أعمارهم في الخلوات يهمهمون ويزمزمون، وأنفقوا أموالهم كلها على الدجالين المشعوذين الذين أغواوهم كل ذلك طمعاً في الحال أن يروا النبي ﷺ عياناً مالاً السماء والأرض وما بينهما، وقد انجر بنا الكلام إلى ذكر شيء من باطلهم تحذيراً من لم يقع في حبائبلهم وانذاراً من وقع، وهذا نذر يسير مما نعرفه عنهم وهو مسطور في كتبهم وأساطيرهم المطبوعة المنتشرة .

ومن الغلو الاحتفال بموالده
مولود النبي ﷺ هو الذي يقيمه الصوفية في
الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام إظهاراً
للسربور بموالده، وتوسيع بعضهم فاجازه في أي وقت
من أوقات السنة طالما أنه مظهر سرور بالنبي ﷺ .

ويرجع تاريخ ظهور هذه البدعة إلى الدولة العبيدية التي تسمى بالدولة الفاطمية. حيث أحدثت هذه البدعة لجذب قلوب الناس إليها، والظهور بمظاهر من يحب رسول الله ﷺ .

مع أنها من أكثر الدول التي فشا فيها الإلحاد والزنادقة تحت شعار التشيع وحب آل البيت .

[محبة النبي ﷺ بين الاتباع والإبداع]
فأحدثوا ستة موالد: المولد النبوى، مولد علي

اتَّبِعُوهَا
وَلَا تَبْدِعُوهَا

الْعِبَادَةُ الصَّوْفِيَّةُ

فِي مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ

○ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا ○

إِعْدَادٌ

مَعاوِيَةُ مُحَمَّدٍ هَيْكَلٌ

الحمد لله الذي اكمل لنا الدين واتم علينا النعمة، والصلوة والسلام على سيد المرسلين ونبي الأمة وبعد..

في سلسلة حديثنا عن الغلو وخطره على العقيدة والشريعة نعرض في هذا المقال للغلو في العبادة عند الصوفية، وقبل الشرح في المقصود منناؤ أولاً أسس العبادة وركائزها في الكتاب والسنة فنقول مستعينين بالله عز وجل:

إن العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تبني على أصول وأسس ثابتة تتلخص فيما يلي:
أولاً: أنها تقويفية بمعنى: أنه لا مجال للرأي فيها بل لا بد أن يكون المشرع لها هو الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى لنبيه ﷺ **«فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا إِنَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَصْبِرُ»** [هود: ١١٢]، وقال تعالى: **«لَمْ جَعْلَنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَنْتَيْعَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»** [الجاثية: ١٨] وبين ما ينبغي لنبيه نحو العبادة فقال: **«إِنَّ أَثْيَعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْهِ»** [الاحقاف: ٩].

ثانياً، لا بد أن تكون العبادة خالصة لله تعالى من شوائب الشرك كما قال الله تعالى: **«فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»** [الكهف: ١١٠].

فإن خالط العبادة شيء من الشرك حبطت كما قال تعالى: **«وَلَوْ أَشْرَكُوا لَهُبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»** [الانعام: ٨٨]، وقال تعالى: **«وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَهُبِطَ عَمَلَكَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ»** [الزمر: ٦٥-٦٦].

ثالثاً، لا بد أن يكون القدوة في العبادة والمبين لها رسول الله ﷺ كما قال تعالى: **«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأَ حَسَنَةً»** [الأحزاب: ٢١] وكما قال تعالى: **«وَمَا تَأْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»** [الحجر: ٧].

وقال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» و قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتوني أصلى» و قوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم» إلى غير ذلك من النصوص.

رابعاً، أن العبادة محددة بمواقيت ومقاييس لا يجوز تعديها ولا تجاوزها.

الصلوة مثلاً، وقال تعالى: **«إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا»** [النساء: ٣٠].
وكالحج، قال تعالى: **«الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ»** [البقرة: ١٩٧].

وكالصوم قال تعالى: **«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْغُرْقَانِ**

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمِّمْهُ ﴿٤٢﴾
[البقرة: ١٨٥].

٥٠ عند ما نتأمل في تعاليم الصوفية وأقوالهم المنقوله عنهم في كتبهم نجد بونا شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن والسنة.

٥٠ من دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يضعها لهم شيوخهم يتقيدون بها ويتبعدون بتلاوتها.

٥٠ من زعم أن «لا إله
إلا الله» هي ذكر
العامة، وأن ذكر
الخاصة هو لاسم
الفرد «الله»، وذكر
خاصية الكلمة
هو فهو ضالٌّ مضلٌّ.

الخلل في منهج العبادة عند الصوفية
للصوفية - خصوصاً المتأخرین
منهم - منهج في الدين والعبادة
يخالف منهج السلف ويبيتعد كثيراً
عن الكتاب والسنة، ذلك أنهم قد
بنوا دينهم وعبادتهم على رسوم
ورموز وأصطلاحات اخترعواها،
نذكر منها ما يلي:

١- التزام أذكار وأوراد مبتدعة،
من دين الصوفية التزام أذكار
وأوراد يضعها لهم شيوخهم
فيتقيدون بها ويتبعون بتلاوتها،
وربما فضلوا تلاوتها على تلاوة
القرآن الكريم، ويسمونها ذكر
الخاصة.

وأما الذكر الوارد في الكتاب
والسنة فيسمونه: ذكر
العامة. فقول: لا إله إلا الله، عندهم
هو ذكر العامة وأما ذكر الخاصة
 فهو الاسم المفرد.. «الله» وذكر
خاصية الخاصة «هو».

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية
على مزاعم هؤلاء وشبهاتهم التي
استندوا عليها فقال رحمة الله:
ومن زعم أن هذا - أي: قول لا إله إلا
الله ذكر العامة وأن ذكر الخاصة
هو الاسم المفرد وذكر خاصة
الخاصة «هو»: أي الاسم المضمن،
هو ضالٌّ مضلٌّ.

واحتاج بعضاً منهم بقوله
تعالى: «قُلَّ اللَّهُ مَنْ ذَرَهُمْ فِي
خُوضِبِهِمْ يَلْغَبُونَ» من أبين غلط
هؤلاء بل من تحريفهم للكلام عن
مواضعه، فإن الاسم «الله» مذكور
في الأمر بجواب الاستفهام في
الأية قبلها وهو قوله: «قُلْ مَنْ
أَرْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى
ثُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ
قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفِونَ كَثِيرًا

خامساً: لابد أن تكون العبادة
قائمة على حبّة الله تعالى والذل
له وخوفه ورجائه، وقال تعالى:
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بَيْتَنَعْوُنَ إِلَى
رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةِ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَةَ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾
[الإسراء: ٥٧] وقال تعالى عن
أنبيائه: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا
وَكَانُوا لَنَا خَائِشِينَ» وقال تعالى:
﴿فَقُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَحْبَبُونَ اللَّهَ
فَأَتَيْنَاهُنَّا يُحِبِّنُمُ اللَّهَ وَيَغْفِرُ لَكُمْ
ذُنُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ تَوَلُّوْا
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾
[آل عمران: ٣٢-٣١].

فذكر سبحانه وتعالى علامات
محبة الله وثمراتها:
أما علاماتها: فاتباع الرسول
عليه وطاعته.

وأما ثمراتها: فنيل محبة الله
سبحانه وتعالى ومغفرة الذنب
والرحمة منه سبحانه.
سادساً: إن العبادة لا تسقط
عن المكلف من بلوغه عاقلاً إلى
وفاته، قال تعالى: «وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٠٢]
﴿وَاعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾
[الحجر: ٩٩].

وعندما نتعمق في تعاليم
الصوفية وأقوالهم المنقوله عنهم
والماشورة في كتبهم نرى بونا
شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن
والسنة، وكذلك لا نرى جذورها
وبذورها في سيرة سيد الخلق
محمد عليه وأصحابه الكرام البررة
خير خلق الله.

كيفية الذكر الصوفي

في متناسك الذكر الصوفي يفرض على الذاكر أن يستحضر شيخه، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول: مدحك يا أستاذني وأن يرى أن استمداده منه، عين استمداده منه عليه السلام، فإنه الواسطة إليه، وأن يستاذن شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذني وأن يستاذن أصحاب الطريق والقدم، فيقول دستور يا أصحاب الطريق والقدم.

[رسالة منحة الأصحاب (ص: ٨٦)]

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن الوكيل: وهذا توجب الصوفية علي «الدرويش» أن يتلطخ بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله، وأن يستاذن كل هذه الأصنام، ليتقبل الله ذكره، ويغمره برضاه!! حجب صماء تمور حولها الدياجير، وقصف الأعاصير، تضعها الصوفية في طريق السالك. حتى لا يرى شعاة من نور!!.

واما كيفية الذكر فهي «أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه، وأن يبدأ بـ «لا» يميناً، ويرجع بـ «إله» فيتوسط، ويختتم «إله الله» يساراً قبلة القلب، فإن ذكر اسمه مفرداً كـ «الله» و «هو» ضرب بذقنه على صدره، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت، وينتع الكلمة من سرتة إلى قلبه».

[رسالة منحة الأصحاب (ص: ٨٦)]

هذه هي صورة الذكر الصوفي وما هكذا ذكر الرسول ربنا، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكروه باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتاوه، ما ذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصقاً، وينطقون به وراءه، وما ذكروه ولهم منشد، وما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل، وتتصك جنباته، ما ذكروه بالثنيات والطبول والدفوف. ولكنهم ذكروه كما علمهم رسوله عليه السلام أما من ذكر الله ذكر الصوفية، فهم مشركون الجاهليه. قال تعالى: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية» أو عبادة العجل في اليهودية.

[هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل]

وعلمتم ما لم تعلموا أئتم ولا أباً لكم قل الله عليه السلام [الانعام: ٩١]، أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى.

فالاسم «الله» مبتدأ خبره دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول، من جارك؟ فيقول: زيد وأما الاسم المفرد مظهراً ومضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله عليه السلام ولا يعطي القلب نفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم فيه بنفي ولا إثبات إلى أن قال: وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ «هو» في نوع من الإلحاد وأنواع من الاتحاد وما يذكر عن بعض الشيوخ فيما قال أخاف أن أموت بين النفي والإثبات حال لا يقتدي فيها بصاحبها فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء فيه إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت إلا على مقصده ونواه، إذ الأعمال بالثنيات وقد ثبت أن النبي عليه السلام أمر بتلقين الميت لا إله إلا الله وقال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولو كان ما ذكره محظوراً لم يلقن الميت كلمة خافوا أن يموتون في أثناها موتاً غير محمود. بل كان ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

والذكر بالاسم المضمر أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلal الشيطان فإن من قال: «ياهو ياهو»، أو «هو هو» ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوّره قلبه والقلب قد يهتدى وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتاباً سماه «الهو». وزعم بعضهم أن قوله: «وما يعلم تأويله إلا الله» [آل عمران: ٧] معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو «الهو» وهذا مما اتفق المسلمين، بل العقلاً على أنه من أبين الباطل، فقد يظنه هذا من يظن من هؤلاء حتى قلت لبعض من قال شيئاً من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتّب الآية «وما يعلم تأويل «هو» منفصلة أي كتب «هو» منفصلة عن كلمة تأويل.

مثال من أوراد الذكر الصوفي

أخي القارئ: أسوق لك مثالاً واحداً لتتضخ لك الحقيقة وينكشف لك منهاج القوم. يقول ابن مшиش في صلاته المشهورة على الرسول ﷺ: «اللهم إله سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك.. وزوج بي في بحار الأحادية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجده ولا أحس بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه، سر حقيقي وحقيقة جامع عوالمي، بتحقيق الحق الأول... واجمع بيبي وبيبك، وحل بيبي وبين غيرك». [الحزب الكبير للسوقي]

سبحانك هذا بهتان عظيم، وهل هذا ذكر ودعا أم كذب وزور وافتراء. وفي هذا الدعاء المزعوم من الكفر والضلالة شيء عظيم لا يخفى على من عنده أي إمام بشيء من علوم الدين فقوله «زوج بي في بحار الأحادية وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة» تصريح واضح لعقيدة ابن مшиش ومن على شاكلته من أهل وحدة الوجود الذين يسمون التوحيد أوحالاً!! والعجيب بعد كل هذا أنهم إذا سئلوا من أين لكم بهذه الخرافات التي تسمونها أنكاراً؟ يقولون كما قال أبو الحسن الشاذلي عند ما سُئل عن شيخه الذي أخذ عنه العلم فقال: أما فيما مضى فكان سيدي عبد السلام بن مшиش، «وأما الآن فأستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية، أما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرايل والروح، وأما الأرضية فابو بكر وعمر وعثمان وعلى والنبي».

[انظر الفقر الصوفي/ الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق]
إنها خرافات وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان تشوّه جمال هذا الدين وتعكر صفوفه وبهاءه، وبهذه الصورة تنتشر العقائد الهدامة والمبادئ الفاسدة في صفوف الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالله رحمتك بنا.

الأذكار النبوية المباركة

تأمل أخي القارئ في نور الوحي وجلاله من خلال جمال الذكر النبوي: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربِّي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهديك ووعديك ما استطعت أعيذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت».

عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيها، ولك الحمد، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيها، ولك الحمد، أنت رب السموات والأرض ومن فيها، ولك الحمد، أنت الحق، ووعديك الحق، وقولك الحق، ولقاوئك حق، والجنة حق، والنار حق، والثوابون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك أمنت، وعليك توكلت، وإليك أنتبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخترت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوّة إلا بك». متفق عليه.

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع؛ إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء، ما فيه ذكر مفرد، ولا ضرب صدر بذقن ولا هزة الرأس إلى أخصص القدم، وما فيه التناوح بالرأس يمنة ويسرة، ولا نتع من سرة إلى قلب، ما فيه منشد ولا دف، ما فيه دائرة يقف في مركزها ثُتب يُرْقَسُ الذاكرين بتصديته إنما فيه قلب مؤمن ضارع، ملأه بحب الله خشية ورهبة وتقوى يتوجه إلى خالقه الأعظم، مالك الملك كله في إيمان صادق، وتوحيد خالص، فصلوات الله على محمد عبد الله ورسوله.

والله من وراء القصد، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

أَتَبْعِرُهَا
وَلَا تَبْتَدِعُوا

العبدة الصوفية

فِي مِيزَانِ الشَّرِيفِ

• الحلقة الثانية •

إعداد

معاوية محمد هبيكل

٢- قصرهم العبادة على المحبة:
فهم يبنون عبادتهم لله على جانب المحبة،
ويهملون الجوانب الأخرى، كجانب الخوف والرجاء،
كما قال بعضهم: أنا لا أعبد الله طمعاً في جنته ولا
خوفاً من ناره بل يعتقدون أن طلب الجنة والفرار
من النار منقصة عظيمة في حق العابد، وإنما الطلب
عندهم والرغبة لديهم - رعموا - في الفتنة في الله،
ويقولون: من عبد الله رغبة فتلك عبادة التجان، ومن
عبد رهبة فتلك عبادة العبيد، ومن عبد الله حباً
فتلك عبادة الأحرار.

قال الكلاباذي في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَآفَوَ اللَّهُمَّ» [التوبية: ١١١]. «التبعيد
بالرق لا بالطعم».

وهذا استدلل ساقط من وجوه أظهروا أنه قطع
الأية عن نهايتها التي تحضر زعمه، وهي قوله
تعالى: «بَيْنَ لَهُمُ الْجَنَّةَ» [التوبية: ١١١]. فالعوض هو
الجنة.

وقال أيضًا: «دخل جماعة على رابعة العدوية
من شركى فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما اعرف
لعلني سببًا غير أني عرضت على الجنة فملت بقلبي
إليها، فاحسنت أن مولاي غار علي، فعاتبني فله
العتبي». [العرف لذهب أهل التصوف]

وهذه العقيدة الصوفية مخالفة لكتاب الله وسنة
رسوله ﷺ، من وجوه:

١- فقد وصف الله حال الأنبياء وعبادتهم وانها
رغناً ورهبنا: «وَرَكِبَيَا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبُّ لَا تَنْدَنِي فَرِدًا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارثِينَ» (٨٩) فاستجابت لها ووهبت لها
يتحبى وأصحتها الله زوجة إبْرَاهِيمَ كائِنًا يُسَارِعُونَ في
الخُيُورَاتِ وَيَدْعُوْنَهَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَائِنًا لَنَا
خَائِسِينَ» [الأنبياء: ٨٩-٩٠]. والأنبياء أكمل الناس
إيماناً.

٢- وصف الله عباده المخلصين بقوله: «إِنَّمَا
يُؤْمِنُ بِأَيَّاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُكَرُوا بِهَا حَرُوا سُجَّداً
وَسَبَحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يُسْتَهْرِرُونَ» (١٥) تتحافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم حقوًّا وطيقًّا
ومِمَّا رزقناهم يُنْفِقُونَ» (١٦) فلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى
لَهُمْ مِنْ قُرْةِ أَعْيُنٍ جَرَاءٌ بِمَا كَائِنُوا يَعْمَلُونَ»
[السجدة: ١٥-١٧].

فهؤلاء الذين ورثوا الفردوس الأعلى وصف الله
عبادتهم بأنها خوف من عذابه وطبع في جنته.

٣- الخوف من النار والطمع في الجنة مطلب
شعري ندنس حوله رسول الله ﷺ وأصحابه، فقد قال
رجل لرسول الله ﷺ: والله إني لا أحسن ندنسك ولا
تدنس معاذ، وإنما أقول: اللهم إني أسالك الجنة،
وأعوذ بك من النار، فقال له ﷺ: «حولها ندنس».

فهل يتصور المصوفة أنهم أكمل من رسول الله
ﷺ و أصحابه الكرام؟

ولا شك أن محبة الله تعالى هي الأساس الذي تبني عليه العبادة، ولكن العبادة ليست مقصورة على المحبة كما يزعمون، بل لها جوانب وأنواع كثيرة غير المحبة، كالخوف والرجاء والنذل والخضوع والدعاء إلى غير ذلك، فهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. ويقول العلامة ابن القيم:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عباده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائرة

ما دار حتى قامت القطبان

ولهذا يقول بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجي ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (الخوارج) ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

وقد وصف الله رسله وأنبياءه بأنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وأنهم يرجون رحمته ويختلفون عذابه، وأنهم يدعون ربهم رغباً ورهباً. كما سبق بياته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا قد وجد في نوع من المتأخررين من انبساط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبروية.

وقال أيضًا: وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعًا من الجهل بالدين إما من تتعدي حدود الله، وإما من تضييع حقوق الله، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها. [العبوية / شيخ الإسلام]

وقال أيضًا: والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والغرام كان هذا أصل مقصوبهم، ولهذا أنزل الله آية المحبة امتحاناً يمتحن بها المحب، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ كُثُرَنَا ثُجُّونَ اللَّهَ فَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٣١].

فلا يكون محباً لله إلا من اتبع رسوله، وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبروية، وكثير من يدعى المحبة يخرج عن شريعته وستنه ﷺ، ويدعى من الخيالات ما لا يتسع لها الوضع لذكره، حتى يظن أحدهم سقوط الأمر، وتحليل الحرام له، وقال أيضًا: وكثير من الضالين الذين اتبعوا أشياء مبتعدة من الرزد والعبادة على غير علم ولا نور من الكتاب والسنة وقعوا فيما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك أهـ.

٣- الصوفية في الغالب لا يرجعون في دينهم وعبادتهم إلى الكتاب والسنة والاقتداء بالنبي ﷺ :

وإنما يرجعون إلى آذواقهم وما يرسمه لهم شيوخهم من الطرق، والأنوار والأوراد المبتعدة وربما يستدللون بالحكايات والمنامات والأحاديث الم موضوعة لتصحيح ما هم عليه بدلاً من الاستدلال بالكتاب والسنة، هذا ما يبني عليه دين الصوفية.

ومن المعلوم أن العبادة لا تكون عبادة صحيحة إلا إذا كانت مبنية على ما جاء في الكتاب والسنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ويتمسكون - يعني: الصوفية - في الدين الذي يقتربون به إلى ربهم بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن معصوماً، فيجعلون متبعو عيدهم وشيوخهم شارعين لهم بيتاً، كما جعل النصارى رهبانهم شارعين لهم بيتاً. انتهى.

ولما كان هذا مصدرهم الذي يرجعون إليه في دينهم وعبادتهم، وقد تركوا الرجوع إلى الكتاب والسنة، صاروا أحزاباً متفرقين، كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَإِنْتَعِدُوهُ وَلَا تَنْتَعِدُوا السُّبُّلَ فَتَفَرَّقُوكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

٤٠ **الخروف من النار**
والطمع في الجنة مطلب
شرعى، فقد وصف الله
رسله وأنبياءه بأنهم
يدعونه خوفاً وطمعاً
 وأنهم يرجون رحمته
ويختلفون عذابه.

٥٠ **صراط الله واحد لا**
القسام فيه، وما عداه
سبيل متفرقة تفرق بين
سلكها وتبعد عن
الصراط المستقيم.

٦٠ **ليست الولاية وقفًا**
على من سماهم الصوفية
وانما كل من كان مؤمناً
تقىً صار لله ولية، كما
أشار إلى ذلك القرآن.

٧٠ **إنشاد الغناء أو سماعه**
وضرب الدفوف يورث
صاحبها سكرًا أعظم من
سكر الخمر، ويفسد الناس
عن الصلاة، ويقطع بهم
العداوة والبغضاء.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنّة، فيوافق ذلك الشخص ويختلف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، ... إلى أن قال: وهو لء مشابهون للنصارى الذين قال الله فيهم: «أَنْهَوُا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمُسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَصْرَوْا إِلَيْنَا لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَشْرَكُونَ» [التوبه: ٢١].

وفي (المسند) عن عدي بن حاتم في تفسير هذه الآية، لما سأله النبي ﷺ عنها فقال: ما عبودهم، فقال النبي ﷺ: «كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» إلى أن قال: وتجد كثيراً من هؤلاء في اعتقادهم في الولي أنه قد صار عنده مكافحة في بعض الأمور وبعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحياناً أو يملاً إبريقاً من الهواء، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق منهم، أو بحال غائب لهم، أو مرريض أو نحو ذلك، وليس في هذه الأمور مما يدل على أن أصحابها ولـيـللـهـ.

بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشي على الماء لم يفتر به حتى ينظر متابعته للرسول ﷺ ومواقفه لأمره ونهيه.

وكرامات أولياء الله اعظم من هذه الأمور. وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان صاحبها قد يكون ولـيـللـهـ، فقد يكون عدواً لله؛ فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمرتدين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يُظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولـيـللـهـ.

بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة. مثال ذلك أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلح الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابساً للنجاسات، ولا يظهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف، إلى أن قال:- فإذا كان الشخص ملابساً

فصارط الله واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه، وما عداه فهي سبل متفرقة تتفرق بين سلتها، وتبعده عن صراط الله المستقيم، وهذا ينطبق على فرق الصوفية، فإن كل فرقة لها طريقة خاصة تختلف عن طريقة الفرق الأخرى، وتبتعد بهم عن الصراط المستقيم، وهذا الشيخ الذي يسمونه شيخ الطريقة يكون له مطلق التصرف، وهو ينفذون ما يقول ولا يعترضون عليه بشيء، حتى قالوا: المريد مع شيخه يكون كالميت مع غاسله. وقد يدعى بعض هؤلاء الشيوخ أنه يلتقي من الله مباشرة ما يأمر به مريديه وأتباعه.

٤- غلو التصوفة في الأولياء والشيوخ:

وهذا خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة فإن عقيدة أهل السنة والجماعة موالة أولياء الله ومعاداة أعدائه قال تعالى: «إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آتَيْنَا إِيمَانَ الصَّلَاةَ وَبِئْرَوْتُونَ الرُّزْكَةَ وَهُمْ رَاكِفُونَ» [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: «إِنَّمَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَأَنَّهُمْ لَا تَنْجِنُونَ عَنْهُمْ وَعَذَّبُوكُمْ أُولَئِكَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْتِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُكُمْ مِنَ الْحَقِّ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِمْ وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ حَمَادًا فِي سَبِيلِي وَإِنْتَعَاهُ مَرْضَاتِي شَرَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْتِ وَإِنَّا أَغْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ» [المتحدة: ١].

وأولياء الله: هم المؤمنون المتقوون الذين يقيمون الصلاة وبيتون الزكوة وهم راكعون، و يجب علينا محبتهم والاقتداء بهم واحترامهم، وليس الولاية وقفاً على أشخاص معينين، فكل مؤمن تقى فهو ولـيـللـهـ عز وجلـهـ، وليس معصوماً من الخطأ، عدا الأنبياء فهم المعصومون هذا معنى الولاية والأولياء، وما يجب في حقهم عند أهل السنة والجماعة، أما الأولياء عند الصوفية فلهم اعتبارات ومواصفات أخرى فهم يمنحون الولاية لأشخاص معينين من غير دليل من الشرع على ولايتهم وربما منحوا الولاية لمن لم يُعرف بآياته ولا نقوي، بل قد يُعرف بقصد ذلك من الشعوذة والسحر واستحلال المحرمات وربما فضلوا من يدعون لهم الولاية على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما يقول أحدهم:

مقام النبوة في برزخ
فويق الرسول ودون الولي
ويقولون: إن الأولياء يأخذون من المعدن
الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى
الرسول ويدعون لهم العصمة.

للنجسات والخبائث التي يحبها الشيطان أو يأوي إلى الأماكن التي تحضرها الشياطين أو يأكل الحيات والعقارب أو يدعون غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه، ولا يخلص الدين لرب العالمين أو يأوي إلى المقابر ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى والمرشكين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغانى والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان، لا علامات أولياء الرحمن.

[مجمع الفتاوى (٢١٠-٢١٦)]

أصحابه سكرًا أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة بلا تبيين، كما يجد شارب الخمر، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدّهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدّهم الخمر، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر!!

وقال أيضًا: وأما الرقص فلم يامر الله به ولا رسوله ولا أحد من الأنمة، بل قد قال الله في كتابته:

﴿وَاقْصِدْ فِي مُتْسِكٍ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾
[العنان: ١٦]، وقال في كتابه:
﴿وَعَبَادَ الرَّحْمَنَ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا﴾ [الفرقان: ٦٣]. أي: بسکينة ووقار، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود.

بل الدف والرقص لم يأمر الله به، ولا رسوله، ولا أحد من سلف الأمة، قال: وأما قول القائل: هذه شبكة يصاد بها العوام، فقد صدق، فإن أكثرهم إنما يتخفون ذلك شبكة لأجل الطعام والتواتش على الطعام، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنْ كَثُرُوا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَتَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَنْهَا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبه: ٣٤].

ومن فعل هذا فهو من أنمة الضلال الذين قيل في رؤوسهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَائِنَّا وَكَحْرَاعَنَّا فَأَضْلَلْنَا السَّبِيلَ﴾ رَبَّنَا آتَهُمْ ضَيْقَفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَيْرًا﴾ [الاحزاب: ٦٨، ٦٧].

واما الصادقون منهم فهم يتخفون شبكة لكن هي شبكة مخرقة يخرج منها الصيد إذا دخل فيها، كما هو الواقع كثيراً فإن الذين دخلوا في السمع المبتدع في الطريق ولم يكن معهم أصل شرعه الله ورسوله، أورثهم أحوالاً فاسدة. انتهي كلامه.

فهؤلاء الصوفية الذين يتقربون إلى الله بالغناء والرقص يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّحَذُوا بَيْنَهُمْ لَهُوا وَلَعِيَا﴾ [الاعراف: ٥١].
والله من وراء القصد. والحمد لله رب العالمين

ولم يقف الصوفية عند هذا الحد من منح الولاية لأمثال هؤلاء بل غلوّا فيهم حتى جعلوا فيهم شيئاً من صفات الربوبية، وأنهم يتصرفون في الكون، ويعلمون الغيب، ويجيبون من استغاث بهم بطلب مالا يقدر عليه إلا الله ويسمونهم الأغوات والأقطاب والأوتاد يهتفون باسمائهم في الشدائدين، وهم أموات أو غائبون ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفریج الكربات، وأضفوا عليهم حالة من التقديس في حياتهم وعبدوه من دون الله بعد وفاتهم فبنوا على قبورهم الأضرحة وتبركوا بتربتهم، وطافوا بقبورهم، وتقربوا إليهم بتنوع النذور، وهتفوا باسمائهم في طلباتهم، هذا منهج الصوفية في الولاية والأولياء!!

٥- تقريرهم إلى الله بالغناء والرقص وضرب الدفوف والتصفيف؛

من بين الصوفية الباطل تقربهم إلى الله بالغناء والرقص وضرب الدفوف والتصفيف ويعتبرون هذا عبادة لله.

قال الدكتور صابر طعيمة في كتابه (الصوفية معتقداً ومسلكاً): أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الاحتفال بموالد بعض كبارائهم أن يجتمع الأتباع لسماع النوتة الموسيقية التي يكون صوتها أحياناً أكثر من مائتي عازف من الرجال والنساء، وكبار الأتباع يجلسون في هذه المناسبات يتناولون الواوا من شرب الدخان، وكبار أئمة القوم وأتباعهم يقومون بمدارسة بعض الخرافات التي تنسب لمقبرتهم، وقد انتهى إلى علمنا من المطالعات أن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية الحديثة مستمد مما يسمى (كورال صلوات الأحداد المسيحية)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً وقت حدوث هذا، و موقف الأنمة منه، أعلم أنه لم يكن

البعوا

ولا

تبتدعوا

الشريعة والحقيقة

مخبرها وجوهرها فلا يعب

على العصاة منهم المخالفين لظاهر الشريعة، وقد أثند واحد منهم قائلاً:

إن كنت في عالم الشريعة عاصيًا

فأنا في عالم الحقيقة طائع

وأحياناً يعبر عن هذه القضية باسم «الظاهر والباطن» ويعتقدون أن للقرآن ظاهراً وباطناً كما هو معروف في تفسير ابن عربي النكرة، «التفسير الباطني للقرآن الكريم».

ويعنون بالظاهر: الإسلام المتمثل في نصوص الوحي، ويعانون بالباطن: التصوف الذي يتفلت من أي قاعدة أو قانون وإنما ينطلق حسب قاعدة باطن كل متتصوف، وحسبما يحس به من المواجه، وأحياناً يقول: حدثني قلبي عن ربنا وكذا أو أنه يعصي باسم اطلاعه على اللوح المحفوظ فيقول جهله الصوفية -يسوغون فجورهم ومرورهم من الشريعة: إننا متحققون لا متشرعون.

وقولهم: إننا سابحون في بحار الشطحات، ثملون بخمرة الغيبة، ومن كان هذا شأنه لا يسأل عن صلاة ولا صوم لأن التكليف رفع عنه.

[التصوف في الميزان / د. مصطفى غلوش ١٥٢ - ١٥٣ بتصريف]

أهداف خبيئة

والذي لا شك فيه أن للقوم من وراء وضع هذا الأصل أهدافاً يهدفون إليها ويريدون تحقيقها والوصول إليها، وهي تتلخص في النقاط الآتية:

١- تحويل أمة الإسلام إلى أمة سلبية، لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، تعيش على التزهد والاتكال حتى تبید وتتفنى، وهذا الهدف الرئيسي الذي من أجله وضع التصوف، وشارك في وضعه ونشره الدعوة إليه أكبر خصوم الإسلام وأعدائه من زنادقة اليهود وساعدتهم على ذلك أغوار المسلمين وجهالهم مع شديد الأسف.

٢- استباحة المحرمات وغشيان كبار الإثم والفواحش وبخاصة المشائخ من رؤساء الطرق تسترًا تحت شعار قولهم: الحقيقة غير الشريعة، إذ يجوز لصاحب الحقيقة ما لا يجوز لصاحب الشريعة في حكمهم وما تقتضيه أصولهم.

٣- صرف المسلمين عن العلوم الشرعية وترزهيدهم فيها، وشغلهم بما يسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية، ويدل على صحة هذا قول الجنيد، وهو إمام المتتصوفة في زمانه: أحب للمبتدئ -المريد- أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاثة ولا تغير حاله:

الحمد لله والصلاه

والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من الأصول المبتدعة عند الصوفية تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة، والعلم إلى ظاهر وباطن، ويزعمون كذلك أن الشريعة في الحقيقة ما هي إلا قشر وأن الحقيقة منتهى الكمال والرقى في سلم التعبد وسيط الوصول إلى العلم اللدني والكشف الرباني والفيض الرحمنى فهم يعتقدون أن رسول الله ﷺ بلغ الظاهر لجميع المسلمين بينما الباطن قد خص به أناساً معينين.

وحقيقة هذا الأمر- كما تزعم الصوفية على لسان ابن عجيبة يقول: «وأما واضح هذا العلم يعني الصوفية فهو النبي ﷺ، علمه الله بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقرر، نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها بعضًا دون بعض، وأول من تكلم فيه، وأظهره سيدنا علي -كرم الله وجهه-

وأخذه عنه الحسن البصري». [إيقاظ الهمم- لابن عجيبة]

وإنها لفريدة جائزة الإفك وكذب متعفف على رسول الله ﷺ، واتهام له بجريمة ملعونة، جريمة كتمان العلم، وأي علم؟ إنه علم الحقيقة في دين الصوفية!؟

أفيكتم الرسول الحق وعلمه ودلائله وقد توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله: «من كتم علمًا عن أهله، أليم يوم القيمة لجامًا من نار».

[صحيح الجامع: ٦٥١٧]

ثم وراء هذا البهتان إتهام صريح لأبي بكر وعمر وعثمان، ومعهم خيار الصحابة من السابقين، بأنهم كانوا على ضلاله وجهالة، وكذلك محاولة تجريد الجماعة المسلمة من خيار سلفها وخيار خلفها من صفة الإيمان الحق، وحسب الصوفية أن تبوء هي وحدها بما تبهت به الصديقين والشهداء.

[هذه هي الصوفية من ٣٣]

من لم يعرف الحقيقة عند الصوفية فهو زنديق !!

لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل بلغ السيل الزبى ووصل البلاء مداه فقد ذهب الصوفية إلى أنه من لم يعرف الحقيقة فهو زنديق فقالوا: «في الحكم» من شرّع ولم يتحقق فقد تزندق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تفسق. وبما أن الشريعة تخالف الحقيقة في

عن الصوفية

إعداد

مزاولة معلم هيلك

الكسب، وطلب الحديث،

وأحب أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهم.اهـ.

فما معنى لا يقرأ ولا يكتب؟

أنه لا يتعلم، فإذا لم يتعلم فكيف يعبد الله تعالى
عبادة تزكي نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى، كأنهم
يقولون إن المريد ليس في حاجة إلى العلم ولا إلى
ال العبادة، إنما يكتفي بالذكر والأوراد يلازمها حتى
يصبح من أهل الكشف والعلم الدلني، وبذلك
يسْ تغنى بعلم الباطن عن العلم الظاهر، وبعلم
الحقيقة عن الشريعة. [إلى التصوف يا عبد الله: ص ٣٢ - ٣٣]

هل في قصة الخضر مع موسى مستند للصوفية على باطلهم؟
إن فهم السلف لنصوص الكتاب والسنّة هو
الميزان الذي يفرق بين الحق والباطل وهو العاصم
من الفتن وهو طريق النجاة في الدنيا والآخرة، وقد
خالف الصوفية هذا الأصل وبنوا على قصة موسى
والخضر قاعدة الشريعة والحقيقة المزعومة وما
أوقعهم في ذلك إلا فهمهم الفاسد للنصوص فهل في
القصة مستند للقوم على باطلهم.

أخرج البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيباً
في بني إسرائيل، فسُئلَ: أي الناس أعلم؟ قال: أنا
أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى
إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين وهو أعلم منك، قال
موسى: أي رب؟ وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً
فتجعله بمكثل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ
حوته فجعله بمكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه
يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتي الصخرة
وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكثل
فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيلاً في البحر
سريراً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه
مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره
بالحوت فانطلاقاً بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان
من الغدا قال موسى لفتاه: أَتَيْنَا غَدَاعَنَا لَقْدَ لَقِينَا
مِنْ سَقْرَنَا هَذَا نَصْبَنَا، ولم يجد موسى النصب
حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، قال له فتاه:
أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيَتُ الْحُوتَ
وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي
الْبَحْرِ عَجَبًا، قال: فكان للحوت سريراً ولم يلوسِي
فتاه عجباً، فقال: ذَلِكَ مَا كُنَّا تَنَعِّمُ فَارْتَدَّا عَلَى
أَثَارِهِمَا قَصْنَصَا، قال: فرجعاً يقتسان آخرهما حتى
انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم
عليه موسى، فقال الخضر: وَأَنِّي بارضي السلام؟

ليس في القصة خروج عن الشريعة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن قصة الخضر
مع موسى عليه السلام، ليس فيها خروج عن
الشريعة وإن أمثل هذه القصة تقع كثيراً للمؤمنين
كان يختص أحد شخصين بعلم سبب بيبخ له ذلك
والآخر لا يعلم ذلك السبب وإن كان أفضلاً منه.

وضرب لذلك شخصين دخلاً بيضاً لشخص ثالث،
وكان أحد الشخصين يعلم طيب نفس صاحب البيت
بالتصرف فيه، إما بإذن لفظي له أو بغير ذلك،
والآخر لا يعلم ذلك، فال الأول إن تصرف في البيت فقد
أتى مباحاً في الشريعة، والآخر لا يتصرف فيه بهذا
السبب أبداً حتى لا يأتي ممحظواً في الشريعة، فخرق
السفينة وقتل الغلام وغيره كان من هذا الباب.

[مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١ ص ٤٢٦) بتصرف]

ويزيد شيخ الإسلام الأمور وضوحاً فيقول: فلحفظ
الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنّة لم يكن
لأحدٍ من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن

واطمأن، إذ كانت الشرائع

تتعدد بتنوع الرسل، ولم تجتمع الشرائع إلا في شريعة الإسلام حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع التي جاءت بها الرسل قبل النبي خاتم الأنبياء محمد ﷺ وبذلك بطل العمل بغير شريعة الإسلام التي ظاهرها هو باطنها وباطنها هو ظاهرها، شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة.

وببناء على هذا فإنه لا حجة لهم على تقسيم

العلم إلى ظاهر وباطن، والدين الإسلامي إلى شريعة

وحقيقة. [إلى التصوف يا عباد الله ص ٣٤، ٣٣]

ضلال من زعم الاستغناء عن الوحيين بما يجده في قوله

وبما يملئه عليه هواه

قال القرطبي رحمة الله في تفسيره ما نصه: قال شيخنا أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامّة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم.

وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكاذار، وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيتفقون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجنائز فيستغفرون بها عن أحكام الشريعة الكلية، كما اتفق للخمر؛ فإنه استغنى بما تجلى به من العلوم مما كان عند موسى من تلك الفهوم وقد جاء فيما ينقلون «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون».

قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب لأنّه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أحري سنته، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسّله السفراء بينه وبين خلقه، وهو المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعة وأحكامه، اختارهم لذلك وخصّهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْنَعُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [الملاكية: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى الجملة، فقد حصل العلم القطعي واليقين

ظن أن لأحد من أولياء

الله طریقاً إلى الله غير متابعة

محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا فلم يتبعه باطنًا

وظاهرًا فهو كافر، ومن احتج في ذلك بقصة موسى

مع الخضر كان غالطاً من وجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر

ولا كان على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثاً

إلى بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة إلى

جميع الثقلين الجن والأنس، ولو أدركه من هو أفضل

من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجبريل عليهم

اتباعه فكيف بالخضر، سواء كان نبياً أو وليناً؟

ولهذا قال الخضر لموسى: «أنا على علم من علم

الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله

علمك الله لا أعلمك». وليس لأحد من الثقلين الذين

بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفًا

لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم

الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على

ذلك، فإن خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها

خوفاً من الفضال أن يأخذها إحساناً إليهم وذلك

جائزاً، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيراً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري

لما سأله عن قتل الغلام قال له: «إن كنت علمت منهم

ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلوهم وإلا فلا

قتلتهم». [البخاري]

واما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على

الجوع فهذا من صالح الأعمال فلم يكن في ذلك شيء

مخالفٌ شرع الله. [الفرقان: ٦٩ تبيبة]

فكيف يحتاجون على هذا الباطل بخرق الخضر

عليه السلام للسفينة، وقتله الغلام الزكي، وإقامته

لجدار اليتيمين، وإنكار موسى عليه، ويقولون: إن

موسى كان من أهل الظاهر، فأنكر، والخضر من أهل

الباطن، فاقر، وما دروا أن الخضر فعل ما فعل بأمر

الله ووحيه إليه حسب شريعته التي تعده الله

تعالى بها وأن موسى أنكر لأن ما فعله الخضر لا

يجوز في شريعة موسى التي تعبد الله تعالى بها

كما علمت.

ولهذا لما قال له الخضر: إني على علم مما علمني

الله، وأنت على علم مما علمك الله، فسكت موسى

الضروري، واجتماع السلف

والخلف على أنه لا طريق لمعرفة الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل حيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ص، الذي جعله الله خاتم الأنبياء ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول.

وببيان ذلك: أن من قال: يأخذ عن قلبه، وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصية النبوة، فإن هذا نحو ما قاله ص: «إن روح القدس نفث في روعي...». أهـ من «تفسير القرطبي».

وبذلك تعلم أن ما يدعوه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولا شيخهم طريقاً باطننة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زنقة وذرية إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق فيه أمور باطننة تخالف ظاهره. [أضواء البيان: ج٤، ص١٥]

لأتقدموا بين يدي الله ورسوله

لقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ص، فأولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة، وهو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل، من خالف في هذا فهو ليس من أولياء الله سبحانه الذي أمر الله باتباعهم بل إنما أن يكون كافراً وإما أن يكون مُقرطاً في الجهل، وهذا كثير في كلام أهل العلم.

كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة.

وقال أبو عمر بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب فهو باطل.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولًا فعلاً نطق بالحكم، ومن أمر الهوى على نفسه قولًا فعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» [النور: ٥٤].

وفقنا الله وإياكم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة. والله من وراء القصد.

يجوز تبعيّض دين الله، قال تعالى: «أَفَتُؤْمِنُونَ

يَنْعَضُ الْكِتَابَ وَتَخْرُجُونَ

**يَنْعَضُ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا
خَرْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** [البقرة: ٨٥].

وقد صح الخبر أن النبي ص لما وجد في يد عمر بن الخطاب صحيحة من التوراة غضب، وقال: «أهذا وأنا حي بين أظهركم، لقد جئتكم بها بيساء نقية والله لو كان موسى حيًا لما حل له إلا أن يتبعني» ككيف بالخضر وبمن هو دونه من الأولياء؟ فإن من ادعى - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - (أو ادعى له أصحابه) أنه ولـي لله وأنه مخاطب يجب على اتباعه أن يقبلوا كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه وهو أمير المؤمنين وكان الناس ينزاعونه فيما يقوله وهم جمیعاً على الكتاب والسنة.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ص، فأولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة، وهو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل، من خالف في هذا فهو ليس من أولياء الله سبحانه الذي أمر الله باتباعهم بل إنما أن يكون كافراً وإما أن يكون مُقرطاً في الجهل، وهذا كثير في كلام أهل العلم.

كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة.

وقال أبو عمر بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب فهو باطل.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولًا فعلاً نطق بالحكم، ومن أمر الهوى على نفسه قولًا فعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» [النور: ٥٤].

وفقنا الله وإياكم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة. والله من وراء القصد.

سورة العنكبوت

هذا الوقت مالكي أيضًا من بنى خالد القباطي بناحية البصرة، واسمه سيد محمد بن عبد الكريم البصراوي، ومن الوكيل يتكلم الغوث ولذلك يسمى وكيلًا، لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان.

قال: والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، والصفوف الستة من وراء الوكيل، وتكون دائرتها من القطب الرابع الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة، فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة، وهذا هو الصف الأول وخالطه الصف الثاني على صفتة وعلى دائرتها وهكذا الثالث إلى أن يكون السادس آخرها.

قال: ويحضره النساء وعدهن قليل وصفوفهن ثلاثة وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الأول فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة. قال رضي الله عنه: ويحضره بعض الكلم من الأموات، ويكونون في الصفوف مع الأحياء.

ثم زعم أن النبي ﷺ يحضر الديوان؛ فإذا حضر جلس في موضع الغوث، وجلس الغوث في موضع الوكيل. ثم ادعى أن ساعة انعقاد الديوان هي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ لأنها ساعة استجابة. ثم استمر في هرائه وضلاله مبيناً لغة أهل الديوان وأنها السريانية.

ثم يقول: قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره، فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يجب اختلافهم، فيقع منهم التصرف الواجب، لأن يقتل بعضهم بعضاً. وأما إذا حضر الغوث فلا يقدر أحد أن يحرك شفته السفلية بالمخالفة فضلاً عن النطق بها، فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان فضلاً عن شيء آخر.

ثم يبين سبب اجتماع أهل الديوان: «إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون في ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله عزوجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه.

قال رضي الله عنه: ولهم التصرف في العوالم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن المتبع لتاريخ النشأة وحقيقة الصلة بين الشيعة والصوفية؛ يجد أنهما ينبعان من مصدر واحد، ويلتقيان في نهاية المطاف نحو هدف واحد؛ وهو تشويه حقائق الدين ونشر العقائد الهدامة والمناهج الفاسدة في صفوف الأمة.

إن الخبر بحقيقة التصوف والتسيع يرى أنهم وجهان لعملة واحدة، فهما يشتراكان في تصورات وعقائد فاسدة متشابهة، من ذلك:

١- تقديس الأنمة والأولياء:

القى الشيعة على أنتمهم هالة التقديس حيث نسبوا إليهم منزلة فوق منزلة الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، كما قال الخميني إمام الضلال في كتابه «الحكومة الإسلامية»: «من ضروريات مذهبنا أن لا نؤمن مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولانبي مرسلاً». بل أعطاهم صفات رب العالمين: «وإنهم يتحكمون في ذرات هذا الكون».

وهذه الصفات أطلقها الصوفيون على من سموهم «الأولياء» فقد جعلوهم المتصرفين في الكون أعلى وأشرفه ويعلمون الغيب كله، ولذلك اخترعوا ديواناً للأقطاب والأوتاد والأبدال ليدير شئون الكون من خلال قراراته، يقول أحمد بن مبارك السلمجامي المغربي في وصف الديوان الباطني الصوفي: «سمعت الشیخ (هو عبد العزيز الدباغ الذي يدعى علم الأولین والآخرين) رضي الله عنه يقول: الديوان يكون بغار حراء الذي كان يتحنى فيه الرسول ﷺ قبلبعثة».

قال رضي الله عنه: فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى واربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب، ومن المذاهب الأخرى، والوكيل أمامه، ويسمى قاضي الديوان، وهو في

التصوف والتشيع

احمد
شیعیان

اشار إلى ذلك ابن سينا في

كتاب «الإشارات» في فصول التصوف

منها وهو بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم، فانظر كيف سرقت طباع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة، ودانوا به، ثم قالوا: بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قال الشيعة في النقباء حتى إنهم لما أستدروا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلًا لطريقتهم ونحلتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضًا وإنما فعلى رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بنحلة أو طريقة في لباس ولا مال بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهمما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثراهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنده في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك سيرهم وأخبارهم.

(مقدمة ابن خلدون: ص ٤٧٣)

وهكذا يقرر ابن خلدون تطابق التصوف مع التشيع في القول بالعلم الباطن ومراتب الولاية والقول بالحلول والاتحاد.

٣- الصوفية والشيعة في خندق واحد مع أعداء الإسلام:

لم تقتصر الصلة بين التصوف والتشيع على الأقوال بعد تعدد إلى الأفعال حيث عملا مشتركين على هدم الدولة الإسلامية السنوية، وتعاونا مخلصين مع أعدائها.

لقد أنهكت الحركة الباطنية الدولة الإسلامية زمن بنى العباس واقتسموا ولاليتها، ونشروا الزندقة والإلحاد حتى جاء صلاح الدين فواد المجنوسية وأعاد لل المسلمين دولتهم السنوية وتوجهت همتهم إلى تطهير البلاد من الصليبيين، ولكن الروافض بقوا يحرفون الأخاريد حتى استطاعوا الخواجة النصیر الطوسي مع ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد من توجيه جيوش التتر إلى بغداد عاصمة الخلافة فخر ببلاد الإسلام وقت من المسلمين ما لا يحصيه إلا رب الأنام.

كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم الرقا - وهو ما فوق الحجب السبعين - فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطركم وما تهمس به ضمائرهم، فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضي الله عنهم أجمعين، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العالم. (البربر ١٦٣ ص ١٦٩)

إن هذا بيت القصيدة الذي يزيد، فماذا أبقى هؤلاء - الذين كدبوا على ربهم - لربهم يتصرف فيه ويدير أمره؟ إلا لله الخلق والأمر، سبحانه وتعالى عما يفترى عليهم الخراصون. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا ذنبنا.

٤- تقدير القبور؛ تقديس القبور وزيارة المشاهد ركن من أركان المعتقد الشيعي، فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور، وجعلوه شعراهم.

(رسائل إخوان الصفا: ٤/١١٩)
وجاء الصوفية وجعلوا أهم شعائرهم زيارة القبور وبناء الأضرحة والطوف بها والتبرك بأحجارها والاستغاثة بأصحابها، ولذلك زعموا أن قبر معروف الكرخي وهو أحد كبرائهم هو الترياق المجرب. (طبقات الصوفية / السلمي ص ٨٥)

وهذه الصلة بين التصوف والتشيع أمر أقرب به المؤرخون كابن خلدون فقال: «ثم إن هؤلاء المتأخرن من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملأوا الصحف منه مثل الhero في كتاب «المقامات» له وغيره وتبعهم ابن عربي، وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائييلي في قصائد़هم، وكان سلفهم مخالفين للإسماعيلية المتأخرة من الرافضة الدائنين أيضًا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبًا لم يعرف لأولئم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واحتلطاً كلامهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعنى رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقضيه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد

وقال ابن قيم الجوزية: «وكان هؤلاء زنادقة يستترون بالرفض، ويبطئون الإلحاد المحن، ويقتبسون إلى أهل بيته رسول الله ﷺ وهو وأهل بيته براء منهم نسبياً ودينياً، وكانوا يقتلون أهل العلم والإيمان، ويدعون أهل الإلحاد والشرك والكفران، لا يحرمون حراماً، ولا يحلون حلاً، وفي زمんهم لخواصهم وضعفت رسائل إخوان الصفا».

ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة، النصير الطوسي ووزير هولاكو شفأ نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف حتى شفأ إخوانه الملاحدة، واشتفي هو، فقتل الخليفة والقضاة والمحاذين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبايعين والسحرة، ونصر في كتبه قدم العالم، وبطلان المعاد، وأنكر صفات رب جل جلاله، من علمه وقدرته، وحياته، وسمعه وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وليس فوق العرش إله يعبد البتة.

واتخذ للملاحدة مدارس وحاول جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام، وحاول تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر حياته، فكان ساحراً يعبد الأصنام، وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر». [إغاثة اللهفان: ٢٦١/٢ - ٢٦٧]

هذه الفعال القبيحة يشيد بها إمام الضالة الخميني فيقول: «ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله من قدمو خدمات جليلة للإسلام».

«الحكومة الإسلامية ص: ١٢٨»

وأما المتصرف فأكثرهم يسير في ركب الظلمة والمستعمرين، لأنهم تربوا على ذلك كما قال الشعراوي: «أخذ علينا العهد بأن نامر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف داروا، ولا يزدرون فقط من رفعه الله عليهم، ولو في أمور الدنيا وولايتها».

«البحر المورود: ٢٩٢»

قال الدكتور فروخ: يقول الصوفية: إذا سلط

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فملاحدة الإماماعالية والنصرية وغيرهم من الباطنية المذاقين من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستولوا على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، وسفكوا الدم الحرام وجرى على الأمة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا، ما لا يعلمه إلا رب العالمين».

«منهج السنة: ١٠/١ - ١١»

وقال: «وهذا حال أهل البدع المخالفة لكتاب والسنة، فإنهم إن يتبعون إلا لظن وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم، لا سيما الرافضة فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً، يعاونون خيار أولياء الله تعالى بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويتوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين، كالنصرية والإماماعالية وغيرهم من الضالين، فتجدهم أو كثيراً منهم، إذا أخذهم خصومان في ربهم من المؤمنين والكافار، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، سواء كان الاختلاف يقود أو علم كالحروب التي بين المسلمين والمشركين، تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن».

كما قد جربه الناس غير مرة في إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائتين الرابعة والرابعة، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنان كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين، ومعونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير، حتى جعلهم الناس لهم كالحمير». [منهج السنة: ٢١ - ٢٠/١]

أقدام فرننسا في الجزائر وبعض الآقطار الأفريقية، ففي سنة ١٨٧٠ م استطاعت امرأة فرنسية تسمى «أوريلى بيكار» أن تخترق الزاوية التيجانية وتتزوج من شيخها سيد أحمد، ولما هلك تزوجت أخاه سيدى علي، فأصبحت هذه المرأة مقدسة عند التيجانين وأطلقوا عليها لقب زوجة السيدين» وكانوا يتيممون بالتراب الذي تطأه، وقد استطاعت إدارة الزاوية التيجانية كما تحب فرننسا وكانت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة، ولذلك انعمت عليها فرننسا بوسام الشرف. *(مخازي الولي الشيطاني ص ١٢)*

وساعد التيجانيون الجيوش الفرنسية حتى إن الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجانى مؤسس الطريقة قال في خطاب أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة «عين ماضى» المركز الرئيسي للطريقة التيجانية بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٠هـ: إن من الواجب علينا إعانته حبوبة قلوبنا فرننسا مادياً ومعنوياً وسياسياً، ولهذا فإني أقول: لا على سبيل المزا والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف والقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا شيئاً في انضمامهم إلى فرننسا قبل أن تصل إلى بلادنا، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا».

(مخازي الولي الشيطاني ص ١٢)

وبعد، فهذا غيض من فيض عقائد القوم، فهل يعتبر المنتمنون إلى بعض التيارات الإسلامية المعاصرة والذين لا يكفون عن مدح الصوفية والشيعة والإشادة بهم وكأنهم قادة الإسلام ومحماته، وهل يقبل الشباب على طلب العلم ليتعرف على منهج دينه القويم، وهل يعي الشباب ويدرك حجم المؤامرة التي تدور عليه للتغريب به وإبعاده عن منهج أهل السنة والجماعة الذي فيه العصمة والنجاة في الدنيا والآخرة، هذا ما نأمله ونرجوه، والله من وراء القصد.

الله على قوم ظالمًا فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن ينافق منها، لا ريب أن الأوروبيين قد عرفوا ذلك واستغلواه في أعمالهم الاستعمارية، ذكر مصطفى كامل في كتابه «المأساة الشرقية»:

قال: «من الأمور المشهورة عن احتلال فرننسا للقيروان في تونس أن رجلاً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعین إماماً لمسجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنسياويون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه، فدخل سيد أحمد الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سينالهم من المصائب، وقال: بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم، لأن وقوع البلاد صار محتملاً فتبع القوم البساطة قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنسياويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٢٦ فليس بداع أن تكون الصوفية التي على هذا الشكل- قد أثارت منذ أول أمرها مخاوف سياسية مزدوجة: أن تكون ستاراً لحركات هدامة، وأن تكون شركاً لل العامة بصرفهم عن أهدافهم القومية العليا، من أجل ذلك يجب إلا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمآل، فرب مفوض سام لم يكن يرضي أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقة من وجوه البلاد، وقد ضربوا إليه من أقصى منطقة انتدابه؛ لضيق الوقت أو لقلة المبالاة ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر يقضى هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات، أليس التصوف- الذي على هذا الشكل- يقتل عنصر المقاومة في الأمم، وتكثر التاليف الصوفية في أمم أوروبية على نسبة اهتمامها بالاستعمار، ولذلك عندهم هدفان: أولها: تثقيف قومهم بأسلوب من أساليب الاستعمار.

ثانيهما: إغراق المثقفين من سكان الشرق بكتاب الصوفية لصرفهم عن عمود القومية، وعرiren العزة، ومبادرات الكفاح الوطني. *(التصوف في الإسلام: ص ١٠٩)*

وقد لعبت الطريقة التيجانية دوراً في ترسير

اتبعوا
ولا تبتعدوا

حقيقة

الشيخ والمريد

عند الصوفية

إعداد

معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول

الله، وبعد:

لقد مارس أباطئ التصوف وشيوخه
مسخاً وتشويهاً لعقائد الأمة وقلباً وتحريفاً
لمفاهيم القرآن والسنة، ولكن الله جلت قدرته
فقبض لهذه الأمة رجالاً قدأفعون عن هذا الدين
وينافقون وعن حياضه مزدوجون، ففتنوا
أقوالهم وأبانتوا خطأهم فاكتشفت بذلك الغمة
وبتبدلت الظلمة والله الحمد والمنة.

وفي هذا المقال نعرض لضلاللة جديدة من ضلالات الصوفية أفسدت على الناس عقائدهم وهي ضلاللة «الشيخ والمريد» وحتى يحقق الصوفية مآربهم أليسوا شيوخهم لباس العصمة والقادسة وأوجبوا على المريد أن يتخذ شيخاً ليرشده على الطريقة وبidle على الحقيقة. فماذا قال القوم عن العلاقة بين الشيخ والمريد.

قال القشيري: «يجب على المريد أن يتأنب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفتح أبواباً، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فاما مام الشيطان». (رسالة القشيرية ص ١٨١)

وقال الغزالى: «فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سوء السبيل، فإن سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه، فإن الشيطان إلى طرقه لا محالة» (إحياء علوم الدين ٧٥/٣).

من أداب المريد

ومن أهم أداب المريد عندهم أن يكون مع شيخه كائلاً بين يدي مفسله.

قال القشيري: « وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه» (رسالة القشيرية ١٨٢). وقال الغزالى: «ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده، وليدع رأيه، فإن خطأ مرشدك أفعى له من صوابه في نفسه» (إحياء علوم الدين ١/٥٠). وقال: «فمُعَتَّصِمُ المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد، بحيث يغوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يبغى في متابعته شيئاً ولا ذر، وليرعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب» (المصر السابق ٣٦/٣).

وقال علي وفا: «المريد الصادق مع شيخه كائلاً مع مفسله، لا كلام، ولا حركة، ولا يقدر أن ينطق بين يديه من هبته، ولا يدخل، ولا يخرج، ولا يخالط أحداً، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه».

قال ابن عربي: «إن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره له مقام العصمة» (الفتوحات المكية ١٨٣/٣) وقال القشيري: «من أجل الكرامات التي تكون للأولىاء دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات».

(رسالة القشيرية ص ١٦٠)

وأنت أيها المريد المخدوع المضل نفذ ما يملي عليك، كما قالوا لك: «احسن الفتن ولا تنتقد بل اعتقد».

والتسليم أسلم، والله بكلام أوليائه أعلم" (الفتوحات المكية ٥/١) ويقول أيضاً:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله
فقم بها أبداً لله بالله
هم الأداء والقربي تؤديهم
على الدلالة تأييداً على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم
لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولهم
عن الشريعة فاتركهم مع الله

[الفتوحات المكية باب ١٨١]

ويقول محمد أمين الكردي: ومنها أن لا يعرض عليه فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً، ولا يقول: لم فعل كذا؛ لأن من قال لشيخه "لم" لا يفلح أبداً، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن" (تنوير القلوب ص ٥٢٨). ولذلك خرطت كتب المتصوفة بحكايات لترسيخ هذه الأكاذيب في قلوب المريدين المخدوعين.

قال القشيري في باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم: "سمعت الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي يقول: أن شقيقاً البلخي وأبا تراب التخشيبي قدماً على أبي يزيد فقدمت السفرة، وشاب يخدم أبو يزيد (هو أبو يزيد البسطامي) فقال له: كل معنا يا فتي، فقال: أنا صائم، فقال أبو تراب: كل ذلك أجر صوم شهر، فابي، فقال شقيق: كل ذلك أجر صوم سنة، فابي، فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى، فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقط عُيِّدَ" (الرسالة القشيرية ص ١٥١)

وهذا هو الغرض من إبراد القصة، أى لبيان عاقبة من ترك طاعة شيخه ولو أمره بإفساد طاعة الصوم التي دخل فيها، وهكذا يصل الأمر عندهم إلى حد أن من قال لشيخه: لا، لا يفلح أبداً.

فكُل هذه مبالغات قد تؤدي إلى مفاسد كثيرة، أقلها الإقرار بالمنكر إن ظهر من أحد الشيوخ التزاماً بهذه الآداب الغربية، وبذلك يهدم المبدأ الإسلامي العظيم "مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

(مواقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص ٢١٣)

غواية.. ولاية

وكذلك كثُرت في كتبهم حكايات تروج الرذيلة، لأنهم ضمنوا سكوت المريدين ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

قال الدباغ: "يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو يشرب معهم فيظنونه شارب خمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت" (ابيزير ٤١/٢). وقال "إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي، وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجب ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليس بمعصية" (ابيزير ٤١/٢) هكذا تروج كتب المتصوفة للرذيلة وتقرر أنها فضيلة.

وما ذكرت ذلك إلا مثلاً، ليستفيق من كان على عينه غشاؤه، وإلا فما ذكرنا من كتب وغيرها من كتب المتصوفة مليئة بمثل هذه الخرافات، مشحونة بتلك الترهات التي سموها كرامات، ليصلوا بها الأمة عن سبيل الله. إن هذه الأمثلة والأقوال سردها يكفي في نقضها ودحضها وكفى الله المؤمنين

٦٠ لَقَدْ اتَّخَذَ الْمَتْصُوفَةُ
مِنْ شَيْوَخِهِمْ أَنْدَادًا
يَحْبُونَهُمْ كَحْبِ اللَّهِ أَوْ
أَشَدُ حَبًّا كَمَا تَدَلُّ عَلَى
ذَلِكَ أَقْوَالَهُمْ.

٦١ إِذَا كَانَ الشِّيخُ
- مِمَّا كَانَ شَأْنَهُ -
يُمْلِيُ عَلَى مَرِيدِيهِ مَا
يُوافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ
فَتَعْمَلُ الْطَّرِيقَةَ وَنَعْمَلُ
السَّلَكَ، وَإِنْ كَانَ مَا
يُمْلِيَ عَلَيْهِمْ مُخَالِفًا
لِكِتَابَ وَالسُّنَّةِ
فَالْوَاجِبُ رَفْضُهُ.

٦٢ لَقَدْ كَثُرَتْ فِي كِتَابَ
الْمَتْصُوفَةِ حَكَائِيَاتٍ
تَرْوِيجُ الرَّذِيلَةِ لِأَنَّهُمْ
ضَمِنُوا سَكُوتَ
الْمَرِيدِينَ عَنْهَا.

يرجعون إليه لا يخالفونه قيد أنملة، وذلك المرجع هو الكتاب والسنة فإن كان الشيخ مهما علا أمره وارتفع شأنه - يملي على مريديه ما يوافق الكتاب والسنة فنعمت الطريقة ونعم المسلك، وإن كان ما يمليه عليهم مخالفًا لكتاب والسنة. فالواجب رفضه، فإنه لا طاعة لخلوق في معصية الخالق" وليس أحدًا معصوماً إلا رسول الله ﷺ، وهذا في الشيخ الذي ثبتت معرفته بالدين وعلمه به، وأما إن كان مبتدعاً بدعوة ظاهرة، أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا يجب الإنكار عليه في بدعته وفجوره لأن يطاع فيما يأمر به، وإن أمر أحد من الشيوخ أو غيرهم بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعة الله ورسوله. فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال، ولو كان الأمر بها كائناً من كان.

(مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٥١٧)

أما مسألة حب الشيوخ المستوجبة لطاعته العميماء - فهذه مسألة قد أظهر الحق فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى: "وأما من أحب شخصاً لهواه مثل أن يحبه لدنياه يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها، أو مال يتأكله به، أو لعصبية فيه، ونحو ذلك من الأشياء، فهذه ليست محبة لله، بل هذه محبة ل الهوى النفس، وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسق والعصيان. وما أكثر من يدعي حب مشائخه لله، ولو كان يحبهم لأطاع الله الذي أحبهم لاجله فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته لحبة ذلك الغير". (مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٥٢١)

ثانية: دعاوى صوفية باطلة

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية: أن قصة الخضر مع موسى عليهما السلام - ليس فيها ما يفيد - كما تزعم الصوفية - أن المريد يجب أن يطيع الشيخ طاعة عميماء، وأنه كلما أشkel عليه شيء من حال الشيخ لا يعترض عليه أو ينكره، وإنما يتذكر حال الخضر مع موسى عليهما السلام، كما ذكر ذلك السهروردي.

وهذا قياس باطل من وجوهه:

أولاً: القياس الذي جاء في كلامهم بين ما يجب للشيخ منهم، وما جاء في قصة الخضر قياس مع الفارق، فإن الشيخ الذي أوجبوا على

القتال..... لكن يلاحظ المستقر للطريقة الصوفية أن الشيخ أهم أركانها.

وصحبة شيخ هي أصل طريقهم

فما ثبتت أرض بغير فلاحة
إن الشيخ الصوفي له مواصفات إله كما هو ظاهر من أقوال أقطابهم وعارضتهم وهي لم تزل حية في الذاكرة لكنها داحضة إذا عرضت على حجة الله البالغة والدلائل الدامغة من كتاب الله وسنة رسوله.

قال تعالى: «وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًا لِلَّهِ» [البقرة: ١٦٥].

لقد اتخذ المتصوفة من شيوخهم أنداداً يحبونهم كحب الله بل أشد حباً... كما تدل على ذلك أقوالهم: قال علي وفا: "... فكما أن الله لا يغفر أن يشرك به، فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح أن يشرك بها».

وهذا الشعراوي يقول: «سمعت أخي أفضل الدين رحمة الله يقول: حقيقة حب الشيخ أن يحب الأشياء من أجله ويكرهها من أجله، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل».

[الأنوار القدسية (١) ١٨٧، ١٦٩]

وبذلك جعلوا محبة شيوخهم فوق محبة الله عز وجل. فبعدًا لقوم لا يعقلون: بطلان استدلالهم بقصة الخضر

مع موسى عليهما السلام

استدل الصوفية بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام على جواز مبالغتهم في طاعة المريد للشيخ. يقول السهروردي:

"وبنفي للمريد أنه كلما أشkel عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ، فلليلشيخ في كل شيء عن بسان الحكمة".

(عوارف المعارف للسهروردي ص ٤٠٩)

وفي الرد على هذه الفرية نقول:

أولاً: لا طاعة لخلوق في معصية الخالق

لقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية حدود الطاعة المشروعة وضوابطها للشيخ من المريد بما حاصله، أن المسلمين قاطبة لهم مرجع

هذا خروجاً من الخضر عن شريعة موسى في هذا الباب، فإن ذلك لا يجوز قوله في شريعة محمد ﷺ التي قال الله فيها ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما خرج الخضر عن شريعة موسى في هذا إلا لشرع آخر من الله أمره به، أما شريعة نبينا محمد ﷺ فإنها باقية إلى قيام الساعة، ولا يستبدل أو يستغنى عنها بشيء آخر البة، ولا يجوز أن يقول قائل: أنا على علم من الله لم يؤته محمد ﷺ، إذ ما نزل عليه ﷺ هو المصدر الوحيد الذي يجب أن يكون مشكاة للمسلمين كلهم، لا يستثنى منهم أحد في الخروج عنه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِيْنًا فَلَنْ يَفْلَحْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

ونذلك تأكيد من الله علي عدم حصول وهي منه علي أحد غير النبي ﷺ وهو في الوقت نفسه يفيد تحريم أخذ شيء من الأمور التعبدية عن غير هذا الطريق. (ابو حامد الغزالي والتصوف ص ٢٩٦)

وبعد هذا البيان يتضح لنا ان القصة فيها حجة علي الصوفية، لها، وإن طرح كلام الصوفية يؤدي إلي التسليم بأن الشیخ والولي يجوز أن يأتي بما ينكره الشرع، ويجب علي المرید حينئذ أن يتبعه في ذلك بدون إنكار عليه، وهذا غایة الفساد والضلال والعياذ بالله. (موقف الإمام بن تيمية من التصوف والصوفية ص ٢٢٠ - ٢٢١ بتصريف)

وبذلك يتبيّن أن فهم المتصوفة للقصة فهم شاذ، وتأسيهم بها شاذ أيضاً - فالصحابية والتابعون، وتابعوا التابعين - لم يفهموا منها هذا الفهم، ولم يبنوا عليها منهجاً يرتب على أساسه العلاقة بين المرید والشیخ، ولا يعقل أن يكون المتصوفة قد فتح عليهم من فهم هذه الآية، وأخفى علي أولئك الأفاضل الذين لم يقلدوا أحد منهم ولا أفضلاً للائمة - فيما بينهم - ما حدث بين موسى والخضر، حتى جاء الصوفية، وتذرعوا بتلك القصة ، تلبيساً منهم علي عوام الخلق.

فالخير كل الخير في اتباع من سلف والشر كل الشر في ابتداع من خلف والله الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.

المزيد طاعته شخص عادي مكلف بما جاء به النبي ﷺ أما الخضر عليه السلام فهو شخص منحه الله تعالى من عنده رحمة، وعلمه من لدنه علمًا، فلابد من شيخ الصوفية من هذا الشخص الذي ميزه الله تعالى وأوحى إليه وأمره بذلك، وأنزل فيه آية في كتابه الكريم وأخبر أنه غير مأمور بشريعة موسى، بل علمه من الله مباشرة.

ثانياً: بعد هذا الفرق العظيم بين الخضر عليه السلام وبين غيره من المشايخ فإن موسى عليه السلام لم يكن مطبيعاً طاعة عمياً، كما هو مطلوب من المرید في التصوف، بل كان يعارضه ويناقشه فيما جاء ليتعلمه منه. كما جاء في الآيات وبعد هذا، فلم يترك موسى الخضر حتى نباء بالحكمة فيما أتاوه من أعمال، فهل كان موسى في هذه القصة مطبيعاً للخضر الطاعة العمياً التي يطلبها الصوفية من المرید؟ فلابد الحاجة في طلب الطاعة العمياً من المرید للشيخ في هذه القصة؟

إلا إذا قلنا: إن موسى عليه السلام كان مخطئاً في كل ما فعله مع الخضر عليه السلام، وهذا ما لم يقله القرآن الكريم، وحاشا أن يتكرر الخطأ من النبي بهذه الصورة إن كان ذلك خطأً فعلاً، والدليل من القرآن الكريم أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام في أول صحبتهم: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

أي أنه كان يعرف أن موسى عليه السلام لتمسكه بالشرع الذي أنزل الله إليه سيدفع إلى إنكار ما يراه منكراً، ولو صدر من الخضر نفسه لأن هذا هو الوضع السليم للمؤمن الحق.

ولكن حين يعرف سر العمل الذي انكره ويعلم أنه صادر من الله تعالى، لا من عبد منه لا يملك ضراً ولا رشدأ، هنا يرتفع الإنكار ويحل محله الاستسلام والطاعة، لذلك قال الخضر لموسى عليه السلام في نهاية صحبتهم ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبَرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

ثالثاً: إذا كان الخضر - عليه السلام - قال موسى - عليه السلام - " يا موسى إني علي علم من علم الله علمنيه لا تعلمه "، وإذا كان

الحمد لله الذي خص شهر رمضان بالفضل على
سائر الأيام، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام ، والمصلحة
والسلام على سيد الأنام ، خير من صلى وصام وقام ،
ويعد :

فإن بلوغ رمضان له في النفوس بهجة وفي القلوب فرحة ، خاصة بعد طول غياب واحتياج ، فبين الأيام والشهور تفاوت في الفضل بقدر ما جعل الله بها من مزايا وما أودع فيها من نفحات وبركات .

ولشهر رمضان مزية على غيره من الشهور، لما استجتمع من الفضائل وجلال الأعمال، وما حوى من ألوان الطاعات والقربات، فهو شهر لا تمحى فضائله، ولا تستقصى شمائله، فوالله ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان.

فالواجب على المسلم في شهر هذا شأنه اغتنام أوقاته وتنعيمها بالطاعات، وامتثال كل خير، واجتناب كل بدعة وشر.

وفي هذا المقال نذكر جملة من النصائح والتوجيهات للصائمين، فنقول مستعينين بالله عز وجل:

آداب وخطال ينبعي أن يتحلى بها المسلم في رمضان

- ١- تحجيم الفطر وتناهيد السجود؛

لقد كان صاحبة النبي أحرص الناس على الخير، ولذلك كانوا أعدل الناس فطراً وأخر الناس سحوراً، اكتملت فيه معانى الخيرية ولذلك أثني عليهم رب البرية من فوق سبع سماوات بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ﴾، وأثني عليهم النبي ﷺ بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

[أخرج البخاري ومسلم] ولن نستحق وصف الخيرية هذا إلا إذا استقمنا على مثل ما استقاموا عليه ، وسلكنا طريقهم رضي الله عنهم ، ومن جملة ذلك تعجيل الفطر وتأخير السحور ، كما قال ص: « عجلوا الإفطار وأخرروا السحور » [صحيح الجامع (٣٩٨٩)] ، وقال أيضًا: « لا يزال الدين ظاهراً ، ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى مؤخرون ».

وَفِيهِ بِيَانٌ أَنَّ ظُهُورَ الدِّينِ إِنَّمَا يَتَحْقِقُ بِمُخَالَفَةِ طَرِيقَةِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالظَّالِمِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَبِالْإِسْتِقْدَامَةِ عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [صحيح الجامع (٧٦٨٩)]

قال المناوى في «فيض القدر» (٣٩٥/٦) : «فتعabil

نهضات وتنمية الإمامية

مطوية محمد هيكل

وقال

رسول ﷺ : «ثلاث

سotas لا ترد: دعوة الوالد لوالده

و دعوة الصائم و دعوة المسافر». [صحيح الجامع

[٣٠٢]

فاعظم به من دعاء ينطوي به الصوام ويصعد إلى السموات فما يربه الرحمن!»

٤- المحافظة على صلاة الجمعة في المسجد وخاصة صلاة المغرب لأنه ينبغي تعظيم المساجد بصلاتها وشرفها وأجرها قول النبي ﷺ: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبير الأولى، كتب له براعتان، براءة من النار وبراءة من النفاق».

[صحيح الجامع (١٣٦٥)]

وقال ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى رعيتين كانت له كأجر حجة، و عمرة تامة، تامة».

[رواه الترمذى وصححه الألبانى ح ١٣٤١]

وقال سعيد بن المسيب: «من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملا البر والبحر عبادة».

٥- الاكتئان من أنواع العبادات:

وكان من هديه ﷺ الاكتئان من أنواع العبادات، وكان يخص رمضان بالعبادة بما لا يخص به غيره من الشهور ومن ذلك:

أ- العجود ومدارسة القرآن :

روى البخاري عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

ب- صلاة التراويح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزمية ثم يقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساماً غفر له ما تقدم من ذنبه». فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر. [خرج مسلم وغيره]

فصلاة التراويح من أفضل القربات في شهر رمضان، وتشعر جماعة في المساجد وهي أفضل من الانفراد؛ لإقامة النبي ﷺ لها بنفسه. لذلك لا ينبغي للمسلم إلا يتختلف عنها لبيان ثوابها وأجرها ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الورت ليحصل له أجر قيام الليل كله كما قال ﷺ: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة».

[رواه أصحاب السنن وصححه الألبانى]

الفطر امتثالاً للسنة ومخالفة لأهل الكتاب حيث يؤخرن الفطر إلى ظهور النجوم، وفيه إيماء إلى أن فساد الأمور تتعلق بتغيير السنة، وأن تأخير الفطر علم على فساد الأمور».

في السحور بركة

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركة». [اتفاق عليه] وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر».

والسحور هو الغذاء المبارك الذي يتقوى به المؤمن على الصيام ومن السنة تأخيره وهو أرقى بالصلائم وأسلم من النوم عن صلاة الفجر، وينبغي أن يواكب عليه ولو بجرعة ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسرحين كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وملائكته يصلون على المتسرحين». [صحيف

الجامع ١٨٤٤]

٢- صيام الجوارح لصيانتها عن الذنب والآثام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [رواه البخاري]

قال ابن العربي: «مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما نكر لا يتأتى على صيامه» وقال البيضاوى: «ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطهير النفس الأمارة للنفس المطمئنة فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه».

لذلك قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل

والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابق أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم، إني صائم». [رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب، ج ١، ١٠٩٨]

فيجب على الصائم أن يتحفظ من الأعمال التي تخدش صومه، كالغيبة والنفيمة والفحش والبذاءة والاستهزاء والنظر المحرم والاستماع إلى اللهو والمعازف لأن الصيام إمساك عن الأكل والشرب وسائر ما نهى الله عز وجل عنه.

٣- الدعاء أثناء الصيام وعند الفطر:

فقد ثبت أنه ﷺ كان يقول عند فطره: «ذهب الظلماء وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى». [رواه أبو داود وصححه الألبانى]

١- رفع الصوت بالبكاء في الصلاة إلى حد الصراخ والعلوّ:

وليس هذا من هذى السلف رضي الله عنهم، فقد كان نبينا ﷺ إذا قرأ القرآن سمع لصدره أزيز كازير الرجل، فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (اتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كازير الرجل، يعني يبكي).

[أخرجه أبو داود وقوى إسناده الحافظ في الفتح /٤٢] فعلى المسلم أن يجاهد نفسه على الخشوع في صلاته وأن يخفى صوته في البكاء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢- تهاون البعض وعدم اعتنائهم بصلوة التراويح:-

ينتظر بعض الناس الإمام حتى يركع فإذا رفع يخلوا معه في الصلاة وهذا العمل فيه ترك متابعة الإمام وتقويفه لتكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة، فلا يليق بالمسلم فعل ذلك لما فيه من استهانة بأمر الصلاة. وكذلك يتکاسلون عن إتمام التراويح مع الإمام، فيكتفون ببعض الركعات مع الإمام ثم ينصرفون إلى أعمالهم وفي هذا تضييع لاجر عظيم وخير كثير قال عنه رسول الله ﷺ: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) [صحیح رواه اهل السن]

٣- بدعة الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح:-

ومما أحدث في هذا الشهر الفضيل: الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح، ورفع المصلين أصواتهم بذلك، وفعل ذلك بصوت واحد، فذلك كله من البدع.

وكذلك قول المؤذن بعد ذكرهم الحديث هذا: صلاة القيام أثابكم الله، فهذا أمر محدث لم يثبت عن النبي ﷺ.

٤- الإطالة الزائدة عن الحد في دعاء القنوت:

بعض الأئمة يكترون السجع المتكرف في دعاء القنوت وقد علمنا النبي ﷺ دعاء القنوت فكان النبي ﷺ يجهر بدعائه ويرفع يديه ويؤمن من خلفه، ومن هذه الأدعية المباركة الدعاء الذي علمه ﷺ سبطه الحسن رضي الله عنه.

* «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لي فيما اعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يدل من واليتك ولا يعز من عاديتك، تبارك

وعلى ذلك جرى عمل السلف من عهد عمر رضي الله تعالى عنه وأصبحت صلاة التراويح بذلك شعاراً لل المسلمين فلا يجوز أن تخلي المساجد عنها.

ج- تفضيل الصائم:

[عن زيد بن خالد الجهنفي قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء».

[الترمذى وابن ماجه ومصححة الإبانى، صحيح الجامع /١٤١٥]

د- الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر:-

في صحيح مسلم : عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره .

وعنها قالت : كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الاواخر شد منزله وأحيا ليله وابقى أهله .

[روايه الشيبان]

ه- العمرة في رمضان:-

قال رسول الله ﷺ: «عمرة في رمضان تعديل حجة». [أخرجه البخاري ومسلم] . وفي رواية : «عمرة في رمضان حجة معى». [صحیح الجامع /٤٠٩]

قال المذاوى (٤/٣٦١): أي تقابلها وتعاشرها في النواب لأن الثواب ينفصل بتفضيلة الوقت ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع.

قال ابن العربي: هذا صحيح مليح وفضل من الله ونعمته نزلت العمرة بمنزلة الحج بانضمام رمضان إليها.

فهم أخي إلى فعل الخيرات وتعمير الأوقات بالطاعات، فقد نادى المذاوى يا ياغي الخير أقبل.

بدع ومخالفات في صلاة التراويح

١- نقر صلاة التراويح:-

من تأمل أحوال بعض الناس اليوم في صلاة التراويح وقارنها بما كان عليه زمن تشرعها الأولى يرى أنهم قد نهبوها بكل مزاياها وعظواً معظم شعائرها وأخذوا بها لا يرضاها الله، فترى بعض أئمة المساجد هادهم الله يكترون الصلاة نقر الغراب ولا يطمئنون في رکوع ولا سجود، والاطمئنان ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه. وقد ذكر العلماء أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين من فعل ما ينسن، فكيف إذا كانت سرعته تمنع من فعل ما يجب، وهذا مخالف لهدى النبي ﷺ

في صلاة التراويح.

ج - يجوز القنوت قبل

الركوع بعد الفراغ من القراءة كما ثبت عن عبد الله بن مسعود، ويجوز كذلك بعد الرفع من الركوع لثبوت ذلك عن علي رضي الله عنه.

د - ومن السنة أن يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعود برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك»، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنت على نفسك. [رواية ابن ماجه وصححه الألباني ١٧٦]

وإذا سلم من الوتر قال: «سبحان الملك القدس، سبحان الملك القدس ثلاثاً ويمد بها صوته، ويرفع في الثالثة».

و - من صلى الوتر ثم بدا له أن يصلى من الليل جاز له ذلك ولا يعيد الوتر لحديث «لا وتران في ليلة» [رواه أحمد والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى رقم ٤٤٧٠]، وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يركع ركعتين بعد الوتر وهو جالس. [رواه أحمد وابو داود والترمذى وصححه الألبانى]

ز - ويجوز أن يشفع الوتر بأن يضيف إليه ركعة ثم يصلى ما شاء له ثم يجعل آخر صلاته بالليل وترًا، وإلى ذلك ذهب بعض أصحاب النبي ﷺ.

مخالفات تقع من بعض النساء

١ - عدم التزام المرأة بالحجاب الشرعي وخروجها متغيرة متزينة إلى صلاة التراويح، وهذه مخالفة عظيمة وكبيرة من كبار الذنوب حيث حذر النبي ﷺ من هذا السلوك المعيب فقال: «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمررت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية» [آخرجه ابو داود والترمذى والنسائي واحد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢٧٠١]

وقال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد، لم تقبل لها صلاة حتى تنفس». [صحيف الجامع ٢٧٣] فهل يليق بأمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر جاءت إلى المسجد لتعبد ربها وتطلب منه العفو والمغفرة أن تقع في مثل هذه المخالفات التي تغضب ربها وتستجلب سخطه؟!

٢ - انشغال النساء بالقيل والقال، فترتفع الأصوات في المساجد، مما يحدث تشويشاً على المسلمين والمصلين، وهذا يتنافي مع الأدب الواجب نحو بيوت الله تعالى.

هذا ما وفتنا الله إليه وتقبل الله منا ومنكم. والله من وراء القصد.

ربنا وتعاليت، لا منجا منك إلا إليك». ويزيد عليه في النصف الثاني من رمضان.

* اللهم قاتل الكفارة الذين يصدون عن سبيلك، ويكتبون رسلاك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالف بين كلمتهم، والق في قلوبهم الرعب، والق عليهم رجزك وعذابك، إله الحق، ثم يصلي على النبي ﷺ، ويدعو للMuslimين. وكان من دعائه يقول: «اللهم إنا نستعينك ونستغفر لك، ولا نكفرك ونؤمن بك، ونخلع من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحلف، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكافر ملحق، اللهم عذب كفارة أهل الكتاب، الذين يصدون عن سبيلك، ويكتبون رسلاك، ويقاتلون أولياءك».

* اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، وال المسلمين والصلوات، وأصلاح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة رسولك ﷺ، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذي عاهدتمه عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم إله الحق، واجعلنا منهم.

وفي رواية موقعاً على عمر رضي الله عنه: «اللهم اغفر لنا، وللمؤمنين والمؤمنات، وال المسلمين، وأصلاح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم. اللهم العن كفارة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك، ويكتبون رسلاك، ويقاتلون أولياءك اللهم خالق بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين. اهـ.

فعلى الإخوة أئمة المساجد الاقتصار على ما جاء في الهدي النبوي فخير الهدي هدي محمد ﷺ ولا بأس بأن يزيد الداعي من الأدعية الشافية والصحيفة شريطة لا يشق على المسلمين بصناعة السجع المتكلف والإطالة الزائدة عن الحد فإن ذلك من الاعتداء في الدعاء.

٦- تتبّعيات مهمّة في صلاة الوتر:

أ - من أحب أن يوتر بركعة واحدة جاز له ذلك، ومن أحب أن يوتر بثلاث ركعات لا يجلس إلا في آخرهن فلا بأس، والأولى أن يصلى ركعتين ويسلم ثم يصلى الثالثة.

ب - من السنة أن يقرأ في الركعة الأولى من ثلاثة الوتر سبّح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد، وبضيف إليها أحياها، قل أَعُوذ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقل أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ، وقد صرّ عنه ﷺ أيضًا: أنه قرأ في ركعة الوتر بمائة آية من النساء.

اتبعوا ولا تبتدعوا

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،

وبعد:

فعندما طفت النظرة المادية على أسلوب الحياة في هذا الزمان وانشغل الناس بالدينار والدرهم وغابت عنهم معانى الإيمان؛ نزعت البركة من الأقوال والأفعال والأعمال والأموال، والطعام والشراب.

وإن نظرة سريعة ومقارنة يسيرة بين ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وبين ما نحن عليه الآن، ليظهر لك كيف امتلأت حياتهم برقة بينما غابت البركة عن حياتنا، فمنهم من كان يقوم الليل بالقرآن كله في ركعة واحدة، ويظل يردد آية واحدة طوال الليل، حكاية عثمان بن عفان، وتميم الداري، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، ونحن اليوم عندما نقرأ ذلك نستغربه ذلك لأننا نقيس بما نحن عليه، ولا شك أننا لا نصلح مقاييساً لهؤلاء السادة والقادة، فقد قرانا وطالعنا كيف خرجوا يجاهدون في سبيل الله ويعتقبون البعير الواحد فيربك أحدهم، والأخر يمشي، ويسيرون مئات الأميال كما حدث في ذات الرقاع وفي غزوة تبوك، ويظهرون قوة عظيمة في قتال الأعداء، ويبكون إذا حيل بينهم وبين الخروج لمقابلة الأعداء، كما حدث مع السبعة الذين أرجعهم النبي ﷺ عن غزوة تبوك، فقد رجعوا لهم يبكون قال تعالى: «وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أُتُوكْ لَتَحْمِلُهُمْ قُلْتُ لَا أَحَدٌ مَا أَخْمَلْتُمْ عَلَيْهِ تَوْلُوا وَأَعْشَيْتُمْ تَقْبِيسُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَثًا أَلَا يَجِدُوا مَا يَنْفَقُونَ» [النور: ٩٢] رغم أنهم كانوا سيخرجون لمقابلة الروم في عام شديد الحر بعد أن طافت الشمار فain نحن من ذلك.

تعريف البركة:

تبrik: تفعل من البركة وهي كثرة الخير وثبوته.
 قال الخليل: البركة من الزيادة والنمو، وفي حديث أم سليم: فَحَنَّكَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ: أَيْ دَعَا لَهُ بِالْبَرْكَةِ، وَرَوَى عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَى الْبَرْكَةِ الْكَثْرَةُ فِي كُلِّ خَيْرٍ.
 قال ابن الأثير في حديث: «وبارك على محمد وعلى آل محمد» أي: أثبت له وآدم ما أعطيته من التشريف والكرامة.

والتبرك طلب البركة، وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، ولا يتطلب ذلك إلا من يملكه ويعقد عليه وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي ينزل البركة ويتثبتها.

وسائل نبيل البركات

إعداد

معاوية محمد هيكل

الحمد وهو على

كل شيء قدير»، وهي كلمة

النجاة في الدنيا والآخرة، وأساس كل

بركة حاصلة، وذلك لما استعملت عليه من نفي الشرك
وتوحيد الله الذي هو أفضل وأجل الأعمال، وأساس
الملة والدين، فمن قالها وعمل بمقتضها من العلم
والبيقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول
والانقياد وغير ذلك مما تقتضيه الكلمة المباركة
 واستقام على ذلك فهذه الحسنة التي لا يعدلها شئ
 قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
 فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ» [الحقاف: ١٢]

من بركات القرآن:

قال تعالى: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدَّقٌ
 الَّذِي يَنْهَا يَنْهِي هُوَ الْأَنْعَامُ» [الأنعام: ٩٢]، وقال: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ
 أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» [الأنبياء: ٤٠]، وقال: «وَهَذَا
 كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعْنَكُمْ تُرْحَمُونَ»
 [الأنعام: ١٥٥]

ومن بركته أن الحرف الواحد بعشرين حسناً،
 ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو إمام الباهلي أن رسول
 الله ﷺ قال: «اقرعوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة
 شفيعاً لأصحابه، اقرعوا الزهراوين البقرة، وسورة
 آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيمة كانهما
 غمامتان، أو كأنهما غياثتان، أو كأنهما فرقان من
 طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرعوا سورة
 البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا
 يستطيعها البطلة» [أخرجه مسلم]

ومن بركات القرآن أنه شفاء للناس، وهدى
 ورحمه، قال تعالى: «وَتَرَأَّسَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ
 وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» [الإسراء: ٨٢]، وقال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَهْدِي لِلّتَّيْ هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء: ٩]. وغير ذلك من الآيات
 التي ذكرت البركة القرانية التي لا تنتهي.

ثانية، البركة بالأفعال:

١ - طلب العلم وتعلمه، فمن بركته الرفعة في
 الدنيا والآخرة، قال تعالى: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْتَنَّا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ بِرَحْمَاتٍ» [الجاثية: ١١]، وقال
 رسول الله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
 سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضُعُ
 اجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رَضِيَّاً بِمَا يَصْنَعُ»، رواه أبو
 داود والترمذى، وحسنه الألبانى.

٢ - أداء الصلاة جماعة مع المسلمين، فمن بركة

ذلك مضاعفة

• البركة من الله ولا تطلب إلا بطاعته:

لقد دلت الآيات القرآنية على أن البركة من الله،
 فقال رب العزة جل وعلا في معرض الثناء على نفسه
 «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»
 [الاعراف: ٤٦]، وقال «تَبَارَكَ الَّذِي يَنْهَا الْمُكَبِّرُوْنَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ عَظِيمٍ» [الملد]، وقال «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ
 عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ٣] ومعنى
 تبارك يعني تعاظم وتعالي وكثير خيره وعم إحسانه
 وفاض جوده، فتبارك في نفسه لعظمة اوصافه
 وكمالها، وببارك في غيره بإحلال الخير الجليل والبر
 الكثير، فكل بركة في الكون فمن أثار رحمته سبحانه
 وتعالى، فطلب البركة لا يكون إلا من الله، وطلبها من
 غيره شرك، قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السُّمَاءِ مَاءً
 مُبَارَكًا فَأَنْذَبْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ» [ق: ٩]، وقال
 سبحانه «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ مِنْ فَوْقَهَا وَبَارَكَ
 فِيهَا» [فصلت: ١٠]، وقال «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ اللِّنَاسُ
 لِلَّذِي يَكْتُبُ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ٩٦]، وقال:
 «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لَيَلَى مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِرَبِّهِ مِنْ
 أَيَّاتِنَا» [الإسراء: ١] وطاعة الله تعالى هي السبيل
 لتحصيل البركات منه، قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
 الْفَرْقَى أَمْتَوْا وَأَنْقَوْا لَنَقْحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السُّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ» [الاعراف: ٦٦].

• صور من التبرك المشروع حتى عليها الشريعة:

أولاً: التبرك بالأقوال:

فهناك أقوال إذا جاء بها المسلم ملتمساً للخير
 والبركة حصل له ما أراد، إذا اتبع في ذلك السنة،
 ولم يكن في ذلك مانع.

فمن هذه الأقوال: ذكر الله، وتلاوة كتابه فمن
 بركة الذكر ما قاله رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً
 يُطْفَلُونَ فِي الطَّرِيقِ يُلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ» وفيه أن
 الله يقول «فَاشْهِدُوكُمْ أَنِّي قد غفرت لهم». قال «يقول
 ملوك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء
 لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».
 أخرجه البخاري.

وأفضل الذكر لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ:
 «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءٌ عَرْفَةٌ وَخَيْرُ مَا قَلْتَ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ
 مِنْ قَبْلِي، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ

الأهل، منسأة في الآخر، ومثراة في المال».

[رواه الترمذى، وصححه الابناني في «السلسلة» (٢٧٦)]

قال الابناني رحمة الله: الحديث على ظاهره أى أن الله تبارك وتعالى جعل بحكمته صلة الرحم سبباً شرعياً لطول العمر، وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار كما في بعض الأحاديث الصحيحة، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمر مقطوع به لأن هذا بالنظر للخاتمة «صحيح الأدب المفرد ص ٥٠».

٧ - منها الاجتماع على الطعام، والأكل من جوانب القصبة، ولعق الأصابع، وكيل الطعام فقد قال عليه الصلاة والسلام: «اجتمعوا علي طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، ببارك لكم فيه»، [اخبره احمد، وابو داود وابن ماجة وصححه الابناني في « صحيح ابي داود» (٧١٧/٢)] . وقال رسول الله ﷺ : «البركة تنزل في وسط الطعام فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»، [رواه احمد، وابو داود وابن ماجة وصححه الابناني في « صحيح ابي داود» (٧١٩/٢)]

- وأمر رسول الله ﷺ بلع الأصابع وقال: «إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه، فإنه لا يدرى في أيتهن البركة». [رواه احمد، وصححه الابناني في « صحيح الجامع» (٣٨٢)] وفي الحديث أدب جميل من أداب الطعام الواجبة وهو لعق الأصابع ومسح الصحفة بها وقد أخل بذلك أكثر المسلمين اليوم متاثرين بعادات أوروبا الكافرة وأدابها القائمة على الاعتداد بالملادة.

[السلسلة الصحيحة (٦٧٦/١)]

وقال رسول الله ﷺ : «كيلوا الطعام ببارك لكم فيه»، [اخبره البخاري]

ثالثاً: البركة في المجهولات والمهمات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كيد إلا شطر شعير في رق لي فأكلت منه حتى طال على فكتنه ففني. رواه مسلم، قال النووي في شرح هذا الحديث: إن البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمهمات وأما الحديث الآخر «كيلوا طعامكم ببارك لكم فيه» فقلالوا: المراد أن يكيله لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقىباقي مجهولاً ويكييل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل». هـ

فكل قول أو فعل أمر الله به ورسوله قام به العبد مع الإخلاص والمتابة، فإنه سبب للبركة .

الحسنات

وتکفير السيئات والبراءة من النار والنفاق، قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً»، [رواه البخاري ومسلم]، ولقول النبي ﷺ : «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براعتان براءة من النار، وبراءة من النفاق». [رواه الترمذى، وحسنه الابناني في « صحيح الترغيب» (٤٠٤)].

٣ - الصدقات المفروضة والمستحبة فمن بركة الزكاة أنها نماء وبركة وتطهير للنفس من رذيلة البخل والطمع، قال تعالى: «خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَنَعْتُمْ لَهُمْ إِنْ صَنَعْتُمْ سَكِّنَةً لَهُمْ» [التوبه (١٠٣)] . وقال رسول الله ﷺ : «من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره»، [رواه الطبراني، وحسنه الابناني في « صحيح الترغيب» (٧٤)].

وقال رسول الله ﷺ : «من تصدق بعد تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمنيه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدهم فلوه، حتى تكون مثل الجبل». [رواه البخاري ومسلم]

وقال رسول الله ﷺ : «صنائع السوء، وصدقه السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر» [رواه الطبراني، وحسنه الابناني في « صحيح الترغيب» (٨٧٥)].

٤ - الصيام، ومن بركته مغفرة الذنوب، قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له». [صحيح الترغيب (٩٧٣)]

٥ - الحج والعمرة، فمن بركتهما نفي الفقر والذنوب كما أنهما سبب لدخول الجنة، قال رسول الله ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهم ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب، والفضة، وليس للحجارة ثواب إلا الجنة» [رواه الترمذى، وابن ماجة وصححه الابناني في « صحيح الترمذى» (٦٥٠)].

٦ - صلة الأرحام، فمن بركة ذلك طول العمر والزيادة في الرزق وحصول الغنى، قال رسول الله ﷺ : «من أحب أن يبسط في رزقه، وينسا له في أثره، فليصل رحمه». [رواه البخاري ومسلم]

وقال رسول الله ﷺ : «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم مناجاة في

في لها من بركات تتابع على العباد.
ومن الأطعمة المباركة:

زيت الزيتون: فإن النبي ﷺ قال: «كروا الزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة». رواه الترمذى وابن ماجة، وصححه الألبانى.

البن: لحديث عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بن قاتل «كم في البيت برقة أو بركتين». اخرجه احمد وابن ماجة.

الحبة السوداء: كما قال النبي ﷺ: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» رواه ابن ماجة.
ماء زمزم: كما قال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة إنها طعام طعم..» رواه مسلم.

العجوة: قال رسول الله ﷺ: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سوء ولا سحر» رواه البخاري، قال القرطبي: ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السحر والسم، والمطلق منها محمول على المقيد.

العسل: قال تعالى: «يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس». [النحل: ٩٦]، وقال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي».

رواية البخاري

باباً الأماكن المباركة:

هناك أمكنة معينة جعل الله فيها البركة إذا تحقق في العمل الإخلاص والتتابعة، فمن هذه الأماكن «المساجد» والتماس البركة فيها إنما يكون بأداء الصلاة فيها، والاعتكاف، وحضور مجالس العلم وغير ذلك مما هو مشروع، ولا يكون بالتمسج بجدرانها أو ترابها مما هو ممنوع شرعاً.

ومن المساجد ما يكون له فضيلة وزيادة في البركة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوى، والممسجد الأقصى، فالصلاحة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة، وفي المسجد النبوى بalf صلاة، وفي المسجد الأقصى بخمسين صلاة.

وكذلك الصلاة في مسجد قباء، قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته ثم آتى إلى مسجد قباء وصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» رواه أحمد والنمسائي، وابن ماجة، وصححه الألبانى في صحيح ابن ماجة (٢٣٨ / ١).

ومن الأمكنة المباركة مكة والمدينة، فإن النبي ﷺ

هناك أزمنة خصتها الشرع بزيادة فضل وبركة مثل شهر رمضان، لما في صيامه وقيامه من غفران الذنوب وزيادة رزق المؤمن، وغير ذلك، وما في قيام ليلة القدر من مغفرة الذنوب أيضاً، قال تعالى: «إِنَّ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُّنْذِرِينَ»، والعشر الأول من شهر ذي الحجة، ويوم عرفة قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالحة فيها أحب إلى الله من هذه الأيام، يعني أيام العشر، قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء» رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده، والسنة التي قبله» صحيح الترغيب (١٦٦).
وكذلك يوم الجمعة فمن بركته أنه خير يوم طلعت عليه الشمس، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة إجابة، وكذلك الثالث الأخير من الليل، ويوم الاثنين والخميس، وغير ذلك من الأزمنة التي خصها الشرع بمحظة ويكون فيها من الخير والفضل والبركة الشيء الكثير. والتماس البركة في هذه الأزمنة يكون باتباع ما أرشد إليه النبي ﷺ.

ومن ذلك يوم عاشوراء؛ فمن بركته أن صيامه يكفر سنة ماضية. عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يكفر السنة الماضية» رواه مسلم.
اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، واعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اتبعوا

ولا تبتعدوا

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله ﷺ

وبعد:

فإن الحج من أفضل العبادات وأجل الطاعات لأنها أحد أركان الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ والتي لا يتم دين العبد إلا بها والعبادة لا تكون مقبولة إلا بأمر من ربها.

أحد هما: الإخلاص لله - عز وجل - بأن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، لا يقصد بها رباء ولا سمعة ولا حظاً من حظوظ الدنيا.

الثاني: اتباع النبي ﷺ فيها قولًا وعملاً، واتباع النبي لا يمكن تحقيقه إلا بمعرفة سنته ﷺ.
وفي هذا المقال نوضح مناسك الحج وأخطاء بعض الحجاج فيه ليكون المسلم على بينة من أداء نسكه فنقول مستعينين بالله عز وجل.

أعمال الحج :

أولاً: الإحرام

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحافة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: «فهن لهن ولن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق. [رواه أبو داود والنسائي]

فهذه المواقت التي وقتها رسول الله ﷺ حدود شرعية توقيقية لا يحل لأحد تغييرها أو التعدي فيها، أو تجاوزها بدون إحرام من أراد الحج أو العمرة، فإن هذا من تعدي حدود الله وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ [آل عمران: 229]، ولأن النبي ﷺ قال: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجحافة، ويهل أهل نجد من قرن» [اتفاق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما] وهذا خبر بمعنى الأمر.

والإهلال: رفع الصوت بالتبليبة، ولا يكون إلا بعد عقد الإحرام، فالإحرام من هذه المواقتات واجب على من أراد الحج أو العمرة إذا مرت بها أو حاذها سواء أتى من طريق البر أو البحر أو الجو.

أخطاء تقع في الإحرام من بعض الحجاج

١- بعض الناس يمرون من فوق الميقات في الطائرة أو ما يحاديه ويؤخرن الإحرام حتى ينزلوا جدة، وهذا مخالف لأمر النبي ﷺ وتعد لحدود الله تعالى.

فإذا وقع الإنسان في هذا الخطأ فنزل جدة قبل أن يحرم فعله أن يرجع إلى الميقات الذي حاذها في الطائرة فيحرم منه، فإن لم يفعل وأحرم من جهة فعله

مسالك الحج

وأخطاء

الحج

إعداد

معاوية محمد هيكل

أنه لم يطف بالبيت وإنما طاف ببعضه. حيث إن الحجر جزء من الكعبة.

٣- الرمل في جميع الأشواط السبعة.

٤- المزاحمة الشديدة للوصول إلى الحجر لتقبله، حتى إنه يؤدي في بعض الأحيان إلى المقابلة والمشاجمة، فيحصل من القوال المترددة ما لا يليق بهذا البيت العتيق، وهذه المزاحمة تذهب الخشوع وتتنسى ذكر الله تعالى، وهذا من أعظم المقصود في الطواف.

٥- اعتقادهم أن الحجر نافع بذاته، ولذلك تجدهم إذا استلموه مسحوا بأيديهم على أجسامهم أو مسحوا بها علىأطفالهم الذين معهم، وكل هذا جهل وضلال، فالنفع والضر من الله وحده، وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقبل الحجر ويقول: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت النبي ﷺ يقبل ما قبلك».

٦- استلامهم -أعني بعض الحجاج- لجميع أركان الكعبة وربما استلموا جميع جدران الكعبة وتمسحوا بها، وهذا جهل وضلال، لأن النبي ﷺ لم يستلم من البيت سوى الركن اليماني والحجر الأسود.

الأخطاء القولية في الطواف

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يكبر الله تعالى كلما أتى على الحجر الأسود. وكان يقول بين الركين اليماني والحجر الأسود: «رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَاتَ عَذَابَ النَّارِ» [القراءة ٢٠١] وقال: «إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجamar لإقامة ذكر الله».

[رواوه الترمذى كتاب الحج ٩٠٢]

١- بعض الطائفين يخص كل شوط بدعاء معين لا يدعوه فيه بغيره. ولم يرد عن النبي ﷺ في الطواف دعاء مخصوص لكل شوط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: «ليس فيه» يعني الطواف -ذكر محدود عن النبي ﷺ لا بأمره ولا بقوله ولا بتعلمه، بل يدعوه فيه بسائر الأدعية الشرعية، وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له.

٢- ومما يفعله بعض الطائفين أن يجتمع جماعة على قائد يطوف بهم ويلقنهم الدعاء بصوت مرتفع فيتباهي الجماعة بصوت واحد فتعلو الأصوات وتحصل الفوضى والتشوش على الطائفين.

عند أكثر العلماء فدية يذبحها في مكة ويوزعها كلها على الفقراء فيها، ولا يأكل منها ولا يهدى منها لغنى لأنها بمنزلة الكفار.

٢- بعض الرجال إذا أحرموا كشفوا عن أكتافهم على هيئة الأضطباب وهذا غير مشروع إلا في حالة طواف القدوم أو طواف العمرة» وما عدا ذلك يكون الكتف مستوراً بالرداء في كل الحالات.

٣- بعض النساء يعتقدن أن الإحرام يتحذلهن خاص، كالأخضر أو الأبيض مثلاً وهذا خطأ لأنه لا يتعين لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام وإنما تحرم بثيابها العادلة إلثياب الزينة أو الثياب الضيقة أو الشفافة فلا يجوز لها لبسها لا في الإحرام ولا في غيره.

٤- بعض النساء إذا مرت بالمقيمات تريدهن الحج أو العمرة وأصابتها الحيض قد لا تحرم ظناً منها أو من وليهما أن الإحرام شرط له الطهارة من الحيض فتتجاوز المقيمات بدون إحرام والصواب أن تحرم وتفعل ما يفعل الحاج غير الطواف بالبيت فإنها تؤخره إلى أن تطهر، كما وردت به السنة وإذا أخرت الإحرام وتتجاوزت المقيمات بدونه فإنها إن رجعت إلى المقيمات وأحرمت منه فلا شيء عليها وإن لم ترجع فعليها دم لترتكها وأجاباً.

٥- يظن بعض الناس أن المحيط الذي منه المحرم هو كل ما كان فيه خيوط وهذا فهم خاطئ بل المراد بالمحيط ما كان مفصلاً على حجم العضو من رأس وذراع وقد وغيره.

ثانياً: الطواف

ثبت عن النبي ﷺ أنه ابتدأ الطواف من الحجر الأسود في الركن الشرقي الجنوبي من البيت، وأنه طاف بجميع البيت من وراء الحجر، وأنه رمل في الأشواط الثلاثة الأولى فقط في الطواف أول ما قدم مكة.

وأنه كان في طوافه يستلم الحجر الأسود ويقبله واستلمه بيده وقبلها، واستلمه بمجن كأن معه وقبل المجن وهو راكب على بعيره، وطاف على بعيره فجعل يشير إلى الركن يعني الحجر كلما مر به. وثبت عنه أنه كان يستلم الركن اليماني.

الأخطاء الفعلية التي تقع في الطواف

- ابتداء الطواف من قبل الحجر أي فيما بينه وبين الركن اليماني، وهذا من الغلو في الدين الذي نهى عنه النبي ﷺ.
- طوافهم عند الزحام من داخل باب الحجر، وهذا خطأ عظيم لا يصح الطواف بفعله لأن الحقيقة

والأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج هي:

- ١- أنهم ينزلون خارج حدود عرفة ويبقون في منازلهم حتى تغرب الشمس ثم ينصرفون منها إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم يفوت به الحج، فإن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، لقول النبي ﷺ: «الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك». [رواه أبو داود ١٩٤٩]
- ٢- أنهم ينصرفون من عرفة قبل غروب الشمس، وهذا خلاف سنة النبي ﷺ حيث وقف إلى أن غربت الشمس وغاب قرصها، وأن الانصراف من عرفة قبل الغروب عمل أهل الجاهلية.
- ٣- أنهم يستقلون جبل عرفة عند الدعاء ولو كانت القبلة خلف ظهورهم أو على أيمنهم أو شمائلهم، وهذا خلاف السنة فإن السنة استقبال القبلة كما فعل النبي ﷺ.

خامساً المبيت بمزدلفة وما يقع فيها من أخطاء

- المطلوب من الحاج إذا وصل إلى مزدلفة أن يصل إلى المغارب والعشاء جمعاً ويبيت فيها فيصلي بها الفجر ويدعو إلى قبيل طلوع الشمس. ثم ينصرف إلى منى، ويجوز لأهل الأعذار خاصة النساء وكبار السن والأطفال ومن يقوم بتولي شؤونهم الانصراف بعد منتصف الليل، ولكن يحصل من بعض الحجاج أخطاء في هذا التسلك.
- فبعضهم لا يتتأكد من حدود مزدلفة ويبقى خارجها.

- وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل ولا يبيت فيها ومن لم يبيت بمزدلفة من غير عنده فقد ترك واجباً من واجبات الحج يلزمه به دم جبران مع التوبة والاستغفار.

سادساً: رمي الجمرات

ثبت عن النبي ﷺ أنه رمى جمرة العقبة وهي الجمرة القصوى التي تلي مكة بسبعين حصيات ضحى يوم النحر، يكبر مع كل حصاة كل حصاة منها مثل حصى الخذف أو فوق الحمض، وفي مسندي الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته: «هات، القطلي». قال: فلقطت له حصيات هن حصى الخذف فوضعهن في يده فقال: «بأنما هؤلاء» مرتين وقال بيده، وأشار يحيى أنه رفعها وقال: «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين».

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبعين حصيات يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يُسْهِل فيقوم

ركعت الطواف وأخطاء الحجج فيهما

ثبت عن النبي ﷺ أنه لما فرغ من الطواف تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: «وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَنَّى» [البقرة: ١٢٥] فصلى ركعتين والمقام بينه وبين الكعبة، وقرأ في الركعة الأولى الفاتحة و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» وفي الثانية سورة الفاتحة و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

والخطأ هنا إيهاد الطائفين بالإصرار على الصلاة عند المقام وفي هذا عسر شديد على الناس والركعتان تجزئان في أي مكان من المسجد الحرام.

ثالثاً: السعي بين الصفا والمروءة

ثبت عن النبي ﷺ أنه حين دنا من الصفا قرأ: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»، ثم رقي عليه حتى رأى الكعبة فاستقبل القبلة ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعوه ما شاء أن يدعوه، فوحد الله وكبره وقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَهُدَى مَدْعَاهُ بَيْنَ ذَلِكَ فَقَالَ مِثْلُ هَذَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ ثُمَّ نَزَلَ مَاشِيًّا، فَلَمَّا انصَبَتْ قَدْمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِيِّ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَلَمِينَ الْأَخْضَرِيْنَ سَعَى حَتَّى إِذَا تَجَازَهُمَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا

الأخطاء التي ترتكب في السعي

١- بعض الساعين إذا صعدوا الصفا والمروءة كبروا ثلاث تكبيرات يرفعون أيديهم ويؤمنون بها كما يفعلون في الصلاة عند تكبيرة الإحرام ثم ينزلون، وهذا خلاف ما جاء عن النبي ﷺ.

٢- بعض الساعين يشتدون في المشي ما بين الصفا والمروءة كل، وهذا خلاف السنة، فإن السعي ما بين العلمين فقط والمشي في بقية المسعي، وأكثر ما يقع من ذلك إما جهلاً من فاعله أو محبة كثير من الناس للعجلة والتخلص من السعي والله المستعان.

رابعاً: الوقوف بعرفة

ثبت عن النبي ﷺ أنه مكث يوم عرفة بنمرة حتى زالت الشمس، ثم نزل فصلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين جمع تقديم باذان واحد وإقامتين، ثم ركب حتى أتي موقفه ووقف وقال: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف» [رواه مسلم كتاب الحج ١٢١٨] فلم يزل واقفاً مستقبلاً القبلة رافعاً يديه يذكر الله ويدعوه حتى غربت الشمس وغاب قرصها فدفع إلى مزدلفة.

نسكه كما أمره الله تعالى به ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

سابعاً: طواف الوداع

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أَمْرُ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ أَخْرَى عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ إِلَّا أَنْ هُوَ فِي الْحَائِضِ "وفي لفظ مسلم عنه قال: «كان الناس ينصرفون في كل وجه، فقال النبي ﷺ: لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت» ورواه أبو داود بلفظ: «حتى يكون آخر عهده بالبيت» ورواه أبو داود بلفظ: «حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت».

والخطأ الذي يقع من بعض الناس هنا:

١- نزولهم من منى يوم النفر قبل رمي الجمرات فيطوفون الوداع ويرجعون إلى منى فيرمون الجمرات، ثم يسافرون إلى بلادهم من هناك، وهذا لا يجوز لأنه مخالف لأمر النبي ﷺ أن يكون آخر عهد الحجاج بالبيت، فإن رمي بعد طواف الوداع فقد جعل آخر عهده بالجمار لا بالبيت، ولأن النبي ﷺ لم يط للوداع إلا عند خروجه حين استكمل جميع مناسك الحج، وقد قال: «خذوا عني مناسككم».

[رواه مسلم ١٢٩٧]

٢- مكثهم بمكة بعد طواف الوداع فلا يكون آخر عهدهم بالبيت، وهذا خلاف ما أمر به النبي ﷺ وبينه لأمته بفعله، ولكن رخص أهل العلم في الإقامة بعد طواف الوداع للحاجة إذا كانت عارضة كما لو أقيمت الصلاة بعد طوافه للوداع فصلاتها أو حضرت جنازة فصل علىها، أو كان له حاجة تتعلق بسفره كشراء متاع وانتظار رفقة ونحو ذلك، فمن أقام بعد طواف الوداع إقامة غير مرخص فيها وجبت عليه إعادةه.

٣- خروجهم من المسجد بعد طواف الوداع مولين وجوههم للكعبة وأظهراهم للطريق يزعمون بذلك تعظيم الكعبة، وهذا خلاف السنة بل هو من البدع التي حذرنا منها رسول الله ﷺ.

٤- التفاتاتهم إلى الكعبة عند باب المسجد بعد انتهاءهم من طواف الوداع ودعاؤهم هناك كاللودعين للكعبة، وهذا من البدع لأنه لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين.

فالواجب على المؤمن بالله ورسوله أن يكون في عباداته متبعاً لما جاء عن رسول الله ﷺ فيها لبيان بذلك محنة الله ومحنة مغفرته كما قال تعالى: «قُلْ إِنَّكُمْ تُحْبِبُونَ اللَّهَ فَاتَّهِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيُعَذِّرُ لَكُمْ نَذُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [آل عمران: ٣١].

وابداع النبي ﷺ كما يكون في أفعاله يكون كذلك في متروكاته. فمتي وجد مقتضي الفعل في عهده ولم يفعله كان ذلك دليلاً على أن السنة والشريعة ترکه، فلا يجوز إحداثه في دين الله تعالى ولو أحبه الإنسان وهوه.

والحمد لله رب العالمين

مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو ويعرف بيده، ثم يرمي الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة فيقوم طويلاً ويدعو ويعرف بيده ثم يرمي جمرة العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها، ثم يتصرف فيقول هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله، وروى أحمد وأبو داود عن حاشية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروءة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله.

الأخطاء التي يفعلها بعض الحجاج عند الرمي هي:

١- اعتقادهم أنه لا بد من أخذ الحصى من مزدلفة، فيرهقون أنفسهم بقطتها في الليل واستصحابها معهم في أيام مني وقد علم مما سبق أنه لا أصل لذلك عن النبي ﷺ.

٢- اعتقادهم أنهم برميهم الجمار إنما يرمون الشياطين لهذا يطلقون اسم الشياطين على الجمار فيقولون: ربينا الشيطان الكبير أو الصغير أو رميانا بما الشياطين يعنيون بها الجمرة الكبرى جمرة العقبة، ونحو ذلك من العبارات التي لا تليق بهذه المشاعر، ولذلك نرى ونسمع من حماقات الرماعة الشيء المؤسف ففراهم يرمون بالحجارة الكبيرة والأحذية والأخشاب مصحوباً ذلك بالسب والشتائم وما لا يليق بالمناسك.

٣- ومن الناس من يرمي في غير وقت الرمي بأن يرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق قبل زوال الشمس وهذا الرمي لا يجزئ لأنه في غير الوقت الذي حدده النبي ﷺ.

٤- رميهم الجمرات في غير محل الرمي وهو حوض الجمرة وذلك بأن يرمي الحصى من مكان بعيد فلا تقع في الحوض أو يضر بها الشخاص فتتبرأ بعيداً وهذا الرمي لا يجزئ لأنه لم يقع في الحوض والسبب في ذلك الجهل والعجلة وعدم المبالاة بالعبادة.

٥- تركهم الوقوف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولى والثانية في أيام التشريق.

٦- رميهم الحصى جميعاً دفعة واحدة، وهذا خطأ فاحش وقد قال أهل العلم إنه إذا رمى بكتف واحدة أكثر من حصة لم يحسب له سوى حصة واحدة.

٧- تهاونهم برمي الجمار بأنفسهم فتراتهم يوكلون من يرمي عنهم مع قدرتهم على الرمي ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام ومشقة العمل، وهذا مخالف لما أمر الله تعالى به من إتمام الحج حيث يقول سبحانه: «وَاتَّهِعُوا الْحَجَّ وَالْعُمَرَةَ لِلَّهِ» [البقرة: ١٩٦] فالواجب على القادر أن يباشر الرمي بنفسه ويصبر على المشقة، فليتقن الحاج ربه وليتم

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة

للناس وأمناً، والصلاوة والسلام على النبي
المجتبى والرسول المرتضى ﷺ وبعد

فإن فريضة الحج تأتى على رأس العبادات

التي تحقق التوحيد في أسمى معاناته

فمظاهر العبودية في مناسك الحج ، ظاهرة

وواضحة فقد جمع الله عز وجل فيه ألوان

العبادات القلبية والقولية والبدنية والمالية

فإن أول شيء يبدأ به الحاج في هذه الشعيرة

المباركة ويفتتح به ويستهل هي كلمة

التوحيد، فهي المقصود الأعظم لهذا الدين كما

يشتمل الحج على الصلاة وإنفاق المال والذبح

لله عز وجل والصيام لمن لم يجد الهدي والأمر

بالمعرفة والنهي عن المنكر والصبر والحلم

والشفقة والرحمة وتعليم الناس الخير وجهاد

النفس ، وغير ذلك من ألوان العبادة، فأعظم

بها من شعيرة وأكرم بها من عبادة.

والحج هو قصد البيت الحرام لأداء مناسك

الحج أو العمرة، وكان الحج في شريعة إبراهيم

عليه الصلاة والسلام حيث أمره ربنا ببناء البيت

والأذان في الناس بالحج كما أخبر الله عز وجل

فقال : «وَأَنَّ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكُمْ رِجَالًا وَعَلَى

كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ» [٢٧] ليشهدوا

منافع لهم ويدركوا اسم الله في أيام معلومات على

ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكتلوا منها وأطعموا

البائس الفقير» [الحج: ٢٨-٢٧] . فالحج عبادة جليلة

القدر عظيمة الشأن فيها فوائد كثيرة منها غفران

الذنوب كما قال ﷺ : «من حج هذا البيت فلم يرفث

ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [رواه البخاري: ٢٠٩/٢]

ومنها شهود المنافع العظيمة التي قال عنها الله

سبحانه وتعالى: «لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» والمنافع

كثيرة دينية ودنيوية، ومنها كذلك ذكر الله في الأيام المعلومات والأيام المعدودات بالتكبير والتلبية والوقوف بعرفة والمزدلفة وذبح القرابين ورمي الجمار والطواف والسعى والبيت بمنى .

ومن منافع الحج العظيمة تعارف المسلمين حين يلتقيون في تلك البقاع الطاهرة والمشاعر المقدسة في المسجد الحرام وفي صعيد عرفات وبقية المشاعر، يلتقيون في زمن واحد وفي مكان واحد لأداء عبادة واحدة لرب واحد قال تعالى : «إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أَمْتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاغْتَبُونَ» [الأنبياء: ٩٢].

الحج وسلوكيات الجاهلية

استمر الحج بعد إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام على الحنيفة السمحاء لتشبه شائبة ولكن مع مرور الأيام وتطاول الزمن دخله بعض التغيير في عهد الجاهلية؛ من ذلك :

١ - أنهم كانوا يضمنون تلبيتهم الشرك بالله عز وجل حيث يقولون: «لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك» فجعلوا الله شريكًا من عباده فرد الله عليهم بقوله: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هُلْ أَنْكُمْ مَمَّا مَلَكْتُ أَمْ أَنْتُمْ مَمَّا شَرَكَنَا فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَخِيفَنَّكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَغْلِبُونَ» [الروم: ٢٨] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً، فإذا لم تخافوا هذا من مواليك ولم ترضوا هذا لأنفسكم فكيف رضيت أن تكون الهرتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبدي؟! .

٢ - و كانوا يطوفون بالبيت عراة ويررون أن ذلك طاعة أمر الله بها فرد الله عليهم بقوله: «وَإِذَا قَعُلُوا فَاحْشِهُ قَالُوا وَاجْدَنَا عَلَيْهَا أَبْعَانَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الاعراف: ٢٨] ، أي لا يليق بكماله وحكمته

وَظَاهِرُ الْأَنْجَوْل

وتعالى : «**وَأَنِمُّوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**» [البقرة: ١٩٦]،
مما يدل على أن كل حج و عمرة لا يتوفّر فيهما
التوحيد فليسَا مقبوليْن عند الله. وقد جعل الله
مناسك الحج مظاہر لتوحیده، فمن مظاہر التوحيد

في الحج:

أولاً: رفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله
ونفي الشريك عنه وإعلان انفراده بالحمد والنعمه
والملک: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن
الحمد والنعمه لك والملک لا شريك لك لبيك» يرددتها
المحرمون بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في أداء
المناسك.

فالحج من أبلغ أنواع التعبادات في تزكية
النفوس حيث ينصرف العباد إلى مقتضى
الاسترقاق ، وظهور فيه معانٍ العبودية المضرة
عندما تعظم شعائر الله ، ولذلك لبى أنس رضي الله
عنه: «لبيك بحجة حقاً، لبيك تبعداً ورفاً» ولنبيه
«لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، لبيك وسعديك
والخير كله بيدك، والرغباء إليك والعمل».

والترزم النبي ﷺ قوله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».«

وكلها إعلان بتوحيد الله عز وجل وإدامة للطاعة
والعبدية له ، والاعتراف بفضله سبحانه، وهي في
ذات الوقت مجازبة للمشركين الذين كانوا يلبون كما
سبق بيانه . والمسلم يستشعر وهو يلبي قيمة
العقيدة التي توحد قلوب العباد، ويعلم بتجاوب
الكون من حوله، يقول رسول الله ﷺ: « ما ملِبٌ يلبي
إلا لبَّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو مدر حتى
تنقطع الأرض من هنَا وهنَا » [رواه ابن ماجه وصححه]

فالتبية يتجلی فيها الإخلاص بأسماي معانیه،
فهي كلمات عظيمة لها دلالات كبيرة في تحقيق
الإيمان والتوحيد لأنها تعنى الاستجابة لله تعالى
بالحاج كما أمر الله سبحانه، كما تشتمل على معانی
المحبة والإجلال والتعظيم لله عز وجل لأن عباره
«لهم لا تتصدر إلا ملئ بمحبتك، ولا يستحق ذلك كمالاً»

اعداد / معاویة محمد هیکل

أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره .

ثم أمرهم ربنا سبحانه وتعالى باللباس وستر العورة في الصلاة والطواف وغيرهما فقال سبحانه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُشْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

٣- وكان سكان الحرم لا يقفون مع الناس في عرفة ، بل يقفون في المزدلفة لأنهم بزعمهم من أهل الحرم ولا يجوز لهم الخروج منه ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب في عرفات فرد الله عليهم ذلك وأمرهم بأن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى مزدلفة مع سائر الناس وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقال سبحانه : **﴿تَمَّ أَفْيَضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضُ النَّاسُ وَأَسْتَقْفَرُوا اللَّهَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [البقرة: ١٩٦].

فَعَادَ اللَّهُ سَبَّاهَهُ وَتَعَالَى الْحَجُّ كَمَا كَانَ عَلَى
مَلَةٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ ﷺ عَلَى
الْتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَبِاللِّبَاسِ السَّاتِرِ وَالْوَقْوفِ
بِالْمَشَاعِرِ، وَأَعْلَنَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَحْجُّ بِقَوْلِهِ: «لَا يَحْجُّ
بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَّانٌ» [رَوَاهُ
الْبَخَارِيُّ: ٦٩] عَمَلاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا الَّذِينَ
أَمْنَتُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خَفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ
يُغَنِّيَّكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»
[التَّوْبَةِ: ٢٨] وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَطَهَرْ بَيْتِي لِلظَّاهِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرَّكُومَ السَّاحِدُونَ» [الْحِجَّ: ٢٦].

مظاهر التوحيد تتجلى في مناسك الحج

لقد أمر الله باداء الحج والعمرة فقال سبحانه

ال الحاج حينما يفرغ من الطواف ويصل إلى الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون)، وفي الثانية يقرأ (سورة الإخلاص)، مما تشتمل عليه هاتان سورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين وإفراد الله بالعبادة، وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص، وبذلك يعرف العبد ربِّه ويخلص له العبادة ويتبَرَّأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدرس العملي العظيم.

خامساً: ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروءة أن العبد يسعى؛ امثلاً لقوله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اغْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوُفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ» [البقرة: ١٥٨].

ومن ذلك يتعلم المسلم أنه لا يجوز السعي في أي مكان من الأرض إلا بين الصفا والمروءة؛ لأنهما من شعائر الله.

سادساً: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن أعظم الذكر الذي يقال في يوم عرفة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» كما قال النبي ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَةُ عِرْفَةَ، وَخَيْرُ مَا قَلَّتْ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، فهذا إعلان في هذا المجمع العظيم وفي هذا اليوم المبارك لتوحيد العبادة من خلال النطق بهذه الكلمة وتكرارها لأجل أن يستشعر الحاج مدلولها ويعمل بمقتضائها فيؤدي أعمال حجه خالصة لله عز وجل من جميع شوائب الشرك.

سابعاً: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج ما شرعه الله في يوم العيد وأيام التشريق من ذكره وحده، قال تعالى: «وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» [البقرة: ٢٠٣]

وذكر الله في هذه الأيام يتجلّى في الأعمال العظيمة التي تؤدي في أيام مني من رمي الجمار ونبذ الهدي وأداء الصلوات الخمس في هذه الأيام

وتقديساً وتعظيمياً إلا ربنا عز وجل، فالتلبية من اللب ولب الشيء خلاصته، والتلبية كذلك فيها إثبات لصفات الكمال لله تعالى والإقرار به مثل الكلام والسمع والقرب، كما تضمنت التلبية كل معاني التوحيد لله تعالى بربوبيته ولوهيتها وأسمائه وصفاته وكذلك إبطال الشرك والإلحاد.

وإعلان التلبية من المسلم هي تهيئه للنفس للاستجابة لدين الله عز وجل وشرعه، والاستعداد لقبول أوامر الله وسنة رسوله ﷺ في أعمال الحج وغيرها والكف عن المحظورات وأن العبد مستعد لإصلاح شأنه ظاهراً وباطناً.

ثانياً: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الله تعالى أمر بالطواف ببيته، فقال تعالى: «وَلْيَطْوُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٩]، مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت فلا يجوز الطواف ببيتٍ غيره على وجه الأرض ولا بالأضرحة ولا بالأشجار والأحجار، ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل وليس عبادة لله عز وجل، وإنما هو عبادة لشياطين الإنس والجن، ومن أعجب العجب أن بعض الحجاج يعتقدون أن حجهم لا يكتب له الكمال بل لا يقبل إلا إذا عادوا إلى أوطانهم وطافوا حول أضرحة الأولياء بزعمهم، فبعداً لقوم لا يفقهون.

ثالثاً: ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله، فهو يستلمهما طاعة لله واقتداءً برسوله ﷺ. ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ حَجَرًا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْبَلُ مَا قَبَلْتُ». ومن هنا يعلم المسلم أنه لا يجوز تقبيل شيء من

الأبنية والأحجار إلا الحجر الأسود؛ لأن ذلك مخالف لشرع الله، وأنها ليست من شعائر الله. بل من مناسك الجاهلية.

رابعاً: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن

تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروءة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ﴿الْم١﴾ أحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَهْمًا وَهُمْ لَا يُعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿العنكبوت: ١-٣﴾ والحكمة ظاهرة في الصلاة والزكاة والصيام، أما أعمال الحج فلا اهتماء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها إلا باعث الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الإتباع فقط. ولذلك قال أنس: لبيك بحجة حقاً تعبدأ ورقاً، ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها.

عبد الرحمن إذا عرض لهم الشيطان بخاطر أو وساوس فقال لهم: سمعت هاجر فلماذا تسعى ، ورمى إبراهيم لما عرض إبليس له فلماذا ترمي ؟ فاعلم أنها وسوسه ولابد من إرغام أنف الشيطان ، ولأن تخر من السماء إلى الأرض أهون عليك من أن تجد ما تجد فانت عبد الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَافِقٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ ثَذَّكَرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾ [الاعراف: ٢٠١].

الحج إذعان للواحد الديان

وختاما فالحج طاعة يتقلب بها الحاج بين المشاعر، يقيم ويرحل ويمكث ويتنقل ويختيم ويقطع ليست له حرية ولا اختيار و حكم إلا الامتثال فهو طوع إشارة ورهين أمر ، وهذا كانت حياة إبراهيم وحياة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، نزول وارتفاع ومكث وانتقال وعقد وحل ونقض وإبرام ووصل وهجر لا خضوع لعادة ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى، ولذلك قال النبي ﷺ يوم عرفة: «كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث إبراهيم». [رواوه الترمذى وقال حسن]

ولا يملك المسلم في النهاية إلا أن يهتف بقوله تعالى : «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَتَسْكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ [الانعام: ١٦٢-١٦٣].

والحمد لله رب العالمين

المباركة، كل هذه الأعمال ذكر لله عز وجل.

فرمي الجمار ذكر لله، ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة: (الله أكبر)، وذبح الهدي ذكر لله عز وجل، كما قال تعالى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَغْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: «وَالْبَدْنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْقَانَعَ وَالْمُغْنَثَ كَذَلِكَ سَخْرَنَاهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَتَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا يَمَاوِهَا وَلَكِنْ يَتَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخْرَهَا لَكُمْ لِتُتَكَبِّرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَكُمْ وَبَسَرُ الْمُحْسِنِينَ» [الحج: ٣٧-٣٦].

ومن هنا يتعلم المسلم أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ، فلا يذبح لقبر ولا لولي ولا لجني أو مخلوق ؛ لأن الذبح عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك .

ثامناً: ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج أن الله أمر بذكره أثناء أداء مناسكه وبعد الفراغ منها، فقال تعالى: «فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذَكْرِكُمْ أَبْعَاكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبِّنَا أَتَنَا فِي الدِّينِ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبِّنَا أَتَنَا فِي الدِّينِ حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَغْلُومَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِلَهُ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِلَهُ عَلَيْهِ مِنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهُ وَأَغْلُبُوا أَنْكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» [البقرة: ٢٠٣-٢٠٠].

شعائر الحج رد على دعابة إتباع العقل

تاسعاً: ومن مظاهر التوحيد أن الحج تحدى لعباد العقل ، ودعوة إلى الإيمان بالغيب وإتباع الأمر المجرد بعيداً عن العادات والمتاليفات والحضارة المصطنعة والمجتمع القاسي، فابليت الحرام يزوره الناس من كل فج عميق، شعثاً غبراً متواضعين لرب ذلك البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله . ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم في الحج أعمالاً لا

دُفْلَاعِ عَنْ

اتبوا
ولا
تبتّعوا

تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي». [علم الموقعين (٧٨١/١)]
وقال ابن القيم رحمة الله: (أي: لا تقولوا
حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى
يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم
فيه، ويؤصيه). [السابق (٥٤٦/١)]

٢ - وقال عز وجل: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ
يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ
حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتُ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥].

عن عروة قال: (خَاصَّهُ الرَّبِّيْرُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ
فِي شَرَاجِ مِنَ الْحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْقُ يَا
رَبِّيْرُ، ثُمَّ ارْسِلْ إِلَيَّ إِلَيْ جَارِكَ»، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنُ عَمْتِكَ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ
قَالَ: «اسْقُ يَا رَبِّيْرُ، ثُمَّ احْسِ إِلَيَّ إِلَيْ جَارِكَ»، فَرَجَعَ إِلَيَّ
الْجَدْرِ، ثُمَّ ارْسِلَ إِلَيَّ إِلَيْ جَارِكَ»، وَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ
لِلرَّبِّيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ
الْأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرِ لَهُمَا فِي سَعَةِ
قَالَ الرَّبِّيْرُ: فَمَا أَحْسِبَ هَذِهِ الْآيَةِ نَزَّلَتْ إِلَّا فِي ذَلِكِ:
«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتُ
وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥]. [رواوه البخاري (٤٥٨٠)].

ثانية: الأستدلة تبين القرآن وتوضحه:

١ - قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نَرَأَى إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل: ٤٤].
فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين
وحي من عند الله. عز وجل .. لا شك في ذلك، ولا
خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل
وحي نزل من عند الله فهو ذكر منزل، فاللهم كله
محفوظ بحفظ الله - تعالى - له بيقين، وكل ما تخلف
الله بحفظه فمضمونه لا يضيع منه، وأن لا يحرف
منه شيء أبداً تحريفاً، لا يأتي البيان ببطلاته. أهـ.

[الإحکام: ١٠٩/١]

٢ - قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِينَ
رَسُولًا مِمُّهُمْ يَنْتَلِعُ عَلَيْهِمْ أَيَّاتِهِ وَيُرَكِّهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ» [الجمعية: ٢].

٣ - وقال عز وجل: «وَادْكُرْنَ مَا يُنَزَّلَ فِي
بَيْوَكْنَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ طَيِّفًا
خَيْرًا» [الأحزاب: ٣٤].

الحمد لله والصلوة والسلام على

رسول الله وبعد.

فقد تواترت الطعنات وتتابعت

الضربات عبر وسائل الإعلام المرئية

والمقروءة والمسموعة هجوماً على سنة

النبي ﷺ من أعداء السنة على اختلاف

مشاربهم، وأن الباطل قد يجد من يسمع

له ويصفي، خاصةً وأن القوم من جلدتنا

ويتكلمون بالسنتنا فيَبَسُونَ عَلَى النَّاسِ

دينهِمْ، وَيُفَسِّدُونَ عَلَيْهِمْ عَقَائِدَهُمْ، الْأَمْرُ الَّذِي

يُسْتَدِعِي مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ التَّصْدِي لِهَذِهِ

الْهَجْمَةِ الشَّرِسَةِ دَفَعَاهُمْ عَنِ السَّنَةِ وَالذَّبِّ عَنْهَا،

وَالتَّاكِيدُ عَلَى حُجَّتِهَا وَكَوْنِهَا مَصْدِرًا لِلتَّشْرِيعِ

وَإِبْطَالُ دَعْوَى الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ.

ونسوق في هذا المقال الأدلة من الكتاب والسنة

وأقوال سلف الأمة التي تدل على حجية السنة

النبوية وبيان منزلتها ومكانتها كمصدر للتشرع

وأنها وحي القرآن. كما قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنِّي

أَوْتَيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ». [إسناده حسن اخرجه احمد في مسنده

برقم (١٧٢١٣)] فنقول مستعينين بالله عز وجل:

الأدلة من القرآن الكريم

أولاً: دلت آيات القرآن الكريم على وجوب

الإيمان بالنبي ﷺ واتباعه والرضي بحكمه:

١ - قال تعالى: «بِأَيْمَانِهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا

بَيْنَ يَدِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ» [الحجرات: ١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها:

«لَا تقولوا خلاف الكتاب والسنة». [رواوه ابن جرير في التفسير (١١٦/٢٦)]

وقال سفيان - رحمة الله: «دعوا السنة

السنة النبوية

إعداد / معاوية محمد هيكل

الله فيما نص عليكم القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بينَ لكم من القرآن، وما ينصله عليكم من السنة، أو المعنى: أطعوا الله فيما أمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته، وأطعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن). اهـ.

[فتح الباري (١٣/١١١)]

قال الطببي: (أعاد الفعل في قوله: «أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ» إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في أولى الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته). اهـ. [فتح الباري (١٢/١١١-١١٢)]
رابعاً: وجوب اتباع النبي وأن اتباعه لازم لحبته:

دللت آيات القرآن الكريم على وجوب اتباع النبي ﷺ في جميع ما يصدر عنه؛ والتأنسي به في ذلك، وعلى أن اتباعه لازم لمحبة الله تعالى. فمن ذلك:

١ - قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ كُلَّنَا مُتَحَبِّبُونَ اللَّهَ فَإِنَّشَغَوْنِي يَشَغِبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [آل عمران: ٣١].

٢ - قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مِّنْ كَانَ يَرْجُوُ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١].

٣ - قوله تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَنْتَهُنَّ لِلَّذِينَ يَتَقْوَنَ وَيُؤْتُونَ الرُّكَّاَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِأَيَّاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَبَرَّغُونَ الرَّسُولَ السَّيِّئُ الْأَمْيَ الَّذِي يَجْدُوْهُ مَكْحُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْأَنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحَلِّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَيَّاثَ وَيَضْعُغُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزِيزُوهُ وَيَنْصُرُوهُ وَيَنْتَهُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أَوْلَذِكُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الأعراف: ١٥٧-١٥٦].

عطف الله الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، وأنها ليست إياه، ولا يصبح أن تكون شيئاً آخر غير الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى أمنٌ علينا بتعليمها، والمن لا يكون إلا بما هو صواب، وحق مطابق لما عنده، فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالكتاب، خصوصاً وأن الله قد قرناها به، (وَسَنَة رسول الله ﷺ مُبَيِّنَةٌ عن الله معنى ما أراد، دليلاً على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله). اهـ. [انظر: الرسالة من ٧٨-٧٩].

قال الشافعي - رحمه الله -: (سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ). اهـ. [الرسالة من ٧٨]

قال ابن القيم - رحمه الله -: (والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر الرسول ﷺ عن الله - سبحانه - فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به رب - تعالى - على لسان رسوله ﷺ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم). اهـ. [الروح من ١٠٥]

ثالثاً: وجوب طاعة النبي ﷺ طاعة مطلقة وأن طاعته طاعة لله تعالى:

١ - قوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [آل عمران: ١٣٢].

٢ - قوله تعالى: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» [آل عمران: ٣٢].

٣ - قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» [الأنفال: ٢٠].

٤ - قوله جل وعلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُلُّمُ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩].

قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله إن كان حيّاً، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السنة». [تفسير الطبرى (١٥١/٥)]

قال الحافظ في الفتح: (فكان التقدير: أطِيعوا

فَعَلَقَتِ الْعَصِيمَةُ مِنَ الضَّالِّ عَلَى التَّمْسِكِ
بِالْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ مَعًا، وَمَا عَلَقَ عَلَى شَرْطِينَ لَا يَتِمُ
بِأَحَدِهِمَا، وَقَالَ تَعَالَى: «قُلْ أَطْبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حَمَلَ وَعَلَيْكُمْ مَا
حَمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تُهْدَوْا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» [النور: ٤٤]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَ: «وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
يَكُونُ لَهُمُ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الاحزاب: ٣٦]؛ فَمِنْ ثُمَّ يَجِبُ
القطع بضلالة من جحد حجية السنة، وادعى
الاقتصار على القرآن الكريم، كما هو شعار المبتدعة
في كل عصر ومصر، قال ابن مسعود رضي الله عنه:
«لو تركتم سنة نبيكم لضلالتكم».

[جزء من اثر رواه مسلم، ٢٥٦] [٦٥٤]

٨ - وَقَالْ أَيُوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: إِذَا حَدَثَ الرَّجُلُ
بِسَنَةٍ، فَقَالَ: «دَعْنَا مِنْ هَذَا، وَأَنْبَئْنَا عَنِ الْقُرْآنِ»
فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَلَالٌ. [حجية السنة ص: ٣٣٢]
إِنَّ فَصْلَ السَّنَةِ عَنِ الْقُرْآنِ يَفْتَحُ الْمَجَالَ لِلْمُبَتَّدِعَةِ
كَيْ يَفْسِدُوا مَحَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا شَاعَوْا أَنَّ
يُفْسِدُوا مَحَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا شَاعَوْا أَنَّ السَّنَةَ
الشَّرِيفَةَ، وَمَا أَكْثَرُ النَّصْوُصِ الْقَرَائِنِيَّةِ الْعَامَّةِ، أَوِ
الْمَطْلَقَةِ، الَّتِي يَسْتَدِلُّ بِهَا الْمُبَتَّدِعُونَ إِذَا فَهَمُتْ بِمَعْزِلِ
عَنِ السَّنَةِ الَّتِي تَقْسِرُهَا، وَتَبَيَّنَتْ بِبَيْانِيَّةِ يَتَعَنَّ الْمُصِيرِ
إِلَيْهِ.

٩ - وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ: «نَخْرُّ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْ حَدِيثِهِ، فَحَفِظَهُ،
حَتَّى يُبَلَّغُهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِيقَهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَقْفَأَ مِنْهُ،
وَرُبَّ حَامِلٍ فِيقَهٍ لَيْسَ بِفِيقِهِ»، [أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ][١٨٣/٥]
وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلُ النَّبِيِّ
لَوْفَدَ عَبْدَ الْقَيْسَ، بَعْدَ أَنْ أَمْرَهُمْ بِأَرْبَعَ، وَنَهَا هُمْ
عَنْ أَرْبَعٍ: «اْحْفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوْهُ مِنْ وِرَاءِكُمْ».

[أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ][٤٣٧/١]

وَقَدْ تَوَعَّدَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ عَلَيْهِ
بِتَبَوَّئِ مَقْعِدِهِ مِنَ النَّارِ، وَحَذَرَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ،
وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ أَيُّ الْكَذِبِ عَلَيْهِ، مُسْتَلِزِمٌ لِتَبْدِيلِ
الْأَحْكَامِ الشَّرِيعِيَّةِ، وَاعْتِقَادِ الْحَرَامِ حَلَالًا، وَالْحَالَ حَرَامًا.

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ: «يُكَوِّنُ فِي أَخْرِ الزَّمَانِ دُجَالُونَ كَذَابُونَ،
يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمِعُوا أَنْتُمْ وَلَا
أَبْوَكُمْ، فَإِيَاكُمْ وَإِيَاهُمْ، لَا يَضْلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتَنُونَكُمْ».

[رواہ مسلم (٩٥)]

خامسًا: السَّنَةُ وَحْيٌ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:
١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى
(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» [النَّجْم: ٣].
قَالَ ابْنُ الْقِيمِ - رَحْمَهُ اللَّهُ - (وَلَمْ يَقُلْ:
«وَمَا يَنْطِقُ بِالْهَوَى»؛ لَأَنَّ نَفْيَ نَطْقِهِ عَنِ
الْهَوَى أَبْلَغٌ؛ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّ نَطْقَهُ لَا يَصْدِرُ
عَنْ هَوَى، وَإِذَا لَمْ يَصْدِرْ عَنْ هَوَى فَكَيْفَ
يَنْطِقُ بِهِ؟ فَتَضَمَّنَ نَفْيُ الْأَمْرِيْنِ: نَفْيُ الْهَوَى
عَنْ مَصْدَرِ النَّطْقِ، وَنَفْيُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَنَطْقُهُ
بِالْحَقِّ، وَمَصْدَرُهُ الْهَدَى وَالرِّشَادُ لَا الْغَيِّ وَالضَّالِّ).
اَهـ. [بِدَائِعِ التَّفْسِيرِ (٤) ٢٦٧]

الْأَدَلَّةُ مِنَ السَّنَةِ النَّبُوَيَّةِ

قَدْ وَرَدَ فِي السَّنَةِ مِنَ الْأَدَلَّةِ مَا يَدِلُّ دَلْلَةً قَاطِعَةً
عَلَى حِجَّةِ السَّنَةِ الشَّرِيفَةِ؛ فَمِنْهُ:

١ - مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْحَجَّ»، قَالَ: فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسَ فَقَالَ: أَفِي
كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَوْ فَلَّتْهَا لَوْجِبَتْ، وَلَوْ
وَجَبَتْ لَمْ تَعْتَلُوا بِهَا، وَلَمْ تَسْتَطِعُوْا أَنْ تَعْتَلُوا بِهَا،
الْحَجَّ مَرَّةً، فَمِنْ زَادَ فَهُوَ تَطْوِعٌ»، [أَخْرَجَ الْإِمامُ أَحْمَدُ
الْمَسْدِنِ (١/٥٥٠) وَصَحَّحَ الشَّيخُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ]

٢ - وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ: «لَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى أَمْتَيْتِهِمْ بِالسَّوْاْكِ
عِنْ كُلِّ صَلَةٍ»، [رواہ البخاری (٨٨٧)]

٣ - وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا الْأَفْلَقُ أَحَدُكُمْ مُمْتَنَّى عَلَى أَرْيَكَتِهِ، يَاتِيهِ الْأَمْرُ
مِنْ أَمْرِي مَا أَمْرَتْ بِهِ، أَوْ نَهَيْتْ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا
أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَتَبَعْنَاهُ»، [أَخْرَجَ الْإِمامُ
أَحْمَدُ (٨/٦) وَصَحَّحَ الْأَبْلَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَوْدٍ (٣٤٩٤)]

٤ - وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي
فَقَدْ عَصَى اللَّهَ»، [أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ (٧١٣٧)]

٥ - وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أَمْتَيْتِهِمْ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ
الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، [أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ (٧٢٨٠)]

٦ - وَعَنْ الْعَرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَرْفُوعًا: «وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشَّ مِنْكُمْ فَسِيرِيَ اخْتَلَافًا كَثِيرًا،
فَعَلَيْكُمْ بِسَنْتِي وَسَنَةِ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ،
عَضُوا عَلَيْهَا بِالْفَوَاجِذِ»، [صَحِيحُ أَخْرَجِ التَّرمِذِيِّ (٢٦٧٦)]

٧ - وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرِيْنِ لَنْ تَضْلُّوا
مَا تَمْسَكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسَنَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». [رواہ مَالِکٌ فِي الْمُوطَأِ]

أقوال سلف الأمة

قال عمر رضي الله عنه: «سياتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوههم بالسفن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله». [سنن الدارمي ٤٩١]

ولما أرسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج قال له: «اذهب إليهم فخاصهم، ولا تحاجهم بالقرآن؛ فإنه ذو وجوه، ولكن خاصهم بالسنة». [حجية السنة ص ٣٢٩]

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه: (أنهم كانوا يتذكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله، فقال عمران: إنك أحمق؛ أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ أتجد في كتاب الله الصيام مفسراً؟ إن القرآن أحكم ذلك، والسنة

[تفسيره]. [جامع بيان العلم ١١٩٢/٢]

وأخرج مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد ابن أسييد: أنه سأله عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؟ فقال ابن عمر: يا ابن أخي، إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً، ولا نعلم شيئاً فإنما نفعل كما رأيناه يفعل). [الموطا ص ١٠]

وأخرج البيهقي في «المدخل» من طريق شبيب بن أبي فضالة المكي، أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: «يا أبا نجبي، إنكم تحدثوننا باحاديث، لم نجد لها أصلاً في القرآن»، فغضب عمران، وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاء، ووجدت المغرب ثلاثة، والغداة ركعتين، والظهر أربعاء، والعصر أربعاء؟ قال: لا. قال: فعنمن أخذتم ذلك؟! ألسنت عننا أخذتموه، وأخذناه عن رسول الله

﴿أَوْجَدْتُمْ فِيهِ﴾: في كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بغير كذا، وفي كل كذا درهم كذا؟ قال: لا، قال: فعنمن أخذتم ذلك؟! ألسنت عننا أخذتموه، وأخذناه عن النبي ﷺ؟! قال: في القرآن «وَلَيَطْوُّقُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٩]، أوجدتم فيه: فطوفوا سبعاً، واركعوا ركعتين خلف المقام؛ أوجدتم في القرآن: «لَا جَلْبَ وَلَا حَنْبَ، وَلَا شَغَارَ فِي الإِسْلَامِ».^{١٦}

أما سمعتم الله قال في كتابه: «وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ وَأَنْتُمْ عَنَّا اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الحشر: ٧]، قال عمران: «فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم».

[حجية السنة ص ٣٣١-٣٣٣] وذكر ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم)، عن عبد الرحمن بن يزيد: أنه رأى محرماً يحيى، وعلىه ثيابه، فقال: ائتنني بيأة من كتاب الله تنزع

ثيابي، قال: فقرأ عليه: «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ وَأَنْتُمْ عَنَّا اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الحشر: ٧].

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إليه، فقالت له: أنت الذي تقول: «لَعْنَ اللَّهِ النَّازِمَاتِ وَالْمَنْزَمَاتِ وَالْوَاشْمَاتِ...» الحديث؟ قال: نعم، قال:

فإنني قرأت كتاب الله من أوّله إلى آخره، فلم

أجد فيه ما تقول، فقال لها: إن كنت قرأتني لقد وجدتني، أما قرأت: «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ وَأَنْتُمْ عَنَّا اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ»؟! قال: بلـ، قال: فقد سمعت رسول الله

يقول: «لَعْنَ اللَّهِ النَّازِمَاتِ...» [رواه البخاري ٤٨٨]

قال ابن حزم - رحمة الله - في المثلثي ٢٠٠/٢:

«في أي قرآن وجد أن الظاهر أربع ركعات، وأن

المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا،

والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها

والسلام، وبين ما يُجتنب في الصوم، وبين كيفية

زنكا الذهب والفضة، والغمم والإبل والبقر، ومقدار

الأعداد المأخوذة منها الزكوة، ومقدار الزكوة

المأخوذة، وبين أعمال الحج، من الوقوف بعرفة،

وصفة الصلاة بها، وبمزدلفة، ورمي الجamar، وصفة

الإحرام، وما يجتنب فيه، وقطع السارق، وصفة

الرضاع المحرم، وما يحرم من المأكل، وأحكام الذائب

والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق،

وأحكام البيوع، وبين الربا، والأقضية، والتدعيع،

والإيمان، والاحباس، والعمري، والصدقات، وسائل

أنواع الفقه؟

وإنما في القرآن جمل لو ثركتنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك التنقُّل عن النبي ﷺ، وكذلك الإجماع إنما هو في مسائل يسيرة، فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امراً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لأن كافراً بإجماع الأمة، ولكن لا يلزم إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للاكثر في ذلك، وقاتل هذا كافر مشرك، حلال الدم والمال.. اهـ.

وبعد فقد بان للأمة مكانة السنة ومنزلتها في التشريع، فهل يتوقف سيل الضلالات والانحرافات عبر الفضائيات والصحف والمجلات التي تهاجم سنة النبي ﷺ؟ وهل يرتدع العلمانيون وأشباههم عن غيهم وضلالهم، هذا ما تأمله وترجوه.

والله تعالى من وراء القصد.

تباً و هاركاً

لأتباع

أبي لهب

إعداد



معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى وبين الحق، بشيراً وتنيراً وداعياً إليه بإلهه وسراجاً منيراً، اختصه الله بالقرآن، وميزه بجواعيم الكلم وفصاحة اللسان، وفضله على جميع مخلوقاته من ملائكة وإنس وجان، ختم الله به الرسالة، وهدى به من الضلاله، وبصر به من العماليه، وأرشد به من الغواية، فرض على الناس طاعته، وأوجب عليهم محبتة، شرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، وأعلى قدره، وجعل النزل والصغراء على من خالف أمره، فصلى الله وسلم وببارك عليه، وزاده رفعة ومكانة لديه، ورضي الله عن الله وصحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فما زال الباطل ينفث سمومه من أن لا خير والكفر يطل علينا بوجهه القبيح، فقد تاجرت نيران العداوة والبغضاء في قلوب أعداء الإسلام، وغلت مراجل الحقد في صدورهم، وتطاول اللئام على مقام سيد الأنام، مقتفيين بذلك نهج أسلافهم من الكفار أتباع أبي لهب وأبي جهل وأنصار مسلمة الكذاب، قال تعالى: «كَذَّلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلُهُمْ شَبَاهُمْ قُلُوبُهُمْ»

[البقرة: ١١٨]

كل ذلك تحت شعاراتهم الزائفه ومبانئهم الباطلة التي يسمونها الحرية في التعبير، مع أنه لا يجرؤ أحدهم ولا يقوى أن يتطاول أو يتعرض لجناب رئيس أو زعيم عندهم، وكما قال الشاعر:

يقاد للسجن من سب الزعيم ومن

سب الرسول فإن الناس أحراز
إن الجريمة التكراه والفعله الشعناء
التي ارتكبها الدنماركيون وغيرهم في حق
سيد الأنبياء لهي نذير شؤم عليهم وبلاعه
وخراب ودمار في الدنيا والآخرة، فسنة الله
فاضية فيمن يستهزئ برسول الله ﷺ أو
يؤذيه أو يتعرض مقامه الشريف بالقول أو
ال فعل، فحينما أكرم قيسار كتاب رسول الله
ﷺ واقرم رسوله ثبت ملكه واستمر زماناً،
وأما كسرى فمزق كتاب رسول الله ﷺ فمزق
الله ملكه بدعوة النبي ﷺ [كما أورد ذلك القاضي
عياض في كتابه الشفا عن الشافعي رحمه الله] وهذا
مصدق قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤذِّنُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَعْنُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» [الأحزاب: ٥٧]. وقوله تعالى:
«إِنَّ كَفَّيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» [الحجر: ٩٥]، وقوله
تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» [الكون: ٣].
فليسمع «أبرهه» الدنماركي شيئاً مما قاله
حسان بن ثابت في الرد على أمثاله دفاعاً
عن النبي ﷺ:

باسمك الشفيف، وعن إيقاع الشتم على رسول الله ﷺ.

٢. وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يغفر محمد وجهه (أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب) بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعزى ! لئن رأيته يفعل ذلك لاطان على رقبته أو لا عفن وجهه في التراب، قال: فاتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجاه من إلا وهو ينكص على عقبيه (رجع يمشي إلى الوراء) ويتنقى بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيديه وبينه لخدنقاً من نار وهو لاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

[رواية مسلم برقم: ٣٧٥٠، وأحمد ٢٧٩٧]

٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قرئ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنَ» [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صبحاً (كلمة ينادي بها للجتماع عند وقوع أمر عظيم)، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكتتم مصدقتي؟، قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

قال أبو لهب: تباً لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ».

[رواية البخاري برقم: ٤٧٠]

٤. امرأة أبي لهب تقود حملة الإيذاء وتناصب النبي ﷺ العداء:

وكانت امرأة أبي لهب - أم جميل بنت حرب بن أمية اخت أبي سفيان - لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى يابه لينادى وكانت امرأة سليطة تبسط فيها لسانها، وتطيل عليه الافتراء والبس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حرثاً شعواء على النبي ﷺ، ولذلك وصفتها القرآن بحملة الخطب.

هجوتَ مُحَمَّدًا فاجبَتْ عنْه
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ
أَتَهُ جَوَهْ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفْعِ
فَشَرِّكَمَا لَخِيرِكَمَا الْفَدَاءِ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالَّدَهُ وَعِزِّ رَضِيَ
لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءِ
هَجَوتَ مَبَارِكًا بِرًا حَنِيفًا
أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَةَ الْوَفَاءِ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
وَيَمْدُحُهُ وَيَنْصَرُهُ سَوَاءِ

[مسلم: ٦٤٩٠]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في مجموع الفتاوى: إن الله منقم لرسوله ﷺ من طعن عليه وسبه، ومظهر لدعنه ولذنب الكاذبين إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة بما جربوه مرات متعددة في حصار الحصون والمداير التي بالسواحل الشامية لما حاصر المسلمون فيها بني الأصفر في زمانهم قالوا: كنا نحن نحاصر الحصن أو المدينة الشهر أو الأكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد ننأس منه حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والواقعة في عرضه تعجلنا فتحة وتيسر، ولم يك يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك. ثم يفتح المكان عنده ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتحجيم الفتاح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غبطة عليهم بما قالوا فيه ﷺ. [الصيام المسنون ٢٣٣/٢]

مواقف وصور لدفاع الله سبحانه عن نبيه ﷺ

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إلا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنةهم يشتمنون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد». [رواية البخاري ٣٥٣]

فكان الكفار من قريش يتركون ذكر النبي محمد ﷺ الدال على المدح والثناء، ويعبدون إلى ضده ويقولون «مدّم»، ولاشك أن هذا من نصرة الله لنبيه ﷺ لأن الله صرفهم عن أن ينطقوا

وإسف، لو قد رأينا محمدًا لقد قمنا إليه قيام
رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فاقتلت ابنته
فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على
رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملا من قريش قد
تعاقبوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك،
فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك،
قال: يا بنية أربيني وضُوءاً، فتوضا ثم دخل
عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا،
وخفضوا أيصارهم، وسقطت آذانهم في
صدرهم، وعقرموا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه
بصرًا، ولم يقم إليه رجل، فاقبل رسول الله ﷺ
حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب،
قال: شاهت الوجوه (قبح منظرها)، ثم حسبهم
بها فما أصاب رجالاً منهم من ذلك الحصى
حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا. [رواه احمد في المسند
[٣٦٨، ٣٠٣٢]، وصححه أسد ساكن برقم (٢٧٦٢)]

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما
فتحت خير، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها
سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من هاهنا
من اليهود». فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ:
«إنني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقون عنْه؟»
قالوا: «نعم يا أبا القاسم»، فقال لهم رسول الله
ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: «أبونا فلان»، فقال رسول
الله ﷺ: «ذذبت، بل أبوكم فلان». فقالوا: صدقت
وبررت. فقال: «هل أنتم صادقون عن شيء إن أنا
سائلكم عنه؟» فقالوا: «نعم يا أبا القاسم، وإن
كذبناك عرفت كما عرفت من أبينا، فقال لهم
رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون
فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول
الله ﷺ: «اخسّوا فيها، والله لا نخلفكم فيها
ابداً».

ثم قال لهم: «هل أنتم صادقون عن شيء إن
سائلكم عنه؟» فقالوا: «نعم»، فقال: «هل جعلتم في
هذه الشاة سماً؟» فقالوا: «نعم»، فقال: «ما حملكم
على ذلك؟» فقالوا: «أردنا إن كننا كذاباً أن
نستريح منك، وإن كننا نبياً لم يضرك».

[أخرجه البخاري برقم ٥٧٧٧، وأحمد في المسند ٤٥١/٢]

وما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من
القرآن أنت رسول الله ﷺ وهو جالس في
المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي
يدها فهر (حجر)، فلما وقفت عليهما أخذ الله
ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر،
قالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه
يهجوني، والله لو وجدته لضررت بهذا الفهر
فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مذمماً عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما
تراها راتك؟ فقال: ما رأيتي، لقد أخذ الله
ببصرها عنـي. [سرة ابن هشام: ١/ ٣٣٥-٣٣٦]

٥- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت،
وابو جهل وأصحابه له جلوس، وقد نحرت جزور
بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور
بني فلان فيأخذنه، فظل في كتفي محمد إذا سجد
(والسلام هو المشيمة تكون مع مولود الناقة).

فابن عثيمين القوم (عقبة بن أبي معيط)
فأخذنه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه،
قال: فاستحضرهوا، وجعل بعضهم يميل على
بعض، وأنا قائمه انظر، لو كانت لي منعة طرحته
عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ساجد، ما يرفع
رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت،
وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم،
فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا
عليهم، وكان إذا دعا: دعا ثلاثة، وإذا سأله: سأله
ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاثة مرات،
فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا
دعونه، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام،
وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن
عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط».
ونذكر السابع ولم أحفظه، فهو الذي بعث محمداً
ﷺ بالحق! لقد رأيت الذين سمي صرعى يوم
بدر، ثم سُحبوا إلى القليب. [قليل بدر].

[رواه مسلم (١٧٩٤)]

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن
الملا من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا
باللات والعزى، ومنة الثالثة الأخرى، ونائلة

١٠- قصة عجيبة:

يروي الشيخ أحمد شاكر قصة عجيبة عن والده الإمام العلم محمد شاكر والذي كان يعمل وكيلًا للإزهر: يقول إن والده كفر أحد خطباء مصر وكان فصيحًا متكلماً مقنداً وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عثنا أكرم طه حسين، فقال في خطبته: يتعلّق الأمير وينافقه «جاءه الأعمى فما عبس بوجهه وما تولى» وهو يريد بذلك التعريض برسول الله ﷺ، حيث إن القرآن ذكر قصته مع الأعمى، فقال تعالى: «عَبْسَ وَتَوَلَّ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» [عبس: ٢١] وبعد الخطبة وقف الشيخ محمد شاكر أمام الناس وقال لهم: إن صلاتكم باطلة، وأمرهم أن يبعدوا صلاة الجمعة؛ لأن الخطيب كفر بهذه الكلمة التي تعتبر شتمًا لرسول الله ﷺ عن طريق التعريض لا التصرّيف.

لكن الله تعالى لم يدع لهذا الجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الآخرة. يقول الشيخ أحمد شاكر: فاقسم بالله لقد رأيته يعني رأسي بعد بعض سنين وبعد أن كان عاليًا منتفخًا مستعرًا بمن لاذ بهم من العظام والكبراء؛ رأيته مهينًا نهليًا خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المسلمين يحفظها في ذر وصفار حتى لقد خجل أن يراني وأنا أعرفه وهو يعرفني - لا شفقة عليه فما كان موضعًا للشفقة ولا شماتة فيه فالرجل النبيل يسمى على الشماتة. ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.

وفي الختام نقول لأمثال أبرهة الدنمركي وغيرهم من من تسوئ له نفسه التطاول على مقام النبي الأمين احسئوا فلن تقدعوا. قدركم، فالله حافظ دينه وناصر نبيه، وعلى الحكومات الإسلامية المطالبة بمحاكمة هؤلاء الذين تعرضوا بالأذى لرسول الله ﷺ في محاكم إسلامية وفقاً لشريعتنا المطهرة، حتى يكونوا عبرة وعظة لغيرهم.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين.

والحمد لله رب العالمين.

١١- الأرض تتنكر لمن آذى رسول الله ﷺ :

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجلًا نصراوئينا فاسلم وقرأ البقرة وأآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصراوئينا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتب له، فماماته الله، فدققونه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه، فحرقوا له، فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فالقوه خارج القبر، فحرقوا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فالقوه». [رواوه البخاري ٣٦٧]

قال شيخ الإسلام رحمة الله: فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قسمه الله وفضحه بإن أخرجه من القبر بعد أن دفن مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً؛ إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذه، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد؛ إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا.

[الصارم المسلول ٢٣٣/٢]

٩ - حتى الحيوانات تنتقم لرسول الله ﷺ :
كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول من أجل تنصيرهم وقد مكن لهم الطاغية هولاكو طريق الدعوة بسبب زوجته الصليبية (ظفر خاتون) وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير، عقد بسبب تنصر أحد أمراء المغول، فجعل واحد منهم ينتقص النبي ﷺ ويسبه وكان هناك كلب صيد مربوط فلما أكثر الصليبي الخبيث من ذلك زجاج الكلب ووثب عليه فخمشه فخلصوه منه بعد جهد، فقال بعض من حضر هذا بكلام في حق محمد ﷺ، فقال: كلا، مل هذا الكلب عزيز النفس رأني أشير بيدي فظن أنني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه من سب النبي ﷺ فاطأله، فوثب الكلب مرة أخرى على عنق الصليبي وقلع زوره فمات من حينه، فاسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغول. [البر الكامنة لابن حجر ٢٠٢/٣]

ابعوا ولا تبلّدوا

لِدَالِيمُ العَابِدُ مِنْ بَدْعِ الْمَوَالِدِ

ويأتي هذا المقال تحذيرًا من هذه البدعة التي أفسدت حقائق هذا الدين الحق وشوهرت معامله عند الكثرين، وكانت سبباً في نشر العقائد الهدامة في الأمة بدعوى محبة النبي ﷺ وأل بيته.

٦٥٠ مقتني العيد

العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، إما بعو'd السنّة، أو بعو'd الأسبوع، أو الشهـر، أو نحو ذلك، فالعيد كل اجتماع عام يحدثه الناس أو يعتادونه في زمان معين أو مكان معين أو هما معاً، وكذلك كل أثر أو مشهد أو مقام يعتاد الناس مجئه سواء كان قدیماً أو حديثاً، فإنه يصدق عليه مسمى العيد.

٦٥٠ الأدلة التي تبين حرمة اتخاذ القبور أعياداً

ثبت عنه ﷺ النهي الصريح عن ذلك في أدلة صحيحة صريحة منها:

أولاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرـي عيـداً، وصلوا عـلـيـ فإن صلاتـكـ تبلغـنـ حـيـثـماـ كـنـتـ». [رواه أبو داود وصححه الألباني]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـهـ اللـهـ في شرحـ الحديثـ: «فمن هذه الأمـكـنةـ قـبـورـ الأنـبـيـاءـ والـصـالـحـينـ، وقد جاءـ عنـ النـبـيـ ﷺـ والـسـلـفـ النـهـيـ عنـ اـتـخـانـهـ عـيـداـ، عمـومـاـ وـخـصـوصـاـ». [الاقتضاء: ٦٥٩/٢]

قال ابن القيم رحمـهـ اللـهـ: «فاتـخـاذـ القـبـورـ عـيـداـ هوـ منـ أـعـيـادـ الـمـشـرـكـينـ الـتـيـ كـانـواـ عـلـيـهاـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ، وـقـدـ نـهـيـ عـنـ رـسـولـ اللـهـ ﷺـ فـيـ سـيـدـ الـقـبـورـ، مـنـبـهـاـ بـهـ عـلـىـ غـيرـهـ». [إغاثة الدهـانـ: صـ ١٩٧]

«ويؤخذ منه أن اجتمـاعـ العـامـةـ فيـ بعضـ أـضـرـحةـ الـأـوـلـيـاءـ فـيـ يـوـمـ أوـ شـهـرـ مـخـصـوصـ مـنـ السـنـةـ، ويـقـولـونـ: هـذـاـ يـوـمـ مـوـلـدـ الشـيـخـ، وـيـاـكـلـونـ وـيـشـرـبـونـ، وـرـبـماـ يـرـقـصـونـ فـيـهـ، مـنـهـيـ عـنـهـ شـرـغاـ، وـعـلـىـ وـلـيـ الـأـمـرـ رـدـعـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ وـإـنـكـارـهـ عـلـيـهـمـ وـإـبـطـالـهـ». [فيفـيـنـ الـقـدـيرـ: ٤/٢٦٣]

ثانيـاـ: وـعـنـ عـلـيـ بـنـ الحـسـنـ: أـنـهـ رـأـيـ رـجـلـاـ يـجـيءـ إـلـىـ فـرـجـةـ كـانـتـ عـنـدـ قـبـرـ النـبـيـ ﷺـ فـيـدـخـلـ فـيـهـ فـيـدـعـوـ، فـدـعـاهـ فـقـالـ: أـلـاـ حـدـثـ بـحـدـثـ سـمـعـتـهـ مـنـ أـبـيـ عـنـ جـدـيـ عـنـ رـسـولـ اللـهـ ﷺـ قـالـ: «لـاـ تـتـخـذـوـاـ قـبـرـيـ عـيـداـ وـلـاـ بـيـوـتـكـ قـبـورـاـ، وـصـلـواـ عـلـيـ فـيـنـ صـلـاتـكـ وـتـسـلـيـمـكـ تـبـلـغـنـ حـيـثـماـ كـنـتـ». [رواهـ ابنـ أـبـيـ شـيـبةـ وـصـحـحـهـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ تـحـذـيرـ السـاجـدـ (٩٥)]

ثالثـاـ: عـنـ سـهـيلـ بـنـ أـبـيـ سـهـيلـ: قـالـ: رـأـيـ الحـسـنـ بـنـ الحـسـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ عـنـ الـقـبـرـ فـنـادـيـ، وـهـوـ فـيـ بـيـتـ فـاطـمـةـ يـتـعـشـىـ فـقـالـ: هـلـ

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول

الله، وبعد:

فإن محبة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم، بل هي أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ومحبته ﷺ تقتضي طاعته واتباعه فيما أمر، ولا تبتعد في الدين ما ليس منه، وإن من الأمور المحدثة التي خالف فيها كثير من الناس منهج الحق اتخاذ أعياد غير مشروع يقصدونها في أوقات معينة ومواسم معروفة للتعيّد عندها لغير ذلك.

القبور»، وفي لفظ: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور». [قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو كذب باتفاق أهل المعرفة، الفتاوى ٢٩٣/١]

٥٠ صور من اتخاذ القبور أعياداً

الأولى: الاحتفال بالمولود النبوى:

مولود النبي ﷺ هو الذي يقيمه الصوفية في الثاني عشر من شهر ربیع الأول من كل عام إظهاراً للسرور بمولده، وتوسيع بعضهم فاجازه في أي وقت من أوقات السنة طالما أنه مظهر سرور بالنبي ﷺ. ويرجع تاريخ ظهور هذه البدعة إلى الدولة العبيدية التي نسمت بالدولة الفاطمية، حيث أحدثت هذه البدعة لجذب قلوب الناس إليها، والظهور بمظاهر من يحب رسول الله ﷺ.

مع أنها من أكثر الدول التي فشا فيها الإلحاد والزندقة تحت شعار التشيع وحب آل البيت. وعن طريقهم انتشرت المولدات وراجت رواجاً كبيراً لدى الصوفية. [محبة النبي ﷺ بين الاتباع والابتداع]

فصارت كل طريقة تعمل لشيخها مولداً يتناسب ومقام الطريقة وشيخها!! هذا مع حرصهم على مولد النبي ﷺ في كل عام وتيسير المراكب في الطرقات، وتنشيد القصائد، وتقام الحفلات إلى غير ذلك من مظاهر الاحتفال بالمولود النبوى.

والاحتفال بموالده ﷺ بدعة منكرة: [ما يلي]:
١- اتخاذه عيداً شرعياً، والأعياد الشرعية يومان الفطر والأضحى كما جاء بذلك النص، قال ﷺ: «إن الله أبدلكم بهما يومي الفطر والأضحى».

٢- جعله عبادة شرعية وقربة إلى الله، حتى إنهم في بعض البلدان يتهمون من لم يحضر المولد بالجفاء والمردود من الدين أحياناً.

[رسائل الشيخ عبد الله بن زيد الـ محمود ٤٩٣/١]
٣- عدم فعل السلف له مع أنه أشد الناس حباً له صلوات الله وسلامه عليه، وهم أعرف الناس بحقوقه، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

٤- إن عمل المولد يتضمن أموراً منها عنها شرعاً كإنشاء القصائد الشركية والغلو فيه ﷺ وتشويه صورة الدين بآعمال الخرافيين والمشعوذين والدجالين على ما يجري عمله في أكثر البلاد.

٥- الاحتفال بالمولود بدعة فيها مشابهة للنصارى في احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام لأن دينهم المحرف قام على الغلو في الأشخاص، وديننا ينها عن الغلو.

هذا، وقد استغلت الصوفية وسائل الدعاية للترويج هذه البدعة بدعوى أنها من أكبر مظاهر حبه ﷺ، فالغوا فيها الرسائل والكتب وسدوها بها صحائف كانت بيضاء، ونعتوا كل ناقد ووجه بعدم

إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [روايه سعيد بن منصور في «الاقتضاء» وقول إسناده الابناني في أحكام الجنائز]

والحديث دليل على تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين عيداً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص ١٥٥ - ١٥٦): «ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان، ثم قرن ذلك بقوله ﷺ: «ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً» أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبيه بهم. قال: فهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنهم، نهى ذلك الرجل أن يتحري الدعاء عند قبره ﷺ، واستدل بالحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي، وهو أعلم بمعنىه من غيره، فتبين أن قصده أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد، ورأى أن ذلك من الدعاء ونحوه اتخاذه عيداً، وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره اتخاذه عيداً، فانظر هذه السنة كيف أن مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضيف.

والعيد إذا جعل اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وإتيانه للعبادة عنده أو لغير العبادة؛ كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيداً مثابة للناس، يجتمعون فيها ويرتدونها للدعاء والذكر والنسك، وكان للمشركين أمكنة يرتادونها للاجتماع عندها، فلما جاء الإسلام محا الله ذلك كله، وهذا النوع من الأمكنة يدخل فيه قبور الأنبياء والصالحين.

٥٠ احتجاجات باطلة

وقد استدل من أجازوا جعل القبور عيداً بعدة أدلة، لا يصح الاحتجاج بواحد منها:
قال رسول الله ﷺ: «من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة فقرأ (يس) غفر له». [الحديث موضوع: انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٦٦١]

قال رسول الله ﷺ: «من زار قبر أبيه أو أحدهما في كل الجمعة غفر له وكتب برأ».

[الحديث موضوع: أورده السيوطي في الأحاديث الموضوعة من ٣٦٦] قال ﷺ: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب

أنواعها لغير الله، فقد وقع فيما ينافى «لا إله إلا الله».

وما يفعله أولئك نابع من عقيدة أن الأولياء لهم التأثير في الكون «كما يزعم الصوفية»، وأن الاحتفال بمولد الأولياء والukoof على قبورهم من الدين وأنه قرابة، فالذين لا يحتفلون بالأولياء ولا يزورون قبورهم ولا يقدمون النذور لهم محظيون من رحمة الله وبركته، بل من لم يفعل هذه المولد قد يسلب منه الإيمان، وتصيبه الأمراض والأسقام، بسبب امتناعه أو اعتراضه على حد زعمهم. [بعد القبور ٣٢٠]

٥٠ سبحانك هذا بهتان عظيم

ولا تظن أن هذا القول تجن على أصحاب المولد، أو هو من نسج الخيال، بل هذه هي حقيقة تلك الاحتفالات.

فقد زعم الشعراوي أن الأحياء والأموات يحضرن الاحتفال بمولد سيده عند ضريحه، بل ويحضره النبي ﷺ وسائر الأنبياء والأولياء، وأما من يذكر المولد ويمتنع عن حضوره فعن ضياع إيمانه حدث ولا حرج.

قال الشعراوي: أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه أن شخصاً أتكر حضور مولده فسلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستعان بسيدي أحمد رضي الله عنه فقال: بشرط لا تعود، فقال: نعم، فرد عليه ثوب إيمانه.

فهذه نتيجة من يذكر مولد البدوي، أو يمتنع عن حضوره، كما يزعم الشعراوي، أما من يحضره فالبدوي يحفظه، ويرعاه، ويسلامه بشفاعته، ويفغر خطيبته حيث قال: عزرة ربى، ما عصى أحد في مولدي، إلا تاب وحسن توبته. [الطبقات للشعراوي ١٦٢/١]

بمثل هذا الهراء والكذب الصرار انشر صحيت البدوي وهذا أسلوب كافة الصوفية الدراوיש في إثبات كرامات من يزعمون له الولاية، وبهذه الدعايات الخرافية الأسطورية استطاعوا أن يجعلوا مولد البدوي قداسة في النفوس المريضة، كأنها قداسة الحج إلى بيت الله الحرام بل أشد.

وختاماً، فإن الاحتفال بالمولاد بدعة منكرة يجب على المسلمين منعها ومنع غيرها من البدع، والاشتغال بإحياء السنن، والتمسك بها، ولا يغتر من يروج لهذه البدعة ويدافع عنها، فإن هذا الصنف يكون اهتمامه بإحياء البدع أكثر من اهتمامه بإحياء السنن، ومن كان هذا شأنه لا يجوز تقليده والاقتداء به، وإنما يقتدى بمن سار على نهج السلف الصالح الذين لم يحتفلوا بالمولاد، وهم أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ وأل بيته ولو كان خيراً ليسبقونا إليه.

والله من وراء القصد.

الحب والولاء لرسول الله ﷺ.

الثانية: إقامة الموالد الموسمية، كقولهم: «هذا مولد الولي الفلاني أو العالم الفلاني» ومثال ذلك: مولد الحسين رضي الله عنه، حيث يحدث عند هذا المشهد المزعوم في القاهرة ما يندى له الجبين، ويقرح قلوب الموحدين؛ حيث يبدأ الاستعداد قبل المولد ب أسبوع بنصب السرادق في الساحات المتوازية حول المسجد؛ لاستقبال جموع الناس المتوفدين لزيارة الضريح المزعوم؛ حيث يبدأ مشايخ الطرق الصوفية بالانتشار في هذه الساحات، وحولهم الأتباع، ويبدوونه بالرقص والطرب، ويصلون إلى مراحل من السكر والإغماء حتى أذان الفجر، لا يوقفهم عن غيهم أذان، ولا صلاة، بل تجد المغر بهم يأتونه بالقربان والنذور والهبات؛ لترمي عند الضريح وحوله، رجاء تفريح الكربات، فيتقاذها السدنة الأفاكون، ويعطونهم الوعود بأن مطالبيهم ستتحقق، ورسائلهم وحوائجهم إلى صاحب المقام والضريح سترفع، وهكذا يتكرر هذا العيد الشركي في كل عام أسبوعاً، أما العيد الأسبوعي فعنه حدث ولا حرج، فلقد شاهدت عند الصنم الذي يعبد في طنطا المسمى بضرير أو مقام السيد البدوي ما يفت الكبود؛ حيث يتواجد في صبيحة كل يوم جمعة في كل أسبوع عشرات الآلاف من مدن وقرى وأرياف مصر إلى هذا الصنم؛ ليكفوا عنده، ويطوفوا حوله، ويتمسحوا بحوائطه وجدرانه، ولقد شاهدت امرأة تقف أمام الضريح في كل خشوع تتضرع إليه وتتوسل، وترجوه رجاء الخائفين، وتدعوه دعاء الذنب الذي قد رأيتها وقد أبكت القلوب من شدة بكائها، وهي ترجوه أن يفرج همها، وما علمت أنها تدعو من لا يملك لنفسه فرعاً ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً.

وب قبل هذا يعمدون حال وصولهم إلى ضريح البدوي، فيطوفون به طواف القديم، على نحو ما يفعل القاصدون لحج بيت الله الحرام، ويقولون: إن هذه كانت سنة الشيخ عبد العال خليفة السيد، ولهم في هذا الاحتفال بدع شتى، وهذه صورة من صور اتخاذ القبور أعياداً [السيد البدوي وبوله الدراويش ١٣٦-١٣١]

٥٠ الموالد وأثرها في إفساد العقائد

«وهذا الفعلمحاكاة لليهود والنصارى باتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، حيث يقصدون العبادة عندها، وهو بعينه ما نهى عنه ﷺ، فأرباب المولد لا يقصدون المشاهد والقبور إلا طلباً للبركة أو الاستغاثة أو الدعاء، فيذبحون لها، ويطوفون بها، ويمرغون الخدود على اعتبارها، وهذا الفعل محادة لله ولرسوله ﷺ، مناف لكلمة التوحيد؛ لأن العبادة لا تكون إلا لله عزوجل، ومن صرف نوعاً من



إِقْامَةُ الدِّينِ عَلَى تَحْرِيمِ الصُّورِ وَالْتَّمَاثِيلِ

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فقد تميزت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ تأسيسها وعلى مدار تاريخها الداعي المبارك بحرصها الشديد على دعوة الناس إلى التوحيد الخالص وتنقية عقائدهم من شوائب الشرك والخرافة والوثنية، وذلك صيانة لجذب التوحيد حتى يظل منيع الجانب مصون الحمى. ويأتي هذا المقال تأكيداً لهذه الحقيقة وتعقيباً على ما أثير في الآونة الأخيرة عبر الفضائيات والصحف والمجلات من إباحة الصور والتماثيل صناعة وتجارة واتخاذ.

وأم سلمة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ذل، فتصوير الصور على مثال صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها، والاستشفاع بها يحرم في دين الإسلام، وهو من جنس عبادة الأوثان، وهو الذي أخبر النبي ﷺ أن فاعليه شرار الخلق عند الله يوم القيمة، وتصوير الصور للتأنسي برؤيتها أو للتنزه والتلهي محرم وهو من الكبائر، وفاعله من أشد الناس عذاباً يوم القيمة، فإنه ظالم يمثل بفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره، وأنه تعالى - ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاتاته، ولا في أفعاله - سبحانه وتعالى. [الواكب الدراري مجلد ١٨٢/٦]

ثانياً: الصور والتماثيل وسيلة إلى الشرك
والتصوير معناه: نقل شكل الشيء وهيئته بواسطة الرسم أو الالتقاط بالآلة أو النحت، وإثبات هذا الشكل على لوحة أو ورقه أو تمثال، وكان العلماء يحذرون من التصوير عند الحديث في أمور العقيدة؛ لأن التصوير وسيلة من وسائل الشرك وادعاء المشاركة لله بالخلق ومضاهاته ذلك، وأول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير، حينما أقدم قوم نوح على تصوير الصالحين ونصب صورهم على المجالس.

فنقول مستعينين بالله عز وجل:
أولاً: حماية جناب التوحيد أصل من أصول الدين
في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله.

فهؤلاء جمعوا بين فتنة القبور وفتنة التمثال قال القرطبي: وإنما صور أوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويذكرها أعمالاً لهم الصالحة فيجتهدوا كاجتها بهم؛ ويعبدوا الله عند قبورهم؛ ثم خلفهم قومٌ جهلو مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك، سداً للذرية المؤدية إلى الشرك.

قال ابن رجب - رحمه الله -: هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين وتصوير صورهم فيها، ولا ريب أن كل أمر منها محرم على انفراد، فتصوير صور الأدميين يحرم، وبناء المساجد على القبور أيضاً يحرم، قال: والتصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة

الصور والتماثيل هما منشأ الوثنية على هذه العصائر فأول حدوث للشرك في الأرض كان سببه التصوير..

وهذا بيان لعجزهم وفشلهم في محاولتهم، وكما أنهم عاجزون عن إيجاد حيوان ذي روح، فهم عاجزون عن إيجاد الشر والحب؛ «فَلَمْ يُخْلُقُوا جَهَةً».

- وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيمة الذين يشاهدون بخلق الله».

فهذا إخبار منه ﷺ بشدة عذاب المصوّرين يوم القيمة، وسوء عاقبتهم، وإن عاشوا في هذه الدنيا سالمين، وسمّعوا فتاين، ونحوها، فإن لهم مصيرًا ينتظرون إن لم يتوبوا؛ لأنهم بعملهم هذا يشاهدون بخلق الله، أي: يشاهدون بما يصنعونه من الصور ما صنعه الله من الخلق وتفرد به وهو الخلاق العليم: «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوهُ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» [الرعد: ١٦].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمة الله عنه -: «إذا كان هذا فيمن صوّر صورة على مثال ما خلقه الله من الحيوان؛ فكيف بمن سوى المخلوق برب العالمين، وصرف له شيئاً من العبادة؟!».

٢- النهي عن تعليق الصور والأمر بطردها وإزالتها:

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل على النبي ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رأه هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيمة الذين يشاهدون بخلق الله» قالت عائشة فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. [مسلم ج ١٤ ص ٨٩] (القرام: الستر الرقيق)

وعن القاسم بن محمد عن عائشة أنها أخبرته أنها اشتريت نمرة فيها تصاوير، فلما رأها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه

وقد حذر النبي ﷺ من التصوير بجميع أنواعه، ونهى عنه، وتوعّد من فعله باشد الوعيد، وأمر بطممس الصور وتغييرها؛ لأن التصوير فيه مضاهاة لخلق الله عز وجل الذي انفرد بالخلق؛ فهذا الإنسان المصور يضاهي خلق الله عز وجل فيما انفرد به من الخلق، ولأن التصوير وسيلة من وسائل الشرك؛ فأول حدوث الشرك في الأرض كان سببه التصوير؛ لما زين الشيطان لقوم نوح تصوير الصالحين، ونصب صورهم على المجالس؛ لأجل تذكر أحوالهم، والاقتداء بهم في العبادة، حتى آل الأمر إلى عبادة تلك الصور، واعتقاد أنها تنفع وتضر من دون الله.

فالتصوير هو منشأ الوثنية كما سبق بيانه في الحديث عن قوم نوح.

ثالثاً: أدلة تعریم الصور والتماثيل

١- الوعيد الشديد للمصوّرين:

- روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم من ذهب يخلق كخلقي؟! فلَيَخْلُقُوا ذرة، أو لَيَخْلُقُوا حبة، أو لَيَخْلُقُوا شعيرة».

ومعنى: لا أحد أشد ضللاً من المصوّر؛ لأنه لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله من إنسان أو بهيمة أو غيرهما من ذوات الأرواح؛ صار مضاهاة لخلق الله، الذي هو خالق كل شيء، وهو رب كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها حياتها؛ كما قال تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمُصِيرُ» [النفاثات: ٣]، وقال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوَّرُ» [الحضر: ٢٤]، ثم إن الله تحدى هؤلاء المصوّرين الذين يحاولون مضاهاة خلقه أن يوجدوا في تلك الصور التي صوروها أرواحاً تحيى بها كما في المخلوق الذي صوروا،

الكراهية. قالت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ما أذنبت؟ قال «ما بال هذه النمرقة؟» فقلت: أشتريتها لتقعد عليها وتوسدتها. فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيمة ويقال لهم: أحياوا ما خلقتم» وقال «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة» [رواوه البخاري ومسلم] النمرقة: وسادة صغيرة. وخرج مسلم أيضاً عن أبي الهياج الأستدي قال: قال لي علي رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبلها مشرقاً إلا سوتها.» وخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أن النبي ﷺ لم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه. ورواه الكشمي هني بلفظ « تصاوير» وترجم عليه البخاري رحمة الله بـ «باب نقض الصور» وساق هذا الحديث.

وفي هذه الأحاديث دلالة ظاهرة على:
١ - تحريم تعليق الصور أو ما فيه صورة والأمر بطمسمها.
٢ - تحريم تصويرها سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة لها ظل أو لا ظل لها وهذا مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، قال النووي رحمة الله: وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل، وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذه مطلقاً، وهو مذهب باطل، فإن الستر الذي أنكره النبي ﷺ كانت الصورة فيه بلا ظل ومع ذلك أمر بنزعه. [مسلم بشرح النووي]
٣ - أن الصور والتماثيل مانعة من دخول الملائكة.

قطع رأس الصورة يزيل تعريمه

قال رسول الله ﷺ: «الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فلا صورة». [صحيف الجامع] وخرج أبو داود والترمذى والنمسائى بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فصر برأس التمثال الذى في البيت فليقطع فليجعل منه وسادتين توطن، ومر بالكلب فليخرج، ففعل رسول الله ﷺ، وإذا بالكلب لحسن أو حسين كان تحت نضد لهم فأمر به فأنخرج. هذا لفظ أبي داود، ولفظ الترمذى نحوه، ولفظ النمسائى:

استأذن جبريل على النبي ﷺ فقال: (ادخل) فقال كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فلما أن قطع رؤوسها أو تجعل بساطاً يوطأ، فإنما عشر الملائكة لا تدخل بيئاً فيه تصاوير. اهـ.

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله : وفي هذا الحديث دلالة على أن الصورة إذا قطع رأسها جاز تركها في البيت لأنها تكون كهيئه الشجرة، وذلك يدل على أن تصوير الشجر ونحوه مما لا روح فيه جائز.

ويستدل بالحديث المذكور أيضاً على أن قطع غير الرأس من الصور كقطع نصفها الأسفل ونحوه لا يكفي ولا يبيح استعمالها، ولا يزول به المانع من دخول الملائكة، لأن النبي ﷺ أمر بهتك الصور ومحوها، وأخبر أنها تمنع من دخول الملائكة إلا ما امتهن منها، أو قطع رأسه، فمن ادعى مسوغاً لبقاء الصورة في البيت غير هذين الأمرين فعليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.
ولأن النبي ﷺ أخبر أن الصورة إذا قطع رأسها كان باقيها كهيئه الشجرة. وذلك يدل على أن المسوغ لباقيها خروجها عن شكل ذوات الأرواح ومشابهتها للجمادات. والصورة إذا قطع أسفلها وبقي رأسها لم تكن بهذه المثابة لبقاء الوجه وفيه من بديع الحقيقة والتصوير ما ليس في بقية البدن، فلا يجوز قياس غيره عليه عند من عقل عن الله ورسوله مراده.
وبذلك يتبين لطالب الحق أن تصوير الرأس وما يليه من الحيوان داخل في التحرير والمنع، لأن الأحاديث الصحيحة المتقدمة تعمه، وليس لأحد أن يستثنى من عمومها إلا ما استثناه الشارع.

ولا فرق في هذا بين الصور المجسمة وغيرها من المنقوشة في ستر أو قرطاس أو نحوها، ولا بين صور الأدميين وغيرها من كل ذي روح، ولا بين صور الملوك والعلماء وغيرهم، بل التحرير في صور الملوك والعلماء ونحوهم من المغضفين أشد، لأن الفتنة بهم أعظم ونصب صورهم في المجالس ونحوها وتعظيمها من أعظم وسائل الشرك وعبادة أرباب الصور من دون الله، كما وقع ذلك لقوم نوح. [القول المفيد في حكم التصوير]

وخلاصة القول

يحرم تصوير ذوات الأرواح أو رسملها أو نحتها سواء كانت إنسان أو حيوان وسواء كانت للذكري أو لغيرها في ثوب أو في ورقة، لها ظل أو لا ظل لها،

■ شبهة داحضة يكذبها الواقع ■

وقول البعض بإباحة التصاویر لأن الشرک القديم قد انتهى هو قول من أفسد الفساد وأبطل الباطل والواقع يرد عليه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لن تقوم الساعة حتى تضطرب إلیات نساء دوس حول ذي الخلصة» [البخاري ١٦٥٣] - وذو الخلصة صنف كانت تعبدہ دوس بتمثاله . وكان قد هدم إلا أن الناس يعبدونه مرة ثانية، ولن تقوم الساعة حتى تطوف به النساء على النحو المبين.

وقد عمت البلوى بإقامة التماثيل في المياضين العامة هنا وهناك للزعماء والقاده والعظماء مما لافائدة فيه بل فيه التشبيه بالكافر عبادة الأصنام ثم فتنة الرسامين والناس بال تصاویر الفاتنة التي طفت بها الصور والمجلات في هذا الزمان وأمرها لا يكاد يخفى على أحد.

لذلك فمن الخطأ الشديد أن يظن بعض الناس أن الشرک القديم قد انتهى زمانه فلم تعد في حاجة للحديث عن تحريم الصور والتماثيل وهذا ظن فاسد، فما زالت الأصنام تعبد حتى الآن بأدغال إفريقيا وما زال الأوروبيون يسجدون أمام تمثال العذراء، والشيوعيون يطوفون بقبر لينين، يفعلون ذلك رغم ادعاءات التقدم والتحضر والحداثة.

قال تعالى: **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾** [الروم: ٧].

■ استقاموا برحمكم الله ■

إن الأصنام والتماثيل معلم من معالم الوثنية ورمز من رموز الجاهلية عبر التاريخ وشاهد على الذل والعبودية لغير رب البرية والسبب المباشر في انتكاس الناس عن دينهم فهل يليق بناس من جلدتنا ويتكلمون بالستننا أن يتغفوا بحضارة الأصنام ويفتخروا بتاريخ الفراعنة زاعمين أنها حضارة الأجداد والأمجاد داعين إليها في كل محفل وناد.

وهذه والله ليست بحضارة بل هي وثنية وضلاله، فالحضارة الحقة هي التي تقوم على أساس منهج العبودية لرب البرية.

والإسلام أسبق من كل هذه الحضارات وهو الدين الذي ارتضاه الله للإنسان والجن وسائر المخلوقات فنقول لهؤلاء جميعاً: **«أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَنْتَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ»** [البقرة: ٦٦]. استقاموا برحمكم الله.

هدايا الله جميعاً للعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ والله من وراء القصد.

ويجب طمس الصور عند الاستطاعة مع التأبب بآداب الإنكار حتى لا تستغل مضررة تغلب المصلحة.

وتطمس صورة المرأة كلها وبالنسبة للرجل يطمس الوجه، والسلع والأشياء المباحة التي تشتمل على تصاویر كعلب الأطعمة يحل الانتفاع بها وببيعها وشراؤها مع طمس التصاویر التي بها ويستثنى من هذه التصاویر ما خلا من الروح كالشجر والسماء والبحر على قول ابن عباس - رضي الله عنهما.

ما يباح من الصور

وتباح التصاویر للحاجة أو الضرورة، كلعب الأطفال والتصوير للبطاقات الشخصية وجواز السفر وتعقب المجرمين والتصوير للطب والجغرافيا ويقتصر في ذلك على قدر الحاجة أو الضرورة طالما في الأمر فائدة متحققة ولا تيسّر هذه الفائدة بطريق أصله مباح.

والدليل على ذلك حديث:

- عن عائشة رضي الله عنها: «أنها كانت تلعب بالبنات فكان النبي ﷺ يأتي لي بصواحيبي يلعن معي». [البخاري ٥٦٦٥، مسلم ٤٤٧٠]، وكان لها فرس له جناحان من رقاد.

قال الحافظ في الفتح: « واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخصوص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيتهن وأولادهن».

وعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: **«أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَةً عَاشُوراءَ إِلَى قُرَى الْأَمْصارِ** من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائمًا فليصم، قالت: فكنا نصوم بعد ونُصْنُمْ صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام **أَعْطِنَاهُمُ الْلَّعْبَةَ تَلَهِيهِمْ حَتَّى يَتَمَوَّ** صومهم». [البخاري ١٨٢٤]

قال الشيخ الألباني - رحمة الله - : فقد دل هذان الحديثان على جواز التصوير واقتنانه إذا ترتب من وراء ذلك مصلحة تربوية تعين على تهذيب النفس وتنقيتها وتعليمها، فيتحقق بذلك كل ما فيه مصلحة لإسلام المسلمين من التصوير والصور، ويبقى ما سوى ذلك على الأصل . وهو التحرير . مثل صور المشايخ والعظماء والأصدقاء ونحوها، مما لا فائدة فيه، بل فيه التشبيه بالكافر عبادة الأصنام.

والله أعلم

ابيعوا ولا تبتدعوا

والمتبع للأحداث

والراصد لها يلحظ هذا جيداً، لذا

صار من الواجب تحذير الأمة من أصحاب تلك العقيدة المنحرفة الباطلة والتي يدفع بها في وجه الأحداث دفعاً، وتخالق لها من الانتصارات المزعومة ما يُغري العوام، هذا فضلاً عن بث سمومهم عبر في الفضائيات وعلى الشبكة العالمية.

وفي هذا العدد نتناول الحديث عن عقائدهم الفاسدة في صحة النبي ﷺ، فنقول مستعينين بالله عز وجل: موقف الشيعة من الصحابة رضي الله عنهم

لقد امتازت كتب الشيعة المعتمدة مثل: «الكاففي» و«الحار» و«الاختصاص» و«رجال الكشي» سبباً وطعناً ولعناً وتکفیراً للصحابۃ الكرام رضي الله عنهم ولم یستثنوا إلا ثلاثة وهم: المقاداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاری، وسلمان الفارسی.

وقد وردت روايات عندهم في تعین هؤلاء الثلاثة: فعن أبي جعفر (ع) (يعنون عليه السلام) كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة قُتّلوا: ومن الثلاثة؟ فقال: «المقاداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاری، وسلمان الفارسی رحمة الله وبركاته عليهما...».

[شرح الكافي ٣٢٢-٣٢١/١٢]
حملة شيعية ضاربة على الشخرين أبي بكر وعمرو
رضي الله عنهما

وركز الشيعة حملتهم على أبي بكر وعمرو رضي الله عنهم: ففي «روضة الكافي»: «أن الشيختين فارقا الدنيا ولم يتربوا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». [شرح الكافي ٣٢٣/١٢]
وقال شيخهم نعمة الله الجزائري: «قد وردت في روايات الخاصة: أن الشيطان يُغل بسبعين غلاً من حديد جهنم، ويُساق إلى الحشر، فيُنظر ويرى رجالاً أمامه تقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلاماً من أغلال جهنم، فيُدْنُو الشيطان إليه ويقول: ما فعل الشقي حتى زاد على في العذاب وأنا أغويت الخلق وأوردتكم موارد الهالاك» فيقول عمر للشيطان: ما فعلت شيئاً سوى أنني غصب خلافة علي بن أبي طالب».

[الأنوار النعمانية ٨١/١]

وعَقَبَ على هذه الرواية فقال: «والظاهر أنه قد استقلَّ سبب شقاوته ومزيدَ عذابه ولم يعلم أن كل ما وقع في الدنيا إلى يوم القيمة من الكفر والتفاق واستثناء أهل الجور والظلم إنما هو من فعلته هذه».

[الأنوار النعمانية ٨١/١]

وقال في أبي بكر رضي الله عنه: «لُقِلَ في الأخبار أن الخليفة الأول قد كان مع النبي ﷺ وصئمه الذي كان يعبد زمان الجاهلية معلق بخيط في عنقه ساقره بشيابه وكان يسجد، ويقصد أن سجوده لذلك الصنم إلى أن مات النبي ﷺ فأظهروا - كما - ما كان في قلوبهم».

[الأنوار النعمانية ٨١/٢]

وروى الكليني في الكافي (ج ٨ رقم ٥٢٣) عن أبي عبد

الشيعة المخططر القادم

إعداد

معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله
بعد، فهذه سلسلة مقالات تحذر من الشيعة
خطرهم على الأمة وتكشف زيف عقائدهم، وذلك
خلال مؤلفاتهم وكتب شيوخهم، حتى يفيق
خدعون و تستعين سبيل المجرمين، ليهلك من
ك عن بينة ويحيي من حي عن بينة، ولا يخفى
على أحد خطرهم وخصوصاً ما يطالعنا به
واقع من مدّ شيعي خبيث تستخدمة القوى
فاقرة من أعداء الإسلام في ضرب أهل السنة في
ال المسلمين حتى تنتشر العقائد الفاسدة
لباقي الهدامة في صفوف الأمة.

وفصل آخر خصصه للطعن في حفظه رضي الله عنهم سماه (فصل في اختها حفصة).

وعلق المجلسى في مرأة العقول ج ٢٥ ص ١٥١ على رواية طوبيلة بالكافى ج ٨ رواية رقم ٢٣ منها «قد قتل الله الجبارية على أفضل أحوالهم... وأمات هامان، وأهلك فرعون».

قال المجلسى الرواية صحيحة والمقصود في أمات هامان: أي عمر وأهلك فرعون: أي أبو بكر ويحتمل العكس ويدل على أن المراد هذان الأشقيان». [حققة الشيعة للموصلى]

إمام الصلاة الخميني يتناول على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

ويقول إمام الصلاة الخميني في كتابه كشف الأسرار ص ١٢٦: «إننا هنا لا شأن لنا بالشیخین وما قاما به من مخالفات للقرآن ومن تلاعیب باحکام الإله، وما حلاله وحرماه من عندهما وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي وضد أولاده ولكننا نشير إلى جھلھما باحکام الإله والدين».

ويقول ص ١٢٧ بعد اتهامه للشیخین بالجهل «وإن مثل هؤلاء الأفراد الجھال الحمقى والأفاقوں والجائزون غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة وأن يكونوا ضمن أولى الأمر».

وذكر المفسر العياشي في تفسيره والمفسر الكاشاني في الصافى والبحراني في البرهان أن عائشة حفصة رضي الله عنها سقطت السمسار رسول الله ﷺ وذلك عند هذه الآية «وَمَا مُحَمَّدٌ أَرْسَلَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَقْبَلَ مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا أَنْقَلَبُتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» [آل عمران: ١٤٤].

قال الملقب عند الشيعة بعمدة العلماء والمحققين محمد بن التوسي ركاني في (كتابه لائى الأخبار - مكتبة العلامـة - قم ج ٤ ص ٩٢). ما نصه: «اعلم أن أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة - إذا كنت في المبال فقل عند كل واحد من التخلية والاستبراء والتطهير مراراً بفراغ من البال اللهم العن عمر ثم أبي بكر وعمر ثم عثمان وعمر ثم معاوية وعمر ثم يزيد وعمر ثم ابن زياد وعمر ثم ابن سعد وعمر... اللهم العن عائشة وحفصة وهنداً وأم الحكم وعن من رضي بفعالهم إلى يوم القيمة».

ـ وهذه جواب من المواقف المخزية للشيعة من صحابة رسول الله ﷺ وسادات الأمة من حملة الدين الأوائل، الذين اختارهم الله تعالى ورضي عنهم، وجعل تعالى حبهم ديناً وإيماناً وبغضهم كفراً ونفاقاً، وأوجب علينا مواطتهم جميعاً، بذكر محاسنهم وفضائلهم، والسكوت عنما شجر بينهم لسابق فضلهم وكريم فعالهم وصدق تضحيتهم ومقامهم عند ربهم عز وجل، ولعل القلوب تذوب

الله في قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبُّنَا الَّذِينَ أَخْلَقَنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ تَجْعَلُهُمَا ثَقْتَ أَقْدَامِنَا لِكِبْرِئَنَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ» [QS: ٢٩] قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطاناً وأنت تسأل من المقصود بهما؟ يجيب المجلسى في بيان مراد صاحب الكافى بـ «هما» قال: هما أي أبو بكر وعمر والمراد بفلان عمر أي الجن المذكور في الآية عمر وإنما سمى به لأنّه كان شيطاناً إما لأنّه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا أو لأنّه في المكر والخدعية كالشيطان وعلى الأخير يتحمل العكس لأن يكون المراد بفلان أبو بكر.

ويروون في تفسير العياشي (١٢١/١) البرهان - (٢٠٨/٢) الصافى (٢٤٢/١) عن أبي عبد الله أنه قال في قوله تعالى: «وَلَا تَتَبَعُوا خَطُواتِ الشَّيْطَانِ» [آل بقرة: ١٦٨]. قال: (وطقوات الشيطان والله ولاده فلان وفلان) أي أبو بكر وعمر.

ويروون في تفسير العياشي (٣٥٥/٢) والبرهان (٤٧١/٢) والصافى (٢٤٦/٣) عن أبي جعفر في قوله تعالى: «وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ غَهْدًا» [الكيد: ٥١]. قال: إن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بابي جهل بن هشام) فأنزل الله «وما كنت متّخذ المضللين عهداً».

وعند قوله سبحانه «فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفُّرِ» [التوبه: ١٢] يروون في تفسير العياشي (٨٣/٢) والبرهان (١٠٧/٢) والصافى (٣٢٤/٢) عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: دخل على أناس من البصرة فسألوني عن طحة والزبير فقلت لهم كانوا إمامين من أئمة الكفر.

ويفسرون الجيت والطاغوت الواردين في قوله سبحانه: «أَلَمْ تَرِ إِلَيَّ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغُوتِ» [النساء: ٥١]. يفسرونهما بصاحبى رسول الله ﷺ وزيريه ومهيره وخليفته أبي بكر وعمر رضي الله عنهم. انظر تفسير العياشي (٢٧٣/١) والصافى (٤٥٩/١) والبرهان (٣٧٧/١).

وفي قوله سبحانه: «أَوْ كَثَلَمَاتٍ» قالوا: فلان وفلان «في بحر لجي» يعني نعشل «من فوقه موج» طحة والزبير «ظلمات بعضها فوق بعض» [النور: ٤٠] معاوية.

قال المجلسى في بحار الأنوار (٣٠٦/٢٣) المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونشعل هو عثمان. أقوال صريحة في تحريف الصحابة وسبهم وقال زين الدين النباتي في كتابه الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٢٩ ما نصه «عمر بن الخطاب كان كافراً يبطن الكفر ويظهر الإسلام».

وقد أفرد زين الدين النباتي في كتابه الصراط المستقيم ج ٣ / ١٦١ - ١٦٨ فحليين الفحل الأول سماه: (فصل في أم الشرور عائشة أم المؤمنين

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَاهُمْ فَلَحَا قَرِيبًا [الفتح: ١٨].

قال أبو محمد ابن حزم - رحمة الله تعالى -: «فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة». [الفصل في الملل والآهواء والخجل: ١٤٩/٤]

وقد تقدم قول الروافض من الافتراء والكذب والسب للصحاببة - رضي الله عنهم -، وصدق عليهم قول عائشة الصديقة - رضي الله عنها -: «أمروا أن يستغروا لاصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم». [أخرجه: مسلم في كتاب التفسير: ٢٣١٧/٤]

ورد ابن تيمية - رحمة الله تعالى - ردًا مفصلاً على أكاذيبهم، وبيّن أنَّ «الصحاببة - رضوان الله عليهم أجمعين - أعظم حرمة، وأجل قدرًا، وأنزه أعراضًا، وقد ثبت من فضائلهم خصوصًا وعمومًا ما لم يثبت لغيرهم». [منهاج السنة النبوية: ١٤٧/٥]

وذكر أنَّ «كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين، ومدحهم والثناء عليهم، فهو أول من دخل في ذلك من هذه الأمة وأفضله، كما استفاض عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [منهاج السنة النبوية: ٤٩/٢ - ٥٠]

«وخير هذه الأمة هم الصحابة، فلم يكن في الأمة أعظم اجتماعاً على الهدى ودين الحق، ولا أبعد عن التفرق والاختلاف منهم». [المصدر السابق: ٣٦١/١٦]

«فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيمة، من الإيمان والإسلام، والقرآن، والعلم والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو الكلمة، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن أمن بالله فللحصدية - رضي الله عنهم -، فضل إلى يوم القيمة». [المصدر السابق: ٣٧٦/٦]

والصحاببة أعلم الأمة وأفقهاها وأدينتها، ولهذا أحسن الشافعي - رحمة الله - في قوله: هم فوقنا في كل علم وفقهه ودين وهدى، وفي كل سبب يتأل به علم وهدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا. أو كلامًا هذا معناه.

وقال أحمد بن حنبل: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وما أحسن قول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -. حيث قال: أيها الناس من كان منكم مستئنًا فليست بمن قد مات، فإنَّ الحي لا تؤمن عليه الفتنه، أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة: أبربها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تتكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامته بينه، فأعترفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في أثارهم، وتمسكون بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

حزناً وأسفًا على تلك الطعون القبيحة من هؤلاء الأقزام في سادات الأمة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه... أفقوا.. يادعاء القربي

فتلك عقيدة الأبعدين يا من تنادون بالتقريب وتدعون إليه، فهل تجاهلت جهود السابقين التي بذلت لتحقيق تلك الغاية الموهومة دون جدوى؟ أم غرمت كلام المعاصرین عنهم حول الدعوة إلى التقريب ونبذ الخلافات الطائفية المذهبية، اتفقا الله إنهم دعوة إفك وأئمة كذب عقidiتهم التقية، يؤمنون أنه «لا إيمان لمن لا تقىة له». ويمارسونها على أنها دين، فيظهرون خلاف ما يبطئون فاعتبروا يا أولي الأ بصار.

هؤلاء هم الشيعة وهذا هو معتقدهم في خيار خلق الله بعد الرسل، هؤلاء الذين تصدق لهم الجماهير الساذجة والمغرر بها من قبل بعض الدعاة، الذين انخدعوا بتوثيقهم وشعاراتهم الزائفة الفارغة، حتى أن بعضهم سخر نفسه بوقاً يدعوا الناس إلى التقريب معهم ومساندتهم بل والاقتداء بهم، وإذا كان هؤلاء هم الشيعة و موقفهم المخزي من صحابة رسول الله ﷺ فإليك أخي القارئ حديثاً من نور القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة عن المنزلة الرفيعة والمكانة السامية لخير قرون الدنيا.

مَنْزَلَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَكَانَتِهِمُ الرَّفِيعَةُ
للحصدية - رضي الله عنهم -، منزلة عظيمة في دين الإسلام، فهم خير من سار على هذه الأرض بعد النبيين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، شرفهم الله - عز وجل -، وأعلى منزلتهم بصحبة حبيبه ونبيه محمد ﷺ، وجعلهم الله - عز وجل - أئمة لأمة محمد ﷺ، الحافظين لسنة نبيه، المبلغين لدينه، الناصرين للوائه - لواء التوحيد -، المدافعين عن حياديته، توأرت النصوص في تزكيتهم، ومدحهم، والثناء عليهم، والشهادة لهم بالإيمان، فمن ذلك قول الله تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْلُغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِّوًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعَ أَخْرَجَ شَطَّاهَ فَأَرَزَهُ فَاسْتَخْلَطَ فَاسْتَشْوَى عَلَى سُوقَةٍ يُعْجِبُ الرِّزَاعَ لِيغَيْطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الفتح: ٢٩].

هل قصد الله تعالى في هذه الآية فقط الذين سماهم الشيعة أم جميع الصحابة؟ قال ابن الجوزي - رحمة الله تعالى -: «وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور».

وقال الله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

[زاد المسير: ٤٠٤/٤]

وقال أيضًا:
«وَأُمَّا الرَّافِضَةُ فَيُطْعِنُونَ فِي
الصَّحَابَةِ وَنَقْلَهُمْ، وَبِاطِنُ أُمُرِّهِمْ: الطَّعْنُ فِي
الرِّسَالَةِ».

بـ. القدح في الرسول المصطفى ﷺ :
قال ابن تيمية رحمة الله: بعد أن ذكر خصوصية أبي بكر وعمرو وعثمان -رضي الله عنهم-. في الصحابة، وقربهم من النبي ﷺ: «وَهَبَنَا إِنَّمَا أَنْ
يَكُونُوا عَلَى الْإِسْتِقْامَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدِ مَوْتِهِ. وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونُوا بِخَلْفِ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ أَوْ
بَعْدِ مَوْتِهِ. فَإِنَّ كَانُوا عَلَى غَيْرِ الْإِسْتِقْامَةِ، مَعَ هَذَا
النَّقْرَبِ، فَاحْدَى الْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ: إِمَّا عَدْمُ عِلْمِهِ بِأَحْوَالِهِمْ،
أَوْ مَدَاهِنَتِهِمْ لَهُمْ. وَأَيْمَّا كَانَ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَدْحِ فِي
الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا قِيلَ:»

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتَلْكَ مَصِيرَةُ
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَتَلْكَ مَصِيرَةُ أَعْظَمِ
وَإِنْ كَانُوا انْحَرَفُوا بَعْدَ الْإِسْتِقْامَةِ، فَهَذَا خَذْلَانٌ
مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ فِي خَوَاصِ أُمَّتِهِ وَأَكَابِرِ اَصحابِهِ،
وَمِنْ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا قَدْ سَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ، أَيْنَ كَانَ عَنْ
عِلْمِ ذَلِكِ؟ وَأَيْنَ الْاحْتِيَاطُ لِلأَمَةِ حَتَّى لَا يَوْلِي مَثَلُ هَذَا
أَمْرَهَا؟ وَمِنْ وُعْدِ أَنْ يَظْهُرَ دِينُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فَكَيْفَ
يَكُونُ أَكَابِرُ خَوَاصِهِ مَرْتَدِينِ؟!»

فَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَقْدِحُ بِهِ الرَّافِضَةُ فِي
الرَّسُولِ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ: «إِنَّمَا أَرَادَ هُؤُلَاءِ
الرَّافِضَةِ الطَّعْنُ فِي الرَّسُولِ، لِيَقُولُ الْقَاتِلُ: رَجُلٌ سُوءٌ
كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ سُوءٌ، وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَكَانَ
أَصْحَابُهُ صَالِحُونَ، وَلَهُذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّ الرَّافِضَةَ
دُسِيسَةُ الزِّنْدَقَةِ».

وقال في موضع آخر: «... وَضَلَّ طَوَافُ كَثِيرٍ
مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنَّصِيرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْزَنَادِقَةِ
الْمَلَاهِدَةِ الْمَنَافِقِينَ، وَكَانَ مُبَدِّأُ ضَلَالِهِمْ تَصْدِيقُ
الرَّافِضَةِ فِي أَكَانِيبِهِمُ الَّتِي يَذَكُرُونَهَا فِي تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، كَائِنَةُ الْعَبَدِيِّينَ، إِنَّمَا يَقِيمُونَ مُبَدِّأ
دِعَوتِهِمْ بِالْأَكَانِيبِ الَّتِي اخْتَلَقُتْهَا الرَّافِضَةُ،
لِيُسْتَجِيبَ لَهُمْ بِذَلِكِ الشِّيَعَةُ الْخُلَالُ، ثُمَّ يَنْقُلُونَ
الرَّجُلَ مِنَ الْقَدْحِ فِي الصَّحَابَةِ، إِلَى الْقَدْحِ فِي عَلِيٍّ، ثُمَّ
فِي النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ فِي الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا رَتَبَ لَهُمْ صَاحِبُ
الْبَلَاغِ الْأَكْبَرُ، وَالنَّامُوسُ الْأَعْظَمُ. وَلَهُذَا كَانَ الرَّفِضُ
أَعْظَمُ بَابٍ وَدَهْلِيزٍ إِلَى الْكُفْرِ وَالْإِلَحادِ».

قال تعالى: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَلُ
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» [الحج: ٤٦].

وبعد فهل يعتبر المتأمرون إلى بعض الاتجاهات
الإسلامية المعاصرة والذين لا يكفون عن مدح الشيعة
والإشادة بهم، وكأنهم قادة الإسلام وحراسه؟ وهل
يعي الشباب ويدرك حجم المؤامرة التي تدور عليه
لتغييره وإبعاده عن منهج السنة والجماعة الذي
فيه العصمة والنجاة في الدنيا والآخرة؟ هذا ما
نأمله ونرجوه. والله من وراء القصد.

«وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَشْهُدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، هُمْ
أَفْضَلُ مَنْ جَاءَ بِالصَّدِيقِ وَصَدِيقٌ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ».
«وَهُمُ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي الرَّبِيعَيْنِ، كَأَصْحَابِ مُسْلِمَةِ
الْكَذَابِ، وَمَانِعِي الزَّكَاةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ فَتَحُوا
الْأَمْصَارَ، وَفَارِسَ الرَّوْمَ، وَكَانُوا أَزْهَدَ النَّاسِ».

الطعن في الصحابة الكرام طعن في دين الإسلام
إن الطعن في صحابة رسول الله ﷺ هو طعن
في دين الله وشرعه لأن الصحابة هم شهدوتنا مع
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

عن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال:
سمعت أبي زرعة يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص
أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق،
وذلك أن رسول الله عندنا حُقُّ القرآن حُقُّ، وإنما
أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله
ﷺ، وإنما ي يريدون أن يجرحوا شهدوتنا، ليبطلوا
الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهو زنادقة».

[الكافية للبغدادي ص ٤٦]
ومن زعم أنهم ارتدوا فلاذك في كفره وزندنته،
كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: «من زعم
أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا
يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم،
فهذا لا ريب أبداً في كفره، لأن مكذب لما نصه
القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء
عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره
متعني، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب
والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي «كُلُّمُ
خَيْرٍ أُمَّةٌ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ» [آل عمران: ١١]. وخيرها هو
القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها:
أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم
شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين
الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه
الأقوال، فإنه يتبيّن أنه زنديق». [الصمام المسنون ص ٨٦]

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله أن
حقيقة مراد الطاعن في الصحابة الكرام - رحمة الله
تعالى عنهم - ما يلي:

أـ. الطعن في الدين:
قال ابن تيمية رحمة الله: «وَذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ هَذِهِ
الْأَمَةِ هُمُ الَّذِينَ قَامُوا بِالدِّينِ تَصْدِيقًا وَعِلْمًا، وَعَمَلاً
وَتَبَلِّغاً، فَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي الدِّينِ، مُوجَّهٌ
لِلْإِعْرَاضِ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيُّينَ، وَهَذَا كَانَ
مَقْصُودُ أَوَّلِ مَنْ أَظْهَرَ بَدْعَةَ التَّشْيِعِ، إِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ
الصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِبْطَالُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ
اللَّهِ؛ وَلَهُذَا كَانُوا يَظْهَرُونَ ذَلِكَ بِحَسْبِ ضَعْفِ الْمُلْكِ،
فَظَاهَرَ فِي الْمَلَاهِدَةِ حَقِيقَةُ هَذِهِ الْبَدْعَةِ الْمُخْلِسَةِ، لَكِنْ رَاجِ
كَثِيرٍ مِنْهَا عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنَ الْمَنَافِقِينَ الْمُلَهِّدِينَ، لِنَوْعِ
مِنَ الشَّبَهَةِ وَالْجَهَالَةِ الْمُخْلُوطَةِ بِهِوَيٍّ، فَقَبْلَ مَعِهِ
الضَّالَّةِ، وَهَذَا أَصْلُ كُلِّ باطِلٍ».

أَتَيْهُمْ وَ
وَلَا تَبْتَدِعُوهُمْ

عَمَلُ الشَّيْخِ

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى

الله وصحابه ومن والاه وبعد:

ففي سلسلة حديثنا عن الشيعة وخطرهم على الأمة
تحديثنا في الحلقة السابقة عن اعتقاداتهم الفاسدة في
صحابة رسول الله ﷺ وفي هذه الحلقة نتحدث عن
صور من غلوتهم في الأئمة، من خلال كتبهم وكلام
شيوخهم، وذلك تحذيراً للأئمة وإبراءً للذمة، ولتنصيبي
سبيل المجرمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة، فنقول مستعينين بالله:

أولاً: عصمة الأئمة عند الشيعة:
يعتقد الشيعة أن أئمتهم معصومون من جميع المعاصي
صغيرها وكبیرها حتى السهو والنسيان، فإنهم معصومون من
ذلك من ولادتهم إلى وفاتهم.

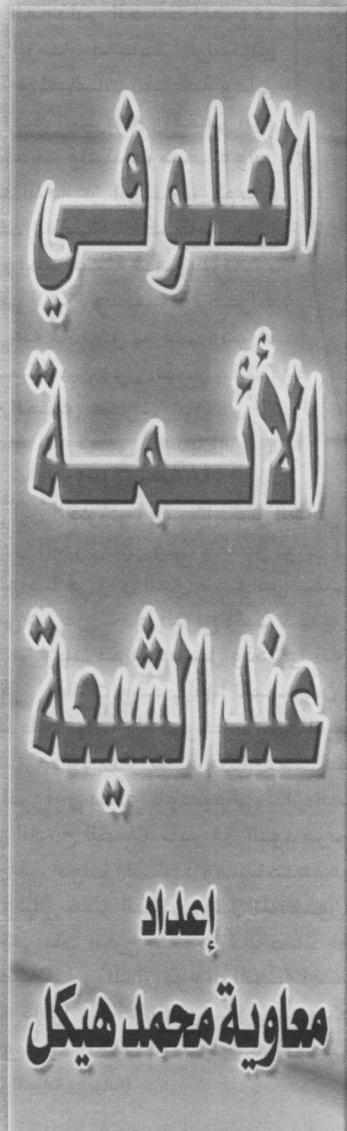
قال محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية ص: ٩١
ونعتقد أن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصوماً من جميع
الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة
إلى الموت عمداً وسهوأ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو
والخطأ والنسيان».

ويقول أياضًا: «بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم عنه، وطاعتهم طاعة، ومعصيتهم معصية، ووليمه وليه وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على

رسول الله، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى».

ويقول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية ص: ٩١: «نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم، لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم ببيان هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم». مثمنا عالياً النذجان في كتابه عقائد الإمام الشافعى، ١٥٧/٢.

ويقول عالمهم الزنجاني في كتابه عقائد الائتني عشر ١٥٧/٢



في ميراث الشرعية

محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايته وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبغي مرسل.

لاحظ أيها القارئ أن كلامهم كله مجرد زعم

ليس فيه مقال للله أو قال الرسول.

ويقول العاملي النباتي البياضي في كتابه «الصراط المستقيم» (١٠١/١): في مساواة أمير المؤمنين لجماعة النبيين: «موسى أحيا الله بدعائه قوماً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُم﴾ [البقرة: ٥٦]، وأحيا لعلي أهل الكهف وروي أنه أحيا سام بن نوح وأحيا له جمجمة الجندي ملك الحبشة».

ويقول البياضي (١٠٢/١): «وعلي سلّمتُ عليه الحيتان وجعله الله إمام الإنس والجان».

ويقول أيضاً في صراطه (١٠٥/١): «قال له أصحابه - أي على - إن موسى وعيسى كانوا يُربّيان المعجزات فلو أريتنا شيئاً لنطمئن إليه فازّاهم عليه السلام جنات من جانب وسعيراً من جانب وقال أكثرهم: سحر، وثبت اثنان فازّاهم حصى مسجد الكوفة ياقوتاً فكرف أحددهما وبقي الآخر».

وفي الموضع المذكور من صراطه المستقيم!!! قال: «اختصم خارجي وأمرأة فعلى صوته فقال له عليه السلام: أحساً فإذا رأسه رأس كلب».

وقال البياضي (١٠٧/١): لما رجع من صفين كلم الفرات فاضطربت وسمع الناس صوتها بالشهادتين والإقرار له بالخلافة، وفي روایة عن الصادق عليه السلام عن أبياته عليهم السلام أنه ضربها بقضيب فانفجرت وسلمت عليه حيتانها وأقرت له بأنه الحجة».

وأورد البياضي (١٠٥/١) روایة طريفة أيضاً إليك نصها: «قال علي لرجل قد حمل جروا: قد حمل هذا إسرائيليا فقال الرجل: متى صار الجري (تصغير جرو وهو ولد الكلب) إسرائيليا؟ فقال عليه السلام: إن الرجل يموت في اليوم الخامس فمات فيه ودفن فيه فرفس عليه السلام قبره برجله فقام قائلاً: «الراد على علي كالراد على الله

ما نصه: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون، مطهرون من كل ننس، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفسي عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقاعدة الكلية في هذا: إلا نعتقد أن أحداً معصوم بعد النبي صلوات الله عليه بل الخلفاء بجوز عليهم الخطأ». [فتاح السنة (١٩٦/٦)]

ثانياً: تفضيل الأئمة الاثني عشر على الأنبياء عليهم السلام:

إنهم لا ينتظرون إلى أهل البيت رضي الله عنهم كما ينظر إليهم أهل السنة، فأهل البيت عندهم هم الأئمة الاثنا عشر حيث يفضلونهم على الأنبياء

نعم يفضلونهم على أنبياء الله عليهم السلام!! يقول أحد مشايخهم وهو السيد أمير محمد الكاظمي القزويني في كتابه «الشيعة في عقائدتهم وأحكامهم» ص ٧٣: «الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء».

ويقول آية الله السيد عبد الحسين وهو أحد أعيان الخميني في كتابه (البيانين ص ٤): «وأئمتنا الاثنا عشر عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء باستثناء خاتم الأنبياء صلوات الله عليه ولعل أحد أسباب ذلك هو أن اليقين لديهم أكثر».

والخميني (في كتابه الحكومة الإسلامية ص ٥٢) يعتقد أن لهم مقاماً لا يصله ملك مقرب ولانبي مرسلاً، وقد نقل عبارته غير واحد من كتاب ومفكري أهل السنة، وقبل هؤلاء شيخهم محمد بن علي بن الحسين القمي الملقب عندهم بالصادق في كتاب عيون أخبار الرضا وشيخهم محمد بن الحسن الحر العاملی في كتاب الفصول المهمة. وهذا نص كلام الخميني «فإن للإمام مقاماً

الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) بلطف من الله سبحانه وتعالى، حيث ميزهم في خلقهم عن سائر الناس.. وكانت فاطمة (ع) في بطن أمها محدثة وكانت تنزل عليها الملائكة بعد وفاة الرسول ﷺ .
من الفتاوى المضلة للشيعة

وسئل المرجع الشيعي الميرزا حسن الحائرى فى كتابه الدين بين السائل والمجيب ج ٢ ص ٢١٩ ما حكم المتقدم على ضریح المعمصوم (ع) في الصلاة، أي يكون الضريح خلف المصلى في داخل الحرم الشريف؟ وما رأيكم بالنسبة إلى الشهداء والصالحين من أبناء المعمصومين؟ وما الحكم إذا صلى جنب الضريح المقدس؟

أجاب الحائرى: «لا يجوز التقدم على ضریح المعمصوم في الصلاة، والصلاحة باطلة، باتفاق من علماء الإمامية، لأن الحكم بعد وفاتهم كما كان حال حياتهم، وأما الصلاة أمام ضریح أبي الفضل العباس (ع) مثلاً، خلاف احترامه، وجسارة بمقامه. ولا بأس بالصلاحة في جانب ضریح المعمصوم، ما لم يتقدم على قبره المطهر الذي في داخل ضریحه...».

رابعاً: الشيعة يخلعون على أنتمهم صفات الألوهية
لم تتوقف ضلالات الشيعة عند جعل الأئمة فوق الأنبياء والرسول وأنهم معصومون متميزون في خلقهم عن بقية البشر، بل وصل جرمهم إلى حد خلعوا فيه على أنفسهم صفات الألوهية فزعموا أنهم يعلمون أعمار الناس وأجالهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، ولا تخفي عليهم خافية، إلى غير ذلك من الطامات التي تزلزل لها قلوب الموحدين.

وفي هذه المسألة بالذات لن نكتب نقولاً عن هؤلاء الضلال من الشيعة لكثرتها لأن جرمهم وضلالهم تکاد السماوات يتفترن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولكننا سكتت في فقط ونطلب من القارئ الكريم أن يطالع بنفسه عناوين بعض الأبواب من فهارس الكتب المعتبرة عند الشيعة والتي تمثل الحجة لديهم، ليتعرف القارئ على مصائب القوم وعقائدهم الفاسدة، ونترك له الحكم في النهاية، وإلى البيان:

١- بعض الأبواب من فهرس كتاب أصول الكافي

للكليني ج ١:

باب أن الأئمة (ع) نور الله عز وجل.

باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه
هم الأئمة.

رسوله
فقال: عد في قبرك فعاد فانطبق عليه».

وهذه من المصائب والبلایا التي أوردتها زین الدين العاملي النباطي البياضي والتي لم يذكرها عليه آية الله المرعشی وهو أحد مراجع الشيعة المعاصرین وهو يقدم للكتاب ويترجم للمؤلف مما يدل على قبوله لها ولغيرها من الخرافات التي لم يتعقبه عليها.

فقال مادحًا كتاب «الصراط المستقيم» الذي أخذنا منه النقول السابقة: «ومن أحسن ما رأيته في هذا المضمار بحيث لا يُعد في عَدَه من النحط الأول والصف المقدم، هو كتاب «الصراط المستقيم» إلى مستحقي التقديم» للعلامة البحاثة المتكلم النحرير الشيخ زین الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي قدس الله لطيفه وأجل شریفه.. ولعمري إنه الكتاب العجیب في موضوعه.

وصدق فهو كتاب عجیب بالفعل في ضلالاته وانحرافاته عن الصراط المستقيم الذي سمي به كتابه زوراً وبهتاناً.

ثالثاً: صفة خلق الأئمة عند الشيعة:

قال الخميني في (كتابه زبدة الأربعين حديثاً ص ٢٣٢): «اعلم أيها الحبيب، أن أهل بيته العصمة عليهم السلام، يشاركون النبي ﷺ في مقامه الروحاني الغيبي قبل خلق العالم، وأنوارهم كانت تسبح وتقدس منذ ذلك الحين وهذا يفوق قدرة استيعاب الإنسان، حتى من الناحية العلمية».

قال: وورد في النص الشریف «يا محمد، إن الله تبارك وتعالى، لم يزل منفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعليها وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمرها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤن أو يحرمون ما يشاؤن، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تعالى، ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها حق، خذها إليك يا محمد».

وسئل التبریزی في تعليقاته وفتاویه ج ٣: هل هناك خصوصية للزهراء عليها السلام في خلقها؟
أجاب التبریزی: نعم، فإن خلقتها كخلاقة سائر

السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملوكوت السموات والأرض ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيمة.

خلو الشيعة في قبور أئمتهم

- ٣- بعض أبواب من فهرس كتاب (كامل الزيارات) لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قتيبة.
الباب (٩١): ما يستحب من طين قبر الحسين عليه السلام وأنه شفاء.
الباب (٩٢): من أين يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام وكيف يؤخذ.

الباب (٩٤): ما يقول الرجل إذا أكل طين قبر الحسين عليه السلام.

وقد صنف شيخهم ابن النعمان، المعروف عندهم بالمفید. وهو شیخ الموسوی والطوسی - كتاباً سماه: (مناسك المشاهد) !!، جعل قبور المخلوقین تُحجّ كما تُحجّ الكعبة.

وقد علم بالاضطرار من دین الإسلام أنَّ النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد، ولا شرع لأمتة مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دین المشرکین». [١٤٦-١٤٧] منهاج السنة لابن تيمية
وهكذا يظہر لك أن تأليه الأئمة وتقديس القبور والمشاهد رکن من أركان المعتقد الشیعی، فالشیعہ أول من بنى مشاهد على القبور وجعلوها شعراهم. فهوئاء هم القوم وهذه عقائدھم أعادنا الله منها ومنھم، وهم بذلك «يُصَاهِّنُونَ قَوْلَ الدِّينِ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» [النوبۃ: ٣٠].

نداء إلى دعاة التقریب

وفي الخاتمة نقول لداعاة التقریب المتبکین على وحدة الأئمة ما رأیکم بعدما قرأتم ما سطر في كتب القوم من ضلالات وانحرافات وشرکیات؟، أما زلت مصرون على دعوتكم إلى التقریب والوحدة، وأنه لا فرق بين شیعة وسنة، اترضون أن تتحدد الأئمة على ضلال؟ فترضون بذلك الناس وتتسخطون عليکم رب الناس، ما للعقل أین ذہبت وما للتفكير کیف غاب. إن وحدة الأئمة لا تكون إلا في الاعتصام بالكتاب والسنّة، يا دعاة التقریب انقروا الله وكفاكم تزییناً للحقائق وتضليلًا للأئمة، فكلمة التوحید قبل توحید الكلمة. والله من وراء القصد.

باب أن الأئمة (ع) إذا شاؤوا أن يعلموا علموا.
باب أن الأئمة (ع) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم.

باب أن الله عز وجل لم يعلم نبیه علمًا إلا أمره أن يعلمه أمیر المؤمنین (ع) وأنه كان شریکه في العلم.

باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة و مختلف الملائكة.

باب أن الأئمة (ع) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف سنتها.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (ع).

٢- بعض الأبواب في فهرس بحار الأنوار لخاتمة المجتهدين محمد باقر المجلسي ج ٢٣ - ٢٧ كتاب الإمامة.

باب: أنه لا يحجب عنهم شيء من أحوال شیعتهم وما تحتاج إليه الأئمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيّبهم من البلایا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لاجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائير وعلم المنايا والبلایا وفصل الخطاب والمواليد.

باب: أن عندهم جميع علوم الملائكة والأنبياء وأنهم أعطوا ما أعطاه الله الأنبياء، وأن كل إمام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله، ولا يبقى الأرض بغير عالم.

باب: أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام.
باب: أحوالهم بعد الموت وأن حرمهم حرام على الأرض وأنهم يرفعون إلى السماء.

باب: أن اسماءهم عليهم السلام مكتوبة على العرش والكرسي واللوح وجبار الملائكة وباب الجنة وغيرها.

باب: أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأکمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام.

باب: أنهم عليهم السلام سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب.
باب: أنهم عليه السلام لا يحجب عنهم علم

اتبعوا
ولا تبتعدوا

عَقَدُ الشِّيعَةِ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فيعتقد أهل السنة كجميع طوائف المسلمين بأن القرآن المجيد الذي أنزله الله على نبينا محمد ﷺ هو الكتاب الأخير المنزلي من عند الله إلى الناس كافة، وأنه لم يتغير ولم يتبدل، وليس هذا فحسب، بل إنه لن يتغير ولن يتبدل إلى أن تقوم الساعة، وهو الموجود بين رفتي المصاحف لأن الله قد ضمن حفظه وصيانته من أي تغيير أو زيادة أو نقصان على خلاف الكتب المنزلة القديمة، السالفة، من صحف إبراهيم وموسى، وزبور وإنجيل وغيرها، فإنها لم تسلم من الزيادة والتقصاص بعد وفاة الرسول، ولكن القرآن حينما أنزله الله سبحانه وتعالى قال: «إِنَّا نَحْنُ نَرَأَنَا الْكَوْثَرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، وقال: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ» [١٧] فادا قرأنه فاتسح قرأنه [١٨] ثم إن علتنا بياته [القيامة: ١٧ - ١٩]، وقال: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» [فصلت: ٤٢]. وإن عدم الإيمان بحفظ القرآن وصيانته يجر إلى إنكار القرآن وتعطيل الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، لأنه حين ذاك يحصل في كل آية من آيات الكتاب الحكيم أنه وقع فيها تبديل وتحريف، وحين تقع الاحتمالات تبطل الاعتقادات والإيمانيات، لأن الإيمان لا يكون إلا باليقينيات، وأما بالظننيات والاحتمالات فلا.

عقيدة الشيعة في القرآن

وأما الشيعة فإنهم لا يعتقدون بهذا القرآن الكريم الموجود بأيدي الناس، والمحفوظ من قبل الله عز وجل بل يظنهونه محرقاً مغيراً وناقاشاً، مخالفين بذلك جميع الفرق المسلمة، والمذاهب الإسلامية، ومنكرين لجميع النصوص الصحيحة الواردة في القرآن والسنة، ومعارضين كل ما يدل عليه العقل والمشاهدة، مكابرین للحق وتارکین للصواب.

فهذا هو الاختلاف الحقيقى الأأساسى بين السنة والشيعة، أو بالتعبير الصريح بين المسلمين والشيعة.

قال الشيخ محب الدين الخطيب - رحمة الله - في كتابه «الخطوط العريضة»: وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب والوحدة، هم لا يعتقدون به. ثم ذكر بعض الأمثلة التي تدل على أن الشيعة لا يعتقدون القرآن الذي في أيدينا وأيدي الناس، بل يظنهونه محرقاً، مغيراً وناقاشاً.

وها نحن نذكر جملة من الأحاديث والروايات الصريحة من كتبهم المعتمدة عندهم والتي لا تقبل الشك والتي تدل صراحة على تحريف القرآن وتبيذه والتقصاص منه كما يزعمون.

١ - يروي المحدث الشيعي الكبير الكليني الذي هو بمنزلة

الحلقة الثالثة

موقف

الشيعة

من القرآن

إعداد

معاوية محمد هيكل

في ميزان الشريعة

والمعتمد عليه عند المسلمين قاطبة سوى الشيعة، فماذا يقول الشيعة المظاهرون بالإنكار على من قال بالتحريف في القرآن - تقية وخداعاً للMuslimين - وماذا يقولون أيضاً في الروايات التالية والتي لا حصر لها عن الشيعة والتي تدل وتخبر بأن القرآن عندهم غير محفوظ من التغيير والتبدل والتحريف، وأن القرآن الذي بين أيدينا مختلف بعده ومحرف بعضه.

٣ - فانظر إلى ما يرويه الكليني في «الكافي» صراحةً أن أبا الحسين موسى عليه السلام كتب إلى علي بن سعيد وهو في السجن: ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ولا تحب دينهم فإنهم الخائنوذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، وهل تدرى ما خانوا أماناتهم؟ ائتمنا على كتاب الله، فحرفوه وبدلوه.

[الكافي كتاب الروضة، ١٢٥/٨]

٤ - ويروي صدوق الشيعة ابن بابويه القمي في كتابه: حدثنا محمد بن عمر الحافظ البغدادي قال: حدثنا عبد الله بن بشر قال: حدثنا الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وأله يقول: يجيء يوم القيمة ثلاثة يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة، يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني... إلخ.

[كتاب: الخصال ص ٨٣]

من حرف القرآن وغيره في نظر الشيعة؟

وأصرح من ذلك كله ما رواه الطبرسي في كتابه «الاحتجاج» المعتمد عليه عند جميع الشيعة ما يدل على اعتقاد الشيعة في القرآن وما يكنونه من الحقد على علماء الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم وأرضاهم عنه، فيقول المحدث الشيعي: وفي رواية أبي ذر الغفاري أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وأله، جمع على القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وأله، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صحفة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي! أردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علي عليه السلام وانصرف، ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: إن علينا جاعنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن تؤلف القرآن وتسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألت وأظهر على القرآن الذي ألم بهليس قد بطل كل

الإمام البخاري عند المسلمين في «الكامل في الأصول»: عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وأله سبعة عشر ألف آية. [الكافي في الأصول ٦٣٤/٢]

والمعروف أن آيات القرآن لا تتجاوز ستة آلاف آية إلا قليلاً.

٢ - وتنص على هذا رواية «الكافي» أيضًا عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، أهانها أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله سترًا بيته وبين بيت آخر، فاطلع فيه ثم قال: سل عما بدا لك، قال: قلت: إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وأله علم علياً باباً يفتح منه ألف باب؟ قال: فقال: علم رسول الله صلى الله عليه وأله علياً ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض، ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك، قال: يا أبا محمد، وإن عندنا الجامدة، وما يدرىهم ما الجامدة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامدة؟ صحيحة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وأله، وإملائه من فلق فيه، وخط على بيميته، فيها كل حال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس... ثم سكت ساعة ثم قال: وإننا عندنا الجفر، وما يدرىهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذي مضوا منبني إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذلك، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدرىهم ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرائكم هذا ثلاثة مرات، والله ما فيه من قرائكم حرف واحد». إلخ. [الكافي في الأصول ٢٤١ - ٢٣٩/١]

وهذا هو المقصود بالعلم الحقيقي.

وهذه هي الخرافات والأباطيل التي أنسنت عليها عقائد الشيعة وفيها تصريح أن ثلاثة أرباع القرآن قد حذف وأسقط من المصحف الموجود،

عوائد الأمة وتکذیب للكتاب والسنّة وسب لخيار هذه الأمة.

يا دعاة التقریب اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

ومثل تلك الروایة المکذوبة على الأئمّة التي رواها الطبرسی في «الاحتجاج» توجّد روایة أخرى في بخاریهم «الکافی» عن أحمّد بن مُحّمد بن أبي نصر قال: رفع إلى أبو الحسن عليه السلام مصطفى وقال: لا تنظر فيه، ففتحتته وقرأت فيه: «لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا [البيت: ۱]، فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش باسمائهم وأسماء آباءهم، قال: فبعث إلى، أبعث إلى بالصحف.

[الکافی في الأصول ۶۳۱/۲]

وقال نعمة الله الحسيني في كتابه «الأنوار»: قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين. [الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية للسيد نعمة الله الجزائري]

ويؤيد هذه الروایة ذلك الحديث الشیعی المشهور، الذي رواه محمد بن يعقوب الكلینی عن جابر الجعفی قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا على بن أبي طالب والأئمّة. [الکافی في الأصول ۲۲۸/۱]

أین مصحف الشیعہ المزعوم؟

فأین ذلك المصحف الذي أنزله الله على محمد ﷺ والذي جمعه وحفظه علي بن أبي طالب؟ يجيب على ذلك الحديث الشیعی الذي يرویه أيضًا الكلینی عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفًا من القرآن ليس على ما يقرأه الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كف عن هذه القراءة أقرأ كما يقرأه الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حدة، وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام، وقال: أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله، قد جمعته من اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله لا ترونے بعد يومكم هذا أبداً إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه. [الکافی في الأصول ۵۳۲/۲]

فالأجل ذلك يعتقد الشیعہ أن مهديهم المزعوم الذي دخل في السردار، ولم ينزل هناك، دخل ومعه ذلك المصحف ويخرجه عند خروجه من ذلك السردار المولهوم، كما يذكر شیخ الشیعہ أبو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسی المتوفی سنة ۵۸۸هـ في كتابه «الاحتجاج على أهل اللجاج».

يذكر في هذا الكتاب أن الإمام المهدی المزعوم

ما عملتم؟

قال عمر: فما الحيلة؟

زيد: أنت أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه، فببر في قتله على يد خالد بن الولید فلم يقدر على ذلك - فلما استخلف عمر، سأله علياً عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال عمر: يا أبا الحسن، إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر ل تقوم الحجة عليكم ولا تقولوا جئت به إلى أبي بكر لأنكم لا تقولوا [إنا كنا عن هذا غافلين] [الأعراف: ۱۷۲]، يوم القيمة [إنا كنا عن هذا غافلين] [الأعراف: ۱۷۲] أو تقولوا ما جئت به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم؟ فقال عليه السلام: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنّة به صلوات الله عليه.

[الاحتجاج للطبرسی ص ۷۶، ۷۷]

ماذا يقول دعاة التقریب؟

أین أهل العدل والإنصاف؟ وأین القائلون بالحق والصدق؟ فإن كان عمر رضي الله عنه هكذا كما يزعم الشیعہ، فمن يكون أميناً، صادقاً، محافظاً على القرآن والسنة من صحابة الرسول ﷺ.

فماذا يقول فيه دعاة التقریب من الشیعہ في بلاد السنّة؟

وماذا يقول فيه المتشدقون بوحدة الأمة واتحادها؟ أتکون الوحدة على حساب قرائنا فنؤمن بتحريفه كما أمنوا وبتبديله كما اعتقدوا، والله إله لهو الخزي العظيم، أتکون الوحدة على حساب سادات الأمة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأصحاب رسول الله ﷺ البررة، الأمانة على تبليغ الرسالة، رسالة رسول الله الأمين، والناشرين لدعوتة، والرافعین لكلمته، والمجاهدين في سبيل الله، والعاملین لأجله؟

وهل من أهل السنّة واحد يعتقد ويظن في علي رضي الله عنه، وأولاده ما يعتقد الشیعہ في زعامة الله، الحنفية، البيضاء، وخلفائه الراشدين الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ومن والاهم وتعبّهم إلى يوم الدين؟

وهل في سبيل الوحدة المزعومة أن نترك عوائدنا ونغمض عن أعراض أسلافنا التي تنتهك من قبل هؤلاء الشیعہ، ونصف عن جراحات أكلت قلوبنا وأقلقت مسامعنا؟

أهذه هي دعوة التقریب بين الشیعہ وأهل السنّة، أن تحتقرروا أسلافنا وتسبوهم وتخوضوا في أکابرنا؛ أبي بكر وعمر وعثمان وأولادهم؟ أهذه هي دعوة التقریب؟

إن أصدق وصف لدعوتكم أنها دعوة لتخريب

ونقل أيضًا عن الجزايري: «أن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن».

[فصل الخطاب ص ٣٠]

وذكر مثل هذا المفسر الشيعي المعروف محسن الكاشي والسمى عندهم بفليسوف الفقهاء حيث قال: المستفاد من مجموع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وأله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير، محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع ومنها لفظ آل محمد غير مرأة، ومنها أسماء المناقفين في مواضعها وغير ذلك، وأنه ليس أيضًا على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله. [تفسير الصافي]

فتلك بعض الروايات والأحاديث المروية عن أئمة الشيعة المنسوبة إلى المعصومين عندهم، الصحيفة النسبة والرواية حسب قولهم، المروية في صحاحهم، المعتمدة عندهم، وهذه بعض الآراء لأكابرهم في هذه المسألة، وهناك روايات لا تعدد ولا تحصى حتى زادت على ألفي حديث ورواية كما ذكره الميرزاني الطبرسي.. وبعد هذا لا يبقى مجال للشك بأن الشيعة يعتقدون التحريف في القرآن الحكيم الذي أنزله الله هدى ورحمة للمؤمنين، وللتفكير والتذكرة للناس كافة، والذي قال فيه: «ذلك الكتاب لا رب له» [البقرة: ١]، و«لا يتأتى به الناطل من بين يديه ولا من خلفه تُنزل من حكم حميد» [فصلت: ٤٢]، و«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، و«إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَةً وَقَرَانَةً» [١٧]، فـإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قَرَانَةً» [١٨] ثم إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَةً» [القيامة: ١٩ - ١٧]، و«كتاب أحكمت أياته ثم فصلت من لدن حكيم حمير» [هود: ١]، و«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» [المائد: ٦٧]، و«وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَيْنَ» [التوكير: ٢٤]، و«وَقَرَأْنَا فَرْقَنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَبَرْتَنَاهُ شَنِيزَلًا» [الإسراء: ١٠٦]، و«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ» [آل عمران: ١٣]، و«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا» [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء: ٩]. وصدق الله العظيم: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» [الحج: ٤٦].

واللحديث بقية إن شاء الله.

حيثما يظهر: يكون عنده سلاح رسول الله، وسيفه ذو الفقار، وتكون عنده صفيحة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيمة، ويكون عنده الجامعة وهي صفيحة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه ولاد، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر، وهو إهاب بكش فيه جميع العلوم، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام. [الاحتجاج على أهل اللجاج ص ٢٢٣]

وورد أيضًا في «الكافي» ما رواه الكليني بسنته عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نائم؟ فقال: لا اقرؤوها كما تعلمتم فيجيئكم من يعلمكم.

[الكافي في الأصول ٦١٩/٢]

يقول المحدث الشيعي الجزايري في كتابه (الأنوار): قد ورد في الأخبار أنهم (أي الأئمة) أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان (المهدي)، فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين، فيقرأ ويعمل بأحكامه. [الشيعة والستة / إحسان الهي الظهير] ونقل شيخهم محمد بن محمد صادق الصدر في تاريخ ما بعد الظهور (يعني ظهور المهدي) (ص ٦٣٨) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يقوم القائم في وتر من السنين إلى أن قال: فوالله لكاني انظر إليه بين الركن والمقام ببابايع الناس بأمر جديد وكتاب جديد وسلطان جديد من السماء».

وفي يوم الخلاص لacam سليمان (ص ٣٧٣) عن الإمام جعفر الصادق قال: إذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام.

وفي يوم الخلاص أيضًا (ص ٣٧٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كاني انظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة وقد ضربوا الفساطيط يعلمون القرآن كما أنزل». **ياشيعة العالم.. استيقظوا**

فهذه هي عقيدة الشيعة في القرآن ولا يستطيع أحد أن يرد هذه الأخبار والأحاديث المستفيضة عندهم والتي يؤكدها علماؤهم، يقول العالمة الشيعي حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في كتابه المشهور «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» فاقلاً عن السيد نعمة الله الجزايري أن الأخبار الدالة على ذلك (أي على التحريف في الكتاب الحكيم) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفید، والحق المدار، والعلامة المجلسي وغيرهم.

اتبعوا
ولَا تبتعدوا

جهود أهل السنة في

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالقرآن الكريم مصدر عزٍ وكرامةٍ لل المسلمين وهو سر سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولذا فقد أولوه اهتمامهم البالغ وعانتهم الفائقة وأنزلوه المنزلة الائقة به ولم يحظ أي كتاب غيره من الكتب بمثل ما حظى به القرآن الكريم من العناية الشديدة والاهتمام البالغ، فقد وجه المسلمون كل جهودهم، وبينوا كل ما في وسعهم من أجل حفظ القرآن والحفظ عليه كما أنزله الله تعالى على رسوله الأمين الذي عرف بامانته حتى قبل بعثته عليه أفضل الصلاة والسلام وشهد به عدوه قبل مواليه، إلى أن وصل إلينا القرآن سالماً محفوظاً، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيبقى القرآن الكريم موضع اهتمام المسلمين وعانتهم دائماً وأبداً.

وقال تعالى «سَنُقْرِئُكُمْ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَئْنَ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفِي» [الأعلى: ٧٦] هكذا كان حرصه على القرآن واهتمامه به فجمع الله القرآن في صدر رسوله الكريم وأراحه من العناء الذي كان يجهد في نفسه من خوف نسيان القرآن وإنفلات بعض أجزائه. وكذلك كان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان وفي السنة التي توفي فيها رسول الله عارضه فيها مرتين، إذاناً بقرب أجله، وتاكيداً لحفظ القرآن الكريم في صدره الشميف وبقاء ما لم ينسخ منه، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، منها : ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي أوجد الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أوجد بالخير من الربيع المرسلة». [صحيح البخاري مع الفتاح، كتاب فضائل القرآن ٤٣٩]

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان يعرض على النبي القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعكف في كل



عنابة النبي ﷺ بالقرآن الكريم وتنجي عنابة المسلمين بالقرآن الكريم وجهودهم في المحافظة عليه في الخطوات التي اتبعوها تجاه القرآن الكريم بدءاً برسول الله ﷺ نفسه، ثم أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فمن جاء بعدهم من التابعين لهم يا حسان إلى يومنا هذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أدين الأرض قد يبلغ من عناته بالقرآن وحرصه على حفظه وسلامته وشدة اهتمامه به أنه كان يتابع جبريل عليه السلام عند تلقي الوحي منه، ويقرأ معه قبل أن ينتهي جبريل عليه السلام، وكان يفعل ذلك كله حرصاً منه على حفظ ما يأتي به جبريل من القرآن لثلا ينساه ويinctلت منه بسبب نسيانه، فكان يعالج من نزول القرآن أشد المعالجة، إلى أن طمأنه الله تعالى وضمن له بقاء القرآن محفوظاً، وتکفل بجمعه في صدره وبيانه، وأنه لا ينسى منه شيئاً إلا ما أراد نسيانه فلا شيء عليه في ذلك.

قال تعالى : «لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجِلْ بِهِ * إِنْ عَلِيَّنَا حَقْعَةً وَقَرْأَةً * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَأَشْيَعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنْ عَلِيَّنَا بَيَانَهُ» [القيمة: ١٦-١٩]

وقال تعالى «وَلَا تَعْجِلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِي إِلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُلْ رَبِّ زَنْبُلي عَلِمًا» [طه: ١١٤]

الحافظة على القرآن الكريم



إعداد/ معاوية محمد هيكل

الصحابة على حفظ القرآن الكريم .

يقول ابن الجزري رحمة الله : وما خص الله تعالى بحفظه من شاء من آله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصححه وبدلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك في زمن النبي ﷺ . [النشر في القراءات العشر ٦١، وانظر الاقناف في علوم القرآن للسيوطى]

وهكذا لا يوجد جزء من القرآن الكريم إلا وهو محفوظ في صدور الصحابة رضي الله عنهم .

٢- جمع القرآن وكتابه

ولشدة حرصهم على القرآن الكريم فإنهم لم يكتفوا بحفظهم للقرآن في صدورهم فحسب، بل اضافوا إلى ذلك الكتابة في السطور، حيث كان بعضهم يكتب القرآن في أدوات الكتابة المتيسرة لديه من الرقاع واللخاف والأكتاف، وغيرها، كل ذلك مبالغة في المحافظة على بقاء القرآن سالماً كاملاً . كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ .

ويؤكد ذلك ما قاموا به من جمع القرآن الكريم في الصحف بعد أن كان في أشياء متفرقة ، لما خافوا عليه ضياع بعض أجزائه بسبب موت حفاظه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث أشار إليه بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استئثر القتل بقراء القرآن في معركة اليمامة مع مسيلة الكذاب، كما هو واضح من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه في جمع القرآن على

عهد أبي بكر رضي الله عنه عند البخاري رحمة الله تعالى . [صحيح البخاري مع الفتح ١١، ١٠/٩] ، كتاب

فضائل القرآن باب جمع القرآن]

وكذلك ما قاموا به في عهد عثمان رضي الله عنه من جمع الناس على مصحف واحد لما خافوا الفتنة التي

عام عشر، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض

فيه . [صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن ٤٣/٩]

٣- كتاب الوحي

وكل ذلك يدل على عناية النبي ﷺ بالقرآن اتخاذ كتاباً، كانوا يعرفون بـ كتاب الوحي . وهم كثيرون، منهم: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وغيرهم رضي الله عنهم .

فكان ﷺ إذا نزلت عليه آية أو سورة من القرآن أمر من حضر من هؤلاء الكتاب بكتابتها مع إرشاده إياهم إلى موضع الآية من سورتها، فكانوا يكتبون كل ذلك فيما يتيسر لديهم من أدوات الكتابة وقتذاك، كالرقاع، واللخاف، والأكتاف، والعسب، وما أشبه ذلك من أدوات الكتابة التي كانت متيسرة عندهم في زمانهم ذلك . [فتح الباري للحافظ ابن حجر ٢٢/٩]

ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مجموع، وإن كان متفرقًا في الرقاع والعسب وغيرها . كما كان ﷺ يحرص على إقراء الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم وتحفيظهم إيماء مع بيان معانيه لهم وأحكامه، فكثر منهم حفاظ القرآن الكريم، إما كله وإما أجزاء منه، كل بحسب ما تيسر له منه، فضمن الحفاظ على القرآن بالحفظ في الصدور وبالكتابة في السطور .

هذا قليل من كثير من عناية النبي ﷺ بالقرآن الكريم وسلامته .

٤- عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم

وأما عناية الصحابة رضوان عليهم بالقرآن الكريم فهي استمرار لما بدأه رسول الله ﷺ، فإنه مهد لهم الطريق ورباهم على ذلك .

ويتمثل ذلك في عدة أمور منها :

١- حرصهم الشديد على تلقى القرآن مشافهة من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى واجتهادهم في حفظ ما يتلقون من رسول الله ﷺ من الآيات والعمل بأحكامها، فتعلموا القرآن من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى وعملاً كما جاء في الأحاديث الكثيرة التي تحدثت عن حرمي



وتنوعها، فاتجهوا إلى القرآن الكريم بكل عناء،
فدونوا في جميع مجالاته مؤلفات كثيرة لم يشهد
لها مثيل في تاريخ البشرية.

٣٠ عنابة المسلمين بالقرآن في الوقت الحاضر

وتجلّى عنابة المسلمين بالقرآن الكريم
واهتمامهم به في هذه العصور المتأخرة بالإضافة
إلى ما درج عليه سلفنا الصالح من الخطوات
المتبعة في حفظ القرآن الكريم ومدارسته في
المساجد والكتاتيب وغيرهما من الوسائل المتاحة
لكل أهل عصر، تتجلّي تلك العنابة في:

١- إنشاء مدارس خاصة لتعليم القرآن الكريم
ودراسة كل ما يتعلق به من العلوم من تجويده،
والقراءات والتفسير، وغيرها من العلوم المتعلقة به
في جميع مراحل التعليم، الابتدائي والمتوسط
والثانوي والجامعي ، مثل مدارس تحفيظ القرآن
الكريم في المملكة العربية السعودية للبنين
والبنات.

ومعاهد القراءات في جمهورية مصر العربية،
كما توجد بها أيضاً مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم.
وفي غيرهما من الدول الإسلامية .

٢- كما أنشأت بعض الجامعات الإسلامية كليات
خاصة لتحفيظ القرآن الكريم ودراسة علومه
والقراءات وغيرها من العلوم المتعلقة بالقرآن
الكريم، كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة وكلية علوم القرآن الكريم جامعة
الأزهر، كما خصصت جامعات أخرى أقساماً خاصة
بدراسة القرآن وعلومه كالقراءات وغيرها.

٣- إنشاء إذاعات متخصصة لـإذاعة القرآن
الكريم على الناس، وكذلك تخصص بعض
القنوات للتلاوة القرآن الكريم في معظم الدول
الإسلامية.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

٤- وتتمثل كذلك في إنشاء مطابع لطباعة
القرآن الكريم بكل عناء ودقة وأحدثها وأدقها
وأوثقها في وقتنا المعاصر : مجمع الملك فهد ابن
عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف باسم مصحف
المدينة، تحت إشراف لجنة مكونة من كبار العلماء
في علم القراءات وعلوم القرآن الكريم، وتحت مرأبة
فنين مهرة لضمان خروج المصحف سالماً وخاليًا
من الأخطاء، ثم توزيعها على المسلمين في جميع
أقطار المعمور.

كما يقوم المجمع بذلك بترجمة معاني القرآن
الكريم إلى لغات كثيرة.
وكذلك يقوم المجمع بانتاج تسجيلات صوتية
لتلاوة القرآن الكريم بأصوات كبار القراء.

كادت أن تحدث بين المسلمين بسبب اختلافهم في
وجوه القراءات، كما ورد بذلك حديث حذيفة بن
اليمان رضي الله عنه حيث قال لعثمان بن عفان
رضي الله عنه : " يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة
قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود
والنصارى...".

[المراجع السابق ١١/٩ فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٣]
كل هذا يؤكّد لنا أنهم كانوا يسّهرون على
القرآن الكريم وعلى حمايته من أي شئ يقدر صفوه
وينقص من قدره، وذلك حتى يظل القرآن منيع
الجانب مصون الحمى.

كما كانوا رضوان الله عليهم حريصين على
إقراء الناس القرآن الكريم من التابعين وغيرهم
من لم يتمكنوا من تلقّيه من رسول الله ﷺ،
فعقدوا مجالس كثيرة لتدريس القرآن ومدارسته
كما تلقّوه من رسول الله ﷺ فأخذ عنهم التابعون
الذين كانوا أيضًا حريصين على التفقه في الدين
وتعلم أحكامه، وحرّيصين على قراءة القرآن وحفظه
وفهم معانيه حتى تخرج على أيديهم أئمة جهابذة
في العلم بالقرآن لفظاً ومعنى وعملًا، تولوا فيما
بعد إقراء من جاء بعدهم القرآن الكريم ومدارسته.
هكذا أخذ المسلمون القرآن جيلاً عن جيل
مشافهةً ولم يعتمدوا على المكتوب في المصاحف
فقط وإنما كان الاعتماد في قراءة القرآن على تلقّيه
مشافهةً إلى أن بirth الله الأرض ومن عليها .

وهكذا كانوا شديدي الحرص على قراءة القرآن
وحفظه في صدورهم، فكثر حفاظ القرآن من
المسلمين في كل جيل وفي كل بلد من مشارق
الأرض ومغاربيها، لا توجد بقعة معمورة على وجه
الأرض فيها مسلمون إلا وفيهم حفاظ القرآن
الكريّم، إما كاملاً وإما أجزاء منه.

هذا مما يتعلق بحفظ القرآن في الصدور الذي
هو المعتمد عند المسلمين في المحافظة على القرآن
الكريّم .

٤٠ عصر التدوين

واما ما يتعلق بكتابه القرآن في السطور، فإن
الذين جاعوا من بعد عصر الصحابة رضوان الله
عليهم الذين أخذوا القرآن عنهم، والذين اتبعوهم
بإحسان إلى يوم الدين فإنهم أيضًا لم يهملوا هذا
الجانب المهم في المحافظة على سلامية القرآن
الكريّم، ولم يغفلوه بل نشطوا في ذلك نشاطاً فاق
كل الوصف، لا سيما فيما يعرف بعصر التدوين.

وقد أصبحت الكتابة ميسرة وفي متناول كل
أحد يرغب في الكتابة لتتوفر أدوات الكتابة

كبيراً للمسلمين على أن يتسابقوا إلى قراءة القرآن وحفظه حتى يفزوا بهذه الدرجات الرفيعة والثواب العظيم الذي أعد لحامل القرآن الكريم .

استذكار القرآن وتعاهده

كما جاءت أحاديث كثيرة جداً في الحض على استذكار القرآن الكريم وتعاهده حتى لا يتعرض للنسوان، فمن ذلك :

ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبته.

ورويا أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نسي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًّا من صدور الرجال من النعم».

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الحث على تعاهد القرآن الكريم واستذكاره .

قال الحافظ بن كثير رحمة الله - بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في ذلك: - ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في إكثار تلاوة القرآن الكريم واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسوان فأن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه.

[فضائل القرآن لابن كثير ص ١٣٥]

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة ساعدت المسلمين على المحافظة على القرآن الكريم، كالبعد بقراءته، والأمر بقراءته في جميع الصلوات فرضاً كانت أو تفلاً وكذلك ما تميز به عن سائر كلام الخلق من البلاغة والفصاحة في معانيه وألفاظه وفي أسلوبه وحالاته التي لا ينضوي القارئ من إعجابه بها ولا يسام من تكرارها كما يحصل لأي كلام آخر وفوق ذلك كله: وعد الله تعالى بحفظ كتابه العزيز وتکفله بسلامته وضمان بقائه، وتيسير حفظه على الناس .

قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَرْتَلُنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٤٠].

وقال تعالى: «وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ» [القمر: ٣٢].

هذه نبذة يسيرة من جهود أهل السنة وال المسلمين للمحافظة على القرآن الكريم تحقيقاً لوعده الله تعالى بحفظه . نسأل الله تعالى أن يجعلنا من حفاظ كتابه العزيز، ومن المحافظين عليه، إنه سميع مجيب الدعاء .

والله من وراء القصد .

٥- وكذلك تتمثل العناية بالقرآن الكريم في هذه العصور المتأخرة فيما تقوم بها بعض الدول وبعض الجمعيات الإسلامية من تنظيم مسابقات محلية ودولية لحفظ القرآن الكريم وتجويهه وأبرز هذه المسابقات مسابقة القرآن الكريم الدولية التي تنظمها المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة كل سنة لتلاوة القرآن الكريم وتجويهه وتفسيره وحفظه .

كل هذا يعكس مدى عناية المسلمين بالقرآن الكريم والمحافظة على سلامته من أي تحريف أو ضياع، فقد بذلوا كل ما في وسعهم في ضمان بقائه كما أنزله الله تعالى بكل حرص واهتمام بالغ، كيف لا! والقرآن الكريم مصدر عزهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة، لأن المعلم الأول لتشريع أحكام دينهم والمنظم لأمور دينهم ودنياهم وهو كذلك شفاء لما في الصدور .

٦- الترغيب والتحث على قراءة القرآن إلى جانب ما ورد من الترغيب والتحث على قراءة القرآن وإقرائه وما في ذلك من الثواب العظيم، والدرجة الرفيعة لحامليها كما وردت بذلك أحاديث كثيرة صحيحة عن النبي ﷺ منها

ما رواه الشيخان واللطف للبخاري - من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثُلُ الْذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأَتْرَجَةَ طَعْمَهَا طَيْبٌ وَرِيحُهَا طَيْبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأَتْرَجَةَ طَعْمَهَا طَيْبٌ وَلَا رِيحٌ فِيهَا، وَمَثُلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثُلِ الرِّيحَاتِ رِيحُهَا طَيْبٌ وَطَعْمُهَا مَرٌ، وَمَثُلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثُلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مَرٌ وَلَا رِيحٌ لَهَا» .

[رواوه البخاري ٦٦، ٦٥/٩]

وما روى البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن السلمي في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: «وذالك الذي أقدعني مقعدتي هذا»، وما رواه أيضًا في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا حَسْدٌ إِلَّا على اثنتين رجل أتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أطعاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهر .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه» .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في فضل القرآن وأهله، وبيان ثواب قراءته مما كان حافزاً

رمضان وتربيّة الأمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم

علينا النعمة، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للأمة، وبعد:

فقد شرع الله الصوم لعباده رحمة بهم وإحساناً إليهم وحماية لهم وجنة، وكان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الهدي وأعظم تحصيل للمقصود وأسهل على النفوس، وما كان فطم النفوس عن مالوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخير فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلة، وألفت أوامر القرآن، فنُقلت إليه بالدرج، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة.

بالله ورضا بفريضة الصوم، واحتساباً: بأن يصوم محتسباً للثواب والأجر عند الله تعالى، غير كاره لهذا الصيام، ولا شاك في الأجر والثواب، والإيمان سبب قبول الطاعات، ومنها الصيام والقيام، وإن فقد صوم الكافر ولكن عمله مردود لغيباب أصل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٌ بَقِيعَةٌ يَحْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَأَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مُنْثَرًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». [رواوه مسلم]

وأصل الإيمان في اللغة: التصديق كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا، وأما في الشرع: فالإيمان قول باللسان، وإقرار بالجناح، وعمل بالأركان، أو: هو قول وعمل، لذلك ورد في كثير من النصوص اقتران الإيمان بالعمل الصالح، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَاحَاتٍ الْفِرْدَوْسُ زُرُّا﴾ [الكهف: ١٠٧]، والإيمان شعب، والطاعات كلها من شعب

معاني العبودية والتوحيد تتجلى في أن الصوم يقطع أسباب الاسترقاء والتعبد للأشياء؛ فإن العباد لو داوموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء، وقطعتهم عن الله، والصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله، ويورث الحرية من الرق للمشتاهيات، لأن المراد من الحرية أن يملك الإنسان الأشياء لا تملكه، فإذا ملكته فقد قلب الحكمة، وصير الفاضل مفضولاً، والأعلى أسفل، قال تعالى: ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيْكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ فَضَّلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمَيْنَ﴾ [الأعراف: ١٤]، وهو معبود، والصوم يورث قطع أسباب التعبد لغير الله. [فيض القدير، المتناوي]

التربيّة على الإيمان والاحتساب

وال المسلم في رمضان يتربى على الإيمان من خلال الصيام والقيام، والجود والإحسان والصدقة، وغير ذلك من أبواب البر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه». [روايه البخاري]

وعنه رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه». [روايه مسلم]

فصوم رمضان سبب عظيم لغفران ذنوب العباد، وذلك مقيد بشرطين يسيرين على من يسرهما الله عليه، وهما الإيمان والاحتساب، إيماناً

والروافض.

والقرآن يُطلق على معانٍ العقيدة والتوحيد وصف الإيمان، قال تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنفُسِنَا مَا كُنْتَ تَرْدِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [الشورى: ٥٢].

والعقيدة يراد بها الحكم الجازم، الذي يعتقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد أو شك، وأصطلاح كثير من العلماء على إطلاق اسم التوحيد على مجمل الأمور التي يجب أن يعتقدها الإنسان وهو الذي تضمنته كلمة «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» والإيمان ثم القرآن هو منهج التربية المعتمد، وذلك لقول جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازدادنا إيماناً».

ولقول ابن عمر رضي الله عنهما: «لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدهنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وزواجرها وأوامرها وما يجب أن يوقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمتة لا يدرى ما أمره ولا زاجره، وما ينبعي أن يوقف عنده منه، فينشره نثر الدقل».

فلنراجع إيماننا ولننصل ولنقم إيماناً واحتساباً، وبهذا نفترق عن بصمة كرياسية أو بغرض إنقاذه الوزن أو يمتنع إضراباً عن الطعام، ولنعلم أن الصيام يضيق مجاري الشيطان في العروق، وبالتالي فلا مانع من الصيام إيماناً واحتساباً وفي ذات الوقت بقية تقليل حدة الشهوة، وذلك لقول النبي ﷺ: «يا معاشر الشباب من استطاع منكم البقاء فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وعلى الصائم أن ينظر: أزاد إيمانه في رمضان أم نقص؟ وهل عظم يقيمه ألم قل؟ وإلا فرغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له.

تربية النفوس على تقوى الله ومراقبته

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ١٨٣]، والتقوى هي ثمرة جميع الطاعات والعبادات.

وقال تعالى: «الْمُ(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبٌّ فِيهِ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ

يُوقنُونَ [البقرة: ٤]

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ٢١]. وأصل التقوى كما بين الحافظ ابن رجب رحمه الله: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذر وقايته تقىه إياها، فتقوى العبد ربها أن يجعل بينه وبين ما يخشى من ربها (من غضبه وسلطه وعقابه)، وقايته تقىه ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تعالى: «أَتَقُوا اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» [المائدة: ٩٦]، فإذا أضيفت التقوى إلى سبحانه وتعالى، فالمعنى: اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والآخرى، قال تعالى: «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ فَسَدَ فِي أَنْفُسِهِ» [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ» [البقرة: ٥٦].

فهو سبحانه أهل أن يتقى ويعبد ويخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطیعوه لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبارياء والعظمة وقوه البطش وشدة الباس.

وهو أهل أن يغفر له من انتقامه، فلم يجعل معه إله آخر.

الصيام يربى ملكرة المراقبة لله عزوجل

قال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - في «المنار»: «إعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأنها، وأنصحها ببرهانها، وأظهرها أثراً، وأعلاها خطراً وشرقاً أنه أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه إلا الله تعالى وسر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرف له في عامه الأولات مجرد الامتثال لأمر ربها والخضوع له لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظاً عند عروض كل رغبة له من أكل تقىس، وشراب عنزب، وفاكهه يانعة، وغير ذلك كزينة زوجة أو جمالها الداعي إلى ملابستها - أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناؤلها وهو أشد التوقي لها، فلا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكرة المراقبة لله تعالى والحياة منه سبحانه أن يراه حيث نهاء، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى، والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس مؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا ولسعادتها في الآخرة، كما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة

تؤهلها لسعادة الدنيا أيضاً، انظر هل يقدم من ملائكة هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟ هل يسهل عليه أن يراه الله أكلاً لأموالهم بالباطل؟ هل يحتال على الله في منع الزكاة؟ هل يحتال على أكل الriba؟ هل يقترب المكرات جهاراً؟ هل يجترح السيئات ويسدل بيته وبين الله ستاراً؟ كلا، إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي؛ إذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى، وإذا نسي ولم بشيء منها يكون سريع التذكر قريباً الرجوع بالتوبة الصحيحة.

يقول تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسْأَمُهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ ثَدَّكُرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» [الأعراف: ٢٠١]. فالصيام أعظم مُرِبٍ للإرادة، وكابح لجماح الأهواء، فاجدر بالصالحين أن يكون حراً يعلم ما يعتقد أنه خيراً، لا عبداً للشهوات، إنما روح الصيام وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة». اهـ.

ونحن إذا صمنا شهر رمضان كما أمر الله كنا على رجاء حصول ثمرة التقوى، تكون بذلك قد أخذنا لأنفسنا سبب هو من أعظم أسباب النجاة من النار ودخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة».

[رواية الترمذى وأبي ماجة وأحمد، وصححه البانى] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». [رواية مسلم] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً». [رواية البخارى ومسلم]

علم نافع وعمل صالح

والتفوى لا تتم في هذا الشهر ولا في غيره إلا بعلم نافع وعمل صالح، وأساس التقوى أن يعلم العبد ما يتقي، ثم يتقي، ولذلك يجب علينا أن نتعرف على الواجبات والمستحبات في هذا الشهر الكريم ونمثثها، ونتعلم المحرمات والمحروبات، ونتباعد بانفسنا عنها، بل لابد من إبلاغ الحق، تعظيمًا لحرمات الله جل وعلا: «ذلِكَ وَمَنْ يُخَطِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٤٢]، وإنما إذا كان العبد لا يحسن التقوى فلربما

صام عن المباحات ثم انتهك المحرمات، فأطلق بصره وسمعه وسائر جوارحه في كل ما يغضب الله تعالى، وقد أصبح الشهر في حس البعض عبارة عن شهر الفوازير والعروض المستمرة للأفلام والمسلسلات، وهكذا حرص شياطين الإنس والجن على إفساد ثمرة التقوى في هذا الشهر.

فعلينا أن نتقى الله في السر والعلنية، ونعلم أننا سوف نقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وعلى تفريطنا سوف نندم، وباعمالنا سنجزى، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْكَبٍ يُتَبَّعُونَ» [الشعراء: ٢٢٧].

ونحن في سفرنا إلى الله لا بد لنا من زاد: «وَتَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرَّازِدِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولَئِكُ الْأَلْيَابِ» [البقرة: ١٩٧]، فهو سبحانه أحق أن يطاع فلا يعصي، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يُشكّر فلا يكفر، ونحرص على ذلك في سر أمرنا وعلانقها، ونستحيى من الله تعالى حق الحياة.

قال الإمام أحمد - رحمه الله:

إذا ما خلوت الدهر يوماً، فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقبك
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب
واعلم أن تقواك لله عز وجل لن تتم ولن تكتمل حتى
توفي العباد حقوقهم، وتعطي كل ذي حق حقه، وأن لربك
عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، ولذلك
ختم النبي ﷺ لعاذ بقوله: «وَخَالَقَ النَّاسَ بِخَلْقِ حَسَنٍ».
وجماع حسن الخلق أن تعطي كل ذي حرمك، وأن تصل من
قطعك، وأن تغفو عن ظلكم، «فِإِذَا كَانَ يَوْمُ صُومِ أَحَدِكُمْ
فَلَا يَرْفَثُ وَلَا يَصْبِخُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلِيقَ: إِنِّي
صَائِمٌ». متفق عليه.

وبعد: فهذا غيض من فيض فنحات هذا الشهر الكريم، وما ينبغي أن يحرص عليه المسلم في رمضان ويتربي عليه؛ من إيمان وتقى ومراقبة لله عز وجل، وإلا فمقدارين التربية في رمضان أجل وأعظم من أن تحصر.

فالله عاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله، فانت أهل التقوى وأهل المغفرة، واجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اتبوا
ولا تبتعدوا

والله، وبعد:

فإن من المحبة والولاء للصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين
الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم، وحماية حياضهم وأقدارهم، فالدفاع
عنهم دفاع عن رسول الله ﷺ، فهم بطانته وخاسته، ودفاع عن دين
الإسلام، فهم حملته ونقتله.

إن الهجمة الشرسة والحملة المسعورة من الأقلام المأجورة على الصحابة الكرام والتطاول عليهم والطعن في أعراضهم عبر وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها لهي سلسلة متصلة الحلقات بين أعداء اليوم وبين أسلافهم من اليهود والشيوعيين والصلبيين، وإن الأهداف الخبيثة من وراء ذلك واضحة معلومة وهي تجريح شهادة الصحابة والطعن في عدالتهم، ومن ثم التشكيك في الكتاب والسنة، إذ أن الصحابة هم نقلة هذين الأصلين لدين الله عز وجل وكذلك إثبات عجز الإسلام عن الصمود للتجربة والتطبيق، وإثبات عدم صلاحيته في هذا العصر، ذلك أنه إذا ثبت عجزه في تقويم سلوك الصحابة وإصلاح جماعتهم بعد أن فارقهم الرسول عليه السلام بعده بسيرة، فهو أعجز أن يكون منهجاً للإصلاح في عصرنا الحاضر.

ولكن هيئات هيئات أن ينال هؤلاء الصغار الأغمار من الصحابة الأخيار، فهم بحمد الله مصابيح الدجى وشمسموس الهدى وإن رغمت أنوف الحاقدين «ويتأبى

الله إلا أن يُتَمْ مُوْرَةً وَكُوْكَرَةَ الْكَافِرُونَ».

فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيمة، من الإيمان والإسلام، والقرآن، والعلم والمعرف، والعبادات، وانتصارهم على الكفار، وعلو الكلمة، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين يبلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله ورسوله فللصحابة رضي الله عنهم فضل عليه إلى يوم القيمة، وإليك أخي القارئ طرقاً من فضائلهم وشمائلهم التي تفوق الحصر:

منزلة الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم العالمية

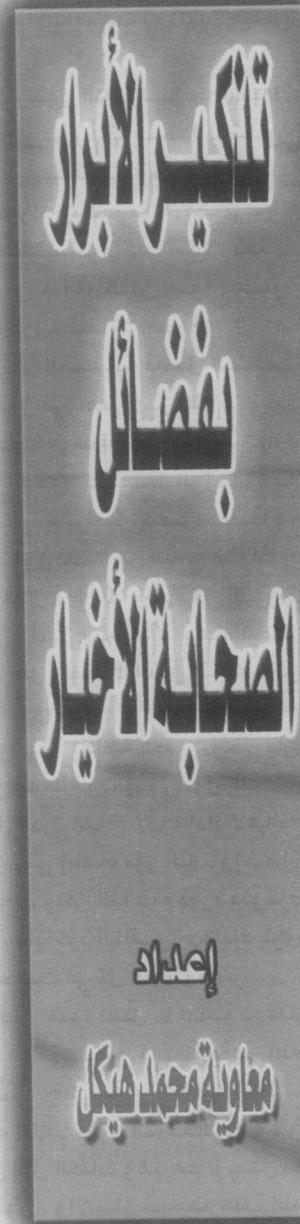
تضافت أولى الكتب والسنن وأقوال سلف الأمة على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون على الإطلاق، لما لهم عند الله من المنزلة العالمية والمكانة السامية فقد مدحهم ربهم وركاهم من فوق سبع سموات ومدح من اتبع سبيلهم وسار على هديهم، ودم من خالفهم، وكل ذلك يؤكّد وجوب الاقتداء بهم رضوان الله عليهم.

الأدلة من القرآن :

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - قول الله تعالى: «**وَالسَّابِقُونَ الْأُوَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ اللَّهُمَّ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**» [التوبه: ١٠٠]

قال ابن كثير - رحمه الله : يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاه عنهم بما أعد لهم من جنات النعيم المقيم. وقال الشوكاني - رحمه الله : ومعنى «**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**» الذين



في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيمًا لنبيهم
انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «إن كلاً من الوصفين يقتضي الوعيد لأنه مستلزم للأخر .. فهكذا مشaque الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضاً، فإنه قد جعل له مدخلًا في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً، والآية توجب ذم ذلك». [مجموع الفتاوي : ١٩٤/١٩ - ١٩٣/١٩]

٥- قال تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءٌ بِنِيَّتِهِمْ تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجُّداً يَتَّغَوَّنُ فِضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّوْا نَسْيَامَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْزُ أَخْرَاجِ شَطَاطِهِ فَازَرَهُ فَاسْتَقْلَاطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الرِّزَاعَ لِيُغَيِّبُهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا». [الفتح: ٢٩]

فقد وصف الله عز وجل الصحابة بأكمل الصفات وأجل السمات فهم مجتهدون في نصرة دين الله عز وجل وساعدون في ذلك بغاية جدهم، فلذلك ذُلّ أعداؤهم لهم . وهم كذلك متحابون مترابحون كالجسد الواحد. كما مدحهم ربهم ظاهراً فقال: «تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجُّداً»، ومدحهم باطنًا فقال: «يَتَّغَوَّنُ فِضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّوْا نَسْيَامَهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْزُ أَخْرَاجِ شَطَاطِهِ»، وهذه أيضًا صفة للطائفة المنصورة أهل الحديث الذين اقتدوا أثر جيل القدوة الأول محمد ﷺ و أصحابه.

«ليغطي بهم الكفار» وتعتمد إغاظة الكفار يوحى بأن هذه الطائفة هي غرس غرسه الله وتعهد رسول الله ﷺ بال التربية ، فهي من دلائل قدرة الله : لأنها أدلة لإغاظة أعداء الله الذين يعملون على إطفاء نور الله ، وإخماد جذوته في نفوس المسلمين ، ولكن الله متن نوره ولو كره المشركون ، ومظهر دينه ، ولو كره الكافرون . ولذلك ترى أهل البعد يعادون أهل الحديث في كل عصر ومصر .

٦- وقال تعالى : «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِيَاقِ فَسِيَّكَفِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». [آل عمران: ١٣٧]

قال ابن كثير . رحمة الله : يقول الله تعالى : «فَإِنْ آمَنُوا» يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم «بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ» يا أيها المؤمنون ، والإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، «فَقَدْ اهْتَدُوا» أي

اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهم المتأخرن عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيمة. [فتح القدير (٣٩٨/٢)]

وقال السعدي . رحمة الله . عند قوله: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهولاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح وأعظم الكرامات من الله .

٢- قال الله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبْيَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنَابَهُمْ فَتَحَّا قَرِيبًا». [الفتح: ١٨]

قال أبو محمد بن حزم . رحمة الله تعالى : «فَمَنْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحدِ التَّوْقِفِ فِي أَمْرِهِمْ أَوْ الشَّكِ فِيهِمُ الْبَتَّة». [الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٤٨/٤]

وصدق عليهم قول عائشة الصديقة . رضي الله عنها : «أَمْرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِسْبِوهُمْ». [أخرجه مسلم]

٣- قال تعالى : «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا». [البقرة: ١٤٣]

فقد جعلهم الله تبارك وتعالي أفضل الأمم وأعدلها في العقيدة والقول والعمل فاستحقوا بذلك أن يكونوا شهداء على الناس ، فإذا كانت شهادتهم عند الله مقبولة فلا شك أن فهمهم لنصوص الشريعة حجة على من بعدهم، لذلك أمر رب العزة باتباع سبيلهم، فقال : «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» [آل عمران: ١٥]، وجيل الصحابة خير من أناب إلى الله واستجاب، فوجب اتباع سبيلهم في فهم دين الله تبارك وتعالي ولذلك هدد الله تعالى وتوعد من اتبع غير سبيلهم بجهنم وبئس المصير . كما ظهر ذلك في قوله تعالى :

٤- «وَمَنْ يَسْأَقِ الرَّسُولُ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَبَعِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولَهُ مَا تَوَلَّ وَنَصِّلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًا». [النساء: ١١٥]

قال ابن كثير . رحمة الله . : «أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح»، قوله : «وَيَتَبَعِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة

أصحابوا الحق وأرشدوا إليه . انتهى.

والآلية أيضاً تتناول كل من جاء بعد جيل الصحابة إلى عصرنا لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم عند علماء الأصول والتفسير ، فإنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه الأوائل من الصحابة في تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يحصل لهم الهدى .

الأدلة من السنة النبوية:

بين النبي ﷺ أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم الجماعة؛ وهي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سنته من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : ... والذى نفس محمد بيده لنفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعين في النار» قيل يا رسول الله، من هم؟ قال : «الجماعة».»

[صحيف ابن ماجه (٣٤٤/٢)]

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزم الجمعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر

إلى كثرة أهل الباطل بعدهم . [الباعث على إنكار البدع ص ٢٢] وصدق عبد الله بن مسعود حيث قال : الجمعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك . [شرح أصول الاعتقاد ١٦٠]

- وثبت عند أبي داود من حديث الغريب بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ : ... فعليكم بسننكم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تماسكون بها وغضونها على ما ينافيها ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله . [روايه أبو داود وصححه الإلباني] . قال ابن حبان في (صحيف ١٤٥/١٠٤) في قوله ﷺ : «عليكم بسننكم» بيان واضح أن من واظب على السنن ، وقل بهما ، ولم يعرج على غيرها من الآراء ، كان من الفرقة الناجية يوم القيمة . جعلنا الله منهم بمنه وكرمه .

- وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «إن خيركم قربني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدرى أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة . [روايه البخاري ومسلم]

الصحاباة أئمان للأمة

- عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا

أقوال سلف الأمة

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ فلمقام أحدهم ساعة . يعني مع النبي عليه الصلاة والسلام . خير من عمل أحدهم عمره . [روايه ابن أبي شيبة وابن ماجه]

٢- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: والله لمشهد رجل منهم . يعني الصحابة . مع رسول الله ﷺ يغرس منه وجهه خير من عمل أحدهم ولو عمر نوح . ثم قال متوعداً من يبغضهم أو يسبهم: لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله ألا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيمة . والشقي من أغضبهم وناسعده من أحبيهم . [روايه الترمذى وابن بادوا]

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخاف بين الناس في زمان النبي ﷺ فنخاف أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان .

وقال ابن عبد الهادي رحمة الله في [الصارم المنكي]:^{٤٢٧}
لا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد
السلف، ولا عرفوه ولا بینووه للأمة.
وصدق مالك رحمة الله حيث قال: لا يصلح آخر هذه
الأمة إلا بما صلح به أولها.

الصحابة كلهم عدول

والطعن فيه طعن في الرسالة والرسول ﷺ

فمن طعن في الصحابة فقد طعن في دين الله وشرعيه
لأن الصحابة هم شهودنا مع كتاب الله وسنة رسوله
الله ﷺ.

قال الخطيب البغدادي رحمة الله: عدالة الصحابة
ثابتة معلومة بتتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم
واختياره لهم بنص القرآن.
ثم حکى الإجماع على ذلك بقوله: «هذا مذهب كافة
العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء».

[الكافية في علم الرواية ص: ٩٣]

قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدهما من
 أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول
الله عندنا حق، والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن
والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن
يحرروا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم
أولى، وهو زنادقة». [الكافية ص: ٩٧]

القول الرضي في أصحاب النبي ﷺ

قال الإمام أحمد رحمة الله في «السنة» ص: ٧١: «ومن
الحجۃ الواضحة البینۃ المعروفة ذکر محسن أصحاب
رسول الله ﷺ كلهم أجمعین والکف عن ذکر مساوئهم
والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله
أو أحداً منهم أو تنتقصه أو تطعن عليهم أو عرض
بعيدهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث
مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً بل حبهم سنة
والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم
فضيلة، وأصحاب رسول الله هم خير الناس».

وقال الإمام الطحاوي رحمة الله: «ونحن نحب
 أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم»،
ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذکرهم، ولا نذكرهم
إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر
ونفاق وطغيان».

وفي الخاتمة نقول إلا ما قاله ربنا تعالى: «فَمَنْ يُرِدُ
اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرُحْ صَرْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...» [الانعام: ١٢٥]
والحمد لله رب العالمين

- ٤ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلت
أعزه منذ أسلم عمر رضي الله عنه. [أخرجه البخاري]
- ٥ - قال الميموني: سمعت أحمداً بن حنبل يقول: ما
لهم وما لعاوية: نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا
الحسن إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ
بسوء فاتهمه على الإسلام. [حكم سب الصحابة لابن تيمية]
- ٦ - وقال الحارث بن عتبة: إن عمر بن عبد العزيز
أتى برجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته؟
قال أبغضه، قال: وإن أبغضت رجلاً سببته؟ قال: فأمر به
فجلد ثلاثة سوطاً. [حكم سب الصحابة ص: ٣٣]
- ٧ - عن طارق بن شهاب رحمة الله قال: كنا نتحدث
أن عمر ينطق على لسانه ملك. [أخرجه أحمد]
شهادة علي رضي الله عنه بخريدة
أبي بكر وعمر رضي الله عنهمَا
عن محمد بن الحنفية (وهو محمد بن علي بن أبي
طالب) رحمة الله قال: «قلت لأبي أي الناس خير بعد
رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر قلت ثم من؟ قال ثم عمر.
وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل
من المسلمين. [روايه البخاري]
فإذا كان علي يقول هذا وهو في زمان خلافته: أن
خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر؛ فقد اندحضت
حججة الرافضة، وأخرست كل الألسنة.
- النجاة في التابع منهجه والسير على طريقتهم**
- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستينا
فليست بنمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة،
أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها
قلوياً، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله تعالى
لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم،
وابتعدوهم في أثارهم، وتمسكون بما استطعتم من
أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. [جامع
بيان العلم ص: ٤٤٧/٢]
- وقال الأوزاعي رحمة الله: أصبر نفسك على السنة
وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عن
واسلك سبيل سلف الصالح فإنه يسعك ما وسعهم.
[شرح أصول الاعتقاد ١/١٥٤]
- وقال أيضاً: عليك بتأثر من سلف وإن رفضك الناس،
وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك القول.
[الشريعة للأجري ص: ٥٨]
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن خالف قولهم،
وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل
والدليل جميعاً. [التفسير الكبير ٢/٢٢٩]

اتبعوا

ولا تبتعدوا

الأضحية

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله

وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فالأضحية منزلة عظيمة، وشأن كبير في الإسلام وهي شعيرة من شعائر الله، وعبادة من أجل العبادات المالية التي يتقرب بها العبد إلى مولاه وذلك لما ورد في شأنها من الآيات والأحاديث التي تدل على مشروعيتها وعظميتها.

وفي هذا المقال نعرض بمشيئة الله لجملة من الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه الشعيرة المباركة.

٠٠تعريف الأضحية:

اسم ما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر، وأيام التشريق تقرباً إلى الله تعالى.

وأصل مشروعيتها أنها كانت فداءً لإسماعيل عليه السلام قال تعالى: «وَقَدِّيْنَا بِذِبْحِ عَظِيمٍ» [الصافات: ١٠٧]

وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرحون له خوفاً من الفقر ولهذا جمع بينهما في قوله: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي» [الانعام: ١٦٢]. إلى أن قال - رحمة الله - وأجل العبادات البدنية الصلاة، وأجل العبادات المالية النحر، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية، وقد امثال النبي ﷺ أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثة وستين بذنة، وكان ينصر بيده في الأعياد وغيرها. [الفتاوى: ٥٣٢/١٦١]

الحكمة من الأضحية:

١ - التقرب إلى الله تعالى؛ فالضحية من أعظم ما يتقرب به العبد إلى مولاه، قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الانعام: ١٦٢].

والنسك هو الذبح تقرباً إلى الله تعالى.

٢ - الأضحية إحياء لسنة إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام إذ أوحى الله إليه أن يذبح ولده إسماعيل، ثم فداء بكش فذبحه بدلاً عنه كما قال تعالى: «وَقَدِّيْنَا بِذِبْحِ عَظِيمٍ» [الصافات: ١٠٧].

٣ - شكر لله تعالى على ما سخر لنا من بهيمة الأنعام.

أما دليل مشروعيتها فالكتاب والسنة والإجماع، فاما الكتاب فقوله تعالى: «فصل لربك وانحر» [الكوثر: ٢].

وذكر المفسرون أن المراد بالنحر هنا الأضحية والصلاحة هنا هي صلاة العيد.

وقوله تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الانعام: ١٦٣-١٦٤].

واما السنة فحدث أنس رضي الله عنه قال: «ضحي رسول الله ﷺ بكشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده، وسمى وكبر ووضع رجله على صفاهم». [البخاري/ ٢٣٧]

وقد أجمع المسلمون على مشروعيتها في الجملة لفعل النبي ﷺ ومداومته عليها.

٠٠الحكمة من الجمع بين الصلاة والنحر:

وفي الجمع بين الصلاة والنحر حكمة عظيمة، وبيان لعظيم منزلة الذبح والنحر في الإسلام وأنها قربة لا يجوز صرفها إلا لله.

يقول شيخ الإسلام رحمة الله: «أمره الله - يعني أمر النبي ﷺ - أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالقان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوه اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عونه وفضله، عكس حال أهل الكبر والنفرة

أحكام وأداب

إعداد

معاوية محمد هيكل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رداً على هذه الشبهة: إن الظاهر وجوبها ومن قدر عليها ولم يفعل فهو أثم لأن الله تعالى ذكرها مقرونة بالصلوة في قوله تعالى «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْزِرْهُ» قوله: «قُلْ إِنَّ صَلَاةَ وَسَكِّي...». وأبدى فيها وأعاد ذكر أحكامها وفوائدها ومنافعها في سورة الحج، وشيء هذا شأنه ينبع أن يكون واجباً وأن يلزم به كل من قدر عليه.

ثم قال رحمة الله: ونفاة الوجوب ليس معهم نص، فإن عمدتهم قوله عليه السلام: «من أراد أن يضحي...» قالوا: والواجب لا يعلق بالإرادة وهذا كلام مجمل فإن الواجب لا يوكل إلى إرادة العبد فيقال: إن شئت فافعله، بل قد يعلق الواجب بالشرط لبيان حكم من الأحكام، كقوله: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهُكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرْأَقِ» [المائد़ة:٦]، وقد قدروا فيه: إذا أردتم القيام وقدروا: إذا أردت القراءة فاستعد، والطهارة واجبة، والقراءة في الصلاة واجبة، وقد قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ» [آل عمران:٢٧]، وإن شاء مثلكم أن يسْتَقِيمَ [التكوير: ٢٧]، ومشيئة الاستقامة واجبة.

وأيضاً فليس كل أحد يجب عليه أن يضحي وإنما يجب على القادر فهو الذي يريد أن يضحي، كما قال: «من أراد الحج فليتعجل فإنه قد تضل الضالة وتعرض الحاجة». والحج فرض على المستطيع، فقوله: «من أراد أن يضحي...»، قوله: «من أراد الحج...»، ووجوبها حينئذ مشروط بأن يقدر عليها فاضلاً عن حواجزه الأصلية.

[مجموع الفتاوى: ١٤٢-١٤٣]

الأفضل في الأضحية:

اتفق العلماء رحمهم الله بين الضحايا لا تجوز بغير بهيمة الأنعام وهي الغنم والبقر والإيل، لقوله تعالى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» [الحج: ٢٨].

ولأنه لم ينقل عن النبي صلوات الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه أنهم ضحوا بغير بهيمة الأنعام واختلفوا بعد ذلك في الأفضل منها، فذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأفضل: الإيل ثم البقر ثم الكباش واحتجوا على هذه الأفضلية بالحديث المتفق عليه الذي قال فيه رسول صلوات الله عليه وسلم: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة، ومن

قال تعالى: «وَأَطْعَمُوا الْفَقَانِعَ وَالْمُغَرَّبَ كَذَلِكَ سَخْرَنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [٣٦] لِنْ يَنْالَ اللَّهُ لَحْمُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنْالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخْرَرَهَا لَكُمْ لَخْبَرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَذَا كُمْ وَبَشَرُ الْمُحْسِنِينَ» [الحج: ٣٦، ٣٧].

٤ - التوسعة على الناس يوم العيد وإشاعة الرحمة بين الفقراء والمساكين. [انظر منهاج المسلم: ٤٣٣] حَدَّمِ الْأَصْحَاحِ:

اختلاف أهل العلم في حكمها مع إجماعهم على مشروعيتها على قولين: الأولى، أنها واجبة؛ وإليك الأدلة التي استدل بها الموجبون.

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «من كان له سعة ولم يضح فلا يقرب مصلاه».

[صحيح الجامع: ٦٤٩٠] ووجه الاستدلال به: أنه لما نهى من كان ذا سعة عن قربان المصلى إذا لم يضح، دل على أنه قد ترك واجباً، فكانه لا فائدة من التقرب إلى الله مع ترك هذا الواجب.

٢ - عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: شهدت النبي صلوات الله عليه وسلم يوم النحر، قال: «من كان ذبح قبل أن يصلبي فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح فليذبح باسم الله». [اتفاق عليه]، والأمر ظاهر في الوجوب ولم يأت ما يصرفه عن ظاهره.

٣ - قوله صلوات الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة: «يا أيها الناس على أهل كل بيت في كل عام أضحية وعترية هل ترون ما العترة؟ هي التي تسمونها الرجبية». [صحيح الترمذى: ١٢٢٥] قال أبو عبد في [غريب الحديث]: «العترة هي ذبيحة في رجب يتقرب بها أهل الجاهلية ثم جاء الإسلام على ذلك حتى نسخ بعد.

قال ابن الأثير: والعترة منسوخة، وإنما كان ذلك في صدر الإسلام. [جامع الأصول: ٣١٧/٢]

والثاني: أنها مستحبة:

وأما الذين قالوا باستحباب الأضحية فاستندوا إلى قول النبي صلوات الله عليه وسلم: «إذا دخل العشر، فأراد أحدهم أن يضحي فلا يمس من شعره ولا من بشره شيئاً». [رواوه مسلم: ١٩٧٧]

فقالوا فيه دليل على أن الأضحية غير واجبة لأنه صلوات الله عليه وسلم قال: «إذا أراد أحدهم أن يضحي...» ولو كانت واجبة لم يفوض إلى إرادتهم.

راح

في الساعة الثالثة فكأنما قرب كيشاً أقرب، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

وقالوا: إن الصحايا قربة بحيوان فوجب أن يذهب إلى الأفضل منه، وهي الإبل فهي أكثر لحمًا وثمنًا وأنفع للقراء، من الكباش، والكباش إنما تأتي أفضليتها إذا قيست بسائر أحجاس الغنم وليس بائناس الإبل والبقر.

[المغني ٣٦٦/١٣]

ما لا يجزئ من الأضحى:

اتفق أهل العلم أنه لا يجزئ في الأضحى العوراء البين عورها ولا المريضة البين مرضها ولا العرجاء البين ضلعها ولا العجفاء التي لا تنقي أي التي لا مخ فيها، لقول النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب قال: «أربع لا تجوز - وفي روایة لا تجزئ - في الأضحى العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين عرجها، والكسيرة التي لا تنقي». [صحيح رواه الخمسة]

وقد جاء النهي عن التضحية كذلك بأعذب القرن والأذن (أي مكسورة القرن ومقطوعة الأذن) والغضب: قطع النصف فاكتثر وكذلك جاء النهي عن التضحية بالمقابلة والمدايرة والشرقاء والخرقاء. المقابلة: التي قطع مقدم أذنها، والمدايرة: هي التي قطع مؤخر أذنها، والشرقاء: هي التي شقت أذنها، والخرقاء: هي التي خرقت أذنها. فعلى المسلم اجتناب هذا كله وأن يتقرب إلى الله تعالى بالطيب فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

سن الأضحية:

أجمع العلماء رحمة الله أنه لا يجزئ إلا الثنى من الإبل والبقر والمعز ولم ينقل عن أحدٍ من السلف أنه خالف في ذلك، أما الجذع من الضأن فقال الجمهور بإجازته وقد استدلوا بقول الرسول ﷺ: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فتبذلوا جذعة من الضأن». [إن خوجه مسلم ٢/١٥٥٥]

والجذع من الضأن ما تم له ستة أشهر، ودخل في السابع، والثاني من الضأن والمعز ما تم له ستة ودخل في السنة الثانية، والثاني من البقر ما تم له سنتان ودخل في السنة الثالثة، والثاني من الإبل ما تم له خمس سنوات ودخل في السنة السادسة. [زاد المستقنع ٧/٤٦٠]

ولا يأس بالأشحة الخصي، فقد صح عن النبي ﷺ أنه ذبح كيشين أقرنين أملحين موجودين، والوجاء: هو الخباء. وفيه جواز الخصي في الأضحية، والخصاء يفید اللحم طيباً، وينافي عنه الزهومه وسوء الرائحة.

[فتح الباري ١٠/١٢]

وقت ذبح الأضحية:

وقتها صباح يوم العيد بعد الصلاة أي بعد صلاة العيد فلا تجزئ قبله أبداً الحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلّى ثم نرجع فنتحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء». [آخرجه البخاري ٥٥٤٥]

بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين.

[رواه البخاري ٥٥٦٤]

ومن الأمور المتفق عليها أيضًا أنه لا يجوز تأخير الأضحية حتى فوات وقتها وهو يوم العيد وأيام التشريق وعلى ذلك فايام الذبح أربعة يوم العيد وثلاثة أيام بعده، وهذا القول هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والدليل على ذلك.

قول النبي ﷺ: «أيام التشريق أكل وشرب وذكر الله عز وجل» [صحيح مسلم ١١٤١] فجعل حكمها واحداً أنها أيام أكل لما يذبح فيها وشرب وذكر الله عز وجل.

[انظر زاد المستقنع / ابن عثيمين]

ما يستحب عند ذبح الأضحية:

يستحب أن يوجه الأضحية إلى القبلة وأن يسوقها سوقاً جميلاً وأن يحسن عند ذبحها، لقوله ﷺ: «إذا ذبحتم فاحسنو الذبح». [روايه مسلم]

كما يستحب التكبير والتسمية عند الذبح، لما ثبت

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «ضحي رسول الله ﷺ

بكشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر،

ووضع رجله على صفارهما».

[روايه البخاري ٥٥٥٨] [مسلم ١٩٦٦]

ويستحب كذلك قول المضحي حال الذبح مع التسمية والتكبير «اللهم تقبل مني لقول النبي ﷺ ذلك كما في صحيح مسلم لما أخذ الكبش وأضجعه، ثم ذبحه، «باسم الله، اللهم تقبل من محمد وأل محمد، ومن أمة محمد» ثم

ضحي به.

حكم التسمية على الذبيحة:

قال الشيخ ابن باز رحمة الله: وفي ذكر اسم الله على الذبيحة حكم عظيمة، من ذلك ما قاله ابن القيم رحمة الله: ولا ريب أن ذكر اسم الله على الذبيحة يطيبها، ويطرد الشيطان عن الذابح والمذبوح، فإذا أدخل به لباس الشيطان الذابح والمذبوح فائز خيراً في الحيوان، انتهى المنصوص من كلامه رحمة الله، وصفة التسمية أن يقول الذابح: «بسم الله» وإن زاد «والله أكبر» فهو أفضل لفعل النبي ﷺ ولا يجزئ غير التسمية، ولا يقوم غيرها من الأذكار مقامها. انتهى.

٦٠ ما يجتبه من عزم على الأضحية:

ويجب على من أراد أن يضحي أن يتتجنب الأخذ من شعره وأظفاره وبشرته منذ دخول العشر - عشر ذي الحجة - إن كانت نيته للأضحية منذ بداية العشرين، فإذا فيجب عليه الإمساك متى نوى أثناء العشرين، لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره» [أخرجه الجماعة إلا البخاري] وهذا الحكم قاصر على رب الأسرة دون بقية أفرادها. لأن الرسول ﷺ علق الحكم بمن يضحي فقط. والحكمة في ذلك كما يقول الشيخ ابن عثيمين في زاد المستقنع أن الله سبحانه وتعالى برحمته لما حصل الحجاج بالهدي، وجعل لنسك الحج محظيات ومحظورات، وهذه المحظيات إذا تركها الإنسان لله أثيب عليها، والذين لم يحرموا بحج ولا عمرة شرع لهم أن يضحوا في مقابل الهدي، وشرع لهم أن يتجنبوا الأخذ من الشعور والأظفار والبشرة كالحرم، يعني لا يتعرف فهو لاء أيضاً منه، وهذا من عدل الله وحكمته كما أن المؤذن يتاب على الآذان، وغير المؤذن على المتابعة، فشرع له أن يتاب.

٦١ كيف توزع الأضحية؟

قال تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْفَاقِهِ وَالْمُعْتَرِّ» [الحج: ٣٦]، وقال تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسِ الْفَقِيرِ» [الحج: ٢٨]، والأمر هنا للإباحة أو الاستحباب كما بين أهل العلم،

لذلك يستحب لأهل البيت الذين ضحوا أن يأكلوا، وأن يهدوا منها وأن يتصدقوا، كما يجوز لهم أن يدخلوا، لقوله ﷺ: «كلوا وادخروا وتصدقوا».

[رواه البخاري (٥٦٩) ومسلم (١٩٧١)]

وما ورد في النهي عن الإدخار فمسنون.

[انظر فتح الباري (٢٦، ٢٥/١٠)]

قال في المغني ١٣ / ٣٧٩: «ولنا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في صفة أضحية النبي ﷺ قال: «ويطعم أهل بيته الثالث، ويطعم جيرانه الثالث، ويصدق على السؤال بالثالث» [رواه الحافظ أبو موسى الأصفهاني في الوضائف، وقال «حديث حسن»، ولأنه قول ابن مسعود وابن عمر، ولم نعرف لهما مخالفًا من الصحابة فكان إجماعاً]

وعلى ذلك فالامر في توزيع لحوم الأضحى واسع فلو تصدق بها كاملة دون الأكل منها أو الإهداء جاز، أو أكل وادخر وتصدق فلا حرج عليه.

٦٢ مسائل وتبنيات تتعلق بالأضحى:

١- تجزئ الشاة عن الواحد وعن أهل بيته لأن النبي ﷺ كان يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته. كما تجزئ البقرة والبدنة عن سبعة لحدوث حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نحرنا في عام الحدبية

البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة». [أخرجه مسلم (١٣١٨)]

٢- لا يجوز بيع شيء من الأضحية سواء كان لحمة أو جلدًا لأنها تعين الذبح ولأنها قربة قال رسول الله ﷺ: «من باع جلد أضحنته فلا أضحية له».

[صحيح الجامع ١١١٨]

٣- لا يعطي الجازر أجرة عمله من الأضحية لما ثبت عن على رضي الله عنه أنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بعده وأن أتصدق بلحومها وجلودها وحالاتها (ما تلبسه الدابة لتصنان به)، وأن لا أعطي الجازر منها شيئاً، قال: ونحن نعطيه من عندنا». [رواه بهذا اللفظ مسلم (٣١٧)] ويجوز أن يعطى منها صدقة إن كان فقيراً وإن كان غنياً يعطي هدية.

٤- إذا أوجب شخص على نفسه أضحية معينة ثم أصابها تلف أو سرقة أو ضلت بإهمال منه وجب عليه أن يذبح مثلها أو يكون عليه قيمتها يوم اتلفها، وأما إذا حدث ذلك بغير تفريط منه فلا شيء عليه، فإن عادت إليه الأضحية التي سرت ذبحها سواء في زمن الذبح أو بعده. [إمام جami' ٢٢٥ ص ٢٢٥ / المغني ج ١٣ ص ٣٧٤]

٥- يستحب استسمان الأضحى واستحسانها، واستعظمها لأن ذلك من تعظيم شعائر الله، والله تعالى يقول: «تَذَكَّرْ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَّقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢] عن أبي أمامة بن سهل رضي الله عنه قال: كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمين يسمون، لأن استسمان الأضحية أعظم للأجر وأنفع للناس. [فتح الباري (١٢/١٠)]

٦- ينبغي لكل مسلم أن يذبح أضحنته في بلده ويتوهلاها بنفسه لأنها قربة وشعيرة ظاهرة يجب علينا المحافظة عليها وأن نعلمها أبناءنا، فيرونها وهي تذبح ثم ينظرون توزيعها وإهداعها والإكل منها، وبهذا تبقى هذه الشعيرة بين المسلمين، إذ ليس المقصود الأول من الأضحية الصدقة على الفقراء والمساكين وإنما تحقيق التقوى بآراقة الدم تقرباً إلى الله، قال تعالى: «لَنْ يَنْتَلَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا يَمَاوِهَا وَلَكِنْ يَنْتَلُ اللَّهُ مِنْكُمْ» [الحج: ٣٧] فلا يشرع إخراجها من بلد المضحي، بحجة أن هناك من هو أحوج لها، فنفع المحاويخ له أبواب أخرى. قاله الشيخ ابن باز رحمه الله.

٧- من عجز عن الأضحية من المسلمين، ناله أجر المضحين من أمة النبي ﷺ، وذلك لأن النبي ﷺ قال عند ذبحه لأحد الكبشين «اللهم هذا عني، وعمن لم يضحي من أمتي». [إرواء الغليل (٣٤٤، ٣٤٩ / ٤)]

فاحرصوا أيها المسلمون على إظهار هذه الشعيرة المباركة، تقبل الله ضحاياكم.

الاسلام سمات

والنبي

صادق مصدق ﴿وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَى﴾ [سورة: ٤٣]

(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿[سورة: ٤٣]﴾
والنظم والفلسفات وإن رفعت راية العدل وتحقيق المساواة وغيرها إلا أنها في الحقيقة عبارات جوفاء لا رصيد لها من الصحة في الأعم والأغلب من الأحوال والتفضيل بين الناس على أساس اللون أو الجنس ما يزال موجوداً حتى عند أكثر الدول تحضراً - كما يزعمون - في القرن الحادي والعشرين.

فمن النصوص القانونية في بعض الولايات الأمريكية: «إن التناحر بين شخصين أحدهما أبيض وأخر زنجي يعتبر تناحراً باطلًا» بل يحرم القانون عندهم أي دعوة لإقرار المساواة أو الزواج بين البيض والسود.

أين هذا الظلم الصارخ من قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرَفُوا إِنَّ أَفْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقًاكُمْ» [الحجرات: ١٢-١٣].
وفي الحديث الشريف الذي أورده القرطبي في تفسيره عن الطبراني بإسناد عن شهد خطبة رسول الله ﷺ يعني في وسط أيام التشريق وهو على بغير فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا إِنْ رِبَّكُمْ وَاحِدٌ، إِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إِلَّا فَضَلَّ لِعْبَرِي عَلَى عَجْمَيْ وَلَا لِعَجْمَيْ عَلَى عَرَبِيْ وَلَا لِأَسْوَدِيْ عَلَى أَحْمَرِيْ وَلَا لِأَحْمَرِيْ عَلَى أَسْوَدِيْ إِلَّا بِالْتَّقْوَى إِلَّا هُلْ بَلَغَتْ؟

قالوا: نعم قال: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ». وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهملهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجرئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟» ثم قام خطيب ثم قال: «إنما أهلك من قبلكم أنتم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه.

وروى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر لما قال لرجل من المسلمين: يا ابن السوداء: «إنك أمرؤ فيك جاهلية».

سلطان العقيدة في النفوس

والعقيدة ولاشك هي الضمان لحسن تطبيق النظام والمؤمنون الذين يرجون ربهم ويحافظون سوء الحساب ينادون لأمر ربهم سرًا وعلانية ويحافظون على أنفسهم

الحمد

للصلوة والسلام

على رسول الله وبعد:

فإذا كان الإسلام هو الميزان الضابط وهو الحاكم وكل شيء من الأنظمة والمناهج والفلسفات محكم عليه، وهو يعلو ولا يعلى عليه، وهو الصبغة التي صبغنا الله بها والدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى للعلماني على اختلاف الوانهم والسنن لهم في كل زمان ومكان، فلا شك أنه أتسم بخصائص ومميزات تؤهله بذلك، ومن أعظم هذه الصفات والخصائص:

١- صفة الريانية:

فإلا إسلام من عند الله، وهو وحيه لنبيه ﷺ «فَنَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ» [الشعراء: ١٩٥-١٩٣].

وجبريل هو ملك الوحي الذي كان ينزل بأمر الله على المسلمين كموسى وعيسى ورسول الله ﷺ، والقرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله ونقل إلينا نقاً متواتراً حفظته السطور والصدور، والسنة المطهرة معناها من عند الله واللفظ لرسول الله ﷺ.

وإذا كانت النظم الوضعية مصدرها الإنسان بقصوره وعجزه، فالإسلام مصدره رب الإنسان ومالكه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي، يقول تعالى: «وَإِنَّكَ لَتَقُولُ فِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ» [النمل: ٦].
«إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقَنَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُحَلِّصًا لَهُ الدِّينَ» [الزمر: ٢].
«تَزَبَّلُ الْكِتَابُ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» سورة الزمر [السجدة: ٢].

وقد أوجب ربنا علينا اتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ وهذا كتاب أزلت ناه مباركاً فاثبتوه وانثروا لعلكم ترحمون» [آل عمران: ١٥٥].

مختارات

أعداد

مزاولة محمد هيكل

أربعة

ملايين دولار وصودرت

أموال بسبب مخالفته قدرت بألف

مليون دولار ثم قاموا بإلغاء القانون في أواخر سنة ١٩٣٣ . وكان يكفيهم مع الإيمان قوله سبحانه ﴿فَهُلْ أَتَمْ مُتَّهِونَ﴾ [المائدة: ٩١] . ليقولوا انتهي ريتا .

٢- الشمول:

فلا إسلام حكمه في كل قضية من قضايا الحياة سواء تعليق بالفرد أو الجماعة، بالمسجد أو بالسوق بالسياسة الداخلية أو الخارجية «اليوم أكملت لكم بيتكم وأتممت عليكم نعمتي ورَضِيْتُ لكم الإسْلَام دِينًا»، ويقول تعالى: «ما فَرِطْنَا في الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»، [الأنعام: ٣٨]

فهي على قول بعض المفسرين تتعلق بالقرآن وكل قضية لها حكمها في كتاب الله إما إجمالاً وإما تفصيلاً والأفعال أو الأقوال التي تصدر عن الإنسان بل الخلجان والأفكار التي تدور في النفوس أو القلوب لها حكمها في بين الله وهي تأخذ حكماً من الأحكام الخمسة (واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام) والإنسان الذي حمل الأمانة على ظلمه وجهله إذا نصب من نفسه مشرعاً وإليها مع الله لابد أن تقسم تشريعاته ونظمه ومناهجه بالظلم والجهل والقصور والهوى والنقص - ولذلك رأينا القوانين والنظم الوضعية تفصل فصلاً مريباً بين القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية فلا مكان فيها

لأخلاق في الوقت الذي امترخت فيه الأخلاق بالاحداث
الشرعية امتزاجاً كاملاً فلا ضرر ولا ضرار والمعصية لا
تواجه بالمعصية والخطأ وتحرص على تقوى الله فيما
لا يتقى الله فيما، هذا الالتزام يتتأكد في أحراج الظروف
وأدق الأوقات ولذلك لما أتى أبو جندل يستصرخ
بالمسلمين يوم الحديبية وكان النبي ﷺ قد أبزم الاتفاقية
و العهد مع أبيه (سهيل بن عمرو) أمره النبي ﷺ أن
يرجع وقال له: (يا أبا جندل اصبر واحتبس فإن الله
جاعل لك ولين معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد
عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطييناهم على ذلك عهد
الله وإننا لا نغدر بهم) وقال أيضاً: (إنا لا يحل في ديننا

عذاب يوم عظيم ﴿الأنعام: ١٥﴾ .

أما القوانين والمبادئ الوضعية التي شرعها الإنسان فإنها لا تتطهّر بهذا المقدار من الاحترام والهيبة إذ ليس لها سلطان على النفوس ولا يقوم على أساس من العقيدة الحقة والإيمان الصحيح كما هو الحال بالنسبة للإسلام ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفته القانوني الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحة القانون وسلطان القضاء ورأت هذه المخالفة اتباعاً لأهواءها وتحقيقاً لرغباتها. الواقع خير شاهد على ما نقول وللننظر بعد ذلك كيف أتي ماعز والغامدية رسول الله ﷺ وأقرّوا على نفسيهما لإقامة الحد عليهما لما زنياً فيرجعهما النبي ﷺ مرة بعد أخرى وهما يصران على تطهير نفسيهما لاشك أنها رقابة الله وخوف الله هو الذي دفعهما لذلك وما نزل تحريم الخمر يروي أنس ويقول: كانت الكؤوس تدار على رأس أبي طلحة وأبي عبيدة وأبي دجابة وسهيل بن بيضاء ومعاذ بن جبل إذ سمعنا أن الخمر قد حرمت يقول فما دخل علينا داخل وما خرج منا خارج حتى كان منا من اغتسل ومنا من توضاً وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد وفي رواية قلت: «انتهينا ربنا انتهينا» قالوا ذلك لما سمعوا قول ربهم: «يا أيها الذين آمنوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمُنْسِرُ وَالْأَصْبَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجتنبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ٩١-٩٠].

فكان المسارعة بالتنفيذ دون تلوك أو تردد أو شك أو ارتياح وقام المسلمون إلى زقاق الخمر فراراً منها وإلي دنانة فكسروها وغرفت شوارع المدينة يومئذ بالخمر.

جزء القوانين الأرضية

ولما شرعت أمريكا قانون تحريم الخمر سنة ١٩٣٠ وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها مهنت له بداعية بـ(٦٥) مليون من الدولارات وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة في مضار الخمر ونتائجها وعواقبه وأنفق ما يقرب من (١٠) عشرة ملايين دولار من أجل تنفيذ القانون وقتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نفس وحبس نصف مليون شخص وغير المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من

الدين لله والوطن للجميع، ورجال الدين ورجال الدولة، أو: ساعة لربك وساعة لنفسك، أو: اليوم خمر وغداً أمر، **﴿فَلْئِنْ صَلَاتِي وَتُسْكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِ الْعَالَمِينَ﴾** [الأعمام ١٢٢]. قوله تعالى: **﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بِيَنْهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَشْتَغِلْ أَهْوَاهُمْ وَاحْذِرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾** [المائدة ٤٩]

تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتِبَتْ مَوْقُوتًا﴾** [النساء ١٣٠]، قوله سبحانه: **﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خَيَانَةً فَأَنْبِذِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَاطِئِينَ﴾** [الإنفال ٥٨]. لا يتبعك عن قوله جل وعلا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَاعِدِنَ لِلَّهِ شَهِداءَ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَيْئَنَ قَوْمٌ عَلَى أَنْ تَعْدِلُوا اغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ﴾** [المائدة ٨]، قوله سبحانه: **﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدْعُونَ بَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِرْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ﴾** [التوبه ٢٩].

خرج من مشكاة واحدة هو قوله سبحانه: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِسْلَامٌ﴾** [آل عمران ١٩] . وتقرأ في الأمر بالشوري: **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورِيٌّ بَيْنُهُمْ﴾** [الشوري ٣٨] . وفي إيتاء الزكاة: **﴿إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يُقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الرِّزْكَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** [فصلت ٦] . وفي أداء الأمانة: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُو الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾** [النساء ٥٨] . وفي الميراث: **﴿لِذِكْرِ مِثْلُ حَظَ الْأَنْتِيَفِينَ﴾** [النساء ١١] . وفي تحريم الربا: **﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا﴾** [البقرة ٢٧٥] . وفي عقوبة السارق: **﴿وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوهَا أَيْنِيهِمَا جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾** [المائدة ٣٨] . وفي التعزير: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** [الشوري ٤٤] . وفي علاقة الابن بوالديه: **﴿وَإِنَّمَا جَاهَدَكُمْ عَلَى أَنْ تُشْرِكُوا بِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدِّينِ مَغْرُوفًا﴾** [العنكبوت ٨] . وفي علاقته بزوجته: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمُغْرُوفِ﴾** [النساء ١٩] . شمول واضح وظاهر لكل ناحية من نواحي الحياة ولو ذهبنا نستطرد لنقلنا آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ الذي لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل له رب الدين وأتم عليه النعمة ورضي لنا الإسلام دينا، وتركنا على المحجة البيضاء ليتها كدهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد بين لنا وأعطانا من كل شيء علمًا، وحتى لاحتاج بعد ذلك لهذه الضلالات والخرافات التي تفتقت عنها عقول البشر واعتبروها مناهج وفلسفات ونظريات ومن بينها الديمقراطية.

الغدر] [آخرجه البخاري وأحمد]

فهذا معنى من معاني شمول الشريعة فالعقود كان يبرمها النبي ﷺ الذي أقام دولة بأيديه وفق شرع الله وفي ذات الوقت امتزجت المعاني الأخلاقية بالوعود والعقود امتزاجاً لن تجد مثلاً في السياسات الميكافيلية والغاية فيها تبرر الوسيلة كما هو معلوم.

ويقرر الفقهاء المسلمين أن الأجنبي (غير المسلم) إذا دخلإقليم الدولة الإسلامية بأمان ولمدة معينة لا يجوز تسليمه إلى دولته إذا طلبته خلال هذه المدة ولو على سبيل المفادة بأسير مسلم عندها ويبقى المنع من تسليمه قائماً حتى لو هدته دولته الدولة الإسلامية بإعلان الحرب عليها إذا لم تسلمها إياه وذلك لأنه على الدولة الإسلامية أن تفي بعهودها له فيبقى أمناً لا يمسه سوء وتسليمه بدون رضاه غدر منها بعهداتها له ولا رخصة فيه بل ولا يصح تسليمه حتى وإن قتلت دولته جميع رعايا الدولة المسلمين المقيمين في أرضها لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم والمسلم وهو يتعامل مع الخلق لا ينسى حالقه وقد أمر أن يعطي كل ذي حق حقه ويقول الرسول ﷺ: **إِنَّ عَثْمَانَ إِنِّي لَمْ أُمِرْ بِالرَّهْبَانِيَّةَ أَرْغَبْتُ عَنْ سَنْتِي؟** قال: لا يا رسول الله قال: **إِنَّمَا سَنْتِي أَنْ أَصْلِي وَأَنَامْ، وَأَصْوُمْ وَأَطْعُمْ، وَأَنْحَكْ وَأَطْلَقْ، فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سَنْتِي فَلِيَسْ مِنِّي، يَا عَثْمَانَ، إِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا** [رواية الدارمي وقال الآباء: إِسْمَاعِيلْ جِيدْ] . ويعلم أن قضاء القاضي وحكم الحاكم وفتوى المفتى لا تقلب الحال حراماً ولا تحول المعصية إلى طاعة ويقول النبي ﷺ: **إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا أَنَا بِشَرِّ** ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجه من بعض، وإنما قضى لكم على نحو مما أسمع منكم، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار ياتي بها يوم القيمة. [متفق عليه]

وبالتالي لا يحل لمسلم أن يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله وإن أباح له ذلك القضاء، ولأن الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر، ولأن مناط الثواب والعقاب في الآخرة على حقيقة الأفعال ونيات الإنسان وما ارتكبه من حلال أو حرام، والعبرة بالمقاصد لا بالألفاظ. وفي ظل الشمول سنعلم أنه لا فصل بين العلم والعمل، ولا بين الدين والدولة، ولا بين الدنيا والآخرة، ولا بين الأرض والسماء، ولا بين رجل ورجل، فلا يصح بعد ذلك أن تقول: دع ما لقيصر لقيص، وما لله لله، أو:

٣- العموم:

فالنبي ﷺ ليسنبياً للعرب فقط، وإنما للبشرية كافية: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ بِشَيْرًا وَنَذِيرًا» [سبأ٢٨٦]، وقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» [الأعراف١٥٨] «مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ» [الأحزاب٤٠] «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عِنْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان١]، «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» [الأنبياء١٠٧]، «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِيْجُرٌ لِلْعَالَمِينَ» [آل عمران٨٧] ولتعلمنَّ بِئَاهَ بَعْدَ حَيْنٍ» [ص٨٨]، «وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ» [البقرة١٩٣] فهذه الرسالة للأبيض والأصفر والأحمر والأسود ويقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموه مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» [متفق عليه].

ولذلك توجه الصحابة ومن بعدهم بهذه الدعوة إلى رستم الفارسي وهنا وهناك وأرسل النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم: «سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَسْلَمَ تَسْلِمَ يُؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مُرْتَبِينَ، وَإِنْ تُولِّيَتْ فَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولُ الْإِرِيسِيِّينَ» [أبي الفلاحين] و«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سُوَءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُنُونِ اللَّهِ فَإِنْ تُؤْلُوا فَقُولُوا اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» [رواه مسلم]. وكانت الفتوحات الإسلامية لإعلاء كلمة الله في الأرض، بل هذه الرسالة قعدت الإنس إلى الجن «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْغِفُونَ الْفُرْقَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِ مُنْذُرِينَ» [الاحقاف٢٩].

فالجن حين تنادت بذلك قالت أنزل من بعد موسى ولم يقولوا أنزل من بعد عيسى وذلك لأن التوراة شريعة مستقلة مثل القرآن بعكس الإنجيل فهو عبارة عن الأخلاق والآداب واللوائح التي أضيفت إلى التوراة، وأصبحت مكملاً لها، ولذلك يسمون التوراة بـ «العهد القديم».

وعلوم الشرعية الإسلامية وبقاوها وعدم قابليتها للنسخ والتبدل والتغيير بالتنقيص والزيادة؛ كل ذلك استلزم أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان، وفيه بحاجاتهم ولا يضيق ولا يختلف عن أي

مستوى عالٍ وصحيح

يبلغه البشر، بل بلوغ درجة الكمال البشري المقدور إنما يحدث بالاستقامه على دين الله لا شيء سواه، والعلم الخبير هو الذي جعلها عامة في المكان والزمان وخاتمة لجميع الشرائع «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [المك١٤]، ويقول النبي ﷺ: «فُضِلتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسَتٍ: أُعْطِيَتِ جَوَامِعَ الْكَلْمَ، وَنُصِرتَ بِالرَّبْعِ، وَأُهْلِكَتِ لِي الْعَنَائِمُ، وَجُعِلَتِ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلَتِ إِلَى الْخُلُقَ كَافَةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ». [روايه مسلم والترمذى]

فجاعت الأحكام والقواعد صالحة لكل زمان ومكان، ومهمة للبقاء والاستمرار تحقق مصالح العباد في العاجل والأجل والدنيا والآخرة، وتدرك عنهم المفاسد والأضرار في العاجل والأجل أيضًا، حتى قال بعض العلماء: إن الشريعة كلها مصالح، إما دراً مفاسد أو جلب مصالح، والمصلحة تتحقق أتم تحقيق بالرجوع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعدم مخالفته شرع الله، «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» [الأنبياء١٠٧]، «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَلْيَابُ» [البقرة١٧٩]، «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُنَصِّدُكُمْ عَنْ نَحْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» [المائد٩١].

ولذلك شرعت الرخص عند وجود المشقات؛ كإباحة الفطر في رمضان للمريض والمسافر، والضرورات تبيح المحظورات، وتقدر بقدرها كإباحة أكل الميتة من خاف الهلةة ولم يجد مباحاً، والضرر يزال، ولا ضرر ولا ضرار.

وجاعت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهي: «الدين، والنفس، والعقل، والنسل أو العرض، والمال»، ولحفظ الدين شرع الإسلام العبادات والجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس دينهم وحفظ النفس شرع النكاح والقصاص وتحريم إلقاء النفس في التهلكة ولزوم دفع الخضر عنها، وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر والمخدرات والنسل شرع الإسلام لإيجاده الزواج وحفظه عقوبة الزنى والقتل، وحرمة إجهاض المرأة الحامل إذا استتم الجنين أربعة أشهر باتفاق العلماء.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

التبغوا
ولا
تبتعدوا

الإسلام للإنسان وخدماته

الحلقة الثانية

إعداد

معاوية محمد هيكل

الحمد لله وكفى والصلوة والسلام على
النبي المصطفى ﷺ وبعد:
فقد تحدثنا في الحلقة السابقة في موضوع
الإسلام سمات وخصائص عن العموم وأن النبي
ﷺ ليس نبياً للعرب فقط وإنما أرسل للبشرية
كافة، وجاءت الأحكام والقواعد في الشريعة
الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ومهمة
للبقاء والاستمرار، تحقق مصالح العباد في
الماجل والأجل، وجاءت نصوص الشريعة بحفظ
الضروريات الخمس وهي: «الدين والنفس
والعقل والتنفس أو العرض، والمال» والليوم تحمل
ما بدأناه.

وإنه لحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله أنواع
المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك، وشرع لحفظه حرمة
أكل أموال الناس بالباطل، أو إتلافه بلا وجه شائع
مشروع، والحجر على السفهية، وتحريم الربا، وعقوبة
السرقة، كما وردت النصوص أيضاً بتحصيل حاجيات
الإنسان، كالطلاق إذا لم تعد الحياة الزوجية نطاق
والتحسينات كالطهارة للبدن والثوب، وستر العورة،
والنهي عن بيع الإنسان على بيع أخيه، والنهي عن قتل
النساء والأطفال في الحروب.

يقول ابن القيم - رحمه الله - عن شريعة الله: إن
مبناتها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش
والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها،
وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، ومن
الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن
الحكمة إلى العبث، فليس من الشريعة، وإن دخلت فيها
بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين
خلقه. ٤١٥

باب الاجتهد مفتوح لن حصل أدواته

ولا يمكن أن نغلق باب الاجتهد أمام من تحقق له
أسبابه وحصل أدوات الاجتهد والنظر في كتاب الله وسنة
رسول الله ﷺ، والشريعة بما حوت من مبادئ كالشوري
والمساواة والعدل وإزالة الضرر، وأحكام تفصيلية في كل
ناحية من نواحي الحياة لا يمكن أن تضيق بحاجات الناس
المشروعة ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقة في أي
زمان ومكان، ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهي
الكتاب والسنة، أو المصادر التبعية كالاجماع والقياس
وغيرها ولله الحمد جاءت في غاية القدرة والاستعداد
للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شيء جديد إلا للشريعة
حكم فيه بالنص الصريح أو بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة،
لا تضيق الشريعة بالواقع الجديد والحوادث المستجدة،
والصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا لم يجدوا نصاً
فاسوا الأشياء بالأشباه والنظائر.

٤- الجزء:

تأخير التوبة ذنب يجب التوبة فيه

وخاصية الجزاء تختلف كثيراً عن عقيدة الفداء
والخطيئة وصناديق الغفران عند النصارى فمن أذنب
فعليه أن يبادر بالتوبة، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة
منه ويشعر الستر على الإنسان إذا لم يكن مشهوراً
بارتكاب الفواحش. عن عبادة - رضي الله عنه - مرفوعاً:
«من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فإن
من أبدى لها صفحته أقمنا عليه كتاب الله». وفي روایة أئمّة
داود يقول النبي ﷺ لهزال (وهو الذي أتى ب Mayer لهزال
لرسول الله ﷺ ثنا زني) «ولو سترته بشوبك لكان خيراً»
ويقول تعالى: «إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ الْفَاحِشَةُ فِي
الَّذِينَ أَمْتَأْلَاهُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [النور: ١٩].

ولا يجب على الإنسان أن يذهب إلى الحاكم لإقامة الحد
عليه إذا زنى مثلاً لأن النبي ﷺ أرجع ماعزاً والغامدية مرة
بعد أخرى، وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله
عنـهـ: «بـاـيـعـاـ رـسـوـلـ اللـهـ لـلـلـهـ العـقـبـةـ الـأـوـلـيـ» «أن لا تشرك
بالله شيئاً ولا زنى ولا نعصيه في معروف» قال:
«فـإـنـ وـفـيـتـمـ فـلـكـمـ الـجـنـةـ وـإـنـ خـشـيـتـ مـنـ ذـلـكـ شـيـئـاً فـأـخـتـمـ»

بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيمة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر». [رواه البخاري ومسلم]، والتوبية تمحو كل ذنب كفرًا كان أو دونه «**فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَنَاهُوا عَنْ فَحْشَاتِهِمْ مَا قَدْ سَلَفَ**» [الأفال: ٣٢]، «**تَبَّأْ عَيْبَادِي أَنِي أَنَا الْغَافِرُ الرَّحِيمُ**» [الحجر: ٤٩]، وأن عذابي هو العذاب الأليم [الحج: ٥٠]، ونحن لا نفرح بكثره عدد المحدودين أو المرجومين ولا يصح أن نأخذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات.

وروى ابن حزم بسند صحيح أن عبد الرحمن بن حاطب كانت له نوبية صامت وصلت وهي أعمى لا تفقه، وكانت ثيباً فحملت فارسل إليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فسألها: أحبلت؟ قالت: نعم من مرعوش بدرهمين، فاستشار عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهم - فقال على عبد الرحمن: وقع عليها الحد. أي: الرجم. فقال عثمان: أراها تستهل به كأنها لا تعلمه وليس الحد إلا على من علمه. فقال لعثمان: صدق، والذي نفسي بيده ما الحد إلا على من علمه، ثم أمر بجلدها مائة وتغريبيها عاماً تأدبياً لها لتهاونها في السؤال عن الحلال والحرام في أمر دينها. وورد في صحيح البخاري أن امرأة بالدينية كانت تظهر في الإسلام السوء، وفي رواية أخرى: «كانت أعلنت في الإسلام» وفي رواية لابن ماجة: «فقد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها» ولكن لما كانت جريمتها بدون بينة قاطعة ما أقيمت عليها الحد مع أن النبي ﷺ قال عنها مرة «لو كنت راجحة بغير بينة لرجمنتها» ومن عجيب الأمر أن قطاعاً من الناس إذا ذكر الإسلام أو الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع بيد السارق أو رجم الزاني المحسن، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الغربة التي وصل إليها ومدى الضياع التي وصلت إليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسنة نبئها ﷺ غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحي الحياة وتقطيعه لها بل وغفلة أيضاً عن معنى الجزاء في الإسلام والأصل فيه أنه عقاب آخر وي **يُوْمَ حَدُّ كُلِّ نَفْسٍ** [آل عمران: ٣]، «**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرِّاً يَرَهُ**» [الزلزال: ١].

الجزاء الآخروي لا يمنع الجزاء الذي يوقعه الحكم على المخالف
وهذا من أعظم الزواجر للنفوس المؤمنة عن المخالفه والعصيان، وربنا جل وعلا أحق أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يُشكّر فلا يُكفر. والجزاء الآخروي لا يمنع الجزاء الذي يوقعه الحكم على المخالف لأحكام الإسلام. والجزاء في الدنيا أيضاً لا يمنع الجزاء في الآخرة عن المخالف العاصي إلا إذا اقترفت معصيته بالتوبية النصوح، فلا إصرار على الذنب، بل يندم على ما مضى ويعزم على عدم العودة فيهمرة ثانية وقبل أن يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويقطع بالجوارح والمؤمن يعلم أنه لو أفلت اليوم من الجزاء الدنيوي فلن يفلت غداً من الله مالك الدنيا والآخرة والخلق خلقه والعبد عبده والأمر أمره وليس يخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره ولهذا يذهب هو

بنفسه لإقامة الحد عليه

رواية لعمران بن حصين - رضي الله عنهما - في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر: يا رسول الله أتصلي على هذه الزانية؟ قال: «لقد تابت توبية لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم». وفي روایة بريدة في صحيح مسلم أن النبي ﷺ أمر برجم الغامدية فرجموها فني قبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فقال النبي ﷺ: «مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبية لو تابها صاحب مكس لغفر له» ثم أمر بها وصل عليها ودفت. ونطاق الجزاء في الإسلام واسع و شامل شامل الإسلام لجميع شئون الحياة، ومن ثم تتعلق الجزاء في الإسلام بمسائل العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات وكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاً لها في الآخرة، وقد يكون لهذا جزاء في الدنيا أيضاً. ومجتمع يطبق فيه حكم الله على الغني والفقير والرئيس والمرءوس لابد وأن يسعد في الدنيا قبل الآخرة.

٥- الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية:

وهذه السمة الواضحة لا تتحقق عن أخواتها من صفات هذا الدين الذي امتن علينا ربنا به، وشرفتنا بالانتساب إليه، وأن تكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتلال وتوانز واتزان حتى وإن رماه الملاحدة بالخلاف والرجعيّة والجمود ونسبوا لأنفسهم - إنهم أصحاب دعوات تطورية وتحضيرية وتقديمية، وأنهم يريدون أن يعيشوا حضارة القرن الحادي والعشرين، ونحن بشر - ولسنا ملائكة - نصب ونخطيء، فإن وافقنا الحق فذلك فضل من الله وإن خالفناه فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله منه بريء، ورب العزة جل وعلا لا يكفي نفساً إلا وسعها، ولا يكفي عباده ما لا يطيقوه، فالواجبات تسقط بالعنبر والعجز وعدم الاستطاعة، «ومَا حَلَّ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج: ٧٨].

فعل الواجبات والانتهاء من المحرمات يوجب لنقوى الله

فالإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم، ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات إلى مستحبات والمعاصي تتفاوت كذلك من أكبر الكبائر إلى الصغار والتقى لها أصل وأساس، وهي أن يفعل العبد الواجبات وينتهي عن المحرمات، فإذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل، «**تَمْ أُورْتَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَحِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخُيُّرَاتِ**» [فاطر: ٣٢]، والظالم نفسه هو الذي غلب سلطاته على حسناته، وهذا قد يدخل النار، ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ولا يعذب فيها عذاب الكفار ولا يدخل فيها خلود الكفار» **أَفَبْجَعَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** [النمل: ٣٣]، والمقتدى هو الذي تساوت حسناته مع سيئاته، وهو لا يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء أن يوقف بهم ثم يؤمرون فيدخلون الجنة

والسابق بالخيرات هو

الذي غلت حسناته على سيئاته
وهؤلاء يدخلون الجنة لأول وهلة، فالعبد يتفاوتون
تفاوتاً عظيماً في الدنيا والآخرة.
وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول
الله ﷺ قال: «أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن
لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون
والشهداء على مشارلهم وقر لهم من الله» [رواه أحمد] وهو
حسن، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عمر وقال صحيح الاستاد ووافقه
النبي، قال الإبانى: وهو كما قال، وقد ذكر ربنا جل وعلا
أصناف الناس في أكثر من موضع من كتابه منها سورة
الواقعة وسورة المطففين - والأولياء يتفاوتون أيضاً في
درجات الولاية حسب إيمانهم وتقواهم «لا إِنَّ أُولَئِءِ
اللَّهُ لَا يَخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ» (٦٢) الذين آمنوا
وكانوا يتّقون» [يونس: ٦٢، ٦٣].

والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه، والإحسان
يتضمن الإيمان ويزيد عليه، ولذلك يقول تعالى: «قَاتَلَ
الْأَعْرَابَ أَهْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَا يَدْخُلُ
الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ» [الجراثيم: ١٤]، كان معهم أصل الإيمان
الذى منعهم من الدخول في عداد المنافقين، ولم يكن
معهم الإيمان الكامل الذي يستحقون به الدخول في هذا
المعنى، «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ
يَرْتَبُوْ وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»،
والعبد الذي يتبع الفرائض بالنهاية يصل إلى درجة
المحبة كما في حديث الولي «وَمَا تَقْرُبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ
أَحَبُّ إِلَيَّ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالْ عَبْدِي يَتَقْرُبُ إِلَيَّ
بِالنِّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَهْ». [متفق عليه]

والرجل عندما أتى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام،
فيبين له الرسول ﷺ أركان الإسلام، فانطلق الرجل وهو
يقول: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص منه شيئاً، فقال
رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» والمستوى الأرفع
والأعلى حب الشريعة إلى الناس بلوغه، ولكن لم
توجبه عليهم، وإنما جميعاً به في كل وقت منه
يسكب حرجاً، والحرج في الشريعة مرفوع، وهذا من
واقعية الإسلام، وهذا المستوى العالي يشمل المستحبات
والمندوبات وترك المكروهات، فالصلوة والصيام والزكاة،
والحج منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، ونافلة
嗑صلاة الظهر والنماذل قبلها وبعدها وصيام رمضان
الواجب، ثم صيام الاثنين والخميس - مثلاً - مستحب.
وفي الاعتداء تجوز المعاقبة بالمثل والعفو والصبر
أفضل، «وَإِنْ عَاقَنْتُمْ فَعَاقُوا بِمِثْلِ مَا عَوَقْنَتُمْ بِهِ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» [النحل: ١٢١]. والكلام بالباطل
حرام يجب تركه وهذا من معاني المستوى الأدنى، ثم
الثرثرة وكثرة الكلام بما لا يفيد ولا ينفع مکروه وإن لم
يكن فيه باطل لما ورد في الحديث: «اتق الله حيماً كنـت».
[رواه أحمد والترمذى وحسنـهـ الحاكم]

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ
قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَيْكُمْ عِقْوَقَ الْأَمْهَاتِ وَمِنْعَاهَاتِ
وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَكُرْهَ لَكُمْ قِيلُ وَقَلُ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ
الْمَالِ»، [متفق عليه]
فالكلام الكثير بما لا ينفع مکروه تركه أفضل، وهذا
من معاني المستوى الأعلى.

رخص الإسلام في النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بالتهدي
وقد رخص الإسلام في النطق بكلمة الكفر حال
الإكراه بالتهدي بالقتل مثلاً إلا أن العزيمة في مواطن
إظهار الدين أفضل ومن واقعية الإسلام إيجاد المخارج
في أوقات الشدة والضيق، أو في أحوال الاضطرار
كالفطر في رمضان للمريض والمسافر وإباحة الصلاة
للمريض وهو قاعد أو نائم «صلِّ قائماً، فإن لم تستطع
فقاعداً فإن لم تستطع فعلي جنب» [روايه البخاري] «يُرِيدُ
اللَّهُ بِكُمُ الْيُسُرُّ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسُرَ» [الفرقان: ١٨٥].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما حُرِّرَ رسول
الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً،
فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله
ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن شنته حرمة الله فينتقم
للله تعالى». [متفق عليه]

وقد نهى الإسلام عن الإفراط والتفرط والغلو
والجفاء والإسراف والتصحير، وخير الأمور الوسط فلا
رهبة في الإسلام، وتعزيب الحسد وتحميمه ما لا
يطيق ليس من مناهج الإسلام، فلذلك لما سال الثلاثة عن
عبادة رسول الله ﷺ، فلما علموها وكأنهم تقالواها، فقال
الأول: أما أنا فأشصوم ولا أفتر، وقال الثاني: وأما أنا
فأشصوم ولا أنا، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء.
فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: «أما والله إني لأتقاكم لله
وأكثركم له خشية؛ أصوم وأنام، ومن رغب عن سنتي فليس مني». [متفق عليه]
وأيضاً أن يعيش حياة البهائم السائمة فيبتذل
بالحرام ولا يتلتفت لدين، بل الواجب أن تحلى ما أحل الله،
وأن نحرم ما حرم الله، وأن نغضّ حرمات الله، «ذلك
ومن نعظم شعائر الله فإنها من نعمت القلوب» [الحج: ٣٢]

«فاستقم كما أمرت ومن تاب ملوك ولا تطعوا» [مود: ١١٢]،
وأن نعيش حياة الاعتدال، قال النبي ﷺ لعبد الله بن
عمر: «إلم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل»، قلت:
بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفتر، ونم وقم،
فإن لجستك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك
عليك حقاً، وإن لزورك من الأصدقاء - عليك
حقاً». [روايه البخاري ومسلم]

وأن نحرص على شمول النظرة ونرتاح في ذلك
بخير القرون، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند
الصلاه يصلون في المسجد ويحرضون على إدراك
تكبيرة الإحرام مع الإمام، وفي حلقات العلم يجلسون
معطفين ومتعلمين، وعند الجهاد يقاتلون، وعند الشدائـد
والمسابـق يواسون ويساعدون، وهـذاـ كانـ شـانـهمـ فيـ
جـمـيعـ الـأـحـوـالـ، فـالـخـيـرـ كـلـ الـخـيـرـ فـيـ الرـجـوـعـ لـكـتـابـ اللهـ
تعـالـيـ وـلـسـنـتـ رسولـ اللهـ ﷺ: «لـقـدـ كـانـ لـكـمـ فـيـ رـسـوـلـ اللهـ حـسـنـةـ مـنـ كـانـ يـرـجـوـ اللـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـذـكـرـ
الـلـهـ كـثـيرـاـ» [الأحزاب: ٢٤].

ونحن في هذا المنهج لا نحتقر طاعة، ولا نستهين
بمعصية وإن دقت، «يـاـ أـيـهـ الـذـيـ أـمـنـواـ اـدـخـلـوـاـ فـيـ
الـسـلـمـ كـافـةـ» [البقرة: ٢٠٨]. ومعظم النار من مستصرفـ
الـشـرـ وـفـيـ الـحـدـيـثـ اـتـقـ اللـهـ حـيـثـاـ كـنـتـ، وـأـتـبـعـ السـيـئـةـ
الـحـسـنـةـ تـمـحـهـاـ، وـخـالـقـ النـاسـ بـخـلـقـ حـسـنـ». [روايه الترمذى
وحـسـنـهـ الحـاـكـمـ]

والله من وراء القصد.

بدعة الاحتمال بالموارد النبوية

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن توحيد الله عز وجل هو أصل كل حسنة، وأساس كل نعمة، ومصدر كل خير وبركة على العبد في الدنيا والآخرة، وهو أعظم الفرائض وأول الواجبات وفتح الدعوات والرسالات، لأجله أرسل الله رسالته وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجله نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وبه انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفحار، وعليه نصبت القبلة وأنسست الملة ولأجله جردت سيوف الجهاد وهو حق الله على العباد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَعْتَنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [التحريم: ٣٦].

وقواعده، ومن هذا المنطلق كان التحذير من الغلو وخطره.

الغلو في الأنبياء والصالحين سبب الشرك في الأولين والآخرين

تعريف الغلو: هو مجاوزة الحد مدحًا أو قدحًا قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلُوْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَنْقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا حُقُّكُمْ إِنَّمَا الْمُسِيْحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَقْتَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

يستفاد من الآية تحذير الأمة من أن يغلووا في نبيهم كما فعل اليهود والنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام.

فالنصارى غلووا في عيسى مدحًا فقالوا: إنه الله وابن الله وثالث ثلاثة، واليهود غلووا فيه قدحًا فقالوا: إن أمه زانية وإنه ولد زنا.. فكلا الطرفين غلا في دينه وتجاوز الحد بين إفراط وتغريط، ولهذا حذر النبي ﷺ من الغلو في شخصه عليه الصلاة والسلام فقال: لا تطروني كما أطربت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله..

[رواوه الشيشان]

وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين». [صحيف الجامع ٢٦٨٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «أندرني ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله». قال معاذ: قلت لله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...» الحديث.

ولا يكون العبد موحداً التوحيد الذي ينجيه في الدنيا من القتل والأسر وفي الآخرة من عذاب النار بمجرد اعتقاده أن الله هو رب كل شيء وحاليه وملكيه وأنه المدير للأمور جمیعاً، فإن مثل هذا التوحيد كان يقره المشركون الذين أمر رسول الله ﷺ بقتالهم قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ مَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

بل لابد من توحيد الإلهية وذلك بإفراد الله تعالى بالعبادة. لذلك فإن تحقيق التوحيد يقتضي تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر والمناقض لأصل التوحيد ومن الشرك الأصغر المنافي كماله.

ولما كان توحيد العبادة هو أشرف أنواع التوحيد فقد احتاط له الشرع أكبر الحيطة وقطع طريقة على كل وسيلة مفضية إلى الإخلال بأسسه

إعداد

معاوية محمد هيكل

مداخل الشيطان إلى عباد القبور

قال الإمام العلامة ابن القيم - رحمة الله - وقد أدخل الشيطان الشرك على قوم نوح من باب الغلو في الصالحين، وقد وقع في هذه الأمة مثل ما وقع لقوم نوح لما أظهر الشيطان لكثير من المفتونين الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله، فما زال يوحى إلى عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى التوسل بها والإقسام على الله بها، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء المقبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحيج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعوة الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً، فرأوا أن ذلك أذعن لهم في دينيهم وأخراهم.

إذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وقد سرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير من ينتسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروها الناس عنهم. [انظر فتح المجيد]

صور فاضحة، سببها الغلو في الأضرحة

١ - قال ابن القيم رحمة الله: فقد آل الأمر بهؤلاء الضلال والمرشken إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غالاتهم في ذلك كتاباً وسماه (مناسك حج المشاهد) مضاهة منه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام.

٢ - في أيام حكم السلطان المملوكي قيل لأحد العلماء بان يفتني بإبطال مولد البدوي لما يحدث فيه من زنا وفسق ولوساطة وتجارة مخدرات، وما يشيشه الصوفية من أن البدوي سيشفع لزوار مولده، فأبى

من الغلو في الدين إقامة المساجد على قبور الصالحين في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروها فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [روايه مسلم ١٢/٥]

وأخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما «ود» فكانت لكتب بدومة الجندي وأما «سوان» فكانت لهذيل وأما «يغوث» فكانت لمراد ثم لبني غطفان وأما «يعوق» فكانت لهمدان وأما «نسر» فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد. حتى إذا هلك أولئك وتتسخ العلم عبد.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - «ففتنة التماطل والقبور هي العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد لأنها هي التي أوقعت كثيراً من الأمم في الشرك الأكبر وما دونه».

«فصارت هذه الأصنام، بهذا التصوير على صور الصالحين، سُلْمًا إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوي البصائر كما جرى لأهل مصر وغيرهم فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ومع هذا صار أعظم آلهتهم فزير لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفأ الحرائق وينجي الغريق وصرفوه إلى الربوبية والألوهية وعلم الغيب وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة ومنهم من يسجد على عتبة حضرته». [قرة العيون]

هذا العالم أن يفتقي قائلاً ما معناه: (إن البدوي ذو طش شديد) فإن لم يكن هذا هو الشرك فما الشرك؟ ٣ - ومن المواقف المعاصرة في ذلك: أنه قد زعم الخليفة الحالي للسيد البدوي في مولد عام ١٩٩١م: أن السيد البدوي موجود معك أينما كنت، ولو سمعت به في شدتك وقلت: يا بدو مدد، لأنك وأغاثك! قال ذلك أمام الجموع المحتشدة بسرايق وزارة الأوقاف في القاهرة أمام العلماء والوزراء، وقد تناقلته الإذاعات وشاشات التلفاز. [دمعة على توحيد]

وما تعمر وجه أحد من الحضور ولا تأثر وما قام له مسلم يذكر ذلك الشرك الأكبر في الغربة الإسلام في بلاد المسلمين وإن الله وإن إلينا راجعون.

ولو أنهم فعلوا ما يعظون به فتركوا الغلو في الدين واتبعوا منهج الأنبياء والمرسلين في العلم والعمل والدعوة إلى الله على بصيرة لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً، ولهذا صرطاً مستقيماً.

التعذير من الغلو في النبي ﷺ

- نهى النبي ﷺ عن الغلو في شخصه فقال: «لَا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد بقولوا: عبد الله ورسوله». [رواوه الشيخان] فقد كان الإطماء هو بداية الغلو في عيسى والإدعاء أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، والإطماء هو مجاوزة لحد في المدح والكذب فيه.

ولذلك كانت الحيطة التي لم ينتفع بها البعض أصحاب البردة «البوضيري» حين قال: «إإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم
 يجعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي ﷺ وإفضاله،
 جزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ!
 ومن عجيب الأمر أن الشيطان أظهر لهم ذلك في سورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته.

وقال أيضاً مبالغًا في غلوه:
 يا أكرم الخلق مالي من ملادي من الولد به سواك عند حلول الحادث العجم

«فتتأمل ما في هذا البيت من الشرك:
 أولاً: أنه نفى أن يكون له ملاد إذا حلته به الحوادث
 لا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو ذي ليس للعباد ملاد إلا هو.



الاحتفال بمواليد النبي بدعة منكرة فيها

لقد روجت الصوفية بدعة الاحتفال

ثانية: أنه دعاه وناداه بالتضليل وإظهار الفاقعة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية». [تيسير العزيز الحميد] [٤٩]
ومن الغلو الاحتفال بموالده ﷺ

مولد النبي ﷺ هو الذي يقيمه الصوفية في الثاني عشر من شهر ربى الأول من كل عام إظهاراً للسرور بموالده ﷺ.

ويرجع تاريخ ظهور هذه البدعة إلى الدولة العبيدية التي تسمت بالدولة الفاطمية. حيث أحدثت هذه البدعة لجذب قلوب الناس إليها، والظهور بمظاهر من يحب رسول الله ﷺ.

مع أنها من أكثر الدول التي فشا فيها الإلحاد والزندقة تحت شعار التشيع وحب آل البيت.

وعن طريقهم انتشرت الموالد وراجت رواجاً كثيراً لدى الصوفية. [الابداع في مضار الابداع للشيخ علي محفوظ من علماء الأزهر الشريف]

فصارت كل طريقة تعمل لشيخها مولدًا يتناسب ومقام الطريقة وشيخها!! هذا مع حرصهم على مولد النبي ﷺ في كل عام وتسيير المواكب في

رضي الله عنهم أحق به منا. فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا. وهم على الخير أحقرن، وإنما كان محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك باللقب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبواهم بإحسان.

[اقتضاء الصراط المستقيم (٦١٥/٢)]

والاحتفال بموالده بدعوة منكرة لما يلي:

- ١- اتخاذه عيداً شرعياً والأعياد الشرعية يومان الفطر والأضحى كما جاء بذلك النص. قال ﷺ: «إن الله أبدلكم بما يومن الفطر والأضحى».
- ٢- جعله عبادة شرعية وقربة إلى الله، حتى إنهم في بعض البلدان يتهمون من لم يحضر المولد بالجفاء والمروق من الدين أحياً.

[رسائل الشيخ عبد الله بن زيد الـ محمود ٤٩٣/١]

- ٣- عدم فعل السلف له مع أنهم أشد الناس حباً له صلوات الله وسلامه عليه، وهم أعرف الناس بحقوقه، ولو كان خيراً لسبقوه إلينه.
- ٤- إن عمل المولد يتضمن أموراً منها عنها شرعاً كإنشاد القحائد الشركية والغلو فيه ﷺ وتشويه صورة الدين بأعمال الخرافيين والمشعوذين والدجالين على ما يجري عمله في أكثر البلاد.
- ٥- إن الاحتفال بموالده بدعة فيها مشابهة للنصارى في احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام لأن دينهم المحرف قام على الغلو في الأشخاص وديننا ينهانا عن الغلو.

هذا وقد استغلت الصوفية وسائل الدعايا لترويج هذه البدعة بدعوى أنها من أكبر مظاهر حبه ﷺ فالفوا فيها الرسائل والكتب وسودوا بها صحائف كانت بيضاء، ونعتوا كل ناقد ومواجا بعدم الحب والولاء لرسول الله ﷺ.

وما كتبنا هذا إلا حباً لنبينا واتباعاً لسنت واقتفاءً لأثره صلوات الله وسلامه عليه والخير كل الخير في اتباع من سلف والشر كل الشر في ابتداء من خلف.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.
والحمد لله رب العالمين



مشابهة للنصارى في احتفالاتهم بميلاد المسيح

لتشويه معالم الدين ونشر العقائد الهدامة

الطرق، وتنشيد القحائد، وتقام الحفلات إلى غير ذلك من مظاهر الاحتفال بمواليد النبي.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد - هل له أصل في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المقدمين، بل هو بدعة أحدثهابطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون.

[رسالة المؤود في عمل المولد]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا... من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محسناً أو راجحاً لكان السلف

اتبعوا
ولا تبتعدوا

محبة النبي الأمين ﷺ



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، اخترصه الله تعالى بالقرآن، وميزه بجوامع الكلم وفصاحة اللسان، وفضلة على سائر مخلوقاته من ملك وإنس وجان.. ختم به الرسالة.. وهدى به من الضلال، أوجب على الناس طاعته، وفرض عليهم محبتة.. شرح له صدره، ورفع له

ذكره، وأعلى قدره، فصلى الله وسلم وبارك عليه. وبعد:

فمحبة النبي ﷺ أصلٌ من أصول الإيمان، فقد أوجب الله تعالى على عباده محبة رسوله وتقديم ذلك على محبة النفس والمال والولد والناس أجمعين ، وفي هذه السطور سوف نستعرض بإذن الله تعالى لمحات عن هذه المحبة وعلاماتها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

وجوب محبة النبي ﷺ

قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْرَاكُمْ وَأَرْجُوكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرْفَتُمُوهَا وَتَجَارَةُ تَحْسِنُونَ كَسَادُهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» [التوبه: ٢٤].

يقول القاضي عياض مستدلاً بهذه الآية: «فكفى بهذا حضاً وتبنيها ودلالة وحجية على إلزم محبته، ووجوب فرضها وعظم خطورها واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرئ الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعده بقوله تعالى: «فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»، ثم فسّرهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم من ضل ولم يهد الله ». [الشفاف: ١٨/٢].

قال رسول الله ﷺ : «لَا يؤمن أحدكم حتى تكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». [رواه البخاري].

قال القاضي عياض رحمة الله: ومن محبته نصرة سنته والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه.

قال الحافظ ابن حجر رحمة الله: «ومن علامه الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خير بين فقد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي ﷺ لو

إعداد / معاوية محمد هيكل

كانت ممكناً فإن كان فقدها أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقد بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته وقمع مخالفتها.

صدق ذلك قول النبي ﷺ: «من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدى يود أحدهم لو رأني بأهله وماله». رواه مسلم.

محبة الشجر والجمادات لرسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقدر عليه فإن لي غلاماً نجاراً، قال: «إن شئت». فعملت له المنبر، فقعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنعت، فصاحت النخلة التي كان يخطب عنها حتى كانت آن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تتناثر أذين الصبي الذي يُسكت حتى استقرت. قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر». [رواه البخاري]. ففي هذا دليل على صدق النبوة.

قال الحسن رحمة الله: يا معشر المسلمين

شرط الإيمان برب العالمين

قال النبي ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» [صحيف مسلم]

الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، فأنتم أحق أن تستاقوا إليه.

[سير أعلام النبلاء / ٤ / ٥٧٠]

سلام الشجر عليه وشهادته بالتوحيد

عن يعلى بن مرة الثقفي، وفيه: «ثم سرنا حتى نزلنا منزلة قنام النبي ﷺ، فجاعت شجرة تشق الأرض حتى غشتها، ثم رجعت مكانها، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرت له، فقال: هي شجرة استاذنت ربها في أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها». [مشكاة المصابيح].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فاقبل أعرابي، فلما دنا قال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؟» قال: ومن يشهد على ما نقول؟ قال: هذه السلمة، فدعاهما رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تحد الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدتها ثلاثة فشهدت ثلاثة آنة كما قال، ثم رجعت إلى منبتها.

[مشكاة المصابيح] . ٥٩٢٥

إذا كان هذا هو حال الجمادات والشجرة حبها للنبي ﷺ، فكيف بحال المسلمين اليوم؟
علامة محبة النبي ﷺ في سلوك الصحابة، رضي الله عنهم

١- هبّتهم النظر في وجهه

عن ابن شمسة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سيارة الموت فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أباه أما بشّرك رسول الله ﷺ بهذا؟ أما بشّرك رسول الله ﷺ؟ قال: فاقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباقي ثلاثة، لقد رأيتني وما

أحد أشدّ بغضنا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحبّ إلى أن أكون قد استمكت منه فقتلته، فلو متُ على تلك الحال لكتن من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبكيك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أنأشترط. قال: «تشترط بمماد؟»، قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»، وما كان أحد أحب إلى من يهدم ما كان قبله؟، ولأجل في عيني منه، وما كنت رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وأطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت. لأنني لم أكن أملاً عيني منه، ولو مُت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل

قالت المرأة الأنصارية
يوم أحد بعد أن علمت
بقتل ابنها وأبيها
وزوجها: «ما فعل رسول
الله؟ قالوا: أمامك.
فلم وصلت إليه قالت:
بابي أنت وأمي يا رسول
الله! ما أبالي إذ سلمت
من عطب.

الله عنها - فقل: يقرأ عليك عمر السلام. ولا تقل
 أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين
 أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع
 صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها
 قاعدة تبكي (حزناً) على أمير المؤمنين - رضي الله
 عنه -، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام
 ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت
 أريده لنفسي ولأوثرته به اليوم على نفسي، فلما
 أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال:
 ارفعوني، فاستدنه رجل إليه، فقال: ما لديك، قال:
 الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت.
 قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهتم إلّي من
 ذلك. فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم، فقل:
 يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي
 فادخلوني، وإن رددتني فردووني إلى مقابر
 المسلمين.

٥- الحرص عليه من أن يناله أحد بسوء:
 روى الحاكم عن زيد بن ثابت - رضي الله
 عنه - قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب
 سعد بن أبي طالب رضي الله عنه وقل: إن رأيته
 فاقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله
 ﷺ: كيف تجذك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى
 فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما

الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها،
 فإذا أنا مت، فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا
 دفنتموني فشروا علي التراب شنآن ثم أقيموا
 حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها،
 حتى استأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسول
 ربى. [صحيح مسلم].

٢- تفضيله ﷺ على الزوج والأهل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما كان
 يوم أحد حاصل أهل المدينة حيصة، قالوا: قتل
 محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة،
 فخرجت امرأة من الأنصار متخرّمة، فاستقبلت
 بابها وأبيها وزوجها وأخيها؛ لا أدرى أيهم
 استقبلت به أولاً، فلما مرت على أحدهم قالت:
 من هذا؟ قالوا: أبوك، أخوك، زوجك، ابنته، تقول:
 ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك، حتى
 دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه،
 ثم قالت: بابي أنت وأمي يا رسول الله؛ لا أبالي
 إذ سلمت من عطب، كل مصيبة بعدك جلل». (أي
 يسيرة وهيئـة رواه الطبراني (٢٤٤/٨)

٣- الفرح بصحبته :

عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -
 قالت: «بينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي
 بكر - رضي الله عنه - في نحر الظهيره قال قال
 لأبي بكر: هذا رسول الله جاء متقدماً، قالت
 عائشة - رضي الله عنها - في ساعة لم يكن يأتينا
 فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما
 جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قال: فجاء رسول
 الله ﷺ فاستأذن فاذن له فدخل، فقال النبي ﷺ:
 «أخرج من عندك». فقال: إنهم هم أهلك بابي أنت
 يا رسول الله، قال: «فإنني قد أذن لي في
 الخروج» قال أبو بكر - رضي الله عنه -
 الصحبة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:
 «نعم». [رواه البخاري].

٤- الحرص على الموت بدياره والدفن بجواره :

روى البخاري عن عمرو بن ميمون أن عمر
 ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال: يا عبد الله
 ابن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين - رضي

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة... فنادى مناد ألا إن الخمر قد حرمـتـ. فـقالـ أبو طـلـحةـ: اـخـرـجـ فأـهـرـقـهاـ، فـخـرـجـتـ فـهـرـقـتهاـ، فـجـرـتـ فيـ سـكـ المـدـيـنـةـ. فـمـاـ أـعـظـمـ الـأـمـتـثـالـ.

رجل العصر ثم خرج فمر على قوم من الأنصار، فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ أنه قد وَجَّهَ إِلَى الكعبة فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر.

فانحرافهم في الصلاة لاستقبال الكعبة كان تأسياً برسول ﷺ ومبادرةً بذلك، رضي الله عنرو الإمام البخاري عن أنسـ رضي الله عنهـ قالـ: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحةـ رضي الله عنهـ وكان خمرهم يومئذـ الفضـيـخـ فـأـمـرـ رسولـ اللهـ [منادـيـ يـنـادـيـ]ـ يـأـتـيـهـ أـلـاـ إنـ الـخـمـرـ قدـ حـرـمـتـ. قالـ: فـقـالـ لـيـ أـبـوـ طـلـحةـ: اـخـرـجـ فـأـهـرـقـهاـ فـهـرـقـتهاـ فـجـرـتـ فيـ سـكـ المـدـيـنـةـ.

٧- الدافع عن شريعته وستنته :

يروى الإمام الطبرـيـ رـحـمـهـ اللـهــ قصةـ البراءـ بـقولـهـ: «ـثـمـ زـحـفـ الـمـسـلـمـونـ حـتـىـ الـجـاـوـهـمـ إـلـىـ حـدـيـقـةـ وـفـيـهـ عـدـوـ اللـهـ مـسـيـلـةـ الـكـذـابـ، فـقـالـ البرـاءـ بـنـ مـالـكـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: يـاـ مـعـشـرـ الـمـسـلـمـينـ، أـقـوـنـيـ عـلـيـهـمـ فـيـ الـحـدـيـقـةـ، فـقـالـ النـاسـ: لـاـ تـفـعـلـ يـاـ بـرـاءـ، قـالـ: وـالـلـهـ لـتـطـرـحـنـيـ عـلـيـهـمـ فـيـهـ، فـاـحـتـمـلـ حـتـىـ إـذـ أـشـرـفـ عـلـىـ الـحـدـيـقـةـ مـنـ الـجـدـارـ اـقـتـحـمـ فـقـاتـلـهـمـ عـنـ بـابـ الـحـدـيـقـةـ حـتـىـ فـتـحـهـ لـلـمـسـلـمـينـ، وـدـخـلـ الـمـسـلـمـونـ عـلـيـهـمـ فـيـهـ فـاقـتـلـوـاـ حـتـىـ قـتـلـ اللـهـ مـسـيـلـةـ عـوـدـ اللـهـ»ـ.

يروى الإمام ابن عبد الحكم بـسـنـدـهـ فـقـالـ: مـاـ أـبـطـاـ الـفـتـحـ عـلـىـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـنـ، قـالـ الزـبـيرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: إـنـيـ أـهـبـ نـفـسـيـ لـهـ وـأـرـجـوـ أـنـ يـفـتـحـ بـذـلـكـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ، فـوـضـعـ سـلـمـاـ إـلـىـ جـانـبـ الـحـصـنـ مـنـ نـاحـيـةـ سـوقـ الـحـمـامـ ثـمـ صـعـدـ وـأـمـرـهـ إـذـ سـمـعـواـ تـكـبـيـرـةـ أـنـ يـجـبـيـوهـ جـمـيـعـاـ، فـمـاـ شـعـرـوـاـ إـلـاـ وـالـزـبـيرـ عـلـىـ رـأـسـ الـحـصـنـ يـكـبـرـ مـعـهـ السـيفـ وـتـحـاـلـ النـاسـ عـلـىـ السـلـمـ حـتـىـ نـاهـمـ عـمـرـوـ خـوـفـاـ أـنـ يـنـكـسـ، فـلـمـ اـقـتـحـمـ الزـبـيرـ وـتـبـعـهـ مـنـ تـبـعـهـ، وـكـبـرـ وـكـبـرـ مـنـ مـعـهـ، وـأـجـابـهـ الـمـسـلـمـونـ بـالـخـارـجـ لـمـ يـشـكـ أـهـلـ الـحـصـنـ أـنـ الـعـربـ قدـ اـقـتـحـمـواـ جـمـيـعـاـ فـهـرـبـوـاـ فـعـمـدـ الزـبـيرـ وـأـصـحـابـهـ إـلـىـ بـابـ الـحـصـنـ فـفـتـحـوـهـ وـاقـتـحـمـ الـمـسـلـمـونـ الـحـصـنـ.

رضي الله تبارك وتعالى عنـهمـ، فـإـنـهـ لـمـ يـفـتـحـ بـلـادـاـ فـحـسـبـ، بلـ فـتـحـوـاـ قـلـوبـاـ، فـجـراـهـ اللهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ عـنـ أـهـلـ الـإـسـلـامـ كـلـ خـيـرـ. وـأـخـرـ دـعـوـاـنـاـ أـنـ الـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ

بـيـنـ طـعـنةـ بـرـمـجـةـ بـسـيفـ وـرـمـيـةـ بـسـهمـ، فـقـلـتـ لـهـ: يـاـ سـعـدـ، إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ يـقـرـأـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـيـقـوـلـ لـكـ: خـبـرـنـيـ كـيـفـ تـجـنـبـكـ»ـ، قـالـ: عـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ السـلـامـ وـعـلـيـهـ السـلـامـ قـلـ لـهـ: أـجـدـ رـيـحـ الـجـنـةـ، وـقـلـ لـقـومـيـ مـنـ الـأـنـصـارـ لـاـ عـذـرـ لـكـ عـنـدـ اللـهـ أـنـ يـخـلـصـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ وـفـيـكـ شـغـرـ يـطـرـفـ، وـفـاضـتـ نـفـسـهـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ.

٦- سـرـعةـ الـاسـتـجـاـبةـ لـأـمـرـهـ :

يـقـوـلـ اللـهـ تـعـالـىـ: «ـقـلـ إـنـ كـنـتـ تـحـبـنـ اللـهـ فـأـتـشـعـونـيـ يـحـبـكـمـ اللـهـ وـيـعـفـرـ لـكـمـ دـنـوـبـكـمـ وـالـلـهـ غـفـورـ رـحـيمـ»ـ [آلـ عمرـانـ: ٣١ـ].

قـالـ اـبـنـ كـثـيرـ رـحـمـهـ اللـهـ: هـذـهـ الـآـيـةـ حـاكـمـةـ عـلـىـ كـلـ مـنـ اـدـعـيـ مـحـبـةـ اللـهـ وـلـيـسـ هـوـ عـلـىـ الـطـرـيقـةـ الـمـحـمـدـيـةـ، فـإـنـهـ كـاذـبـ فـيـ دـعـوـاهـ حـتـىـ يـتـبـعـ الشـرـعـ الـمـحـمـدـيـ فـيـ جـمـيـعـ أـقـوـالـهـ وـأـفـعـالـهـ. [ـتـفـسـيرـ اـبـنـ كـثـيرـ ١ـ /ـ ٣٥٨ـ].

وـلـقـدـ ضـرـبـ الصـحـابـةـ رـضـوانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ أـعـظـمـ الـأـمـثـلـةـ الـعـمـلـيـةـ فـيـ الـإـتـبـاعـ. مـنـ ذـلـكـ مـاـ أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ عـنـ الـبـرـاءـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: قـالـ: مـاـ قـدـمـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ الـمـدـيـنـةـ صـلـىـهـ شـهـرـاـ، وـكـانـ الـمـقـدـسـ سـتـةـ عـشـرـ أـوـ سـبـعـةـ عـشـرـ شـهـراـ، وـكـانـ يـحـبـ أـنـ يـوـجـهـ نـحـوـ الـكـعـبـةـ فـاـنـزـلـ اللـهـ، «ـقـدـ تـرـىـ تـقـلـبـ وـجـهـكـ فـيـ السـفـنـاءـ فـلـنـوـلـيـنـكـ قـيـلـةـ تـرـضـاـهـاـ»ـ [ـبـقـرـةـ: ١٤٤ـ]. فـوـجـةـ نـحـوـ الـكـعـبـةـ وـصـلـىـ مـعـهـ

اتبعوا
ولا

تبتعدوا

تكريم الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على الرحمة المهدية، والنعمة المسداة، والسراج المنير،

بعد:

فقد فضل الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ وأصطفاه على جميع خلفه، فهو خاتم الأنبياء وإمام الاتقياء وسيد ولد آدم، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على بيان عظيم قدر النبي ﷺ ومنزلته الرفيعة، وذلك ن خلال ما امتن الله تعالى به عليه من التكريم والتعظيم، ومن ذلك :

إعداد معاوية محمد هيكل

مكان رسول الله ﷺ حتى إذا كان هناك من يريده بسوء فرأى مكانه في أول الليل ثم جاء بعد ذلك فيقع ذلك السوء بابنته فداء لرسول الله ﷺ .

وقوله تعالى: «وللآخرة حيّرْ لَكَ مِنَ الْأُولَى» (٤) ولسُوْفَ يُعْطِيكَ رِبُّكَ فَتَرْضَى» (٥) ألم يجذبُ يتيمًا فاوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًاً فَهَدَى» [الضحى: ٤-٧] أي: أنه منذ ولادته ونشاته والله يتعهده بحفظه، فصانه عن دنس الشرك وظهوره وشق صدره وملاذه حكمة وإيماناً.

وكان رغم يقمه سيد شباب قريش، حيث رُوي أن عمّه قال حين خطب خديجة ليتزوجها فقال فتى لا يعادله فتى من قريش حلماً وعقولاً وخلاقاً إلا رجع عليه. *من رواية*

أ- أما قوله تعالى: «ولسُوْفَ يُعْطِيكَ رِبُّكَ فَتَرْضَى» قال بعض العلماء: يعطيه في الدنيا من إتمام الدين وإعلاء كلمة الله والنصر على الأعداء. والجمهور على أنه في الآخرة، وذلك مفصلاً مواضع آخر.

ب- قوله تعالى: «غَسَى أَن يَئْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا» [الإسراء: ٧٩]

وجاء في السنة بيان المقام المحمود: وهو الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، كما في حديث الشفاعة العظمى، حين يتخلّى كلّنبي ويقول نفسي، حتى يصلوا إلى سيد ولد آدم ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها.

ج- ومنها الحوض المورود والكوثر، ومنها الوسيلة، وهي منزلة عالية رفيعة لا تتبغى إلا للعبد واحد، كما جاء في الحديث: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على وسلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تتبغى إلا للعبد واحد وأرجو أن

أولاً : الإنعام الكثير عليه ﷺ :

يقول الله تعالى: «إِنَّ فَتَحْنَا لَكَ فَتَحًا مُبِينًا عَفْرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ثُنْكٍ وَمَا تَأْخُرَ وَيَتَمْ نِعْمَةً لَكَ وَبِهِنَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» [الفتح: ١-٢].

قال شيخ المفسرين الطبراني - رحمه الله - في قوله تعالى: «وَيَتَمْ نِعْمَةً عَلَيْكَ»: «أي بإظهاره إليك على ذوق ورفعه ذكرك في الدنيا وغفرانه ذنبوك في آخرة».

قال القرطبي: «يتم نعمته عليك في الجنة، وقيل نبوة والحكمة، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبين، نيل بخضوع من استكبار وطاعة من تجبر». وقال الشوكاني: «ويتم نعمته عليك بإظهار دينك الدين كله، وقيل بالجنة، وقيل بالنبوة والحكمة، لأولى أن يكون المعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام عمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم وهو دين سلام».

ثانية: عنابة الله تعالى بنبيه ﷺ :

وتظهر هذه العناية في :

ـ يقول الله تعالى: «وَالْخُثْرَ (١) وَاللَّئِلَ إِذَا جَى (٢) مَا وَدَعْكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» [الضحى: ١-٣]، أي: تخلى الله عنك أبداً وما قلاك ولا هجرك.

وفي السيرة يُروى ما يشهد لهذا المعنى: أن الله لي دائمًا كان يوالى حبيبه وخليله ﷺ ويحافظه، فقد غر له عمه، الذي قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوَسَدَ في التراب دقيئاً

ونذكر ابن هشام في رعاية عمه له أنه كان إذا جنل وأرادوا أن يناموا تركه مع أولاده ينامون حتى إذا كل مضجعه عمده إلى واحدٍ من أبنائه فاقامه ﷺ برسول الله ﷺ ينام موضعه وينهض بولده لينام

أكون أنا هو.

د- ومنها الشفاعة في دخول الجنة: كما في الحديث: «أنه أول من تفتح له الجنة، وأن خازن الجنة يقول له: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

هـ- ومنها الشفاعة المتعددة حتى لا يبقى أحد من أمهه في النار.

كما جاء في الحديث: «يا محمد، إنا سوف نرضيك في أمتك ولا ننسوك».

وـ- ومن ذلك أيضاً: شهادته على الرسل وشهادة أمهه على الأئم في حين أنه هو لا يحتاج من يشهد له.

ثالثاً: تعلمك الكتاب والحكمة:

قوله تعالى: «وَوَجَدَكَ ضَنَاً فَهَدَى» معناه: وجدك غافلاً مما تعلمه الآن من الشرائع وأسرار علوم الدين التي لا تعلم بالفطرة ولا بالعقل وإنما تعلم بالوحى، فهداك إلى ذلك بما أوحى إليك.

فمعنى الضلال على هذا القول: «الذهاب عن العلم» والدليل قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاكَ نُورًا نَهْيِي بِهِ مِنْ نَشَاءُ مِنْ عِيَادِنَا».

وقال تعالى: «وَعَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا».

وقال عز وجل: «وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبِيلِ الْغَافِلِينَ».

قوله تعالى: «وَوَجَدَكَ غَافِلًا فَأَغْنَيَ» أي: فقيراً، فاغناه بمال عمه، ثم ببذل خديجة رضي الله عنها، ثم بمواساة الأنصار، ثم جاعت غنائم حنين فاعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وأخيراً توفى ودرعه مرهونة في أصبع من شعير.

وكان غناه قبل كل شيء غنى النفس والاستغناء عن الناس، وكان أجود من الرحيم المرسلة، وأغناه الله أيضاً بما لم يعن أحداً غيره، وهو ما جاء في قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمْدُنَ عَيْنِيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَخْرُنَ عَيْنِيْهِمْ وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ».

قوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَ».

قيل: المراد بها ما أنعم الله به عليه، والتحدث بها: شكرها عملياً، من إيواء اليتيم كما أواه الله، وإعطاء السائل كما أغناه الله، وتعليم المسترشد كما علمه الله، وهذا من شكر النعمة.

وقيل: التحدث بنعمة الله هو التبليغ عن الله من آية أو حديث.

والنعمة هنا عامة لتنكيرها وإضافتها، كما في قوله: «وَمَنْ يَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» أي: كل نعمة هي من الله تعالى، وأعظم النعم وأولها وأظهرها هي نعمة

الوحى لقوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ بِيَنَا» [المائدة: ٣١]، فعدد

الله تبارك وتعالى عليه نعمه في السورة التالية.

رابعاً تشريفه بشرح صدره ورفع ذكره :

قال تعالى: «الْمُ شَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ

وَرِزْكَ».

قيل: هو شق صدره الشريف وغضله وملؤه

حكمة وإيماناً، وقيل: هو توسيعة للمعرفة والإيمان

وجعل قلبه وعاء للحكمة.

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: «الْمُ

شَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ» شرح الله صدره للإسلام، وعند ابن

كتير في تفسيرها نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً

واسعاً لقوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ يُشْرِحْ

صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامَ».

وقال: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامَ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ»، وقال: «وَوَضَعْنَا عَنْكَ

وَرِزْكَ»، ثم قال: «وَرَفَعْنَا لَكَ نِزْكَكَ».

وقوله تعالى: «وَرَفَعْنَا لَكَ نِزْكَكَ»

قيل: هو رفع حسي في الأذان والإقامة وفي الخطب على المنابر

وافتتاحية الكلام في الأمور الهامة.

واستشهادوا بقول حسان رضي الله عنه:

أَغْزَ عَلَيْهِ لِلنَّوْبَةِ خَاتَم

مِنَ الْمَشْهُورِ يَلْوُحُ

ويشهدُ

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخمس المؤذن

أشهد

وشق له من اسمه ليجله

فندو العرش محمود وهذا

محمد

ومن رفع ذكره ذكر صفتة واسمه في كتب الأنبياء قبله حتى عرف للأمم الماضية قبل مجده، ومن ذلك جعله تعالى الوحي ذكراً له ولقومه، لقوله تعالى: «فَاسْتَمْسِكْ بِالذِّي أَوْحَيْ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذَكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ».

فتبين أن رفع ذكره إنما هو عن طريق الوحي: «وَرَفَعْنَا لَكَ نِزْكَكَ»، «وَإِنَّهُ لَذَكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ»، ذكر عال ومرتفع سواء كان هذا عن طريق الوحي بخصوص من توجيه الخطاب إليه مثل خطاب الله سبحانه وتعالى للنبي دائمًا بالتكريم: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»، «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ»، «يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ»، وما صرخ باسمه إلا في مقام الرسالة «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» شهادة من الله عز وجل على صدق رسالته.

أيضاً يذكر اسمه في فروع التشريع سواء في الأذان والإقامة والتشهد، أو الخطب أو الصلاة عليه

.

رسوله مما يباح أن يفعل مع غيره - أموراً زائدة على مجرد التذكير بنبوته.

فمن ذلك أمر بالصلاحة عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه وجعلها قربة وعبادة مما لم ينله غيره من الأنبياء وجمعت صيغة الصلاة والسلام عليه جميع الخيرات، ومن صلى عليه مرتين صلى الله سبحانه وتعالى عليه عشرة حضنا للناس على ذلك.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيْمًا».

وتكلم الله سبحانه وتعالى عن نفسه بأنه تعالى بدأ بالصلاحة على النبي ﷺ ثم ثنى بالملائكة ثم أمر المؤمنين بذلك.

وهذا التشريف الذي شرف الله به رسوله ﷺ بهذه الآية هو أجمع واتم من تشريف أدم عليه السلام بسجود الملائكة له؛ لأن تشريفاً يصدر عن الله عز وجل يبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم فيه والملائكة لا يحصي عددهم إلا الله. وأمر الصلاة مستمرة أيام الليل وأطراف النهار، وأنه سبحانه أخبر أن النبي ﷺ «أَوْتَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ».

فمن حقه أن يحب وأن يؤثر العطشان بماء والجائح بالطعام وأنه يجب أن يُوقى بالأنفس والأموال. يقول تعالى: «مَا كَانَ لَاهُلُ الدِّيْنِ وَمَنْ حَوَّلُهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغُبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ».

يقول حسان رضي الله عنه:
فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمدٍ منكم

وقائه

ومن حقه أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق؛ لقوله تعالى: «قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْنَائُكُمْ إِخْرَاجُكُمْ وَأَرْوَاحُكُمْ وَعِشْرِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةُ تَحْشِّونَ كَسَانَهَا وَمَسَانِكُنَّ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ».

وفي الصحيح من قول عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لانت أحب إلىي من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك». قال: فانت والله يا رسول الله أحبث إلىي من نفسي. قال: «الآن يا عمر».

ومن ذلك أمر الله تعالى بتعزيره وتقويره، قال تعالى: «وَتَعْزِيزُهُ وَتَوْقِرُهُ»، والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

حتى إن اسمه يقترب باسم الله تعالى: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».. خامساً: إنعامه عليه بالخير الكبير:

قال تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»، قيل: هو علم، وقيل: هو صفة.

وعلى العلمية قالوا هو علم على نهر في الجنة، وعلى الوصف قالوا إنه فوعل أي الخير الكبير، وما ستدل به على العلمية ما جاء في السنة من الأحاديث لصحاب منها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما عرج برسول الله ﷺ إلى السماء قال: تيت على نهر حافظ قباب اللؤلؤ مجوف فقلت: ما هذا أجريل، قال: هذا الكوثر. فالكوثر علم على هذا النهر في الجنة.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما في بخاري سئلت عن قوله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» ما: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليهما در جوف أنته كعدد النجوم.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافظه من ذهب ماء يجري على اللؤلؤ وما وراءه أشد بياضاً من اللبن أحلى من العسل». الترمذى وقال حسن صحيح. وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ل في الكوثر هو الخير الذي أعطاهم الله إياه. وما سئل سعيد بن جبیر: إن الناس يزعمون أنه يكوثر، نهر في الجنة، قال: النهر الذي في الجنة، الخير الذي أعطاهم الله إياه.

إذن الكوثر هو الخير الكبير والحووض أو النهر هو جملة ذلك الخير الكبير الذي أعطاهم الله عز وجله، وهذه الآية نزلت ردًا على من عَيَّرَ النبي ﷺ قطاع نسله من الذكور.

وفي هذه الآية دفاع من الله مباشرة عن النبي ﷺ يقل: «قل: ولكن قال: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) مَلَّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرَ (٢) إِنْ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

واستدل العلماء بهذه الآية الكريمة على أن الذين أرسوا الله ﷺ بهذا لأبد أن نسلهم قد انقطع إما نية وإما حكماً، فإنه إذا كان أولادهم دخلوا في سلام فقد انقطع نسلهم حكماً.

садس حقوق النبي ﷺ على أمهاته

ومن النعم التي امتن الله عز وجل بها على نبينا مد ﷺ ما أوجبه له على القلب واللسان والجوارح حقوق زائدة على مجرد التصديق بنبوته، والله رب وتعالى لم يكتف منا بمجرد التصديق بالله لى نفسه وإنما أوجب زيادة على ذلك عبادات على بـ والجوارح واللسان، وحرم سبحانه - لحرمة

ومن خصال كماله **ما جبله الله عليه من كمال خلقته، وجمال صورته وقوه عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزه قومه، وكرم أرضه.**

وأما خصاله المكتسبة الأخروية، فسائل الأخلاق العلية، والأداب الشرعية من الدين والصبر والشكر والعلم والحلم، والعدل والزهد والتواضع، والعفو والغفوة، والجود والشجاعة والحياة والمروعة، والصمت والثأدة، والوقار والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة وغيرها من الأخلاق التي جماعها حسن الخلق.

وإذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرنا، ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين، إن اتفقت له إما من نسب، أو جمال، أو علم، أو حلم أو قوة أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويُضرب به الأمثال ويترقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرةً وعظمةً.

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال، إلى ما لا يحصله عده ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بحسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال. من فضيلة النبوة والرسالة، والخلة والشفاعة، والوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة والمقام المحمود، والبراق والمراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلوة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والفتارة، والمكانة عند ذي العرش والطاعة والأمانة، والهداية، ورحمة للعالمين وإعطاء الرضا والسؤال والكوثر، وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عمما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزن، ورفع الذكر، وعزّة النصر، ونزول السكينة، والتاييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثانى والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله، وصلة الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، وتکليم الجمادات والعجم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتکثير القليل، وانشقاق القمر، ورد الشمس، والنصر بالرعب، وظل الغمام، وتسبیح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى ما لا يحتويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك سبحانه، ومفضلته به لا إله غيره، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل ودرجات القدس ومراتب السعادة الحسنى التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراها الوهم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والتوقيف: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التكريم والتشريف والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار، ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى خصه في المخاطبة بما يليق به، فقال عز وجل: **«لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَذَّابًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا»**، فنهاهم أن يقولوا: يا محمد، يا أحمد، يا أبا القاسم، وإنما يقولون: يا رسول الله، يا نبى الله.

ومن ذلك: أنه حرم التقديم بين يديه بالفعل أو بالكلام حتى ياذن، واعتبر التقديم بين يديه تقليماً بين يدي الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك أنه حرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهز له بالكلام كما يجهز الرجل للرجل، وأخبر أن ذلك سبب لحبوط العمل، فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر لأن العمل لا يحيط إلا به.

ومن ذلك أنه حرم على الأمة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل بعضهم بعضاً تبيئاً له، مثل نكاح أزواجه من بعده: **«وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْنِتُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَأْ إِنْ تَذَكَّرُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا»**.

وأوجب على الأمة من أجله احترام أزواجه وجعلهن أمهات المؤمنين، وأمهاتهم في التكريم والاحترام: **«الثُّنُيُّ أَوْتَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِ أَمْهَاتُهُمْ»**. ومن نعمه عليه: مدحه له، وفتاؤه عليه، حيث قال تعالى: **«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»**، وقال تعالى: **«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّقُونِي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ثُبُوكُمْ»**، وقال تعالى: **«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»**.

ومن لطفه تعالى بنبيه **قال عز وجل: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذَّتْ لَهُمْ»** حتى لا ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام فقدم العفو على هذا الكلام فهذا غاية في الإكرام؛ لأن الله تعالى عاتب الأنبياء عليهم وعلى نبينا السلام بعد الأفعال، وعاتب نبينا قبل وقوعها، قال تعالى: **«وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَا لَقَدْ كَيْنَتْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا»**.

خصال الكمال للنبي ﷺ

قال جعفر بن محمد في بيان عظم قدر النبي **ﷺ**: **«من تمام نعمته عليه أن جعله نبيه، وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى محل الأعلى، وحفظه في المراج، حتى ما زاغ البصر وما طفى، وبعثه إلى الأحمر والأسود، وأحل له ولأمهاته الغنائم، وجعله شفيعاً مشفعاً وسيد ولد آدم، وقرن ذكره بذكره، ورضاه برضاه، وجعله أحد ركني التوحيد، ثم قال: إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَهُ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ»**.

الصوفية والشيعة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن المتبع لتاريخ النشأة وحقيقة الصلة بين الشيعة والصوفية، يجد أنهما ينبعان من مصدر واحد، ويلتقيان في نهاية المطاف نحو هدف واحد، ويرى الخبر بحقيقة التصوف والتشيع أنهما وجهان لعملة (مزيفة) واحدة، فكلاهما حرب على الإسلام، ويشتراكان في تصورات وعقائد فاسدة منها:

ثم قالوا: بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قال الشيعة في النقباء حتى إنهم لما ارتدوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك سيرهم وأخبارهم.

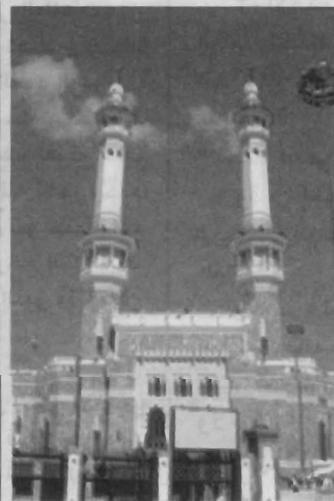
(مقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣).

وهكذا يقرر ابن خلدون تطابق التصوف مع التشيع في القول بالعلم الباطن ومراتب الولاية والقول بالحلول والاتحاد.

ـ ادعاء العلوم الخاصة:

يدعى الشيعة بأن عندهم علوماً خاصة ليست مبنولة لعامة المسلمين وينسبونها لأهل البيت (بيت النبوة)، ومن ذلك ادعاؤهم أن لديهم «محض فاطمة» الذي يعدل القرآن الذي يайдي المسلمين ثلاثة مرات، ويزعمون أن محمدًا بعث بالتنزيل، وأن علياً بعث بالتأويل. «فرق الشيعة ص ٣٨٢».

وعلى هذا المنوال نسج الصوفية، فزعموا أن عندهم ما يسمى بـ «علم الحقيقة»، وعند غيرهم «علم الشريعة»، وأن الله جبارهم بعلوم «الدنيا»، بينما أهل الظاهر يأخذون علمهم عن الأموات، حتى قال كبيرهم



يعرف لأولئك، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب، ومعناه: رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد من مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب «الإشارات» في فصول التصوف منه، وهو بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم.

فانظر كيف سرقوا طباع القوم هذا الرأي من الرافضة، ودانوا به، بالحلول وإلهية الأئمة مذهبًا لم

ـ تقدير القبور والمشاهد: تقدس القبور وزيارة المشاهد ركن من أركان المعتقد الشيعي، فالشيعة هم أول من بني المشاهد (القباب) على القبور، وجعلوها شعاراتهم. (رسائل إخوان الصفا ١٩٩٤). وجاء الصوفية وجعلوا أمه شعائرهم زيارة القبور وبناء الأضرحة والطواوف بها والتبرك بأحجارها والاستفادة ب أصحابها، ولذلك زعموا أن قبر معروف الكرخيـ أحد كبارائهمـ هو الترياق المجرب. «طبقات الصوفية للسلمي ص ٨٥».

وهذه الصلة بين التصوف والتشيع أمر أقر به المؤرخون كابن خلدون، قال: «ثم إن هؤلاء المتأخرین من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملؤوا الصحف منه مثل الhero في كتاب «المقامات» له وغيره وتبعدهم ابن عربى وابن سبعين وتتميذهم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائىلى فى قصائدھم، وكان سلفھم مخالفين للإسماعيلية المتأخرین من الرافضة الدائنين أيضًا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبًا لم

والحاكمان على الشريعة

إعداد / معاوية محمد هيكل

البصراوي، ومن الوكيل يتكلّم الغوث ولذلك يسمى وكيلًا لأنّه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان.

قال: والتصريف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرّفون تحته، والصفوف ستة من وراء الوكيل، وتكون دائرة من القطب الرابع الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة فالاقطاب السبعة هم أطراف الدائرة، وهذا هو الصف الأول وخالطه الصف الثاني على صفتة وعلى دائرة، وهذا الثالث.

ثم زعم أن النبي ﷺ يحضر الديوان: فإذا حضر جلس في موضع الغوث، وجلس الغوث في موضع الوكيل، ثم ادعى أن ساعة انعقاد الديوان هي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ لأنها ساعة استجابة. «الإبريز» ص ١٦٤.

ثم استمر في هرائه وضلاله مبيناً لغة أهل الديوان وأنها السريانية، ثم يقول: قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره، فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يجب اختلافهم، فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً، وأما إذا حضر الغوث فلا يقدر أحد أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن النطق بها، فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان فضلاً عن شيء آخر.

ثم يبين سبب اجتماع أهل



في الكون أعلاه وأسفله ويعلمون الغيب كلّه، ولذلك اخترعوا ديواناً للأقطاب والأوتاد والأبدال ليدير شئون الكون من خلال قراراته، يقول أحمد بن مبارك السلماني المغربي في وصف الديوان الباطني الصوفي: «سمعت الشيخ هو عبد العزيز الدباغ الذي يدعى علم الأولين والآخرين رضي الله عنه يقول: الديوان يكون بغار حراء الذي كان يتحنث فيه

الرسول ﷺ قبلبعثة».

قال رضي الله عنه: فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكيّة على مذهب مالك بن إنس رضي الله عنه وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الأخرى، والوكيل أمامة، ويسمى قاضي الديوان وهو في هذا الوقت مالكيّ أيضًا من بنى خالد القبطاني بناحية البصرة وأسمه سيدى أحمد بن عبد الكريم

البساطامي: «خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحلها».

وبهذا يتضح التطابق بين التصوف والتشيع في عقيدة العلم الباطني.

٣- تقدیس الأنمة والأولیاء:

ألقى الشيعة على أنفاسهم هالة من التقديس حيث نسبوا إليهم منزلة فوق منزلة الملائكة المقربين والأنبياء المسلمين، كما قال الخميني (إمام الصلاة) في كتابه «الحكومة الإسلامية»: «من ضروريات مذهبنا أن لا نؤمن مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبني مرسلاً». بل أعطاهم صفات رب العالمين، حيث قال: «إنهم

يتحكمون في ثرات هذا الكون».

بل وصل الفساد العقدي مداه عندما زعموا أن طين القبور فيه الشفاء حيث يقول الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» (١٦٤/٢): «يستثنى من الطين قبر سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام للاستفهام، ولا يجوز أكله بغيره، ولاأكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة، ولا يلحق به طين غير قبره، حتى قبر النبي ﷺ».

فيما له من معتقد مثير أصبح للشريك فيه قوانين، وهكذا أفسد الشيعة على الناس عقائدهم، وهذا هو معتقد الخميني الضال الذي يفخر به ويعتز حسن نصر الله حتى وضع صورته في مكتبه وهو يقبل يده تكريماً له وتمجيداً، إلا سوء ما يزرون.

وهي الصوفية وإدارة شؤون الكون وهذه الصفات أطلقها الصوفيون على من سموهم «الأولىء» فقد جعلوهم المتصرفين

الديوان:
«إن أهل
الديوان
إذا
اجتمعوا
اتفقوا على
ت إلى مثله
ب الله عنهم
له عز وجل
والليلة التي

قال رضي الله عنه: وله
التصرف في العالم كلها السفلية
والعلوية وحتى في الحجب
السبعين وحتى في عالم الرقى -
وهو ما فوق الحجب السبعين،
فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله
وفي خواطرهم وما تهمس به
ضمائرهم، فلا يهمس في خاطر
واحد منهم شيء إلا بإن أهل
التصرف رضي الله عنهم أجمعين،
وإذا كان هذا في عالم الرقى الذي
هو فوق الحجب السبعين التي
هي فوق العرش فما ظنك بغيره
من العالم». الإبريز ص ١٦٢

إذن هذا بيت القصيدة، فماذا
أبقى هؤلاء - الذين كذبوا على
ربهم - لربهم يتصرف فيه ويدبر
أمره، «اللَّهُ أَكْلَمُ الْحَقِّ وَالْأَمْرُ تَبَارِكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»، سبحانه
وتعالى عما يفترى عليه
الخراسون، «كَبَرَتْ كَلِمَةٌ تَحْرُجُ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَنْسِنَا»
«الكاف»،^٥ إنه العدوان الأثم على
شرع الله الحكيم.

٤- الصوفية والشيعة في خندق واحد

مجمع أعداء الإسلام:

لم تقتصر الصلة بين الصوفية والشيعة على الأقوال، بل تعدت إلى الأفعال، حيث عملا مشتركين على هدم الدولة الإسلامية السننية، وتعاونوا مخلصين مع أعدائها.

لقد أنهكت الحركة الباطنية
الدولة الإسلامية زمن بنى العباس
واقتسموا ولاليتها، ونشرروا
الزندقة والإلحاد، حتى جاء صلاح

لم تقدر
الصلة بين الصوفية
والشيعة على
الأقوال، بل تعددت
إلى الأفعال، حيث
عما مشتركين على
هدم الدولة
الإسلامية السنوية،
وتعاونوا مخلصين مع
أعدائهم.

ال المسلمين أهل القرآن .
كما قد جرّئه الناس غير مرة
في إعانتهم للمشركيين من الترك
وغيرهم على أهل الإسلام
بخراسان والعراق والجزيرة
والشام وغير ذلك، وإعانتهم
للنصارى على المسلمين بالشام
ومصر وغير ذلك في وقائع الإسلام
في المائتين الرابعة والسبعين؛ فإنه
مما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام
وقتل من المسلمين ما لا يحصى
عده إلا رب الأنان كانوا من أعظم
الناس عداوة للمسلمين، ومعونة
للكافرين، وهذا معاونتهم للبيهود
أمر شهير، حتى جعلهم الناس لهم
كالحمير». «منهاج السنة»، ٢٠/١ .
٢١

وقال ابن قيم الجوزية رحمة الله: «وكان هؤلاء زنادقة يستترون بالرفض، ويبطئون الإلحاد المضى، وينتسبون إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، وهو وأهل بيته

الدين وأعاد للمسلمين دولتهم
السننية، وتوجهت همتهم إلى
تطهير البلاد من الصليبيين، ولكن
الرأوفون بقوياً يحفرون الآخرين
حتى استطاع الخواجة التنصير
الطوسي مع ابن العلة - مي
وممستشاره ابن أبي الحميد من
توجيه جيوش التتار إلى بغداد
عاصمة الخلافة فخر بلاد
الإسلام وقتل من المسلمين ما لا
يحصيه إلا رب الأنام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله: «فملأحة الإمام علي
والنصيرية وغيرهم من الباطنية
المناقفين من بابهم دخلوا، وأعداء
المسلمين من المشركين وأهل
الكتاب بطريقهم وصلوا،
واستولوا على بلاد الإسلام،
وسبوا الحرمين، وأخذوا الأموال،
وسفكوا الدم الحرام، وجرى على
الأمة بمعاونتهم من فساد الدين
والدنيا، ما لا يعلمه إلا رب
العالمين». منهاج السنة للستة
١١٠١/١٠١

٢٠ عداء الشيعة لأولياء الله

وقال: «وهذا حال أهل البدع
المخالفة لكتاب والسنة، فإنهم إن
يتباعون إلا الفتن وما تهوى
الأنفس، ففيهم جهل وظلم، لا
سيما الرافضة فإنهم أعظم ذوي
الاهواء جهلاً وظلاماً، يعادون خيار
أولياء الله تعالى بعد النبئين من
السابقين الأولين من المهاجرين
والأنصار والذين اتبعوهم
بإحسان رضي الله عنهم ورضوا
عنهم، ويولون الكفار والمنافقين من
اليهود والنصارى والمرشكين
وأصناف الملحدين؛ كالنصيرية
والإسماعيلية وغيرهم من
الضالين، فتجدهم أو كثيراً منهم،
إذا أخذتهم خصمان في ربهم من
المؤمنين والكافر، واختلف الناس
فيما جاءت به الأنبياء، فمنهم من
آمن ومنهم من كفر، سواء كان
الاختلاف بقول أو عمل كالحروب
التي بين المسلمين وأهل الكتاب
والمرشكين، تجدهم يعاونون
المشركين وأهل الكتاب على

بالتراب
الذي تطؤه،
وقد
استطاعت
هذه المرأة
إدارة
الزاوية
التيجانية كما
تحب فرنسا وكسبت للفرنسيين
مزارع خصبة ومراعي كثيرة،
ولذلك أنعمت عليها فرنسا بوسام
الشرف. «مخاري الولي الشيطاني
.». ص ١٢

وساعد التجانين الجيوش
الفرنسية حتى إن الشیخ محمد
الکبیر صاحب السجادة التجانیة
الکبری وخلیفة الشیخ احمد
التجانی مؤسس الطریقة. قال فی
خطاب له أمام رئیس البعثة
العسکریة الفرنسيّة فی مدینة
«عین ماضی» المركز الرئیسي
للطریقة التجانیة بتاریخ ۲۸ ذی
الحجۃ ۱۳۵۰هـ: «إن من الواجب
 علينا إعانته حبیبة قلوبنا فرنسا
 مادیاً و معنویاً وسياسیاً، ولهذا
 فإنني أقول لا على سبيل المن
 والإفتخار ولكن على سبيل
 الاحتساب والشرف والقيام
 بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا
 صنعاً في اتضمامهم إلى فرنسا
 قبل أن تصل إلى بلادنا، وقبل أن
 تتحل جيوشها الكرام ديارنا». «مخازی الولی الشیطان ص ۱۲».

وبعد، فهذا غيض من فيض عن عقائد القوم ومحاصيلهم على الإسلام والمسلمين، فهل يعتبر المتممون إلى بعض التيارات الإسلامية المعاصرة والذين لا يكفون عن مدح الصوفية والشيعة، والإشادة بهم، وكانهم قادة الإسلام ومحماته، وهل يقبل الشباب على طلب العلم ليتعرف على منهج دينه القويم، وهل يعي الشباب ويدرك حجم المؤاشرة التي تدور عليه للتغريب به وإبعاده عن منهج أهل السنة والجماعة الذي فيه العصمة والنجاة في الدنيا والآخرة؟ هذا ما تأمله وترجوه.

التجييف جمادى الآخرة ١٤٢٨ھ ٤٥

لعرش إله يعبد البتة.
واتخذ الملاحدة مدارس
وحاول جعل إشارات إمام
الملحدين ابن سينا مكان القرآن
لم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن
لخواص، وذلك قرآن العوام،
وحاول تغيير الصلاة وجعلها
صلاتين فلم يتم له الأمر، وتعلم
السحر في آخر حياته، فكان
ساحراً يعبد الأصنام، وبالجملة
كان هذا الملحد هو واتباعه من
الملحدين الكافرين بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر». ٢٦٧، ٢٦٦/٢
اغاثة اللهفان

١٠٠ إمام الصلاة الخميني يمتحن الطوسي
هذه الفعال القبيحة يشيد بها
إمام الصلاة الخميني فيقول:
ويشعر الناس بالخسارة أيضاً
بفقدان الخواجة نصير الدين
الطوسي وأمثاله من قدموا
خدمات جليلة للإسلام». «الحكومة
الإسلامية من ١٢٨».

٢٩
وَأَمَّا الْمُتَصْوِفَةُ فَأَكْثُرُهُمْ يُسِيرُ
يَرْكَابَ الظَّلْمَةِ وَالْمُسْتَعْمِرِينَ،
أَنْتُمْ تُرْبِوُا عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ
شِعْرَانِي: «أَخْذُ عَلَيْنَا الْعَهْدَ بِأَنَّ
أَمَرْ إِخْوَانَنَا أَنْ يَدْوِرُوا مَعَ الزَّمَانِ
أَهْلَهُ كَيْفَ دَارُوا، وَلَا يَزِدُونَ قَطَّ
نَرْفَعُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا فِي أَمْوَالِ
لَدُنْنَا وَوَلَيْتَهَا». «الْبَحْرُ الْمُورُودُ

٢٠ دور الطريقة التجانية في ترسيخ أقدام فرنسي في الجزائر
وقد لعبت الطريقة التجانية دوراً في ترسيخ أقدام فرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية، وفي سنة ١٨٧٠ م استطاعت امرأة فرنسية تسمى «أوريلى بيكار» أن تخرق الزاوية التجانية وتتزوج منشيخها سيد أحمد، ولما هلك تزوجت أخاه سيدى علي، وأصبحت هذه المرأة مقدسة عند التجانين، وأطلقوا عليها لقب «زوجة السيدين» وكانوا ينتظرون

لقد وصل الفساد
العقدي عند الشيعة
مداده عندما زعموا أن
أكل طين قبر الحسين
فيه شفاء من
الأمراض.
ذنبه وذباله من
الشريك وأهله

براء منهم نسباً وديناً، وكانتوا
يقتلون أهل العلم والإيمان،
ويعدون أهل الإلحاد والشرك
والكفران، لا يحرمون حراماً، ولا
يحلون حلالاً، وفي زمنهم
ولخواصهم وضعوا رسائل إخوان
الصفا.

٥٥ الشيعة يفسرون في الأرض ولا يصلاحون
وَلَا انتهَت النُّوَيْة إِلَى نَصِيرِ
الشَّرِكِ وَالْكَفَرِ الْمَلَاهِدِ، وَزَيْرِ
الْمَلَاهِدِ، النَّصِيرِ الطَّوْسِيِّ وَزَيْرِ
هُولَاكُو شَفَاعَتْفَسَهُ مِنْ أَتَبَاعِ
الرَّسُولِ وَاهِلِ دِينِهِ، فَعَرَضُهُمْ عَلَى
السَّيْفِ حَتَّى شَفَاعَ إِخْرَانِ الْمَلَاهِدِ،
وَاشْتَفَى هُوَ، فَقُتِلَ الْخَلِيفَةُ
وَالْقَضَاءُ وَالْمَحْدُثَيْنِ، وَاسْتَبَقَ
الْفَلَاسِفَةُ وَالْمَنْجَمِينُ وَالْطَّبَائِعِينُ
وَالسَّحْرَةُ، وَنَصَرَ فِي كُتُبِهِ بِطَلَانُ
الْمَعَادِ، وَأَنْكَرَ صَفَاتَ الرَّبِّ جَلَّ
جَلَالَهُ، مَنْ عَلِمَهُ وَقَدْرَتَهُ، وَحِيَاتَهُ
وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَأَنَّهُ لَا دَاخِلُ
الْعَالَمِ لَا خَارِجَهُ، وَلَيْسَ فَوْقَ

الصوفية ...

الحمد لله الذي جعل اتباع رسوله على محبته دليلاً، وأوضح لهم طرق الهدایة ملئ شاء أن يتخد إليه سبيلاً،
وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة عبد لم يتخد من دونه وكيلًا، وشهادـ أن محمدًا عبده ورسوله، أكمل الناس هدياً
وأقامهم قيلاً، وبعد:

فأقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية، منذ نشأتها الأولى، وعبر تاريخها الطويل؛ على دعوة الناس إلى التمسك بالقرآن والسنّة بفهم سلف الأمة، والتحذير من المناهج الضاللة والأفكار المترنخة عن منهج أهل السنة والجماعة؛ كالروافض والخوارج والصوفية وغيرهم، ولقد مارس أساطين الصوفية وكبارؤوهم على مدار التاريخ تضليلًا واسعًا لجماهير المسلمين، وتشويهًا كبيرًا لحقائق الدين، حتى ظن كثير من الناس أن ما عليه الصوفية هو المنهج الحق.

«رفعني مرة فأقامني بين يديه
وقال لي: يا أبا يزيد، إن خلقى
يحبون أن يرون، فقلت: زيني
بوحدانيتك، وألبسني أنا نيتك،
وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا
رأني خلقك قالوا: رأيناكم، فنكون
أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا».
 (الملع: ٤٦١).

ولكن كفى المتصوفة خزيًّا أن
يعترف ابن الفارض المسمى
سلطان عاشقיהם بأنه كان يسعى
وراء السراب، فقد قال شيخ
الإسلام ابن تيمية: «كان هذا
القاتل ينشد عند الموت:
إذا كان منزلي في الحب
عنكم

ما قد لقيت فقد ضيّعت أيام
أمنية ظفرت بها نفسى زماناً
واللّيوم أحسبها أضغاث
الحال (مجموع الفتاوى١١/٢٤٨، ٢٤٧).

استدلالات صوفية فاسدة

(١٩٥ السخا،)

هذا الحديث يؤكد التبایان
والتفایر، فهناك عابد و معبود،
وسائل و مسئول، و عائد و مستعيد،

وكان يقول: «من الهو؟ هو رب
اللأرباب المتصور في كل صورة إلى
عبدة فلان». (تبليس إبليس ص ١٤٥).
قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنًا
فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا.
(الطوابين ص ٣٤).

ويقول ابن الفارض:
وما كان لي صلى سواي ولم تكن
صلاتي لغيري في أداء كل ركعة.
(تغريب الفارض، ج ٢، ص ٦٤)

يقول التستري:
أنا المحب والمحب
معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص (١٣٩).
قال أبو بزید الدیسپاتام:



وفي هذا المقال نبين - بمشيئة الله تعالى - جملة من خلالات القوم وانحرافاتهم العقدية، ثم نكشف زيف ما اعتقادوه، وبطalan ما اعتقوه، وذلك من خلال كتابهم وما سطروه. ليهك من هلك عن بيته ويحي من حي عن بيته عقيدة الحلو والاتحاد عند الصوفية الحلو والاتحاد - في عقيدتهم - هو القول بأن الله يحل في الإنسان، تعالى الله عن ذلك، وقد خيل لطوائف من المتتصوفة أن الذي يسلك العلم الباطني سيصل في النهاية إلى الفناء في ذات الله، وعندها يحل في تلك الذات فتتصير مزيجاً من الالاهوت والناسوت، والصورة الظاهرية ناسوت، والحقيقة الباطنية لاهوت، وتزعم هذا الاتجاه الحلاج، وأبن الفارض، وأبن سبعين، وغيرهم خلق كثير من المتتصوفة.

وإليكم أقوالهم التي نبراً إلى
الله تعالى منها:
قول الحلاج - عليه من الله

ما يستحق:-
سبحان من أظهر ناسوتة
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بداخلة ظاهرًا
في صورة الأكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقة
لحظة الحاجب بالحاجب.
(الطوباني ص ١٢٩).

والخلل العقدي

إعداد / معاوية محمد هيكل

وتكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه، فبينما ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزع أبو حمزة وقال: لبيك لبيك، فنسبوه إلى الزندقة، وقالوا: حلواني زنديق، وبيع فرسه بالمتاداة على باب الجامع: هذا فرس الزنديق.

(تبلیس بیلس ص ۱۶۹، ۱۷۰).

وكان أبو الحسن النوري إذا سمع نباح الكلاب قال: لبيك لبيك.
(اللمع ص ۴۲).

يقول ابن أبي العز الحنفي: «وهذا القول أفضى بقوم إلى القول بالحلول والاتحاد، وهو أقرب من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بال المسيح، وهؤلاء عمموا جميع المخلوقات، ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة». (فصوص الحكم ص ۲۱).

ومن فروعه: أن عباد الأصنام على حق وصواب، وأنهم عبدوا الله لا غير.

(هذه الصوفية ص ۳۴، ۳۵).

ومن فروعه: أنه لا فرق في التحرير والتخليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنبي والنكاح، والكل من عين واحدة، بل هو العين الواحدة.

ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(شرح العقيدة الطحاوية ص ۷۹).

هذه العقيدة ذروة سنم الكفر، فيها هدموا جميع الأديان، وأبطلوا جميع الشرائع، واستحلوا كل المحرمات، واستووا في نظرهم المؤمن والفاشق

بهاء الدين البيطار:
وما الكلب والخنزير إلا إلها
وما الله إلا راهب في كنيسة.
(المع ص ۴۹۵).

وقد سلك بعض المتصوفة مسلك التأويل للخروج من هذا الإفك كعادتهم فزعموا أن البيطار يريد بقوله: «إلها» إلى هنا، وأنه أشار تحت قدمه، ولكن عجز البيت بهاته وفضحهم، وهو قوله: وما الله إلا راهب في كنيسة.

وهذه عقيدة القوم كما هي ينقلها أبو نصر الطوسي: «وبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار حارت المحاسبي، وكان لحارث دار حسنة وثياب نظاف، وفي داره شاة مرغية، فصاحب الشاة مرغية، فشقق أبو حمزة شهقة وقال: لبيك يا سيدي، قال: فغضب الحارت وعمد إلى سكين، فقال: إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أنبحك. قال: فقال له أبو حمزة: أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنت فيه فلم لا تأكل النخالة بالرماد». (صوفيات: ص ۲۷).

بينما تزعم المتصوفة أن الله يحل في ذات العبد فإذا هو هو ويصيحان ذاتاً واحدة.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «ومن أشار إلى غير ذلك، فإنما يشير إلى الاتحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه». (إيقاظ الهم ص ۵۲۴).

واحتج آخرون بحديث: «ما وسعتنى سمائي ولا أرضي، ولكن وسعنى قلب عبدي المؤمن». وهو حديث لا أصل له.

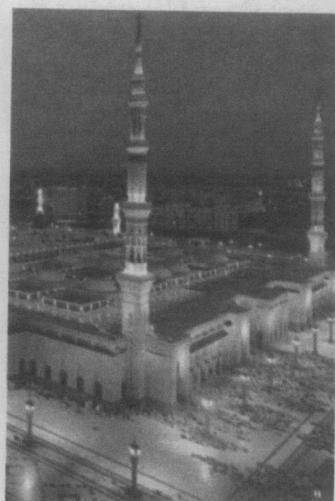
٢٠ وحدة الوجود
إن الحلول والاتحاد قد أفضى بالصوفيين إلى القول بوحدة الوجود، وهذا اصطلاح في الفكر الصوفي يعني أنه ليس هناك موجود إلا الله، فليس غيره في الكون، وليس هناك شيء آخر معه، وما هذه الظواهر إلا مظاهر ذات واحدة هي الله: «سُلْطَانَ رَبِّ الْعَرْضَةِ عَمَّا يَصِفُونَ». (الصفات: ۱۸).

يقول ابن عربي: «فما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله، وسبحانى كابي يزيد البسطامي». (الفتوحات المكية ۱/ ۳۵۴).

ويقول: الرب حق والعبد حق يا ليت شعرى من المكلف إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكفى

فوقتاً يكون العبد ربًا بلا شك وووقتاً يكون العبد عبدًا بلا إفك. (فصوص الحكم ص ۹۰).

وقد بلغ جرأتهم على الله تعالى أن يقول شاعرهم محمد



والتنقية
والشذوذ
والإسلام
وال مجرم
والحي والمت
والميت، ساء ما

يحكموه.

قال تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ أَمْتُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ» (ص: ٢٨)، وهذا الذي نذكره هنا لا نقرره استنباطاً واجتهاداً، وتحملاً للألفاظ ما لا تطيق وتحتمل، بل هو قولهما بأفواهم، فها هو شيخهم الأغبر ابن عربى «النكرة» يترنم بكفره، ويجاهر بفسقه في «الفتوحات المكية»:

عقد البرية في الإله عقائد
وأنا أعتقد جميع ما اعتقاده
وقال:

وكل كلام في الوجود كلامه
سواء علينا نثره أو نظامه
ولذلك شن هؤلاء المتهوكون
الغاراة على توحيد المسلمين
ووصفوه بالأوحال، كما في صلاة ابن مثيش حيث يقول: «وزوج بي
في بحار الأحادية، وانسلبني من
أوحال التوحيد، وأغرقني في عين
بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا
أسمع ولا أحس إلا بها». (الفتحة
العلية في الأوراد الشاذالية ص: ١٦).

ويصف بعضهم التوحيد الذي
بعث الله به المسلمين توحيد
العوم، فهذا الغزالى يقول: «لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ تَوْحِيدُ الْعَوْمَ، وَلَا هُوَ إِلَّا
هُوَ تَوْحِيدُ الْخَوَاصَ، لَأَنَّ ذَلِكَ أَعْمَّ
وَهَذَا أَخْصُ وَأَكْمَلُ وَأَحْقَقُ». (مشكاة الأنوار ص: ٢٤).

دعاواهم فاسدة وحجهم داحضة

١- الآيات الداحضة لدعوى
المشركين أن شيئاً من خلق الله
جزء منه، قوله تعالى: «وَجَعَلُوا
لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُرْعَاءً إِنَّ إِنْسَانَ
الْكُفُورِ مُبِينٌ» (الزخرفة: ١٥)، وقوله
تعالى: «وَجَعَلُوا بَنَّةً وَبَنِينَ
الْحَنَّةَ سَبَّا وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّةَ
إِنَّهُمْ لَمْ حَضِرُوكُنَّ» (١٥٨) سنجحان الله

أصبح المراد بها: لا موجود على
الحقيقة إلا الله، و واضح أن
الاعتراف بوحدة الوجود في
صورتها المجردة قضاء تمام على
كل معالم الدين المنزل، ومحو لهذه
المعالم حموا كاماً». اهـ.

وهكذا يعترف بفساد المعتقد
الصوفى مستشرق، ولا يزال
أساطين الفكر الصوفى تأهبون
غارقون لا يعرفون ربهم ويزعمون
أنهم سدنة الدين وحماته وحملة
لوائه: «الآسأاءَ مَا يَرِزُونَ»
(الانعام: ٣١).

النور المحمدى

ومن مذهب وحدة الوجود نشا
 عند المتصوفة الاعتقاد في
الاقطبان، والأوتاد، والأبدال،
 والأغوات، والنجباء، بان روح الله
 حلت فيهم، فهم المتصروفون في هذا
 الوجود، القائمون مقام الله في
 الخلق والأمر، وهذا أيضاً اعتقاد
 الشيعة في أئمتهم: «فإن للإمام
 مقاماً محموداً ودرجة سامية
 وخلافة تكوينية تخضع لوليتها
 وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون،
 وأن من ضروريات مذهبنا أن
 لأنفسنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب،
 ولا نبى مرسى، وبموجب ما لدينا
 من الروايات والأحاديث فإن
 الرسول ﷺ والأئمة (ع) كانوا قبل
 هذا العالم أنواراً فجعلهم الله
 بعرشه محدثين».

(الحكومة الإسلامية ص: ٥٢).

إن الصوفيين وهم يحررون
وراءهم الوفا من المسلمين في كل
افق، لم يتنسوا وقد رفعوا أصحاب
الوقت إلى مقام الربوبية أو مقارب
منه أن يجعلوا للرسول مكاناً بين
هؤلاء المتصوفين في الكون خلقاً
 وأمراً، ونفعاً وضرراً، وقضاءً
 وقدراً، فابتدعوا للرسول مقالة
«الحقيقة المحمدية» التي أخرجوا
بها رسول الله ﷺ من عالم البشر،
 فجعلوه النور الذي خلق منه كل
 شيء، ولأجله كل شيء: «كَيْرَتْ
 كَلْمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ
 إِلَّا كَذِبَاً» (الكهف: ٥)، وإليك تفصيل
 ضلالتهم وردتها:

عَمَّا يَصْبِفُونَ» (الصفات: ١٥٨، ١٥٩).
لا شك أن وحدة الوجود تجعل
العباد كلهم جزءاً من الله تعالى،
 بل هو هم وهم هو لا فرق، وهذا
 كفر مبين بنص القرآن الكريم، إن
 الله سبحانه وتعالى لا يوجد بينه
 وبين خلقه نسباً، وهذا ينفي
 وحدة الوجود من أصلها،
 فسبحان الله عما يصفه الظالمون
 الجاهلون.

٢- الآيات الدالة على أن
الإنسان خلق من لا شيء، قوله تعالى:
«هَلْ أَتَىٰ عَلَىَّ إِنْسَانٍ
حَيْنَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا» (الإنسان: ١)، وقوله تعالى:
«أَنَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلٍ وَلَمْ يَكُنْ
شَيْئًا» (مريم: ٧٧)، لقد خلق الله
 الإنسان من عدم، وهذا يدحض
 جهالة وحدة الوجود جملة
 وتقصيراً، لأنها لو كانت واقعة
 لكان الإنسان شيئاً قبل وجوده
 هو الآن شيء بعد وجوده.

٣- الآيات الدالة على أن
المخلوق غير الخالق وأن العبد
غير العبود، قوله تعالى:
«وَيَعْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَكُونُ
لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»
(النحل: ٣٧)، وقوله عز وجل: «وَقَالَ
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
عَبَدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» (النحل:
٣٥)، وقوله تعالى: «فَلَمَّا تَهَيَّأَ
أَنْ أَغْبَدَ الَّذِينَ تَدَعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ» (الانعام: ٥٦)، وغيرها كثير،
 هذه الآيات تقرر أن العبد غير
 العبود ولذلك فهي كافية لقطع كل
 جحود يؤمن بوحدة الوجود.

إن كل حرف في كتاب الله
 ليتم خوض عن تجريد التوحيد
 وينقض ركام الشرك، وأي شرك
 أعظم من وحدة الوجود.

إن خطر عقيدة «وحدة
 الوجود» وفسادها أمر عرفه
 القاصي والداني حتى أعداء
 الإسلام، يقول المستشرق
 «نيكليسون»: «إن الإسلام يفقد كل
 معناه، ويصبح اسمًا على غير
 مسمى، لو أن عقيدة التوحيد
 المعبّر عنها بـ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله»

فَمِنْ كَانَ
يُرْجُو لِقاءً
رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ
عَمَلاً
صَالِحاً
وَلَا يُشَرِّكْ
بِعِنَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا» (الكهف: ١١٠، ١١٩)، وقال حل ثناوه: «قُلْ سَيِّحَانَ رَبِّي هُلْ كَتَتْ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» (الإسراء: ٩٢)، وقال عز وجل: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عَنِّي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْثَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنْ أَشْعَرُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هُلْ يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»

(الأنعام: ٥٠).

قال رسول الله ﷺ: «لَا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مرريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». (متفق عليه).

وقال ﷺ: «إنما أنا بشر ياتيني الخصم». (متفق عليه). هذا الثوب البشري الذي ليس به رسول الله ﷺ من مولده حتى لحق بجوار ربه عز وجل هو الذي دعى الناس للتأسي به والسير على خطواته، ولو كان من غير عالمنا لما نزعنا لاتباعه والاقتداء بسننته، وقد صدق الله، فقد قدر هذه الحقيقة بالاتفاق القرآنية المحكمة الدقيقة: «وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ تَلْكَهُ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلِكًا لَقْضَى الْأَمْرَ ثُمَّ لَمْ يَتَنَطَّرُونَ» (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلِكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ» (٩). (الأنعام: ٨، ٩).

واعلم - زادك الله علماً - ان الكون مخلوق لغاية محددة هي عبادة الله عز وجل وإقامة أمره، لقوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأَنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» (الذاريات: ٥٦)، فاللام للتعميل وإلا للحصر، فهذه الآية علت خلق الله للجن والإنس وحصرت هذه العلة والغاية، فهل يبقى بعد هذا البيان مجال لكل كذاب أشر؟ والله من وراء القصد.

لو لا ه لم تخرج الدنيا من العدم
٦- محمد عالم الغيب
والشهادة:
قال البوصيري في «بردة
المديح»:

وَمِنْ جُودِكِ الدِّينِيَّةِ وَسُرْتَهَا
وَمِنْ عِلْمِكِ عِلْمِ الْلَّوْحِ وَالْقَلْمَ
وَخَلَاصَةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
عِنْ الصَّوْفِيَّةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا
يَصِفُّهُ الصَّوْفَيُّونَ قِبْلَةً قَبْضَةً مِنْ
نُورِ وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُمْ: كُونِي مُحَمَّدًا،
فَكَانَ مُحَمَّدٌ هُوَ أَوْلُ الْتَّعْبِينَاتِ
وَهِيَ الْمُسَمَّةُ عِنْهُمْ: الْذَّاتُ

الْمُحَمَّدِيَّةُ».

وَمِنْ هَذِهِ الْذَّاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
اَنْبَثَقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،
وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَهِيَ
«الْتَّعْبِينَاتُ» فَجَمِيعُ التَّعْبِينَاتِ
صَدَرَتْ عَنِ الْذَّاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ،
وَرَاجِعَةٌ إِلَيْهَا، وَهَذِهِ هِيَ «الْحَقِيقَةُ
الْمُحَمَّدِيَّةُ» الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا وَيُدْعَوُ
إِلَيْهَا جَمِيعُ الْطَّرُقِ الصَّوْفِيَّةِ.
وَهَذَا أَدْلِتُهُمُ الَّتِي يَسْتَتَرُونَ
وَرَاعُهَا وَيَرْجُونَ بِضَاعْتَهُمْ مِنْ
أَجْلِهَا:

- أَوْلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورُ نَبِيِّكَ
يَا جَابِرَ.

ب- «لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ مَا خَلَقْتَ
الْأَقْلَاكَ».

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مُوْضِوَّةٌ
بِاِتْفَاقِ أَهْلِ الصِّنْعَةِ، وَانْظُرْ
«الْأَسْرَارُ الْمَرْفُوعَةُ فِي الْأَخْبَارِ
الْمُوْضِوَّةُ» لِلزَّرْكَشِيِّ (٦٩٣)،
وَ«تَنْزِيهُ الشَّرِيعَةُ» لِابْنِ عَرَاقِ
وَ«فَوَادِيَ الْمَجْمُوعَةُ»
لِلشَّوَّكَانِيِّ (٣٢٦).

لَقَدْ سَدَ اللَّهُ الطَّرِيقَ عَلَى
هُؤُلَاءِ الْمَغَالِيْنِ فِي رَسُولِ اللَّهِ
بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ فِي
بِيَانِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ لِيَكُونَ
جَحَّةٌ يَقْذِفُ بِهَا فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ
الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِ شَيْطَانِيَّةِ مَا
قَدَرَتِ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا
لِكَلْمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ
تَنْفَدَ كَلْمَاتَ رَبِّي وَلَوْ جَئْنَا بِمَنْتَهِ
مَدَادًا» (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثْكَمٌ
يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِنْهُ وَاحِدٌ

١- محمد أصل الكون: «إِنَّ
الْعَقْلَ الْأَوَّلَ الْمُنْسُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ
خَلَقَ اللَّهُ جَبَرِيلُهُ مِنْهُ فِي الْأَوَّلِ،
فَكَانَ مُحَمَّدًا أَبَا جَبَرِيلَ وَأَصْلًا
لِجَمِيعِ الْعَالَمِ». (الإنسان الكامل ص: ٣).

٢- محمد على العرش استوى:
«أَوْلُ الْخَلْقِ هَبَاءً، وَأَوْلُ مَخْلُوقٍ
مُوجَدٌ فِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
الرَّحْمَانِيَّةِ الْمُوْصَوَّفَةِ بِالْأَسْتَوَاءِ
عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَانِيِّ وَهُوَ
الْعَرْشُ الْإِلَهِيِّ». (الفتاوحات المكية
١٥٢/١)

٣- النور المحمدي هو نور
الله: «إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَا أَبْدَعَهُ اللَّهُ
حَقِيقَةً مَثَلِيَّةً وَجَعَلَهُ نَشَأَ كُلَّهُ،
حَيْثُ لَا أَيْنَ، وَلَا بَيْنَ قَالَ لَهُ: أَنَا
الْمَلِكُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ، وَأَنَا الدَّبْرُ وَأَنْتَ
الْفَلَكُ، وَسَاقِيْكَ فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ
سَايِسًا وَمَدِيرًا وَنَاهِيًّا وَأَمْرًا
تَعْطِيْهَا مَا أُعْطَيْتُ، وَتَكُونُ فِيهَا
كَمَا أَنَا فِيكَ، فَلَسْتُ سَوْلَكَ كَمَا
لَسْتُ سَوْاِيَ، فَأَنْتَ صَفَاتِي فِيهِمْ
وَأَسْمَائِي... فَتَفَصَّدَ عَرْقًا حَيَاءً،
فَكَانَ ذَلِكَ الْعَرْقُ الْطَّاهِرُ الْمَاءُ وَهُوَ
الْمَاءُ الَّذِي نَبَأَ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى فِي
صَحِيفَةِ الْأَنْبَاءِ فَقَالَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ» (هود: ٧)، (عنقاء مغرب
٤٠، ٣٩).

٤- محمد المهيمن على الكون:
«أَعْلَمُ أَنَّ آنَوَارَ الْمَكَوْنَاتِ كُلَّهَا عَرْشٌ
وَفَرْشٌ، وَسَمَاوَاتٌ وَأَرْضٌ،
وَجَنَّاتٌ وَحِجَبٌ، وَمَا فَوْقُهَا وَمَا
تَحْتُهَا إِذَا جَمَعْتَ كُلَّهَا وَجَدْتَ مِنْ
عَضْنَ نُورَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ مَجْمُوعَ
نُورِهِ لَوْ وُضِعَ عَلَى الْعَرْشِ لِذَابٍ،
وَلَوْ وُضِعَ عَلَى الْحَجَبِ السَّبعِينِ
الَّتِي فَوْقَ الْعَرْشِ لَتَهَافَتَتْ، وَلَوْ
جَمَعْتَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا وَوَضَعَ ذَلِكَ
النُورُ الْعَظِيمُ لَتَهَافَتَ وَتَسَاقَطَ». (البيزير ٨٤/٢)

٥- الكون مخلوق من أجل
محمد:
قال ابن نباتة المصري:
أولاً ما كان أرض ولا أفق
ولَا زمان ولا خلق ولا جيل
وقال البوصيري في «بردة
المديح»:
وَكَيْفَ تَدْعُ إِلَى الدِّينِيَّةِ ضَرُورةً

الكشف عن الصوفية فهارس المعنون

إعداد

محاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،

وبعد:

فقد استقر المسلمين الأوائل، واتفقوا على أن مصادر التلقى والاستنباط هي الكتاب والسنة والإجماع، واختلفوا في القياس واعتبره الجمهور مصدرًا من مصادر التشريع، ولكن بعد طول زمان، واستقرار لأصول الإيمان، جاء المتصوفة في آخر الأعصار، فازاحوا الأستار، عن مكنون الأسرار، واكتشفوا للمسلمين مصدرًا جديداً وأصلاً فريداً، أطلقوا عليه اسم «الكشف»!! وهو ما يعرف عندهم بـ«العلم اللدني»؛ نسبة إلى قوله تعالى عن الخضر عليه السلام: «وَعَلِمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» [الكهف: ٦٥]، ويعنون به افتتاح علم الغيب عليهم وسبيل ذلك الكشف والتجليات والاتصال بالله ورسوله مباشرة.

فهل للصوفية سند فيما ذهبوا إليه، وهل لهم دليل فيما اعتمدوا عليه، هذا ما نوضحه بمثابة الله تعالى في هذا المقال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف الكشف عن الصوفية

قال الغزالى: «فإن قلت: فحصل لي علم طريق الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله؛ فاعلم أنه قسمان: علم مكافحة وعلم معاملة، فالقسم الأول علم المكافحة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم، وهو علم الصديقين والمقربين؛ أعني علم المكافحة، فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة، فمعنى بعلم المكافحة أن يرتفع الغطاء حتى تتضمن له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه، وهذه هي العلوم التي لا تسقط في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله، وهو المشاركون فيه على سبيل المذاكرة، وبطريق الأسرار». [إحياء علوم الدين ١/١١١ - ٢٠]

ثم تكلم الغزالى عن كيفية الوصول إلى الكشف فقال: «ويجلس فارغ القلب، مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة القرآن، ولا بالتأمل في التفسير، ولا يكتب حديثاً ولا غيره، بل يقول الله الله على الدوام». وسلك المتصوفة لتحقيق ذلك سبلًا أهمها:

١- التنفير من طلب العلم الشعري:

قال أبو سليمان الداراني: «إذا طلب الرجل الحديث، أو سافر في طلب المعاش، أو تزوج، فقد ركب إلى الدنيا». [الفتوحات المكية ٣٧/١]. ونقل ابن الجوزي: «إن شيخًا صوفياً رأى مریداً وبidente محبرة فقال له: أخف سوانتك».

وهكذا يخرب الصوفية بالعلم عرض الحائط حتى أصبح العلم عندهم عورة ينبغي ستراها.

٢- هدم إسناد الحديث:

قال أبو يزيد البسطامي: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذتنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربِّي، وأنتم تقولون: حدثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات. عن فلان؛ وأين هو؟ قالوا: مات». [الفتوحات المكية ٣٦٥/١]

وقال ابن عربي: «علماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيمة فيبعدون النسب، والأولياء يأخذون عن الله القاه في صدورهم». [رسائل ابن عربي ص ٤]

قال ابن عربي (النكرة) في الباب العاشر في الفتوحات: نحن بحمد الله تعالى لا نعتمد فيما نقوله إلا ما ياقبه الله في قلوبنا. وقال أيضًا في الباب (٣٧٣): جميع ما كتبته وأكتبه إنما هو عن إملاع إلهي وإلقاء رياحي أو نفسي، روحاني في روح كياني.

وقال الشبلبي:

إذا طالبوني بعلم الورق
برزت لهم بعلم الخرق
وقال الشعراوى: معتمداً على الكشف في تعليمه

على حديث: «وَهُذَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَقَالٌ عَنْ الْمُحَدِّثِينَ
فَهُوَ صَحِيحٌ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ». [الميزان: ٢٨/١].

□ صلال من ادعى الاستثناء عن الشريعة □

من اعتقد أنه باستطاعته أن يكون مع الرسول
كما كان الخضر عليه السلام مع موسى عليه

السلام فهو كافر بإجماع علماء المسلمين؛ لأن موسى لم يكن مبعوثاً للخضر، ولم يكن الخضر مأموراً

باتباع موسى، فقد جعل الله لكل شرعة ومنهاجاً،
ووهذا الأمر تكرر قبلبعثة النبي كمعاصرة لوط

لإبراهيم، ويحيى لعيسى عليهم صلوات الله وسلامه.
لقد كان النبي يبعث لقومه خاصة، وبعث محمد

للناس كافة إلى يوم القيمة، كما قال ﷺ: «كان
النبي يبعث لقومه خاصة وبعثت للناس عامّة».

[أخرجه الشيشان].

وقال: «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا
نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار». [آخرجه
مسلم]. هذه العقيدة من أسس الإسلام لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

[سبا: ٢٨].

وقوله عز وجل: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ
اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» [الأعراف: ١٥٨].

العالم كل إنسنه مأمور باتباع هذا الرسول
الأمي ﷺ ومن ظن بإمكانه الخروج على نهج محمد
وهديه إلى هدي آخر ولو كان نهج عيسى وموسى
وإبراهيم فهو ضال مضل.

وعتقاد الصوفية بأن الخضر عليه السلام لا يزال
حيّاً ويتحصل بهم ويعلمهم مما علمه الله كاسم الله

الأعظم وغيره من الآذكار كذب وافتراض لأنه مخالف
لصريح القرآن: «وَمَا جَعَلْنَا لِيَسِرَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ»

[الأنبياء: ٣٤]، ولقول رسول الله ﷺ: «مَا من نفس
منفوسية اليوم يأتي عليها مائة سنة، وهي يومئذ

حية». [أخرجه الترمذى وأحمد وهو صحيح].

والأحاديث الواردة في حياة الخضر موضوعة
باتفاق علماء الحديث.

[إنظر: المثار المثيف لابن قيم الجوزية].

□ التقوى ثمرة العلم □

٢- واحتجاجهم بقول الله تعالى: «وَأَنْقُوا اللَّهَ
وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ» [آل عمران: ٢٤٢]، فمردود من وجوه:

١- أن الواو في «وَيَعْلَمُكُمُ» ليست للعطف، وإنما
للاستثناء، بمعنى الآية: انقوا الله أيها المتدانين في

الكتاب والشهود أن تضاروهم، وفي غير ذلك من حجود
الله أن تخسيعواه، ويعني بقوله: «وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ».

ويبين لكم الواجب لكم وعليكم، فاعملوا به.

[جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى ٩١/٣].

ب- لقد حدد رسول الله ﷺ طريق طلب العلم
الشرعى وبينه فقال: «إنما العلم بالتعلم، والعلم
بالتحلّم، ومن يتّحّرُ الخير يعطيه، ومن يتّوّق الشر

تَحْسِنُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا (٨٥) **وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمْ وَرَدَا** [مريم: ٨٦-٨٣].

وإن رُغم بعضهم أنها فراسة المؤمن: «كما أن من آثار الإيمان الصادق ما يسمى بالكشف، ويراد به الكشف عن بعض المخفيات والغيبيات ومعرفة هو أجلس النفس وتوايدها وهذا الكشف هو الذي سمي بالحديث الشريف بفراسة المؤمن».

[شرح الأصول العشرين: ٣٧].

أ- احتجاجهم بحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»؛ فمردود؛ لأنه ضعيف، فقد أخرجه الترمذى بإسناد فيه عطية العوفى، وهو ضعيف مدلس.
ب- وأما احتجاجهم بالإلهام كما في حديث: «إنه قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر». [رواه البخارى]. فلا حجة فيه على الكشف.

قال ابن قيم الجوزية: «فجزم بوجود المحدثين في الأمم وعلق وجوده في أمته بحرف الشرط، وليس هذا بنقصان في الأمة على من قبلهم، بل هذا من كمال أمته على من قبلها، فإنها لكمالها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج إلى محدث، بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمد، لأنها في غنىًّا بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديد، وأما من قبلها فاللاحقة إلى ذلك جعل فيهم المحدثون».

[تنقح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة ص ٤١٣].

ج- وأما احتجاجهم بقوله تعالى: «وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنْنَا عِلْمًا» [الكهف: ٦٥]، فمردود من وجوه:
١- من المقطوع به أن الخضر عليه الصلاة والسلام نبى يوحى إليه كما رجحه ابن الجوزي وجزم به ابن حجر، رحمهما الله.

[الزهر النضر في نبا الخضر: ١٩٩/٢].
٢- إن هذا شريعة غير شريعتنا، أما شريعتنا، فلا ينبغي لأحد أن يختار غيرها، أو أن يتعلم غيرها، أو أن يدعى أنه مع رسول الله ﷺ كالخضر مع موسى عليهم السلام، فهذا كفر باوح وشرك صراح عندنا عليه من الله برهان.

٣- والاستدلال بالأية في غير موضعه، حتى الامر البعض إلى الاستغناء عن الشريعة عملاً بوسواس النفوس وخواطر القلوب.

يقول الشقسطي في «أضواء البيان» (ج ٤: ١٥٨):
«من أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحى».

قوله تعالى عنه: «وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي» [الكهف: ٨٢].

أي: وإنما فعلته عن أمر الله جلا وعلا، وأمر إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا، ولا سيما

قتل النفس البرئية في ظاهر الأمر، وتعييب السفينة بحرقها لأن العدوan على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى.
وقد حصر تعالى طرق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنذِرْكُمْ بِالْوَحْيٍ» [الأنبياء: ٤٥]، وإنما صيغة حصر».

فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام؟ فالجواب: أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به، بل ولو وجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضًا في الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحى المسموع مستدين بظاهر قوله تعالى: «فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِي يَسْرُحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» [الأنعام: ١٢٥]، ويخبر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، كله باطل لا يعول عليه، لعدم اعتراضه بدليل. وغير المعصوم لا ثقة بخواطره لأنه لا يامن دسيسة الشيطان.

وقد ضمنت الهدایة في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات.

والإلهام في الاصطلاح: إيقاع شيء في القلب يثليج له الصدر من غير استدلال بوحى ولا نظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه، أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس بإلهام غيرهم، لأنهم معصومون بخلاف غيرهم.

وبالجملة، فلا يخفى على من له إمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقارب إليه من فعل وترك، إلا عن طريق الوحي. فمن ادعى أنه غنى في الوصول إلى ما يرضى ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة، فلا شك في زندقتة، والآيات الدالة على هذا لا تحصى، قال تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: ١٥].

ولم يقل حتى نلقي في القلوب الهماماً، وقال تعالى: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُؤْذِنِينَ لِلْأَنْبَاءِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُلِ» [النساء: ١١٥]، وبذلك نعلم أن ما يدعىه كثير من الجهلة المدعين للتتصوف من أن لهم ولا شياخهم طريقاً باطنًا توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، مخالفلة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة، وزريرة للانحلال بالكلية من دين الإسلام.

قال ابن الجوزي: «إن الإلهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه، ولا يذكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ: إن في الأمم محدثين وإن يكن في أمتي فعمر». والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو أللهم ما يخالف العلم لم

لثبوت السنة المطهرة مصدران: النقل الصحيح عند المحدثين والكشف عند المكافئين؟ فحذار أن تفتر بهذا، والله يتولك ويرعاك». [تعليق الشیخ أبي غدة على «المصنوع في الحديث الموضوع»].

٣٠ ضلالات المتأممات عند الصوفية

٥- وعليه فادعاء بعضهم كابن عربي النكرة أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فعلمته أموراً وطلب منه أخرى فقال: «أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها من العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وببيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا، فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة لإبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان». [فصوص الحكم ص: ٤٧].

وهذا كذب وتقول على رسول الله ﷺ للأسباب الآتية:

أ- الرسول لا يأمر بمعصية، فضلاً عن الكفر الذي ملا به كتابه «فصوص الحكم» مثل تكfir النبي الله نوح (ص: ٧٢ - ٧٠)، والاعتقاد بإيمان فرعون (ص: ٢١)، وتوسيع موقف السامراني وصناعته للعجب الذي فتن به بنو إسرائيل وأشربوا في قلوبهم فعبدوه من دون الله (ص: ١٨٨). فهو كتاب أفسد الدين وأتى على أصوله.

ب- فإذا كان رسول الله ﷺ لا يأمر بمخالفة الشرع، فقد يقول قائل إنه شيطان تمثل لابن عربي في صورة النبي ﷺ وليس عليه فإنه مخدوع مغدور ادعى ذلك من حسن نية وصفاء طيبة.

والجواب: إن هذا محال لأن الشيطان لا يتمثل بصورة الرسول ﷺ، وإن له ذلك، وقد أخبر الصادق المصدق النبی المعصوم ﷺ: «من رأني فإني أنا هو فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي».

[آخرجه الترمذی وصحیح الالبانی].

وبناءً على ما تقدم فإننا نجزم أن المتصرفوفة دجاجلة خراسون ومقولتهم اختلاف ليس لها في الصدق خلاق، وبخاصة الطائفنة التيجانية التي جعلت رؤية النبي ﷺ ... لكل من بلغ درجة العرفان: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقطة ومشافهة». [الراماح ١٩٩/١].

ومن هرائهم قول ابن حزار التيجاني: «قال رضي الله عنه: أخبرني سيد الوجود يقطة لا مناماً قال لي: أنت من الامنين، ومن راك من الامنين إن مات على الإيمان». [جوهر المعانی: ١٢٩/١].

وقال في الصلاة المسماة بـ «ياقوتة الحقائق»: «هي من إماء رسول الله ﷺ من لفظه الشريف على شيخنا يقطة لا مناماً». [المصدر السابق: ٢٨٨/١].

وقد بلغ طاغوت التيجانية الدرك الأسفل من

يجز له أن يعمل عليه، وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبها للخير ويلهم الرشد، فأما أن يترك العلم ويقول: أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لو لا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان.

واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية، فإن العقلية كالاغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا». [تبليس إبليس: ص: ٣٢٢]. إذن فقولهم: حدثني قلبي عن ربي حديث خرافه، ولذلك قال ابن الجوزي: «وأما قوله: أخذوا علمهم عن ميت، أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدرى ما في ضمن هذا القول، وإنما فهذا طعن على الشرعية». [المصدر السابق].

٤٠ تصريحات صوفية... ولقاءات كشفية

لقد أفرزت بدعة الكشف الصوفي ضلالات لا حصر لها، من ذلك ضلالات تصحيح الأحاديث وتضعييفها عن حلقة اللقاءات الكشفية والفتוחات المناهية !!

«ومن غريب ما وقفت عليه بقصد التصحيح الكشفي والتضعييف الكشفي ما أورده الشيخ إسماعيل العجلوني الدمشقي في مقدمة كتابه كشف الخفاء ومزيل الإلباب (١٠ - ٩/١) على سبيل الإقرار والاعتداد به».

قال: «والحكم على الحديث بالوضع والصحة أو غيرهما إنما هو بحسب الظاهر للمحدثين، باعتبار الإسناد أو غيره، لا باعتبار نفس الأمر والقطع، لجواز أن يكون الصحيح مثلاً باعتبار نظر المحدث؛ موضوعاً أو ضعيفاً في نفس الأمر، وبالعكس نعم المتساوات مطلقاً قطعياً النسبة لرسول الله ﷺ اتفاقاً».

ومع كون الحديث يحتمل ذلك، فيعمل بمقتضى ما يثبت عند المحدثين، ويترتب عليه الحكم المستفاد منه للمستنبطين. وفي «الفتوحات المكية» للشيخ الأكبر قدس سره الأئور ما حاصله: فرب حديث يكون صحيحاً من طريق رواته، يحصل لهذا المكافئ أنه غير صحيح؛ لسؤاله لرسول الله ﷺ، فيعلم وضعه، ويترك العمل به وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه. ورب حديث ترك العمل به لضعف طريقه، من أجل وضع في روايته، يكون صحيحاً في نفس الأمر، لسماع المكافئ له من الروح حين إلقائه على رسول الله ﷺ.

هذا ما نقله العجلوني وسكت عليه واعتبره لا يكاد ينقضي عجبني من صنيعه هذا، وهو المحدث الذي شرح «صحيح البخاري» كيف استتساغ قبول هذا الكلام الذي تهدى به علوم المحدثين، وقواعد الحديث والدين؟ ويصبح به أمر التصحيح والتضعييف من علماء الحديث شيئاً لا معنى له بالنسبة إلى من يقول: إنه مكافئ أو يرى نفسه أنه مكافئ! ومتى كان

الجاد، والعادب بغير علم على غير الطريق.
والرابع: أنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العلم ما اكتسب من البواب، حتى إن أحدهم يتخايل له وسوسه، فيقول: حدثني قلبي عن ربي!
وكان الشبلي يقول:

إذا طالبوني بعلم الورق
برأزت عليهن بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر، وسموا هاجس النفوس العلم الباطن.

قال أبو حفص بن شاهين: من الصوفية من رأى الاستغلال بالعلم بطالة، وقالوا: نحن عولمنا بلا واسطة.

وقال أبو حامد الطوسي: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلموا ولم يحرضوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفوون، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة، وقطع العائق كلها، والإقبال على الله بكله الهمة، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم، ويخلو بنفسه في زاوية، ويقتصر على الفرائض والروابط، ولا يقنن همه بقراءة القرآن، ولا بالتأمل في نفسه، ولا يكتب حديثه ولا غيره، ولا يزال يقول: الله، الله، الله... إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان،

ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ

عزيز عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه؛ فإنه لا يخفى قوله؛ فإنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم، وعلى هذا المذهب رأيت الفضلاء من علماء الأمصار، فإنهم ما

سلكوا هذه الطريق، وإنما تشاغلوا بالعلم أولاً.

وعلى ما قد رتب أو هام تخلو النفوس بوسواسها وخيباتها، ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك، فيلعب بها إبليس أي ملعب، فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة.

ولأن نكر أنه إذا طهر القلب؛ انصبت عليه أنوار الهدى، إلا أنه ينبعغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافي، فإن الجوع الشديد، والسرير، وتضييع الزمان في التخيّلات: أمور ينهى الشرع عنها، فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء يناسب إلى ما نهى عنه.

ثم لا تنافي بين العلم والرياضية، بل العلم يعلم كيفية الرياضة، ويعين على تصحيحها، وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم، وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم، والعلم بعيد عنهم، فتارة يفعلون الفعل المنهي عنه، وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه، وإنما كان يُفْتَن في هذه الحوادث العلم، وقد عزلوه، فنحوذ بالله من الخذلان.

وآخر دعواانا أن الحمد لله رب العالمين.

الزنقة وهو يفضل ورده المسمى بـ «صلوة الفاتح» على كلام رب العالمين: «وسألته ﷺ عن صلاة الفاتحة، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة تعدل منها من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة». [المصدر السابق ١٠٣/١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: « وكل من قال: إنه رأى نبياً بعين رأسه فما رأى إلا خيالاً ». [الفرقان: ١٣٨].

٢٠ عداء الصوفية للعلم سبب ضلالهم

تدبر أخا الإيمان كيف تجاهد الصوفية لتمدير الشريعة الإسلامية ولصرف المسلمين عن دستور هدایتهم وينبوع عزتهم ومصدر قوتهم... عن كتاب الله، فإن قال قائل: ما سبب انحرافهم عن منهج الرسالة في هذا الباب؟ فالجواب فصله ابن الجوزي فقال: «اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور، فإذا أطفأ مصابيحهم؛ خطبهم في الظلم كيف شاء، وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب:

أحدها: أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً، وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكفر، فحسن عندهم الراحة فليسوا المراقن، وجلسوا على بساط البطالة، قال الشافعي رضي الله عنه: «أشئن التصوف على الكسل». [١]

وببيان ما قاله الشافعي: أن مقصود النفس إما الولايات، وإما استجلاب الدنيا، واستجلاب الدنيا بالعلوم يطول، ويتعذر البدن، وهل يحصل المقصود أو لا يحصل [٢] والصوفية قد تعجلوا الولايات - فإنهم يرون بعين الرزد - واستجلاب الدنيا؛ فإنها إليهم سريعة.

والثاني: أنه قنع قوم منهم باليسيير منه، ففاتهم الفضل في كثرته، فاقتعنوا بأطراف الأحاديث، وأوهّمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا، وأن للنفس في ذلك لذة.

وكشف هذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة؛ فإن الإمارة والقضاء والفتوى كلها مخاطرة وللنفس فيه لذة، ولكن فضيلته عظيمة؛ كالشوك في جوار الورد، فنيعني أن تطلب الفضائل، ويتقى ما في ضعفها من الآفات، فاما ما في الطبع من حب الرياسة، فإنه إنما وضع لتجتذب هذه الفضيلة؛ كما وضع حب النكاح ليحصل الولد، وبالعلم يتقوم به قصد العلم، كما قال يزيد بن هارون: طلبنا العلم لغير الله، فأبى إلا أن يكون لله، ومعناه: أنه دلنا على الإخلاص، ومن طالب نفسه بقطع ما في طبعه لم يمكنه.

والثالث: أنه أوهّم قوماً منهم أن المقصود العمل، وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أقوى الأعمال، ثم إن العالم وإن قصر سير علمه، فإنه على

دِمْهَرُ رَمَضَانَ وَالْتَّرْبِيَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، والصلوة والسلام

على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فقد شرع الله تعالى الصوم لعباده رحمة بهم وإحساناً إليهم وحماية لهم وجنة، وكان هدي رسول الله ﷺ فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيل للمقصود، وأسهل على النفوس، وما كان فطم النفوس عن مألفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخير فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلوة وأولت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالدرج، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة.

ومعاني العبودية والتوكيد تجلی في أن الصوم يقطع أسباب الاسترقاء والتعبد للأشياء، فإن العباد لو داوموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء وقطعتهم عن الله، والصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله، ويورث الحرية من الرق للمشتاهيات، لأن المراد من الحرية أن يملك الإنسان الأشياء لا تملكه، فإذا ملكته فقد قلب الحكمة، وصبر الفاضل مفضولاً، والأعلى أسفل قال تعالى: «أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلْكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» [الأعراف: ١٤]، والهوى إلهٌ معبد، والصوم يورث قطع أسباب

التعبد لغير الله. [فيض القدير للمناوي].

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامْ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ». [رواه مسلم].

فصوم رمضان سبب عظيم لغفران ذنوب العباد، وذلك مقيد بشرطين يسيرين على من يسرهما الله عليه، وهما الإيمان والاحتساب، إيماناً بالله ورضاً بفرضية الصوم، واحتساباً بأن يصوم محتسباً للثواب والأجر عند الله تعالى، غير كاره لهذا الصيام، ولا شاكٍ في الأجر والثواب، والإيمان سبب

التربية على الإيمان والاحتساب وال المسلم في رمضان يتربي على الإيمان من خلال الصيام والقيام والجود والإحسان والصدقة، وغير ذلك من أبواب البر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامْ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ». [رواه البخاري].

إعداد / معاوية محمد هيكل

بالشهادتين وهي قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ» وتجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر، فإذا انضاف إلى ذلك تصديق الباطن كان مؤمناً عند الله تعالى.

وأدنى هذه الشعب إماتة ما يتوقع ضرره بال المسلمين من الذى، والحياء شعبية من الإيمان، لأنه وإن كان غريزة في بعض الأحيان، إلا أنه قد يكون تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر، وهو وإن كان غريزة لكن استعماله على طريقة الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، فهو من الإيمان بهذه، ولكونه باعثاً على أفعال البر ومانعاً من المعاصي، وقد يطلق على كل طاعة على حده وصف الإيمان، كما في قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخْبِطَ إِيمَانَكُمْ» [البقرة: ١٤٣].

وقد أجمع العلماء على أن المراد صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة.

الإيمان يزيد وينقص

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادةه بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي والزلات، وقد استدل الإمام البخاري في صحيحه على ذلك بعده نصوص منها، قوله تعالى: «وَيُزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهتَدُوا هُدِيًّا» [مرim: ٧٣]. وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ اهتَدُوا رَأَدُهُمْ هُدًى وَأَنَّاهُمْ تَقْوَاهُمْ» [محمد: ١٧].

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً، فمن استكملاها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملاها لم يستكمل الإيمان».

وأهل الإيمان يتفضلون ويتفاوتون في درجات الإيمان، فليس من حصل أكثر هذه الشعب كمن حصل القليل منها:

وقد قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق، ما فيهم من أحد يقول إن إيمانه مثل إيمان جبرائيل وميكائيل، وأفضل هذه الأمة إيماناً بعد نبيها ﷺ: أبو بكر، فعمراً، فعثمان، فعلي، ثم الصحابة، خيار أولياء الله المتقيين، وكما وصفهم ابن مسعود رضي الله عنه: «كانوا أبراً هذه الأمة قلوباً وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً».

الإيمان حلاوة

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه

قبول الطاعات، ومنها الصيام والقيام وإلا فقد يصوم الكافر ولكن عمله مردود لغياب أصل الإيمان، قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قَوْفَاهُ حِسَابَةُ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» [النور: ٣٩].

وقال سبحانه: «وَقَدْمَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْتُورًا» [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ يَسِيرٍ» [النساء: ٤٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعين - أو بضع وستون - شعبية أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [روايه مسلم].

وأصل الإيمان في اللغة: التصديق كما في قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ» [يوسف: ١٧].

أي: بمصدق لنا، وأما في الشرع: فالإيمان قول باللسان وإقرار بالجناح وعمل بالأركان، أو هو قول وعمل، لذلك ورد في كثير من النصوص اقتران الإيمان بالعمل الصالح، مثل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَمْتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَّاتُ الْفَرْدَوسِ تُرْلَأُ» [الكهف: ١٠٧].

والإيمان شعب والطاعات كلها من شعب الإيمان. وقد بوب الإمام البخاري «باب قيام ليلة القدر من الإيمان»، وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». وكذلك باب الجهاد من الإيمان، وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة أيضاً عن رسول الله ﷺ قال: «انتدب الله من خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسولي أن أرجعيه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة». وقد عد رسول الله ﷺ صيام رمضان من الإيمان.

واعظم شعب الإيمان التوحيد، المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، وقد اتفق العلماء على أن العبد يدخل في الإسلام

التربيـة الصوفـية

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فإن تربية النفس وتزكيتها والسمو بها إلى مكامن الأخلاق إحدى المهام التي بُعثت من أجلها رسول الله ﷺ، كما قال عز وجل: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَأْتِيهِمْ وَبِرَّكَيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [الجمعة: ٢]، والذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة - حاشاه - قال تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكُنَّ نَسِيًّا» [مريم: ٦٤]، فقد شرع الله الغاية وبين الوسائل، وفصلها رسول الله ﷺ أتم تفصيل وأوضحها أوضح بيان، إننا عندما نستعرض شعائر الإسلام كلها، ونربطها بهذه الغاية، نتبين أنه ليس للتزكية أعمال خاصة من مجموع العبادات، بل الإسلام كله أعماله غايتها التزكية والتقوى، فالصلة تزكية لقوله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» [العنكبوت: ٤٥]، والزكاة تزكية، لقوله تعالى: «خُذُّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرَكِّبُهُمْ بِهَا...» [التوبه: ١٠٣]، والصوم تزكية، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَفَقَّونَ» [البقرة: ١٨٣]، وبالجملة فالتوحيد والعبادة كلها تقوى وتزكية، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اغْبُثُو رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَفَقَّونَ» [البقرة: ٢١].

إعداد / معاوية محمد هيكل

بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ؛ فإماماته الشيطان». [الرسالة القشيري: ص ١٨١].
والعجب أن من أهم أدب المرید أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي مغسله.
قال الغزالى: «وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير». [أحياء علوم الدين: ٧٥/٣].

وقال أيضاً: «ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فيقلده، وليدع رأيه؛ فإن خطأ مرشدته أدنع له من صوابه في نفسه». [أحياء علوم الدين ١/ ٥٠].

وقال: «فمعه من المرید بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائمة، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يبقى في متابعته شيئاً ولا يذر، وليرعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو

إذن فالطريق الموصى للتقوى هو العبادة، والعبادة توقيفية بإجماع أهل العلم، ولا تثبت إلا بدليل من الكتاب والسنة، إن العبادة المقيدة بالأدلة الشرعية هي الوسيلة إلى تربية النفس وتزكيتها وليس لها أعمال وافعال خاصة كما هو الحال عند المتصوفة الذين جعلوا محور التربية في تقديرهم شيخ يدور في فلكه مرید يلبي له ما يريده وعن أمره لا يحيد، كما زعموا أن تهذيب النفس يكون بالذكر المبتعد المفرد والعبادة لله لذاته لا خوفاً من عذابه ولا طمعاً في ثوابه؛ ضاربين بالنصوص الشرعية عرض الحائط كما يظهر في كتبهم من خلال هذا المقال الذي نبين فيه زيف ما اعتقادوه وضلال ما اعتقدوه.

أولاً: الشيخ المرشد وعلاقه بالمرید
وحتى يتحقق التصوف ماربه أليس رجلاً له حالة العصمة، وأوجب على المرید أن يتخذ شيئاً، ليرشده إلى الطريقة، ويدله على الحقيقة.
قال القشيري: «يجب على المرید أن يتادر

أصحاب». [إحياء علوم الدين ٧٦/٣].

وقال علي وفا: «المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسلة، ولا كلام، ولا حركة، ولا يقدر أن ينطق بين يديه من هي بيته، ولا يدخل، ولا يخرج، ولا يخالط أحداً، ولا يستغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه». [الأنوار القدسية ١٨٧/١].

فلا تعدو علينا تزيد أخذ العلم الصوفي عن شيخ آخر.

قال ابن عربي: «إن من شرط الإمام الباطن أن يكون موصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة». [الفتوحات المكية ١٤٣/٢]. وقال القشيري: «من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات». [الرسالة القشيرية ص ١٦٠].

وقال في «الفتوحات المكية»: «أحسنظن ولا تنقد بل اعتقاد، وللناس في هذا المعنى كلام كثير، والتسليم أسلم، والله بكلام أوليائه أعلم». ويقول أيضاً:

ما حرم الشيخ إلا حرمة الله
فقم بهما أبداً لله بالله
هم الأدلة والآيات ربى تؤيدهم
على الدلاله تأييدهما على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم
لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حمال تولهم
عن الشريعة فاتركهم مع الله.
(الفتوحات المكية: باب ١٨١).

سبحان الله كيف يكون التولي عن الشريعة معية
مع الله!»

يقول محمد أمين الكردي: «.. ومنها أن لا يعترض عليه فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً، ولا يقول: لم فعل هذا؟ لأن من قال لشيخه: لم؟ لا يفتح أبداً، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن». [تنوير القلوب: ص ٥٢٨].

ولذلك زخرت كتب المتصوفة بحكايات لترسيخ هذه الإكاذيب في قلوب المريدين المخدوعين.

قال القشيري في باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم: «ونمن المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور (هو الحلاج)، يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعراض القرآن! فدعاه عليه وهجره، قال الشيوخ: إن ما حل به بعد طول المدة كان لداعء ذلك الشيخ عليه». [الرسالة القشيرية ص ١٥١].

وكذلك كثُرت في كتبهم حكايات تروج للفساد

لأنهم ضمنوا سكوت المريدين ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

صوفي يشرب الخمر

قال الدباغ: «يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو يشرب معهم فيقطنونه شارب خمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت». [الإبيريز ٤١/٢].

وقال: «إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي، وهو ليس بعاصٍ، وإنما روحه حجب ذاته، فظهورت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليس بمعصية». [الإبيريز ٤١/٢].

هكذا تروج كتب المتصوفة للرزيلة وتقرر أنها فضيلة.

وكتب المتصوفة مليئة بمثل هذه الخرافات، مشحونة بتلك الترهات التي سموها كرامات، ليضلوا بها الأمة عن سبيل الله، إن هذه الأمثلة والأقوال سردها يكفي في نقضها ودحضها، لكن يلاحظ المستقرئ للطريقة الصوفية أن الشيخ أهمل أركانها كما قالوا:

وصحبة شيخ هي أصل طريقهم
فما نبتت أرض بغير فلاحة

نور الوحي ييلد أوهام الصوفية

ولو عرضنا ما سبق من ضلالات والتي جعلت من الشيخ الصوفي مواصفات إله كما هو ظاهر من أقوال أقطابهم وعارضيهم، على الكتاب والسنة لوجدنها هي الباطل بعينه.

١- فاليات الدالة على وجوب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، ك قوله تعالى: «فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [النساء: ٥٩] و قوله: «وَمَا احْتَلَفُتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ» [الشورى: ١٠].

هذه الآيات واضحة لا لبس فيها في وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن الصوفية يريدون كل شيء إلى شيوخهم ولو خالفوا إجماع أهل العلم والدليل الصحيح الصريح، وتأمل قول علي المرصفي الذي يزعم المتصوفة أنه قرأ في يوم ولادة ثلاثة وستين ألف ختمة: « وإن قال للمريد: إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليهم فعليه الرجوع إلى كلام شيخه، وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه، إنه في حال تهمة، لارتفاعه عن طريق شيخه» [الطبقات الكبرى ١٢٨/٢].

انظر أيها القراء كيف يصادرون علم العلماء

ثانياً: الذكر الصوغي لدع و منكرات

تقوم فلسفة الذكر عند المتصوفة على تردید کلمة ما بشكل مستمر دون انقطاع، ويا لیتها وردت في اي نص شرعي.

والذاكر يقوم بترديد أي كلمة أو جملة بصورة مستمرة:

قال ابن عطاء الله السكندري: «أما المسلوب
الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد
عليه من حملة الأسرار، فقد تجري على لسانه «الله
الله الله» أو «هو هو هو» أو «لا لا لا» أو
«اه اه اه» أو صوت بغير حرف، أو تخطي فأدبه
لتسلیم للوارد، وبعد انقضاء الوارد يكون ساكتاً
ساكتاً، وهذه الآداب من يحتاج إلى ذكر اللسان، أما
لذاك بالقلب فلا يحتاج إلى هذه الآداب». (فتاح الفلاح ص ٣٠-٣١).

وقال ابن عربي: «فاغلق باب دون الناس، وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك، واستغل بذكر الله بآي نوع شفته من الأذكار، وأعلاها الاسم المفرد، وهو قوله: «الله الله الله». (رسالة الأنوار ص ٦).

ما الدليل على هذا كله؟
ويؤكد هذا ابن سبعين فيقول: «وجميع ما توجه
الضمير إليه اذكره به و لا تبالي، وأي شيء يخطر
بيبالك سمه به ومن اسمه «الوجود» كيف يخصص
بأسماء منحصرة؟ هيئات ! الله لا اسم له إلا الاسم
المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما يسمى به
نفسه أو نبيه، يقال لك: إن من سمي نفسه الله قال
لك: أنا كل شيء، وجميع من تناول أنا ... وبعضاً هم
كان يقول: قد قد قد هذا هذا هذا له له له ». .

(رسائل ابن سبعين ص ١٨٤).

ونحن نسأل: أين قال الله هكذا (وجميع من
نذكره، أنا)؟

وبذلك يتبيّن أنّ حقيقة الذكر الصوّفي ليست

مرتبطة بذكر الله سبحانه ... وأما التزامهم الاسم
المفرد فهو للباس التصوف لباس الإسلام ... ومع

الذين هم ورثة الأنبياء وبنص حديث النبي ﷺ .
٢- قال الله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ
مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْتِنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَعْلِي
نَبَّأُوهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [الشورى: ٢١].

إن كلمات شيوخ المتصوفة مليئة بتشريع ما لم يأذن به الله، واقرأ إن شئت كلمة أحمد الرفاعي أحد الأقطاب عند المتصوفة الذي يزعم المتهوكون أن كراماته تسرى في أتباعه من بعده: «من يذكر الله بلا شيخ، لا الله له حصل، ولا نبيه، ولا شيخه»
قلادة الجوادر ص ١٧٧

اليس هذا تشريعًا مضاداً للدين الله^{١٩}
وإن تعجب فعجب فضمان التيجاني الجنة من رأه
وأطعهم لفمة خبز يقول: «أخبرني سيد الوجود
يقطة لا ناماً، قال لي: أنت من الأمتين، وكل من رأك
من الأمتين، إن مات على الإيمان، وكل من أحسن إليك
خدمة أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا
حساب ولا عقاب» (جواهر المعانى / ٩٧).

اليس هذا تشريعاً لم يأذن به الله؟ بل هو قول
على الله بغير علم، وكذب وافتراء على رسول الله
الذي قال: «من كذب علىٰ متعمداً فليتبوأ مقعده

١٩- **فَمَاذَا بَعْدُ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**؟
٣- **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ كُوْنِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا شَدَّ خَيْرًا لَّهُمْ [البقرة: ١١٥].**

نعم لقد اتّخذ المتصوّفة من شيوخهم أنداداً
يحبونهم كحب الله بل أشد حباً، كما تدل على ذلك
آقوالهم.

قال علي وفا: «فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ،
فَكَذَلِكَ مُحْبَّةُ الْأَشْيَاعِ لَا تسامحُ أَنْ يُشْرِكَ بِهَا»
«الأنوار القدسية ١٨٧/١».

وهذا الشعرواني يقول: سمعت أخي أفضل الدين رحمة الله يقول: حقيقة حب الشیخ أن يحب الأشياء من أجله، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل» (الأنوار الفقیسية/ ١٦٩).

وقال علي البشطري: «الطريق: ذكر الله، ومحبة
الشيخ» (نفحات الحق ص ٩٧).
هذه آقوالهم ظاهرة الدلالة على أنهم جعلوا

محبة الاشياخ فوق محبة رب العباد، فالواليل لهم يوم
النهاية: «**وَلَوْ يُرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ**
الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ» (١٦٥) إِذْ
يَتَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْعَذَابَ
وَتَقْطَعُتْ بِهِمُ الْأَسْنَابُ» (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ
أَنْ لَنَا كَرْهَةً فَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّعُوا مِنَ ذَلِكَ يُرِيهِمُ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجٍ مِنْ
الْأَرْضِ [البرقة: ١٦٥ - ١٦٧].

ذلك فالذكر بالاسم المفرد بدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة.

وأما احتجاجهم بعموميات في القرآن كقوله تعالى: «وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلِّئِ إِلَيْهِ تَبَّلِيلًا» [سورة المزمل: ٨].

«سَبَّحَ اسْمَ رَبِّ الْأَعْلَى» [الإعلى: ١] فلا يدل على جواز الذكر بالاسم المفرد، لأن تسبيح الله وذكره لا يكون إلا بالكلام التام المفید، والاسم المفرد لا يحقق ذلك. وانظروا إلى آذكار الرسول ﷺ هل تجدون فيها ما يقولون؟!

ويحتاج آخرون بقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ» [سورة الأنعام: ٩١].

زاعمين أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد. وهذا وهم، وتحريف الكلم عن موضعه فإن قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ». جواب لقوله: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى». الآية، أي الله الذي نزل الكتاب رد بذلك قول من قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» [الأنعام: ٩١]. ومن ذلك يتبيّن أن الاسم (الله) مذكور في الأمر بجواب الاستفهام، فالاسم «الله» مبتدأ خبره دل عليه الاستفهام كقوله صديقه؟ فيقول: زيد.

وقد فند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جميع أدلة هم على المسالة في رسالة العبيودية (ص ١٥٨-١٦٩) وقال في نهاية كلامه القيم: «المقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والاجر، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته، ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية، والمقاصد السامية».

وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع البدع والضلالات، وذرية إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد». انتهى.

ويكفي في رد هذه البدعة قول رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله». (أخرجه ابن ماجه والترمذى وحسنه الإلبانى).

ولذلك كان رسول الله ﷺ يأمر بقولها، وكان يقولها في دبر كل صلاة، وكان يقولها إذا قام من الليل.

وَالذِّكْرُ عِبَادَةٌ تَوْقِيفِيَّةٌ

الذكر عبادة من أفضل العبادات، وأعظم الطاعات والعبادة تحتاج إلى نص صحيح صريح وإلا فلا

تكون عبادة ... أما مشايخ الصوفية فقد أراد كل منهم أن ينصب نفسه مشرعاً لمريديه فوضع لهم من الآذكار ما ليس فيه أثر عن خير البشر محمد ﷺ ... وحاول كل منهم أن يجذب مريديه بشتى الطرق ومختلف الوسائل، فمنهم من زعم أن ورده أخذه عن الرسول ﷺ مناماً، ومنهم من ادعى أن رسول الله ﷺ أعطاوه ورده يقظة، ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي علمه الآذكار ... إلخ.

ولكل طريقة ورده خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى والطرق الأخرى، ولهذا تعدد صيغ الذكر الصوفي تبعاً لتعدد الطرق وتباطن الشيوخ، وكل شيخ يحرم على مريديه أن يذكروا بغير ما أذن لهم فيه أو أن يذكروا مع الطرق الأخرى ... إن هذا الاختلاف الكبير يليل على أن هذه الآذكار ليست من دين الله في شيء: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوكُمْ فِيهِ احْتِلَافًا كثِيرًا» [سورة النساء: ٨٢].

□ من نور النبوة

صور من الذكر النبوى

تأمل أخي القارئ في نور الوحي وجلاله من خلال جمال الذكر النبوى، قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهده ووعده ما استطعت، أعودك من شر ما صنعت، أبوء لك بعمتك على وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعده الحق، وقولك الحق، ولقاوك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبتون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك أمنت، وعليك توكلت، وإليك أذلت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك». متفق عليه.

رأيت إلى هذا الذكر النبوى الجامع؟ إنها ضراعة النبوة والعبيودية الحالصة تفتحت لها أبواب السماء، ما فيه ذكر مفرد، ولا ضرب صدر بذقن ولا هزة الرأس إلى أخصص القدم، وما فيه التناوح بالرأس يمنة ويسرة، ولا نقع من سرة إلى قلب، ما فيه منشد ولا دف، ما فيه دائرة يقف في

[يَمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيةِ] [سورة الحاقة: ٢٤] على أنها الخالية من الذكر باطل يعكس معنى الآية فالله عز وجل يقول للمؤمنين يوم القيمة: كلوا وشربوا هنيئاً بسبب ما أسلفتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية.

٣- وأما استدلاله بالحديث فهو تحريف وتخريف، ففي رواية مسلم بيان معنى الحديث: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة قال اللهم إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به»، أي: أجر الصيام يضاعفه الله أضعافاً كثيرة فيوفى الصائمون أجرهم بغير حساب.

وهذه العقيدة الصوفية مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لما يلي:

أ- وصف الله حال الأنبياء وعبادتهم وأنها رغبة ورهبة: «وَرَكَبَنَا إِذْ نَادَنَا رَبُّنَا فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثَيْنِ» [٨٩] فاستجابة له وهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجة إنهم كانوا يسألكون في الخيرات ويدعونا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين». [الأنبياء: ٩٠-٨٩]

ب- ووصف الله عباده المخلصين بقوله: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِيَانِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجْدًا وَسَجُّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَهِرُونَ» [١٥] تتجافي جهودهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهه يتلقون [١٦] فلا تعلم نفس ما أخفينا لهم من فرق أعين جراءً بما كانوا يتعلّلون» [السجدة: ١٧-١٥]

فهو لاء الدين ورثوا الفردوس الأعلى وصف الله عبادتهم بأنها كانت خوفاً من عذابه وطمعاً في جنته.

ج- الخوف من النار والطمع في الجنة يندن حولها رسول الله ﷺ وأصحابه، فقد قال رجل لرسول الله ﷺ: والله إنني لا أحسن دندينك ولا دنندة معاذ، وإنما أقول: اللهم إني أسا لك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال له ﷺ: «حولها دندين آخرجه أبو داود وابن ماجه) فهو يتصور المتصوفة

أ- أنهم أكمل من رسول الله ﷺ وصحابه الكرام يقول بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجي، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

وآخر دعواانا أن الحمد لله رب العالمين.

مركزها نصب يرقص الذاكرين بتتصديته إنما فيه قلب مؤمن ضارع، ملأه حب الله خشية وريبة وتقوى يتوجه إلى خالقه الأعظم، مالك الملك كله في إيمان صادق، وتوحيد خالص، فصلوات الله على محمد عبد الله رسوله.

ثالثاً: طلب الجنّة والفرار من النار من قصة عظيمة عند الصوفية

يعتقد الصوفيون أن طلب الجنّة والفرار من النار من قصة عظيمة في حق العباد، وإنما الطلب عندهم والرغبة لديهم - زعموا - في الفناء في الله، ويقولون: من عبد الله رغبة فتكل عبادة التجار، ومن عبده رهبة فتكل عبادة العبيد، ومن عبد الله حبا فتكل عبادة الأحرار.

قال الكلابي: «في قوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» [سورة التوبه: ١١١]. لتعبدوه بالرق لا بالطمع»

(التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤١).

وقال: «دخل جماعة على رابعة يعودونها من شکوى. فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سبباً، غير أنني عرضت على الجنّة فعلت بقلبي إليها، فاحسب أن مولاي غار علىي، فعاتبني فله العتبى» (المصدر السابق ص ١٥٥).

ويستدل على عقيدة القوم بقوله تعالى: «كُلُوا وَاشْرُبُوا هنيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيةِ» [سورة الحاقة: ٢٤].

فيقول: «أي الخالية عن ذكر الله، لتعلموا أنه بفضله نلتكم لا بأعمالكم» (المصدر السابق ص ١٤٢). من يتفق من أهل الإسلام مع الصوفية في هذا التفسير؟

ويستدل أيضاً بقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «الصوم لي وآن أجزي به» فيقول: قال أحد الكبار: أي: أنا الجزء به» (المصدر السابق ص ١٤٣). من هذا الكبير، هل هو من الصحابة أم من التابعين، أم أنهم الكبار في عقيدته وطريقته.

الأدلة الداعمة على فساد ما ذهب إليه الصوفية

١- استدلالهم بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ». على أن العبودية بالرق وليس بالطمع في الجنّة: ساقط من وجوهه؛ أظهرها أنه قطع الآية عن نهايتها التي تدحض زعمه، وهي قوله تعالى: «بِأَنَّهُمْ الْجَنَّةُ» [التوبه: ١١١].

فالعوض هو الجنّة التي رغبهم فيها بعبادتهم.

٢- استدلاله بقوله تعالى: «كُلُوا وَاشْرُبُوا هنيئاً

التَّوْسِلَةُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالصَّوْفِيَّةِ

الحلقة الأولى

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فَلَمَّا كَانَ تَوْحِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ أَصْلُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَأَسَاسُ قَبْولِ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرَّةٍ عَلَى الْعَبْدِ فِي الْأُخْرَى؛ كَانَ تَصْحِيفُ الْمَفَاهِيمِ الْمُتَعْلِقَةِ بِقَضَائِيَّةِ الْعِقِيدَةِ مِنْ أَجْلِ الْقَرِيبَاتِ وَأَعْظَمِ الطَّاعَاتِ.

وَإِنْ مَا وَقَعَ فِي الْإِشْتِيَاءِ وَالْإِجْمَالِ مِنَ الْأَلْفَاظِ لِفَظَ «الْتَّوْسِلَةِ»، فَإِنْ هَذَا الْلَّفْظُ يُطْلَقُ شَرْعًا عَلَى التَّقْرِبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا شَرَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَتَصْدِيقِ رَسْلِهِ، وَعَلَى التَّوْسِلَةِ إِلَيْهِ بِاسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصَفَاتِهِ الْعَلِيَّى، وَعَلَى التَّوْسِلَةِ إِلَيْهِ بِمَا عَمِلَهُ الْمُتَوَسِّلُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ وَيُرِضُّهَا، وَعَلَى التَّوْسِلَةِ إِلَى اللَّهِ بِدُعَاءِ الْمُتَوَسِّلِ بِهِ لِلْمُتَوَسِّلِ وَشَفَاعَتِهِ، هَذَا مَا يَعْنِيهِ لِفَظُ التَّوْسِلَةِ شَرْعًا.

إعداد / معاوية محمد هيكل

**الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَةً وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا** (الإِسْرَاءٌ: ٥٧، ٥٦). يَتَضَعُّ مَا تَقْدِمُ أَنْ
الْتَّوْسِلَةَ لَا يَخْرُجُ عَنْ مَعْنَى التَّقْرِبِ أَوْ مَا يَوْلُ إِلَيْهِ
مِنَ الْقَرِبَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يُحِبُّهُ وَيُرِضُّهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ. لِذَلِكَ فَإِنَّ الْوَسِيلَةَ بِمَعْنَى الْقَرِبَةِ
لَيْسَ مَقْصُودًا بِهَا فَقْطُ التَّوْسِلَةِ فِي الدُّعَاءِ، بَلْ هِيَ
أَشْمَلُ وَأَعْمَمُ مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَ تَشْمَلُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْقَرِيبَاتِ مِنَ
الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحْسَبَاتِ الَّتِي هِيَ فِي ذَاتِهَا وَسَائِلٌ
يَتَقْرِبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ
وَالْحَجَّ إِلَى أَخْرِهِ.

٠٠٠ تَبَيِّنَهُ

مِنَ الْفَرِيبِ أَنْ بَعْضَ مُدَعِّيِ الْعِلْمِ خَاصَّةً
الصَّوْفِيَّةِ مِنْهُمْ اعْتَادُوا الْإِسْتِدَالَ بِالْأَيْتَيْنِ السَّابِقَتِينِ
عَلَى مَا يَلْهُجُ بِهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مِنَ التَّوْسِلَةِ بِذَوَاتِ
الْأَنْبِيَاءِ أَوْ حَقِّهِمْ أَوْ حَرْمَتِهِمْ أَوْ جَاهِهِمْ وَهُوَ اسْتِدَالٌ
خَاطِئٌ لَا يَصْحُ حَمْلُ الْأَيْتَيْنِ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ
شَرْعًا أَنَّ هَذِهِ التَّوْسِلَةَ مَرْغُوبٌ فِيهِ، وَلَذِكَ لَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ
الْإِسْتِدَالَةُ أَحَدٌ مِنَ السَّلْفِ الصَّالِحِ، وَلَا اسْتَحْبَبُوا
الْتَّوْسِلَةَ الْمَذَكُورَةَ، بَلْ الَّذِي فَهَمَوهُ أَنَّ اللَّهَ تَبارَكَ
وَتَعَالَى - يَأْمُرُنَا بِالْتَّقْرِبِ إِلَيْهِ بِكُلِّ قَرِبَةٍ، وَالْتَّوْسِلَةِ
إِلَى رِضَاهِ بِكُلِّ سَبِيلٍ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ - سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى - قَدْ عَلِمْنَا فِي
نَصْوصٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ أَنَّ عَلَيْنَا إِذَا أَرْدَنَا التَّقْرِبَ إِلَيْهِ،
أَنْ نَتَقْدِمَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ الَّتِي يُحِبُّهَا
وَيُرِضُّهَا، وَهُوَ لَمْ يَكُلْ تَلْكَ الْأَعْمَالَ إِلَيْنَا، وَلَمْ يَتَرَكْ

وَأَمَّا فِي عِرْفٍ مِنْ خَفِيٍّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ مِنَ الْمَاتِرِينِ
خَاصَّةً الصَّوْفِيَّةِ مِنْهُمْ، صَارَ لِفَظُ التَّوْسِلَةِ يُطْلَقُ عَلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْنَى الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرِيعَةِ مِثْلِ التَّوْسِلَةِ
بِدُعَاءِ الْمَقْبُرِينَ وَبِذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ سُؤَالِ اللَّهِ
بِجَاهِ فَلَانَ أَوْ حَرْمَتِهِ أَوْ الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ بِهِ، وَبِذَلِكَ
صَارَ الْمَفْهُومُ السَّيِّئُ لِلتَّوْسِلَةِ مَعْبُرًا لِصَنْوُفِ عَدِيدَةِ
مِنَ الشَّرِكَيَّاتِ وَالْخَرَافَاتِ وَالْبَدْعِ، حَتَّى صَرَفَتِ
الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَأَحَدَثَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، مَا
كَانَ لَهُ الْأَثْرُ السَّيِّئُ فِي إِفْسَادِ عَقَائِدِ النَّاسِ وَتَشْوِيهِ
مَعَالِمِ الْإِسْلَامِ تَحْتَ مَسْمَى التَّوْسِلَةِ كَمَا زَعَمُوا، لِذَلِكَ
كَانَ لِزَاماً عَلَيْنَا أَنْ نَصْحِحَ الْمَفَاهِيمَ وَنَبْصُرَ الْمُسْلِمِينَ
بِحَقِيقَةِ التَّوْسِلَةِ وَمَعْنَاهُ وَمَا هُوَ الْمَشْرُوْعُ مِنْهُ
وَالْمَنْوَعُ حَتَّى يَكُونَ الْمُسْلِمُ عَلَى يَصِيرَةِ فِي عِقِيدَتِهِ
وَعِبَادَتِهِ لِمَوْلَاهُ وَخَالِقهِ.

٠٠٠ حَقِيقَةُ التَّوْسِلَةِ

هُوَ التَّقْرِبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ،
وَاتِّبَاعُ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُلِهِ، وَبِكُلِّ عَمَلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ
وَيُرِضُّهُ، قَالَ أَبْنَى عَبَاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْوَسِيلَةُ
هِيَ الْقَرِبَةُ وَقَالَ قَنْتَادَةُ فِي تَفْسِيرِ الْقَرِبَةِ: أَيْ تَقْرِبُوا
إِلَى اللَّهِ بِطَاعَتِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا يُرِضُّهُ، وَهَكُذا ... إِنَّمَا
كُلُّ مَا أَمْرَبَهُ الشَّرِعُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحْسَبَاتِ، فَهُوَ
تَوْسِلٌ شَرِعيٌّ وَوَسِيلَةٌ شَرِيعَةٌ، وَكُلُّ مَا نَهَى عَنْهُ
الشَّرِعُ مِنَ الشَّرِكَ وَالْبَدْعِ وَالْمُعَاصِي فَهُوَ وَسِيلَةٌ
مَحْرَمةٌ.

قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لِعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ» [الْمَائِذَةَ: ٣٥].

وَقَالَ جَلَّ وَعْلا: «قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ
فَلَا يَمْلُكُونَ كُثُفَ الْخَرْجَ عَنْكُمْ وَلَا يَحْوِلُوا» [الْمُنْذِرَ: ٥٦] أَوْلَئِكَ

الأدلة من السنة النبوية

١- قال رسول الله ﷺ: «من كث ر حمه فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيديك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمت أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عنك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا اذهب الله حمه وحزنه، وأبدله فرحا».

(رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في الصحيح).

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أنه قال لرسول الله ﷺ (علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي). قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم». (أخرجه أحمد والبخاري ومسلم).

في الحديث التوسل باسمين جليلين عظيمين مناسفين للمطلوب وهما الغفور والرحيم.

٣- عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال، سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: قد سألك الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب.

(رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه الألبانى). فقد توسل هذا الرجل باسم الله الحسنى وباسمه الأعظم فكان سبباً في قبول الدعاء بشهادة رسول الله ﷺ. وانعم بها وأكرم من شهاده.

ثانياً: التوسل إلى الله عزوجل بالآيات وبالعمل الصالح وذلك بأن يقول الداعي للهيم باليمني بك وبرسولك أساشك أن تغفر لي ذنبي أو يقول: اللهم إني أتوسل إليك بصلاتي وركاتي وصيامي وحجبي أن تفرج كربلي وتغفر ذنبي.

الأدلة من القرآن الكريم

قال تعالى: «الذين يقولون ربنا إلينا أمنا فاغفِرْ لنا ذُنوبنا وقنا عذاب النار» [آل عمران: ١٦]. وقال تعالى: «ربنا إلينا أمنا بما أُنجزْتَ واتَّبعْتَ الرَّسُولَ فاكتَبْنَا مع الشَّاهِرِينَ» [آل عمران: ٥٣]. وقال تعالى: «ربنا إلينا سَمِعْتَنَا مُنَادِيَنَا بِنَادِيَ لِلإِيمَانِ أَنْ أَمْنَوْا بِرِبِّكُمْ فَامْنَأْنَا رَبَّنَا فاغْفِرْ لَنَا ذُنوبِنَا وَكَفُّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» [آل عمران: ١٩٣].

فهؤلاء توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقتفهم عذاب النار.

الأدلة من السنة النبوية

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتطلق ثلاثة نفر من كان

ستختلف وتتبادر وستطرأ، لأنها حينذاك ستعالى - أن نرجع إليه في ذلك، ونتبع إرشاده وتعلمه أنه لا يعلم ما يرضي الله - عز وجل - إلا الله وحده، فلهذا كان من الواجب علينا حتى نعرف الوسائل المقربة إلى الله أن نرجع في كل مسألة إلى ما شرعه الله - سبحانه - وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الذي وصانا به رسولنا محمد - صلوات الله عليه وسلم، حيث قال تركت فيكم أمرين لن تتخلوا ما تمسكت بهما؛ كتاب الله وسنة رسوله» (صحيح الجامع ٢٩٤).

وهذا أوان الشروع في بيان التوسل المشروع:

٠٠٠ أولاً: التوسل إلى الله عزوجل
بأسمائه الحسنى وصفاته العلي

إن أعظم أنواع التوسل وأقربه إجابة التوسل إلى الله تعالى بأسماهـ الحسنى وصفاتهـ العليـ فعلى المسلم أن يقدم بين يدي دعائـه لربـه تمجدـاـ لهـ وتعظـيمـاـ وحمدـاـ وتقديـساـ في ذاتـهـ وأسمـائـهـ وصفـاتـهـ ليكون ذلكـ وسـيلةـ إلى اللهـ سبحانهـ لأنـ يتـقبلـ من العـبدـ دعـاهـ.

٠٠٠ الدليل من القرآن الكريم

١- قال تعالى «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذرؤوا الذين يلحدون في أسمائه سيجرون ما كانوا يفعلون» (الاعراف: ١٨٠).

أي ادعوا الله عز وجل متوكـلينـ إلـيـهـ بـأـسـمـائـهـ الحـسـنـىـ وـصـفـاتـهـ الـعـلـىـ،ـ وـهـذـاـ شـامـلـ لـدـعـاءـ الـعـبـادـةـ وـدـعـاءـ الـمـسـالـةـ فـيـدـعـوـ الـمـسـلـمـ رـبـهـ فـيـ كـلـ مـطـلـوبـ بـمـاـ يـنـاسـبـ ذـكـلـ مـطـلـوبـ؛ـ فـيـقـولـ مـثـلاـ:ـ اللـهـمـ اـغـفـرـ لـيـ وـارـحـمـنـيـ إـنـكـ أـنـتـ الـغـفـورـ الرـحـيمـ وـتـوـابـ عـلـيـ يـاـ تـوـابـ وـارـزـقـنـيـ يـاـ رـزـاقـ وـالـطـفـ بـيـ يـاـ طـيـفـ وـنـحـوـ ذـكـ.

٢- قال تعالى: «ربـناـ إـنـكـ تـعـلـمـ مـاـ تـخـفـيـ وـمـاـ تـعـلـمـ وـمـاـ يـحـفـقـ عـلـيـ اللـهـ مـنـ شـيـءـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ فـيـ السـمـاءـ (٢٨)ـ الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ وـهـبـ لـيـ عـلـىـ الـكـبـرـ إـسـتـغـاـتـ وـإـسـحـاقـ إـنـ رـبـيـ لـسـمـعـ الدـعـاءـ (٣٩)ـ اـجـعـلـنـيـ مـقـمـ الصـلـاـةـ وـمـنـ دـرـيـتـيـ رـبـنـاـ وـتـقـبـلـ دـعـاءـ (٤٠)ـ رـبـنـاـ اـغـفـرـ لـيـ وـلـوـ الـدـيـ وـلـكـمـ مـنـ يـوـمـ يـقـومـ الـحـسـابـ» [ابراهيم: ٤١-٣٨].

هـذـاـ نـمـوذـجـ مـنـ توـسـلـاتـ الـخـلـيلـ أـبـيـ الـأـنـبـيـاءـ إـبـراهـيمـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ فـقـدـ قـدـمـ بـيـ دـيـ دـعـائـهـ توـسـلـاـ إـلـيـ اللـهـ تـعـالـىـ بـعـلـمـ سـبـحـانـهـ الـذـيـ لـاـ يـخـفـيـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ فـيـ السـمـاءـ،ـ وـأـنـهـ سـبـحـانـهـ الـمـحـمـودـ فـيـ ذـاتـهـ وـأـفـعـالـهـ وـصـفـاتـهـ،ـ وـأـنـهـ الـوـهـابـ لـكـ نـعـمـةـ،ـ فـقـدـ وـهـبـ اللـهـ بـكـرـمـهـ وـمـنـهـ إـسـمـاعـيلـ وـإـسـحـاقـ مـعـ كـبـرـ سـةـ،ـ كـمـ أـنـهـ تـعـالـىـ سـمـعـ لـدـعـاءـ خـلـقـهـ أـيـنـماـ كـانـوـ وـعـلـىـ اـخـتـلـافـ الـسـنـتـهـمـ وـحـاجـاتـهـ،ـ وـهـذـاـ فـيـكـنـ الدـعـاءـ وـالـقـتـاءـ.

من ذلك:

١- استسقاء الصحابة رضي الله عنهم بدعاء النبي ﷺ في حال حياته:

فعن أنس رضي الله عنه: «أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال: يا رسول الله: هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يعيتنا فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا». قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطعلت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الأكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر» فاقلعت وخرجنا نمشي في الشيمس» (رواه البخاري ومسلم)

٢- استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدعاء العباس

رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ :

ظهر من الحديث السابق كيف أن الصحابة كانوا يتولّون بدعاء الرسول ﷺ حال حياته، ولما قبض الله نبيه كان الصحابة يتولّون ويستسقون بغيره من الأحياء الذين تكون فيهم مظنة التقى والورع وهذا استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته بالعباس رضي الله عنه.

فعن أنس رضي الله عنه قال: [إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا، استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال: «اللهم إننا نتوسل إليك بنبينا ﷺ، فتسقينا وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا]. قال: فيسقون» (رواه البخاري في صحيحه).

ومعنى قول عمر: إننا نتوسل إليك، بنبينا - صلى الله عليه وعلى الله وسلم - وإننا نتوسل إليك بعم نبينا، أنتانا نقصد نبينا - - ونطلب منه أن يدعونا، ونقترب إلى الله بدعائنا، والآن قد انتقل - صلى الله عليه وعلى الله وسلم إلى الرقيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعونا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعونا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته - صلى الله عليه وعلى الله وسلم بجاه العباس اسقنا، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم

(التوسل أنواعه وأحكامه للألباني).

قبلكم، حتى أوهـمـ المـبـيـتـ إلىـ غـارـ، فـدـخـلـواـ فـانـحدـرـتـ صـخـرـةـ منـ الجـبـلـ، فـقـسـدـ عـلـيـهـمـ الغـارـ. فـقـالـواـ: إـنـهـ لاـ يـنـجـيـكـمـ مـنـ هـذـهـ الصـخـرـةـ، إـلاـ أـنـ تـدـعـواـ اللـهـ بـصـالـحـ أـعـمـالـكـ، فـقـالـ رـجـلـ مـنـهـ: اللـهـ كـانـ لـيـ أـبـوـانـ شـيـخـانـ كـبـيرـانـ، كـنـتـ لـاـ أـغـبـقـ قـبـلـهـمـ أـهـلـاـ وـلـاـ مـالـ، فـتـأـيـدـ بـيـ طـبـ شـجـرـ يـوـمـ فـلـمـ أـرـجـعـ عـلـيـهـمـ حـتـىـ نـامـ. فـحـلـبـ لـهـمـ غـبـوـقـهـمـ، فـوـجـدـهـمـ نـاقـمـينـ، فـكـرـهـتـ أـنـ أـغـبـقـ قـبـلـهـمـ أـهـلـاـ وـلـاـ مـالـ، فـلـبـثـتـ وـالـقـدـحـ عـلـىـ يـدـيـ، اـنـتـظـرـ اـسـيـقـاظـهـمـ حـتـىـ بـرـقـ الـفـجـرـ زـادـ بـعـضـ الـرـوـاـةـ» (والصـيـبةـ يـتـضـاغـوـنـ عـنـ قـدـمـيـ) فـاسـتـيقـظـاـ فـشـرـبـاـ غـبـوـقـهـمـ، اللـهـمـ إـنـ كـنـتـ فـعـلـتـ ذـلـكـ اـبـتـغـاءـ وـجـهـكـ، فـفـرـجـ عـنـاـ مـاـ نـحـنـ قـيـهـ مـنـ هـذـهـ الصـخـرـةـ. فـانـفـرـجـتـ شـيـئـاـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ الـخـرـوجـ مـنـهـ» قال النبي ﷺ: «قال الآخر: اللهم كـانـ لـيـ أـبـةـ عـمـ، كـانـتـ أـحـبـ النـاسـ إـلـيـ فـارـدـتـهـاـ عـنـ نـفـسـهـاـ فـامـنـعـتـهـاـ حـتـىـ مـلـتـ بـهـ سـنـةـ مـنـ السـنـينـ، فـجـاعـتـهـ وـاعـطـيـتـهـ عـشـرـينـ وـمـقـةـ دـيـنـارـ، عـلـىـ أـنـ تـخـلـيـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ نـفـسـهـاـ فـفـعـلـتـ حـتـىـ إـذـاـ قـدـرـتـ عـلـيـهـاـ، قـالـتـ: لـاـ يـحـلـ لـكـ أـنـ تـفـضـ الخـاتـمـ إـلـاـ بـحـقـهـ، فـتـحـرـجـتـ مـنـ الـوقـوعـ عـلـيـهـ. فـانـصـرـفـتـ عـنـهـاـ، وـهـيـ أـحـبـ النـاسـ إـلـيـ، وـتـرـكـ الذـهـبـ الـذـيـ اـعـطـيـتـهـ: اللـهـمـ إـنـ كـنـتـ فـعـلـتـ ذـلـكـ اـبـتـغـاءـ وـجـهـكـ، فـافـرـجـ عـنـاـ مـاـ نـحـنـ قـيـهـ. فـانـفـرـجـتـ الصـخـرـةـ، غـيرـ أـنـهـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ الـخـرـوجـ مـنـهـ».

قال النبي ﷺ: «وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له، وذهب فَتَمْرَأَتْ أجره حتى كثرت منه الأموال فجاعني بعد حين، فقال لي: يا عبد الله أدرني أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق؛ فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا استهزئ بك، فأخذته كله فساقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتلاء وجهك، فافرج عننا ماحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (رواه البخاري ومسلم والنمسائي).

وهذا الحديث من أعلم الأدلة وأوضحها على التوسل إلى الله عز وجل بتقديم العمل الصالح بين يدي الدعاء، فقد توسل الأول إلى الله عز وجل ببره لوالديه وتفضيله ما على أهله وأولاده ونفسه، وتوسل الثاني إلى الله عز وجل بعفته عن الحرام وعن الوقوع في الفحشاء مخافة الله سبحانه وتعالى، وتوسل الثالث بأمانته واستقامته وبمعاملة أجيده كما يعامل نفسه، وكل فعل ذلك ابتلاء مرضاة الله تعالى، لا خوفا من العبد ولا طمعا بإطراء منهم أو مدح أو جزاء، ولا شك أن هذه الأعمال المباركة كانت سببا لنجاتهم من كربهم العظيم.

٣- توصل الأعمى بدعاء النبي ﷺ والرد على المخالفين:
عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه (أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني فقال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير» قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوعه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربى في حاجتي لقضى. اللهم شفعي في». فعاد وقد أبصر.

وفي رواية قال ابن حنيف: (فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كان لم يكن به ضر) رواه النسائي والبيهقي وصححة الألباني.
وقد روى الترمذى والحاكم في مستدركه زيادة جملة في آخر الحديث وهي (شفعني فيه).
وليس في الحديث مستمسك من يحتاج به على جواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين بل هو حجة عليهم.

قال الشيخ نسيب الرفاعي في كتابه «التوصيل إلى حقيقة التوسل»: إذا أمعنا النظر في هذا الحديث، تبين لنا أن الأعمى ما كان يقصد التوسل بذات أو جاه الرسول ﷺ، بل بدعائه المستجاب، ولو لا أمل الأعمى بالشفاء بدعاء رسول الله ﷺ، ياته وذلك للأدلة المستخلصة من نص الحديث نفسه:

١- إن قول الأعمى لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يعافيني. فيه بيان واضح جلي بقصد الأعمى من المjeeء وهو أنه ما جاء إلا من أجل أن يدعو له رسول الله ﷺ بالشفاء من ضره.

٢- وإن قوله ﷺ مجيباً للأعمى: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير» لدليل آخر على أن الأعمى ما جاء إلا من أجل الدعاء وفيه تخثير من رسول الله ﷺ له بالدعاء أو الصبر حتى إذا شاء الأعمى الدعاء دعا له ... وفي تخميره هذا وعد بالدعاء إن شاءه.

٣- وإن إصرار الأعمى على طلب الدعاء منه ﷺ بقوله

(قادعه) لدليل ثالث على أن مجده لم يكن إلا من أجل الدعاء، ومن إصراره يفهم أن النبي ﷺ قد دعا له؛ لأنه وعده بذلك إذا شاء الدعاء. وقد شاء بقوله: «قادعه» على أن رسول الله ﷺ أحب أن يكون للأعمى كذلك مشاركة في الدعاء، ولكنه لم يترك الأعمى أن يدعو ربها بما شاء بل علمه دعاء خاصاً وأمره أن يدعوه الله به بالإضافة إلى دعائه ﷺ.

٤- إن قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علمه إياه رسول الله رسول الله «اللهم شفعي في»، لدليل رابع على الدعاء، أي قبل شفاعته في، أي دعاء في، والشفاعة من رسول الله ﷺ لا تكون إلا بدعاء

الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسوله فيه يدل على أن رسول الله ﷺ قد دعا له فعلاً والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسول الله ﷺ.

٥- وإن رواية الترمذى في سننه، ورواية الحاكم في مستدركه، زيادة جملة «شفعني فيه» لدليل خامس على وقوع الدعاء من رسول الله للأعمى ليعافيه الله تعالى ويرد إليه بصره ومعنى «شفعني فيه» أي أقبل دعائي في أن تكون دعوته لي مستجابة.

٦- وإن هناك دليلاً سادساً مستنبطاً من واقع هذا الأعمى إذ لو كان قصده التوسل بشخص الرسول ﷺ أو بحقه أو بجاهه وما إلى ذلك لكن يكفيه أن يبقى في بيته، ويدعو الله قائلاً مثلاً: اللهم رد بصرى بجاه نبيك، فكان يكتفى بهذا دون أن يحضر ويتجشم عناء المشي وليس له من قائده يقوده إلى رسول الله ﷺ، وما كان هذا ليس من مراده، إنما يريد الدعاء منه فإن هذا يستلزم حضوره، وإخبار الرسول بما حصل معه من العمى ثم سؤاله أن يدعو له ليعافيه الله، لاعتقاده أن دعاء الرسول مستجاب فيحصل من الدعاء على مراده من الشفاء. وهكذا فقد حضر الأعمى إلى رسول الله وطلب منه الدعاء فدعا له فاستجاب الله الدعاء من رسوله فعاد الأعمى بصيراً كان لم يكن فيه من ضر.

وإن مجموع هذه الأدلة الستة على ثبوت دعاء رسول الله للأعمى ليظهر لنا أمراً هاماً يدور عليه مآل الحديث ويكشف معناه بشكل واضح وهو: أن معنى: «اللهم إني أسألك بنبيك» أي بدعائه نبيك وذنك مثل قول عمر «نتوسل إليك بنبيك» أي بدعائه ولا يفهم منه التوسل بذاته، ولا كان هذا مراد الأعمى من مجده إلى رسول الله. وإن معنى التوسل المتبارد إلى أذهان الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت كان محصوراً فقط في طلب الدعاء من المتتوسل به، وليس المعنى المتعارف عليه عند البعض في الأزمة المتأخرة أي التوسل بذات المتتوسل به. فقد كان مثل هذا التوسل ينفر منه الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم ينافي حقيقة التوحيد، ولا سيما إن لفظ الحديث ومآلاته، ومفاهيم اللغة العربية وقواعدها كل ذلك يشهد للحديث أن معناه هو التوسل بدعاء النبي ﷺ، وعلى هذا يتبيّن سقوط الاستدلال بجواز التوسل بذوات المخلوقين لأن هذا الحديث، ويثبت عدم شرعية هذا الاستدلال لأن هذا الحديث، لا يعطي المعنى الذي يريدونه لبيته لما يبيّنه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والله من وراء القصد.

التوسل بين

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد بيتنا في العدد السابق أن لفظ التوسل شرعاً يطلق على التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الإيمان به وتوحيده وتصديق رسالته، وعلى التوسل إليه باسمائه الحسنى وصفاته العلي، وعلى التوسل إلى الله بما عمله المتتوسل من الأعمال الصالحة وعلى التوسل إلى الله تعالى بدعاء المتتوسل به للمتوسل وشفاعته. وفي هذا المقال نلقي الضوء بإذن الله علي أنواع التوسل غير المشروع حتى تتضح الرؤية للقارئ الكريم وتستتبين له السبيل، سائلين المولى عز وجل أن يهدى الأمة إلى التي هي أقوم، إلى منهج أهل السنة الأسلم والأعلم والأحكم.

استغاثة به أو سأله أن يشفع له عند الله، وهذا من جهله بالشافع والمفسد عنده. مثال ذلك: أن يطلب الإنسان المدد من الاموات أو الغائبين سواء كانوا من الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين أو الجن، لأن يقول: يا سيدى فلان أغثني واكشف كربلي وشفف مريضي وهو يعتقد في ذلك أن هذا توسل إلى الله بدعاه غيره، فهذا هو الشرك الأكبر من جنس توسل المشركين الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿مَا نَعْبَدُهُمْ إِلَّا لِتَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رَّازِقِي﴾ وكما قال عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ أَعْلَمُ سُفَّارًا عِنْ دِينِ اللَّهِ﴾

وقال تعالى متمناً بمن يدعون ويعدون غير الله **(وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) (٥)** وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا يعبدونه **(كَافِرِينَ).**

فسماه الله عبادة لهم وإن كانوا هم يعتقدونه (زلفى) إلى الله فهو توسل شركي. وقال تعالى: **(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَطْلَبُونَ مِنْ قِطْمَرِ) (١٣)** إن تدعوهن لا يستمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجأنوا لكم **(وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِّكُمْ)** يخبر الله تعالى عن حال المدعون من دونه من الملائكة

تعريف التوسل غير المشروع

هو أن يتلوسل إلى الله عز وجل بما ليس بوسيلة أى بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة، لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمتقول.

أو بمعنى آخر هو: أن يقصد الإنسان التقرب إلى الله بالشرك أو البدع أو المعاصي فهذا لا يوصله لمرضاة ربه، بل لسخطه وعقابه كما أخبر عز وجل عن قصد المشركين للقرب منه «زلفى» بعبادة غيره، فمن ذبح أو نذر أو حلف أو دعا غير الله يقصد بذلك التقرب إلى الله فقد توسل «وسيلة شركية» ومن ابتدع في الدين بدعة يريد بها التقرب إلى الله فقد توسل وسيلة محرمة، لقول النبي ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وأما من يتقرب إلى الله بالمعاصي، كمن يسرق ليصدق فهو يجمع بين البدعة والمعصية.

أنواع التوسل غير المشروع

النوع الأول: التوسل الشركي: كالاستغاثة - بغير الله - ودعاء غيره. والاستغاثة هي طلب الغوث ولا تكون إلا من مكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة، لأنه من المكروب وغيره. قال ابن القيم رحمه الله: من الشرك طلب لحواج من الموقى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن

أهـلـهـ الـلـهـ وـالـصـوـفـيـةـ

إعداد / معاوية محمد هيكل

ادعو الله لي، وهذا توسل مبتدع لأن الميت إذا مات انقطع عمله فلا يمكن لأحد أن يدعو بعد موته، وقد أجمع السلف على عدم جواز هذا النوع من التوسل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد «يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول من مات من الأنبياء والصالحين: يا نبـيـ اللهـ، يا رـسـولـ اللهـ، ادع الله لي، سـلـ اللهـ لـيـ، سـلـ اللهـ آنـ يـغـفـرـ لـيـ ولا يـقـولـ أـشـكـوـ إـلـيـكـ ذـنـوبـيـ اوـ نـقـصـ رـزـقـيـ اوـ تـسـلـطـ العـدـوـ عـلـيـ، اوـ اـشـكـوـ إـلـيـكـ فـلـانـاـ الذـيـ ظـلـمـنـيـ، وـلاـ يـقـولـ اـنـتـ تـجـيرـ مـنـ يـسـتـجـيرـكـ، وـنـحـوـ ذـكـرـ مـاـ يـفـعـلـ اـهـلـ الـبـدـعـ مـنـ اـهـلـ الـكـتـابـ وـالـمـسـلـمـينـ، كـمـاـ يـفـعـلـ الـخـنـارـيـ فـيـ كـنـائـسـهـمـ وـكـمـاـ يـفـعـلـ الـمـبـدـعـونـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ عـنـ قـبـورـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ اوـ فـيـ مـغـيـبـهـمـ، فـهـذـاـ مـاـ عـلـمـ بـالـاضـطـرـارـ مـنـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ، وـبـالـنـقـلـ الـمـتـوـاـتـرـ يـاجـمـعـ الـمـسـلـمـينـ اـنـ النـبـيـ ﷺ لـمـ يـشـرـعـ شـيـئـاـ مـنـ ذـكـرـ وـالـتـابـعـيـنـ ذـكـرـ وـلـأـفـعـلـ هـذـاـ اـحـدـ مـنـ أـصـحـابـهـ وـالـتـابـعـيـنـ لـهـمـ يـاحـسـانـ وـلـأـسـتـحـبـ ذـكـرـ اـحـدـ مـنـ اـثـمـ الـمـسـلـمـينـ، لـاـ اـلـثـمـةـ الـأـرـبـعـةـ وـلـأـغـيـرـهـمـ وـلـأـذـكـرـ اـحـدـ مـنـ اـلـثـمـةـ فـيـ مـنـاسـكـ الـحـجـ وـلـأـغـيـرـهـاـ آنـ يـسـتـحـجـ لـاـحـدـ آنـ يـسـالـ النـبـيـ ﷺ عـنـ قـبـرـهـ آنـ يـشـفـعـ لـهـ اوـ يـدـعـ لـأـمـتـهـ، اوـ يـشـكـوـ إـلـيـهـ ماـ نـزـلـ بـأـمـتـهـ مـنـ مـصـائبـ الدـنـيـاـ وـالـدـيـنـ وـكـانـ أـصـحـابـهـ يـبـتـلـونـ بـاـنـوـاعـ الـبـلـاـ بـعـدـ مـوـتـهـ، فـتـارـةـ بـالـجـبـ، وـتـارـةـ بـنـقـصـ الرـزـقـ، وـتـارـةـ بـالـخـوـفـ وـقـوـةـ الـعـدـوـ، وـتـارـةـ بـالـذـنـوبـ وـالـمـعـاصـيـ، وـلـ يـكـنـ اـحـدـ مـنـ اـنـبـيـاءـ يـاتـيـ إـلـيـ قـبـرـ الرـسـولـ وـلـ قـبـرـ الـخـلـيـاـ وـلـ قـبـرـ اـحـدـ مـنـ اـنـبـيـاءـ فـيـقـوـلـ: نـشـكـوـ إـلـيـكـ الزـمانـ اوـ قـوـةـ الـعـدـوـ، اوـ كـثـرـةـ الـذـنـوبـ، وـلـ يـقـوـلـ: سـلـ اللهـ لـنـاـ لـأـمـتـكـ آنـ يـرـزـقـهـمـ اوـ يـنـصـرـهـمـ اوـ يـغـفـرـ لـهـمـ بـلـ هـذـاـ وـهـ

والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على استجاباته فمتي لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عدلت بالكلية، فتفى عنهم الملك بقوله (ما يملكون من قطمير). قال ابن عباس وغيره «قطمير» اللفافة التي تكون على نواة التمر وتفى عنهم سماعهم الدعاء بقوله (إن تدعوهם لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم ما بين ميت وأغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما أمر به كملائكة، ثم قال (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) لأن ذلك ليس بملكهم ثم بين أن دعاء غير الله شرك، لأن الدعاء عبادة، فقال عز وجل (و يوم القيمة يكفرون بشرككم). فتح المجد.

وقال تعالى: «قُلْ ادْعُوْا الَّذِيْنَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُنْوِ اللَّهِ لَا يَمْلُكُوْنَ مُتَّقَالَ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْقُعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَنْزَلَ لَهُ». [١]

قال ابن القيم: فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي يدخلوا منها إلى الشرك وستتها عليهم أحكام سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحيثئذ فلا يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عباده أو شريكًا مالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له أو وجيهًا ذا حرمة، ولا يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربع من كل وجهة وبطلت، انتفت أسباب الشرك وانقطعت موارده، فتفى سبحانه عن الهمتهم أنها تملك متنقل ذرة في السموات والأرض؟ فقد يقول المشرك، هي شريكة لمالك الحق فتفى شركتها له، فيقول قد تكون ظهيراً وزيراً ومعاوناً فقال: (وما لـهـ مـنـ ظـهـيرـ) فـلـمـ يـقـيـقـ إـلـاـ الشـفـاعـةـ فـنـفـاـهـاـ عنـ الـهـتـمـ وـأـخـبـرـ أـنـهـ لـاـ يـشـفـعـ عـنـهـ أـحـدـ مـنـ خـلـقـهـ إـلـاـ يـاـذـنـهـ.

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الأموات أو الفانيين: كان يقول للميت أو الغائب اشفع لي عند الله أو

يُشَبِّهُهُ مِنَ الْبَدْعِ الْمُحَدَّثَةِ.

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بذوات الصالحين:

كَانَ يَقُولُ الْمُتَوَسِّلُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوَسِّلُ إِلَيْكَ بِفَلَانَ -

وَلَا يَعْنِي إِلَّا ذَاتَهُ وَشَخْصَهُ أَنْ تَقْضِي حاجتَيْهِ.

إِنَّ التَّوَسُّلَ بِذَاتِ الْمُتَوَسِّلِ بِهِ وَشَخْصَهِ إِلَى الله

تَعَالَى، عَمَلٌ غَيْرُ شَرِعيٍّ، لَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللهُ، وَلَا بَلَغَهُ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى أَنَّ التَّوَسُّلَ بِذَاتِ الشَّخْصِ، إِنَّمَا

هُوَ عَمَلٌ قَدْ حَمَدَهُ اللهُ تَعَالَى لِمَا وَصَفَ تَوْسِيلَ الْمُشَرِّكِينَ،

فَقَالَ حَاكِيَّا عَنْهُمْ «أَلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ

أَنْجَدُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُوْنَا إِلَيْهِ

اللَّهِ رَلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارًا» (الزمر: ٣).

فَالْمُتَوَسِّلُ بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

وَسِيلَةً، فَهَذَا التَّرْلِفُ بِذَوَاتِ الْأَشْخَاصِ رَدُّهُ اللَّهُ

سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَمْ يَقْبِلْهُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ عَابَ

عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرِيْنِ اثْنَيْنِ: عَابَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةُ

الْأُولَائِيَّةِ مِنْ دُونِهِ، وَعَابَ عَلَيْهِمْ مَحَاوِلَتِهِمُ الْقَرْبَى

وَالرَّلْفَى إِلَيْهِ تَعَالَى بِالْأَشْخَاصِ وَالْعِبَادِ الْمَخْلُوقِينَ،

فَكُلَا الْأُمْرِيْنِ فِي الْآيَةِ، عَيْبٌ وَذَنْبٌ، وَكُلَّاهُمَا باطِلٌ

وَكَذْبٌ وَضَلَالٌ، وَقَالَ تَعَالَى «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ

مَا تَرَكْتُمْ عِنْدَنَا رَلْفَى إِلَّا مِنْ أَمْنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا

فَأَوْلَئِكَ لَهُمْ جَرَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ

أَمْيَوْنُ» [سبا: ٣٧] أي: إنَّ الَّذِينَ يَقْرَبُونَ عَنْهُ اللَّهَ

دَرَجَاتٍ وَمَنَازِلٍ عَظِيمَةٍ وَالَّذِينَ تَضَاعَفَ حَسَنَاتُهُمْ

إِنَّمَا تَضَاعَفَ بِأَعْمَالِهِمْ لَا بِالْجَاهَاتِ وَلَا الْوَسَاطَاتِ.

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تِيمِيَّةَ عَنْ رَجُلٍ تَنَاطَرَ،

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَابِدُ لَنَا مِنْ وَاسْطَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ إِنَّا

لَا نَقْدِرُ أَنْ نَصْلِي بِغَيْرِ ذَلِكَ: فَاجْبَرَ رَحْمَهُ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنَّ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَابِدُ مِنْ

وَاسْطَةٍ بِيَلْغَانَا أَمْرَ اللهِ فَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّ الْخَلْقَ لَا

يَعْلَمُونَ مَا يَحْبِبُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا أَمْرَ بِهِ وَمَا نَهَى

عَنْهُ، وَمَا أَعْدَهُ لِأُولَائِيَّةِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَمَا تَوَعَدَ بِهِ

أَعْدَاءُهُ مِنْ عَذَابِهِ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَسْتَحْقِهِ اللَّهُ مِنْ

أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَصَفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ، الَّتِي تَعْجَزُ الْعُقُولُ

عَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَأَمْتَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِالرَّسُولِ الْأَنْصَارِ

اللهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادَهِ، فَالْمَلْمَوْنُونُ بِالرَّسُولِ الْمُتَبَعُونُ

لَهُمْ هُمُ الْمَهْتَدُونَ الَّذِينَ يَقْرَبُهُمْ لَدِيَ رَلْفَى، وَيرْفَعُ

دَرَجَاتُهُمْ وَيُكَرِّمُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَمَا الْمَخَالِفُونَ

لِلرَّسُولِ، فَإِنَّهُمْ مَلْعُونُونَ وَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ضَالُّونَ

مَحْجُوبُونَ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَرَادَ بِالْوَاسْطَةِ أَنَّهُ لَابِدُ مِنْ وَاسْطَةٍ

فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَدَفعِ الْمُضَارِّ، مُثْلَ أَنْ يَكُونَ وَاسْطَةٌ

فِي رِزْقِ الْعِبَادِ، وَنَصْرِهِمْ وَهَدَاهُمْ، وَيُسَالُونَهُ ذَلِكَ

وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الشَّرِكِ الَّذِي كَفَرَ

اللهُ بِهِ الْمُشْرِكُينَ، حَيْثُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أُولَائِيَّةَ

شَفَاعَاءَ يَجْتَبِيُونَ بِهِمُ الْمَنَافِعَ.

النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بجهة فلان أو حقه أو حرمته:

كَانَ يَقُولُ الْمُتَوَسِّلُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوَسِّلُ إِلَيْكَ بِجَاهِ فَلَانَ أَوْ حَقِّهِ أَوْ حَرْمَتِهِ

فَلَانُ عَنْدَكَ أَوْ حَقُّهُ عَلَيْكَ، أَوْ حَرْمَتُهُ أَنْ تَقْضِي

حاجَتِي، فَهَذَا عَمَلٌ لَمْ يَشْرِعْهُ اللهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ رَسُولُهُ

وَلَا أَمْرَ بِهِ وَلَا حَضْرٌ عَلَيْهِ وَلَمْ يَصْلِ إِلَيْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ

الْأَصْحَابِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: ليس لأحد أن يُبَلِّغَ على الله بصلاح سلفه، فإنه ليس صالحهم من عمله الذي يستحق به الجزاء، كاهم الغار الثلاثة، فإنهم لم يتولوا إلى الله بصلاح سلفهم، وإنما يتولوا إلى الله باعمالهم. اهـ.

وماذا لا تعملون صالحًا كما عملوا، وتتوسلون بأعمالكم الصالحة كما تولوا، كما فعل السلف الصالح من سبقكم، أما سمعتم قول الشاعر:

لسنا وإن أحسنا بنا يوماً على الآباء نتكل

تبني كما كانت أوائلنا

تبني، ونفعل مثلما فعلوا

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمة الله -: ولا

المناسبة بين ذلك - أي صلاح المتتوسل به - وبين

استجابة الدعاء، فكان المتتوسل يقول: لكون فلان من

عبادك الصالحين أجب دعائي ! وأمي مناسبة في

هذا... وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في

الدعاء، وقد قال تعالى: «ادعوا ربكم تضرعوا وخففوا

إنه لا يحب المتعدي» [الأعراف: ٥٥].

وهذا ونحوه من الأدعية المبدعة، ولم يُقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن

الأئمة، رضي الله عنهم أجمعين، وإنما يوجد مثل

هذا في الحرزو والهياكل - أي التمام - التي يكتب

بها الجهال والطريقية، والدعاء من أفضل العبادات،

والعبادات مبناتها على السنة والاتباع، لا على الهوى

والابتداع.

اما الحديث الذي احتاج به القوم: إذا سألكم الله

فأسألكوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم». فهو

حديث كذبٌ موضوع من الأحاديث المشينات التي

ليست لها زمام ولا خطام».

النوع الخامس: الإقسام على الله جل وعلا بالمتوكل به:

كَانَ يَقُولُ الْمُتَوَسِّلُ: اللَّهُمَّ أَقْسِمْ عَلَيْكَ بِفَلَانَ أَنْ

تَقْضِي حاجتي، فالاصل في القسم أو الحلف، أن

المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن ليس قوله حجة.

٢٠ دعوة قبورية معاصرة

وبعد هذا العرض لأنواع التوسل الممنوع يتبع ذلك أخي الكريم أنّ ما صرّح به بعض الدعاة من قادة الجماعات المعاصرة في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين: «والدّعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدّعاء وليس من مسائل العقيدة». ليس صحيحاً على إطلاقه، لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري إذ فيه شرك صريح كما سبق بيانه، وكان من نتائج هذا القول أن ظن بعض الآباء أن التوجه إلى الصالحين في قبورهم تبركاً والتّمسّك للشفاعة أمراً مشروع لا حرج فيه، وأن جماعتهم لا تقبل إلى التشدد في هذا الباب كغيرها من الجماعات كما فعل ذلك صاحب كتاب «شهيد المحراب» حيث قال: «قال البعض: إن رسول الله ﷺ يستغفر لهم إذا جاءوه حيّاً فقط، ولم أتبين سبب التقييد في الآية عند الاستغفار بحياة الرسول ﷺ وليس في الآية مما يدل على هذا التقييد».

ثم قال: «ولذا أرأني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إن رسول الله ﷺ يستغفر حيّاً ومتّا من جاء قاصداً رحابه الكريم».

وقال أيضاً: «فلا داعي إذن للتّشدد في النكير على من يعتقد كرامة الأولياء واللحوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد». ثم يؤبن المتركون على القبوريين بقوله: «فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم».

ثم زعم أن الأمر لا يخشى عقيدة التوحيد بقوله: «وأقول للمتشددين في الإنكار: هؤلأّا فما في الأمر من شرك ولا وثنية ولا إلحاد».

وهكذا يهون هؤلاء من أمر العقيدة فيدعون الناس إلى شد الرحال إلى قبور الانبياء والصالحين والتوسل بهم ودعائهم من دون الله مما كان له الأثر السيئ في تشويه معالم الدين وإفساد عقائد الناس ونشر الخرافات والبدع في صفوف الأمة، فإلى الله المشتكى من يخلّلون الأمّة ويصرّفونها عن عقيدتها. ومنهج عزها وسعادتها

اللهم أهد عموم الأمّة إلى الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

يكون بالله تعالى، لأنّه عبادة، ومعلوم أن العبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله عزّ وجلّ، ولذا فإنّه لا يجوز القسم أو الحلف بغيره سبحانه، وقد ثبت في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال: «من كان حاله فليحلّ بالله أو ليصمت». وفي لفظ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه.

فإذا فهم هذا فيتعين أنه لا يجوز الحلف بمخلوق على مخلوق، فكيف يجوز الحلف بالمخلوق على الخالق؟!

ويذلك يظهر أن الإقسام على الله بمخلوقاته ليس شرّاً فحسب، بل هو تقرب إلى الله تعالى بالشرك به !! وإن هؤلاء الذين يقسمون على الله بمخلوقاته يتقربون إلى ربّهم بذلك.

قال شارح العقيدة الطحاوية: «وإن الإقسام على الله بحق فلان، فذلك ممحض، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟ وقد قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك.

كما أن القول: بجاه فلان عندك أو بتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف و منزلة فاجب دعائنا. وهذا أيضاً ممحض فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتتوسلون في حياته بدعايه، فيطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعايه، كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات رسول الله ﷺ قال عمر رضي الله عنه: «ما خرجوا يستسقون: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسل إليك بذنبينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بمعنّينا». معناه: بدعائه الله لنا، وشفاعته عنده، وليس المراد أنا نقسم عليك (به) أو نسألك بجاهه عندك إذ لو كان ذلك مراداً، لكن جاه النبي ﷺ أعلم وأعلم من جاه العباس». اهـ.

الصحابي رضي الله عنهم لم يقسموا على الله بالنبي ﷺ، ولم يسألوه به:

قال ابن تيمية رحمه الله: «التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته أو السؤال به، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته، ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره، ولا نعرف هذا في شيء من الأدعية

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن من الأصول العظيمة لديننا الحنيف الولاء
لإسلام وأهله، والبراءة من الكفر وأهله، ومن مقتضيات
ذلك أن يتميز المسلم عن الكفار، وأن يعتز بدينه ويُفخر
بإسلامه، ولقد طالب الإسلام اتباعه بالتميز في العقائد
والشعائر والسلوك والأخلاق والمعاملات وفي الملبس
والمأكل والمشرب وكل الأعمال الظاهرة والباطنة.

ومما تأمل لواقع المسلمين اليوم لا يجد ضعفاً في
التمييز فحسب، بل يجد تأثراً من كثير من المسلمين
بغيرهم من اتباع الملل الضالة والكافرة؛ تقليداً لهم
وتشبيهاً بهم في كثير من أمورهم.

وفي هذا المقال نحذر من هذا السلوك الخطير، فنقول
مستعينين بالله تعالى:

﴿أولاً: كمال الشريعة وكفايتها﴾

يقول الله تعالى ممتنعاً على عباده: ﴿الَّيْوَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٤].

فهذه الآية الكريمة تدل على تمام الشريعة وكمالها، وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق.

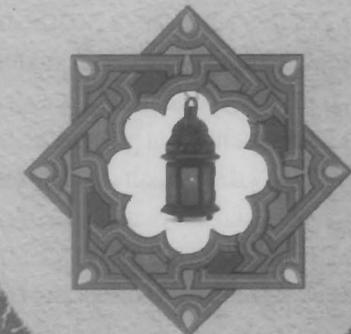
يقول ابن كثير في تفسيره: هذه أكمل نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبىٰ غير نبىٰهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرم، ولا دين إلا ما شرعه.

وكل شيء أخير به، فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كُلِّمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين؛ تمت عليهم النعمة.

فلا يتصور أن يجيء إنسان، ويخترع في الشريعة شيئاً؛ لأن الزيادة عليها تعد استدراكاً على الله تبارك وتعالى، وتؤدي بأن الشريعة ناقصة، وهذا يخالف ما جاء به كتاب الله تبارك وتعالى. فلا يتصور إنسان يزيد على شرع الله، ويكون غير مذموم.

تدذير المسلمين من مشابهات المشركيين

إعداد /
معاوية محمد هيكل



الفاسد وخياله الكاذب». (مفتاح الجنة للمعوصمي ص: ٨٥).
وقال الإمام الشوكاني في «القول المفيد» (ص: ٣٨) مناقشًا بعض المبتدعين في شيء من آرائهم: «إذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟ إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فما في فائدة في الاستفال بما ليس من الدين؟!

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بداعٍ أبداً، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تتصفح به وجهه أهل الرأي، وترغم به أنافهم وتذخص به حجتهم.

الصراط المستقيم والنهي عن مشابهة الكفار والأمر بمخالفتهم

أمرنا الله تبارك وتعالى أن ندعوه في كل ركعة من صلواتنا طالبين منه الهدى إلى الصراط المستقيم، قائلين: «اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ».

ومعنى الصراط المستقيم هو: الإسلام الخالي من الزيادة والتحصان، التقى من كل بدعة وخرافة، هذا الصراط الذي هو أقرب الطرق للوصول إلى ما يحب الله ويرضى وفق ما أمر، وبلغ رسوله ﷺ وهو الصراط الذي قال عنه: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ومعنى قوله تعالى: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» أي غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، وغير صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم هائمين في الضلال، لا يهتدون إلى الحق، وأكمل الكلام بـ«لا» ليدل أن ثمة مسلكين وهما طريقة اليهود وطريقة النصارى، وأن طريق أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلالة للنصارى؛ لأن من علم وترك استتحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إليه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو اتباع الحق ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال ومغضوب

عن طارق بن شهاب ؟ قال: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معاشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً» قال: وأي آية؟ قالوا: «الْيَوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» قال عمر: والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ فيه، والساعة التي نزلت فيها: نزلت على رسول الله ﷺ عشيّة عرفة، في يوم الجمعة». رواه البخاري.

وأخرج الطبراني في «معجمه الكبير» (١٦٤٧) عن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحه في الهواء؛ إلا وهو يذكر لنا منه علمًا. قال: فقال ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنّة ويباعد من النار؛ إلا وقد بُيُّنَ لَكُمْ».

فهذا الحديث النبوى الشريف فيه التصرير الجلى الواضح بأن كل ما يقرب إلى الجنّة قد بيّنه لنا رسولنا ﷺ، وأن كل ما يبعدنا عن النار، إلا وقد بيّنه لنا أيضًا رسولنا عليه الصلاة والسلام.

فأى إحداث أو ابتداع أو تقليد لأحد إنما هو استدراك على الشريعة، وجراة شنيعة ينادي بها أصحابها أن الشريعة لم تخف، ولم تكتم، فاحتاجت

إلى إحداثه وابتداعه!!

وهذا ما فهمه تماماً أصحاب النبي ﷺ كما صح عن ابن مسعود رضى الله عنه: أنه قال: «اتبعوا ولا تبتعدوا؛ فقد كفيتكم، وكل بدعة ضلاله».

«إذا كان ذلك كذلك؛ فالمبتدع إنما محصول قوله بسان حاله أو مقاوله: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب استدراها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها و تمامها من كل وجه؛ لم يبتعد، ولا استدرك عليها، وسائل هذا ضال عن الصراط المستقيم».

قال ابن الماجشون: سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: «الْيَوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»، فما لم يكن يومئذينا، فلا يكون اليوم ديننا». (الاعتصام للشاطبي).

«طرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص؛ فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، بتركيبيه الأدوية من عند نفسه، فربما صار دواؤه داء، وعبادته معصية، وهو لا يشعر؛ لأن الدين قد كمل تمام الكمال، فمن زاد شيئاً فيه؛ فقد ظن الدين ناقصاً، وهو يكمله باستحسان عقله»

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما - ولا بد ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

وقد بعث الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي السنة، وهي الشريعة والمنهج، الذي شرعه الله.

فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الاعمال والأقوال ما يبيّن سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناصباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى المواجهة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس فإن اللابس لثياب أهل العلم - مثلاً - يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضاً لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر، توجب مبيانية ومقارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف إلى أهل الهدي والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالة بين جنده المفاحين وأعدائه الخاسرين، وكلما كان القلب أتم، كان إحساسه بمقارنة اليهود والنصارى باتساعاً وظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهدىين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب.

هذا إذا لم يكن ذلك الظاهر إلا مبادئاً محضاً لو تجرد عن مشابهتهم، فاما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبية من شعب الكفر، فمما يقتضي فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم.

وهذا أصل ينبغي أن يتقطن له، والله أعلم.
(اقتضاء الصراط المستقيم).

٢٠ إخبار النبي ﷺ أن هذه الأمة تأخذ ماخذ اليهود

والنصارى والجوسون

١- ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشر وذراعاً بذراع

عليه، ولكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله عنهم: «من لعنة الله وغريب عليه» [المائدة: ٦]، وأخص أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى: «قَدْ ضلُّوا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» [المائدة: ٧٧].

روى حماد بن سلمة عن عدي بن حاتم قال: سالت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: «المغضوب عليهم»؟ قال: «اليهود» و«الضالل»؟ قال: «النصارى هم الضالل». وهكذا رواه سفيان بن عيينة بسنده عن عدي بن حاتم.

(تيسير العلي القدير في اختصار ابن كثير). قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

علماء الضلال

ومن هنا نعلم أن كثيراً من علماء الضلال يكتمون ما أنزل الله من البيانات والهدي، فلا يرشدون إلى ترك بدعة ولا يأمرنون بامتثال سنة ولا يأمرون بمعرفة ولا ينهون عن منكر، وعليهم يصدق قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُنُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَبُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَبُهُمُ الْأَعْذُونَ» [آل عمران: ١٥٩].

كما أن بعضهم يخالف علمه وينحرف عن جادة الصواب، بل قد يحسن أموراً محمرة في شرع الله ورسوله، وأعظم من ذلك أنه قد يشجع الناس على تلك الأمور المنكرة إرضاءً لل العامة كما شجع الكثيرون وحسنوا العقائد الكافرة والأفكار الضالة وحذب كثير منهم التبرج والسفور والرقص والمجون ونحو ذلك من الصالات والانحرافات، فهوأء وأمثالهم أشبه باليهود الذين فسر المفسرون بأنهم المغضوب عليهم لأنهم ضلوا بعلمهم، قال تعالى: «مَثُلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا حَمَلُ الْحَمَارَ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يُبْسِ مَثُلُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [آل عمرة: ٥].

التشبه وأثره السيء في فساد العقيدة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَا كُلُّمْ تَهْدَوْنَ» [البقرة: ١٤٩ - ١٥٠].
قال غير واحد من السلف: معناه لئلا يحتاج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة، فيقولوا: قد وافقونا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا فقط الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، إذ «الحجّة» اسم لكل ما يحتاج به من حق وباطل، «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» وهم قريش- فإنهم يقولون: عادوا إلى قبلتنا، فيوشك أن يعودوا إلى ديننا بين سبحانه أن من الحكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الكافرين في قبلتهم، ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكفر إذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجّة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود في الحجّة في القبلة.

٤- وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» [الأنعام: ١٥٤].

ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم وكانوا شيئاً، كما قال سبحانه: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» [البيت: ٤]، وقال تعالى عن اليهود: «وَلَيَزِدُنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُتْرَأَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَعْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْتُمَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [المائدة: ٦٤].

وقوله تعالى لنبيه ﷺ: «أَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء، ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في تلك الأمور؛ لأن قوله القائل: «أنا من هذا، وهذا مني» أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي؛ لأن الشخصين لا يتحدا إلا بال النوع كما في قوله تعالى: «بَخْضُكُمْ مِنْ بَخْضٍ» [آل عمران: ١٩٥].

والسنة تحذر من التشبه بالكافر وتأمر بمخالفتهم
١- جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: من تشبه بقوم فهو منهم». (أخرج أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٩).

قال شيخ الإسلام: في هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه كما في قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مُنْكِمْ قَاتِلَهُمْ مِنْهُمْ» [المائدة: ٥١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصيرون، فخالفوهم».

حتى لو دخلوا حجر ضب لاتبعتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: «فمن؟». قال القاضي عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الحجر تمثيل للأقتداء بهم في كل شيء مما نهى عنه الشرع وذمه، وكذا النwo قال: وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به. وقال الحافظ ابن حجر: قد وقع معظم ما أذن به ويسيق بقية ذلك.

٢- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبراً وذراعاً بذراع». فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم، فقال: ومن الناس إلا أولئك».

٣- عن المستورد بن شداد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه».

آخرجه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢١٩).
٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لتركتين سنن من كان قبلكم شبراً بشبراً وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه».

(آخرجه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٦٧).
الأدلة من القرآن على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن التشبيه بهم

١- قال تعالى: «وَلَنْ تَرْضَى عَنْكُمُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَبَعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُنَّا اللَّهُمَّ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِّي جَاءَكُمْ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ» [البقرة: ١٢٠]. فانظر كيف قال في الخبر «ملتهم»، وفي النهي «أهواههم» لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزجر وقع من اتباع أهواههم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين، نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه.

٢- قال تعالى: «وَمَنْ حَيَثْ خَرَجْتَ فَوْلَ وَجْهَكَ شَطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحُقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمَنْ حَيَثْ خَرَجْتَ فَوْلَ وَجْهَكَ شَطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتَمْ فَوْلَ وَجْهَكَمْ شَطَرَهُ لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَاحْشُوْنِي وَلَا تَمْ

قالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. (رواه مسلم).

فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم، حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

٩- النهي عن الصلاة في أوقات «خشية التشبه بالكافار».

عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلاله، فإنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، قال: فسمعت برجل بمكة يخبر أخيراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا هو رسول الله ﷺ مستحيضاً، جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقال: «ما أنت؟» فقال: «أنانبي». فقال: «وما نبي؟» فقال: «أرسلني الله». فقال: «بأي شيء أرسلك؟» قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء». فقال له: «فمن معك على هذا؟» قال: «حر وعبد». قال: «ومعه يومئذ أبو بكر وبلال». فقالت: «إني متبعك». قال: «إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، لا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فائتنى». قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكانت في أهلي، فجعلت استخبر الأخبار، وأسأل الناس، حتى قدم نفر من أهل يثرب- أي من أهل المدينة- فقالت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراغ، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: «نعم أنت الذي لقيتني بمكة». قال: فقلت: يا نبي الله، أخبرني عمما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تغرب بين قرنى شيطان، وحيئن يسجد لها الكفار، ثم صل، فإن الصلاة مشهورة محضورة، حتى يستقل الظل بالرجم، ثم أقصر عن الصلاة فإن حيئن تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهورة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرنى شيطان، وحيئن يسجد لها الكفار». (أخرجه مسلم).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود». (أخرجه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٤٦٧).

فإذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى ولهذا فإن هذا التشبه بهم يكون محرماً بخلاف الأول.

٤- وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب وأغفوا اللحى». فأمر بمخالفة المشركين مطلقاً، وهذه الجملة الثانية بدل من الأولى.

٥- وعن شداد بن أووس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم». (أخرجه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٣٢١٠).

٦- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر». (رواه مسلم).

وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع، وقد صرحت بذلك فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون». وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر هو لأجل مخالفة اليهود والنصارى.

وإذا كانت مخالفتهم سبباً لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كل، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة.

٧- عن أبي أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال أمتي بخیر- أو قال على الفطرة- ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تستحب النجوم». (أخرجه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٧٢٨٥).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن اليهود كانوا إذا حاضرت المرأة فيهم لم يوالكونا ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله عز وجل: «وَيُسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيطِ...» [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود،

الدعاة إلى الله

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز: ﴿وَلَئِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. والصلوة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد خير من دعا إلى الله وبشر وأنذر، وعلى الله وأصحابه الذين قاموا بنشر هذا الدين بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، حتى تحقق وعد الله بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحُقْقَىٰ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣٣].

وبعد: فهذه سلسلة مقالات في الدعاة إلى الله، نتناول فيها جملة من المسائل المتعلقة بهذا الواجب العظيم. من ذلك:

أهمية الدعاة ومكانتها في الإسلام، وكيفية الدعاة و مجالاتها، والصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله، وثمرة الدعاة إلى الله ونتائجها. إلى غير ذلك من المسائل.

الإسلام من أجل مفارقة البيئة الفاسدة.

ما كانت هذه العوامل هي سبب ضلال الخلق مع تأثير النفوس الأمارة بالسوء - أمر الله بالدعوة إلى الله لرد الشاردين وتعليم الجاهلين وتذكير الغافلين، فأنزل كتبه وأرسل رسالته من أجل الدعاة إليه، ودعا عباده إلى الرجوع إليه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَيْهِ﴾ [آل عمرة: ٢٢١]، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَيْمَانِهِ﴾ [آل عمرة: ٢٥]، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَعْفُرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسْتَقْبَلٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وجاءت النداءات المتكررة منه سبحانه في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿يَا عَبَادِي﴾ يدعوهם إلى الخير وينهائهم عن الشر.

ثانياً: أهمية الدعاة ومكانتها في الإسلام

لقد حصل الانحراف في البشرية عن عقيدة التوحيد - منذ قوم نوح - فارسل الله سبحانه الرسل لدعوة الخلق إلى التوحيد والإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [آل عمرة: ٣٦]، وبين مهمتهم في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حَجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [آل نساء: ١٦٥]، ﴿يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاقْتُلُونَ﴾ [آل نحل: ٢].

وما كانت هذه الأمة الحمدية وارثة الرسالات والكتب السماوية بما جعل الله نبيها خاتم الرسل

أولاً: تعريف الدعاة إلى الله

الدعوة لغة: الطلب. والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده.

والدعاة إلى الله؛ هي طلب الإيمان به وعبادته وحده لا شريك له والعمل بطاعته وترك معصيته، فإن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [آل عمرة: ٥٦]، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يَطْعَمُونَ﴾ [آل عمرة: ٥٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْفُوْتِ الْمُتَّنِّ﴾ [آل عمرة: ٥٨-٥٩].

وهذا مقتضى العقول، والفطر السليمة، فإن العبادة لا يستحقها إلا الذي يقدر على الخلق والرزق، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يُخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ﴾ [آل نحل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ...﴾ [آل العنكبوت: ١٧].

ولما كانت الفطر قد تتغير فيحرف بعض المخلوقين إلى عبادة غير الله بحكم التربية السيئة أو البيئة الفاسدة أو بسبب دعاء السوء من شياطين الإنس والجن، كما قال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فآبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه» (روايه مسلم).

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أنتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». (روايه مسلم).

وقد أمر الله بالهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد

أهميةها ومكانتها

كفاية، إذا قام به من يكفي من الأمة سقط الائم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أو قام به من لا تحصل به الكفاية، أثم كل أفراد الأمة من عنده الاستطاعة، قال تعالى: «ولتکنْ مِنْکُمْ أَمَةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ» [آل عمران: ١٠٤].

قال الإمام ابن كثير رحمة الله: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقبله، وذلك أضعف الإيمان».

[رواه مسلم: ٤٩]

وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». [رواه مسلم: ٥٠]. انتهى.

وأخبر سبحانه وتعالى أن الدعاء إلى الله هم أحسن الناس قولًا، قال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» [فصلت: ٣٣].

قال الحافظ ابن جرير رحمة الله: يقول تعالى ذكره: ومن أحسن إليها الناس من قال: ربنا الله ثم استقام على الإيمان به والانتهاء إلى أمره ونهيه ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك.

وقال الشوكاني: والأولى حمل الآية على العموم وكما يقتضيه اللفظ. فكل من جمع بين دعوة العباد إلى ما شرعه الله وعمل عملاً صالحًا وهو تابية ما فرض الله عليه من اجتناب ما حرمه الله عليه وكان من المسلمين بياناً لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثواباً من عمله. اهـ

■ مكانة الدعوة إلى الله ■

إن الدعوة إلى الله لها مكانة عظيمة في الإسلام، فهي أعظم المهمات التي يبعث من أجلها الرسول ﷺ، وكل بها هو وأتباعه، قال تعالى: «قُلْ هُنَّ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي» [يوسف: ١٠٨]، والدعوة إلى الله تسبيق القتال في سبيل الله، فقد كان النبي ﷺ يدعوا الكفار إلى الله قبل أن يقاتلهم، وكان يوصي قواده وجيوشه وسرايته أن يبدأوا عدوهم بالدعوة قبل القتال، فإن استجابوا قبلوا منهم وإن أطلقوا عليهم.

ومبعوثاً للناس كافة يجعل كتابها المهيمن على الكتب وجعلها وارثة هذا الكتاب العظيم، كما قال عياشنا: «ثُمَّ أُورْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَطَعْنَا مِنْ عِيَادَنَا» [فاطر: ٣٢]. فإنها يجب عليها نحو البشرية أكثر مما يجب على غيرها من سبقها من الأمم لما أعطاها الله من الإمكانيات العظيمة التي لم تعطها أمم غيرها، بل هي المسئولة الوحيدة عن القيام بدعاوة البشرية وتبلغها دعوة الله، من يقبل هدى الله أو الجهاد من صد عن سبيل الله، كما قال تعالى: «كُلُّمَّ خَيْرٍ أَمْأَةٌ أَخْرَجْتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَّلْتِكُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣].

■ الدعوة تشريف وتکليف ■

وقد كلف الله رسول هذه الأمة محمدًا ﷺ بدعوة البشرية كلها، قال تعالى: «شَارَكَنَا الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» [٤٥] وَذَاعَ عَنِّي إِلَى اللَّهِ يَعْلَمُهُ» [الأحزاب: ٤٦، ٤٥].

وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِرَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا» [سبأ: ٢٨].

وقد كلفت هذه الأمة بما كلف به رسولها من القيام بدعوة البشرية إلى الله عز وجل، قال تعالى: «قُلْ هُنَّ هُنَّ دُعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي» [يوسف: ١٠٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمة الله: يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن أمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي: طريقته ومساركه وسننته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعى. اهـ

فالدعوة إلى الله تعالى واجبة على هذه الأمة وحق للبشرية عليها، وهذا الوجوب يكون فرض

وَأَنفُسْكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنِي كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَنَوَّوا
فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ» [آل عمران: ١٨٦].

٣٣ ثالثاً: كيفية الدعوة

١- أما عن كيفية الدعوة فيجب على من يقوم بالدعوة إلى الله أن يصلح نفسه أولاً ومحيطة من أهل بيته وأقاربه، ثم يتوجه إلى دعوة الناس، قال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام: «وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالَفُكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْعَطْتُ» [هود: ٢٨]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْجَنَّاتُ» [التحريم: ٦]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤]، قال الإمام العلامة ابن القيم رحمة الله في «زاد المعاد» (١٥٨/٣): «أول ما أوحى إليه ربنا وتعالى أن يقرأ باسم ربها الذي خلق، وذلك أول نبوته، فامرها أن يقرأ في نفسه ولم يأمرها إذ ذاك بتبليله، ثم انزل عليه: «يَا أَيُّهَا الْمُذَرُ» (١) قُمْ فَانْذِرْ» [الاذري: ١، ٢]، فنبأه بقوله: «اقرأ»، وأرسله بقوله: «يَا أَيُّهَا الْمُذَرُ»، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم انذر قومه، ثم انذر من حولهم من العرب، ثم انذر العرب قاطبة، ثم انذر العالمين». اهـ.

ومن هنا نعلم أن الدعاة الذين يتجاوزون بلادهم ومن حولهم، بل يتجاوزون أهل بيوتهم وأقاربهم وهم على الشرك والكفر أو المعاشي ويذهبون في محيط بعيد عنهم أنهم مخالفون لهدي النبي ﷺ في الدعوة.

٣٤ التوحيد أولاً

وعلى الداعية أن يبدأ بالأمور المهمة، فيبدأ أولاً بإصلاح العقيدة؛ لأنها هي الأساس الذي تبني عليه سائر الأعمال، فالاعمال مهمها بلغت إذا لم تكن مبنية على عقيدة صحيحة خالية من الشرك فإنها لا قيمة لها ولافائدة منها، قال تعالى: «وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَئِنْ أَشْرَكْتُ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكُمْ وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر: ٦٥].

ومن هنا كانت دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أول ما توجه إلى إصلاح العقيدة بالدعوة إلى التوحيد وترك الشرك، قال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» [النحل: ٣٦]، وكلنبي يقول لقومه أول ما يدعوه: «يَا قَوْمٍ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ» [الأعراف: ٥٥٩]

وقال خاتمهم ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا».

٣٥ حاجة الناس إلى الدعوة

إن الدعوة إلى الله في هذا الزمان تشتد الحاجة إليها بسبب كثرة التضليل والإلحاد ونشاط دعاة الشر والفساد والإباحية واستخدامهم مختلف الوسائل، فها هم دعاة التنصير ينتشرون في العالم ويلجؤون في الأدغال النائية، ويستغلون جهل الشعوب وفقرها لبث شرهم، وهذا هي أحكام القرآن شحي وتجعل بديلاً عنها الأحكام الوضعية في غالب الدول الإسلامية، ووسائل الإعلام في أغلب دول العالم تبث سمومها مستخدمة هذه الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة.

وأخطر من ذلك نشاط الفرق الضالة التي تتسمى بالإسلام، وهي تكيد له من داخله بالتشكيك في أصوله ومعاداة السنن وأهلها ونشر البدع والخرافات وبغض الصحابة والابتعاد عن عقيدة السلف، فأصبح المسلمون مهددين من الداخل والخارج مما يتطلب من الدعاة المخلصين ومن علماء المسلمين مقاومة الجهود مقاومة هذه الجيوش الزاحفة على الإسلام وأهله؛ لرد كيدهم في نحورهم، وتتصير المسلمين بدينهم، وبيان كيد عدوهم، ويوم يتتبه دعاة الإسلام لصد هذا الهجوم فإن النصر بإذن الله سيكون حليفهم فإن معهم الحق، والله تعالى يقول: «بِلْ نَقْذُفُ بِالْحُقْقِ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ» [الأنبياء: ١٨]، ويقول تعالى: «وَقُلْ جَاءَ الْحُقْقُ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: ١٨].

ويكشفنا قدوة ما قام به رسول الله ﷺ، لما بعثه الله رسولًا مقاومة جحافل الشرك والكفر والطغيان، فقد كان الشرك والكفر حين بعثته يعم وجه الأرض حتى جلت الأصنام المشرفة فكان فوقها ثلاثمائة وستون صنمًا والصور تكسو حيطة من الداخل، فما زال الرسول ﷺ يدعو إلى الله ويجاهد المشركيين إلى أن دخل مكة عام الفتح واتجه إلى الكعبة، فازال ما عليها وما حولها من الأصنام يجعل يطعن فيها بالقضيب وهي تتهاوى على جوهاها، وهو يقول: «جَاءَ الْحُقْقُ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: ٨١].

إن في هذا درساً للدعاة اليوم وهم يواجهون تحديات الكفر والإلحاد في أن يضعفوا الجهود في دعوتهم ويصبروا ويصابروا والنصر قريب بإذن الله تعالى: «إِنْ تُنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيَتَبَتَّ أَقْدَامُكُمْ» [محمد: ٧]، وقال تعالى: «لَتَبْلُوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ

قال تعالى: «**ظَاهِرُ الْفَسَادِ** فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
النَّاسِ لِئَذِيقَهُمْ بِعَصْنَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الروم:
٤١]، وجود الدعاة والمصلحين
أمان من العذاب والهلاك، قال
تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْفَرْقَانَ
بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلَحُونَ» [هود:
١١٧]، وعدم وجود
الدعاة والمصلحين سبب الهلاك.

٢٠ مراعاة أحوال المدعىون

وعلى الدعاة أن يراعوا أحوال المدعىون، فالجاله له معاملة في دعوه والعالم له معاملة والمعاذ له معاملة، فيعاملوا كلاماً بما يليق به، قال تعالى: «إِذْءُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ
الْحُسْنَةِ وَجَارِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [النحل:
١٢٥٥]

ونك أن المدعو له حالات يعامل في كل حال بما يناسبها:

الحالة الأولى: أن يكون جاهلاً بالحق ولو بين له لأخذ به فهذا يدعى بالحكمة والدين واللطف والرأفة.
الحالة الثانية: من إذا بين له الحق اعترف به ولكن لم يسرع لقبوله والعمل به، بل يكون عنده كسل وفتور فهذا يحتاج مع البيان إلى مواعظة بأن يُحْوَى وينبئن له ثواب المطيعين وعقاب العاصين.

الحالة الثالثة: من إذا بين له الحق لم يقبله وحاول رده بال شباهات، فهذا يجادل بالتي هي أحسن لكشف شباهاته وبيان خطأه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤٥/٢): الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبصر به فهذا صاحب الحكمة. وإما أن يعترض به لكن لا يعمل به فهذا يوغض حتى يعمل. وإنما لا يعترض به فهذا يجادل بالتي هي أحسن؛ لأن الجدال فيه مظنة الإغتصاب فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان كدفع الصائل. انتهى.

وقال الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: جعل الله مراتب الدعاة بحسب مراتب الخلق، فما سطح القابل الذي لا يعادي الحق ولا يأبه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموuttle الحسنة، وهي الأمر والنهي المقوون بالترغيب والترهيب، والمعاذن الجاحد يُجادل بالتي هي أحسن. انتهى. وهذا لأن الداعية كالطبيب يراعي حال المريض في علاجه له، والهداية أولاً وأخراً من الله تعالى وحده، والله الموفق، والحديث موصول بمشيئة تعالى.

وهكذا كانت دعوة نبينا محمد ﷺ، فقد لبث ثلاثة عشرة سنة في مكة قبل الهجرة يدعوه إلى التوحيد وينهاه عن الشرك قبل أن يأمرهم بصلة أو زكاة أو صيام أو حج، مما يدل على أن منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة منهاج واحد، وهو البداء بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، ثم إلى بقية الأحكام، وحتى لو كان المجتمع مسلماً فإنه لا يخلو من وجود أنواع من الشرك في بعض الناس وبعض البلاد، بسبب الجهل، فقد انتشر الكثير والكثير من أنواع الشرك الأكبر المتمثل في عبادة الأضرحة في كثير من البلاد الإسلامية، ولم يتوجه إلى إنكاره إلا قليلاً من الدعاة على كثرةهم وهذا خلل عظيم في منهج الدعوة.

٢١ التحذير من البدع

ثم على الدعاة كذلك أن يهتموا بإنكار البدع المحدثة في العبادات وبتعلم الناس السنن الصحيحة؛ لأن البدع من أعظم ما يفسد الدين بعد الشرك، فالمبتدع يشرع في الدين ما لم ياذن به الله، والبدع كلها مرفوضة مردودة على أصحابها مهما أتجبو أنفسهم وأنفقوا أموالهم وضيعوا أوقاتهم في إقامتها، قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وقال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ولهذا يجب على الدعاة أن يحذرها المسلمين من الشرك، ويا مروهم بالتوحيد والسنة، فعلى هذا الأصل قامت الدعوة إلى الله تعالى، وبهذا السبيل استحققت الأمة الخيرية، وأن تكون أفضل الأمم، قال تعالى: «كُلُّتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَرْفُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمِيُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠].

وقد حذر النبي ﷺ أصحابه فمن بعدهم أهل زمانهم من البدع ومحدثات الأمور، وأمرتهم بالاتباع الذي فيه النجاۃ من كل مخذول، قال مذبور، قال تعالى: «وَأَنَّ
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِغُوا السُّبُّلَ
فَتَفَرَّقُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَنَزَّلُونَ» [الأنعام: ١٥٣].

ومعنى: «وَلَا تَنْتَبِغُوا السُّبُّلَ»: قال أبو الحاج المكي: البدع والشباهات. وقال العز بن عبد السلام: «طوبى لمن تولى شيئاً من أمور المسلمين، فاعان على إماتة البدع وإحياء السنة».

ثم بعد ذلك يتوجه الدعاة إلى الدعوة إلى أداء الفرائض وترك المعاصي والمحرمات وتصحيح المعاملات؛ لأن المعاصي سبب لهلاك العباد والبلاد.



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:
فالدعاة إلى الله عز وجل من أجل الأعمال وأفضل
القربات، وهي سبيل الأنبياء والمرسلين، وهي سمة هذه
الأمة المباركة المرحومة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتَوْمَئُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وقد تضافرت النصوص تؤكد عظم شأنها وعلو
مكانتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ فَوْلًا مِنْ دُعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
وقال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر
مثل أجور من تبعه» لا ينقص ذلك من أجورهم شيء». [صحيف الجامع: ٦٢٣٤].

فانعم بها من منزلة، وأكرم بها من رسالة.

ويأتي هذا المقال ضمن سلسلة مقالات في الدعاة
إلى الله تعالى؛ إسهاماً منا في هذا المجال المبارك،
وتبييراً للمسلمين عامة وللدعاة خاصة بأهمية العقيدة
والدعوة إليها، وتحذيراً من الشرك وخطره على الفرد
والأمة، خاصة وأننا نرى اليوم كثيراً من الدعاة-
للأسف- لا يلقى للعقيدة بالاً في دعوته، بل يهتم
بجواب سلوكيه وأخلاقية المسلمين من حوله غارقون
في الشرك الأكبر حول الأضرحة والمزارات؛ متورطون في
البدع والخرافات، مفارقون لمنهج رب الأرض والسموات.

العقيدة هي الأساس والمنطلق

الدعوة إلى عقيدة التوحيد هي مبدأ دعوة الأنبياء
والرسل، فجميع الرسل جاءوا بالدعوة إلى هذه العقيدة،
قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال
تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَعْثَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النمل: ٣٦]. فالدعوة إلى العقيدة
هي الأساس والمنطلق في الدعوة إلى الله، فلا يدعى
لشيء قبلها لأنها الأساس الذي لا يصح البناء إلا به،
وهي المصحح لجميع الأعمال، فلا تقبل الأعمال ولا تصح
بدونها، وقد مكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة يدعو
الناس إلى تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده لا شريك
له وترك ما يعبد من دونه قبل أن يأمر بصلة أو زكوة أو
صوم أو حج، والمتبع للقرآن المكي يجد أن معظم آياته
 تعالج قضية العقيدة، ففاتحة الكتاب تُعرَّف بالله،
المعبد، وفيها إثبات القدر والنبوات والبعث واللوهية،
وأفضل آية في القرآن؛ هي آية الكرسي، وهي متضمنة
للسمات العلى لله جل وعلا، وسورة الإخلاص التي
تعدل ثلث القرآن كلها تعريف بالله سبحانه، وغالب سور

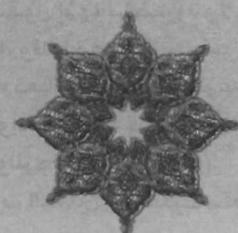
الدعاة

إِلَى اللَّهِ

وَالسَّلَامُ

المحتقن

إعداد / معاوية محمد هيكيل



القرآن كذلك.

من ساروا على نهجه واقتدوا به في ذلك، وأن من لم يتعلم العقيدة، ويهم بها ويدعو إليها فليس على منهج النبي ﷺ لذلك كان النبي ﷺ عندما يرسل الدعاء ويبعثهم يوصيهم دائمًا بالدعاة بالدعوة إلى تصحح العقيدة، «فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال له: إِنَّكَ تَاتِيَ قَوْمًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلَيْكَ أُولَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ». وفي رواية: إلى أن يوحدو الله - فإنهم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإنهم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنىائهم فترد على فقراءهم، فإنهم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكراهم أمواهم، وافق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

[رواية البخاري ومسلم].

هذا الحديث يبين أن الدعوة إلى العقيدة هو منطلق الدعوة إلى الله تعالى، وهي المتمثلة في عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وأن تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله، وأوجب الواجبات توحيد الله تعالى، فيجب على كل مكلف - رجالاً كان أو امرأة - أن يتعلم التوحيد وما ينافيه من الشرك، كما يجب عليه بعد ذلك أن يتعلم الفرائض والحلال والحرام وبقية أحكام الدين.

التركيز على العقيدة هو العلاج الناجع

فالتركيز على العقيدة هي العلاج الناجع للشر والفساد الذي نجم عن البعض مما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - فقد صرفت العبادات لغير الله بزعم محبة الأولياء، وظهر من يلحد في اسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وافتقرت الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقة كما افترقت اليهود من قبل، فظهرت الأشاعرة، والمعزلة، والخوارج، والشيعة، والصوفية، وقد كان الإمام أبو حنيفة يكره من يطعن في إمامه أبي بكر وعمر ويسب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأبطل الصلاة خلفهم، فالعقيدة دائمًا هي العاصمة من الفتنة والسبيل إلى عودة الوحدة إلى صفوف الأمة.

صور من الانحراف العقدي

عندما دعا النبي ﷺ مشركي مكة لعبادة الله

قال ابن القيم - رحمه الله -: «وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعوة إلى عبادته وتوحيد لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الألوهية، وإنما أمر ونهي والإ扎م بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإنما خبر عن إكرامه لأهل توحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمه الله به في الآخرة، وهو جزء توحيد، وإنما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما فعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزء من خرج عن حكم التوحيد». اهـ.

على الدعاء أن يحرموا على سلامه العقد

فيجب على الدعوة أن يركزوا في دعوتهم على العقيدة ويحرصوا على سلامه المعتقد وتقيته من شوائب الشرك، وأن يقبلوا على دراسة مسائل التوحيد، ثم يعلموها غيرهم، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: «فَلْ يَأْذُنْ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسَبِّحَانَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنِ الْمُشْرِكِينَ» [يوسف: ١٠٨].

يعني: يا أيها النبي قل للناس: «هذه» الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته، «سبيلي» طريقتي ودعوتي، «أدعوا إلى الله» تعالى وحده لا شريك له، «على بصيرة» بذلك وبقين علم مني، وال بصيرة هي: المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، «أنا ومن اتبعني» ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وأمن بي، قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن.

«سبحان الله» وقل تزييه لله تعالى وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبد سواه في سلطانه، «وما أنا من المشركين»: في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصًا له الدين، وأنا بريء من أهل الشرك، لست منهم ولا هم مني.

[انظر: تفسير الطيري، والسعدي].

وهكذا توضح الآية الكريمة وتؤكد على أهمية معرفة العقيدة والدعوة إليها، وأن اتباع الرسول ﷺ هم

تعالى: «قُلْ أَتُبَيِّنُ لَهُ مَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» [يوسٰن: ١٨]

ورد على أصحاب الشبهة الثانية بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» [الزمر: ٣]، عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفر به سبحانه.

٢٠ انحرافات عقديّة في عصر التقليد والمدنية

من الدعوات الفاسدة والعقائد الخاسرة ما يعتقده الباطنية وبعض الصوفية من أن من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبيين، ويتصرون في شؤون العالم ويسمونهم بالاقطاب والأوتاد والأغواط... إلى غير ذلك من الأسماء التي اخترعواها لأنهم بذلك شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، فهم جعلوا مع الله الهبة أخرى مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق الحي الميت، قال تعالى: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلُكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قَدْ فَلَّ تَنَقَّوْنَ» [يوسٰن: ٢١]. وقال تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَّقُهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» [الزخرف: ٨٧].

ومن شاهد ما يفعله الجهل عند قبر الحسين والسيد البدوي وابن عربي والجياني من دعائهما والاستغاثة بهم، والتنفر والذبح لهم علم أن الجاهلية تطل علينا من جديد، وأن الشركات التي فشت في المجتمعات اليوم في حاجة إلى دعوة مستمرة للقضاء عليها، وأن تصافر الجهود من أجل ذلك واجب على العلماء، ويختلط من يظن أن الشرك القديم قد انتهى زمانه، فما زالت الأصنام تعبد في أدغال أفريقيا، ولا تزال أوروبا المتحضرة رمز التقى والمدنية تسجد أمام تمثال العذراء، والشيوعيون يطوفون بقبر لينين، ولا تزال البشرية شاردة عن منهج الله عز وجل وتتحاكم إلى نظم وضعية وقواذن أرضية، فإلى الله المشتكى.

٢١ الدعوة إلى التقارب بين الأديان وخطره على الأمة

من ذلك الدعوة إلى التقارب بين الأديان، فهي دعوة خبيثة ماكنة من شأنها أن تصرف اليهود والنصارى عن الدخول في الإسلام، ولأن كثيراً من اليهود

وحده، وترك عبادة الأصنام، قالوا: «أَجْعَلِ الْأَكْهَمَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» [ص ٤]، فتعجبوا من ذلك لأنهم كانوا يعبدون الآلات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، كما كانوا يعبدون الأشجار والأشجار، فإذا وجدوا حرجاً أحسن من حجر تركوا الأول وعبدوا الثاني، وكانوا إذا ركبوا في الفلك ونزلت بهم الشدائـد قدفوا بأصواتهم في البحر وقالوا: يا رب، كما قال الله تعالى عنهم: «فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفَلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا تَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» [العنكبوت: ٦٥]، وكذلك كان الشرك في قوم نوح عليه السلام، قال تعالى حاكياً عن عنادهم وإصرارهم على الكفر بالله عن وجل: «وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا هَتَّكُمْ وَلَا تَذَرْنَا وَدَا وَلَا سُوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوُقَ وَتَسْرَا» (٢٢) [نوح: ٢٤، ٢٣]، وقد أصلوا فعباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار وعандوهم، كما فعل كفار قريش مع النبي ﷺ، فكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات وشفاء الأمراض والنصر على الأعداء ويتقربون إليهم بكل أوان القربات، فكانوا يذبحون وينذرون لهم، فدعاهم النبي ﷺ، وبين لهم حقيقة الدين، فامن به البعض، ثم دخل الناس في دين الله أفواجاً، وظهر دين الله على سائر الأديان، بعد جهاد متواصل الحالات في الدعوة إلى الله عز وجل.

٢٢ الجاهلية تطل برأسها من جديد

لم يستمر الأمر على ذلك طويلاً، إذ سرعان ما تغيرت الأحوال، وغلب على الناس الجهل، وخيم على العقول، وأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، حتى عاد الكثير إلى دين الجاهلية بالغلو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم، وغير ذلك من أوان الشرك، ولم يزل هذا الشرك يفسو في الناس إلى هذا العصر بسبب غلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسل، وشبهة هؤلاء المتأخرین هي تماماً شبهة الأولين، وهي قوله عن الهمتهم: «هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» [يوسٰن: ١٨]، قوله: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا» [الزمر: ٣]، وقد أبطل الله عز وجل هذه الشبهة، وبين أن من عبد غيره كائناً من كان فقد كفر به وأشرك، قال تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونَ اللَّهَ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيُقْوَلُونَ هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» فرد عليهم بقوله

الجزية.

بل الناظر والمتأمل في كتاب الله يجد القرآن الكريم قد حذر النبي ﷺ من مثل هذا التقارب فقال سبحانه: «وَإِنْ كَادُوا لِيَقْتُلُوكُمْ عَنِ الَّذِي أُوحَيْتُمْ إِلَيْكُمْ لَتُفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَأْتَخْدُوكُمْ خَلِيلًا» (٧٣) ولَوْلَا أَنْ تَبْتَغَنَّ لَقَدْ كُدْتُ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَدَقْنَاكُمْ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفُ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُنَّكُمْ عَلَيْنَا تَصِيرًا» [الإسراء: ٧٣-٧٥].

وقال سبحانه للنبي ﷺ ليقول لهم: «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا أَعْبَدْتُمْ» (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِي».

فينبغي لكل مسلم وخاصة الدعاة منهم أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، وأن ينتبهوا إلى خطورة هذه الدعوات المشبوهة التي يفسد أصحابها في الأرض ولا يصلحون.

إن الدين عند الله الإسلام

فما من النبي إلا ودعا إلى الإسلام، وفي ذلك يقول تعالى: «وَمَنْ يَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْتَهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ الصَّالِحِينَ» (١٣٠) إِذْ قَالَ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شَهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبْنَيْهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي فَلَمَّا نَعْدَدْنَا إِلَهَكُمْ وَإِلَهُ أَبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (١٣٣) تَلَكَ أَمْمَةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبْتُ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [البقرة: ١٣٠-١٣٤].

فَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - هو القدوة الذي يؤتمن به، وهو معلم الخير، بل هو إمام الناس كلهم: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [النَّحْل: ١٢٠]، «وَمَنْ يَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهَ نَفْسَهُ» [البقرة: ١٣٠].

وقد أمر بالإسلام، وقال: أسلمت لرب العالمين، وهذه وصيته إلى بنيه ووصية إسرائيل «يعقوب» إلى بنيه، وقد اصطفى ربنا آدم ونوحًا وال بإبراهيم وال عمران على العالمين، ثم قال: «وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَنُوا قُلْ بَلْ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [البقرة: ١٣٥]. فامر باتباع ملة إبراهيم ونهى عن التهود والنصر وأمر

والنصارى في حاجة ماسة إلى دين كامل شامل كالإسلام، وقد سئموا ما يسمى عندهم بال المسيحية واليهودية التي هي من صنع الأخبار والرهبان، وليس الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسي عليهما السلام، وهناك هدف آخر لهذه الدعوة الفاسدة، هو تخدير مشاعر المسلمين تجاه اليهود والنصارى، فلا يستشعر المسلم وجوب دعوتهم، ووجوب عداوتهم في الله لأنهم كفار، بل إن بعض المسلمين يظن أن اليهود والنصارى ناجون يوم القيمة لأنهم أتباع دين سماوي، واتخذهم البعض أصدقاء وأولئك من دون المؤمنين، مخالفين قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَكُمْ فِي الْيَوْمِ أُولَئِيَّةَ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَّةٍ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [آل عمران: ٥١].

وقوله سبحانه: «وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِيَّةِ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ» [هود: ١١٣].

ولم يفرق كثير من الدعاة - للأسف - بين جواز رحمتهم بالرحمة العامة كإطعامهم من جوع ومداواتهم من مرض ومجاالتهم بالتي هي أحسن، والبيع والشراء معهم، والعدل بينهم، وبين بغضهم وعدم محبتهم، وموالاتهم، واستمسك كل فريق ببعض النصوص وهجر البعض الآخر، واهل الحق بين الغالي والجافي، الذين يعلمون الحق وبه يעדلون، ويستمسكون بكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فالدعوة إلى التقريب بين الأديان أو صداقتهم دعوة مارقة باطلة، ومن أياصر حقيقة الدعوة يعلم أن الرسول ﷺ قد حاور اليهود في المدينة وجادلهم وخاصتهم ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ولم يدعهم إلى التقارب بين الإسلام واليهودية أو التقريب بينهما، ولو علم في ذلك خيراً لفعله، وكذلك الحال مع النصارى، فلما قدم عليه وفدى نصارى نجران فحاجوه في النصرانية دعاهم صلوات الله وسلامه عليه إلى عقيدة الإسلام، ونزل عليه قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةِ سَوَاءٍ» [آل عمران: ٦٤].

ثم دعاهم إلى المباهلة (أن ينزل الله تعالى لعنته على الكاذب)، فخافوا واشفقو على أنفسهم، فعرض عليهم إما الإسلام أو الجريمة أو الحرب فاختاروا

باليقين الجامع كما أنزل على النبيين، وما أتوه، وبالإسلام له سبحانه، وأن تُصْبِح بصفة الله، وأن تكون له عبادين، ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه وإسرائيل كانوا هوداً أو نصارى ؟ فالإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم وهو الذي ارتضاه سبحانه للعالمين، قال تعالى: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوْغًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [آل عمران: ٨٣]

فالإسلام هو العقيدة الحقة الصحيحة وما سواه فعقائد فاسدة لا تغنى عن أصحابها من الله شيئاً، سواء كانت من وضع البشر كهذه النظم والدستير والمناهج الباطلة والمحرفة للتوراة التي استبدلها اليهود بالتلمود والإنجيل الذي استبدلته النصارى باشني عشر إنجيلاً يضرب ببعضها بعضاً.

ومن هذا نتبين خطأ من يقول: «الأديان السماوية»؛ لأن الدين واحد: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: ١٨]. «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُفْلِمَ مِنْهُ وَمَنْوَ في الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [آل عمران: ٨٥]

وينبغي أن نعلم أن كل من لا يدين بالإسلام من أهل الكتاب بعد سماعه برسول الله ﷺ فهو كافر؛ لقول النبي ﷺ: «وَالذِي نَفَسَهُ اللَّهُ فِيهِ كَافِرٌ» [البقرة: ١٧]، بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراوي، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

وهذا أمر لا بد من التذكير به خاصة ونحن نعيش عصر العولمة الذي اختلط فيه المفاهيم وكثير فيه اللغط بالحديث الدائم عن احترام الآخر والتعايش بين الأديان والإخاء الديني ونبذ التعصب، وذلك حتى لا تذوب هوية الأمة وعقيدتها تحت ضغط هذه الشعارات البراقة والدعوى الزائفة والعبارات المضللة.

«عقيدة السلف هي العاصمة من الفتن»
ولفهم الإسلام فهماً صحيحاً فلا بد من الرجوع إلى سلف الأمة في فهم الكتاب والسنة، فإن إسلام الشيعة يختلف عن إسلام الصوفية والخوارج والمعزلة، وكل هؤلاء يخالفون ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وقد أثني سبحانه وتعالى على الصحابة بقوله: «كُلُّمَنْ خَيْرُ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ» [آل عمران: ١١٠]

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنَيٌ، ثُمَّ الَّذِينَ

يلونهم ثم الذين يلونهم» [صحيف الجامع: ٣٢٩٥]. وفي حديث العرياض بن سارية: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي، عدوا عليها بالنواخذة وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار». رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح، وقد وصف ابن مسعود رضي الله عنه صحابة النبي ﷺ بقوله: «كانوا أبراً هذه الأمة قلوباً وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً»، فالدين الخالص الذي يرضى به الله هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام علمًا وعملاً واعتقاداً.

٦٠ المستقبل لأهل العقيدة الصحيحة

إن المستقبل للإسلام، وذلك لغلبة وظهوره على الأديان الباطلة، فليس لنا أن ن Yas من روح الله، وعلينا أن نبدأ بإصلاح النفس والمسعى في دعوة الآخرين، وأن نرتفع إلى مستوى إسلامنا حتى نغير به عوج الحياة، وأن نعلم أن هذه الحالة السيئة التي تعيشها الأمة لن تستمر بإذن الله، فالآمة ستعود النهوض من كبوتها، وستستيقظ بعد سباتها ويعود لها عزها ومجدها المفقود، فعن أبي قبيل قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القدسية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصن涓 له حلق، قال: وأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً القدسية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً يعني القدسية».

رواه الحكم وصححه ووافقه الذهبي، والألبانى، ورومية هي «رومًا» عاصمة إيطاليا، وقد تحقق الفتح الأول، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلم نباء بعد حين، وهذا يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وأن يعود المسلمين أقوياء في عبادتهم وعدتهم وسلامتهم، «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أُمُّرِهِ وَكَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف: ٢١]. والله من وراء القصد.

جهاز وتحذيات

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

الدعوة إلى الله هي مهمة الرسول عليهم الصلاة والسلام، فإن الأنبياء والمرسلين بعثوا من أجل الدعوة إلى الله عز وجل، الدعوة إلى الله بتقواه، الدعوة إلى الله بتوحيده، الدعوة إلى الله باتباع رسوله ﷺ الدعوة إلى الله بأن تطلب مرضاته لله، وأن تبتعد عن مساقطه، ولهذا حرص الأنبياء والمرسلون جميعاً من لدن آدم وهو أول الأنبياء ونوح وهو أول الرسل، إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام، على البذل والتضحية في سبيل هذه الدعوة؛ امتثالاً وحضاً على نشر ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال التي هي سبيل الدعوة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنْ قُوْلًا مِمْنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

دُعَائِي إِلَأِ فِرَارًا﴾، وكان الملاييسخرون منه ويستهزئون به وبدعوته، قال تعالى: ﴿وَكُلُّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، ولكن نوحًا عليه السلام كان على ثقة من نصر الله وتأييده إياه، فقال لقومه الذين سخروا منه: ﴿إِنْ تَسْخِرُوا مِنِّي فَإِنِّي سَخِرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخِرُونَ﴾ [٣٨] فسوف تعلمون من يأتكمه عذاب يخزيه ويحل علىه عذاب مقيم﴾ [هود: ٣٩]، فقالوا له متخددين: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وقالوا مهددين له: ﴿لَئِنْ لَمْ ثَنَثَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي: من المقتولين رجماً بالحجارة، فما ترك دعوه وما زال يدعو إلى الله عز وجل، وما زاده ذلك إلا ثباتاً على الطريق حتى فتح الله بينه وبين قومه، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينةِ وَجَعَلْنَاهَا أَيَّةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

٢- وهذا إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى الله عز وجل، فناظرهم كما قال الله تعالى في سورة الانعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِي أَرْرَأَتُّكُمْ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَأَكُمْ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٦٤]، وكذلك نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنْ

قال الحسن البصري رحمه الله: في هذه الآية لما تلاها: هذا حبيب الله، هذا ولي الله أجاب الله في دعوته ودعى الناس إلى ما أجاب الله إليه من دعوته، هذا ولي الله، هذا صفي الله. وقال الإمام أحمد: «وَدَدْتُ أَنَّ الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَأَنْ جَسَمِي قَرِضَ بِالْمَقَارِيبِ».

هذا يبين لك عظمة فقه أئمة الدين بالقرآن وسنة النبي الأمين ﷺ وحرصهم الشديد على نشر الدعوة والبذل في سبيلها وأن يطيع الخلق ربهم جل وعلا، فالداعوة إلى الله عز وجل مقام عظيم وشرف كبير ومنزلة رفيعة اختص الله بها الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم في هذا السبيل، ولهذا قص الله تعالى علينا في القرآن الكريم سيرهم، منبهاً على أنهم كانوا دعاة إلى الله عز وجل.

﴿الأنبياء في موكب الدعوة﴾

١- هذا نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيَلَّا وَنَهَارًا﴾ [٥] فلم يزدْهُمْ دُعَائِي إِلَأِ فِرَارًا﴾ [نوح: ٦، ٥]، فدعاهم ولم ييأس، ولم يتواكل، بل كان مقبلاً على هذا السبيل ليلاً ونهاراً، وكانت النتيجة ﴿فَلَمْ يَزَدْهُمْ



على طريق الحكمة

ابنعوا
ولا يبتعدوا

معاوية محمد هيكل

إعداد /

وموسى عليه السلام دعا فرعون- المتكبر الجبار- إلى الله عز وجل، فقال له: «إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فقال فرعون ساخراً منه ومن دعوته: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» وقال لله: «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْحُونٍ»، ثم توعد موسى قائلاً: «إِنَّنِي أَخْذَتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ»، فهل خاف موسى من ذلك، وهل وهنت عزيمته عن دعوته إلى الله عز وجل ؟ كلا، بل مضى يبين لفرعون من الآيات ما يهتدي به أولو الألباب، ومع ذلك استمر فرعون في غيه واستكباره، وقال مهدداً موسى بالقتل متحدياً له: «ذُرُونِي أَفْتَلْ مُوسَى وَلِيَدْعُ رَبَّهُ إِلَيْ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ»، وقال لوزيره «هامان» ساخراً باليه: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلَّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعُ إِلَيْهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْلِنُهُ كَانِبًا» [غافر: ٣٦، ٣٧]. ولكن موسى عليه الصلاة والسلام صبر على كل ما لاقاه من فرعون وقومه، فكانت النتيجة أن أغرق الله عز وجل فرعون وقومه، قال تعالى: «وَأَتَرْكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرِقُونَ» (٢٤) كم ترکوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) وتعجمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين (٢٨) فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين [الدخان: ٢٤-٢٩].

وهذا عيسى عليه السلام أوذى من جانب اليهود فكذبوه، ورموا أمه بالبغاء (أي: الزنا)، فقالوا عن مريم- حاشاها مما قالوا: زانية، وعزموا على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، واجتمعوا عليه، فالقى الله - عز وجل - شبهه على رجل، فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه: «وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكُنْ شَهَدُهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا يَقِنَّا (١٥٧) بِهِ

المُوقنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحْبُّ الْأَقْلَينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتِيقًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام: ٧٤-٧٩]. قال أهل العلم: كان إبراهيم عليه السلام مناظراً للمشركين بما ذكر لا ناظراً في الملائكة أو في الدلائل، لهذا قال أهل العلم: إن إبراهيم كان في هذه الآيات وما قاله داعياً إلى الله عز وجل بالمشاهدة والمحاجة، لهذا قال في آخرها: «وَتَلَكَ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفُعُ دَرَجَاتٍ مِنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ».

[الأنعام: ٨٣].
فإبراهيم عليه السلام دعا إلى الله عز وجل بالمشاهدة والمحاجة، وبذل في سبيل ذلك ما بذل، فدعا أباه وقومه، فامن به من أمن، وكان من أعظم من امن لوط عليه السلام، «فَامْنَ لَهُ لُوطَ» [العنكبوت: ٢٦].

فماذا صنع قوم إبراهيم وهو يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله عز وجل، قال تعالى: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفْتَلُوهُ أَوْ حَرَقُوهُ»، فمضى في سبيل دعوته لم يثنه ذلك عن عزمه، بل أزال منكرهم بيده، فగדו إلى أصنامهم فكسروا، «فَجَعَلُهُمْ جُذَادًا»، فلما رجعوا إلى أصنامهم ورأوا ما حدث لها، طلبوا أن يؤتى بإبراهيم على أعين الناس، وجاء إبراهيم عليه السلام، وقال لهم موبخاً: «أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ...» [الأنبياء: ٦٦].

فعزموا على تنفيذ ما هددوه به، «قَالُوا حَرَقُوهُ»، فاضرموا ناراً عظيمة، والقوه فيها، ولكن الله عز وجل خالقها والذي بيده ملوكوت كل شيء قال لها: «يَا نَارُ كُونِي بِرَدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، فكانت بردًا لا حر فيها، وسلمًا لا أذى فيها، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم يتألموا من النبي الله شيئاً.

رَفِعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

وكذلك نبى الله يوسف - عليه السلام - في جميع أحواله التي تقلب فيها منذ أن كان في بيت العزيز وما حصل له فيه، إلى أن مكنته الله عز وجل وقدم عليه أبوه وأمه وإخوانه، كان في كل هذه المقامات جميًعاً داعياً إلى الله عز وجل، ولهذا تستطيع أن تسمى سورة يوسف عليه السلام سورة الدعوة، أو تقول موضوعها الدعوة إلى الله جل وعلا، فهذا يوسف عليه السلام في السجن كان داعياً إلى الله جل وعلا: (يَا صَاحِبَيِ السَّجْنِ أَرْبَابُ مُتَقْرَفَوْنَ حَيْرَأَمُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [يوسف: ٣٩]، وما وصل إلى الملك وقربه كان داعياً إلى الله جل وعلا، وما أتاه إخوته كان كذلك، حتى صارت هذه السورة فيها كل ما يتعلّق بالدعوة والداعية؛ وفيها خلق الداعية وما يكابده من القيل والقال والكيد، وفيها أيضاً صبر الداعية وتحمله وما يأتيه من البلاء في ذلك، فهي محل للاعتبار والتذكرة.

لهذا جاء آخرها يؤكّد موضوع السورة، يقول الحق جل وعلا: (قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف: ١٠٨]، «قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي» هذه الإشارة إلى ما ذكر في السورة، «هَذِهِ سَيِّلِي» يعني ما قص في السورة من أحكام ومن سيرة ليوسف عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى وبدل النفع والندى والعفو عن ظلمك، والتعاون مع الناس على البر والتقوى، «قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا إِلَى النَّفْسِ، وَلَا إِلَى طَرِيقَةِ، وَلَا إِلَى حَرْبٍ، وَلَا إِلَى جَمَاعَةٍ، وَلَا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ» يعني: على علم وبينة وبرهان وجاهة، «أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» فكل من أتبع محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو على هذا السبيل؛ إنه دعا إلى الله جل وعلا.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصدّع بالدعوة وحملات الأذى تتصاعد وَلِمَّا نَزَلَ قُولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنَ) [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباهاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «يا بنى فلان، يا بنى عبد مناف، يا بنى عبد المطلب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقين؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: «تبأّ لك، أما جمعتنا إلا لهاه، ثم قام فنزلت هذه السورة: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المدسان: ١]، (سنن أبي داود ١٢٥٥)

وصعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة، وسفه أحلام المشركين، وعاب الهتهم، فثارت عليه قريش ثورة رجل واحد، ولقي وأصحابه من الأذى صنوفاً وألواناً.

وعندما رأت قريش أن عدد المسلمين يتزايد، وجدت في ذلك خطرًا على كيانها، فصعدت من عمليات الإيذاء؛ فقد روي من طريق ابن مسعود رضي الله عنه: أن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فاما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فعنده الله بعنه أبي طالب، وأما أبو بكر: فعنده الله بقومه، وأما سائرهم: فأخذهم المشركون فالبسوهم أذرع الحديد، وصهروهم في الشمس.

[الحاكم في المستدرك ٢٨٤، وابن سعد في الطبقات ٣٢٣]

ولقد عانى الصحابة رضوان الله عليهم أشد المعاناة، وما تعذيب بلا ول ياسير إلا نماذج من ذلك، بل إن الأذى ليصل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه وإلى أشراف القوم من أمثال الصديق رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي، ويلكم! أتقتون رجلاً أن يقول ربى الله؟! قالوا: من هذا؟ قالوا: أبو بكر المجنون، فتركوه وأقبلوا على أبي بكر، [مجمع الزوائد: ٦/١٧]

وسأل عروة بن الزبير عبد الله بن عمرو بن العاص: «أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» قال: بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأنقلب أبو بكر فأخذ بمنكب ودفع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: أتقتون رجلاً أن يقول: ربى الله وقد جاءكم بالبيانات من ربكم؟ [آخرجه البخاري ٦/٣٤]

[ص: ٦، ٥]

أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، فقالوا: يا محمد،
الست تزعم أن عيسى كاننبياً وعبدًا من عباد الله
صالحاً، فلئن كنت صادقاً فإن هم لهم لكما تقولون،
فإنزل الله جل ذكره: «ولما ضرب أبا مريم مثلاً إذا
قوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» [الزخرف: ٧٥].
(أحمد في المسند ١/٣١٨).

وكذلك سلك المشركون أساليب ملتوية للتأثير
نفسياً على الرسول ﷺ وأتباعه لصدتهم عن دعوته:
وتشكيكم في دينهم، ومن ذلك ما حكاه الله عنهم:
«وقالت طائفة من أهل الكتاب أمنوا بالذى أنزل
على الذين أمنوا وجه النهار وأكفرُوا آخره لعلهم
يُرْجِعُونَ» [آل عمران: ٧٢]، فمن مكرهم وكيدهم
للإسلام وأهله أنه يظهرون أن الرسول حق وما
جاء به صدق أول النهار ثم يرجعون آخر النهار
قائلين نظرنا في كتابنا فوجدناه باطلًا ونحن أهل
إنصاف، ومن الدليل على إنصافنا كوننا قبلناه أول
النهار ولكن بتحرينا وتتبعنا وجدرناه باطلًا،
فيشككون الناس بذلك فيه، وقال آخرون منهم: بل
نجعل الدين العوبة نؤمن ثم نكفر فيتبعنا الناس
على ذلك. كما ذكر القرآن الكريم افتراءهم الكاذب عليه
ﷺ، ونبذه بألقاب الزور، واتهامهم إياه بأوصاف هو
بريء منها، كقولهم: «ساحر» أو «شاعر» أو
«مجنون» أو يتلقى الوحي عن بعض الأعممين، أو
اكتتبه من أساطير الأولين، وهو بلا شك أشد وقعاً
على النفوس البريئة من ضرب السيف.

ولهذا طمأنه ربه وسلام: «مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ
قَدِيلَ لِرَسُولِنَّ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عَقَابٍ
أَلِيمٍ» [فصلت: ٤٣]، «قَدْ تَعْلَمْ إِنَّهُ لِيَحِرْثُنَّ الَّذِي
يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَأْيَاتِ اللَّهِ
يَجْحُدُونَ» [الأنعام: ٣٣].

وبعد: فهذا موكب النور، وهؤلاء هم الكوكبة
المباركة من الأنبياء والمرسلين كانوا أكثر الخلق بذلاً
وتضحية وجهاداً وصبراً في سبيل هذه الدعوة
العظيمة التي كلفهم الله عز وجل وشرفهم بها
الجميع مأمورون بتبلیغ رسالات الله وإرشاد الخلق
إلى دين الله، وهذا هو سبيل الأنبياء وهديهم
الواجب الذي أوجبه الله عز وجل عليهم، فهم القدوة
والأسوة في الدعوة إلى الله عز وجل ونحن
مأمورون أن نقتدي بهم، قال تعالى في حقهم:
«أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيَهُدُهُمْ أَفَقَدْهُمْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» [الأنعام: ٤٠].
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ولم يقتصر الأذى على التعذيب البدني، بل جاوز
غصب أموال المضطهددين والاستهزاء بهم.
فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «كان لي
على العاص بن وائل دين، فاتيته أتقاضاه، فقال لي:
لن أقضيك حتى تکفر بمحمد، قال: فقلت له: لن أکفر
به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإنی لم يبعث من بعد
الموت! فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال
وکیع: إذا قال الأعمش. قال: فنزلت: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
کَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَنَّ مَالًا وَوَلَدًا» [مریم: ٧٧].
(رواہ مسلم: ٢٧٩٥).

صور من الأذى المادي والمعنوي

وقد اتخد الأذى الذي لحق بالنبي ﷺ صوراً
شتى؛ حيث كانت السخرية والاستهزاء أحد
الأسباب التي اتبعها المشركون لصرف الناس عن
دعوته.

فمن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو
جهل وأصحابه له جلوس، وقد نحرت جوزر بالأمس،
قال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جوزربني فلان
فيأخذه فيضنه فيكتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث
أشقى القوم - سمعي عقبة بن أبي معيط - فأخذه، فلما
سجد النبي ﷺ وضعه على كتفيه، قال:
فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا
قام أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول
الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد، ما يرفع رأسه، حتى
انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاعت وهي جويرية،
فطرحته عنه، ثم أقبلت تلعنهم، فلما قضى النبي ﷺ
صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا
ثلاثاً، وإذا سأله الله، سأله ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك
بقرיש» ثلاث مرات. [أخرج البخاري ١/١٣١]

ومن صور استهزء المشركون بالنبي ﷺ: ما
رواہ ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص بن
وائل أخذ عظماً من البطحاء ففتحه بيده، ثم قال
رسول الله ﷺ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرْمَ؟ فقال
رسول الله ﷺ: «نعم، يحييتك الله، ثم يحييتك، ثم
يدخلك جهنم»، قال: ونزلت الآيات من سورة يس.
[الحاکم في المستدرك ١/٤٢٩].

واتخد الأذى أشكالاً أخرى: المراء الباطل، حيث
سلكوا مع النبي ﷺ طريق الجدال لرد الحق، فقد
قال النبي ﷺ للمشركون: «يا معاشر قريش! إنه ليس
أحد يبعد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش



الطّهُوَةُ إِلَى اللَّهِ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فَلَمَّا كَانَتِ الْعِبَادَةُ لَا يَمْكُنُ أَنْ تَسْتَقِلُ بِتَفَاصِيلِهَا الْعُقُولُ، وَلَا يَمْكُنُ أَنْ تَعْرِفَ بِهَا الْأَحْكَامُ مِنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَحْظُورِ، أَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسُولَ وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ لِبَيَانِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى يَعْبُدُوهُ اللَّهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، فَالرَّسُولُ هُمْ دُعَاءُ الْحَقِّ وَأَئْمَةُ الْهُدَى وَهَدَاةُ الْثَّقَلَيْنِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِبَارَتَهُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَكْرَمُ الْعِبَادِ بِهِمْ وَرَحْمَمُهُمْ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَأَوْضَحَ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْطَّرِيقَ السُّوَى وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى بَيْنَةِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَهَذِهِ لَا يَقُولُوا مَا جَاءُنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فَقُطِعَ اللَّهُ الْمَعْذِرَةُ، وَأَقَامَ الْحَجَةُ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ.

وَعَلَى نَفْسِ النَّهْجِ سَارَ الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، فَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَعَمَتُ الْأَرْضُ بِرَحْمَةِ الْوَحْيِ بَعْدَ أَنْ أَجْبَرَتِ الْشَّرِكَ وَالْمُعَاصِي زِمَانًا طَوِيلًا.

وَالْدُّعَوَةُ إِلَى اللَّهِ لِكِي تَؤْتَيِ ثِمارَهَا، فَلَا بدَّ أَنْ تَرْتَكِزَ عَلَى أَسْسٍ وَتَقْوَمَ عَلَى دِعَائِمٍ، فَعَلَى كُلِّ دَاعِيَةٍ أَرَادَ حَسْنَ الْقَاسِيِّ وَالْاقْتَداءَ بِمِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَنْتَظِرَ بَعْنَ الْاعْتِبَارِ إِلَى الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّ بِهَا وَالَّتِي تَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَى الدُّعَوَةِ بِالنَّتَائِجِ الْمَبَارَكَةِ.

يَبْدِأُ الْمُصْلِحُونَ بِإِصْلَاحِ النُّفُوسِ وَتَزْكِيَّتِهَا وَغَرْسِ معانِي الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ فِيهَا، وَلَهُذَا أَكَدَ الْإِسْلَامُ عَلَى صَلَاحِ النُّفُوسِ، وَبَيْنَ أَنْ تَغْيِيرَ أَحْوَالِ النَّاسِ مِنْ سُعَادَةٍ وَشَقَاءٍ وَيُسْرٍ وَعُسْرٍ وَطَمَانِيَّةٍ وَقُلْقَلَةٍ وَعَزَّ وَذَلَّ، كُلَّ ذَلِكَ وَنَحْوُهُ تَبَعُّ لِتَغْيِيرِ مَا بِأَنفُسِهِمْ مِنْ مَعْانِيٍّ وَصَفَاتٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

﴿مَعْنَى الْخُلُقِ﴾

وَالْخُلُقُ يَطْلُقُ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

- ١- مَعْنَى عَامٍ وَهُوَ الدِّينُ، فَالَّذِينَ كَلَّهُ خُلُقُهُمْ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي وَصْفِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعْلَى دِينِ عَظِيمٍ، لَا دِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَلَا أَرْضِي عَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ دِينُ إِسْلَامٍ»، فَجَعَلَ الدِّينَ كَلَّهُ خُلُقًا، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ فَقَدْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ، وَثَبَّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ عَائِشَةَ

﴿الْأَخْلَاقُ وَأَهْمِيَّتُهَا﴾

لِلْأَخْلَاقِ أَهْمِيَّةٌ بِالْعَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ مَا لَهَا مِنْ تَأْثِيرٍ كَبِيرٍ فِي سُلُوكِهِ وَمَا يَصْدِرُ عَنْهُ، بَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ سُلُوكَ الْإِنْسَانِ مَوْافِقٌ مَا هُوَ مُسْتَقْرِرٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ مَعَانٍ وَصَفَاتٍ، فَإِنَّ كُلَّ صَفَةٍ تَسْتَقِرُ فِي الْقَلْبِ يَظْهُرُ أَثْارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ حَتَّى لَا تَتَحرَّكُ إِلَّا عَلَى وَفْقِهَا لَا مُحَالَةً، فَفَعَالُ الْإِنْسَانُ إِذْنَ مُوصُولَةِ دَائِمًا بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ مَعَانٍ وَصَفَاتٍ صَلَةٌ فَرُوعٌ الشَّجَرَةُ بِأَصْوَلِهَا الْمُغَيْبَةُ فِي التَّرَابِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ صَلَاحَ أَفْعَالِ الْإِنْسَانِ بِصَلَاحِ أَخْلَاقِهِ، لَأَنَّ الْفَرْعَ بِأَصْلِهِ، إِذَا صَلَحَ الْأَصْلُ صَلَحَ الْفَرْعُ، وَإِذَا فَسَدَ الْأَصْلُ فَسَدَ الْفَرْعُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَالَّذِي طَيْبَ يَخْرُجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكَبِّدًا﴾ [الاعراف: ٥٨].

وَلَهُذَا كَانَ النَّهْجُ السَّدِيدُ فِي إِصْلَاحِ النَّاسِ وَتَقْوِيمِ سُلُوكِهِمْ وَتَيسِيرِ سُبُلِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ لَهُمْ أَنَّ



لَيَسْتُ
بِهِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

معاوية محمد هيكل

إعداد /

وَأَخْلَاقُ الْجَمَاعَةِ

رضي الله عنها قالت في وصف النبي عليه الصلاة والسلام: «كان خلقه القرآن».

يعني أنه كان يمثل القرآن في عبادته، وفي توحيده، وفي خلقه، وفي تعامله مع نفسه، وفي تعامله مع من حوله. فهذا الإطلاق العام بمعنى الخلق في الشريعة، لأن الخلق يشمل كل أحكام الشريعة من العقيدة ومن امتحان الأمور العبادية والمعاملات والآداب، إلى غير ذلك.

ولا يكون الإنسان صاحب خلق حسن إلا إذا حكم القرآن والسنة على نفسه، وأمر السنة في نفسه قوله ولا عملاً.

قال أبو عثمان: من أمر السنة على نفسه قوله وفعلاً نطبق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطبق بالبدعة. قال تعالى: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهُنُّدُوا» [حلية الأولياء ٢٤٤/١].

وتأمير السنة على النفس ليس بالأمور الظاهرة في الملبس وفي الشكل العام فقط ! بل يشمل كل ما فيه صلة بالآخرين، فصاحب الخلق الحسن هو الذي يتمثل القرآن ما استطاع في أقواله على نفسه وفي أنواع تعامله مع الأفراد ومع المجتمع.

٢- الإطلاق الثاني: أن صاحب الخلق الحسن هو الذي أعطي ملحة تحلى بها لما يمدح من تعامله مع الناس فيما يأتي وفيما يذر، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السنة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن». فالخلق الحسن هذا إطلاق خاص في التعامل مع الناس في أن يكون رحيمًا بهم رعوفًا بهم يأتي إليهم ما يحب أن يأتوا إليه.

إذا تبين ذلك فبحث أخلاق الداعي إلى الله جل وعلا وما يتحلى به الموحد المؤمن صاحب السنة من الأخلاق، يشمل امتحان السنة عقدياً، فيؤمن بأصول الإيمان والسنة، كما يشمل امتحان السنة في المنهج الدعوي، فلا يدعو إلى خلاف منهج السلف، ويشمل كذلك التخلق بالأخلاق الحميدة مع الناس.

الإخلاص والمتابة وحاجة الداعي إلى التخلق بما يدعى
والدعوة إلى الله جل وعلا عبادة لأن الله جل وعلا أمر بها وأثاب الداعي إلى الله عليها وعظم شأنه، فأمر سبحانه بالدعوة في قوله: «فَلَذِكَرَ فَادْعُ
وَاسْتَقْمَ كَمَا أَمْرْتُ» [الشورى: ١٥]، وبين عظم شأن الداعي بقوله: «وَمَنْ أَحْسَنَ قُولًا مِنْ دُعًا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» [فصلت: ٣٣].
ومن المقرر في الأصول: أن الشيء إذا أمر به فهو عبادة، وإذا بين الثواب على إتيانه فهو عبادة، وإذا كانت الدعوة عبادة فلا بد من توفر شرطين لقبولها.

الأول: الإخلاص.

الثاني: متابة السنة.

فمن لم يأت في دعوته بالإخلاص والسنة، لم يأت بالعبادة على وجهها الصحيح؛ بل هي عبادة غير مقبولة؛ ولهذا فدعوة الخارج، دعوة مردودة، وكذلك بقية الدعوات المنحرفة عن منهج أهل السنة كالشيعة والمعتزلة وغيرهم، لأنهم لم يتبعوا السنة فصاروا مازورين غير ماجورين، بل سمي النبي ﷺ «الخارجون كباب النار» [صحيح الجامع: ٣٣٤٧]، وقال في وصفهم: «يحرق أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حنجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتهموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم من قتلهم أجرًا عند الله جل وعلا». مع أنهم يدعون ويجهدون، ويخلصون؛ يعني يرون أن فعلهم هذا يقربهم إلى الله، لكنهم لم يتبعوا السنة، فكانوا على خلاف طريقة السلف، طريقة الصحابة، رضوان الله عليهم، فصار عملهم مردوداً عليهم.

أولاً: الإخلاص:

ومقصود بالإخلاص: هو أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله تعالى وحده دون سواه، فلا يقصد بعبادته ملكاً، ولا ملكاً، ولا عبد شجراً، ولا حبراً، ولا شمساً، ولا قمراً، وهو الدين الذي بعث

وَتَمُودُ فَمَا أَبْقَىٰ» [النجم: ٤٢-٥١].
فمن كانت هذه صفاتة، وتلك أفعاله؛ فإنه الذي يستحق العبادة، دون سواه، وهو الذي ينبغي أن يكون المقصود والمعاذ والملاذ.

والتجه إلى الله وقصده بالعبادة حقه الحالص الذي لا يشركه فيه أحد، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ، أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق الله على العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله إلا يعذب من لا يشرك به شيئاً». متفق عليه.

فهو الذي يستحق العبادة خوفاً ورجاءً ورغبة وربهة وتوكلًا واعتصاماً وصلاة وصياماً، وزكاة وحجاً ونذرًا ودعاء.

□ ضابط الإخلاص في الدعوة □

كل مسألة ضابط للإخلاص خاص بها يميزها عن غيرها، فمثلاً ضابط الإخلاص في طلب العلم أن ينوي الإنسان رفع الجهل عن نفسه، مع النية العامة في الإخلاص، وهو أن يقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى. كذلك في الدعوة إلى الله، فمع نية الداعية التقرب إلى الله جل وعلا وحده دون سواه، هناك ضابط للإخلاص في الدعوة؛ أن ينوي دلالة الخلق إلى ربهم جل وعلا، وألا يكون متزفغاً عنهم، كما قال جل وعلا: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي» [يوسف: ٨١]، قال إمام الدعوة في مسائل التوحيد في قوله: «إلى الله»: تنبية على الإخلاص؛ لأن هناك من يدعوه إلى الله وهو يدعو إلى نفسه أو إلى طريقته أو إلى شيخه، فلا بد للداعي إلى الله أن يقصد بدعوته أن يقرب الخلق إلى ربهم، وأن يعبدهم لله رب العالمين، وأن يدلهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، أما إذا دلهم ليترفع عليهم أو يريده الشهارة والظهور، أو دعا ليكون منتبهاً إلى فلان، فهذا خلاف الإخلاص، وما أكثر من يقع في هذا وهو لا يشعر. وإذا طرأ على النفس ذلك فواجب أن ينطرح العبد بين يدي ربه يسأله أن يكون مخلصاً في أقواله وأعماله.

□ ثانياً متابعة السنة □

أ- امتحان الهدي النبوى

على الداعيه أن يتمثل هدى النبي ﷺ في جميع أموره بالإضافة إلى طاعة أمره والابتعاد عما نهى

الله به رسله جميعاً، فكان محور دعوتهم ولبها، قال تعالى: «وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَنَفاءٌ» [البيت: ٥].

وقد عرف العلماء الإخلاص بأنه إفراد الحق سبحانه وتعالى في القصد؛ وهو أن يزيد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لخلقوق، واكتساب محبة عند الناس، ومحبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى»، والصدق في الإخلاص من أشرف الأمور على النفوس، وهذه المشقة يعياني منها العلماء والدعاة والصالحون فضلاً عن غيرهم.

يقول سفيان الثوري: «ما عالجت شيئاً على أشد من نيتى إنها تتقلب على». ولذلك كان عاملاً دعاء النبي ﷺ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». وكان يكثر في قسمه أن يقول: «لا ومقلب القلوب».

□ الله تعالى هو المستحق بأن يقصد ويعبد □

الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه؛ لأنه يتصف بصفات الجلال والكمال، فهو الكامل في ذاته وصفاته، وهو المنعم المتفضل بيده النعم والضر، والخفق والرفع، والعطاء والمنع، والنصر والخذلان، والعزم والإذلال: «قُلْ اللَّهُمَّ مالِكُ الْمُلْكِ تَؤْتَيِ الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَتَنْزَعُ الْمُلْكُ مِنْ شَاءَ وَتَنْزَلُ مِنْ شَاءَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٢٦) ثُلُوجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَثُلُوجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْبُقُ مِنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [آل عمران: ٢٧، ٢٦].

فهو وحده المطلوب المقصود؛ لأنه الخالق الهادي المطعم الساقى، الذي يشفى من العلل، والذي يغفر الذنوب والخطايا، «الذى خلقنى فهو يهديني» (٧٨) والذى هو يطعمنى ويسقيني (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفييني (٨٠) والذى يميتني ثم يحييني (٨١) والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين» [الشعراء: ٧٨-٧٧].

فمنه المبتدأ وإليه المتنهى، له الحمد في الأولى والآخرة، لا رب غيره، ولا معبد سواه؛ «وَأَنَّ إِلَى رَبِّ الْمُنْتَهِي» (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَخْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّؤْجُونَ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشَأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَفْقَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى (٥٠)

البيضاء التي ليها كنهاها، ألم يقل في تفسير الدخن كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه عندما سأله: «قوم يستنون بغير سنتي وبهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». .

هذا هو أصل الداء وجذر البلاء؛ إنه انحراف عن السنة في المنهج، وانصراف عن السمت النبوى في السلوك والعمل.

وبهذا يتضح أن الدخن الذي شاب الخير فكدر معينه وغير رواه هو البدع الذي أطلت ببرؤوسها في أوകار المعتزلة، والصوفية، والجهمية، والخوارج، والأشعرية، والمرجئة، والروافض، منذ قرون ابتعاد الفتنة، فامعننت في الإسلام تحريفاً، وانتحلاً وتداوياً، فلم يبق من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، ومن التعبد إلا جسمه.

ومما يؤسف له أن هذا الدخن قد ترك ينمو في حقول الخير حتى سيطر عليها وعرقل المسيرة، وكانت مرحلة الشر الخالص وبداية دعاة الضلال وفرق الغواية «دعاة على أبواب جهنم»، والذين يعملون بجد ونشاط حتى كبر ضلالهم وسيطر انحرافهم فصار للكفر دولة، وللضلالة صولة، وتحكم الرويبضة في مقاليد الأمور، لذلك فالآمة بحاجة ماسة إلى عودة شاملة إلى دينها، على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وعلى الدعاة إلى الله أن يدركوا هذه الحقيقة ويعحسنوا أنفسهم بهذا المنهج الرباني؛ منهج أهل السنة والجماعة الذي فيه النجاة والعصمة.

وقد أخبر النبي ﷺ بأن هذه الفلة المباركة من أهل السنة لا تزال ظاهرة منتصرة لا يضرها من ناصبها العداء أو خذلها من الأدعية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، فاشتاع بذلك في النفوس الأمل، وبدد فيها دياجير الظلام واليأس والقنوط، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». (صحيح الجامع: ٧٢٩٠).

«والله غالبٌ على أمرهٔ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف: ٢١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنه: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَلَا تُنْهُوا» [الحشر: ٧]، فهو خير قدوة للداعي إلى الله، يقتدي به في سيرته وفي دعوته إلى الله خطوة: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ»، وانفع شيء للداعي أن يتتفقه في سنة رسول الله ﷺ وسيرته في الدعوة إلى الله منذ أن بعثه الله إلى أن اختاره إلى جواره الكريم، ووجه هذا النفع للداعي أن سيرة رسول الله ﷺ هي ترجمة عملية للمنهج الرباني للدعوة إليه الذي جاءت به آيات الله في قرآنها وما من حالة قط يمر بها الداعي إلى الله إلا يُجد مثيلها أو شبيهها أو قريباً منها في سيرة النبي ﷺ، وكيف تصرف إزاءها سيد الدعوة إلى الله، إن التتفقه في السيرة النبوية إذا انضم إليه التتفقة في القرآن لا سيما فيما يخص الدعوة إلى الله، يجعل الداعي على نور من ربه وفرقان مبين يبين له الصواب في الأمور المشتبهة والحقيقة.

بــ الحذر من مناهج أهل البدع

وعلى الداعية أن يكون في دعوته على طريقة السلف، وأن يحذر مناهج الفرق الضالة والمنحرفة التي فارقت منهج أهل السنة.

وقد حذر النبي ﷺ من الدعاة الذين أعرضوا عن المنهج القويم، ودعوا الناس إلى خلاف السنة، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إذا كنا في جاهلية وشر وجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، وبهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنننا». قلت: فما تؤمنني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو تعص بأشل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك». متفق عليه.

إن هذا الدخن الذي حذر منه الرسول ﷺ هو انحراف يعتري المنهج النبوى الحق الذي كان يسود مرحلة الخير الخالص، فيؤدي إلى تشويه المحة

الآية في الدعوة

جَهَنْمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [التوبه: ٧٣]. كل ذلك بإحكام وإتقان ومراعاة لأحوال المدعى عليهم وأزمنتهم وأمكنتهم في مختلف العصور والبلدان وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المثان. (مجموع الفتاوى١٤٨٩، ومفتاح دار السعادة ١٩٤).^١

والحكمة هبة من الله تعالى وفضل يهبها الله من يشاء من عباده وأوليائه، قال تعالى: «يُوتَى الْحُكْمَ مَنْ يَشَاءُ ...» [البقرة: ٢٦٩]، ومع ذلك فالداعية لكي يكون حكيمًا لا بد أن يسلك سبل تحصيل الحكمة وهي لا تستقى إلا من الكتاب والسنة، وأهم طرق اكتساب الحكمة العلم النافع، والحلم والأناة والرفق واللين والإخلاص والتقوى والصبر والعمل بالعلم والاستقامة وجهاد النفس وعلو الهمة والعدل والدعاة والاستخارة والاستشارة.

ومما يوضح أن المرء يكتسب الحكمة بفضل الله تعالى ثم بلزمون السلوك الحكيم ما ذكر عن لقمان الحكيم، وذلك لما جاءه رجل فقال له: أنت لقمان، أنت عبد بنى النحاس؟ قال: نعم. قال: فانت راعي الغنم الأسود؟ قال لقمان: أما سوادي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك وغضبيهم ببابك ورضاهما بقولك قال: يا ابن أخي، إن أنت صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال: وما هو؟ قال لقمان: غضي بصرى، وكفى لسانى، وغفة طعمتى، وحفظى فرجى، ووفائى بعهدي، وتكرمتى لضيفى، وحفظى جاري، وترك ما لا يعنينى، وذلك الذي صيرنى كما ترى». وسأله آخر عن السبب الذي بلغ به الحكمة، فقال: «قدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنينى».

[البداية والنهاية ٢ / ٢٢٤].

مواقف من الحكمة وأثرها الطيب في الفرد والأمة

هذه جملة من المواقف الحكيمية من عصر النبوة والخلافة الراشدة وعهد العلماء الأجلاء الذين ملئوا الدنيا نوراً وعلماً وفضلاً أضعها أمام الدعاة لتكون نبراساً ونوراً يهتدى به.

أولاً: حكمة النبي ﷺ وموافق مشرفة

كان النبي ﷺ أحكم الناس، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام ويصبر على أذاهم ويعفو عن إساءتهم ويقابلها بالإحسان، وله ﷺ موقف لا تحصى في الكرم والجود والعفو والحلم والرفق والعدل، منها على سبيل المثال:

موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال (سيد أهل اليهادة)

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليهادة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم

اتبعوا ولا تبتدعوا

الحمد لله، والصلوة والسلام على

رسول الله، وبعد:

فالحكمة كلمة جليلة القدر، عظيمة الشأن، وقد بين أهل العلم أنها تطلق على معانٍ كثيرة، فهي تطلق على النبوة والقرآن والسنة والعلم والفقه في الدين، كما تطلق على العقل والورع، وهي في الأصل الأمر الذي يمنع من السفسحة، وعلى ذلك فكل كلمة ومقالة ترددك عن السفسحة وتزجرك عن الباطل فهي حكمة، وكل مقال واضح صريح صحيح في نفسه فهو حكمة.

والحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام الدين، أو الترغيب أو الحلم، أو الرفق أو العفو، بل هي الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان، وذلك بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربيّة في مواضعها، وتوضع الموعظة في مواضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في مواضعها، ومجادلة الظالم المعاند في مواضعها، كما قال عز وجل: «وَلَا تُجَادِلُوا أهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا يَأْتُوا إِلَيْهِ أَحْسَنُ الْأَدْدَنِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [العنكبوت: ٦٤].^٢ ويوضع الغلظة والزجر، والقوّة، والشدة، والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة، وقد قال أحد حكام الحاكمين لسيد الحكام، والناس أجمعين: «يَا أَيُّهَا الَّتِيْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ

وواجبات الطعامة

إعداد / سعادية محمد هيكل

اليمامه، وارتحل هو ومن اطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين. (الإصابة / ١٢٣ - ٢٠٣).

فما أحكم النبي محمدًا ﷺ، وما أعظم من موقف، فقد كان النبي ﷺ يتالف القلوب، ويلاطف من يرجي إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبعي للدعاة إلى الله عز وجل أن يعظموا أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامه أقسم أن يغضه انقلب حبًا في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل، وفي ثباته على العفو الاشر الكبير في حياة ثمامه، وفي ثباته على الإسلام ودعوه إليه. [مسلم بشرح النووي ١٢ / ٨٩].

موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي يال في المسجد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «مه، مه، قال رسول الله ﷺ: لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى يال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاوة وقراءة القرآن». قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بذلو من ماء فشنه عليه. وثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا». فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجرت واسعًا»، يريد رحمة الله.

وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «لقد حجرت واسعًا». ثم لم

تنعم على شاكر، وإن كنت تريده المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامه؟» فقال: ما قلت لك: إن تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريده المال فسل تعط منه ما شئت، فتركته رسول الله ﷺ، حتى كان من الغد فقال: «ما عندك يا ثمامه؟» فقال: ما قلت لك: إن تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريده المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامه». فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى، والله ما كان دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلى، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمارة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا والله، ولكنني أسلمت مع رسول الله، ولا والله لا يأتيك من الإمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله ﷺ (البخاري مع الفتح ٨ / ٨٠).

ثم خرج رضي الله عنه إلى الإمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامه أن يخلي بينهم وبين الحمل. (سيرة ابن هشام ٤ / ٣١٧).

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قصة إسلام ثمامه ورجوعه إلى الإمامة ومنعه عن قريش الميرة وزرول قوله تعالى: «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكاثوا لربهم وما يتضررون» [المؤمنون: ٧٦]. وقد ثبت ثمامه على إسلامه لما ارتدى أهل

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيلي بن عمرو الدوسى إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبنت فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: اللهم اهد دوساً وأبنت بهم، اللهم اهد دوساً وأبنت بهم.

وهذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره وتائنيه في الدعوة إلى الله عز وجل، فإنه لم يُجعل بالعقوبة أو الدعاء على من رد الدعوة، ولكنه دعا لهم بالهدى، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتائني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيلي إلى قومه ورفق بهم فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيّناً من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر فاسفهم لهم مع المسلمين. (سيير أعلام النبلاء ١ / ٤٦، وزاد المعاد ٣ / ٦٢٦).

فما أعظمها من حكمة، أسلم بسببها ثمانون أو تسعون بيّناً، وهذا مما يوجب على الدعاء إلى الله عز وجل العناية بالحكمة في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله تعالى، ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

ثانياً: حكمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عقب وفاة النبي ﷺ وأثرها في لم شمل الأمة

أصيب المسلمون يوم وفاة الرسول ﷺ بمصيبة عظيمة، وهزة عنيفة، أفقدت الكثير منهم صوابه، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر موت النبي ﷺ، وخرج إلى الناس وخطبهم، وقال: والله ما مات رسول الله ﷺ ولبيعتنـه الله فليقطعنـ أيدي رجال وأرجلهم.

وأقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرس من مسكنه بالسنـج، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فتيمـ رسول الله ﷺ وهو مغشـ بثوب حبرة، فكشف عن وجهـه، ثم أكبـ عليهـ، فقبـلهـ وبـكيـ، ثم قال: بـأبـيـ أـنتـ وـأـميـ، وـالـلـهـ لـاـ يـجـمعـ اللـهـ عـلـيـكـ مـوـتـيـنـ، أـمـاـ الـمـوـتـةـ الـتـيـ كـتـبـتـ عـلـيـكـ فـقـدـ مـتـهـ، ثـمـ خـرـجـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ يـكـلـمـ النـاسـ، فـقـالـ: أـيـهـاـ الـحـالـفـ عـلـىـ رـسـلـكـ، وـقـالـ: أـجـلـسـ يـاـ عـمـرـ، فـأـبـيـ عـمـرـ أـنـ يـجـلـسـ، فـلـمـ تـكـلـمـ أـبـوـ بـكـرـ أـقـبـلـ النـاسـ إـلـيـهـ وـتـرـكـواـ عـمـرـ، فـجـلـسـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، فـحـمـدـ اللـهـ أـبـوـ بـكـرـ وـأـشـنـىـ عـلـيـهـ وـقـالـ: أـمـاـ بـعـدـ، فـمـنـ كـانـ مـنـكـ يـعـبـدـ مـحـمـداـ فـإـنـ مـحـمـداـ قـدـ مـاتـ، وـمـنـ كـانـ مـنـكـ يـعـبـدـ اللـهـ فـإـنـ اللـهـ حـيـ لـاـ يـمـوتـ، قـالـ

يلـبـثـ أـنـ بـالـ فـيـ الـمـسـجـدـ، فـأـسـرـعـ النـاسـ إـلـيـهـ، فـقـالـ لـهـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ: إـنـمـاـ بـعـثـتـمـ مـيـسـرـينـ وـلـمـ تـبـعـثـوـ مـعـسـرـينـ، أـهـرـيقـوـ عـلـيـهـ دـلـوـاـ مـنـ مـاءـ، أـوـ سـجـلـاـ مـنـ مـاءـ. (أـخـرـجـهـ التـرمـذـيـ).

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: فقام النبي ﷺ إلى بـأـبـيـ وـأـمـيـ، فـلـمـ يـسـبـ وـلـمـ يـؤـنـبـ وـلـمـ يـخـربـ. (أـخـرـجـهـ أـحـمـدـ فـيـ الـمـسـنـدـ بـرـقـمـ ١٥٤٠).

فـالـنـبـيـ ﷺ أـحـكـمـ خـلـقـ اللـهـ، فـمـوـاقـفـهـ وـتـصـرـفـاتـهـ كـلـهـ مـوـاقـفـ حـكـمـةـ مـشـرـفـةـ، وـمـنـ وـقـفـ عـلـىـ أـخـلـاـهـ وـرـفـقـهـ وـعـفـوـهـ وـحـلـمـهـ، اـزـدـادـ يـقـيـنـهـ وـإـيمـانـهـ بـذـلـكـ.

وهـذاـ الأـعـرـابـيـ قـدـ عـمـلـ أـعـمـالـاـ تـشـيرـ الغـضـبـ وـتـسـبـ عـقـوبـتـهـ وـتـارـيـهـ مـنـ الـحـاضـرـينـ، وـلـذـكـ قـامـ الصـحـابـةـ إـلـيـهـ وـاسـتـنـكـرـوـاـ أـمـرـهـ وـزـجـرـوـهـ، فـنـهـاـمـهـ النـبـيـ ﷺ أـنـ يـقـطـعـوـاـ عـلـيـهـ بـوـلـهـ.

وـهـذـاـ فـيـ غـايـةـ الرـفـقـ وـالـحـلـمـ وـالـرـحـمـةـ، وـيـجـمـعـ ذـلـكـ كـلـهـ الـحـكـمـ، فـقـدـ أـنـكـرـ النـبـيـ ﷺ بـالـحـكـمـ عـلـىـ هـذـاـ الأـعـرـابـيـ عـمـلـهـ، فـقـالـ لـهـ حـيـنـمـاـ قـالـ: اللـهـ أـرـحـمـيـ وـمـحـمـداـ وـلـاـ تـرـحـمـ مـعـنـاـ أـحـدـاـ، فـقـالـ: لـقـدـ حـجـرـتـ وـاسـعـاـ، يـرـيدـ رـحـمـةـ اللـهـ، فـإـنـ رـحـمـةـ اللـهـ قـدـ وـسـعـتـ كـلـ شـيـءـ، قـالـ عـزـ وـجـلـ: وـرـحـمـتـيـ وـسـعـتـ كـلـ شـيـءـ، فـقـدـ بـخـلـ هـذـاـ الأـعـرـابـيـ بـرـحـمـةـ اللـهـ عـلـىـ خـلـقـهـ.

وـهـذـاـ مـنـ أـعـظـمـ الـحـكـمـ الـعـالـيـةـ، فـقـدـ رـاعـيـ النـبـيـ ﷺ هـذـهـ الـمـصالـحـ وـمـاـ يـقـابـلـهـ مـنـ الـمـخـاصـدـ، وـرـسـمـ لـأـمـتـهـ وـالـدـعـاـةـ مـنـ بـعـدـهـ كـيـفـيـةـ الرـفـقـ بـالـجـاهـلـ وـتـعـلـيمـهـ وـمـاـ يـلـزـمـهـ مـنـ بـغـيـرـ تـعـنـيفـ وـلـاـ سـبـ وـلـاـ إـيـذـاءـ وـلـاـ تـشـدـيـدـ إـذـاـ لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ مـنـهـ عـنـادـ وـلـاـ إـسـخـافـاـ، وـقـدـ كـانـ لـهـ الـإـسـتـلـافـ وـالـرـحـمـةـ وـالـرـفـقـ الـأـثـرـ الـكـبـيرـ فـيـ حـيـاتـهـ هـذـاـ الأـعـرـابـيـ وـغـيرـهـ، فـقـدـ قـالـ بـعـدـ أـنـ فـقـهـ كـمـ تـقـدـمـ فـيـ روـاـيـةـ أـحـمـدـ: فـقـامـ النـبـيـ ﷺ إـلـيـ بـأـبـيـ وـأـمـيـ، فـلـمـ يـسـبـ وـلـمـ يـؤـنـبـ وـلـمـ يـخـربـ.

(فتح الباري ١ / ٣٢٥، والنوى ٣ / ١٩١).
مـوقـفـهـ بـعـدـ مـوـتـهـ مـعـ الطـفـيلـ بـنـ عـمـرـوـ الدـوـسـيـ مـنـ موـاـقـفـ الـحـكـمـ مـاـ فـعـلـهـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ مـعـ الطـفـيلـ بـنـ عـمـرـوـ الدـوـسـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، فـقـدـ أـسـلـمـ الطـفـيلـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـبـلـ الـهـجـرـةـ فـيـ مـكـةـ، ثـمـ رـجـعـ إـلـيـ قـوـمـهـ يـدـعـوـهـمـ إـلـيـ الـإـسـلـامـ، فـبـدـأـ بـأـهـلـ بـيـتـهـ فـأـسـلـمـ أـبـوـهـ وـزـوـجـتـهـ، ثـمـ دـعـاـ قـوـمـهـ إـلـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـأـبـواـ عـلـيـهـ وـعـصـوـهـ وـأـبـطـئـوـاـ عـلـيـهـ، فـجـاءـ الطـفـيلـ إـلـيـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ وـذـكـرـ لـهـ أـنـ دـوـسـاـ هـلـكـ وـكـفـرـتـ وـعـصـتـ وـأـبـتـ.

فرحم الله مالاً، فقد نطق بالحكمة وطبق ما
كان يقوله ورغم فيه الناس، فكان أولى به حيث
قال: «بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا وانتقى إلا
تطيق بالحكمة». تطيق بالحكمة

[٨ / ١٠٩] سير أعلام النبلاء للذهبي

ولهذا قال الإمام الذهبي: إلى فقه مالك
لمنتهى، فعامة آرائه مسدة.

٩٢ / سير أعلام النبلاء

ولكن الإمام مالك قد أنصف حينما رسم
لناس قاعدة يسيرون عليها، حيث قال: «كل أحد
يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر <img alt="grave icon" data-bbox="445 835 483 860».</p>

[٨ / ٩٣] سير أعلام النبلاء للذهبي

رابعاً: من المواقف الحكيمية للإمام الشافعى رحمة الله
للامام الشافعى رحمة الله مواقف حكيمية تدل
على حكمته وصدقه وإخلاصه، ومن مواقفه رحمة
الله تعالى موقفه من أهل الكلام ودفاعه عن علم
الكتاب والسنن، فقد غرس الشافعى في نفوس
الناس بغض الكلام وأهله وحب الكتاب والسنن
والتمسك بهما، حيث قال: «مذهبى في أهل الكلام
وتفقىء عوسمهم بالبساط وتشريدهم في البلاد».

(سر أعلام النساء للذهبي ص ١٠ / ٢٩).

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي - وهو في مصر - فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدرى أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا، قال: هل تكلم في الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدرى كم نجحًا في السماء؟ قال: لا، قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟ قال: لا. قال: فشيء عقرابه يعنيك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فاختلط فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ فإذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** (١٦٣) إن في خلق السموات والأرض وأختلاف الليل والنهار والfolk التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسماء المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوه

الله تعالى:- «إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ»، وقال:
«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَلَا يَرَى أَنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ الْأُقْبَلُونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَقْبَلُ
عَلَى عَقِيبَةِ قَلَّ بِنَ يَخْرُجُ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ»، فوالله لكان الناس لم يكونوا يعلمون
أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله
عنده، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر
تلاها فغفرت حتى ما تقلني رجلاً، وحتى أهوى
إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي
قد مات.

وقال الراوي: فتلقاها الناس، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها ونشج الناس بيكون.

(انظر البخاري مع الفتح ٣ / ١١٣، والبداية والنهاية
لابن كثير ٥ / ٢٤١).

إن المصيبة عظيمة، والحادث جل، ولكن أبا
بكر رضي الله عنه- بفضل الله تعالى- قضى على
الخلاف، وألف الله به بين القلوب، وثبتها، ولا
يقدر على هذا إلا من أوتي قلباً ثابتاً، وشجاعة
فائقة، وعقلاً راجحاً، وحكمة بالغة، رضي الله عنه
وأهلاً ضاه.

ثالثاً: من مواقف الحكمة للإمام مالك رحمة الله
من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها: موقفه
مع من سأله عن الاستواء، فقد جاء إليه رجل وقال:
يا أبا عبد الله، «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»،
كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من
مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في
يده حتى علاه الرخضاء، ثم رفع رأسه ورمي
بالعود، وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء
منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه
بدعة، وأظنك صاحب بدعة»، وأمر به فآخر.

[أبو نعيم في الحلية / ٦ / ٣٢٥].

وهذا موقف حكيم مسدد لأنه أجاب بالإجابة
الصحيحة بعد التأمل والتفكير، فكانت هذه الإجابة
قاعدة ثابتة لأهل السنة والجماعة تجري عليها
صفات الله تعالى كلها، فالكافر للصفة مجھول لنا
لا نعرف كيفيتها لأن الله لم يخبرنا بالكيفية،
والصفة معلومة بدليلها من الكتاب والسنة
الصحيحة، أو باحدهما، والإيمان بالصفة - التي
ثبتت بالدليل - واجب، والسؤال عن كيفية الصفة
بدعة، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى
المراد من الصفات، بل كل صفة من صفات الله
تعالى تدل على معنى حقيقي نؤمن به ونثبته لله
كما يلقي بحاله. (فتاوى ابن تيمية ٥ / ١٢١).

• وفتحت

أبواب الجنان

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أظلنا شهر كريم مبارك، وموسم عظيم من مواسم الخيرات والبركات، يعظم الله عز وجل فيه الأجر، ويجزل المواتب، ويفتح أبواب الرحمة فيه لكل طالب وراغب.

وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، كما قال النبي ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الشّر أقبل، يا باغي الشّر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

[صحيح رواه الترمذى وابن ماجه وابن خزيمة]

إعداد / معاوية محمد هيكل

قال تعالى: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعِمْ عَقْبَى الدَّارِ» (٢٣) الرعد: ٢٣، وقال تعالى: «جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» [ص: ٥٠].

أبواب الجنّة تفتح في كل عام في شهر رمضان
قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنّة». [البخاري].

عدد أبواب الجنّة ثمانية
ومنها الريان، وهو خاص بالصالحين؛ عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «في الجنّة ثمانية أبواب؛ باب منها يسمى الريان يدخله الصالحون، فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل غيرهم».

وهناك باب للمكثرين من الصلاة، وباب للصابرين، وباب للمجاهدين، عن أبي هريرة رضي

الجنّة هي الجزاء العظيم، والثواب الجليل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحيّر العقل وينذهله، لأنّ تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه، استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسى: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

[رواه البخاري]

ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْءَةٍ أَعْيُنٍ» [السجدة: ١٧].

أبواب الجنّة

أما عن وصف أبوابها فقال تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَرَنَّتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» [الزمر: ٧٣]، للجنّة أبواب يدخل منها المؤمنون، كما يدخل منها الملائكة،

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ» [الحديد: ١٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتם الله فاسأله الفردوس، فإنه أووسط الجنة، وأعلى الجنة». أراه قال: «فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري ٦١١].

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر، أصحابه سهم غرب، فقالت: يا رسول الله، قد علمت موقع حارثة من قبل، فإن كان في الجنة لم أبكي عليه، وإن أسفوف ترى ما أصنع، فقال لها: «الجنة واحدة هي؛ إنها جنات كثيرة، وإنها في الفردوس الأعلى». [رواه البخاري].

وأهل الجنة متفضلون في الجنة بحسب منازلهم، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراون في أهل الغرف من فوقهم كما يتراون الكوكب الدرى الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم؟ قال: بل والذي نفسي بيده، رجال أمنوا بالله وصدقوا المرسلين». [رواه البخاري].
○ أدنى أهل الجنة منزلة ○

روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «سأله موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة. فيقول: أي رب وكيف؟ وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، وذلك ما اشتهرت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرسوا

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله، دُعى من أبواب الجنة، وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الصيام». [متفق عليه].

قال أبو بكر: والله ما على أحدٍ من ضرورة دعي من أيهما دعي فهل يدعى منها كلها يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهن.

فقد روى مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو يسبغ - الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنّة الثمانية، يدخل من أيها شاء». [صحيح البخاري]

عن حكيم بن معاوية عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة، ولياتين عليه يوم، وإن لكتظير». [إسناده صحيح]

قال ابن القيم - رحمه الله -: تأمل قوله تعالى: «مُفْتَحَةً لِهُمُ الْأَبْوَابُ»: تجد معنى بديعاً: وذلك أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتوحة كما هي وفيها إشارة إلى تصرفهم وذهبهم وإياهم وتبؤتهم الجنة حيث شاء، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت.

وأيضاً فيه إشارة إلى أنها دار من لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا.

○ درجات الجنّة ○

الجنة درجات متفضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

قال الله تعالى: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفُتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلُوا وَكُلُّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا

ذكرهم في قول النبي ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشا في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه، ورجل دعنه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فاختفها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». [رواه البخاري ومسلم].

والذي ذكره النبي ﷺ في حديثه إذ قال: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله». [رواه مسلم].

وعموم المؤمنين الذين يعملون الصالحات؛ لقوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَسَيَدْخُلُهُمْ فَلَيَا طَلِيلًا» [النساء: ٥٧].

وصف الجنة إجمالاً

يقول ابن القيم رحمة الله تعالى في «حادي الأرواح»:

«فَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَرْضِهَا وَتَرْبِيَتِهَا فَهِيَ الْمَسْكُ وَالْعَفْرَانُ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ سَقْفِهَا فَهُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ حَصَابِهَا فَهُوَ الْلُؤْلُؤُ وَالْجَوْهَرُ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ لَبَنَاتِهَا فَلِبْنَةٌ مِنْ فَضْلَةِ وَلِبْنَةٌ مِنْ

نَذْبَ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَشْجَارِهَا فَمَا فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقَهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ لَا مِنْ حَطَبٍ وَخَشْبٍ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ ثَمَرَهَا فَمِثْمَاثُ الْقَلَالِ أَلَيْنِ مِنَ الرِّبْدَ

وَأَحْلَى مِنَ الْعَسْلِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ وَرْقَهَا فَأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ رِقَائِقَ الْحَلَلِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَنْهَارِهَا فَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمَهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ

عَسْلٍ مَصْفَى.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ طَعَامِهِمْ فَفَاكِهَةٌ مَا يَتَخِبِّرُونَ، وَلَحْمٌ طَيْرٌ مَا يَشْتَهُونَ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَنْيَتِهِمْ فَأَنْيَةٌ الْذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ فِي

كِرامَتِهِمْ بِيَدِي وَخَتَمَتْ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرْعِنْ، وَلَمْ تَسْمَعْ أَذْنَ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَال: وَمَصْدَاقَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْءَةٌ أَعْيُنٌ» [السجدة: ١٧]. رواه مسلم.

أنهار الجنة

قال تعالى: «مَتَّلِ الْجَنَّةَ الَّتِي وَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ أَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسْلٍ مَصْفَى» [الرعد: ٣٥].

وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسْلٍ مَصْفَى، فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَحَسْنِ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرِّيحِ.

عن حكيم بن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في الجنّة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشتقق الأنهر منها بعد». [صحيح الترغيب والترهيب].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا سالتَنِ الله فاسأله الفردوس، فإنه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة، ومنه تفجر أنهر الجنّة وفوقه عرش الرحمن». [البخاري]. وجاء في وصف الماء أنه مسكون، قال تعالى:

«وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ» [الواقعة: ٣١].

قال الشوري: يعني يجري في غير أخدود، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لعلكم تظلون أن أنهر الجنّة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض حافتتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الأزرق». [السلسلة الصحيحة].

أشجار الجنّة وظلالها

قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَرْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَسَيَدْخُلُهُمْ فَلَيَا طَلِيلًا» [النساء: ٥٧].

«وَظَلَلَ مَمْدُودٌ» [الواقعة: ٦٨]، «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظَلَلٍ وَعَيْنَوْنَ» [المرسلات: ٣٠]، ورد في وصف هذا الظل قول النبي ﷺ: «إن في الجنّة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها». [البخاري ومسلم]. أما الذين يظلمهم الله في هذا الفلل منهم ما ورد

صفاء القوارير.

وإن سالت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام.
وإن سالت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا يكاد تناهه الأ بصار.

وإن سالت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.
وإن سالت عن فرشها فبطائتها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب.
وإن سالت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر.

وإن سالت عن أسنانهم فابناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر.
وإن سالت عن سمعاهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سمع صوت الملائكة والنبيين، وأعلى منها خطاب رب العالمين.
وإن سالت عن حيلهم وشارتهم فأساور من الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان.
وإن سالت عن علمائهم فولدان مخلدون كانهم لؤلؤ مكنون.

تمام المنة رؤية الله في الجنة
قال الله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» (٢٢) إِلَى
رَبِّهَا نَاضِرَةٌ» [القيامة: ٢٢، ٢٤].
وقال تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً»
[يونس: ٢٦].

«والحسنى» هي الجنة، والزيادة: هي التمتع بالنظر إلى وجه الله عز وجل فيها، قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر». [رواوه البخاري ٧٤٣٤]

وفي رواية مسلم: «لا تضامون في رؤيتها». وأخرج البخاري هذا الحديث بلفظ آخر وهو: «إنكم سترون ربكم عياناً».

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيت؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون:

وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسطخ عليكم بعده أبداً».

عن صحيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». [رواه مسلم ١٨١].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن سالت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤيه وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة القدر، فذلك موجود في الصحاح والمسانيد من روایة جریر وصهیب وأبی هریرة وأبی موسی وأبی سعید، فيما ذكره الأسماع بأتیب محاضرة، ويا قرة عيون البرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراغبين بالصفة الخاسرة «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ» (٢٣) وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ» [القيمة: ٢٢، ٢٤].

فحي على جنات عدن فإنها

منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
فلله أبصار ترى الله جهرة
فلا الحزن يغشاها ولا هي تسأم

فيما نظرة أهدت إلى الوجه نصرة
أمن بعدها يسلو المحب المتيم
أحبتنا عطفاً علينا فإننا

بناظماً والمورد العذب أنت
اللهم إننا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو
عمل، وافتح اللهم لنا أبواب رحمتك، واجعلنا من عبادك الصالحين.

والحمد لله رب العالمين.

حكمة الله ونحوه الطف

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،

وبعد:

فالأخوة الدينية والرابطة الإيمانية مصلحة كلية، والمجتمع والإجماع أصل من أصول هذه الشريعة، يقول تعالى: «وَمَن يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَنَعَّمْ بِغَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ثُلَّهُ مَا تَوَلَّٰ وَتُصْلِلَ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًا» [النساء: ١١٥].

وهذا السعي لتوحيد الصدف وجمع الكلمة هو من أفضل الأعمال، بل كان هذا من أعظم الدروس التي خرج بها المسلمون يوم بدر.

قال تعالى: «يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ لَهُ وَالرَّسُولُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلُحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [الأنفال: ١]. وقال سبحانه: «لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» [النساء: ١٤]. وقال تعالى: «وَالصِّلْحُ خَيْرٌ» [النساء: ١٢٨].

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذابُ الذي يصلح بين الناس فيبني خيراً أو يقول خيراً». متفق عليه.

بل هذا الاجتماع من أعظم أسباب النصر، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ».

فالواجب علينا الارتباط، إذ تحقيقه من مقتضيات الإيمان، وكلما قوى إيمان العبد عرف مقدار نفع هذا الأمر، فإن اجتماع المسلمين وتآلف قلوبهم وحصول التحااب بينهم، يوجب لكل منهم أن يرى مصلحته ومصلحة إخوانه واحدة والغاية واحدة، ولذلك ورد التحذير من التفرق والاختلاف والتنازع لأنها من أعظم أسباب الفشل.

قال تعالى: «وَلَا تَنَازِعُوا فَتَنَزَّلُوا وَتَذَهَّبَ بِرِحْكُمْ».

«أنس الوحدة الحقيقة»

والأخذ بأسباب الوحدة الحقيقة يستوجب منا النظر بعين الاعتبار لعدة معانٍ، لأن الشعارات والهتافات والمظاهرات وارتفاع الأصوات بالوحدة والاتحاد لا تكفي لتحقيقها.

ومن أعظم هذه الأسباب: البصيرة، وهي تستلزم

٠٠ من حقوق الأخوة ٠٠

ومن حقوق هذه الأخوة المواساة بالمال، وأن يكون كل منهم عوناً لصاحبته، يقضي حاجة ويقدمها على نفسه، ويتفقد أحواله ويفعل عن زلاته ويغفره فيما عذرته فيه رب العزة جل وعلا كالخطا والنسيان وما استكره عليه، وعليه أن يعطيه من لسانه ما يحبه منه فيدعوه بأحب أسمائه إليه ويذكره بالخير في الغيبة والحضور، وفيه له في الأخوة فيثبت عليها ويدين عهدها، ويدعوه له

والأولاده. وفي الحديث: «إذا دعا الرجل أخيه في ظهر الغيب، قال الملك: ولك مثل ذلك». رواه مسلم.
ومن أظهر الوسائل في تعميق روح الأخوة أنه إذا أحب أخاه أخبره بذلك، وإذا فارقه طلب منه الدعاء، وإذا لقيه ابتسما في وجهه وبادر إلى مصافحته، يحرص على الإكثار من زيارة إخوانه، وإدخال السرور عليهم وتهنئتهم، ويتأكد ذلك في المناسبات، بل وتقديم الهدايا فإنها تورث المودة وتذهب الضغائن.

ويتبين أن يعلم أن الحق في مقابلة واجب لا بد من تذكرة، يقول النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلمين ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استحضرك فانصرح له، وإذا عطس فحمد الله فشمتة، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه». رواه مسلم.

وكان بعض الصالحين يقول: أين مثل الأخ الصالح؟ إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف، والأخ الصالح ينفرد بالحزن مهتماً بما قدم عليه أخوه وما صار إليه، يدعوه له في ظلمة الليل ويستغفر له وهو تحت أطباق الشري.

قال ابن شيرمة: إذا سالت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلوة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى.

وكان على مسروق دين ثقيل وكان على أخيه خيثمة دين أيضاً فذهب مسروق وقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم.

وهكذا يكون الحال عندما تتوثق أواصر الأخوة والمحبة.

□ من آداب الأخوة □

ولقد أوجز أحد الصالحين أداب الأخوة واختيار الأصحاب فقال يوصي ابنه: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صائد، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحاب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأي منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحاب من إذا سالت أعطاك وإذا سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، واصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولتكم أمراً أمرك، وإن تنازعتم شيئاً أثرك.

□ وحدة المنهج أساس وحدة الصفا □

ومن أدباب الوحدة أيضًا، وحدة المنهج، ولا منهج أصح وأكمل مما كان عليه سلف الأمة، وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، وما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون اليوم ديناً، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.
فإذا أردنا العز والتمكين والسعادة والنصر

والنجاة والفوز فعلينا بالرجوع مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وهذا هو المنهج المنضبط لفهم الإسلام والعمل به، قرأ ابن عباس قوله تعالى: «يَوْمَ تُبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتُسُودُ وُجُوهٌ» [آل عمران: 106]، فقال: تبييض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق، ولا يمكن أن تجتمع كلمة الأمة على مثل هذه البدع التي خرج بها أشباه الصوفية والخوارج والشيعة، قال تعالى: «وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ نَصَارَى أَخْذَنَا مِثَاقَهُمْ فَتَسْوُ حَطَّا مَمَّا نَكْرُوا بِهِ فَأَغَرَّنَا بَيْنَهُمُ الْعَادَةُ وَالْبُغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [المائدة: 14]، فاعتبروا يا أولى الألباب، ولا خير في أخوة الأحمق وسيء الخلق والمبتعد.

□ طاعة الله من أعلم أدباء الوحدة □

وعلينا أن نعلم أن العمل بطاعة الله تعالى والبعد عن كل ما يغضبه سبحانه هو من أعظم أدباء الوحدة والاتحاد، وللائل ذلك كثيرة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، ولا بد من تضييق دائرة الخلاف، ويسعنا في ذلك ما وسع سلف الأمة، ولا وسع الله على كل من لا يسعه ما وسعهم، إذ الخلاف شر كله، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، وينبغي أن نفرق بين الخلاف السائغ المعتبر الذي لا يفسد للود قضية، كخلاف الفقهاء في مسائل قصر الصلاة مثلاً وبين الخلاف مع الصوفية أو الشيعة أو الخوارج.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «نعم من خالف الكتاب المستبين والسنّة المستفيضة خلافاً لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع». وبين أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتنتظرون في المسألة العلمية والعملية معبقاء الألفة والأخوة الإمامية، ولا بد من الحذر من وساوس شياطين الإنس والجن، وذلك لأن الشيطان يئس أن يعبد في الأرض ولم ييأس من التحرير بين المسلمين: «وَقَلَّ عَبَادٍ يَقُولُوا التَّيْهَى أَحْسَنٌ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْرَعُ بَيْنَهُمْ»، والشيطان لا ينام، وكذلك أولياؤه يعملون ليل نهار من أجل تفريق المسلمين وإضعاف كلمتهم، ويستخدمون في ذلك سياساتهم فرق تسد.

فعلينا أن نحذر أدباء ونأخذ بأدب تحقيق الوحدة الإمامية، وننتهز فرصة هذه الأيام المباركة، وقد توحد القلوب على طاعة الله عز وجل فنكثر من الدعاء والتضرع عسى أن يؤلف ربنا بين قلوبنا ويوحد كلمتنا ويجعل باسنا على عدوه وعدونا.

والحمد لله رب العالمين.

وبعد:

فقد تحدثت الصحافة في مصر على اختلاف أنواعها مذكرة من خطورة المذهب الشيعي على البلاد، وعلى مصر بالذات، مؤكدة أن مؤامرة كبيرة ومحظطاً صفوياً شيعياً صهيونياً يتم تجهيزه للمنطقة حتى تحول البلاد العربية والإسلامية إلى المذهب الشيعي. وذلك بالتعاون بين إيران والعراق وسوريا وحزب الله الرافضي الشيعي في لبنان.

من هنا وجبت اليقنة والتحذير من الشيعة وحزب الله الرافضي خاصة أن كثيراً من المسلمين ومن لا يعرفون عقيتهم اغترروا بهؤلاء حتى ظنوا حماة الإسلام وأنهم يحاربون من أجل نصرة الدين فالتبس الحق بالباطل، وأغتر كثير من الناس بشعاراتهم حتى أدى الأمر ببعضهم إلى تصحيح عقائدهم والإشارة بهم.

ومجلة التوحيد لسان حال الجماعة كانت وما تزال تمثل خط الدفاع الأول الذي يتصدى لكل محاولات الغزو الفكري الذي يشنّه أعداء الإسلام على أمتنا من أجل تضليلها وصرفها عن كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ.

وفي هذا المقال نوضح بمشيئة الله تعالى أصول مذهبهم وضلالات منهجمهم لنكشف زيف ما اعتقادوه وبطان ما اعتقوه، وذلك من خلال كتبهم وما سطروه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من هي عن بينة.

موقع الشيعة الروافض من القرآن الكريم

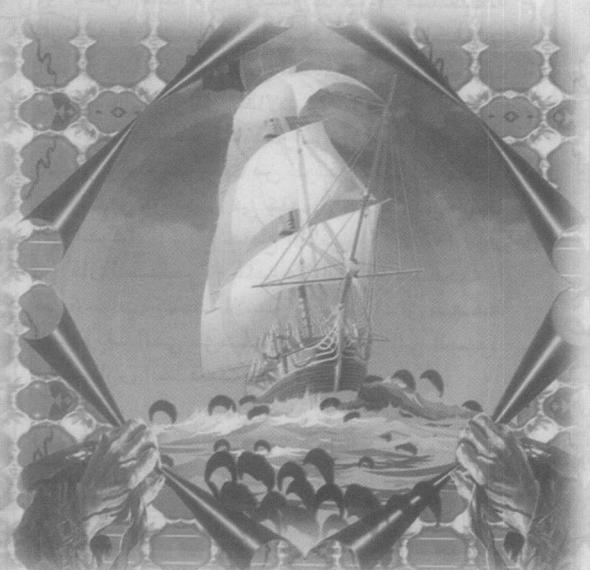
يعتقد الشيعة الروافض أن القرآن الكريم الذي بآيدي المسلمين اليوم قد وقع فيه التحرير والنقص بآيدي الصحابة رضي الله عنهم، وأن القرآن الكامل كما أنزله الله عند علي بن أبي طالب، ثم ورثه الأئمة من بعده وهو اليوم عند مهديهم المنتظر، يعني لا يوجد قرآن حق في متناول أيدي المسلمين.

وكتابهم «الكافي» مليء بالروايات الدالة على تحرير القرآن الكريم ونقصه كما زعموا ومؤلفه الكليني الملقب عندهم بـ(ثقة الإسلام) كان يعتقد التحرير والنقصان كما قرره الشيعة أنفسهم: «أنه

اتبعوا
ولا تبتدعوا

التامر الشيعي

على الإسلام والإسلاميين



إعداد / معاوية محمد هيكل

يُنْتَظِرُ رَحْمَتَهُ الْمُسْبِّئُونَ أَنْ يَنْفَعُنِي بِهِ «يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ» (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وهكذا يعتقد الشيعة أن الطعن في كتاب الله عز وجل قربة يتقربون بها إلى الله عز وجل فائي دين هذا!!

وهذا الكتاب من أوثق ما كتب في الإعلان عن هذه العقيدة الزائفة يدل على ذلك عدة أمور: لقد طبع الكتاب عام ١٢٩٨ هـ وعليه خاتم الدولة الإيرانية الرسمى.

مؤلفه يعد مرجعاً من مراجعهم، ولما مات وضعوه في أشرف بقعة عندهم في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن من باب القبلة في النجف. (أعلام الشيعة: آغا بربز الطهراني، القسم الثاني من الجزء الأول (ص ٥٥٣).

نصوص التحريف والطعن في الكتاب العزيز كثيرة في كتب الشيعة حتى عدها عالمهم المجلسي متواترة تساوي أخبار الإمامة التي هي لـ التشيع وجواهره قال: «وعندى أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً بل ظنني أن الأخبار في هذا الباب لا تقتصر عن أخبار الإمامة». (مرأة العقول ٢ / ٥٣٦).

وقال المفيد: إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة المهدي من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدهه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان». (أوائل المقالات ص ٩٨).

وقال محمد المازندراني: «إسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى كما يظهر من تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها». (شرح جامع الكافي ١١ / ٧٦).

قال الخميني - عليه من الله ما يستحقه - في كتاب «كشف الأسرار» ص ١١٤: إن تهمة التحريف التي يوجهها المسلمين إلى اليهود والنصارى إنما تثبت على الصحابة.

أقول: لو كان هذا الكلام في كتاب أو كتابين لقلنا كما يقول البعض: هذا الكلام مدسوس على القوم، أما وقد شاع هذا في كتبهم ومراجعهم كلها أو جلها، فلا مجال لادعاء أنها مدسوسية.

وعموماً نقول من يدعون أن هذا الكلام مدسوس عليهم: إيتونا بأى طبعة لهذه الكتب تخلو من أقوالكم هذه.

فهذه هي عقيدة القوم في القرآن الكريم من خلال كتبهم المعتمدة ومصادرهم الموثقة فهل يستطيع الشيعة أن ينكروها أو يستعملوا معها

كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن الكريم، لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لها بالقدح، وقد ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه (تفسير الصافي للفيض الكاشاني المقدمة السادسة ص ١٤).

«والكافي» عندهم بمنزلة «صحيف البخاري» عند أهل السنة، لأنهم زعموا: أن الكليني معاصر لوكاء المهدى المنتظر وسفرائه الأربع، وبذلك حكموا على أن منابع الكافي وموارده قطعية الاعتبار. (انظر «الوحدة الإسلامية» مقال محمد صالح الحائرى الرافضى (ص ٢٢٣)).

وتجد هذه العقيدة الباطلة في عدة كتب أخرى معتمدة عندهم مثل:

تفسير القمي، وهو شيخ الكليني، وقد صر بهذا المعتقد الباطل في أول تفسيره، وملأه من أخباره، وقد زعم أنه لا يذكر فيه إلا مشايخه وشيوخه. (انظر الموضع الآتية: ١ / ٣٦٠، ٢١١، ٣٦٠، ٢١٧ / ٢، ٣٨٠).

وهو تفسير معتمد لدى الشيعة لأمررين: أن كبار علماء الشيعة يوثقونه كالخوئي القائلي: «ولذا نحكم بوثاقة جميع مشايخ علي بن إبراهيم الذين روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين». (معجم رجال الحديث ١ / ٦٣).

معظم التفاسير المتأخرة كـ «تفسير البرهان» لهاشم البحرياني، و«تفسير الصافي للفيض الكاشاني» تنقل هذه الأباطيل عن تفسير القمي.

تفسير العياشي وهو من كتبهم المعتمدة، فقد قال عنه شيخهم الطوسي: «جليل القدر واسع الأخبار صحيحاً بالروايات». وقال محمد حسين الطباطبائي: «أحسن كتاب ألف قديماً في بابه، وأوثق ما ورثناه عن قدماء مشايخنا من كتب التفسير بالتأثر، فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف عام إلى يومنا هذا بالقبول من غير أن يذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف». (مقدمة تفسير العياشي للطباطبائي).

وقد ألف أحد معاصريه وهو الرافضي الخبيث المسمى حسين الطبرسي كتاباً ملأه بالزنقة سماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» وقال في مقدمته ويا عجباً لما قال «فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقى الدين الطبرسي جعله الله من الواقعين ببابه المتسكين بكتابه: هذا كتاب لطيف، وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميته: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين، وأرجو من

ولم يستثنوا إلا ثلاثة وهم: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسي. وقد وردت روايات عندهم في تعين هؤلاء الثلاثة:

فعن أبي جعفر (ع) كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟، فقال: «المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم». (شرح الكافي ١٢ / ٣٢١ - ٣٢٢).

تركيز الحملة الشيعية على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

ففي «روضة الكافى» (شرح الكافى) (١٢ / ٣٢٣). «أن الشیخین فارقا الدنیا ولم يتوبا، ولم يتذکرا ما صنعا بامیر المؤمنین، فعلىهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعین».

وقال شیخهم نعمة الله الجزايری: «قد وردت في روايات الخاصة: أن الشیطان يغل بسبعين غلا من حديد جهنم، ويُساق إلى الحش، فينظر ويُرى رجالاً أمامه يقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلا من أغلال جهنم، فيدينو الشیطان إليه ويقول: ما فعل الشقى حتى زاد على في العذاب وأنا أغويت الخلق وأوردتهم موادر الهاك؟ في يقول عمر للشیطان: ما فعلت شيئاً سوى أنني غصبت خلافة على بن أبي طالب». (الأئمّة النعمانية ١ / ٨١، ٨٢).

وعقب على هذه الروایة: «والظاهر أنه قد استقل شقاوته ومزید عذابه ولم يعلم أن كل ما وقع في الدنيا إلى يوم القيمة من الكفر والنفاق واستيلاء أهل الجور والظلم هو من فعلته هذه». (الأئمّة النعمانية ١ / ٨١، ٨٢).

وقال في أبي بكر رضي الله عنه: «نقل في الأخبار أن الخليفة الأول قد كان مع النبي ﷺ وصنه الذي كان يبعده زم الجاهليه معلقاً بخيط في عنقه ساتره بثيابه وكان يسجد، ويقصد أن سجوده لذلك الصنم إلى أن مات النبي ﷺ فاظهروا ما كان في قلوبهم». (المصدر السابق ٢ / ١١١).

قال إمام الضلال الخميني في كتابه كشف الأسرار (ص ١٢٦): «إننا هنا لا شأن لنا بالشیخین وما قاما به من مخالفات للقرآن ومن تلاعب بأحكام الإله وما حللاه وما حرماه من عندهما وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ ضد أولاده ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين».

ثم أضاف الآفاق الأثيم قائلاً: «إن مثل هؤلاء الحمقى والأفاقون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة أو أن يكونوا ضمن

التقىة؟ وما رأى دعوة التقرير فيما ذكرناه هل ما يزالوا مصرين على موقفهم وقد رأوا أن أساس الوحيدة التي يتباكون عليها قد نسفه الشيعة في اليم نسفاً فهل من مجيب؟»

الإجماع على أن القرآن محفوظ بحفظ الله له الذي عليه جميع المسلمين من عهد رسول الله إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي نزل به جبريل الأمين عليه السلام على محمد الأمين ﷺ، المقبول إلينا نقلًا متواتراً، وهو كل الموجود بين دفتى المصحف، وأنه لا يتطرق إليه ولا ينبغي أن يطرق إليه تحريف ولا تبدل ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان أبداً.

- فهو محفوظ بحفظ الله تعالى وصيانته من كل هذه الأمور ومن كل الباطل.

هذا هو إجماع المسلمين قاطبة نحو القرآن الكريم، المصدر الأول لتشريعهم، وأن من اعتقاد غير ذلك فهو خارج عن جماعة المسلمين، وكافر بالله تعالى الذي أنزل هذا الكتاب ووعد بحفظه وصيانته. [مختصر التحفة الاثنى عشرية].

- وقال القاضي عياض رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المأول في جميع أقطار الأرض المكتوب بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول «الحمد لله رب العالمين» إلى آخره «قل أَعُوذ بربِّ النَّاسِ»، أنه كلام الله ووحيه المنزَل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يستتم عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، واجتمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا أنه كافر...».

قال ابن حزم - رحمه الله: «وأما قولهم يعني النصارى - في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين وهم طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر». [الفصل لابن حزم ٢ / ٢١٣].

وقال أيضًا: «القول بان بين اللوحين تبديلًا كفر صريح وتکذیب لرسول الله ﷺ».

[الفصل ٥ / ٤٠].

وقال ابن قدامة - رحمه الله: «لا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر» [المعة الاعتقاد ص ٢٢].

موقفه من الصحابة رضي الله عنهم
فهم عند الشيعة أهل ردة الأقليات

لقد امتلأت كتب الشيعة المعتمدة مثل: «الكافى» و «البحار» و «الاختصاص» سبأ وطعنًا ولعنة وتكفيرًا للصحابة الكرام رضي الله عنهم

الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبيّن أنه زنديق». (الصارم المسلول ص ٥٨٦، ٥٨٧).

قال ابن كثير - رحمة الله - في تفسير قوله: «**مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالذِّينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بِنَيْمَهُ تَرَاهُمْ رُكَعاً سُجُّداً يَتَنَعَّمُونَ فَخُلِّنَا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا مَا سِيمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاطَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوْى عَلَى سُوقِهِ بِعِجْبِ الرِّزَاعِ لِيَغْنِيَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الذِّينَ آتَيْنَا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مُغْفَرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الفتح: ٢٩] ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك تكثير الرواوض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغبطونهم، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية.**

قال القرطبي: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تاویله، فمن انتقص واحداً منهم أو طعن عليه في روایته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين. [تفسير القرطبي ١٦ / ٢٩٧].

وسأل رجل الغريابي عنمن يشتم أبا بكر؟ قال: كافر، قال: فيصلني عليه؟ قال: لا. وقال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته. [الصارم المسلول ص ٥٧٠].

ثالثاً: الشيعة يخلعون على أنتمهم صفات الألوهية لم تتوقف ضلالات الشيعة عند جعل الأئمة فوق الأنبياء والرسل وأنهم معصومون متميزون في خلقهم عن بقية البشر، بل وصل جرمهم إلى حد خلعوا فيه على أئمتهم صفات الألوهية فزعموا أنهم يعلمون أعمار الناس وأجالهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، ولا تخفي عليهم خافية، إلى غير ذلك من الطامات التي تزلزل لها قلوب الموحدين.

وفي هذه المسألة بالذات لن نكتب نقاولاً عن هؤلاء الضلال من الشيعة لكثرتها لأن جرمهم وضلالهم تکاد السماوات يتقطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولكننا سنكتفي فقط ونطلب من القارئ الكريم أن يطالع بنفسه عنواين بعض الأبواب من فهارس الكتب المعترفة عند الشيعة والتي تمثل الحجة لديهم ليتعرف القارئ على مصادب القوم وع قائدهم الفاسدة، ونترك له الحكم في النهاية، وإلى البيان:

١- بعض الأبواب من فهرس كتاب أصول

أولي الأمر» (المصدر السابق ص ١٢٧). وقال المجلسي في بحار الأنوار (ج ١ ص ٢٣٠): «الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأخراهما وثواب لعنهم والبراءة منهم وما يتضمن بدعهم أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو مجلدات شتى».

هؤلاء الذين يكفرن أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم الصديق والفاروق - يريد من يدعون إلى التقارب أن تختلف معهم، فكيف تختلف معهم وهم يفرقون الأمة بتکفير أبي بكر وعمر والصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

وقال أيضاً في كتابه «حق اليقين» (ص ٥١٩): (المهدي عند خروجه سيجيء إلى يثرب وبهدن الحجرة النبوية ويخرج أبا بكر وعمر طرين ويأمر بهما تجاه البقيع فيصلبان، ثم ينزلهما ويحيييهما ويقتص منهما، ثم يصلبهما ثانية، ثم يحرقهما).

ثم زعم الضال المضل أن أمتنا - أم المؤمنين - عائشة رضي الله عنها البراء سيخييها الله عز وجل للمهدي فيجلدها ويقيم عليها حد الزنا!!

والمطعن في الصحابة طعن في دين الله ﷺ ولم ينج من طعنهم أحد من الصحابة، رضي الله عنهم، ومن طعن في صحابة رسول الله ﷺ فقد طعن في دين الله وشرعيه؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم شهودنا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

عن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: سمعت أبا زرعة يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجر بهم أولى، وهم زنادقة». (آخره الخطيب البغدادي في «الكافية» (ص ٤٨)، وهو صحيح).

ومن زعم أنهم ارتدوا فلاشك في كفره وزندقته، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: «من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أياضاً في كفره، لأنه مكذب لما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضي عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي **«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ»** [سورة آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرآن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها: أن هذه الأمة شر

الكافي للكليني ج١

باب أن الأئمة (ع) نور الله عز وجل.

باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة.

باب أن الأئمة (ع) إذا شاؤوا أن يعلموا علموا.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

أقول: فماذا إذن ماتوا؟ وهل يجب أحد الموت؟
لماذا لم يختاروا الحياة ليبقى المذهب؟

باب أن الأئمة (ع) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم.

باب أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علمًا إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين (ع) وأنه كان شريكه في العلم.

باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.

باب أن الأئمة (ع) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف السنن.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون جميع العلوم التي خرجم إلى الملائكة والأنبياء والرسول (ع).

٢- بعض الأبواب في فهرس بحار الأنوار
لخاتمة المجتهدين محمد باقر المجلسي ج٢ - ٢٣

كتاب الإمامة.

باب: أنه لا يحب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وما تحتاج إليه الأئمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيّبهم من البلایا ويصيرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لاجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائير وعلم المنايا والبلایا وفصل الخطاب والمواليد.

باب: أن عددهم جميع علوم الملائكة والأنبياء، وأنهم أعطوا ما أعطاهم الله الأنبياء، وأن كل إمام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله، ولا يبقى الأرض بغير عالم.

باب: أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام.

باب: أحوالهم بعد الموت وأن حرمهم حرام على الأرض وأنهم يرتفعون إلى السماء.

باب: أن اسماعهم عليهم السلام مكتوبة على العرش والكرسي اللوح وجبار الملائكة وباب الجنة وغيرها.

باب: أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام.

باب: أنهم عليهم السلام سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب.

باب: أنهم عليهم السلام لا يحب عنهم علم

السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملوك السموات والأرض ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيمة.
٦٠ غلو الشيعة في قبور أئمتهم

٣- بعض أبواب من فهرس كتاب (كامل الزيارات) لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قاوليه.

الباب (٩١): ما يستحب من طين قبر الحسين عليه السلام وأنه شفاء.

الباب (٩٣): من أين يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام وكيف يؤخذ.

الباب (٩٤): ما يقول الرجل إذا أكل طين قبر الحسين عليه السلام.

وقد صفت شيخهم ابن النعمان، المعروف عندهم بالمفید. وهو شيخ الموسوي والطوسي - كتاباً سماه: (مناسك المشاهد)!!، جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد، ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين». [١ / ٧٤٦-٧٤٧ منهاج السنة لابن تيمية]

وهكذا يظهر لك أن تاليه الأئمة وتقديس القبور والمشاهد ركن من أركان المعتقد الشيعي، فالشيعة أول من بنى مشاهد على القبور وجعلوها شعراهم. فهوئاء هم القوم وهذه عقائد هم أعادنا الله منها ومنهم، وهم بذلك «يُضاهئُونَ قُوْلَ الْذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَكْثَرَ يُؤْفَكُونَ» [التوبه: ٣٠].

٦١ نداء إلى دعاة التقريب

وفي الختام نقول لداعية التقريب المتباكي على وحدة الأئمة ما رأيكم بعد ما قرأت ما سطر في كتاب القوم من ضلالات وانحرافات وشركيات؛ لا تزالون مصرین على دعوتكم إلى التقريب والوحدة، وأنه لا فرق بين شيعة وسنة، أترضون أن تتحدد الأئمة على ضلال؛ فترضون بذلك الناس وتسلطون عليكم رب الناس، ما للعقل أين ذهب وما للتفكير كيف غاب.

إن وحدة الأئمة لا تكون إلا في الاعتصام بالكتاب والسنة، يا دعاة التقريب اتقوا الله وكفاكم تزييفاً للحقائق وتضللاً للأئمة، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة.

والله من وراء القصد.



الحمد لله رب العالمين

4 «رضي الله عنهم»

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن وآله، وبعد: فإن من المحبة والولاء للصحابية الكرام رضي الله عنهم أجمعين الدفاع عنهم والذب عن اعتراضهم وحماية حياضهم وقدرهم، فالدفاع عنهم رفاع عن رسول الله ﷺ، فهم بطانته وخاصة، ودفاع عن دين الإسلام فهم حملته ونجلته.

١- قول الله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَعْدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبه: ١٠٠].

قال ابن كثير - رحمه الله - يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاه عن بما أعد لهم في الجنة من النعيم المقيم.

قال الشوكاني - رحمه الله - ومعنى «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو المتأخر عنهم فمن بعدهم إلى يوم القيمة. (فتح القدير / ٢ - ٣٩٨).

وقال السعدي - رحمه الله - عند قوله: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» بالاعتقادات والأقوال والأعمال فهوئاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية الدح وأعظم الكرامات من الله.

٢- قال الله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَابِعُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا» [الفتح: ١٨].

قال أبو محمد بن حزم - رحمه الله تعالى - : «فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يدخل لأحد التوقف في أمرهم، والشك فيهم البينة». (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ : ١٤٨).

- وصدق عليهم قول عائشة الصديقة - رضي الله عنها - : «أمرتوا أن يستغفروا لاصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم». (أخرجه مسلم).

٣- قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَأْ لَتَخُونُوا شَهَادَةَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [آل عمران: ١٤٣].

فقد جعلهم الله تبارك وتعالى أفضل الأمم وأعدلها في العقيدة والقول والعمل فاستحقوا بذلك أن يكونوا

إن الهجمة الشرسة والحملة المسعورة من الأقلام المأجورة على الصحابة الكرام والتطاول عليهم والطعن في اعتراضهم عبر وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها وهي سلسلة متصلة الحلقات بين أعداء اليوم من الشيعة وبين أسلافهم من اليهود والصلبيين، وإن الأهداف الخبيثة من وراء ذلك واضحة معلومة، وهي تجريح شهادة الصحابة والطعن في عدالتهم، ومن ثم التشكيك في الكتاب والسنة؛ إذ أن الصحابة هم نقلة هذين الأصلين لدين الله عز وجل وكذلك إثبات عجز الإسلام عن الصمود للتجربة والتطبيق، وإثبات عدم صلاحيته في هذا العصر.

ولكن هيئات هيئات أن ينال هؤلاء الصغار الأغمار من الصحابة الأخيار، فهم بحمد الله مصابيح الدجى وشموس المهدى وإن رغمت أنوف الحاذفين: «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتْمِمْ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [التوبه: ٣٢].

فكل خير فيه المسلمين إلى يوم القيمة، من الإيمان والإسلام، والقرآن، والعلم، والمعارف، والعبادات، وافتخار على الكفار، وعلو الكلمة، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن أمن بالله ورسوله للصحابة رضي الله عنهم فضل عليه إلى يوم القيمة، وإليك أخي القاري طرقاً من فضائلهم وشمائلهم التي تفوق الحصر:

٤- منزلة الصحابة رضي الله عنهم وما كان لهم العالية على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون على الإطلاق، لما لهم عند الله من المنزلة العالمية والمكانة السامية، فقد مدحهم ربهم وذكرهم من فوق سبع سماوات ومدح من اتبع سبيلهم وسار على هديهم، وذم من خالفهم، وكل ذلك يؤكد وجوب الاقتداء بهم رضوان الله عليهم.

الأدلة من القرآن

ذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

قاطمة الأمة وكتابها

إعداد / معاوية محمد هيكل

بأكمل الصفات وأجمل السمات فهم مجتهدون في نصرة دين الله عز وجل وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وهم كذلك متحابون متراحمون كالجسد الواحد، كما مدحهم ظاهراً فقال: «تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا»، ومدحهم باطناً فقال: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضْوَانًا»، ومدحهم قبل أن يخلقاً فقال: «ذُلُكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْبَرَعَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ»، وهذه أيضاً صفة للطائفة المنصورة أهل الحديث الذين

اقتفوا أثر جيل القسوة الأول محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وصحابه. «لِيُغَيِّظُهُمُ الْكُفَّارُ»، وتعمد إغاظة الكفار يوحى بأن هذه الطائفة هي غرس غرسه الله وتعهد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بال التربية، فهي من دلائل قدرة الله؛ لأنها أداة لإغاظة أداء الله الذين يعملون على إطفاء نور الله، وإخماد جذوته في نفوس المسلمين، ولكن الله متم نوره ولو كره المشركون، ومظهر دينه، ولو كره الكافرون، ولذلك ترى أهل البدع يعادون أهل الحديث في كل عصر ومصر.

٦- وقال تعالى: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَرْبَرَعُوا وَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شَقَاقٍ فَسَيَكْفِيَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: ١٣٧].

قال ابن كثير رحمة الله: «يقول الله تعالى: «فَإِنْ آمَنُوا» يعني: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، «بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ» يا أيها المؤمنون، والإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، «فَقَرْبَرَعُوا» أي: أصابوا الحق وأرشدوا إليه». انتهى.

والآلية أيضاً تتناول كل من جاء بعد جيل الصحابة إلى عصرنا لأن العبرة بعموم الملفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم عند علماء الأصول والتفسير، فإنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه الأوائل من الصحاوة في تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

شهداء على الناس، فإذا كانت شهادتهم عند الله مقبولة فلا شك أن فهمهم لنصوص الشريعة حجة على من بعدهم، لذلك أمر رب العزة باتباع سبيلهم، فقال: «وَاتَّبِعُ سَبِيلَ مَنْ أَنْتَابَ إِلَيْهِ» [القمان: ١٥]، وجيل الصحابة خير من أتباع إلى الله واستجاب، فوجب اتباع سبيلهم في فهم دين الله تبارك وتعالى، ولذلك هدد الله تعالى وتوعد من اتبع غير سبيلهم بجهنم وبئس المصير، كما ظهر ذلك في قوله تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُؤْلَئِكَ مَنْ هُمْ بِهِ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًا» [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير - رحمة الله -: «أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه فصار في شق والشرع في شق عن عمده منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واضح، قوله: «وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» هذا ملازم للصلة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيمياً لنبيهم». انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله -: «إن كلًا من الوصفين يقتضي الوعيد لأنَّ مسلكهم لآخر. فهكذا مشaqueة الرسول وابتاع غير سبيل المؤمنين ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضًا، فإنه قد جعل له مدخلًا في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً، والأدلة توجب ذم ذلك». (مجموع الفتاوى: ١٩٤، ١٩٣ / ١٩).

٥- قال تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بِيَنْهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرَضْوَانًا سَيَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذُلُكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْبَرَعَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَعْظَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الرُّزَاعَ لِيُغَيِّظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مُغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الفتح: ٢٩].

فقد وصف الله عز وجل الصحابة

وفي الحديث فوائد:

١- إذا كانت النجوم قد جعلها الله رجوماً للشياطين في استراق السمع، فإن الصحابة رضي الله عنهم زينة هذه الأمة كانوا رصدوا لتأويل الجاهلين وانتهال المبطلين، وتحريف الغالين، الذين اتبعوا أهواهم.

٢- وإذا كانت النجوم كذلك مثاراً لأهل الأرض يهتدون بها في البر والبحر، فكذلك الصحابة رضي الله عنهم يقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشبهات والشهوات، فمن أعرض عن فهمهم فهو في غيه يتربى في الظلمات ليس بالخارج منها.

٣- فهم الصحابة للقرآن والسنة تحصين من بدع شياطين الإنس والجن، الذين يبتغون الفتنة ويبتغون تأويلها: ليفسدوا فهم مراد الله ورسوله فكان فهم الصحابة جزءاً من الشر وأسبابه.

٤- فيه أن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم وانقضاء جيلهم يعقبه ظهور البعد والحوادث في الدين، وقد كان وهذا كله من دلائل صدق نبوته ﷺ.

(باختصار من المنهج السلفي للهلاوي).

ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن سبهم، فقال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم أو نصيفه». (رواه مسلم).

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله من سب صاحبي».

صحيح الجامع (٥١١)

﴿أقوال سلف الأمة﴾

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ، فلما قام أحدهم ساعة، يعني مع النبي ﷺ، خير من عمل أحدكم عمره. (رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه).

٢- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: «والله ليشهد رجل منهم - يعني الصحابة مع رسول الله ﷺ - يُغَيَّرُ فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر نوح، ثم قال متوجعاً من يبغضهم أو يسبهم: لاجرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله ألا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيمة والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبابهم». (رواه الترمذى وابو داود).

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخاف بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخاف أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان.

٤- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلت أغrieve من أسلم عمر رضي الله عنه. (أخرج البخاري).

حتى يحصل لهم الهدى.

﴿الأدلة من السنة النبوية﴾

بين النبي ﷺ أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم الجماعة، وهي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سنته من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة: واحدة في الجنة، وثلاثة وسبعين في النار». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعية». (صحيح ابن ماجه ٢ / ٣٤).

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم. (الباعث على إنكار البدع ص ٢٢).

وثبت عند أبي داود من حديث العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وغضوا عليها بالنواخذة، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». (رواه أبو داود وصححه الألباني).

قال ابن حبان في «صحيحه» (١٠٤ / ١) في قوله ﷺ: «عليكم بسنتي» إنه بيان واضح أن من واظب على السنن، وقال بها، ولم يرجع على غيرها من الآراء، كان من الفرقة الناجية يوم القيمة، جعلنا الله منهم بمنة وكرمه.

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «إن خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: «فلا أدرى قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة». (رواه البخاري ومسلم).

﴿الصحابية أمان للأمة﴾

عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتي السماء ما توعد، وأنا أمنة لاصحابي، فإذا ذهبت أتي أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابي أتي أمتى ما يوعدون». (رواه مسلم).

أجمعين والكاف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم أو تنتقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيدهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بأثارهم فضيلة وأصحاب رسول الله هم خير الناس». وقال الإمام الطحاوي رحمة الله: ونحن نحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفترط في حب أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرون، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطبعان.

الحجارة في اتباع منهاجم والسير على طريقتهم

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستيناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبواها قلوبًا، وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وإقامة بيته، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في أثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

(جامع بيان العلم / ٢٤٧).

وقال الأوزاعي رحمة الله: أصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وقف مما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم. (شرح أصول الاعتقاد / ١٥٤).

وقال أيضًا: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وأراء الرجال وإن زخرفوا لك القول. (الشريعة للأجري ٥٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميـعاً. (التفسير الكبير / ٢٢٩).

وقال ابن عبد الهادي رحمة الله في «الصارم المذكي» (٤٣٧): لا يجوز إحداث تاويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه، ولا بینوه للأمة.

وصدق مالك رحمة الله حيث قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. أولئك أبائي فجئني بمثلهم.

والحمد لله رب العالمين.

٥- قال الميلونى: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما لهم وما لعاوية، نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا الحسين إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام. (حكم سب الصحابة لابن تيمية).

٦- وقال الحارث بن عتبة: إن عمر بن عبد العزيز أتى ب الرجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته؟ قال: أبغضه، قال: وإن أبغضت رجالاً سببته. قال: فأمر به فجلد ثلاثة سوطاً. (حكم سب الصحابة ٢٢).

٧- عن طارق بن شهاب رحمة الله قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك. (آخرجه أحمد).

٨- شهادة على رضي الله عنه بحقيقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن محمد بن الحنفية (وهو محمد بن علي بن أبي طالب، رحمة الله) قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيته أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. (روايه البخاري).

فإذا كان علي رضي الله عنه يقول هذا وهو في زمان خلافته: أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فقد أدخله حجة الرافضة، وأخرست كل الألسنة.

الصحابية كلهم عدول

والطعن فيهم طعن في الرسالة والرسول ﷺ، فمن طعن في الصحابة فقد طعن في دين الله وشرعه لأن الصحابة هم شهودنا مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال الخطيب البغدادي رحمة الله: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن.

ثم حكى الإجماع على ذلك بقوله: «هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء». (الكتفالية في علم الرواية ص ٩٣).

قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، ونزل أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يحرجو شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة». (الكتفالية ص ٩٧).

القول المرضي في أصحاب النبي ﷺ

قال الإمام أحمد رحمة الله في السنة (ص ٧١): «من الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم

أحداث

وحقائق الصراع

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد

والله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن حرب الإبادة التي دارت رحاها على أرض غزة - رمز الصمود والعزة - على أيدي

دولة العصابات اليهودية لهي دليل إدانة لأمة المليار التي اكتفت بدور المترجع على

الأحداث، ولم تحرك ساكناً، وكان الذين يُقتلون ويُبارون ليسوا منا ولسنا منهم.

إن ما يجري على أرض فلسطين على مرأى ومسمع من الدنيا له وصمة عار في جبين

العالم المتحضر الذي ماؤ الدنيا صياحاً بالدفاع عن حقوق الإنسان، وهم أبعد ما يمكنون

عن الإنسانية، فهم أعداء الإنسان، يكيلون بمكيالين، فقتل يهودي عندهم في غابة جريمة لا

تغفر، وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر! واحتلال البلاد وإذلال الناس نشر للديمقراطية

وإحلال للسلام؛ ودفع المظلوم عن دينه ووطنه إرهاب وإجرام.

إن ما يحدث من تقطيل للمسلمين، وترويع للأمنين، وهدم للمساجد على أرض فلسطين

المجايدة، وهو سلسلة متصلة الحالات من الإجرام اليهودي عبر العصور.. وسل التاريخ

ينبئك عن مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا وخان يونس وقانا... إلخ.

شعارات الدعوة إلى توحيد الأديان والطعن في الأنبياء وتسفيه العلماء، وهم الذين أفسدوا مناهج التعليم وزوروا التاريخ وأشاعوا الفساد الأخلاقي. وهم الذين وضعوا البذرة الأولى في مؤامرة العصر المسمة بازمهة الشرق الأوسط، أولئك هم المفسدون حقاً.

□ التامر اليهودي لن يتوقف □

قال تعالى: **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَسْرَكُوا** [المائدة: ٨٢]. لقد بدأ الصراع مع اليهود منذ اليوم الأول للبعثة النبوية لأنهم كانوا يرون في الإسلام والنبي الجديد ﷺ تهديداً لمعتقداتهم، وكشفاً لتعريفهم كلام الله، وتاريخهم السيء مع أنبيائه، وخطراً على قيادتهم الدينية للعالم، وخوفاً من انتقال هذه القيادة إلى المسلمين؛ أصحاب الرسالة الخاتمة، فالمعركة الحقيقة كانت ولا تزال معهم: **وَلَا يَرَوُنَّ يُقْاتِلُونَكُمْ حَتَّى يُرِدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوهُ** [البقرة: ٢١٧].

فواجهوا ذلك بكل ما يمتلكون من حقد وكيد وتمر وتخريب وغدر، سواء أكان ذلك مواجهة مباشرة أو من داخل الصفة المسلم نفسه باصطدام النفاق والمنافقين، ومن ثم تغذية الملل والتحلل الباطلية والخارجة عن الإسلام باسم الإسلام،فهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وهم شياطين النفاق، الذين صنعوا ورسموا دروبه.

والمساحة الكبيرة التي خصصها القرآن الكريم للكلام عن بنى إسرائيل، وتاريخهم، وأخلاقهم، وعلاقتهم بالنبوة ليست عبئاً، حتى يكون المسلمون على بيته من أمرهم، فلا يقعوا فيما وقع فيه اليهود، وهو الذين نحيط بهم القيادة الدينية للعالم فلم يروعها حق رعايتها؛ وليخذلوا حذرهم من جانب آخر لأن التامر اليهودي لن يتوقف حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد خاطب القرآن الكريم اليهود الذين عاصروا البعثة، ونسب إليهم الجرائم والمؤامرات التي مارسها أجدادهم مع البشرية وأنبيائها، وكأنهم هم أصحاب تلك الجرائم وفاعلوها، وكأن المكر والخداع والتامر أصبح جبلة وخليقاً وشيئاً عضوياً يلازمهم، ينتقل من الأجياد إلى الأحفاد.

اختبر الرسول ﷺ يهود عصره بالتعامل معهم، وتوقعوا الصلح والمعاهدات مع فرقهم وطوائفهم - بني قينقاع والتغبير وقريظة - وأعطاهم حقهم تماماً غير متقوص في معاهدته لهم عندما وصل إلى المدينة، وجعلهم على قدم المساواة مع المسلمين في

□ اليهود قتلة الأنبياء □

فقد تخصص اليهود في سفك الدم الحرام، فهم قتلة الأنبياء، تخلصوا منهم بالذبح تارة، والنشر بالمناشير تارة، والتحالف مع الأعداء تارات أخرى، وليس هناك كفر أشنع ولا أبغض من هذه الأفعال الأشنة، فهذا يحيى عليه السلام أراقوا دمه على صخرة بيت المقدس لما تورع عن إصدار الفتوى لأحد ملوكهم لنكاح إحدى محارمه، وذلك زكريا عليه السلام نشووه بالمشاركة تقرباً ملوكهم ذلك الذي قتل يحيى، وقد حاولوا قتل عيسى عليه السلام، وعقدوا العزم على اغتياله، فانقضى الله منهم ورفعه إليه، وحاولوا قتل النبي محمد ﷺ فنجاه الله من كيدهم، قال تعالى: **أَفَكُلُّمَا جَاءَكُمْ رَسُولُنَا لَا تَهُوَ أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرُتُمْ فَقَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَكْتُلُونَ** [آل عمران: ٨٧].

وليس غريباً على هؤلاء القوم أن تصدر منهم هذه القبائح والفضائح، فقد تطاولت السنة السفه منهم على الخالق سبحانه فقالوا على الله عز وجل - ظالمن غاشمي - ما تعرف الألسن عن التلفظ به إلا مسندًا إليهم، فمما حكاه الله تعالى عنهم في كتابه: **وَقَاتَلَتِ الْيَهُودُ بَدِّلَ اللَّهَ مَغْلُولَةً غَلَّتِ أَدْبِيَهُمْ وَلَعُنُوا بِمَا قَاتَلُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ يَشَاءُ** [المائدة: ٦٤]، وما نعاه الله تعالى عليهم ووبخهم بها مقولةً أخرى لا تقل فظاعةً عن تلك، قال الله تعالى: **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَّهُنَّ أَغْنِيَاءُ سَخْتَبُ مَا قَاتَلُوا ...** [آل عمران: ١٨١].

وجرائم القوم أكثر من أن تحصى في مقالة أو تكتفيها عجالة، فقد عم بغيهم وانتشر ظالمهم.

□ المفسدون حقاً □

وإنه لغريب حقاً هذا الصنف من البشر وعجب شأنه، فانت لا تكاد ترى حركة مخربة أو فكرة ضالة أو دعوى منحرفة إلا كل فتنة، وهم الذين أثاروا الفتنة والبوا الأحقاد على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة، وجمعوا بين الأحزاب في الجزيرة لممارسة المؤمنين، وكانوا وراء إثارة النعرات القومية في الخلافة العثمانية، والتي أدت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال الدستور بها في عهد السلطان عبد الحميد حتى انتهت إلى إلغاء الخلافة، وهم الذين كانوا وراء الموجات الإلحادية في العالم، وهم دعاة الانحلال ونشر الرذيلة، وكانوا وراء الإفساد في الدين وهدمه بشتى الوسائل إما بالدخول فيه لفساده كما حدث مع عبد الله بن سباء، وإما برفع

الدفاع عنها؛ فماذا كانت نتيجة التجربة الميدانية ؟ تجربة الرسالة الخاتمة - معهم ؟ تلك التجربة التي لا بد من الاهتداء بها في التعامل معهم كما هو واقع اليوم في عالم المسلمين، فها هم بنو قينقاع يهددون المسلمين في أعقاب غزوة بدر الكبرى ويهذبون من شان الانتحار، بقولهم: لقد لاقى محمد ﷺ في بدر قوماً أغماراً - لا علم لهم بفنون القتال - لو نازلنا لأربناه كيف يكون القتال، وكذلك عداوتهم على المرأة المسلمة في حيئهم، وصناعة النفاق التي هزت الصفوف في غزوة أحد قبل المعركة : حيث عاد ابن سلول بمجموعة مخالِّفة المسلمين وهم في الطريق إلى المعركة، ثم كيف تأصل النفاق ليصبح ضرباً من الفرق الباطنية التي تغتصب في حلق المسلمين، وتمكن اليهود من جديد.

وكذلك خيانة يهود بني قريظة وتحزيبها الأحزاب في غزوة الخندق، وشهادتها للكفار، بأنهم أهدي من الذين آمنوا سبيلاً.

٢٠ خونة بني النضير

وعندما خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه إلى بني النضير - وكانت حصونهم على ميلين من المدينة - يستعينون في دية الرجلين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري حينما رجع من بئر معونة، عمرو بن أمية الضمري حينما رجع من بئر معونة، تنفيذاً للعهد معهم، فلما أتاهم قالوا: نعم أبا القاسم، نعيتك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ قaud إلى جنب جدار من بيوبتهم - فمن يعلو هذا البيت فيليقي عليه صخرة، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك أحدهم، فصعد ليلاً على الصخرة، فاتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأخبره بما أراد القوم، فقام مظهراً أنه نهض ليقضى حاجته، وترك أصحابه، ورجع إلى المدينة مسرعاً.

وأمر الرسول ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، وبعث رأس النفاق ابن سلول إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، فإنما لن نسلمكم، إن قوتلتكم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم... وحاصرهم رسول ﷺ أيامًا، وهو قد تحصنوا ينتظرون نصرة المنافقين دون جدوى، إلى أن أجلوا عن المدينة، وفيهم نزلت سورة الحشر، ومن آياتها ذات الدلالة الكبيرة على ما نعاني اليوم، قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَيْرَهُمْ لَأُولَئِكَ الَّذِينَ ظَلَّنُتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَلَّنُوا أَنَّهُمْ مَانَعُتُمْ هُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسُبُوا وَكَذَّفَ فِي

قُلُوبُهُمُ الرُّعبُ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرُوا يَا أُولَئِكُمُ الْأَبْصَارِ» [الحشر: ٢].

وبذلك يظهر بوضوح أن علاقات اليهود مع المسلمين في مرحلة النبوة والمعاهدات التي وقعت بينهم وبين رسول الله ﷺ لم تغير من طبائعهم شيئاً، وذلك أن الحقد التاريخي اليهودي يمكن أن ينفجر في كل زمان ومكان، فعلى الأمة أن تأخذ حذراً وتعتبر دروس التاريخ.

٢١ الرؤية الدينية اليهودية وخافية الصراع

إن قيام إسرائيل جاء نتاجة رؤية توراتية محرفة كانت وراء تحريك اليهود وشدهم في جميع أنحاء العالم وبوسائل مختلفة وعلى مستويات متعددة للوصول إلى دولة «إسرائيل المزعومة» التي تقيم الهيكل في أرض المعبد؛ ولم تكن القضية وليدة يوم وليلة، كما يتوهם البعض، وإنما هي ثمرة لجهود مكثفة من خلال رؤية دينية وخطط مدروسة، وتعاون مستمر، وتحكم خفي بالمسارات الدولية، وقدرة على توظيف الكثير من الأشخاص والأحداث لمصلحة القضية، يحكم ذلك كله ويتتحكم به إرادة عامة هي ولدية عقيدة تلمودية صنعها لهم الحاخamas ورجال الدين، وكل فرد يهودي نصيب منها، فاليهود يحاكمون العالم ويحكمون عليه من خلال ما يعتقدونه من قيم، ويفسرون الحركة الإنسانية والنشاط البشري تفسيراً توراتياً محرفاً ويصررون على ذلك، ويرسمون الخرائط الدينية ويغيرون التسميات ويتأذبون بالأسماء وتتفجر أحقادهم التاريخية، كاللغام الموقوتة هنا وهناك، لانتقام من البشرية، ولأمر يريده الله، أن تكون ساحة انتقامهم مركزة في قلب العالم الإسلامي فلسطين، وأن يكون أهلها على الخط الأول للمواجهة والوقوف في وجه يهود الذين يهددون العالم الإسلامي كله الذي يعاني الضياع، والضلال والانسلاخ من عقیدته الإسلامية، يعيش فترة التيه والشتات التي خرج منها يهود ليدخلها العرب المسلمين الذين يعيشون حياة الاسترخاء والدعة، ولا يشعرون بهم المأساة وخطورة المذبحة، ولا يحسون بحقوق الأخوة تجاه إخوانهم في غزة ويسلمون النساء والأطفال ليهود، يمزقون أجسادهم ويهتكون أعراضهم، هؤلاء إن لم يستيقظوا من

كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدة كتبت عليها «هزيمة الهلال» بيعت بالملايين ... لتنقية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين.

[كتاب: قادة الغرب يقولون «لجلال العالم».]

وحيثما احتلت إسرائيل القدس سنة ١٩٦٧ دخلت جولدا مائير وجميع وزرائها وكانوا يمشون خلف الحاخامات حفاة يبكون وهم سائقون نحو حائط المبكى في القدس القديمة وأخذوا يهتفون مع «موسى دييان» هذا يوم بيوم خبير، يا لشارات خبير. قال بن جوريون يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ عند دخول القدس القديمة والمسجد الأقصى «هذا أعز يوم مر على منذ أن قامت إسرائيل إذ توحد فيه شطرا العاصمة المقدسة القدس» وكذلك رفع دييان شعاره القائل من أورشليم إلى يثرب، وقال وايزمان لرئيس وزراء بريطانيا: لو أن موسى نفسه جاء يدعو اليهود لغير فلسطين ما تبعه أحد. وقال «بيجن» في كتاب «التحدي» يرفع شعاره الدموي: «أنا قاتل إذن أنا موجود».

وقال «كهانا»: إن إبادة العرب واجب مقدس وغدراً لن يصيّب اليهود أي عربي لأنه لن يكون في إسرائيل أي عربي.

وجاء في مذكرات «وايزمان» قوله: ولقد قابلت بلفور الذي بادر بسؤال على الفور: لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومي في أوغندا؟ قلت لبلفور: إن الصهيونية حركة سياسية قومية، هذا صحيح، ولكن الجانب الروحي منها لا يمكن إغفاله وأنا واثق تمام الوثوق أننا إذا أغفلنا الجانب الروحي فإننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسي القومي.

«خطر اليهودية: لعبد الله التل». وانظر إلى الحقد الدفين الذي ملا قلوب أعداء هذا الدين تجاه الإسلام والمسلمين، فعندما تغلب الجنرال الفرنسي (غورو) على جيش «ميسلون» خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبي «عند الجامع الأموي، وركله بقدمه قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

[قادة الغرب يقولون «لجلال العالم».]

وهكذا يظهر بوضوح وجلاء وعلى السنة ساستهم وقادتهم عقيدة اليهود في فلسطين، وأن الصراع بيننا وبينهم صراع عقدي ديني في المقام الأول، فهل يعقل المغيبون عن الوعي الغارقون في التيه السائرون في موكب الهزيمة؟

الجهاد وطريق الخالص

الجهاد هو السمة المميزة لهذه الأمة في تاريخها

سباتهم فسوف يأكلون كما أكل الثور الأبيض).

أقوالهم وأفعالهم تعكس عقيلتهم

إن سياسة إسرائيل وسلوكياتها تعكس رؤية مجتمع بأكمله لا فرق فيه بين يمين ويسار وإن الخلفية الدينية لليهود لتطفح بها أقوال زعمائهم وأفعالهم.

فبعد إعلان قيام دولة إسرائيل قال بن جوريون في الأمم المتحدة معلناً عقيدته: لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل ولا معنى لقيام هذه الدولة على غير أرض الميعاد وقال: «قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني ولكنها حق لنا على أساس ديني فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل ولها واجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وإن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفًا للتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكره يومياً بالدين اليهودي».

وقال مفصحاً عن أطماع إسرائيل التوسعية: إن خارطة إسرائيل ليست بخريطة بلادنا إن لدينا خارطة أخرى وعليكم أنتم طلبة المدارس اليهودية أن تجدوها في الحياة وعلى الأمة اليهودية أن توسع رقعتها من الفرات إلى النيل.

بل إن الشعار من النيل إلى الفرات محفور على باب الكنيست الإسرائيلي إلى اليوم، وكذلك العلم اليهودي يرمز إلى هذه الخارطة من خلال خطين أزرقين يمثلان النيل والفرات بينهما نجمة داود المزعومة.

وحيثما وصل أوائل المهاجرين اليهود إلى فلسطين، قال شامي: إن هجرة كبيرة بهذه تتطلب أرض إسرائيل الكبرى، وفي سنة ١٩٥٦ عندما وصلت القوات الإسرائيلية إلى حدود سيناء كان في طليعة القوات الزاحفة سيارة تحمل كتاباً ضخماً هو التوراة ومن خلفه وقف حاخام يخطب في الجنود قائلاً: يا أبناء إسرائيل إنكم تدخلون الآن الأرض المقدسة حيث تسلم موسى الشريعة فهيا لتطهيرها من الأعداء (المصريين).

و قبل حرب ١٩٦٧م خرج أعون إسرائيل بمظاهرات تحمل لافتات في باريس سار تحت هذه اللافتات اليهودي الوجودي (جان بول سارتر) وقد كتب عليها وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين هما: «قاتلوا المسلمين».

فاللتهب الحماس الصليبي الغربي وتبرع الفرنسيون بـ ألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط.

الطويل بل هو طريقها إلى الهدایة والتمكين في الأرض وإرضاء الله تعالى بإقامة المجتمع الإسلامي الذي يحكمه العدل ويعمله الخير. قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [العنكبوت: ٦٩].

والجهاد: ذروة سنام الإسلام لأنّه عطاء أعظم ما يكون للعطاء عطاء النفس والممال معاً.

والجهاد ماض إلى يوم القيمة لأنّ العداون على هذا الدين وأهله قائم إلى يوم القيمة. قال تعالى: «وَلَا يَرَأُونَ يُعَذَّلُوكُمْ حَتَّى يُرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوكُمْ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَسِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [البقرة: ٢١٧]. والشواهد على ذلك كثيرة وكثيرة جداً، تماماً على المسلم حواسه ويقرؤها في كل ما حوله.

ولعل هذا العداون المستمر، من لوازم الرسالة الخاتمة، وقدر حملتها الذين نيط بهم القضاء على الباطل ومواجهة جولاته بكل أحقادها لذلك كان الجهاد روح هذه الأمة ودرع حياتها وكان القيام على الحق حتى يأتي أمر الله من أخص خصائصها.

وليس الجهاد أمراً طارئاً على هذه الأمة، ولا فترة عابرة من حياتها أو شعراً تمارسه في المناسبات. قال تعالى: «وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفِلُونَ عَنْ أَسْلَاحَكُمْ وَأَمْتَعْتُكُمْ فَيَمْلِئُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً» [النساء: ١٠٢]. وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَذِيرَكُمْ فَانْفُرُوا ثُباتٍ أَوْ افْرُوا جَمِيعاً» [النساء: ٧١].

وللجهاد مقدماته ومقوماته، من الإعداد المستمر والاستعداد المعنوي والمادي، والتدريب عليه بتهيئة مناخه في المؤسسات المختلفة، في الأسرة والمدرسة والتربية والتعليم والإعلام، وسائل ما يكون في هذا المجال من الأنشطة الكثيرة، لخوض التشنة جهادية، يعد الفرد فيها للمواجهة المستمرة ويقرأ تاريخه وإسلامه وسيرة سلفه الصالح بأتجاهية صحيحة سليمة تحمله إلى مستوى إسلامه وتعرفه بتحديات عصره وتبصره بمواجهاتها.

□ عمر بن الخطاب وصلاح الدين والجهاد المقدس □
تحت راية الجهاد الإسلامي فتح بيت المقدس زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب كما فتحت سائر البلاد الأخرى. وبتناقل المسلمين إلى الأرض، وعدم نفرتهم واستجابتهم لأمر الله والتزامهم بمنهجه سقط بيت المقدس في يد الصليبيين. وبإيقاد شعلة الإيمان ورفع راية الجهاد الإسلامي استردت الأمة بيت المقدس من جديد، على يد نور الدين

صلاح الدين رحمهما الله حيث عادت الأمة إلى م الواقعها الصحيحة بعد رحلة من التيه والضياع والتمرد والعبث الصليبي، وكيد الباطنية الحشاشين.

ولقد كان من أبرز أعمال صلاح الدين قبل أن يوجه ضربته القاصمة للصليبيين في معركة حطين ناجحه في ميدانين عظيمين لتعبيئة قوي الأمة الروحية والمادية: ففي مجال الإعداد الروحي: كان لكثرة ما بني من مدارس دينية وزوايا وتكايا حتى قيل: لقد بني نور الدين وصلاح الدين من المدارس والزوايا أكثر مما بني من القلاع والمحصون. وأحكم صلته بالعلماء العاملين، يسمع منهم ويهتدى بهداهم، وحول التوجيه العام في الأمة إلى هدف واحد هو إحياء روح الإيمان والجهاد والحنين إلى مسri الرسول ﷺ في القدس الشريف، حتى كانت كل المواقف والمناسبات تذكر في الأمة روح الجهاد والاستشهاد والحنين إلى المسجد الأقصى والعزم على تحريره وإنقاذه.

وكان للأدباء والشعراء والعلماء دورهم في هذه التعبيئة المعنوية للأمة، وكان يُرى دائمًا كسلفة: نور الدين، رحمهما الله، مطرقاً حزيناً يقول: كيف أسر المسجد الأقصى في أسر الأعداء. وكان يُرى وهو يحرض المسلمين على القتال ملتفاً كالثكلى التي فقدت أحد أولادها. هذا في مجال الإعداد المعنوي.

اما في مجال الإعداد المادي:
فقد نجح في توحيد جهود الأمة المادية، وقضى على الفرقة والإنقسام، وازال الخلاف بين زعماء البلاد الإسلامية، حيث وحد مصر وسوريا وأعد الأمة عسكرياً وجند قواها ليوم النصر، ووجه ضربته القوية إلى الباطنية الحشاشين الذين تعاونوا مع الصليبيين، وأرسل إلى أخيه العادل في مصر لحكم الحصار على الصليبيين من ناحية، ونزل بقواته القدس بعد انتصاره في حطين، هذا بعض طريق صلاح الدين رحمه الله إلى تحرير بيت المقدس.

□ العقيدة هي طوق النجا□

وعقيدة الإسلام التي تربت عليها الأمة هي التي حالت بين اليهود وبين شراء السلطان عبد الحميد

رحمه الله للمرور إلى فلسطين في عصر الاستعمار الأوروبي الصليبي الحديث مع احتضار الخلافة.

والذين لم يتربوا على الإسلام في عصرنا كانوا هم الجسر الحقيقي الذي مكن اليهود من العبور إلى فلسطين وهو الذين حاولوا طيلة القرن الماضي طرح القضية الفلسطينية طرحاً مغلطاً ووضعها في غير إطارها الصحيح الذي يشهد له التاريخ، ويؤديه الواقع، وتؤكده الأحداث اليومية، وهو لا يزالون يصررون على السير في هذا الطريق المسدود، رغم سقوط الطريق وسقوط أهله.

إن الذين يعملون على سلح الأمة عن إسلامها ويمارسون الاعتداء على عقيدتها وكرامتها هم طلائع جيش العدو يعيشون في أرضنا ويمهدون لهزائمنا المتلاحقة، وال الحرب التي تدور راحها على رؤوس إخواننا في غزة من أجل أنهم أحفاد المسلمين خالد بن الوليد وصلاح الدين ونور الدين وقطن، وتصب عليهم نيران الحقد الصليبي الصهيوني في محاولة لإبعادهم عن إسلامهم سلامهم الحقيقي، فain سلاح الإسلام في المعركة وأين حقوق الأخوة الإسلامية في التضامن والمساندة والنصرة والموالة، الأخوة التي لم تفرق يوماً بين أبي بكر العربي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي وصلاح الدين الكردي.

الأخوة التي حركت الجيوش بقيادة الخليفة المعتصم من أجل استغاثة امرأة نادت وهي أسيرة في سجن الروم: «وامتعصمه» كلمة سجل التاريخ دويها، وانطلق الجنود على إثرها تملؤهم الغيرة والحمية لهذا الدين، حتى أنقذوها من الأسر بعد أن دكوا حصنون الروم، ووصلوا إليها، ثم قال لها المعتصم: «أشهد لي عند جدك المصطفى أني جئت لخلاصك».

﴿أَلَا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾

لقد استمرت الأمة حية باقية مع كثرة السهام التي صوبت إليها، والازمات والمحن التي حلّت بها، وذلك لاعتصامها بربها واعتزازها بدينها.

ويزداد يقيناً بهذه الحقيقة إذا تدبرنا كتاب الله تعالى ونظرنا في بعض آياته، قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلُفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حُكْمِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُونَ بِي شَيْئاً» [النور: ٥٥]، وقال عز وجل: «إِنْ يَصْرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى

الله فَلَيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ» [البقرة: ١٦٠].

وقال سبحانه: «كُمْ مِنْ فَتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبْتُ فَتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ٢٤٩].

وعندما فهم المسلمون هذه الآيات وعملوا بها وارتتفعوا إلى مستواها؛ ليصبحوا أهلاً للنصر، أخذ الله تعالى بآيديهم إلى النصر مع قلة عددهم وعذتهم وتفوق أعدائهم عليهم جيوشاً وأسلحة، وهاكما هرقل ملك الروم يبدي دهشته ويعجب من نصر المسلمين، فيسأل من حوله هذا السؤال الباحث عن السر، قال: فانت أكثراً أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون؟ قال شيخ من عظامهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر وزنني ونترتب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهي عما يرضي الله ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتنـي. (البداية والنهاية لابن كثير) فهل من مذكر.

﴿نَهَايَةُ الْيَهُودِ﴾

إن قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين وليس قضية وطن يعيشه ولن تستطيع أي قوة مهما بلغت أن تمحوها من ذاكرة الأمة.

فمعركة الغد الفاصلة بين الإسلام واليهود هي معركة عقدية بينية في الأصل والأساس، وجند الله الموحدون وحدهم هم الذين يفهمون هذه الحقيقة ويبدعون لهذا اليوم عدته، ويعلمون علم اليقين أن الله مؤيدهم وناصرهم على عدوهم: «وَلَقَدْ سَيَّقُتْ كَلَمَاتُنَا عَبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» [الصفات: ١٧٣-١٧١].

والله عز وجل هو المسئول وحده أن يأخذ بيد هذه الأمة إلى أهلية النصر والتمكين، وأن يحقق وعده على لسان رسوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقُولُ الْيَهُودُ يَخْتَبِئُ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمٌ! يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيُّ خَلْفِي، فَتَعَالَى فَاقْتَلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدُ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». (رواه مسلم). وبذلك يتحقق النصر الموعود ويعود لأمتنا مجدها المفقود وتزول من الوجود دولة يهود «وَيَوْمَئِذٍ يَرْجُحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِئْسَرُ اللَّهِ يَئْسِرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» [الروم: ٤-٥].

والله من وراء القصد

ندعوة لاكتفاف بالموارد النبوية

اتبعها ولا تيغدرها

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها الأولى وعلى مدار تاريخها الطويل على دعوة الناس إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وتحذير الناس من الشركيات والخرافات والبدع التي شوهرت معالم الإسلام، والبدع مرض خطير يهدى كيان الأمة منذ قرون طويلة، وقد ذاقت الأمة بسببها الوبيلات والمحن، والمستقرئ لتاريخ المسلمين يجد أن أهل الأهواء والبدع كانوا - وما يزالون - من أكبر أسباب تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب، فأهل البدع من الخوارج كانوا أول من فارق جماعة المسلمين بمعتقداتهم الباطلة وأفهامهم الفاسدة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداداً للأسف إلى حمل السيف على أهل السنة من أجل ذلك كان السبيل الأمثل لجمع شمل الأمة، والعلاج الناجع لداء فرقتها هو ما وصفه النبي ﷺ حيث قال: «إِنَّمَا مَنْ يُعْلَمُ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسُنْنَةِ الْخَلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي...».

وفي هذه السطور نحن من بدعة أطلت برأسها على الأمة بعد القرون المفضلة، كانت سبباً وراء إحداث كثير من البدع العقائدية في صفوف الأمة، فنقول مستعينين بالله عز وجل:

الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت
عليهم النعمة» انتهى.

فلا يتصور أن يجيء إنسان ويختروع في
الشريعة شيئاً؛ لأن الزيادة عليها تعد استدراكاً
على الله تبارك وتعالى، وتوحي بأن الشريعة
ناقصة، وهذا يخالف ما جاء به كتاب الله تبارك
وتعالى، فلا يتصور إنسان يزيد على شرع الله
ويكون غير مذموم.

وعن طارق بن شهاب قال: «قالت اليهود
لعمري إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا
معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.
قال: وأي آية؟ قالوا: «اليوم أكملت لكم دينكم
وأنتم من عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينياً».
قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت
على رسول الله ﷺ فيه، والساعة التي نزلت
فيها، نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة، في

١٠٠ أولاً: كمال الشريعة وكفايتها

يقول الله عز وجل ممتنًا على عباده: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣]، فهذه الآية الكريمة تدل على تمام الشريعة وكمالها وكفايتها لكل ما يحتاجه العباد.

يقول ابن كثير في تفسيره: هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلىنبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرم، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه، ولا خلاف، كما قال تعالى: «وَنَعَمْتُ كَلْمَةَ رَبِّكَ صَدِقًا وَعَدْلًا» [الأنعام: ١١٥٣]، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في

واترها على فساد المعتقد

إعداد / معاوية محمد هيكل

من عند نفسه، ربما صار دواؤه داءً، وعبادته معصية، وهو لا يشعر؛ لأن الدين قد كمل تمام الكمال، فمن زاد شيئاً فيه؛ فقد ظن الدين ناقصاً، وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاذب». (فتتاح الجنة للمعصومي ص ٥٨).

وقال الشوكاني في «القول المفيد» (ص ٣٨) مناقشاً بعض المبتدعين في شيء من آرائهم: «إذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ؛ فما هذا الرأي الذي أحده أهله بعد أن أكمل الله دينه؟ إن كان من الدين في اعتقادهم فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن، وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاستغلال بما ليس من الدين؟ وهذه حجة قاهرة، ولديل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه أبداً، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصل به وجوه أهل الرأي وترغم به أنافهم وتحرض به حجتهم».

ثانياً: الغلو في النبي ﷺ وأثره في فساد المعتقد
نفي النبي ﷺ عن الغلو في شخصه ﷺ فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». أي لا تغلوا في مدحه وتعظيمي كما غلت النصارى في مدح المسيح وتعظيمه فقد كان الإطراء هو بداية الغلو في عيسى، والادعاء أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

ولذلك كانت الحيطة التي لم ينتفع بها البعض كصاحب البردة «البوصيري» حين قال: فإن من جودك الدنيا وضررتها

ومن علومك علم اللوح والقلم
فجعل الدنيا والأخرة من عطاء النبي وإفضاله، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، ومن عجيب الأمر أن الشيطان زين لهم أعمالهم وأظهر لهم ما يصنعون في صورة

يوم الجمعة». رواه البخاري.

وأخرج الطبراني في «معجمه الكبير» (١٦٤٧) عن أبي ذر الغفاراني رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحه في الهواء؛ إلا وهو يذكر لنا منه علمًا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار؛ إلا وقد بُين لكم».

فهذا الحديث النبوى الشريف فيه التصرير الجلى الواضح بأن كل ما يقرب إلى الجنة ويباعد من النار قد بيّنه لنا رسول الله ﷺ. فإي إحداث أو ابتداع أو تقليد لأحد إنما هو استدراك على الشريعة، وجراة شنيعة ينادي بها أصحابها أن الشريعة لم تكتمل، فاحتاجت إلى إحداثه وابتداعه.

وهذا ما فهمه تماماً أصحاب النبي ﷺ؛ كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتكم، وكل بدعة ضلالة».

«إذا كان ذلك كذلك؛ فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاليه: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكتها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع، ولا استدرك عليها، وسائل هذا ضال عن الصراط المستقيم».

قال ابن الماجشون: سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»، مما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً». (الاعتصام للساطبي).

«طرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص؛ فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، بتركيبه الأدوية

التي استغلها الصوفية أسوأ استغلال في إظهار كثير من البدع مثل الحضرات والموالد والتسلسل البدعي والشركي وصيغ الصلوات المبتدةة حتى أفسدوا على الناس عقائدهم ولبسوا عليهم دينهم.

ثالثاً: الاحتفال بالولد النبوبي... النشأة والأسباب من الأعياد التي أحدثت في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة عبد المولود النبوبي؛ أحدها الشيعة الفاطميان العبيديون، ولا يزال المبتدةة - خاصة الصوفية منهم - يحتفلون به، وبعضهم يغالي في الاحتفال به، حتى جعله أفضل من العيددين الشرعيين العظيمين «الفطر، والأضحى».

ومن العجيب أن بعض الأقليات المسلمة في بعض الدول يبالغون في الاحتفال بعيد المولد ويجعلونه أفحى وأعياد المسلمين، كما يفعل مسلمو اليابان؛ حيث يقيمون احتفالاته وبماهجه في أفحى فنادق طوكيو.

وكان إحداث هذا العيد - الذي أصبح فتنة للمسلمين فيما بعد - في المائة الرابعة - أي بعد القرون الثلاثة المفضلة - على يد الحاكم العبيدي الملقب بـ «المعز الدين الله» الذي حكم مصر، وبنى القاهرة المعزية له، وسبب إحداثه لهذا العيد أنه لما انتزع مصر من الخلافة العباسية إبان ضعفها فكر في وسيلة يستميل بها القلوب، ويمتلك النفوس، ويستثير العواطف حتى يالـف أهل مصر هذه الحكومة الجديدة، ويرضوا عن سياستها في إدارة البلاد، ولما كان أقرب الأسباب للوصول إلى رضا العامة واستسلامة قلوبهم عمل شيء يدل على الولاء للنبي ﷺ وأل بيته، فإن هذا الحاكم استغل هذا الأمر، فأحدث جملة من الأعياد كان أولها المولد النبوبي، ثم توسع هو ومن بعده في الموالد حتى كان منها: مولد علي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة، رضي الله عنهم وأرضاهم؛ إضافة إلى مولد خليفتهم الحاضر، وقد جعل هذا العبيدي مراسيم وشعائر للاحتفال بالمولود النبوبي من توزيع للأموال، والهدايا والصدقات، وإقامة الزيارات، والمأدب والولائم، وتلاوة القرآن في المساجد الجامعية.

محبة النبي ﷺ وتعظيمه.

ثم قال مبالغًا في غلوه:

يا أكرم الرسل ما لي من الود به سواك عند حلول الحادث العمم

فتأمل ما في هذا البيت من الشرك:

١- أنه نفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث إلا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا هو، قال الشاعر:

لذ بالله ولا تلذ بسواء

من لذ بالله الجليل كفاه
٢- أنه دعا النبي وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأله هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.
ثم انظر وتدبر وتحسر على أحوال المسلمين وكيف انصرفوا عن رب العالمين وراحوا يتوكّلون بالنبي ﷺ توسلًا شركيًّا ويطلبون منه بعد موته كشف الضر عنهم، ويبثون إليه شكوكهم، وينشدون في ذلك الأشعار كحال هذا الذي يخاطب الرسول ﷺ قائلاً:

يا صاحب القبر المنير بيترب

يا منتهي أملِي وغاية مطْلُبِي

يا من به في النائبات توسلِي

وإليه في كل الحوادث مهربِي

يا من يوجد على الوجود بائعِ

حضر تعم عموم صوب الصيَّب

يا غوث من في الخافقين وغيثِهم

وربيعهم في كل عام مجدِ

يا من نناديه فيسمعنَا على

بعد المسافة سمع أقرب أقرب

ويقول أيضًا:

مولاي مولاي فرج كل معضلة

عني فقد أثقلت ظهري الخططيات

واعطف علىِ وخذ يا سيدِي بيدِي

إذا دهنتني الملمات المهمات

(شرح ديوان البرعي في المذائ الربانية والنبوية للشاعر عبد الرحمن البرعي ص. ٨٨).

وهكذا كان الغلو سبباً في نشر العقائد

الهداة في صفوف الأمة بدعوى محبة النبي

حرك به عواطف العوام والراغب بادعاء محبة النبي ﷺ.

د- أن هذه البدعة تسريرت إلى الملك المظفر صاحب (إربيل) في القرن السادس الهجري عن طريق أحد كتاب الصوفية، والذي يظهر أنه أخذها عن العبيديين. [الأعياد وموبق المسلم منها: إبراهيم الحقيل].

٤٠ رابعاً: احتفالات وصلالات معاصرة

ولقد كان لاحتفالات الروافض العبيديين وانحرافاتهم العقدية امتداد بلغ إلى عصمنا الحاضر، قال الأستاذ البنا - عفا الله عنه -: «وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام». (مذكرات الدعوة والداعية: ص ٢٥-٢٦).

وقد وصف أخوه الأستاذ عبد الرحمن البنا - عفا الله عنه - هذه الموكب وذكر بعض القصائد، فقال: «فصار في الموكب - أي الأستاذ البنا - ينشد مدح الرسول ﷺ، وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كلنا نسير في موكب مسائي في كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر، ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صلى الإله على النور الذي ظهرا
للعلاني ففاق الشمس والقمر
كان هذا البيت الكريم تردد المجموعة، بينما
ينشد أخي وأنشد معه:
هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا

وسامح الكل فيما قد مضى وجرى
لقد أدار على العشاق خمرته
صرفاً يكاد سنها يذهب البصرا
يا سعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد
بللت اسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركب الحمى مالت معاطفه
لا شك أن حبيب القوم قد حضرا

(حسن البنا باقام تلامذته ومعاصريه (ص ٧١، ٧٢).
وتأمل هذا التشيد تجده مفعماً برائحة عقائد الصوفية الخربة.
أ- قوله: «هذا الحبيب مع الأحباب قد حضر» إشارة إلى ما ادعاه المتتصوفة من أن

وأنواع الذكر والتسابيح والصلوة على النبي ﷺ وتسويير الموابك العظيمة والجند الكثيرة بأعلامهم وأبواقهم وطبلوهم، وعمل فيه ما لا يعمل في العيدين الشرعيين، فاستولى هذا الضجيج وتلك الشعائر على قلوب العامة ففتنتهم، ووافقت هذه المراسيم والشعائر حاجة في الناس ومجاعة فاستفادوا مما يوزع وما يقام من مأدبات في تلك الموالد والاحتفالات، فوافقوا على هذه البدعة التي دخلت على المسلمين.

واستمرت هذه البدعة لا تُعرف إلا في العبيديين، حتى انتقلت إلى الدولة الأيوبية في القرن السادس الهجري؛ حيث كان يحتفل به الملك مظفر الدين صاحب (إربيل)، ويبالغ في ذلك مبالغة عظيمة، كما ذكر عدد من المؤرخين كسيط ابن الجوزي، وابن خلkan، الذي ذكر وصفاً لاحتفالاته، ثم قال: فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، ثم ذكر أن أهل البلاد كانوا سمعوا بحسن اعتقاده فيه - أي في المولد - فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربيل مثل: بغداد والموصل والجزيرة وسنجر ونصيبين وببلاد العجم وتلك النواحي.. خلقُ كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ثم ذكر أعمالاً وشعائر كثيرة تقام في ذلك الاحتفال العظيم. [أنظر الإبداع في مضار الابتداع، تاريخ الاحتفال بالمولود النبوى: لحسن السندي][٣]

٤١ فمماسب يتحقق مالي

أ- أن بيعة المولد النبوى حدثت بعد القرون الثلاثة المفضلة.

ب- أن أول من أحدثها الحاكم العبيدي الملقب بالمعز لدين الله في القرن الرابع الهجري، ومعلوم ما يكنه العبيديون لأهل الإسلام من كراهية وحقد، وما يبطنونه من عقائد فاسدة يسترونها بإظهار محبة آل البيت والولاء لهم.

ج- أن دوافع إحداث هذه البدعة سياسية؛ إذ أراد بها المعز العبيدي أن يكسب ود أهل مصر، وأن يضع لحكومته الباطنية وتصرفاتها الشاذة قبولاً عند المسلمين بهذا الاحتفال الذي

إنهم في بعض البلدان يتهمون من لم يحضر المولد بالجفاء والمرارة من الدين أحياً.

٤- عدم فعل السلف له، مع أنهما أعرف الناس بحقوقه ﷺ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له، وإنما وهم على الخير أحقرص، وإنما كانت محبتهم وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوه بإحسان. قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبِّبُونَ اللَّهَ فَاتَّسِعُوْنِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»

[آل عمران].

٥- ولم ينقل الاحتفال بهذه البدعة عن أحد علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطلانون، وبشهادة نفس اغتنى بها الأكالون.

٦- إن عمل المولد يتضمن أموراً منهاً عنها شرعاً كإنشاء القصائد الشركية والغلو فيه ﷺ وتشويه صورة الدين بأعمال الخرافيين والمشعوذين والدجالين على ما يجري عمله في أكثر البلاد.

٧- إن الاحتفال بالمولد فيه مشابهة للنصارى في احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام لأن دينهم المحرف قام على الغلو في الأشخاص، وديننا ينهانا عن الغلو ويحذرنا التشبه بهم.

وقد استغلت الصوفية وسائل الدعاية للتبرويح لهذه البدعة بدعوى أنها من مظاهر حبة النبي ﷺ، فالفوا فيها الرسائل والكتب، ونعتوا كل ناقد ومحذر من هذه البدعة بعدم الحب والولاء للنبي ﷺ، وما كتبنا هذا إلا حباً لنبينا ﷺ واتباعاً لسننته واقتفاءً لأثره ﷺ وتحذيرًا للأمة من البدع وخطرها على سلامتنا المعتقد، سائلين المولى عز وجل أن يحيينا على سننته، وأن يميتنا على ملته ويحشرنا في زمرة، أمين.

والحمد لله رب العالمين.

رسول الله ﷺ يحضر الحضرة إما بروحه وإما يقطة بجسده وروحه.

وانظر إليه يؤكّد ذلك بقوله: «لا شك أن حبيب القوم قد حضرا».

ونحن نسأل هل هذا الكلام عليه دليل أو قال به أحد من السلف؟!

ب- وقوله: «وسامح الكل فيما قد مضى وجرى» إشارة إلى دعواهم أن النبي ﷺ غفر لهم ذنبوهم، وكفر عنهم سيئاتهم، وسامحهم في معاصيهم!! وهل يملك ذلك أحد إلا الله تعالى؟! قال تعالى: «وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ»

[آل عمران: ١٣٥٣].

ج- وقوله: «لقد أدار على العشاقي خمرته...» إشارة لحالهم عند التواجد والغناء وهم يربّبون الأرض بأقدامهم كالسكارى.

وقال الأستاذ محمود عبد الحليم: وكنا نذهب جمِيعاً كل ليلة إلى مسجد السيدة زينب فنؤدي صلاة العشاء، ثم نخرج من المسجد ونصلط صفوفاً، يتقدمنا الأستاذ المرشد ينشد نشيضاً من أناشيد المولد النبوى، ونحن نردده من بعده في صوتٍ جهوري يلفت النظر.

(الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١٠٩ / ١) وهكذا يُضلّ الناس من بن يظن فيهم أنهما للإسلام دعاة، وللدين حماة، فإنما لله وإنما إليه راجعون.

٥- خامساً: بداعية الاحتفال بمولده ﷺ وخلاصة القول: أن الاحتفال بذكر المولد النبوى بدعوة منكرة يجب على المسلمين منعها وذلك لما يلي:

١- الاحتفال بالمولد مخالف لأمر النبي ﷺ الذي دعانا إلى التمسك بسننته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ونهانا عن الإحداث في الدين ما ليس منه.

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه.

٢- اتخاذه عيداً شرعياً، والأعياد الشرعية يومان: الفطر، والأضحى، كما جاء بذلك النص، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا يَوْمَيِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى».

٣- جعله عبادة شرعية وقربة إلى الله، حتى

تَبْصِيرُ الْجَمَّةِ

اتبعوا و لا تبتعدوا

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله ، وبعد:

فِجَمَاعَةِ أَنْصَارِ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنْذَ أَنْ تَأَسَّسَتْ عَلَى يَدِ رَعِيلَاهَا الْأَوَّلِ، وَعَلَى امْتِدَادِ تَارِيْخِهَا الدُّعَوِيِّ الْمُبَارَكِ وَهِيَ تَعْتَقِدُ مَعْتَقِدَ الْفَرَقَةِ النَّاجِيَّةِ الطَّائِفَةِ الْمُنْصُورَةِ أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي التَّوْحِيدِ وَأَصْوَلِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ اسْتَقِيْنَا أَصْوَلَ هَذَا الْمَعْتَقِدِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ وَأَقْوَالِ عَلَمَاءِ سَلْفِ الْأَمَّةِ، فَهَذَا دِيْنُنَا، وَهَذِهِ عَقِيْدَتُنَا الَّتِي نَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا. نَخْسِعُهَا بَيْنِ يَدِيِّ الْقَارِئِ الْكَرِيمِ حَتَّى يَعْلَمَ الْجَمِيعُ عَقِيْدَتُنَا، فَنَقُولُ مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

إعداد / معاوية محمد هيكل

بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الأنعام: ١٧).
جـ- الاعتقاد بأن أرواح الأولياء والصالحين لها تصرف بعد موتهم حتى أصبحت المشاهد والقبور والأضرحة ملاذ كل خائف وملجأ كل محتاج.
دـ- الرهبة من الجن والخوف منهم، والاستغاثة بهم وتقديم القرابين لهم اعتقاداً أن لهم تصرفات خارجة عن إرادة الله وتدبيره وذلك شرك في الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات:

قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» (الأعراف: ١٨٠)، فالإيمان بأسماء الله وصفاته، ودعاؤه بها والتعبد له بمقتضاهما أشرف العلوم لأن شرف العلم يتشرف بالعلوم، وطريق التقلي في ذلك هو القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ؛ من غير تعظيل ولا تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدرًا في معرفة ذلك، ولا يجوز تشبيه الله بخلقه ولا تعطيل صفة من صفاته سبحانه، قال تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ» سبحانه، قال سبحانه: «لَيْسَ كَمَثْلُه شَيْءٌ وَهُوَ الْإِلَٰهُ أَحَدٌ»، وقال سبحانه: «لَيْسَ كَمَثْلُه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشوري: ١١)، والكاف عن التأويل في هذا الباب هو إجماع علماء السلف، وإن جماعهم حجة على من بعدهم لا تجوز مخالفته، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكى، والتأويل كقول البعض (استثنى):

٣- أولاً: الإيمان بالله

التوحيد هو أول الدين وأخره وظاهره وباطنه وهو دعوة جميع الرسل، وأول واجب على المكلف، وحق الله على عباده، وأول مسألة في الدعوة إلى الله عز وجل، فمن أجل التوحيد خلق الله الخالق، وعليه يكون مصيرهم في الآخرة، والشرك أكبر الكبائر، وأول ما ينبه عنه كما نصت على ذلك نصوص الشريعة، وأصل التوحيد إفراد الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وإفراده بصفات الربوبية وما يستلزم ذلك من إفراد الله تعالى بكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، وهذا مقتضى كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا الله».

٤- أقسام التوحيد

١- توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو رب الخالق الرازق، الذي يدير الأمر ويعطي ويسحب، ويختبر ويرفع، ويحيي ويميت، لا شريك له في ذلك، وهو المالك لكل ذرة في هذا الكون بلا ند ولا معن، ولا شقيق بغير إله، وهو وحده السيد الأمر الذي لا يشرع للبشر غيره، قد دل على ذلك الشرع والنفق.

٢- ومن مظاهر الشرك في الربوبية:

أـ- اعتقاد حلول الرب في بعض خلقه أو اتحاده بهم.

بـ- الاعتقاد بأن في الكون أقطاباً وأبداً لا من الصالحين أو غيرهم لهم قدر من التصرف في حياة الناس من فزع وضر وإعطاء ومنع قال تعالى: «وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ

الحلقة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذين رعمنتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عَنْكُمْ
وَلَا تحوِيلًا (الإسراء: ٥٦).

٢- الاستعاذه بغير الله، كالاستعاذه بالجبن
وغيرهم، قال تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالًا مِنَ الْإِنْسَانِ
يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْقًا (الجن: ٦).

٣- الذبح لغير الله، قال تعالى: فَصَلِّ لِرَبِّكَ
وَأَخْرُ (الكوثر: ٢). وقال رسول الله ﷺ «لعن الله من
ذبح لغير الله» (رواه مسلم).

٤- التبرك بالأحجار والأشجار اعتقاداً أنها تتنفع
وتضر؛ لحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال:
خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء
عهد بکفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها
ويبيطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررتنا
بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، أجعل لنا ذات أنواط.
كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر
إنها السنن، قلت ولذي نفس بيده كما قالت بنو
إسرائيل موسى: «أجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال
إنكم قوم تجهلون لتركين سنن من كان قبلكم» (رواه
الترمذى وصححه)، وكذلك لبس الحلقة والخيط
وتعليق التمام لدفع البلاء أو رفعه. قال رسول الله
ﷺ: «إن الرقى والتمام والتولة شرك» (صحيح الجامع
١٦٢٣).

٥- الاستسقاء بالأنواء: للحديث القدسى: «من
قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن
بالكوكب». فالاعتقاد بأن النجوم تنزل المطر وكذلك
طلب ذلك منها شرك أكبر، أما ذكر ذلك باللسان مع
سلامة المعتقد بأن الله تعالى هو المصرف للأمور
لكن الأنواء علامة على مجيء المطر، فالراجح
تحريمه.

٦- إثبات العرافين والكهان وتصديقهم فيما
يدعون من علم الغيب، والاعتقاد أنهم يعلمون مفاتيح
الغيب الخمسة هو شرك أكبر، قال تعالى: «وَعِنْهُ
مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» (الانعام: ٥٩)، فلا يحل
تعلم الكهانة، ولا سؤال الكهان، كما لا يجوز قراءة
الفجحان والكاف، أو ضرب الرمل والودع؛ لقوله ﷺ:
«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر
بما أنزل على محمد» (رواه أحمد والحاكم وصححة
الألباني في الإرواء).

معنى استولى، واليد: بمعنى القدرة، والنزول:
بمعنى نزول الأمر) بدعة وليس من عقيدة أهل
السنة والجماعة، والكلام في الصفات فرع عن الكلام
في الذات، فكما أن إثبات ذات الرب إثبات وجود لا
إثبات تكييف، وكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا
إثبات تكييف؛ إذ ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه
ذوات المخلوقين، وكذلك صفاته سبحانه وتعالى لا
تشابه صفات المخلوقين، والسلف يثبتون الصفة
دالة على معناها مع تفويض الكيفية إلى الله تبارك
وتعالى، كقول مالك رحمة الله: الاستواء معلوم،
والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه
بدعة. فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض
معنى، ومن نسب إليهم تفويض المعنى، وأن آيات
الصفات من المتشابه بمعنى أنه لا يعلم معناها
بالكلية، وأن ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل
والجهل بعقيدة السلف.

٣- توحيد الألوهية:
الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو إله الحق
المستحق للعبادة دونما سواه، وتحقيق هذا التوحيد
يقتضي صرف جميع أنواع العبادات الظاهرة
والباطنة لله وحده، وطريقة القرآن الكريم هي إلزام
المشركين بتوحيد الألوهية بكونهم يقررون بإفاد الله
بالريوبية، فمشركون العرب وأهل الكتاب وغيرهم
كانوا يقررون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي
المميت، ومع ذلك صرفوا العبادة لغير الله، قال
تعالى: «أَمْنَ يَبْدَا الْخَلْقُ ثُمَّ يُعْيَدُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ مَعَ اللَّهِ» (آل عمران: ٦٤)، «وَلَا إِلَهَ إِلَّا
الله» هي كلام التوحيد ومعناها لا معبد بحق إلا
الله، قال تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللهِ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعَرْوَةِ الْوُتْقَى لَا إِنْفَصَامَ لَهَا» (آل عمران: ٢٥٦)
والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل
ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، قال
تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِللهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ» (آل عمران: ١٦٣).

ومن مظاهر الشرك في الألوهية:
١- دعاء غير الله والاستغاثة به (فيما لا يقدر
عليه إلا الله) وطلب المدد منه، قال تعالى: «قُلْ ادْعُوا

- ٧ - السحر، قال تعالى: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسُ السَّحْرُ» (البقرة: ١٠٢).
- ٨ - والسحر له حقيقة وتعلمه حرام وفي تحفيز الساحر تفصيل عند أهل العلم
- ٩ - الغلو في الصالحين وبناء المشاهد والمساجد على قبورهم وإقامة الموالد حولها وشد الرحال إليها مما حذر منه النبي ﷺ أشد التحذير، فقال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا. متفق عليه. وقال ﷺ: «لا تتخذوا قبرى عيداً» (رواوه أبو داود وصححه الألباني).
- ١٠ - وقد صرف القبوريون العبادات كالذبح والذمر وغير ذلك لغير الله بزعم محبة الأولياء والصالحين، وهذا من أعظم أسباب الblade، لذلك كان من أهم الواجبات على الدعاة إلى الله محاربة هذه البدع.
- ١١ - التوسل في الدعاء، يعني دعاء الأموات والغائبين، بدعة بالاتفاق، وكذلك التوسل بمعنى السؤال بالحق والجاه والذات، فالصحيح منعه إذ لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم بل تركوا ذلك مع وجود المقتضى وانتفاء المواتع، فإن اعتقاد المتتوسل أن معنى الدعاء تصريف الكون والنفع والضر فيكون بذلك شركاً، كذلك دعاء غير الله وطلب المدد منه على جهة الشفاعة، فهذا شرك أكبر، والمشروع في التوسل إلى الله تعالى أن يكون بأسمائه وصفاته وبالعمل الصالح وبدعاء الصالحين الأحياء، كان تطلب من تنويم فيه الصلاح أن يدعو لك.
- ١٢ - الشفاعة الشركية من جنس ما يعتقده المشركون في الأصنام أنها تشفع عند الله بغير إذنه كما يشفع الوزراء عند الملوك، أما الشفاعة الشرعية يوم القيمة فهي من أذن الله له من النبئين والملائكة والصالحين، وتكون شفاعتهم لأهل التوحيد خاصة. وهكذا فالشرك ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر. فالشرك الأكبر: صرف أي عبادة من العبادات غير الله تعالى.
- ١٣ - والشرك الأصغر: كل ذريعة أو سبب يؤدي إلى الشرك الأكبر كالرياء أو الحلف بغير الله وما يجري على الألسنة قولهما ما شاء الله وشئت، توكلت على الله وعليك، وكذلك التطهير، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا وحكم الشرك الأصغر حكم الكبائر، فصاحبه لا يخلد في النار.
- ١٤ - ثانياً: الإيمان بالملائكة
- ١٥ - نؤمن بأنهم عباد مكرمون خاضعون لربهم مشفقون بررة مقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.
- ١٦ - القرآن مهممن على ما قبله من الكتب، أي شاهد مصدق لما فيها من الحق، مبين لما زاده أهل الملل السابقة عليها، مما ليس منها، ولما نقصوه، إبراهيم وموسى.
- ١٧ - القرآن مهممن على ما قبله من الكتب، أي شاهد مصدق لما فيها من الحق، مبين لما زاده أهل الملل السابقة عليها، مما ليس منها، ولما نقصوه، إبراهيم وموسى.
- ١٨ - خلقهم الله عز وجل من نور ليسوا بنات الله، ولا أولاداً، ولا شركاء معه ولا أنداداً.
- ١٩ - من صفاتهم الخلقية أن لهم أحجحة يتفاوتون في عددها، قال تعالى: «أُولَئِكَ أَجْنَحُهُ مُنْتَهٍ وَثَلَاثَ وَرِبَاعٍ» (فاطر: ١)، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يفترون عن طاعة الله عز وجل، مطهرون من الشهوات، مذهبون عن الآثام والخطايا، يتذمرون مما يتاذى منه بنو آدم، ولديهم مقدرة على التشكيل، ولديهم سرعات كبيرة، وقدرات عظيمة.
- ٢٠ - منهم جبريل الموكل بالوحى، وميكائيل الموكل بالقطر، وإسرافيل الموكل بالصور، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، وله أعون، ومنهم الموكل بكتابة الأعمال، ومنهم الموكل بحفظ العبد في كل حالاته ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة جهنم، ومنهم حملة العرش، وغيرهم من لا يحصيهم إلا الله.
- ٢١ - ويجب على المؤمن أن يحب جميع ملائكة الله، ومن عادى أحداً منهم فهو كافر «مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُلِهِ وَجَرِيلِ وَمِكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٩٨)، وعليه أن يتشبه بالملائكة في المداومة على الطاعة وتسوية الصفو في الصلاة ويبتعد عن إيذائهم بالمعاصي والذنوب.
- ٢٢ - ثالثاً: الإيمان بالكتب
- ٢٣ - نؤمن بالكتب كلها وأنها منزلة من عند الله، وأنها كلام الله لا كلام غيره تكلم الله بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد.
- ٢٤ - الاعتقاد بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم التي نزلت فيهم هذه الكتب الانقياد لها والحكم بما فيها.
- ٢٥ - الاعتقاد بأن جميع الكتب المنزلة يصدق بعضها بعضاً.
- ٢٦ - الإيمان بأن نسخ الكتب الأولى ببعضها البعض حق كما نسخت شريعة التوراة بالإنجيل، كما قال تعالى في حق عيسى «وَلَا لَهُ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حَرَمَ عَلَيْكُمْ» (آل عمران: ٥٠). وكما نسخت شريعة الإسلام ما قبلها من الشرائع.
- ٢٧ - الاعتقاد كذلك أن نسخ القرآن بعضه ببعض حق قال تعالى: «مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَخَهَا بَخِيرٌ مِنْهَا أَوْ مُثْلَهَا» (البقرة: ١٠٦).
- ٢٨ - يجب الإيمان بما سمي الله في كتابه منها: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسي.
- ٢٩ - القرآن مهممن على ما قبله من الكتب، أي شاهد مصدق لما فيها من الحق، مبين لما زاده أهل الملل السابقة عليها، مما ليس منها، ولما نقصوه، إبراهيم وموسى.

وبدلوه، وحرفوه.

٨- ما بأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب، هي مما وقع فيه التحرير بنص القرآن إما تحريف كتاب «فُوْلَ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ تُّمَّ بِقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» (البقرة: ٧٩). أو تحريف لسان قال تعالى: «وَإِنْ مِنْهُمْ لَغَرِيقًا يَلْوَنُ السِّنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ» (آل عمران: ٧٨) أو تحرير معاني: «يُحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ». (المائدة: ١٣).

٩- والقرآن كلام الله حقيقة، حروفه ومعانيه، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، ولا يسع أحداً الخروج عن شريعته إلى يوم الدين.

١٠ رابعاً: الإيمان بالرسل

الرسول من أوحى الله إليه وأمره بتبليل رسالته، والنبي من أوحى الله إليه، ولم يؤمن بتبليل رسالته، والرسل جميعهم دينهم واحد، وهو الإسلام «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (آل عمران: ١٩).

وعدوتهم واحدة هي التوحيد، وكلهم صادقون مصدقون، بارون راشدون، هداة مهتدون أتقياء أمناء كرام بربة، بلغوا كل ما أمروا به، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، وكفر بالله الذي أرسلهم، وأفضلهم أولوا العزم: محمد، وإبراهيم، وموسي، وعيسى، ونوح صلي الله عليهم وسلم أجمعين، وخاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ والتفضيل بينهم لله لا للناس، ولا يكون بانتقاد المفسول، ومعنى عدم التفريق بين أحد منهم أي في الإيمان بهم جميماً، وإن كان بعضهم أفضل من بعض.

والرسل رجال، وبشر من البشر، يأكلون الطعام، ويشرون في الأسواق، وجعل الله من شاء منهم أزواجاً وزرية، فلا يعبدون ولا يغالي فيهم، وقد خصهم الله بالأخلاق العظيمة: من الصدق، والأمانة، والطهر والنزاهة، وعصمتهم من المعاصي، وأجمع أهل السنة على عصمتهم من الكبائر، وال الصحيح أن لهم العصمة من الصغائر أيضاً، لا من النسيان، والسلهو، وسائر العوارض البشرية، لهذا فهم قدوة للعباد «أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَاهُمْ أَفْنَدَهُمْ» (الأنعام: ٩٠).

ويجب الإيمان بالأنبياء الذين ذكرهم الله عزوجل في القرآن، والإيمان بأن هناك رسلاً آخرين لم يقصهم الله علي نبيه في القرآن.

وابتعاد محمد ﷺ فرض على كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيمة، إذا بلغته رسالته، لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا أن يؤمن به ويتبنته.

قال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» (الأعراف: ١٥٨).

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار». (رواوه مسلم).

وكل من ادعى النبوة بعد النبي محمد ﷺ فهو كافر لا يجوز تصديقه، قال تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدًا مِنْ رِجَالَكُمْ وَلَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ» (الأحزاب: ٤٠)، وقال النبي ﷺ: «لَا نَبِيَ بَعْدِي». فطوائف البابية والبهائية والقاديانية وما شابها كلها خارجة من ملة الإسلام تجري عليها أحكام المرتدين، وال المسلمين هم أتباع كل الأنبياء إذ دين الأنبياء واحد - هو الإسلام - وإنما تعددت الشرائع، وشريعة الإسلام مهيمنة على سائر الشرائع.

وكلنبي أفضل من جميع الأولياء بالإجماع، والصحابة هم سادات الأولياء بعد الأنبياء وكل مؤمن تقى ولي من أولياء الله، وبحسب إيمانه ونقواته تكون ولايته له تعالى.

والنبوة لا تناول بالكتاب والاجتهاد، بل هي فضل ومنة من الله: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (الأنعام: ١٢٤)، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقه حتى يعرض عمله على القرآن والسنة، فهذا هو الفارق بين الكرامة الرحمانية والخارقة الشيطانية، والاستقامة هي أعظم كرامة.

١١ خاتماً: الإيمان باليوم الآخر

ويشمل الإيمان بالموت وسؤال القبر وفتنته وعداته ونعيمه، وعلامات الساعة، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

١- الموت حق على جميع المخلوقات: «كُلُّ شَيْءٍ هَالَّكُ إِلَّا وَجْهُهُ» (القصص: ٨٨)، والمقصود الأعظم هو الاستعداد له قبل نزوله بالإيمان والعمل الصالح.

٢- يجب الإيمان بسؤال الملكين لكل ميت عن ربه، ودينه، ونبيه، وأن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وذلك يحصل لروحه وبدنه، ومن كذب بهذا فهو ضال مبتدع.

٣- ويجب الإيمان باشتراط الساعة الصغرى والكبرى.

فمن الصغرى: رفع العلم، وظهور الجهل، وضياع الأمانة، وكثرة النساء، وكثرة القتل، وغيرها مما ثبت في النصوص.

ومن الكبri: ظهور المهدي، وظهور المسيح الدجال، وننزل عيسى ابن مريم يحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، (أى لا يقبلها) ويقتل الدجال، وخروج ياجوج وماجوج، والخسف، والدخان، والدابة، وطلع الشمس من مغربها، وأخر ذلك نار تخرج من

وسعادتهم وأرزاقهم وأجالهم وأعمالهم وهم في
بطون أمهاتهم.

د- **والتقدير [الحولي]** في ليلة القدر:
يقدر كل ما يكون في السنة إلى مثلها، قال
تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» (٢٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أُمَّرَ حَكِيمٌ (٤) أَمْرًا مِنْ عَنْدِنَا إِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ» (الدخان: ٥٣).

ه- **والتقدير [اليومي]** قال تعالى: «يَسَّأَلُهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ» (الرحمن: ٢٩).
وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في
مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ
ما شاء، وإذا خلق الجنين قبل نفح الروح فيه بعث
إليه ملائكة فيؤمر بأربع كلمات؛ فيقال له اكتب رزقه
وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ونحو ذلك فهذا
التقدير كما يقول ابن تيمية كان ينكره غلاة القدرة
قديماً ومنكروه اليوم قليل.

٣- **الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة:**

ونذلك أن نؤمن بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وأن ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن، وأن ما في السموات وما في الأرض من حركة أو سكون هو بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريده، وأنه سبحانه على كل شيء قادر. فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسle ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعيادة الكفر، ولا يحب الفساد.

٤- **الإيمان بأن الله عز وجل خالق أفعال العباد**
وقدراتهم وإرادتهم:
فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم،
والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلح
والصادئ وللunday قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة،
والله خالقهم وإرادتهم.

كما قال تعالى: «لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» (٢٨)
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»
(التكوير: ٢٩، ٢٨)، وهذه الدرجة - كما يقول ابن تيمية رحمه الله - يكتسب بها عامة القدرة الذين سماهم النبي ﷺ «مجوس هذه الأمة»، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات الذين سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها. وللحديث بقية إن شاء الله.

والله من وراء القصد.

اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.
٤- ولا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله، فلا يطلع
عليها ملك مقرب ولانبي مرسلاً.

ويجب الإيمان بالنفح في الصور، وقيام الأجساد بعد عودة الأرواح إليها والحساب والميزان والصراط، وكتب الأعمال التي تؤخذ باليمين أو بالشمال، والشفاعة، والحوض، مما استفاضت به الأحاديث.

٥- **الإيمان بالجنة والنار،** وهو موجودتان الآن،
لا تفنيان أبداً ولا يفني من فيهما، ونعم الجنة،
حسبي ومعنى، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى
وجه الله تعالى بأبصارهم، والنار كذلك عذابها
حسبي ومعنى، ولا يبقى فيها أحدٌ من أهل التوحيد
من قال: لا إله إلا الله، بل لابد أن يخرجوا منها
بشفاعة الشافعين وبرحمه رب العالمين.

٦- **الإيمان بالقدر**

ونؤمن بالقدر خيره وشره، فمن كذب بالقدر فقد
نقض تكذيبه توحيده، كما قال ابن عباس رضي الله
عنهم: والقدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على
ذلك ملك مقرب ولانبي مرسلاً، والتسليم بالقدر إنما
يكون في المصائب لا في المعايب، إذ لابد من الانتهاء
عنها شرعاً، كما لابد من بذلك الوسع في تعاطي ما
أمر الله به من الأسباب، ومراتب القضاء ومشيئته
وخلقه لها.

٧- **الإيمان بعلم الله السابق:**

وذلك أن نؤمن بأن الله تعالى عليم بالخلق وبما
هم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أولاً
وابداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي
والآرzaق والأجال.

٨- **ثم الإيمان بكتابة الله سبحانه وتعالى**

المقادير ويدخل فيه خمسة تقادير:
١- **التقدير [الأذلي]** كتابة المقادير قبل خلق
السموات والأرض قال تعالى «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَا
فِي إِمَامٍ مَبِينٍ» (يس: ١٢).

٢- **وتقدير [شقاوة العباد وسعادتهم]** وأخذ
الميقات:

قال تعالى: «وَإِذَا أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنْيِ آدَمَ مِنْ
ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمُ الْأَسْتَرُ بِرِبِّكَمْ
قَالُوا يَلَى شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَذَا غَافِلِينَ» (١٧٢) أو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكْتُ أَبْنَاؤَنَا مِنْ
قَبْلِ وَكُنَّا رَدِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهُلْكَنَا مَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ
وَكَذَلِكَ تُفْصَلُ الْآيَاتُ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»
(الأعراف: ١٧٣). (١٧٤).

٣- **والتقدير [العمري]** وهو تقدير شقاوة العباد



تَبْهِيرُ الْأُمَّةِ بِعَقِيدَةِ أَنْطَارِ السَّنَةِ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

ففي حديثنا عن أصول المعتقد عند أنصار السنة المحمدية، تناولنا في العدد الماضي أصول الإيمان
الست من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنعرض لجملة من أصول معتقدنا في الصحابة، والخلافة،
والإمامية، وولاة الأمان، وكذلك مسائل الإيمان والكفر، والولاء والبراء، إلى غير ذلك من مسائل هذا
المعتقد المبارك، الذي تميز به أهل السنة عن غيرهم عبر العصور، فنقول بحول العزيز الغفور:
أهل السنة والجماعة هم سلف هذه الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان من اجتمعوا على
الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسموا أهل السنة لالتزامهم بالسنة في العقيدة والعمل
في الظاهر والباطن، وسموا بالجماعة لكونهم يأمرون بالاجتماع على ما كانت عليه الجماعة الأولى
جماعة الصحابة رضي الله عنهم، وينهون عن الاختلاف.

من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح
على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار
أو عدل». [شرح الاعتقاد لللакائي ١ / ١٨٣]

٢٠ عقیدتنا في الصحابة والخلافة والإمامية

الصحابة رضوان الله عليهم هم خير الناس
بعد الأنبياء وأفضل قرون هذه الأمة؛ لقول النبي
ﷺ: «خير الناس قرني». متفق عليه. وهم كلهم
عدول؛ لأن الله عز وجل اختارهم لصحبة نبيه ﷺ
وزكراهم ومدحهم في كتابه ظاهراً وباطناً، ووصفهم
بأجل الصفات ووعدهم أعظم الجزاء فقال تعالى:
«مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُؤُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجُّداً يَتَبَخَّفُونَ فَضْلًا مِّنْ
اللَّهِ وَرَضُوا أَنْ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَنْتَرِ
السُّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَرَزَعَ أَخْرَجَ شَطَّاهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ يُعْجِبُ الرُّزَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجماعة هي
الاجتماع، وضدها الفرق، وإذا كان لفظ الجماعة قد
صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين، وكان ابن
مسعود رضي الله عنه يقول: «الجماعة ما وافق
الحق وإن كنت وحدك» ومعنى الجماعة في
الأحاديث التي أوجبت الالتزام بها وعدم الخروج
عليها: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر من
أمور الشرع أو جماعة الأئمة المجتهدين أو السواد
الأعظم أو الصحابة أو جماعة المسلمين إذا
اجتمعوا على أمير، ولا تعارض بين هذه الأقوال.

قال سهل بن عبد الله التستري وقد قيل له:
متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال:
إذا علم من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة،
ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه
الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في
الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على

الواجب على الدعاة بذل الجهد والطاقة في دعوة الناس

إلى دين الله وتعليمهم ما جهلوه من أحكامه والرفق بهم في

معاملتهم، والصبر عليهم، لسرعة في تكفيتهم

إعداد / معاوية محمد هيكل

الظن بهم، والاعتذار لهم بأنهم محتهدون منهم من أصاب فله أجران، ومنهم من أخطأ فله أجر.

جـ البراءة من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ ويسبونهم ويغلون في أهل البيت ويرفعونهم فوق منزلتهم، كذلك البراءة من أهل الجفاء الذين يؤذنون أهل بيت رسول الله ﷺ بقولِ أو عملِ.

ـ ٦ـ لا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ لا لصاحب ولا لإمام ولا ولولي بل الجميع يجوز عليهم الكبائر والصغرى، لكن للصحابة فضل على من بعدهم؛ لسبقهم للإسلام والصحبة والهجرة والجهاد في سبيل الله.

ـ ٧ـ وأولياء الله هم المؤمنون المتقون في كل زمان ومكان من أهل السنة والجماعة لهم من الكرامات والفضائل في الدنيا والآخرة ما يوجب حبهم وتوليهم، ولكن يجب الحذر من الغلو فيهما أو عبادتهم من دون الله.

ـ ٨ـ ومن اعتقاد في أحد منهم أو غيرهم الألوهية (النصرية العلوية في علي، والدروز في الحاكم بامر الله، والباطنية في إمامهم)، أو النبوة (كتوائف من الروافض)، أو اعتقاد تحريف القرآن أو خطأ الوحي، فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة.

طاعة ولاة الأمر في المعروف

منهج أهل السنة والجماعة مع ولاة الأمر: أنه يرون وجوب السمع والطاعة لهم في المنشط والمكره، وإقامة الحج والجهاد معهم، أمراً كانوا أو فجروا، وإنما الطاعة في المعروف، فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لملائكة في معصية الخالق، وينصحون لهم سراً لا علناً، ويتجنبون سبهم وتجريحهم، والقدح فيهم والتشهير بهم، وإشاعة مثالبهم، ولا يدعون عليهم بل يدعون لهم بالصلاح والمعافاة، ولا يرون جواز الخروج عليهم ولا قتالهم ولا نزع يد الطاعة منهم، وإن جاروا وظلموا، لما

الذين آمنوا وعملوا الصالحات مِنْهُمْ مُغْفَرَةً وَأَجْرًا عظيمًا» [الفتح: ٢٩].

ـ ٢ـ والصحابة رضي الله عنهم يتفضلون فيما بينهم تفاضلاً عاماً وخاصاً، نؤمن به كما ورد بالآيات والأحاديث ونزل كلام منزلته التي أنزله الشرع إليها.

ـ ٣ـ الخلفاء الراشدون بعد الرسول ﷺ هم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين لاجماع الصحابة على ذلك وإنما عليهم حجة، ومن طعن في خلافة واحد منهم فهو من أضل الناس.

ـ ٤ـ ومن قدم علينا على أبي بكر وعمر في الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتعد، فقد تواتر النقل عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر». رواه أحمد وصححه الألباني.

ـ ٥ـ ويليهما في الفضل عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لما روى الشیخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنا نفضل على عهد رسول الله: «أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان». وفي لفظ: «يبلغ ذلك النبي ولا ينكره». ويليه علي بن أبي طالب، فترتباً في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

ـ ٦ـ واجبنا تجاه الصحابة أفراداً وجماعات:

ـ ١ـ محبتهم وموالاتهم والترضي عنهم والاستغفار لهم وسلامة القلوب والآلسنة نحوهم، قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوكُم مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبِّنَا أَغْرِنْنَا لَنَا وَلَا خَوَانِنَا الَّذِينَ سَيَقُولُونَا بِالْأَيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبِّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحجر: ١٠].

ـ ٧ـ قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أتفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». متفق عليه.

ـ ٨ـ الكف والإمساك عما شجر بيتهما، وإحسان

**الذين اصطنفنا من عبادنا فهم هم ظالم لنفسه
ومنهم مقتضى ومنهم سابق بالخيرات يأذن الله
ذلك هو الفضل الكبير**» [فاطر: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً
احسنهم خلقاً». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني
في صحيح الجامع ١٢٣٠].

فمن أتى بالشهادتين معتقداً معناهما، عاماً
بمقتضاهما فقد أتى بacial الإيمان، ومن فعل
الواجبات، وترك المحرمات فقد أتى بالإيمان
الواجب، ومن فعل الواجبات والمستحبات، وترك
المحرمات والمكرورات فقد أتى بالإيمان الكامل.

٤- وصف الإيمان لا يزول بمطلق المعاشر
والكبار، بل تنقصه معبقاء أصله، فالمسلم الذي
يرتكب الكبائر ويصر عليها ولا يتوب منها، لا
يُكفر بفعلها، ولا يخلد في النار إن دخلها في
الآخرة، ما لم يستحلها.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، وقال رسول الله
ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم
يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها، قد
اسودوا، فيلقون في نهر الحياة». رواه البخاري.

وقد ضل في هذه المسألة طائفتان:

١- المرجئة القائلون بأنه لا يضر مع الإيمان
ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ويرد عليهم بأن الله عن وجل قد سمي الأعمال
إيماناً، فقال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» أي:
صلاتكم إلى بيت المقدس، فترك الأعمال نقص في
الإيمان. كما أن النبي ﷺ نفى الإيمان الكامل
المطلق عن مرتكب الكبيرة، ولم ينف عنه أصل
الإيمان، فقال ﷺ: لا يزني الزاني حين يزني وهو
مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق، وهو مؤمن،
ولا يشرب الخمر حين يشربها؛ هو مؤمن. متفق
عليه.

٢- الوعيدية، وهم صنفان: الخوارج، والمعزلة:
أ- الخوارج القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج
من الإيمان ودخل في الكفر فهو كافر في الدنيا
مخلداً في النار في الآخرة.

ب- المعزلة القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج
من الإيمان ولم يدخل في الكفر فهو في منزلة بين
منزلتين في الدنيا خالداً في النار في الآخرة.
ويرد عليهم من وجهين:

يتربى على الخروج عن طاعتهم من المفاسد
أضعاف ما يحصل من حورهم، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا^١
الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِ^٢
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرِدُوهُ إِلَى اللَّهِ^٣
وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ
حِيرَةٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:
«بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي
الْعَسْرِ وَالْيِسْرِ وَالْمُنْشَطِ وَالْمُكَرَّهِ وَعَلَى أُثْرَةِ عَلَيْنَا،
وَعَلَى أَنْ لَا نَنْزَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ أَوْ
نَقُومَ بِالْحَقِّ أَيْمَنَا كَنَا، لَا نَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ».
(مسلم / ٣، ١٤٧٠، والبخاري ٣٤٣٤).

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن حبيفة بن اليمان رضي
الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بعدى أئمة
لا يهتدون بهداي، ولا يستتون بستى، وسيقوم
فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان
إنس». قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن
ادركت ذلك؟ قال: تستمع وتطيع للأمير وإن ضرب
ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع». **مسائل الإيمان والكفر**.

١- الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية، قال تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخْبِي
إِيمَانَكُمْ» أي: صلاتكم لبيت المقدس، فسمى الصلاة
إيماناً، وقال سبحانه: «إِنَّ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا نَذَرْتُمْ عَلَيْهِمْ أَيَّاتِهِ زَادُهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [الأنفال: ٢].

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضم وسبعون
شعبة - أو بضم وستون شعبة -، فافضلها: قول:
لا إله إلا الله، وأدنها: إمامطة الأذى عن الطريق،
والحياة شعبة من الإيمان». متفق عليه.

فبالإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ اعتقاد بالقلب،
وقول باللسان، وعمل بالقلب واللسان والجوارح.

٢- الإيمان والإسلام إذا افترقا، فإن كل منهما
يعنى الدين كله وأما إذا اجتمعا فإن الإسلام يعنى
العمل الظاهر، «قول اللسان وعمل الجوارح»
والإيمان يعني الاعتقاد الباطن: «إقرار القلب
و عمله»، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

قال الله تعالى: «قَاتَلَ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلَّ لَمْ
تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الإِيمَانُ فِي
قُلُوبِكُمْ» [الحجرات: ١٤].

٣- وأهل الإيمان يتفضلون، في بعضهم أكمل
إيماناً من بعض، كما قال تعالى: «ثُمَّ أُورَثَنَا الْكِتَابَ

٨- من ترك الأركان الأربع جحوداً وإنكاراً فكره معلوم من الدين بالضرورة، (وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج)، وأما من تركها تكاسلاً فالمسألة محل خلاف عند أهل السنة لا يبدع فيها المخالف ولا يفسق، فمن كفر تارك الصلاة تكاسلاً فهو مجتهد، وكذلك من لم يكره كفراً ينتقل عن الملة فهو مجتهد أيضاً، وهذا مما يسوغ فيه الخلاف عند أهل السنة، ولنست هذه المسألة كمسألة تكثير مرتكب الكبيرة، فمن كفر مرتكب الكبيرة كالخوارج والمعتزلة فهو ضال مبتدع - كما هو معلوم -

٩- لا يكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكره المخالف لها، نقل على ذلك الإجماع ابن حزم وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة، وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير، وليس لأحد الناس دون العلماء أو لعوامهم استيفاء ذلك.

١٠- يثبت حكم الإسلام بالنطق بالشهادتين بالنص كما في حديث أسامة رضي الله عنه: «أقتله بعدما قال: لا إله إلا الله». رواه البخاري (٤٢٦٩)، وكذلك الإجماع، نقله ابن رجب وغيره، وكذا بالولادة لأبوين مسلمين؛ لحديث: «كل مولود يولد على الفطرة...» متفق عليه.

ومن توقف في الحكم بالإسلام من نطق بالشهادتين أو ولد مسلماً ولم يعلم عنه شرك ولا ردة فهو مبتعد لمخالفته إجماع السلف، ولا يستثنى من ذلك إلا من يقولها حال كفره فلا بد من نطقها مع البراءة من الكفر.

١١- من جحد شريعة الله المعلومة من الدين بالضرورة أو اعتقد أن حكم البشر أفضل من حكم الله، وأن شرع الله ليس صالحًا لكل زمان ومكان، فهو ضال مضل خارج عن دين الله، قال تعالى: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ...» [الشورى: ٢١].

□ التحذير من التكفير □

ويجب الحذر في الجملة من تكفير من قد علم إسلامه بيقين، لأن من حكم بالكفر على أحد دون تثبت رفع عليه الحكم؛ لقول النبي ﷺ: «أيما أمرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باع بها أحدهما، إن كان كما قال وإن رجعت عليه»، [رواية مسلم - ك الإيمان - ٩٢]، فثبتت عقد الإسلام بيقين لا يزحزح بالشك

الأول: أن الله تعالى أثبت الإيمان مرتكب الكبيرة في الدنيا وأبقى له وصف الأخوة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقُصَاصُ فِي الْقُتْلَى الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَدُّ بِالْعَدِّ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَإِنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخْيَهُ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمُعْرُوفِ وَإِدَاءُ إِلَيْهِ بِالْحَسَنَاتِ ثُلَّهُ تَحْقِيقٌ مِنْ رِبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [البقرة: ١٧٨].
فسمى القاتل أحد المقتول.

الثانية: أن الله تبارك وتعالى أخبر في كتابه أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، فقال: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» وكذلك يخرج من النار من كان في قوله مثقال حبة من خردل من إيمان كما أكدتها أحاديث الشفاعة.

٥- من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أيضاً، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، أما من لم تبلغهم الرسالة فهم من أهل الامتحان في عرصات القيامة؛ لما ثبت في الحديث: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصْمَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَا الْأَصْمُ فَيَقُولُ: رَبٌّ لَقْدَ جَاءَ إِلَيْهِ إِلَيْهِ أَسْمَعَ شَيْئًا، وَأَمَا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبٌّ جَاءَ إِلَيْهِ إِلَيْهِ وَمَا أَعْقَلُ شَيْئًا، وَالصَّبِيَّانُ يَحْذَفُونَنِي بِالْبَعْرِ»، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعلق شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيئه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها سُبْحَبٌ إليها. [رواية أحمد وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٨١]

٦- من رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة ولا تمسمهم النار أبداً، ومن تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهم من أصحاب الأعراف ومالهم إلى الجنة برحمحة الله. ومن رجحت سيئاتهم على حسناتهم استحقوا دخول النار، ومن استحق دخول النار من عصاة الموحدين فهو في مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ولا يدخل في النار خلود الكفار ولا يعذب فيها عذابهم.

٧- لا يختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها كافر مخلد في النار، حتى لو اعتقاد صحتها بقوله دون نطق؛ لقوله ﷺ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» [رواية البخاري - كتاب الإيمان ٤٤].

الكفر ولا التاريخ بتاريخهم ولا السفر إلى بلادهم إلا لحاجة أو ضرورة مع الحرص على إظهار شعائر الدين.

٤- ليس من الموالاة إهداوهم وعيادتهم في مرضهم ترغيباً لهم في الإسلام وتاليًا لقلوبهم، وكذلك العدل معهم والبيع والشراء والإجارة والشركة وقبول الهبة منهم، ورحمتهم بالرحمة العامة، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وكذلك أكل ذبائح أهل الكتاب والتزوج من الكتابية مع بغض ما هم عليهم من كفر، والمسلم أولى بكل خير والكافر أولى بكل شر.

○○ أنصار السنة المحمدية شرف بالانتساب

○○ أهل السنة والجماعة ○○

وختاماً: فجماعـة أنصار السنة المحمدية شرفوا بالانتساب لمنهج الفرقـة الناجـية والطائـفة المنصـورة أهـل السـنة والجماعـة الذين قالـ فيهم النـبـي ﷺ: لا تزال طائـفة من أمتـي قائـمة بأمر اللهـ، لا يضرـهم من خـذـلـهم أو خـالـفـهمـ، حتـى يـاتـيـ أمرـ اللهـ وـهـمـ ظـاهـرـونـ. رواه مسلمـ.

فـهمـ يـاصـولـ هـذاـ المـنهـجـ مـسـتمـسـكـونـ، وـعـلـىـ بـصـيرـةـ إـلـيـهـ يـدـعـونـ، فـهـمـ يـأـمـرـونـ بـالـمـعـرـوفـ وـيـنـهـونـ عـنـ الـنـكـرـ، وـيـحـافـظـونـ عـلـىـ الـجـمـعـ وـالـجـمـاعـاتـ، وـيـلتـزـمـونـ الطـاعـةـ فـيـ الـمـعـرـوفـ، وـعـقـدـ الـوـلـاءـ عـنـهـمـ لـيـسـ عـلـىـ أـشـخـاصـ وـلـاـ أـحـزـابـ، وـلـكـنـ الـوـلـاءـ عـنـهـمـ عـلـىـ أـسـاسـ السـنـةـ وـالـكـتـابـ، يـعـظـمـونـ نـصـوصـ الشـرـيـعـةـ، وـيـنـفـونـ عـنـهـاـ كـلـ بـدـعـةـ شـنـيـعـةـ، مـرـجـعـهـمـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ بـفـهـمـ سـلـفـ الـأـمـةـ، يـحـرـصـونـ عـلـىـ الـوـحـدـةـ وـالـأـئـلـافـ، وـنـبـذـ الـفـرـقـ وـالـاـخـلـافـ، هـمـ وـسـطـ بـيـنـ طـرـفـيـنـ، وـهـدـىـ بـيـنـ ضـلـالـتـيـنـ، وـسـطـ بـيـنـ الـمـشـهـدـةـ وـالـمـعـطـلـةـ فـيـ بـابـ صـفـاتـ اللهـ، وـبـيـنـ الـجـرـيـةـ وـالـقـدـرـيـةـ فـيـ بـابـ أـفـعـالـ اللهـ، وـبـيـنـ الـمـرجـئـةـ وـالـوـعـيـدـيـةـ فـيـ بـابـ وـعـيـدـ اللهـ وـأـسـماءـ الـإـيمـانـ وـالـدـينـ، وـبـيـنـ الـخـارـجـ وـالـرـافـضـةـ فـيـ بـابـ أـصـحـابـ رـسـولـ اللهـ ﷺ، وـهـمـ بـرـاءـ مـنـ كـلـ هـذـهـ الـفـرـقـ الـمـنـحـرـفـةـ، وـالـمـذـاهـبـ الـرـدـيـةـ، وـالـطـرـائقـ الـغـوـيـةـ، التـيـ انـحرـفتـ عـنـ مـنـهـجـ رـبـ الـبـرـيـةـ مـنـ الـذـيـنـ فـارـقـوـاـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ، وـحـالـفـوـاـ الـبـدـعـةـ وـالـضـلـالـةـ، سـائـلـيـنـ الـمـوـلـىـ عـزـ وـجـلـ أـنـ يـوـقـنـاـ إـلـىـ مـاـ يـحـبـهـ وـيـرـضـاهـ، وـأـنـ يـثـبـتـنـاـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـنـهـجـ الـقـوـيـهـ حـتـىـ تـلـقـاهـ، وـأـنـ يـجـمـعـنـاـ فـيـ الـجـنـةـ مـعـ نـبـيـهـ وـمـصـطـفـاهـ، إـنـهـ بـكـلـ جـمـيلـ كـفـيلـ، وـبـإـجـابـةـ جـدـيرـ، وـهـوـ نـعـمـ الـمـوـلـىـ وـنـعـمـ النـصـيرـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ.

والخلافـ، وـإـذـاـ كـانـ الـحـدـودـ تـدـرـأـ بـالـشـبـهـاتـ، فـأـولـىـ ثـمـ أـولـىـ مـسـأـلةـ الـتـكـفـيرـ، وـكـانـ الـإـمـامـ مـالـكـ يـقـولـ: لـوـ اـحـتـمـلـ الـمـرـءـ الـكـفـرـ مـنـ تـسـعـةـ وـتـسـعـيـنـ وـجـهـاـ، وـاحـتـمـلـ الـإـيمـانـ مـنـ وـجـهـ لـحـمـلـتـهـ عـلـىـ الـإـيمـانـ تـحـسـيـنـاـ لـلـلـظنـ بـالـمـسـلـمـ.

وـكـانـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ يـقـولـ لـعـلـمـاءـ وـقـضاـةـ الـجـهـمـيـةـ: أـنـاـ لـوـ قـلـتـ قـولـكـ لـكـفـرـتـ، وـلـكـنـيـ لـاـ أـكـفـرـكـمـ لـأـنـكـمـ عـنـدـيـ جـهـاـ. فـالـوـاجـبـ عـلـىـ الدـعـاـةـ بـذـلـ الـجـهـدـ وـالـطـاقـةـ فـيـ دـعـوـةـ النـاسـ إـلـىـ دـيـنـ اللـهـ وـتـعـلـيـمـهـ مـاـ جـهـلـوـهـ مـنـ أـحـكـامـهـ وـالـرـفـقـ بـهـمـ فـيـ مـعـاملـتـهـمـ، وـالـصـبـرـ عـلـيـهـمـ، لـالـمـسـارـعـةـ فـيـ تـكـفـيرـهـمـ.

○○ الـوـلـاءـ وـالـبـرـاءـ ○○

أـوـقـعـ عـرـىـ الـإـيمـانـ الـحـبـ فـيـ اللـهـ وـالـبـغـضـةـ فـيـ اللـهـ، وـمـقـتـضـيـ الـإـيمـانـ الـوـلـاءـ لـلـهـ وـلـرـسـوـلـهـ وـلـلـمـؤـمـنـيـنـ، قـالـ تـعـالـىـ: إـنـمـاـ وـلـيـكـمـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـذـيـنـ أـمـتـواـ الـذـيـنـ يـقـيمـونـ الصـلـاـةـ وـيـوـثـونـ الـرـزـكـاـ وـهـمـ رـاكـعـونـ (٥٥) وـمـنـ يـتـوـلـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـذـيـنـ أـمـتـواـ فـإـنـ حـرـبـ اللـهـ هـمـ الـغـالـبـيـوـنـ [المـائـدةـ: ٥٦ـ ٥٥ـ].

وـمـقـتـضـيـ الـكـفـرـ بـالـطـاغـوتـ الـبـرـاءـةـ مـنـ الـشـرـكـ وـأـهـلـهـ. قـالـ تـعـالـىـ: قـدـ كـانـتـ لـكـمـ أـسـوـةـ حـسـنـةـ فـيـ إـبـرـاهـيـمـ وـالـذـيـنـ مـعـهـ أـذـ قـالـوـنـ لـقـومـهـ إـنـ بـرـأـءـ مـنـكـمـ وـمـمـاـ تـعـيـدـوـنـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ كـفـرـنـ يـكـمـ وـبـدـاـ بـيـتـنـاـ وـبـيـتـكـمـ الـعـدـاوـةـ وـالـبـعـضـاءـ أـبـدـاـ حـتـىـ تـوـمـنـوـاـ بـالـلـهـ وـحـدـهـ... [الـمـفـتـحةـ: ٤ـ].

١- فـالـمـؤـمـنـ الـذـيـ رـضـيـ بـالـلـهـ رـبـاـ وـبـالـإـسـلـامـ دـيـنـاـ وـبـمـحـمـدـ ﷺ نـبـيـاـ وـرـسـوـلـاـ يـحـرـصـ عـلـىـ نـصـ دـيـنـ اللـهـ بـكـلـ مـاـ يـسـتـطـعـ، وـنـصـرـ كـلـ مـؤـمـنـ ظـالـمـاـ أوـ مـظـلـومـاـ، فـيـمـنـعـ الـظـالـمـ مـنـ ظـلـمـهـ، وـيـاخـذـ لـمـظـلـومـ حـقـهـ مـنـ ظـلـمـهـ، وـيـهـتـمـ بـأـمـرـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـيـنـصـحـ لـهـمـ وـيـتـعـاـونـ مـعـهـمـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـتـقـوىـ.

٢- وـمـنـ أـبـحـ الـكـافـرـيـنـ الـمـقـطـعـوـ بـكـفـرـهـ كـفـرـعـونـ وـهـامـانـ وـأـبـيـ جـهـلـ وـأـبـيـ لـهـبـ وـرـضـيـ بـكـفـرـهـمـ وـاتـبعـهـمـ عـلـىـ مـبـادـئـهـمـ الـمـخـالـفـةـ لـدـيـنـ الـإـسـلـامـ، فـهـوـ كـافـرـ مـثـلـهـمـ، كـالـذـيـ يـقـولـ: لـاـ فـرـقـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ، أـوـ يـنـادـيـ بـالـمـساـواـةـ بـيـنـ الـأـدـيـانـ.

٣- لـاـ يـجـوزـ لـلـمـسـلـمـ أـنـ يـصـادـقـ الـكـفـارـ أـوـ يـتـشـبـهـ بـهـمـ فـيـمـاـ هـوـ مـنـ خـصـائـصـ دـيـنـهـمـ، وـلـاـ يـجـوزـ مـشـارـكـهـمـ فـيـ أـعـيـادـهـمـ وـلـاـ تـهـنـئـهـمـ بـهـاـ أـوـ بـمـظـاـهـرـ الـشـرـكـ الـتـيـ يـفـعـلـونـهاـ كـمـ يـحـرـمـ التـسـمـيـ بـاسـمـائـهـمـ وـالـدـعـاءـ لـهـمـ بـالـمـغـفـرـةـ إـذـاـ مـاتـواـ عـلـىـ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله

وبعد:

فقد جاءت الشريعة ببيان حناب التوحيد وحفظه من آثار الشرك وأضراره، ففي بادئ الأمر نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، والنهي عام للرجال والنساء، وذلك سداً للذرية؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتسطون على اقدار الله عند المصيبة، وكانوا يقولون منكراً من القول وزوراً.

ولهذا منع الرسول ﷺ أصحابه من زيارتة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية، وخشية الفتنة بها، كما افتتن بها أهل الكتابين من اليهود والنصارى، وعظموا القبور حتى عبدت من دون الله، وما تمكن الإيمان في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، واستقرت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وتعلقت قلوبهم بالله وحده، أذن لهم رسول الله ﷺ بالزيارة الشرعية للقبور.

فعن بريدة بن الحصيبي الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور. رواه ابن ماجه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور لا فزوروها فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً». أخرجه الحاكم، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص ٢٢٩).

«في الأحاديث المتقدمة جواز النسخ في الشريعة الإسلامية، فقد حرم رسول الله ﷺ زيارة القبور أول الأمر؛ لقرب عهد الناس بالجاهلية، وما كان فيها من وثنية، وما كانوا يفعلونه عند القبور من نياحة، وغير ذلك مما حرمته الإسلام، ثم نسخ التحرير بعد أن اتضحت عقيدة التوحيد، ورسخت قواعد الإسلام، واستبانت أحكامه، وعلى المؤمن أن يذكر نفسه بالموت وأنه سيكون في عدد الموتى إن عاجلاً أو أجالاً ومن المأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كفى بالموت واعظاً يا عمر». [نزهة المتنقين شرح رياض الصالحين ١/٤٢٥]. قال ابن القيم - رحمه الله -: «وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن زيارة القبور سداً للذرية؛ فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زياراتها على الوجه الذي شرعه، ونهى أن يقولوا هجراً؛ فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله؛ فإن زيارتها غير مأذون فيها، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلاً».

زيارة القبور بین الشرع والرونیع

إعداد / معاوية محمد هيكل



أنواع الزيارة

النوع الأول: قال ابن تيمية - رحمة الله -: إن الزيارة إذا تضمنت أمراً محرماً من شرك أو كذب أو ندب أو نياحة أو قول هجر فهي محرمة بالإجماع، حال الذين يعظمون القبور ويطوفون حولها ويذبحون لها ويقدمون القرابين، ويسألون الميت حاجتهم، أو يسألون الله به، كان يقول: أسلك بحق فلان، أو بجاه فلان إلى غير ذلك من الضلالات والبدع.

والنوع الثاني: زيارة القبور مجرد الحزن على الميت لقرباته أو صداقته فهذه مباحة، كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة، كما زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكي من حوله وقال: «زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة».

ثم قال: «فهذه الزيارة قد نهى عنها لما كانوا يفعلون فيها من المكر، فلما عرفوا الإسلام أذن فيها؛ لأن فيها مصلحة، وهي تذكر الموت، فكثير من الناس إذا رأى قريبه وهو مقبر ذكر الموت واستعد للآخرة، وقد يحصل منه جزع، فيتعارض الأمران ونفس الجنس مباح، إن قصد به طاعة كان طاعة، وإن عمل معصية كان معصية.

وأما النوع الثالث: فهو زياراتها للدعاء للموتى والسلام عليهم، كما كان يفعل النبي ﷺ حينما كان يخرج إلى البعير فيدعوه لهم ويسلم عليهم، فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه؛ لأن النبي ﷺ فعله، وكان يعلم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور. اهـ. (الجواب الباهر ٢٣٦/٢٣٧) (بتصرف).

ومن ذلك: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، إنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسال الله لنا ولهم العافية». [رواه مسلم].

المختصر في فعله عند القبور:
1- البناء عليها وتجسيدها:

عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجচن القبر وأن يقعده عليه وأن يبني عليه». رواه مسلم.

وقد أمرنا بهم ما بني عليها من مشاهد وقباب وأضرحة، فعن أبي الهجاج الأستدي قال: «قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعنك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، ألا لا تدع تمثلاً إلا طمسته، ولا قبلًا مشرقاً إلا سوية». رواه أحمد وسلم.

2- الكتابة على القبر والجلوس عليه: عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبني عليها وأن توطنها. رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى.

وقال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدهم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر». رواه مسلم وأبو داود.

3- الذبح عند القبور:

يحرم الذبح عند القبور وهو من عادات الجاهلية، كما كانت تفعل عند قبور موتاهم فيذبحون من البقر والغنم، وجاء الإسلام فحرم الذبح لغير الله تعالى سواء كان الذبح للقبور أو للجان أو للمشائخ الذين يدعون الولاية والكرامة كذبًا وزورًا، وكل ذبح لتعظيم غير الله أو الخوف من مخلوق أو لجلب خير أو دفع ضر كما يفعله عباد القبور فهو شرك أكبر فاعله مرتد عن الإسلام ونبحيته ميتة لا تؤكل، ولا تزال روابس الجاهلية ومخلفاتها في نفوس الكثير من الناس؛ لفطر جهلهم بالملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا عقر في الإسلام». رواه مسلم وأبو داود.

وقال عبد الرزاق: «كانوا يعثرون عند القبر بقرة أو شاة». (تيل الأوطار ٤/٩٧). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقيناً أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام، فهو من الشرك الذي أحدثوه». (افتضاء الصراط المستقيم ص ٢٥٦).

قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ

الفتي يصرح:
الطواف حول
الأضرحة والتوكيل
بها، وتقى بيل
القصورة
والأعتاب، والتوكيل
بالأولياء، وطلب
الشفاعة منهم
حرام قطعاً، ومناف
للشريعة، وفيه
إشكال بالله تعالى
لأن أصل الدعوة
يقوم على التوحيد
والإسلام يحارب
جاهداً كل ما يقرب
الإنسان من مزالق
الشرك



أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

أبلغ. «اقتضاء الصراط المستقيم» (٤٥٧).

قال ابن القيم: وقد ألم الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلامهم في ذلك كتاباً سماه «مناسك حج المشاهد» - مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام. «إغاثة اللھفان» (١٢٦). (٢/١٦٢)

قال ابن القيم - رحمة الله - إن في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمه إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى، وغيره على التوحيد، وتحذير وتقييّع للشرك. «إغاثة اللھفان» (ص ٢١٢).

وقال في فيض القديرين: «معناه التهي عن الاجتماع لزيارةه اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أي: لا تجعلوا قبرى عيدها تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا على، فظاهره النهي عن المعاودة، والمراد المنع عمما يوجبه، وهو ظنهما بأن دعاء الغائب لا يصل إليه». وقال: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة، ويقولون هذا مولد الشيخ ويأكلون ويشربون، وربما يرقصون فيه منهي عنه شرعاً، وعلى ولد الشرع ردעם على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله». «فيض القديرين» (٤ / ٢٣). (٢٣)

مفاسد اتخاذ القبور أعياداً.

قال ابن القيم: فمن مفاسد اتخاذ القبور أعياداً: الصلاة إليها والطواف بها، وتقبليها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون وتغريق الكربات وإغاثة اللھفان وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أو ثانهم. «إغاثة اللھفان» (٣١٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمة الله: ومن أعظم الشرك أن

قال ابن كثير في تفسيره: «أمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فامر الله تعالى بمخالفتهم».

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات قال: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من أوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». رواه مسلم (١٢٦١). (٤ - شد الرحال إليها):

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». رواه البخاري ومسلم.

فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والاعتكاف من الأعمال الصالحة، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم.

قال ابن تيمية: وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واستزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك. فيقصدون بالسفر والزيارة رضا غير الله، والرغبة إلى غيره، ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي أو عبد صالح، داعين له راغبين إليه، ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا فلا يستشعر إلا قصد قبر النبي ﷺ. ومنهم من يرى أن ذلك أدنى له من حج البيت، ومن شيوخهم من يقصد حج البيت فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفياً بزيارة القبر وظن أن هذا

٥- التحاذق القبور أعياداً:

وذلك بآن تقصد في أوقات معينة، ومواسم معروفة للتبعد عندها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيدها، وصلوا على، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت». رواه أبو داود وصححه الألباني في «صحيف الجامع» (٧٢٢٦).

ووجه الدليل: أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدها؛ فقبل

الاعتباٰر أو نحاس الخريج، أو أي

مكان به حرام قطعاً.

وتاتي بعد ذلك الشفاعة، وهذه

في الآخرة غيرها في الدنيا، فالشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما

يحدث في هذه الحياة من توسط

إنسان لآخر خطأ عند رئيسه، وبهذه

أمره، يطلب إليه أن يغفر له هذا

الخطأ، وإن كان هذا المخطئ لا

يستحق العفو والمغفرة، غير أن الله

سبحانه وتعالى قد حدد طريق

الشفاعة في الآخرة، فهذه الشفاعة

لن تكون إلا من يرضي الله لهم أن

يشفعوا، لأشخاص يستحقون هذه

الشفاعة، وهؤلاء أيضاً بحددهم الله.

إذن فكل هذا متعلق بإذن الله

وحكمه، فإذا نحن سبقنا هذا

الحكم بطلب الشفاعة من أي

إنسان، فإن هذا عبٰث؛ لأننا لا

نستطيع أن نعرف من سيأن الله

لهم بالشفاعة ومن يشفعهم فيهم.

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة

للأضرحة والطواف حولها والتولس

بها، وتقبيل المقصورة والأعتاب،

والتوسل بالأولياء، وطلب الشفاعة

منهم؛ حرام قطعاً، ومنافق للشريعة،

وفي إشراك بالله تعالى.

٨- اتخاذ القبور مساجد

عن عائشة رضي الله عنها

قالت: لما استكى النبي ﷺ ذكرت

بعض نسائه كنيسة راتها بأرض

الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم

سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما

أتنا أرض الحبشة فذكرت من

حسنها وتصاوير فيها، فرفع

النبي ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا

مات فيهم الرجل الصالح بنوا على

قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك

الصور، أولئك شرار الخلق عند

الله». رواه البخاري.

وعن ابن مسعود رضي الله

عنه عن النبي ﷺ قال: «إن من

شرار الناس من تدركهم الساعة

وهم أحياه والذين يتخذون القبور

مساجد». رواه أحمد.

إن من يتأمل في تلك الأحاديث

٧- الطواف حول القبور والتولس بال McBir

الطواف عبادة لا تجوز ولا

تشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق

المسلمين، قال تعالى: «وَلِيُطْوَّفُوا

بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٩]، وقال

رسول الله ﷺ: «من طاف بالبيت

سبعاً، وصلى ركعتين، كان كعتق

رقبة» [صحيح الجامع: ٦٣٧٩].

قال الشيخ علي محفوظ (من

كتاب علماء الأزهر) في «الإبداع»

[ص: ١٧٤]: «ومن البدع السيئة

الطواف حول الأضرحة، فإنه لم

يعهد عبادة إلا بالبيت، وكذا لم

يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر

الأسود».

وقد سُئل فضيلة الشيخ حسن

مامون، مفتى الديار المصرية سؤالاً

حول الطواف بالأضرحة والتولس

بها، نشرته مجلة الإذاعة المصرية

سنة ١٩٥٧م) هذا نصه: ما حكم

الشرع في زيارة الأضرحة (أضرحة

الأولياء)، والطواف بالمقصورة

وتقبليها والتولس بالأولياء.

الجواب: أود أن أذكر أولاً: أن

أصل الدعوة الإسلامية يقوم على

التوحيد، والإسلام يحارب جاهداً

كل ما يقرب الإنسان من مزالق

الشرك بالله، ولا شك أن التولس

بالأضرحة والموتى، أحد هذه

المزالق، وهي روابط جاهلية، ولو

نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما

نعي عليهم الرسول ﷺ عياراتهم

للأصنام، قالوا له: «مَا تَعَيِّدُ إِلَّا

لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا»، فهي نفس

الحجة التي يسوقها اليوم

الداعون للتولس بالأولياء لقضاء

حاجة عند الله، أو التقرب منه.

ومن مظاهر هذه الزیارات؛ أفعال

تنافى كلية مع عبادات إسلامية

ثابتة، فالطواف في الإسلام لم

يشرع إلا حول الكعبة، وكل طواف

حول أي مكان آخر، حرام شرعاً،

والتقبيل في الإسلام لم يمس إلا

للحجر الأسود، وحتى الحجر

الأسود قال فيه عمر رضي الله عنه

وهو يقبيله: «وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِي رَأَيْتُ

رَسُولَ اللَّهِ يَقْبِلُ مَا فَعَلتُ». فالتقبيل

ويستغثث الإنسان بميت أو غائب، ويستغثث به عند المصائب، يقول:

يا سيدى، كان يطلب منه إزالة

ضره أو جلب نفعه، وهذا حال

النصارى في المسيح وأمه

وأصحابهم ورهبانهم... إلى أن قال:

وهؤلاء المشركون يضمون إلى

الشرك الكذب، فإن الكذب مقورو

باليشك، وقد قال تعالى: «فَابْتَنُوا

الرِّجْسَ مِنَ الْأُوتَانِ وَاجْتَنُوا قَوْلَ

الرُّؤُرِ» [٣٠] حُكْمَاءَ لِلَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ

بِهِ» [النساء: ١٧١]. [مجموع الفتاوى

.٨١ / ٢٧]

٦- إيقاد السج عنده:

ويحرم تسرير القبور

وإنارتها بالشروع وغيرها؛ للنهي

الصريح عن ذلك، ولما فيه من

إضاعة المال وإنفاقه في الحرام

طاعة للشيطان، كما فيه أيضاً

تشبيه بالمجوس عباد النار.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمخذين عليها

المساجد والسرج». رواه أحمد

والترمذى، وصححه الشيخ أحمد

شاكر في تعليقه على المسند .٢٠٣٠).

قال ابن القيم: قال أبو محمد

المقدسى: ولو أبى اتخاذ السرج

على القبور لم يلعن النبي ﷺ من

فعله، ولأن فيه تضييعاً للمال بدون

فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور

أشبه بتعظيم الأصنام». [إغاثة

اللهفان] .٢١٥ / ج .١).

قال الشيخ عبد الرحمن آل

الشيخ: قال محمد بن إسماعيل

الصنعاني: فإن هذه القباب والمشاهد

التي صارت أعظم نزирة إلى الشرك

والإلحاد، فقد شيد على القبور البناء

وسرجت عليها الشروع وأرخت

عليها ستور فيعتقد أن ذلك لجلب

خير أو لدفع ضر.

وتاتي سدنة القبور ويذكرون

على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل

بفلان الضرر وبفلان النفع... إلى

غير ذلك من الأباطيل والخرافات.

فتح المجيد» [٢٥٧] (ص: ٢٥٧) بتحقيق

العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز.

عن الصلاة فيها، من باب النهي عن الوسيلة، يستلزم النهي عن المقصود بها، والمتوصل بها إليه، مثلاً إذا نهى الشارع عن بيع الخمر، فالنهي عن شربه داخل في ذلك كما لا يخفى، بل النهي عنه من باب أولى.

ومن بين جدأ أن النهي عن بناء المساجد على القبور ليس مقصوداً بالذات، كما أن الأمر ببناء المساجد في الدور وال محلات ليس مقصوداً بالذات، بل ذلك كله من أجل الصلاة فيها سلباً أو إيجاباً، يوضح ذلك المثال الآتي: لو أن رجلاً بنى مسجداً في مكان قبر غير مأهول، ولا يأتيه أحد للصلاة فيه فليس لهذا الرجل أي أجر في بنائه لهذا المسجد، بل هو عندي أثم لإضاعته المال، ووضعه الشيء في غير محله.

فإذا أمر الشارع ببناء المساجد، فهو يأمر ضمماً بالصلاحة فيها؛ لأنها هي المقصود بالبناء، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور فهو ينهى عن الصلاة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء أيضاً، وهذا بين لا يخفى على العاقل إن شاء الله تعالى. «تحذير المساجد» (ص ٣١، ٣٠).

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في «إعانته المستفيد شرح كتاب التوحيد» (١ / ٢٧٨): في الحديث دليل على بطلان الصلاة عند القبور، أو في المساجد المبنية على القبور، لأن الرسول ﷺ نهى عن ذلك، والنبي يقتضي القساد عند الأصوليين، فالذي يصلى عند القبر صلاته غير صحيحة، فعليه أن يعيد الفريضة، لأن صلاته عند القبر أو في المسجد المبني عليه القبر غير صحيحة، لأنها صلاة منهى عنها، والصلاحة المنهي عنها غير مشروعة، فهي لا تصح.

والله من وراء القصد.

الصلاحة في المقبرة ولا إليها والنهي عن ذلك لسد نزوة الشرك». وقال: قال أصحابنا: وكل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلى فيه، فهذا ينبع على أن المنع يكون بتحريم الصلاة عند القبر وفنائه المضاف إليه.

حكم الصلاة في المساجد المبنية على القبور وتجدر الإشارة إلى بيان حكم هذه المسألة التي كثر السؤال عنها والتبس أمرها على كثير من الناس، فإليك بيانها من أقوال أهل العلم المعتبرين:

قال شيخ الإسلام رحمة الله: اتفق الأئمة أنه لا يبني مسجد على قبر؛ لأن النبي ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم.

وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإذا كان المسجد قبل الدفن غير، إما بتسوية القبر، وإما ببنشهه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد، وإما أن تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل، فإنه منهى عنه. (الفتاوى ١٩٥، ١٩٤ / ٢٢).

وقال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: «المساجد التي فيها قبور لا يصلى فيها، ويجب أن تنبش القبور وينقل رفاتها إلى المقابر العامة، كل قبر في حفرة كسائر القبور، ولا يجوز أن يبقى فيها قبور لا قبر ولها ولا غيره؛ لأن الرسول ﷺ نهى وحذر ودم اليهود والنصارى على عملهم ذلك». (فتاوى ابن باز ٢ / ٧٥٩، ٧٦٠).

وقال الشيخ الألباني - رحمه الله -: «أما شمول الأحاديث للنبي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور، فدلائلها على ذلك أوضح، وذلك لأن النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي

الكريمة، يظهر له بصورة لا شك فيها، أن الاتخاذ المذكور حرام، بل كبيرة من الكبائر، لأن اللعن الوارد فيها ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق عند الله لا يمكن أن يكون في حق من لم يرتكب ما ليس بكبيرة، وقد اتفقت المذاهب الأربع على تحريم ذلك، ومنهم من صرخ بأنه كبيرة». (تحذير المساجد ص ٣٣). وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحرث ما صنعوا». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن حجر: وكأنه ﷺ علم أنه متصل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى قلعن اليهود والنصارى؛ إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم قوله: «يحرث ما صنعوا». جملة مستأنفة من كلام الراوي. (فتح الباري ص ٥٣٢).

قال الألباني رحمة الله: «الاتخاذ المذكور في الأحاديث المتقدمة يشمل عدة أمور: ١- الصلاة إلى القبور مستقبلاً لها.

٢- السجود على القبور.

٣- بناء المساجد عليها.

٤- الصلاة على القبور وأليها:

عن أبي مرثد الغنوبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها». رواه مسلم.

ومن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يبني على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها رواه أبو يعلى في مسنده بسنده صحيح.

ومن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بين القبور. [رواه البزار وصححه الألباني].

قال شيخ الإسلام في الآخبارات ص ٤٤: «ولا تصح

التأویل بین



اتبعوا ولا تبتدعوا

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن التأویل عند المتكلمين بعامة يقتضي اتخاذ العقل أصلًا في التفسير مقدمًا على الشرع، فإذا ظهر تعارض بينهما فينبغي تأویل النصوص إلى ما يوافق مقتضى العقل خلافاً لمنهج السلف الذين احتمموا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فطوعوا المفاهيم العقلية لها؛ لأن العقل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو أمر يقوم بالعاقل وليس هو عيناً قائمة بنفسها كما يعتبره بعض الفلاسفة، والعقل يعجز عن الإحاطة بحقائق الدين، لأنه قاصر، أما الدين فهو دين الله خالق الخلق

ومالك الملك: «أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقٍ وَهُوَ الْطَّيِّفُ الْخَبِيرُ» [المulk: ١٤]

إِلَّا اللَّهُ وَرَأَسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» [آل عمران: ٧]. على الوجه القائل بالوقف على هذا المقطع، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأویل. لذلك فالتأویل له معانٌ متعددة، يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة والمال، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره.

﴿أَوْلًا بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ﴾

كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية يقولون: تأویل قوله تعالى كذا وكذا، ثم يذكرون المعنى. وسمى التفسير تأویلاً لأننا أولنا الكلام، أي: جعلناه يؤؤل إلى معناه المراد به.

﴿ثَانِيَاً: تَأوِيلٌ بِمَعْنَى عَاقِبَةِ الشَّيْءِ﴾

وهذا إن ورد في طلب، فتأویله فعله إن كان أمراً، وتركه إن كان نهياً، وإن ورد في خبر، فتأویله وقوعه.

مثاله في الخبر قوله تعالى: «هُلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَاتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ» [الأعراف: ٥٣].

فالمعنى: ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومال ما أخبروا به، يوم يأتي ذلك الخبر به، يقول الذين نسواه من قبل: «قد جاءت رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ».

ومنه قول النبي الله يوسف عليه السلام لما خر له أبوه وإخوته سجداً، قال: «هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِّي مِنْ قَبْلُ» [يوسف: ١٠٠]. معناه: هذا وقوع رؤيائي؛ لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

وهذا الدين شامل لكل ناحية من نواحي الحياة، وصالح لكل زمان ومكان، ويتناصف مع جميع الخلق في الماضي والحاضر والمستقبل.

وأما العلم الإنساني الذي يحيط بكل شيء فلم يوجد في الماضي أبداً، قال الله تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» [طه: ١١٠]، وقال: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا لِلْأَسْرَاءِ» [الإسراء: ٨٥]، وما تزال الاكتشافات العلمية تمضي في طريقها للتبرهن على أنه كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد إحساساً بجهله وشعوراً بقصوره وعجزه.

وقد رد الإمام أحمد على الجهمية والمعترضة، فيبين أن السلف كانوا ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأویل الجاهلين، وأن منهج السلف فيمن أراد معرفة شيء من الدين أن ينظر فيما قال الله وفيما قال الرسول ﷺ، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل، خلافاً لأصحاب المنهج الكلامي الذين اعتمدوا على ما رأوه ثم نظروا في الكتاب والسنة فإن وجدوا النصوص توافقه أخذوا بها، وإذا وجدوها تختلفه ألووها بما يتوافق مع عقولهم. (بتصرف من قواعد المنهج السلفي. د. مصطفى حلمي).

﴿مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي الشَّرْعِ﴾

والتأویل ليس مذموماً كله، قال النبي ﷺ: «لَعْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اللَّهُمَّ فَقْهْهُ فِي الْمَنَاجِلِ الَّذِينَ وَعَلَمُهُ تَأْوِيلَهُ»

أهل الله والمتبرحة

إعداد / معاوية محمد هيكل

يُؤمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقْلَوْهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [البقرة: ٧٥].
وقال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَسْتُرُوا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مَا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مَا يَكْسِبُونَ» [البقرة: ٧٩].

وعاقبة التحرير عندهم: تشويه النصوص وتکدير المذاهب، حتى يتضمن للمبتدعة العبث في دين الله تعالى.

والتحريف ثلاثة أنواع

□ النوع الأول: تعريف اللفظ □

أخذ اليهود بتنصيب واfer من هذه الصفة، فقد قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُّوْهُ مِنْهَا حَيْثُ شَئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُوْلُوْنَا حَطَّةً تَعْفُرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيرُ الدُّمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قُيلَ لَهُمْ فَأَنْزَنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» [البقرة: ٥٨، ٥٩].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل: «وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُوْلُوْنَا حَطَّةً»، فدخلوا يزحفون على أستاهم، فبدلاوا، وقالوا: حطة حبة في شعرة. (البخاري: ٤٤٧٩).

والمعنى: حبة حنطة.

وتحريف اللفظ يؤدي إلى تحريف المعنى غالباً، ولهذا اتصف به المبتدعة، ومن أمثلة ذلك تحريفهم لقوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوْيَ» [طه: ٥]، فظاهر اللفظ أن الله أستوى على العرش: علا عليه، ولكن المبتدعة صرفوا اللفظ عن ظاهره وحرفوه وقالوا: «استوى» بمعنى «استولى».

وهذا تحريف بين لأنه ما دل عليه دليل، بل الدليل على خلافه.

وقد جمع الإمام ابن القيم في نوينته بين تحريف اليهود وتحريف الجهمية (٦٢/٢) فقال:

ومثاله في الطلب قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ بعد أن أنزل عليه قوله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرٌ لِلَّهِ وَالْفَقْتُ» [النصر: ١] يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سَبَحَنَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِنِي» يتناول القرآن، أي: يعمل به.

□ ثالثاً: التعني الثالث للتأويل □

صرف اللفظ عن ظاهره المتبارد منه إلى احتمال آخر مرجوح لدليل يقتضي ذلك، فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل على الصحيح فهذا تأويل فاسد، ومن ذلك تأويل المتكلمين لآيات وأحاديث الأسماء والصفات بدعوى التنزية لموافقة أدلتهم العقلية في قضية الأسماء والصفات، فهذا ليس بدليل تعارض به نصوص الكتاب والسنة، ودعوى التنزية لا تعارض الإثبات الذي عليه أهل السنة إذ إنهم لا يكيفون صفة ولا يشبهون الخالق بالمخلوق، لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]، فنفي التشبیه تنتزها للخالق مع إثبات صفتی السمع والبصر، وبالجملة فليس أدلة المتكلمين العقلية المأخوذة من علم الكلام بادلة تؤول أو تخصص أو تقييد بها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره بدليل شرعي صحيح في نفس الأمر، فهذا تأويل صحيح مقبول.

على أن التأويل الصحيح في النصوص عند أهل العلم يتطلب كذلك:

- أن يحتمل اللفظ لغة هذا المعنى المرجو.
- ورود ما يفيد وجوب هذا التأويل لظاهر النصوص الشرعية من النبي، إذ يمتنع اقتضاء صرف نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها بدون بيان وإرشاد من النبي ﷺ.
- بيان النبي ﷺ لذلك وأن ظاهر النص غير مراد.
- سلامه دليل التأويل من معارض. (انظر: أضواء البيان للشنقيطي، ونقض المنطق لابن تيمية ص: ٦٠، ٥٩).

□ صور من تعريف المبتدعة للنصوص □

تحريف النصوص ظاهرة خطيرة، وقع فيها كثير من المبتدعة، ولكن بنسب متفاوتة، وسلفهم في هذا اليهود، فقد وصفهم الله بقوله: «أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ

غُرُورًا وَأَنْوَشَاءِ رَبِّكَ مَا فَعَلُوهُ قَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ» [الأنعام: ١١٢]، والعبارة للمعنى لا لالفاظ فكم من باطل أقيم على دليل مزخرف عورض به دليل الحق. ومن أمثلة التحريف: تأويل المبتدة لآيات الصفات كتفسير صفة الغضب بإرادة الانتقام وتفسيرهم الرحمة بارادة الإنعام، وقولهم أن المراد باليدين النعمة أو القدرة، وكذلك تأويل الشفاعة والصراط والميزان، وعذاب القبر، ونحوها، وأسرف بعض القراءات والباطنية ومن نحا نحوهم حينما جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً، فجعلوا الظاهر: قرآن العامة، والباطن: قرآن الخاصة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «التأويل المذموم هو: تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك». (الفتاوى ٣٧٦٧)

وقال أيضًا: «هذا التأويل في كثير من الموضع أو أكثرها واعتها من باب تحريف الكلم عن موضعه، من جنس تأويلات القراءات والباطنية، وهذا التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ورموا في أثارهم بالشعب». (الفتاوى ٤٩٤)

قال ابن القيم رحمه الله عن خطورة التأويل: «أصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دليل على أن الله أراده، وهل اختالف الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟! وهل أريقت دماء المسلمين في الفتنة إلا بالتأويل؟! وليس هذا مختصاً بدين الإسلام فقط بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد». (إعلام الموقعين ٤/٢٥٠).

■ علماء أنصار السنة يحذرون من خطورة التأويل الفاسد على المنهج ■ يقول العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (أحد علمائنا البارزين)، محذراً من خطورة التأويل الفاسد على المنهج:

بَلِ اليهودَ بِأَنْ يَقُولُوا حَطَةٌ فَأَبْيَا وَقَالُوا حَنْطَةٌ لِهَوَانٍ
وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قَيْلَ لِهِ اسْتَوْى
فَأَنِي وَزَادَ الْحَرْفُ لِلنَّقْصَانِ
نُونَ الْيَهُودَ وَلَمْ جَهْمِيُّ هَمَّا
فِي وَحِيِّ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
وَقَدْ كَانَ الْمُعْتَلَةُ يَحْرُفُونَ كَثِيرًا مِنَ النَّصْوصِ،
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «وَرُسْلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ
عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلٍ وَرُسْلًا لَمْ تَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤].

حيث يقرؤون لفظ الجاللة بالنصب، لكي يوافق مذهبهم الباطل في نفي صفة الكلام لله عز وجل.

ومن لطائف الأجوية العلمية المفحة للرد عليهم: أن أحد المعتزلة قال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: «وكلم الله موسى» بحسب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله؛ فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا. فكيف تصنع بقوله تعالى: «ولِمَ جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَ رَبَّهُ» [الأعراف: ١٤٣]؟ فبمثابة المعتزلي؟

□ النوع الثاني: تعریف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه □

والمقصود به: صرف اللفظ عن ظاهره، وما يفهمه كل عربي عن معناه، وهو الذي يسميه بعض المتأخرین بالتأويل، وهو أكثر خفاء من النوع الأول، وباب التأويل الفاسد وغير المستساغ بباب عريض دخل منه الزنادقة لهدم الإسلام، حيث حرروا النصوص وصرفوها عن معانيها الحقيقة، وحملوها من المعاني ما يشتهون.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وبهذا تسليط المحركون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف: تأويلاً، تزييناً له وزخرفة، ليقبل. وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ تَبَيَّنَ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْأَنْسُ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَيْكُمْ بِعَضُّ زُخْرُفِ الْقُولِ

الأعمال؟
أم عقل من قالوا بوحدة الوجود... إلخ؟
ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله
إذ يقول: «ثم المخالفون لكتاب والسنة، وسلف الأمة
من المؤتون لهذا الباب في أمرٍ مريج، فإن من أنكر
الرؤبة يزعم أن العقل يحيطها، وأنه مضططر فيها إلى
التأويل، ومن يحيط أن للله علمًا وقدرة، وأن يكون
كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول: إن العقل أحال
ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من يذكر حقيقة حشر
الأجساد والأكل والشرب الحقيقيين في الجنة يزعم
أن العقل أحال ذلك وأنه
مضططر إلى التأويل، ومن

يزعم أن الله ليس فوق
العرش يزعم أن العقل أحال
ذلك وأنه مضططر إلى
التأويل.

ويكفيك دليلاً على
فساد قول هؤلاء أنه ليس
لوحدتهم قاعدة مستمرة
فيما يحيطه العقل، بل منهم
من يزعم أن العقل جوزَ
وأوجب ما يدعى الآخر أن
العقل أحاله، فياليت
شعري، بأي عقل يوزن
الكتاب والسنة؟

فرضي الله عن الإمام
مالك حيث قال: أو كلما
جاءنا رجل أجدل من رجل
تركتنا ما جاء به جبريل إلى
محمد ص¹⁹ «مجموع
الفتاوى».

هذا وإن فريقاً من

قدسوا عقولهم، وخدعوهم أنفسهم، واتهموا سنة
نبيهم، قد أنكروا رفع الله نبيه عيسى ابن مريم إلى
السماء حيًّا بدئناً وروحاً، وزنوله آخر الزمان حكماً
عدلاً، لا لشيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون
ردها إلى المحكم منها، واتبعاً لما ظنوه دليلاً عقلياً،
وهو ما هو إلا وهم وخيال، وردوا ما ثبت من سنته
النبي ص نزولاً على ما أصلوه من أنفسهم من أن
العقائد لا يستدل عليها بأحاديث الأحاديث، واتهموا
بعض الصحابة فيما نقلوا من الأحاديث، وفي ذلك
جريدة على الثقات من أهل العلم والعرفان دون حجة
أو برهان.

والحديث بقية إن شاء الله تعالى.

ولا يغرن إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل
وسعنة في التفكير، وببسطة في العلم فيجعل عقله
أصلاً، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعاً، فما
وافق منها عقله قبله واتخذه ديناً، وما خالفه منها
لوى به لسانه وحرفه عن موضعه، وأوله على غير
تأويله إن لم يسعه إنكاره، وإلا رده ما وجد في ظنه
إلى ذلك سبيلاً - ثقة بعقله - واطمئناناً إلى القواعد
التي أصلها بتفكيره واتهامه لرسول ص أو تحديداً
لمهمة رسالته وتضييقاً لدائرة ما يجب اتباعه فيه
واتهاماً لثقاقة الأمة وعدولها، وأئمة العلم وأهل

الأمانة الذين نقلوا إلينا
نصوص الشريعة،
ووصلت إلينا عن
طريقهم قولًا وعملاً.

فإن في ذلك قلبًا
للحقائق، وإهدارًا
للإنصاف مع كونه ذريعة
إلى تقويض دعائم
الشرعية وإلى القضاء
وعلى أصولها.

إذ طبائع الناس
مختلفة واستعدادهم
الفكري متغيرة وعقولهم
متباينة، وقد تتسلط
عليهم الأهواء، ويشوب
تفكيرهم الأغراض، فلا
يكادون يتفقون على
شيء للهم إلا ما كان من
الحسينيات أو
الضروريات.

فأي عقل من العقول
يُجعل أصلاً يحكم في
نصوص الشريعة فتردد أو تنزل على مقتضاه فهماً
وتأوياً.

أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة
الفوضى وإباحة الدماء؟

أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء
والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القول
بالجبر؟

أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص
أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار
رؤية المؤمنين ربهم يوم القيمة؟

أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات،
والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على

لقد حرف العبدوبة النصوص فأفسدوها، فأولوا صفة الرحمة بإرادة الإنعام، وصفة الغضب بإرادة الاتقام، وأن المراد باليدين النعمة أو القدرة، وذلك تبعاً لما أسسوه من قواعدهم العقلية الفاسدة.

التأويل بين

يتعلق بالعبادات مثلاً فأنتي به المكلف في الجملة، ذكر الله والدعاء والتواfwل المستحبات وما أشبهاها مما يعلم من الشارع فيه التوسيعة، كان الدليل عاصداً لعمله من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإن أنتي المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص، أو مقارناً ل العبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية، أو الزمان، أو المكان، مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه، كان الدليل بمعرض عن ذلك المعنى المستدل عليه».

ثم يذكر الشاطبي مثلاً على ذلك فيقول: «إذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله فالالتزام قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت واحد، أو في وقت معلوم مخصوص من سائر الأوقات، ولم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملزّم، بل فيه ما يدل على خلافه، لأن التزام الأمور غير الالزمة شرعاً شأنها أن تقييد التشريع، وخصوصاً مع من يقتدي به في مجتمع الناس كالمساجد، فإنها إذا ظهرت هذا الظهور، ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ في المساجد وما أشبهها كالاذان وصلوة العبيدين والاستسقاء والكسوف فهم منها بلا شك أنها سنن، إذا لم تفهم منها الفرضية، فاحرر لا يتواfwلوا الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعاً محدثة بذلك».

قال أبو موسى رضي الله عنه لابن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أتفقاً أمراً أكترته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال: فما هو؟ فقال: إنْ عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقولون: كبروا مائة فيكبّرون مائة، فيقولون: هلّوا مائة فيهلالون مائة، ويقولون: سبّحوا مائة فيسبّحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وأنتظار أمرك، قال: أفلأ أمرتُهم أن يدعوا سيناتِهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسانتِهم؟ ثم مضى ومضى معاً حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكُم تصنّعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعدُ به التكبير والتهليل والتسبّيح، قال: فدعوا سيناتِكم فآتاني ضامن أن لا يضيع من حسانتِكم شيء، وبحكم يا أمّة محمدٍ؛ ما أسرع هلاككم هؤلاء صحابةٌ ثبِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وهذه ثيابه لم تبدل، وأنيتها لم تُكسَر، والذي تفسي بيده إنكَ لعلى ملة هي أهدى من ملة محمدٍ أو مفتتحو بابِ ضلالٍ!! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما



الحمد لله، والصلوة والسلام

على رسول الله، وعلى آله وصحبه

ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن معنى التأويل وأنواعه، وقلنا: إن التأويل ليس مذموماً كله، وعن تحرير النصوص عند المبتدعة، وذكرنا منه نوعين: تحرير اللفظ وتحريف المعنى مع بقاء اللفظ، وفي هذا العدد نكمل الحديث - بعون الله تعالى - عن النوع الثالث للتحريف:

ولا وهو:

○○ تحرير الأدلة عن مواضعها ○○

هذا النوع من التأويل من الانواع الخفية جداً، وقد يقع فيه كثير من يزيد الخير وهو قليل البصاعة في العلم والفهم، كما أنه مدخل واسع لكثير من البدع، نسأل الله السلامة.

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام في شرح هذا النوع من التحرير: «يرد الدليل على مناطق فيصرف عن ذلك المناطق إلى أمر آخر موهماً أن المناطقين واحد، وهو من خفيات تحرير الكلم عن مواضعه، والعياذ بالله».

ثم قال: «وببيان ذلك: أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة مما

أهل السنة والمتبرّعة

الحلقة الثانية

إعداد / معاوية محمد هيكل

أردنا إلا الخير، قال: وَكُمْ مِنْ مُرِيدِ الْخَيْرِ لَنْ يُصِيبِهِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِرُ تَرَاقِيهِمْ، وَأَيْمَنَ اللَّهِ مَا أَمْرَى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَةً أُولَئِكَ الْحَلْقَ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانَ مَعَ الْخَوَارِجِ السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ.

فَهُؤُلَاءِ آتُوا بِالذِّكْرِ الشَّرِعيِّ، لَكُنْ صَاحِبَهُ صَفَةٌ وَهِيَئَةٌ وَعَدْدٌ لِيُسَ وَارِدًا فِي الشَّرِيعَةِ، فَاعْتَبَرَهُ ابْنُ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ افْتِنَاحَ لَبَابِ ضَلَالَةِ.

بِرَاءَةِ أَهْلِ السَّنَةِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْتَّعْطِيلِ وَالْتَّمْثِيلِ وَالْتَّشْبِيهِ التَّعْطِيلُ بِمَعْنَى التَّخْلِيةِ وَالتَّرْكِ؛ كَوْلُهُ تَعَالَى: «وَيَسِّرْ مُعْظَلَةً» [الحج: ٤٥]، أَيْ: مَخْلَةٌ مَتْرُوكَةٌ.

وَالْمَرَادُ بِالْتَّعْطِيلِ: إِنْكَارُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ، سَوَاءٌ كَانَ كَلِيًّا أَوْ جَزِئِيًّا، وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِتَحْرِيفٍ أَوْ بِجَحْدٍ، هَذَا كُلُّهُ يُسَمِّي تَعْطِيلًا.

فَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يَعْطَلُونَ أَيْ اسْمٍ مِنْ اسْمَاءِ اللَّهِ، أَوْ أَيْ صَفَةٍ مِنْ صَفَاتِ اللَّهِ وَلَا يَجْحُدوْنَاهَا، بَلْ يَقْرُونَ بِهَا إِقْرَارًا كَامِلًا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ؟ قُلْنَا: التَّحْرِيفُ فِي الدَّلِيلِ وَالْتَّعْطِيلُ فِي الْمَدْلُولِ؛ فَمَثَلًا:

إِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ» [الْمَائِدَةَ: ٦٤]، أَيْ: بَلْ قَوْتَاهُ هَذَا مَحْرَفٌ لِلْدَلِيلِ، وَمَعْطَلٌ لِلْمَرَادِ الصَّحِيحِ؛ لَأَنَّ الْمَرَادَ الْيَدَ الحَقِيقِيَّةَ، فَقَدْ عَطَلَ الْمَعْنَى الْمَرَادَ؛ وَأَثْبَتَ مَعْنَى غَيْرِ الْمَرَادِ، وَإِذَا قَالَ: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ؛ لَا أَدْرِي! أَفَوْضُ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ؛ لَا أَثْبَتُ يَدًا حَقِيقِيَّةً، وَلَا يَدًا مَحْرَفًا إِلَيْهَا الْلَفْظُ، نَقُولُ: هَذَا مَعْطَلٌ، وَلَيْسَ بِمَحْرَفٍ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَغْيِرْ مَعْنَى الْلَفْظِ وَلَمْ يَفْسُرْهُ بِغَيْرِ مَرَادِهِ، لَكِنْ عَطَلَ مَعْنَاهُ الَّذِي يَرَادُ بِهِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ الْيَدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ يَتَبَرَّعُونَ مِنَ الطَّرِيقَتَيْنِ: الطَّرِيقَةِ الْأُولَى: الَّتِي هِي تَحْرِيفُ الْلَفْظِ بِتَعْطِيلِ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ الْمَرَادِ إِلَى الْمَعْنَى غَيْرِ الْمَرَادِ، وَالطَّرِيقَةِ الثَّانِيَّةُ: وَهِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ التَّفْوِيْضِ؛ فَهُمْ لَا يَفْوَضُونَ الْمَعْنَى كَمَا يَقُولُ الْمَفْوَضَةُ بِلِ يَقُولُونَ: نَحْنُ نَقُولُ: بَلْ يَدَاهُ؛ أَيْ يَدَاهُ الْحَقِيقِيَّاتِ مَبْسُوطَاتٍ، وَهُمَا غَيْرُ الْقُوَّةِ وَالنَّعْمَةِ.

فَعُقِيْدَةُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ بِرَيْئَةِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْتَّعْطِيلِ، وَبِهَا نَعْرِفُ ضَلَالًا أَوْ كَذِبًا مِنْ قَالُوا: إِنَّ طَرِيقَةَ السَّلْفِ هِي التَّفْوِيْضُ.

فَالَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مَذَهَبَ أَهْلِ السَّنَةِ هُوَ التَّفْوِيْضُ؛ أَخْطَلُوا؛ لَأَنَّ مَذَهَبَ أَهْلِ السَّنَةِ هُوَ إِثْبَاتُ الْمَعْنَى وَتَفْوِيْضُ الْكِيْفِيَّةِ، وَلِيَعْلَمُ أَنَّ القَوْلَ بِالْتَّفْوِيْضِ كَمَا قَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تِيمِيَّةَ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْإِلْحَادِ: [شَرِّ الْوَاسِطِيَّةِ لِلشِّيْخِ ابْنِ عَثِيمِيْنَ].

أَمَّا التَّمْثِيلُ فَهُوَ كَالْتَشْبِيهِ، وَهُوَ اعْتِقَادُ مِشَابَهَةِ الْخَالِقِ بِالْمُخْلُوقِينِ، وَتَمْثِيلُ صَفَاتِهِ بِصَفَاتِهِمْ، وَهُوَ يَنْقُسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: تَشْبِيهُ الْمُخْلُوقِ بِالْخَالِقِ، وَذَلِكَ كَتْشِبِيهُ النَّصَارَى الْمَسِيحِ ابْنِ مَرِيمٍ بِاللَّهِ، وَكَتْشِبِيهِ الْيَهُودَ عَزِيزًا بِاللَّهِ، وَكَتْشِبِيهِ الْمُشْرِكِينَ أَصْنَامَهُمْ بِاللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عَلَوًا كَبِيرًا.

الثاني: كتشبيه المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، فيقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق، ونحو ذلك، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

براءة أهل السنة من تكثيف صفات الله عز وجل التكثيف: هو أن تذكر كيفية الصفة، ولهذا تقول: كييف يكثيف تكثيفاً، أي ذكر كيفية الصفة. والفرق بين التكثيف والتمثيل: أن التكثيف: أن يعتقد أن صفاته تعالى على كافية كذا، أو يسأل عنها بكيف، وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

قال الشيخ خليل هراس - رحمة الله: وليس المراد من نفي التكثيف نفي الكيف مطلقاً، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، وصفات الله عز وجل لها كيفية، ولكن لا تصل إليها عقولنا كما قال تعالى: «لَيْسَ كَمُتْلَهُ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]. وقال تعالى: «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» [مريم: ٦٥]، ولكن المراد من نفي الكيف نفي علمنا بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته عز وجل إلا هو سبحانه، ولما سئل إمام دار الهجرة عن قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوْى» [طه: ٥]، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. (شرح الواسطية).

﴿اعترافات علماء الكلام بنـم التأويل الكلامي﴾

وشهد شاهد من أهلها، فقد أدان علماء الكلام أنفسهم وندموا على اشتغالهم بعلم الكلام وتبرعوا بما قالوا فمن ذلك:

قال الرازى في آخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي علياً ولا تروي علياً، ورأيت أقرب الطرق: القرآن، أقرأ في الإثبات: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوْى» و«إِلَيْهِ يَصُعدُ الْكَلْمَ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُهُ»، وأقرأ في النفي: «لَيْسَ كَمُتْلَهُ شَيْءٌ» و«وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»، و«هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» ثم قال: «من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». (شرح العقيدة الطحاوية).

وقال أيضاً:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا

وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال أبو المعالي الجوني: «لقد خضت البحر الخضم، وغضت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهو بـا من التقليد، والآن فقد رجعت إلى الكلمة الحق بلطيف بره فأ茅ت على دين العجائـن، ويختـم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص، فاللـوـلـلـابـنـالـجـوـيـنـيـ».

وقال أيضاً: يا أصحابنا لا تستغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال أبو حامد الغزالـي - عـفـا اللـهـ عـنـهـ: من أشد الناس غـلـواـ وإـسـرـافـاـ طائفة من المتكلمين، كـفـرـواـ عـوـامـ الـمـسـلـمـينـ، وزـعـمـواـ أـنـ مـنـ لـاـ يـعـرـفـ الـكـلـامـ مـعـرـفـتـنـاـ وـلـمـ يـعـرـفـ الـعـقـائـدـ الشـرـعـيـةـ بـاـدـلـتـهـاـ التـيـ حـرـرـنـاـهـاـ فـهـوـ كـافـرـ، فـهـؤـلـاءـ ضـيقـواـ رـحـمـةـ اللـهـ عـلـىـ عـبـادـهـ أـوـلـاـ، وـجـعـلـواـ الـجـنـةـ وـقـدـاـ عـلـىـ شـرـذـمـةـ يـسـيرـةـ مـنـ الـمـتـكـلـمـينـ.

﴿ قال الرازى في آخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية رأيتها تشفي علياً ولا تروي علياً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق القرآن ودرأت أقرب الطرق القرآن ﴾

وقال أيضًا: وأما الخلافيات التي أحدثت في العصور المتأخرة، وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلاً في السلف، فإياك أن تحوم حولها، واجتنبها اجتناب السم القاتل، فإنها الداء العضال واحترز من شياطين الإنس، فإنهم أراحو شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلal.

وقال أيضًا في كتابه «إلحاد العوام عن علم الكلام»: «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف، أعني الصحابة والتابعين».

ثم قال: «إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسلمه أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل».

ثم بينها فقال: الأول من تلك الأصول أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم.

الأصل الثاني: أنه بلغ كما أوحى إليه ولم يكتم منه شيئاً.

الأصل الثالث: أن أعرف الناس بمعاني كلام الله وأحرامهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه وحضرروا التنزيل.

الأصل الرابع: أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عمرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ودعوا إليه أولادهم وأهلهm.

ثم قال الغزالى: «وبهذه الأصول الأربع المسلمة عند كل مسلم نعلم بالقطع أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه». اهـ. (انظر أصوات البيان للشنقيطي، والمنتظم لابن الجوزي ٩ / ١٧).

وبعد، فقد بان واتضح أن أساطيرن القول بالتأويل الكلامي الفلسفى قد اعترفوا بأن تأويلهم لا مستند له، وأن الحق هو اتباع منهج السلف، فللهم الحمد والمنة.

وختاماً فعقيدة انصار السنة في هذا الباب مصدرها القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة، فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدراً في معرفة ذلك، ولا يجوز تشبيه الله بخلقه ولا تعطيل صفة من صفاتاته سبحانه، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدًا»، وقال تعالى: «لَئِنْ كَفَّتِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»، والكاف عن التأويل في هذا الباب هو إجماع السلف لا تجوز مخالفته إذ إجماعهم حجة على من بعدهم، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

والتأويل بدعة وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن إثبات ذات الرب إثبات وجود، لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف، والسلف يثبتون الصفة دالة على معناها، مع تفويض الكيفية إلى الله تعالى، فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض معنى، ومن نسب إليهم تفويض المعنى وأن آيات الصفات من المتشابه بمعنى أنه لا يعلم معناها بالكلية، وأن ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف.

فالخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عقيدة أنصار السنة في باب الأسماء والصفات مصدرها القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة فنؤمن بكل ما وصف الله عز وجل به نفسه ووصفت به رسوله ﷺ

رَحْمَةٌ وَمَا أَحَدَتْ فِيهِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على إمام الأنبياء

والمرسلين، وعلى الله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أهلنا شهر كريم مبارك، جعله الله عز وجل مستوراً عـاـ

لـالـقـرـيـاتـ وـالـطـاعـاتـ وـفـضـائـلـ الـأـعـمـالـ،ـ لـكـنـهـ كـغـيرـهـ مـنـ الشـهـورـ لـمـ يـسـلـمـ مـنـ عـبـثـ الـمـبـدـعـةـ،ـ الـذـيـنـ أـحـدـثـواـ فـيـهـ مـاـ لـيـسـ مـنـهـ،ـ مـنـ بـدـعـ وـمـخـالـفـاتـ،ـ وـلـمـ يـسـعـهـمـ مـاـ وـسـعـ السـلـفـ الصـالـحـ؛ـ فـصـرـفـوـاـ بـذـلـكـ النـاسـ عـاـ فـيـهـ مـنـ أـعـمـالـ الـبـرـ وـعـظـيمـ الـأـجـرـ،ـ لـذـاـ وـجـبـ التـنبـيـهـ وـالـتـحـذـيرـ مـنـ هـذـهـ الـبـدـعـ وـالـمـخـالـفـاتـ،ـ حـتـىـ يـسـلـمـ لـنـاـ دـيـنـاـ،ـ وـيـرـضـيـ عـنـاـ رـبـنـاـ،ـ فـنـقـولـ وـبـالـلـهـ تـعـالـىـ التـوـقـيقـ:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان، فأخذنا بضبعي - عضدي - فأتيا بي جبلاً وعراً، فقالا: اصعد». فقلت: «إنني لا أطيقه»، فقال: إنما سنسهل لك، فصعدت، حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قال: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعرaciهم، مشقة أشداقهم، تسيل أشداهم دماء، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم». [آخرجه ابن خزيمة، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٤٢٠ / ١].

فإذا كان هذا وعيد من يفطرون قبل غروب الشمس فكيف بمن يفطر اليوم كله؟

قال الحافظ الذهبي رحمة الله: «وعند المؤمنين مقرر: أن من ترك صوم رمضان بلا عذر أنه شر من الزانبي ومدمن الخمر، بل يشكرون في إسلامه، ويظنون به الزندقة والإخلال».

وإذا كانت هذه عقوبة من تهاونوا في أداء فريضة الصوم فكيف بمن غيروا وبذلوا وحرفوا فأولوا معانها فأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه كحال الذين قالوا بإسقاط التكاليف الشرعية من الصوفية ودرجات الشيعة والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود و المجالهم ابن عربي التكرة.

صورة من صوم أهل الضلال

1- يقول الحاج شيخ الحلولية: إن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات، أجزاء ذلك عن صيام رمضان، ومن صلى في ليلة

١- البدع المتعلقة برؤية هلال رمضان

من المحدثات في شهر رمضان ما تفعله العامة في بعض البلدان الإسلامية من رفع الأيدي إلى الهلال عند رؤيته يستقبلونه بالدعاء قائلاً: «هل هلالك، جل جلالك، شهر مبارك». ونحو ذلك، مما لم يعرف له أصل في الشرع، بل كان من عمل الجاهلية وضلالتهم. والذي ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربى وربك الله، هلال رشد وخير». [رواوه الترمذى وصححه الألبانى].

فما يفعله بعض الناس عند رؤية الهلال لم يعهد في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - ولا السلف الصالح رحمة الله عليهم.

ومن ذلك أيضاً ما تفعله العوام، وأرباب الطرق الصوفية من الطواف في أول ليلة من رمضان في العاصم وبعض القرى المسماة بالرؤبة مع اشتغاله على قراءة الأوراد والأذكار، والصلوات مع اللطف والتلویش بضرب الطبول، واستعمال آلات الله، وزعزقات النساء وغير ذلك، مما هو مشاهد في بعض البلدان والاقطان الإسلامية. فإنه لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا أصحابه ولا أحد من السلف الصالح.

٢- جريمة الإفطار بغير عذر في رمضان

من أشنع البدع والمنكرات الجهر بالفطر في نهار رمضان، حتى وإن كان الفطر بسبب عذر شرعي، فلا يجوز الجهر به تعظيمًا لحرمات الله.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

من بدء ومخالفات

إعداد / معاوية محمد هيكل

ولن تستحق نحن وصف الخيرية هذا إلا إذا استقمنا على مثل ما استقاموا عليه، وسلكنا طريقهم رضي الله عنهم، ومن جملة ذلك تعجيل الفطر وتأخير السحور، كما قال ﷺ: «لا يزال الدين ظاهراً، ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون». [رواه الترمذى وحسنه الالباني].

وفيه بيان أن ظهور الدين إنما يتحقق بمخالفة طريقة المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، والاستقامة على ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وإذا كان اليهود والنصارى يؤخرون فطهرهم فلا يجوز لنا أن نتشبه بهم. وقال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، فإن اليهود يؤخرون». [رواه ابن ماجه وحسنه الالباني في صحيح الجامع ٦٩٥].

قال المناوى (٦ / ٣٩٥): «امتثالاً للسنة ومخالفة لأهل الكتاب حيث يؤخرون الفطر إلى ظهور النجوم، وفيه إيماء إلى أن فساد الأمور يتعلق بتغيير السنة، وأن تأخير الفطر علم على فساد الأمور». قال القسطلاني: «أما ما يفعله الفلاكيون من التمكين بعد الغروب بدرجة فمخالف للسنة فإذا قيل الخير». وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أخلاق النبي: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليدين على الشمال». رواه الطبرانى، وصححه الالباني في صحيح الجامع (٢٢٨٦). وقال ﷺ: «بكروا بالإفطار وأخرروا السحور». [صحيح الجامع: ٣٥٨].

١- بدء ومخالفات في صلاة التراويح

من تأمل أحوال بعض الناس اليوم في صلاة التراويح وقارنها بما كان عليه زمان تشريعها الأول يرى أنهم قد ذهبوا بكل مزاياها، وعطلوا معظم شعائرها وأحدثوا بدعى سيئة لم يشرعها الله - ورسوله، فنرى بعض أئمة المساجد - هداهم الله - ينقرنون الصلاة نقر الغراب ولا يطمئنون في رکوع ولا سجود، والذي يعد ركناً من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه، وقد ذكر العلماء أنه يكره

ركعتين من أول الليل إلى آخره، أجزاء عن الصلاة بعد ذلك. وإن من جاور مقابر الشهداء ومقابر قريش عشرة أيام يصلي ويبدعه ويصوم ثم لا يفتر إلا على شيء من خبز الشعير والملح والجريش، أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. [البداية والنهاية: ١١ / ١٥١].

٢- الإسماعيلية الباطنية:

وهم قوم قد انسلاخوا من دين الله بالكالية، ويدعون في مصر بالعبدية «الباطنية»، وفي الشام النصيرية والدروز، وفي الهند بالبهرة، وبالإسماعيلية، والكفر ملة واحدة؛ ذلك أنهم نظرفوا في تأويلاتهم الباطنية فذهبوا طوائف منهم إلى تاليه الأئمة وطرح فرائض الشرع، وفسروا الصلاة بأنها الاتجاه القلبى للإمام، وأن الصوم عدم إفشاء أسرار الدعوة، والحج زيارة الإمام، وأن الفجر هو المهدى المنتظر، وأن الأهلة هم الأئمة، والسماء هي الدعوة، والملائكة هم الدعاة. [دراسات عن الفرق ص ٢١٣]. وهذا على بن الفضل الإسماعيلي أعمى اتباعه من أداء الشعائر الإسلامية من صوم وصلاة وحج ودخل مدينة الجندي في أول خميس من رجب سنة ٢٩٢هـ فقصد المنبر وقال:

تولىنبيبنيهاش
وهذانبيبنييعرب
لكلنبيمضىشرعا
وهذهشريعةهذانبي
فقدحطعنافروضصلوة
وطحالصيامولميتع
إذاناسصلوافلانهض

وإنصوموافكليواشربي

[كشف أسرار الباطنية: ٨٢، ٨٣].
٢- بدء تأخير الفطر وتعجيل السحور والتشبّه بأهل الكتاب
لقد كان أصحاب النبي ﷺ أحرص الناس على الخير، ولذلك كانوا أعدل الناس فطراً وأخر الناس سحوراً، اكتملت فيه معانى الخيرية، ولذلك أثنى عليهم رب العزة من فوق سبع سماوات بقوله تعالى: «كُلُّتُمْ حَيْرَ أَمْمَةً أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ...»، وأثني عليهم النبي ﷺ بقوله: «خير الناس قرفي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». أخرجه البخاري ومسلم.

٥- الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح: وما أحدث في هذا الشهير الكريم ؛ الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح، ورفع المصلين أصواتهم بذلك، وفعل ذلك بصوت واحد، فذلك كله من البدع. وكذلك قول المؤذن بعد ذكرهم الحديث هذا: صلاة القيام أثابكم الله، فهذا أمر محدث لم يثبت عن النبي ﷺ.

٦- ما أحدث في دعاء قنوت الوتر: لقد انتشر وذاع في هذا العصر جملة من البدع والمخالفات في دعاء القنوت في الوتر حتى في أوساط البعض من أهل السنة مثل الإطالة الرائدة عن الحد والتطريب والتحريم وغير ذلك من الاعتداء في الدعاء، لذلك وجب أن نضع جملة من التنبيهات والضوابط حتى تسلم لنا هذه العبادة المباركة:

١- على الإمام القانت في: «صلاة الوتر» التزام اللهوالوارد عن النبي ﷺ الذي علمه سبطه الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فيدعوه به بصيغة الجمع مراعاة لحال المؤمنين، وتؤمنهم عليه، ونصله: «اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنك لا يذلُّ من واليت، ولا يعزُّ من عاديت، تبارك ربنا تعالىت، لا منجا منك إلا إلينك». (أبو داود والنسائي وصححه الألباني في قيام رمضان).

ومن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إنا نعوذ بربنا من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك». (رواه مسلم).

ثم يحل على النبي ﷺ كما ثبت عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - في آخر قنوت الوتر، منهم: أبي بن كعب، ومعاذ الانصاري - رضي الله عنهما -.

٢- ليحرص الإمام على أداء الدعاء بالكيفية الشرعية، بضراعة وابتهاج، وصوت بعيد عن التلحين والتطريب.

٣- إن زاد على الوارد المذكور، فعليه مراعاة ما يلي:

أن تكون الزيادة من جنس المدعو به في دعاء القنوت المذكور.
 وأن تكون الزيادة من الأدعية العامة في القرآن والسنة وإن لم يحفظها فيدعوا بما هو قريب منها.
 وأن يكون محلها بعد القنوت الوارد في حديث

للإمام أن يسرع سرعة تمنع المؤمنين فعل ما يسن فكيف بسرعة تمنعهم فعل ما يجب، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ في صلاة التراويح، فقد أخرج الشیخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنها وطولهن، ثم يصلي ثلثًا» رزقنا الله حسن التأسي بالنبي ﷺ.

٤- رفع الصوت بالبكاء في الصلاة إلى حد الصراخ والعويل:

وليس هذا من هدي السلف رضي الله عنهم، فقد كان نبينا ﷺ إذا قرأ القرآن سمع لصدره أزيز كازيز الرجل، فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «أنت النبي ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كازيز الرجل، يعني يبكي». [آخرجه أبو داود، وقولي إسناده الحافظ في الفتح ٤٢ / ٢، وقال عبد الله بن شداد: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف يقرأ: «إِنَّمَا أَشْكُوْتَنِي وَحْزُنِي إِلَى اللَّهِ» [ذكره البخاري تعليقاً - الفتح ٢ / ٢٤١]. فعلى المسلم أن يجاهد نفسه على الخشوع في صلاته وأن يخفى صوته في البكاء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٥- تهاون البعض وعدم اعتنائهم بصلاة التراويح:

حيث ينتظرون الإمام حتى يركع، فإذا رکع دخلوا معه في الصلاة، وهذا العمل فيه ترك لتابعة الإمام وتفويت لكتيبة الإحرام وقراءة الفاتحة، فلا يليق بالمسلم فعل ذلك ؛ لما فيه من استهانة بأمر الصلاة، وكذلك تكاسلهم عن إتمام التراويح مع الإمام فيكتفون ببعض الركعات مع الإمام ثم ينصرفون إلى أعمالهم، وفي هذا تضييع لأجر عظيم وخير كثير قال رسول الله ﷺ: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة». (الصحيح رواه أصحاب السنن).

٦- بدعة سرد آيات الدعاء ومن البدع التي أحدثت في رمضان بدعة سرد جميع ما في القرآن من آيات الدعاء، وذلك في آخر رکعة من التراويح، بعد قراءة سورة الناس فيقطع الرکعة الثانية عن الأولى.

وكذلك الذين يجمعون آيات يخصونها بالقراءة ويسمونها آيات الحرث، ولا أصل لشيء من ذلك. فليعلم الجميع أن ذلك بدعة، وليس شيء منها من الشريعة، بل هو مما يوهم أنه من الشرع وليس منه.



والنسائي وأحمد وصححه

اللبناني]. فهل يليق بأمرأة

تؤمن بالله واليوم الآخر جاءت إلى

المسجد لتعبد ربها وتطلب منه العفو

والمغفرة أن تقع في مثل هذه الأمور التي

تغضب ربها وتستجلب سخطه.

٢- بعض النساء يترنن الصلاة أبداً في

رمضان وغيره، ويحافظن كل المحافظة على صيام

رمضان، حتى وهن حيض فيصمن طوال النهار

الصيام المحرم وقبيل الغروب - يجرهن صيامهن

بزعمهن - على لقمة أو جرعة ماء، فواعجبأً لهن،

يأمرهن الله بالصلاحة فيعصيه ولا يصلين، ويحرم

عليهن الصيام وهن حيض فيفرضنه على أنفسهن

جهلاً وضلاً. واللوم في ذلك على رجالهن إذ لو

عرفوا بذلك لعلموا نساعهم وأولادهم. «السنن

والمبتدعات».

٣٠ بدع متعلقة بوداع رمضان

١- ومن الأمور المحدثة المتعلقة بوداع رمضان،

ما يفعله بعض الخطيباء في آخر جمعة من رمضان،

من ذنب فراقه كل عام، والحزن على مضييه، وقوله: لا

أوحش الله منك يا شهر الصيام، ويكرر هذه

التوحيديات مسجعات مرات عديدة، ومن ذلك قوله:

لا أوحش الله منك يا شهر المصايف، لا أوحش الله

منك يا شهر المفاتيح، فتأمل هدانا الله وإياك لما أنت

إليه الخطب، لا سيما خطبة آخر هذا الشهر الجليل،

الناس فيه بحاجة ماسة إلى آداب يتعلمونها مما

يستقباهم من صدقة الفطر، ومواساة الفقراء،

واستثمار ما ينتجه الصوم من الأمور الفاضلة

والآثار الحميدة، وتجنب البدع وغير ذلك مما

يقتضيه المقام. (السنن والمبتدعات ص ١٦٥).

٢- بدعة صلاة ليلة عيد الفطر ويومه:

ونذكروا أنها مائة ركعة بالفاتحة والإخلاص عشر

مرات ويستغفر بعدها مائة مرة... إلخ حديث طويل

ذكره السيوطي في الالكي، وقال: موضوع.

والحديث المشهور على الآلسنة: «من أحيا ليلة

الفطر والأضحى، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

(قال اللبناني: موضوع، كما في «الضعيفة» (٥٢٠)).

وكذلك حديث: «من قام ليلتي العيددين محتسباً لم

يمت قلبه يوم تموت القلوب». قال اللبناني: موضوع، كما

في «الضعيفة» (٥٢١).

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب

علينا إنك أنت التواب الرحيم...»

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحسن، وقبل الوارد في حديث علي رضي الله عنهما. وأن لا يتخذ الزيارة فيه شعاراً يداوم عليه.

وأن لا يطيل إطالة تشق على المأمورين.

ومن ذلك دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه وهو: «اللهم إنا نستعينك ونستغفك،

ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخلع من يفحرك، اللهم إياك

نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعي ونحلف،

نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكافار

مُلْحق».

اللهم عذب الكفارة الذين يصدون عن سبيلك،

ويذكرون رسلك، ويقاتلون أوليائك، ولا يؤمنون

بوعدك، وخالفون كلمتهم، وألق في قلوبهم الرعب،

وألق عليهم رجزك وعذابك، إله الحق.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين

والمسلمات، وأصلاح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم،

وأجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة

رسول الله ﷺ، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك، الذي

عاهدمهم. اهـ. (باختصار من تصحيح الدعاء للدكتور بكر

أبو زيد، رحمة الله، ص ٤٦٢-٤٦٣).

٣١ بدعة دعاء ختم القرآن في الصلاة

لم يرد دليل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من

صحابته يدل على مشروعية دعاء ختم القرآن في

الصلاحة من إمام أو منفرد قبل الركوع أو بعده في

الترويع أو في غيرها، وكذلك ما أحدث بعد الختم

من رفع الأصوات والصرخ والتحبيب، وذلك مخالف

للسنة المطهرة.

٣٢ بدعة استغلال القراءة لتلاوة القرآن في البيوت في رمضان

أما ما اعتاده البعض من السهر في ليالي

رمضان في غير بيوتهم لتلاوة القرآن بأجرة فهو

بدعة سواء قصدوا بذلك حصول البركة لهذه البيوت

ولأهلها، أو قصدوا هبة ثواب ما قرأوا لأهلها أحياء

وأمواتاً، فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله، فكان

بدعة محدثة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وعلى هذا

فلا أجر من فعله، ولا من ساعد عليه، بل عليه وزر

لابتداعه وإحداثه في الدين ما ليس منه. (فتاوي

اللجنة الدائمة رقم: ٥٠٤٩).

٣٣ مخالفات تقع من بعض النساء

١- خروج المرأة إلى صلاة التراويح متعرضة

متzinنة، وهذه مخالفة عظيمة، وكبيرة من كبار

الذنوب؛ إذ حيث حذر النبي ﷺ من هذا السلوك

المعيب فقال: «إيما امرأة استعطرت فمررت على قوم

ليجدوا ريحها فهي زانية» [أخرجه أبو داود والترمذى



الْهُمَّةُ الْعَالِيَّةُ فِي الْخَضُوعِ لِلَّهِ

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من سمات سلف هذه الأمة المبارك أنهم كانوا يتلقون نصوص الشرعية بهمة عالية واستسلام وإذعان للواحد الديان، وهذه السمة الإيمانية ما ترسخت في هذا الجيل المبارك إلا بالإيمان القوي والتربية الجادة، وقد دلت نصوص الشرعية على أهمية هذه السمة في حياة الفرد والأمة، قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُ مَنْ وَلَا مُؤْمِنٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكَّمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً

مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥].

ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: «أَمْنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمُلْأَكَتَهُ وَكُنْتُهُ وَرَسُلَهُ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عن جل: «لَا يُكَافِئُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنْ تَسْبِيَنَا أَوْ أَخْطَانَا» قال: «نعم» [رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْنَا عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» قال: «نعم» [رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» قال: «نعم» [وَاعْفْ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مُوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قال: «نعم» [رواه مسلم ص: ١٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: فتجوز لهم من حديث النفس وأخذوا بالأعمال.

أهمية هذه السمة الإيمانية

١- أن الغاية من الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنّة هي العمل بها بتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِتُطَاعَ بِإِنْ شَاءَ اللَّهُ» [النساء: ٦٤].

وقال تعالى: «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْهُوا» [الحشر: ٧]. قال الخطيب البغدادي: «والعلم يراد للعمل، كما يراد العمل للنجاة، فإذا كان

لقد ابتلى الله صحابة النبي ﷺ بآية في كتاب الله، وقفوا منها موقف المتلقى والمذعن لأمر ربهم والمشفع على نفسه من التقى، مع شعور قوي بعظم الأمانة الملقاة على عاتقهم في تلقي أحكام الشرعية؛ فظنوا أنهم عاجزون عن العمل بمقتضاهما، فراجعوا رسول الله ﷺ فيها إشفاقاً على أنفسهم لا اعتراضاً، ومع ذلك سمعوا وأطاعوا، فنسخ الله حكمها وبقي لفظها، وكم من سامع لها بعدهم من لا يغير النصوص اهتماماً ولا يظن أنها للامثال، بل يمر عليها ويرؤوها لا يلقي لها بالا ولا يحسب لها حساباً، ولا يقف عندها ليعرف معناها، بل يستوي الأمر عنده أنسخت الآية أم لم تنسخ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدِوْ مَا فِي نَفْسِكُمْ أَوْ تُخْفِوْ يَحْاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ يَعْفُرُ لِمَنْ يَسِعُ وَيَعْدِبُ مَنْ يَسِعُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [البقرة: ٢٨٤]. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم برکوا على الرك، فقالوا: أي رسول الله كُلْتُنا من الأعمال ما نطبق: الصلاة و الصيام و الجهاد و الصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، عفرانك

العلم قاصرًا عن العمل، كان العلم كلاً على العالم، ونعود بالله من علم عاد كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً». [اقتضاء العلم العمل: ١٥٨]

ولذلك قال الفضيل: إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً.

وقال أبو زرين: في قوله تعالى: «يَتَلَوْنَهُ حَقَّ تِلَاؤْتِهِ» [البقرة: ١٢١]، قال: يتبعونه حق اتباعه يعلمون به حق عمله.

٢- أن الله عاب على أمم سابقة ما تلقوا به النصوص الشرعية، فقال عنهم: «فَالَّذِي سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبْوْا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلُ» [البقرة: ٩٣].

وقال تعالى عن اليهود خاصة: «مَثُلُ الَّذِينَ حَمَلُوا النُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمُلُوهَا كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يُنْسِى مَثُلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [الجمعة: ٥].

وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَبْدَأُ فِرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» [البقرة: ١٠١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أشد الناس عذاباً يوم القيمة: عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود».

٣- أن الإعراض عن آيات الله بتعطيل أحكمها من أعظم صور الظلم، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرِضْ عَنْهَا» [الكهف: ٥٧].

٤- أن الإنسان محاسب وممسؤل يوم القيمة عن عمله كما ثبت من حديث أبي بزرة الإسلامي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيفوف». فقام رجل رث الهيبة فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فالقام، ثم مَشَى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل. (مسلم ح٦٠٢، والترمذى ح١٦٥٩).

٥- أخرج البخاري (٢٥١٧) من طريق سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال: قال لي أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «أيما رجل أعتق إمرءاً مسلماً استند اللهم بكل عضو منه عضواً منه من النار»، قال سعيد بن مرجانة: فانطلقت به إلى علي بن الحسين، فعمد علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبد له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف - أو ألف دينار - فأعنته.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سيرية في البحر، فبینما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا فوجهم هاتف يهتف: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم بقضاء قضاء الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبراً؛ قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاء

٦٠ نماذج مشرقة ومشرقية

من أسمى الصور التي تتحقق فيها سمة التلقي للتنفيذ، تلك الصور التي يتلقى فيها المؤمن الحث على أعمال مستحبة غير ملزم بفعلها، فيأخذها

- حرم الله عز وجل لحمه عن النار. قالت: فما تركتهنمنذ سمعتهن. (النسائي ١٧٨٩، وأحمد ٢٥٥٣٩).
- ١١- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفاته». (رواه البخاري ومسلم).
- قال ابن القيم - رحمة الله -: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الأولى من سورة البقرة». أخرجه أبو بكر بن أبي داود في «شريعة القارئ» بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.
- ١٢- قال البخاري: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام، إني لأرجو أن القى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً. (الطبقات للسبكي ٢/٩).
- ١٣- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». [رواه النسائي، وصححة الألباني في صحيح الجامع ٦٤٦].
- قال ابن القيم - رحمة الله -: «بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه» (الوايل الصيب ص ٢٢٩).
- ١٤- قال الإمام أحمد - رحمة الله -: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طبيبة ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت. (سير أعلام النبلاء ١١/٢١٣).
- ١٥- وهو هو أبو هريرة يوصيه النبي ﷺ بوصية في فعل المستحبات، فيفعلها أبو هريرة كأنها فروض وواجبات فيقول: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لست بatarken، أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الشخصي، فإنها صلاة الأولياء، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر». [صحيح الترغيب والترهيب].
- وإذا نظرنا إلى سلوك السلف رضوان الله عليهم وجدناهم كانوا يأخذون السنن والنواوel مأخذ الفرض والواجب حتى يموت الواحد منهم، فيسألون عن النواوel ليفعلوها ويستزيدوا بها لرفع درجاتهم وإرضاء ربهم جل وعلا.
- لكن أنساً في هذا الزمن يسألون: هل هو فرض أم سنة؟ يسألون عن السنة ليتركوها فهذا يريد أن تكون اللحمة سنة ليحلقها وأخرى تريد أن يكون الحجاب سنة لكي لا تحتجب، وأخرى يريد الخبائث مكرهة ليفعلها، فشنان شتان بين سلوك السلف، وسلوك الخلف، وقد أشار ربنا سبحانه بأنهم قدوتنا فقال: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلَ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدُوا». فسائل الله الهدایة من فضله، والحمد لله رب العالمين.

- الله يوم العطش. رواه البزار، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٢).
- وعن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه، قال: إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله عز وجل أن يرويه يوم القيمة. قال: وكان أبو موسى يتلو في اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسليخ فيه حرّاً فيصومه. رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.
- ٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما حق أمرئ مسلم له شيء يوصي فيه: يبيت ثلات ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة». قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي. (رواه أحمد: ٤٢٣٩، ومسلم: ٣٠٧٥).
- ٨- عن علي رضي الله عنه قال: أشتكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من الرحي في يدها، وأتى النبي ﷺ سبى، فانطلقت فلم تجده؛ فأخبرته عاشقة بمجيء فاطمة إليه، فجاء النبي ﷺ إليها و قد أخذنا مصاحبنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: «على مكانكم». فعقد بيتها، ثم قال: «الآن أعلمكم بما سالمتم؛ إذا أخذتما مصاحبنا: أن تكبوا الله أربعاء وثلاثين، وتسبحاً ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكم من خادم». قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ. قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. (مسلم: ٢٧٢٧، وأحمد: ٧٩٧، وأبو داود: ٤٤٠٣).
- ٩- قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد - يعني سليمان بن حيان - عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، قال: حدثني عنبرة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه (يسرا به) قال: سمعت أم حبيبة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى ثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة». قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبرة. قال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس. [مسلم: ٧٢٨، والنسائي: ١٧٧٣، وأبو داود: ١٠٥٩، وابن ماجه: ١١٣١، وأحمد: ٢٥٥٤٣].
- ١٠- عن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: من ركع أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها



اتبعوا ولا تبت عه

تَلْكِيَّلُ النَّاسِ مِنْ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فالحج ركن من أركان الإسلام، فرضه الله عز وجل على القادرين في العمر مرة، قال الله تعالى: «وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطاعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، وقد رتب الشرع الحنيف على الحج المبرور أجرًا عظيمًا وخيراً كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». متفق عليه.

ولكي يكون الحج مقبولاً، فلا بد من تحقيق أصلين:

الإخلاص لله عز وجل، ومتابعة النبي ﷺ.

وعبادة الحج كغيرها من العبادات لم تسلم من البدع والمخالفات التي أحدها المبتعون، وفي هذا المقال نخذر من هذه البدع والمخالفات؛ حتى يسلم لحجاج بيت الله حجهم، ويقبل الله طاعتكم، فنتكلم مستعينين بالله:

﴿أَوَلَا الْأَخْطَاءُ الْوَاقِعَةُ مِنْ قَصْدِ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ﴾

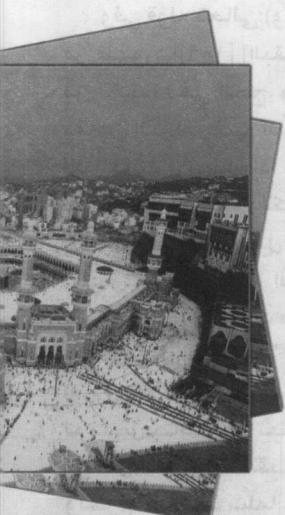
١- أن يكون مراده وقصده من أداء عبادة الحج والعمرة، أو غيرهما الذكر والمدح من الناس أو الرياء والسمعة، وهذا خطير عظيم يقدح في أصل التوحيد، قال رسول الله ﷺ: «من سمع، سمع الله به، ومن يراء يراء الله به». [رواه البخاري].

٢- اختيار رفقة غير صالحة لا تناسب، وهذه العبادة الجليلة من أهل الفسق والفحش والتجھيز عن الصلوات وأصحاب اللهو واللعب وكثرة المزاد، فإن هؤلاء وأمثالهم من يصرفون عن العبادة ويشغلون الأوقات الفاضلة في الزمن المبارك والمكان الحرام بما يضر ولا ينفع.

٣- بدل المأتم الحرام من الكسب الخبيث لأداء النسك، والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

٤- تأخير الحج والعمرة حتى يهرم الإنسان وتدركه الشيخوخة والعجز، والواجب المبادرة والمسارعة لقضاء فريضة الحج عند الاستطاعة المالية والبدنية، قال رسول الله ﷺ: «تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدم لا يدرى ما يعرض له». [صحيح الجامع: ٢٩٥٧].

٥- سفر المرأة وحدها أو مع نساء مثلها بلا حرم، فقد صح عن النبي ﷺ قوله: «لا يحل لامرأة أن تসافر إلا ومعها ذو حرم». [صحيح الجامع: ٧٦٤٦]. وجود المحرم للمرأة أمر ضروري في وجوب في الحج من جهة استطاعتها إليه، وكذا في العمرة. فإذا لم تجد محراً يسافر معها للحج أو العمرة فهي ليست من أهل التكليف



بطح الزارة والهداية

إعداد / معاوية محمد هيكل

١١- التلبية الجماعية للحجيج في صوت واحد جهراً، وهذا خلاف المشروع من تلبية كل محرم بمفرده.

٠٠ بدء وأخطاء تفعيف السعي والطواف

١- رفع الأيدي تحية للبيت عند رؤيته، والستة اللتزام بالوارد عند دخول المسجد الحرام، ونذلك بتقديم الرجل اليمنى وقول: بسم الله، اللهم صل على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك، ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء من الدعاء عند رؤية البيت الحرام.

٢- القول قبلة الكعبة: اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك، والأمن أمنك، وهذا مقام العائد بك من النار.

٣- التزام أدعية خاصة لكل شوط في السعي والطواف يقرؤها من كتب الأدعية المبتدعة، وقد يكون مجموعات فيهم يتلقونها من قارئ يقنتهم إياها يريدونها بصوت جماعي، وهذا خطأ من ناحيتين:

٤- التزام دعاء لم يرد في هذا الموطن للنبي ﷺ في السعي والطواف.

٥- الدعاء الجماعي بدعة وفيه تشوش على الطائفين، والمشروع أن يدعو كل نفسه وبدون رفع صوته.

٦- بعض الحاج يقبل الركن اليماني، وهذا خطأ؛ لأن الركن اليماني يستلم باليد فقط ولا يقبل، ولا يشار إليه عند الزحام.

٧- بعض الناس يزاحم لاستلام الحجر الأسود وتقبيله، وهذا غير مشروع؛ لأن الزحام فيه مشقة شديدة وخطر على الإنسان، وفيه فتنة بمراجحة الرجال النساء، والمشروع تقبيله واستلامه مع الإمكان وإذا لم يتمكن وأشار إليه.

٨- تخصيص الدعاء حال الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى بقولهم: «الله اجعله حجاً مبروراً، وذنباً مغفوراً، وسعيًّا مشكوراً، وتجارة لن تبور، يا عالم ما في الصدور». وهذا لا أصل له.

٩- ومن البدع اعتقاد البعض أن الحجر الأسود نافع بذاته، ولذلك تجدهم إذا استلموه مسحوا بأيديهم على أجسامهم وهذا جهل وضلال، فالنافع هو الله وحده، ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استلم الحجر: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

١٠- ذلك؛ لقول النبي ﷺ: «لا تلبسو شيئاً من الثياب مسه الرعنان ولا الورس». متفق عليه.

١١- من المخالفات ما يظنه كثير من الحاج أن الإحرام هو لبس الإزار والرداء بعد خلع الملابس، والصواب أن هذا استعداد للإحرام، لأن الإحرام هو نية الدخول في النسك.

١٢- بعض الرجال إذا أحرموا كشفوا أكتافهم على هيئة الأضطباط وهذا غير مشروع إلا في حالة: «طواف القدوم أو طواف العمرة» وما عدا ذلك يكون الكتف مستوراً بالرداء في كل الحالات.

١٣- بعض النساء يعتقدن أن الإحرام يتحذله لون خاص، كالأخضر أو الأبيض مثلاً، وهذا خطأ؛ لأنه لا يتعين لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام وإنما تحرم بثيابها المحشمة المعتادة إلا ثياب الزينة أو الثياب الضيقة أو الشفافة فلا يجوز لها لبسها لافي الإحرام ولا في غيره.

١٤- بعض النساء إذا مرت بالمقيمات ترید الحج أو العمرة وأصابها الحيض قد لا تحرم ظناً منها أو من وليهما أن الإحرام تشترط له الطهارة من الحيض فتقتجاوز المقيمات بدون إحرام، والصواب أن الحائض تحرم وتفعل ما يفعل الحاج غير الطواف بالبيت فإنها تؤخره إلى أن تطهر، كما وردت به السنة، وإذا أخرت الإحرام وتجاوزت المقيمات بدونه فإنها إن رجعت إلى المقيمات وأحرمت منه فلا شيء عليها وإن لم ترجع فعليها دم لترك الواجب عليها.

١٥- يظن بعض الناس أن المحيط الذي منع منه المحرم هو كل ما كان فيه خيوط وهذا فهم خاطئ بل المراد بالمحيط ما كان مفصلاً على حجم العضو من رأس وذراع وقدم وغيره.

١٦- ومن المخالفات ما يعتقد بعض الحاج من أن لباس الإحرام الذي تلبسه عند المقيمات لا يجوز تغييره وغسله، بل يجوز تغييره وغسله.



تطوعاً.

٥- كثير من الحجاج بعد العصر ينشغل بالرحيل، مع العلم أنه أفضل وقت للدعاء، وهو وقت مباهاة الله عز وجل.

٦- يعتقد بعض الحجاج أن وقفة عرفة يوم الجمعة تعدل اثنين وسبعين حجة، وليس على ذلك أثارة من علم.

٧- خاتماً: الأخطاء التي تقع بمذلة عرفة

١- من الحجاج من إذا وصل مزدلفة يبدأ بجمع الحصى والمشروع الذي عليه هديه **البيهقي** البداء بالأذان ثم إقامة صلاة المغرب ثم العشاء، وحصى الجمار لا يتشرط جمعها من المزدلفة وإنما من أي مكان في الطريق أو من مني، ونذكر هنا أن من الأخطاء تأخير أداء صلاته المغرب والعشاء إلى ما بعد منتصف الليل بغير عن ويلحق بهذا الخطأمبادرة البعض بأداء هاتين الصالاتين في عرفة قبل الإفاضة إلى مزدلفة.

٢- عدم التستر عند قضاء الحاجة من بعض الحجاج، وهذا أمر يتناهى مع الحياة.

٣- اعتقاد بعضهم أن الوقوف بالمزدلفة وذكر الله لا بد أن يكون في المشعر الحرام فقط وال الصحيح أن مزدلفة كلها موقف، كما قال **البيهقي**: «وقت هاهنا وجمع (وهي مزدلفة) كلها موقف».

٤- وأهم الأخطاء في هذا الموضوع عدم وقوف بعضهم في المزدلفة، وهؤلاء ترکوا شعيرة من شعائر الحج، ومنهم من يقف خارج المزدلفة ولا يتحرج حدودها وأعلامها، والواجب أن يتقى العبد ربه ما استطاع.

٥- ومن الأخطاء خروج بعض الناس من المزدلفة قبل منتصف الليل، وملعون أن من لم يبيت بمزدلفة من غير عنده فقد ترك واجباً من واجبات الحج يلزم به دم جبران مع التوبة والاستغفار.

٦- سلساً: بعد واغطاء عندي裡 العبرات

١- من الناس من يرمي في غير وقت الرمي، بأن يرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق قبل زوال الشمس، وهذا الرمي لا يجزئ لأنه في غير الوقت المحدد للرمي، فهو كما لو صلى قبلدخول وقت الصلاة المحدد لها.

٢- ومنهم من يرمي في غير محل الرمي، وهو حوض الجمرة وذلك بإن يرمي الحصى من مكان بعيد فلما تقع في الحوض، أو يضر بها الشاخص فتفطير ولا تقع في الحوض، وهذا رمي لا يجزئ لأنه لم تقع في الحوض، والسبب في ذلك الجهل أو العجلة وعدم المبالاة.

٣- ومنهم من يقدم رمي الأيام الأخيرة مع رمي اليوم الأول من أيام التشريق ثم يسافر قبل تمام الحج وبعضهم إذا رمى لل يوم الأول يوكل من يرمي عنه بقية الأيام ويسافر إلى وطنه، وهذا تلاعب بأعمال الحج.

٨- تمسح بعض الحاج وتبركهم بجدار الكعبة أو بابها أو المقام أو أبواب الحرم وجدرانه وجدران المسعي أو جبل الصفا والمروءة، وهذه خرافات وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان تقدح في توحيد العبد وتخرجه عن مقصود حجه، قال الله تعالى: «فَلَيَعْبُدُوا رَبَّهَا أَبْيَتْ» [قرיש: ٣].

٩- بعض الحاج بجهلهم يبدأون بالمروة قبل الصفا، وهذه مخالفة صريحة في عبادة السعي وإبطال له.

١٠- الاستمرار في السعي بين الصفا والمروءة، وقد أقيمت الصلاة والواجب عليه المبادرة لصلاة الجمعة ثم معاودة السعي بعد ذلك.

١١- بعض الحاج يكتفي بقص بعض شعره، وهذا لا يكفي ولا يحصل به أداء النسك، والمطلوب التقصير من جميع الشعر لأن التقصير يقوم مقام الحلق، والحلق لجميع الشعر، وكذا التقصير يكون لجميع الرأس، قال الله تعالى: «مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقْصَرِينَ لَا تَخَافُونَ» [الفتح: ٢٨].

١٢- من الأخطاء دخول بعض الطائفين داخل الحجر «الحطيم» مما يفسد عليه الطواف، ومن دخل الحجر في شوط وجب عليه إعادة ذلك الشوط.

١٣- الأخطاء الواقعة في الوقوف بعرفة:

١- بعض الحاج لا يتأكد من مكان الوقوف ولا ينظر إلى اللوحات الإرشادية المكتوب عليها بيان حدود عرفة فينزل خارج عرفة، وهذا إن استمر في مكانه ولم يدخل عرفة أبداً وقت الوقوف لم يصح حجه، فيجب على الحاج الاهتمام بهذا الأمر والتتأكد من حدود عرفة ليكون داخلها وقت الوقوف.

٢- يعتقد بعض الحاج أنه لا بد في الوقوف بعرفة من رؤية الجبل - جبل الرحمة - أو الذهاب إليه والصعود عليه فيكفون أنفسهم عنواناً ومشقة شديدة، ويتعrossون لأخطار عظيمة من أجل الحصول على ذلك، وهذا كله غير مشروع، وإنما المطلوب وقوفهم في عرفة في أي مكان منها؛ لقوله **البيهقي**: «وعرفة كلها موقف» سواء رأوا الجبل أو لم يروه، ومنهم من يستقبل الجبل في الدعاء، والمشروع استقبال الكعبة، كما ننبه إلى أن جزءاً كبيراً من مسجد نمرة مما يلي القبلة ليس من عرفة وعلى سقف المسجد لوحات إرشادية تبين ذلك.

٣- بعض الحاج ينصرفون ويخرجون من عرفة قبل غروب الشمس، وهذا لا يجوز لهم لأن وقت الانصراف مؤقت بغرروب الشمس، فمن خرج من عرفة قبله ولم يرجع إليها فقد ترك واجباً من واجبات الحج ويلزمه به دم مع التوبة إلى الله لأن الرسول **ص** ما زال واقفاً بعرفة حتى غربت الشمس، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «خذوا عنى مناسككم». رواه مسلم.

٤- ومن المخالفات صيام بعض الحاج يوم عرفة

قول باطل، واعتقاد فاسد، فالطواف مشروع ليلاً ونهاراً؛
لقوله ﷺ: «لا تمنعوا أحداً طاف بالبيت ليلاً أو نهاراً أن يصلي». (صحيح ابن حبان ١٥٨٧).

البدع والأخطاء الواقعة عند زيارة المدينة المنورة

١- قصد السفر وشد الرجال إلى القبر الشريف، والصواب شد الرجال وقصد السفر إلى مسجده ﷺ للحديث الوارد في ذلك: «لا تشيد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى». (البخاري رقم: ١١٢٢).

٢- قصد الصلاة تجاه القبر الشريف والتسل بالنبي ﷺ إلى الله في الدعاء وطلب الشفاعة منه.

٣- قصد القبر واستقباله أثناء الدعاء رجاء القبول والإجابة.

٤- التمسح بالجران وقضبان الحديد عند زيارة قبر النبي ﷺ.

٥- من الأخطاء التي يقع فيها بعض زوار المدينة أنهم يذهبون لزيارة أمكناة معينة أو مساجد لم تشرع زيارتها ويطلقون عليها «المزارات» كزيارة مسجد الغمامه ومسجد القبلتين والمساجد السبعة، وغير ذلك من الأمكنة التي يظن العوام أن زيارتها مشروعة. والصواب أنه ليس هناك ما تشرع زيارته في المدينة من المساجد، إلا مسجد النبي ﷺ ومسجد قباء للصلاة فيهما، أما بقية مساجد المدينة فهي كغيرها من المساجد لا مزية لها على غيرها ولا تشرع زيارتها.

٦- الذهاب إلى المغارات في جبل أحد ومثلها في غار حراء وغار ثور في مكة وربط الخرق عندها والدعاء بأدعية لم يأذن بها الله، وتحمل المشقة في ذلك، وكل هذا من البدع التي لا أصل لها في الشرع المطهر.

٧- دعاء الأموات عند زيارة مقابر البقيع ومقابر شهداء أحد، ورمي النقود عندها تقرباً إليها وتبركاً بأهلها، وهذا من الشرك الأكبر لأنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله من دعاء ونبض ونذر ونحو ذلك، قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَذِلَكَ أَمْرُتُ وَآنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الإنعام: ١٦٢].

٨- نسال الله لجميع الحجاج حجاً مبروراً ونبياً مغفوراً، وسعيناً مشكوراً، والحمد لله رب العالمين.

وعبث بها، وتربيـن من الشيطـان.

وهو بذلك قد أدخل بالنـسـك وترك عـدة واجـبات من واجـبات الحـجـ وـهي رمي الجـمرـات الـبـاقـية وـترك المـبـيت بمـنى لـيـالي أيام التـشـرـيق وـطـوـافـهـ لـلـوـدـاعـ فـيـ غـيرـ وـقـتـهـ لـأنـهـ وـقـتـهـ بـعـدـ نـهـاـيـةـ أـعـمـالـ الحـجـ.

٤- الاعتقـادـ عـندـ رـميـ الجـمـرـاتـ أنـ المـرجـومـ فـيـ الجـمـارـ الثـلـاثـ هـوـ «الـشـيـطـانـ» وـتـسـمـيـةـ بـعـضـ الـحـجـاجـ لـهـ شـيـطـانـ كـبـيرـاـ وـشـيـطـانـاـ صـغـيرـاـ، وـلـذـلـكـ نـزـلـهـ فـرـىـ وـنـسـمـعـ مـنـ تـجـاـوـزـاتـ الـرـمـاـةـ الشـيـءـ المـزـرـىـ وـالـمـؤـسـفـ، فـتـرـاهـ يـرـمـونـ بـالـحـجـاجـةـ الـكـبـيرـةـ وـبـالـأـحـذـيـةـ وـالـأـخـشـابـ، مـصـحـوـبـاـ ذـلـكـ بـالـسـبـبـ وـالـشـتـمـ.

٥- من الخطأ اعتقاد البعض غسل الحصى قبل الرمي.

٦- تركهم الوقوف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولى والثانية في أيام التشريق فيفوـتهم بذلك خـيرـ كـثـيرـ.

٧- إحداث أدعية عند الرمي لم تثبت عن النبي ﷺ، والأولى الاقتصار على ما ورد في السنة دون زيادة أو نقصان، وذلك بالتكبير مع كل حصاة فقط والخير كل الخير في الاتباع.

٨- من الأخطاء رمي الحصى دقعة واحدة، وهذا لا يحسب إلا حصاة واحدة، كما قرر ذلك أهل العلم.

٩- من الحجاج من يفهم معنى التعجيل فهماً خاطئاً، فيظن أن المراد بالليومين يوم العيد والذي يليه وهو اليوم الحادي عشر، فينصرف فيه ويقول: أنا متوجـلـ وهذا خطأ واضح؛ لأن المراد يومان بعد يوم العيد وهما: «الحادي عشر والثاني عشر» فمن تعجل فيهما ففـرـ بعد أن يرمي الحمار بعد زوال الشمس من اليوم الثاني عشر فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى اليوم الثالث عشر فرمي الحمار بعد زوال الشمس ثم نـفـرـ فـهـذاـ هوـ الأـقـضـلـ والأـكـمـلـ.

الأخطاء الواقعة في طواف الإفاضة والوداع

١- نزول بعض الحجـيجـ منـ مـنـيـ يومـ النـفـرـ قبلـ رـميـ الجـمـرـاتـ، ثـمـ يـسـافـرـ مـنـ مـكـةـ إـلـىـ بـلـدـتـهـ فـيـكـونـ أـخـرـ عـهـدـ بالـبـيـتـ رـميـ الجـمـرـاتـ وـلـيـسـ الطـوـافـ بـالـبـيـتـ، وـقـدـ قـالـ النبي ﷺ: «لـا يـتـفـرـنـ أـحـدـ حـتـىـ يـكـونـ أـخـرـ عـهـدـ الطـوـافـ بـالـبـيـتـ».

٢- طواف الوداع يجب أن يكون بعد الفراغ من أعمال الحج وقبيل السفر مباشرة ولا يمكن بمكة بعده إلاعارض يسير.

٣- خروجـهمـ مـنـ مـسـجـدـ بـعـدـ طـوـافـ الـوـدـاعـ الـقـهـرـىـ يـزـعمـونـ بـذـلـكـ تـعـظـيمـ الـكـعـبـةـ، وـهـذـهـ بـدـعـةـ فـيـ الـدـيـنـ لـأـصـلـ لـهـ، وـكـذـلـكـ التـفـاتـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ الـكـعـبـةـ عـنـ بـابـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ بـعـدـ اـنـتـهـائـهـمـ مـنـ طـوـافـ الـوـدـاعـ وـالـدـعـاءـ بـدـعـوـاتـ كـالـمـدـعـينـ لـلـكـعـبـةـ.

٤- اعتقاد البعض حرمة طواف الإفاضة ليلاً، وهذا

صوقة لاعيام الاجر في الايام العشر

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله عز وجل قد جعل الدنيا مزرعة للأخرة، وميدانًا للتنافس، ومن رحمة الله تعالى وحكمته أن فاصل بين الأزمنة، فاصطفى منها ما شاء، ليكون ذلك عوناً للمسلم على التسابق والتقرب إليه سبحانه ب أعمال البر والخير.

وإن الناظر في واقع كثير من الناس اليوم يرى جهلاً شديداً بفضائل الأوقات، وبالتالي غفلة عن اغتنامها، مما يؤدي إلى الحرمان من الأجر العظيمة، وفوائد الخير الكثير.

من أجل ذلك كان هذا المقال، تذكيراً لإخواني، وحثاً لهم على اغتنام الأجر في الأيام العشر المباركة،

إعداد / معاوية محمد هيكل

ال الجمعة ألم لا، ويوم الجمعة فيه أفضل من الجمعة في غيره؛ لاجتماع الفضيلة فيه». [فتح الباري: ٢ / ٥٣٢].
وفيه تفضيل بعض الأزمنة على بعض كالأمكنة، وفضل أيام العشر على غيرها من أيام السنة. [المصدر السابق].

٣- أن النبي ﷺ حثّ على العمل الصالح فيها، وأمر بكثرة التهليل والتكبير.

٤- أن فيها يوم عرفة ويوم النحر، ولا يخفى عظيم منزلتها.

٥- أنها مستودع لاجتماع أمehات العبادة: كالصلوة، والصيام، والصدقه، والحج، ولا ينافي ذلك في غيرها. [فتح الباري].

أنواع العمل الصالحة في أيام العشر

وحيث ثبتت فضيلة الزمان ثبتت فضيلة العمل فيه، ومن أنواع العمل الصالحة فيها ما يلي:

أولاً: التوبية النصوح

وهي الرجوع إلى الله تعالى، مما يكرهه ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً، ندماً على ما مضى، وتركاً في الحال، وعزمًا على عدم العود.

وإحياء العمل بسنة النبي ﷺ .

فضل الأيام العشر من ذي الحجة

وقد دلَّ على فضلها وعظيم منزلتها أمور:

١- قال الله تعالى: «وَالْفَجْرُ وَلَيَالٍ عَشْرٌ» [الفجر: ٢، ٢]، قال غير واحد من السلف والخلف: إنها عشر ذي الحجة، وهو الصحيح. [ابن كثير: ٤ / ٥٠٥]

٢- أن النبي ﷺ شهد أنها أعظم أيام الدنيا، وجاء ذلك في أحاديث كثيرة منها: - قوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالحة فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر». فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وما له فلم يرجع من ذلك بشيء». [رواوه الترمذى وصححه الألبانى: ٦٠٥]

- قوله ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن، من هذه العشر، فاكثروا فيهن من التهليل، والتكبير والتحميد». [أخرجه أحمد وصححه الشيخ احمد شاكر: ٢ / ٧٥ - ١٣٢]

والمراد من الحديثين: أن كل يوم من أيام العشر أفضل من غيره من أيام السنة، سواء أكان يوم

٠٠ أيام العشر من ذي الحجة أعظم الأيام عند الله تجتمع فيها أمهات العبادة كالصلوة والصيام والصدقة والحج، فعلى العبد أن يعمرها بالطاعات، ويكثر فيها من التهليل والتكبير والتحميد ٠٠

٠٠ رابعاً: الذكر ٠٠

وله مزية خاصة على غيره من الأعمال؛ لقوله تعالى: «وَيَدْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَأْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» [الحج: ٢٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهم: أيام العشر، أي: يحمدونه ويشكرونه على رزقهم من بهيمة الأنعام، ويدخلون فيه التكبير والتسمية على الأضحية والهدي؛ ولقوله تعالى: «فَاكْتُرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالْتَّكْبِيرِ وَالْتَّحْمِيدِ».

٠٠ خامساً: التكبير ٠٠

يسن إظهار التكبير في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، إعلاناً بتعظيم الله تعالى.

ولم يثبت في صبغ التكبير شيء عن النبي ﷺ، وأصح ما ورد فيه قول سلمان: «كروا الله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً». وهناك صبغ وصفات أخرى وردت عن الصحابة والتابعين [فتح الباري: ٢ / ٥٣٦].

وسنة التكبير في عصرنا صارت من السنن المهجورة عند كثير من الناس، فهل من مشمر لإحيائها؛ لبيان الأجر العظيم، قال رسول الله ﷺ: «من أحيا سنة من سننني قد أحييت بعدي، فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني: ١٧٣]. وقد ثبت أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانوا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبّران الناس بتكريهما. [البخاري، كتاب العيدين، باب العمل في أيام التشريق].

وما يُتاب منه يشمل: ترك الواجبات، و فعل المحرمات. والتوبه واجبة على المسلم حين يقع في المعصية، في أي وقت كان؛ لأنه لا يدرى في أي لحظة يأتي أجله، ثم إن المعاصي تزداد عقوبتها وتغفل بما قبل فضيلة الزمان والمكان.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً» [التحريم: ٨]. وقد بين ابن القيم رحمة الله أن التوبه النصوح تتضمن ثلاثة أشياء: استغراق جميع الذنوب، وإجماع العزم والصدق، وتخلصها من الشوائب والعلل، وهي أكمل ما يكون من التوبه. [انظر: مدارج السالكين: ١ / ٣١٦، ٣١٧].

٠٠ ثالثاً: أداء العجّ وال عمرة ٠٠

وهما واقعان في العشر من ذي الحجة، باعتبار وقوع معظم مناسك الحج فيها، ولقد رغب الشرع الحنيف في هاتين العبادتين العظيمتين وحث عليهما؛ لأن في ذلك تطهيراً للنفس من آثار الذنوب وذنس المعاصي، ليصبح أهلاً لكرامة الله في الآخرة، قال الله تعالى: «الْحَجَّ أَسْهُرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسْقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ» [البقرة: ١٩٧].

وقال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [البخاري: ١٧٧٣، ومسلم: ١٣٥١].

وقال رسول الله ﷺ: «من حج لله، فلم يرث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». [البخاري: ١٥٢١، ومسلم: ١٣٥١].

٠٠ ثالثاً: الحافظة على الواجبات ٠٠

والمحصود أداؤها في أوقاتها، وإحسانها باتمامها على الصفة الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومراعاة سنتها وآدابها، وهي أول ما يشغل به العبد في حياته كلها.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَ لِي وَلِيَا فَقَدْ أَذْنَتْهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقْرَبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ، وَيَدِهُ الَّذِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلُهُ الَّذِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأُعْطِيَنِي، وَلَئِنْ اسْتَعَذَ بِي لِأُعْيَذَنِي، وَمَا تَرَدَّتْ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فاعله ترددتْ عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكُرِهُ الْمَوْتُ، وَأَنَا أَكُرِهُ مَسَاعِتَهُ». [آخرجه البخاري: ٦٥٠٢].

قال الحافظ رحمة الله: «وفي الإيتان بالفරائض على الوجه المأمور به: امتثال الأمر، واحترام الأمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل». [فتح الباري: ١١ / ٣٥١].

لِكُونَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَتْرُكُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَهُ
خَشِيَّةً أَنْ يَفْرُضَ عَلَى أُمَّتِهِ، كَمَا رَوَاهُ الصَّحِيفَانُ مِنْ
حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا. [الْفَتْحُ: ٢ / ٥٣٤].
وَبِذَلِكَ يَتَضَرَّعُ الْمَرَادُ مِنْ اسْتِحْبَابِ صُومِ الْأَيَّامِ
الْتِسْعَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

١٠٨ سَابِعًا، الْأَضْحِيَّةُ

وَهِيَ شِعِيرَةً مِنْ شِعَائِرِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ، وَهِيَ
النُّسُكُ الْعَامُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا مِنْ
النَّصْوصِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمِ مَنْزِلَتِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ [الْكَوْثَرُ: ٢]. وَالْمَرَادُ بِالنَّحْرِ هُنَّا
الْأَضْحِيَّةُ، وَالصَّلَاةُ هِيَ (صَلَاةُ الْعِيدِ)، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿فَقُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٦٢]، وَالنُّسُكُ هُوَ الذِّبْحُ تَقْرِبَا
إِلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«ذَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبَشِينِ أَمْلَحِينِ أَقْرَبَنِ
ذِبَّهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمِّيَ وَكِبْرٌ، وَوُضِعَ رَجْلُهُ عَلَى
صَفَّاهُمَا»، [الْبَخَارِيُّ: ٣٣٧٦].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ سُعَةٌ وَلَمْ يُضْعِفْ فَلَا يَقْرِبُ
مَصَلَانَا». [أَحْمَدُ: ٨٧٤، وَصَحَّحَهُ الْأَلبَانِيُّ فِي صَحِيفَةِ
الْجَامِعِ: ١٤٩٠].

وَيُجَبُ عَلَى مَنْ عَزَمَ عَلَى الْأَضْحِيَّةِ أَلَا يَأْخُذُ مِنْ
شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ شَيْئًا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَمْ
هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحِيَ فَلِيمِسْكِ
عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ». [مُسْلِمٌ: ١٩٧٧].

١١٠٢٥ ١٠٨ ثَمَّاً: صَلَاةُ الْعِيدِ

وَالْعِيدُ شِعِيرَةً مِنْ أَعْظَمِ شِعَائِرِ الإِسْلَامِ، وَمَظَهِّرٌ
مِنْ أَجْلِ مَظَاهِرِهِ، وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ أَعْظَمُ مِنْ
اجْتِمَاعِهِمْ لِلْجَمَعَةِ، وَقَدْ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ بِخُرُوجِ
النِّسَاءِ لِصَلَاةِ الْعِيدِ، وَلَمْ يَسْتَثِنْ مِنْهُنَّ أَحَدًا، حَتَّى
إِنَّهُ أَمْرٌ مِنْ كَانَ عِنْدَهُ عَذْرٌ يَمْنَعُهُنَّ مِنِ الصَّلَاةِ
بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَصْلِى؛ لِيُشَهِّدُنَّ الْخَيْرَ وَدُعْوَةَ
الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ ثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ
الْعِيدِ، فَيُكَبِّرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَصْلِى وَحَتَّى يَقْضِي
الصَّلَاةَ، وَحِكْمَةُ التَّكْبِيرِ فِي الْعِيدِ هِيَ مُضَادَةُ
الْمُشْرِكِينَ لِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ تَعْظِيمِ لَأْوَانِهِمْ خَاصَّةً
الذِّبْحِ لَهُمْ.

١٠٩ يَوْمُ عَرْفَةِ

وَقَدْ زَادَ هَذَا الْيَوْمُ فَضْلًا وَمُزِيْدَةً عَلَى غَيْرِهِ،
فَاسْتَحْقَقَ أَنْ يَخْصُّ بِهِ حَدِيثٌ مُسْتَقْلٌ يَكْشِفُ عَنْ أَوْجَهِ
تَفْضِيلِهِ وَتَشْرِيفِهِ، وَمِنْ تَلَكَّ الْأَوْجَهِ مَا يَلِي:
أَوْلًا: أَنَّهُ يَوْمُ اكْمَالِ الدِّينِ وَتَقْمِيمِ النَّعْمَةِ:

فَقَدْ رَوَى الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيفَةِ»: «قَالَ الْيَهُودُ
لِعُمَرَ: إِنْكُمْ تَقْرَعُونَ أَيَّةً، لَوْ نَزَّلْتُ فِينَا لَاتَّخِذُنَا هَا
عِيْدًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ حِيثُ أَنْزَلْتُ، وَأَيْنَ أَنْزَلْتَ،
وَأَيْنَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلْتَ: يَوْمُ عَرْفَةِ، إِنَّا -

١٠٩ كَانَ ابْنُ عَمْرَاوْبَوْهَرِيَّةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَخْرُجُونَ إِلَى
الْمَسَكُوْنَى الْعَشْرِيَّكَبَرَانَ
وَيَكْبِرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا، وَهَذِهِ
السَّنَةُ صَارَتِيْنَ مِنْ عَصْرِنَا مِنْ
السَّنَنِ الْمَهْجُورَةِ، فَلَنْ يَحْرُصَ عَلَى
إِحْيَاهَا وَإِشْاعَتِهَا فِي النَّاسِ

وَكَانَ ابْنُ عَمْرَاوْبَوْهَرِيَّةَ يَكْبِرُ بَنِيِّ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَخَلْفَ
الصَّلَوَاتِ وَعَلَى فِرَائِشِهِ، وَفِي فَسَطَاطِهِ، وَمِنْجَسِهِ
وَمِمْشَاهِهِ. [الْبَخَارِيُّ: بَابُ التَّكْبِيرِ أَيَّامُ مِنْ]

١١٠ سَادِسًا: الصَّيَامُ

عَنْ هَنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَمْرِهِنَّ قَالَ: حَدَّثَنِي
بعْضُ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ
عَاشُورَاءَ، وَتَسْعَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ
الشَّهْرِ؛ أَوْلَى أَثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ، وَخَمْسِينَ. [أَخْرَجَهُ
الْفَسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلبَانِيُّ: ٢٣٧٢].

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَائِمًا فِي الْعِشْرِ
قُطَّ». وَفِي رَوْيَةِ: «لَمْ يَصُمْ الْعِشْرَ».

قَالَ الْعَلَمَاءُ: فَهَذَا الْحَدِيثُ مَا يَوْمَ كَرَاهَةُ صُومِ
الْعِشْرِ، وَالْمَرَادُ بِالْعِشْرِ هُنَّا: الْأَيَّامُ التِّسْعَةُ مِنْ أَوْلِ
ذِي الْحِجَّةِ. قَالُوا: وَهَذَا مَا يَتَأْوِلُ فَلِيْسُ فِي صُومِ
هَذِهِ التِّسْعَةِ كَرَاهَةً، بَلْ هِيَ مُسْتَحْبَةٌ اسْتِحْبَابًا
شَدِيدًا لَا سِيمَا التِّاسِعُ، وَهُوَ يَوْمُ عِرْفَةَ، وَقَدْ سَبَقَتِ
الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِهِ وَثَبَّتَ فِي صَحِيفَةِ الْبَخَارِيِّ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّامُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا
أَفْضَلُ مِنْهُ فِي هَذِهِ». يَعْنِي: الْعِشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ ذِي
الْحِجَّةِ، فَيَتَأْوِلُ قَوْلُهَا: لَمْ يَصُمْ الْعِشْرَ، أَنَّهُ لَمْ يَصُمْ
لِعَارِضِ مَرْضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرَهُمَا، أَوْ أَنَّهَا لَمْ تَرِهِ
صَائِمًا فِيهِ، وَلَا يَلِزِمُ مِنْ ذَلِكَ عَدَمُ صِيَامِهِ فِي نَفْسِ
الْأَمْرِ، وَيَدْلِي عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ حَدِيثُ هَنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ
الْسَّابِقِ ذَكْرُهُ. [انْظُرْ: مُسْلِمٌ بِشَرْحِ النَّوْوَيِّ، كِتَابُ
الْاعْتِكَافِ].

وَقَدْ عَلَلَ ابْنُ حَمْرَةَ تَرْكَ الصُّومِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ

وحله لا شريك له». [رواه الترمذى وصححه الألبانى: .٢٨٣٧]

قال ابن عبد البر: «وفي الحديث دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب في الأغلب، وأن أفضل الذكر: لا إله إلا الله». [التمهيد: ٦ / ٤١].

قال الخطاطي: معناه: أكثر ما افتتح به دعائى، وأقدمه أمامه من ثنائى على الله عز وجل، وذلك أن الداعى يفتح دعاءه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، ويقدمه أمام مسالتة، فسمى الثناء دعاء.

٠٠ ثالث: التكبير

والتكبير نوعان:

الأول: التكبير المطلق: وهو المشروع في كل وقت من ليل أو نهار، ويبداً بدخول شهر ذي الحجة، ويستمر إلى آخر أيام التشريق.

الثانى: التكبير المقيد: وهو الذى يكون عقب الصلوات، والختار: أنه عقب كل صلاة، فريضة أو نافلة، وأنه يبدأ من صبح عرفة إلى آخر أيام التشريق، وهذا اختيار البخارى. [انظر: الفتح / ٢ / ٥٣٥].
وخلصة القول: أن التكبير يوم عرفة والعيد، وأيام التشريق يشرع في كل وقت - وهو المطلق، ويشرع عقب كل صلاة - وهو المقيد.

٠٠ يوم النحر

لها اليوم فضائل عديدة: فهو يوم الحج الأكبر، وهو أفضل أيام العام؛ لحديث: «إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر». [أبو داود وصححة الألبانى: ١٥٥٢].

ويوم القر: هو اليوم الذي يلي يوم النحر؛ سمي بذلك لأن الناس يقررون فيه بمنى.

وهو بذلك أفضل من عيد الفطر؛ وذلك لكونه يجتمع فيه الصلاة والنحر، وهما أفضل من الصلاة والصدقة. [لطائف المعارف ص ٤٨٢]

والإسلام بذلك قد صبغ العبدان بصبغة العبادة والخشوع إلى جانب الفسحة واللهم المباح. وقد شرع الله في يوم النحر من الأعمال العظيمة - كالصلاه، والتکبير، ونحر الهدي، والأضاحى، وبعض مناسك الحج - ما يجعله موسمًا مباركاً للتقرب إلى الله تعالى، وطلب مرضاته، لا كما هو حال الكثير من جعله يوم لهو ولعب فحسب، إن لم يجعله يوم أشر وبطء، والعياذ بالله.

وختاماً فيها هي فضائل العشر قد لاحت وبانت،وها هي ثمارها قد حان قطافها للأكلين، ودانت، فشمروا عن ساعد الجد، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وآخر دعواها أن الحمد لله رب العالمين.

والله - بعرفة، قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: «الْيَوْمُ أَكْمَلَ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ بِيَنَا» [المائدة: ٣]. وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل؛ لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها؛ ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله، فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد، وأمام إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة، فلم تتم النعمة بدونها، كما قال الله تعالى لنبيه: «لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْكَ وَمَا تَأْخُرُ وَيَتَمَّ نِعْمَةُ عَلَيْكَ» [الفتح: ٢]. انظر: «لطائف المعارف» (ص ٤٨٧، ٤٨٦).

٠٠ ثانية: آية يوم عيد

عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدها أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب». [صحيح سنن أبي داود ح ٢١١٤].

٠٠ ثالث: آية يوم عيدها يكفر سنتين

قال رسول الله ﷺ عن صيامه: «يُكَفِّرُ السَّنَةُ الْماضِيَّةُ وَالْبَاقِيَّةُ». [أخرجه مسلم: ح ١١٦٣].

٠٠ رابعاً: آية يوم مغفرة الذنب، والحق من النار

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم عرفة، وإنه ليدينو ثم يباهى بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟» [مسلم: ١٣٤٨]. قال ابن عبد البر: «وهو يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنهم لا يباهى باهل الخطايا والذنوب، إلا بعد التوبة والغفران، والله أعلم». [التمهيد: ١ / ٢٠].

الأعمال المشروعة فيه:

٠٠ أول: صيام ذلك اليوم

ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتجب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده». [مسلم: ١١٦٢].

وصومه إنما شرع لغير الحاج، أما الحاج فلا يجوز له ذلك.

ويتأكد حفظ الجوارح عن المحرمات في ذلك اليوم، كما في حديث ابن عباس، وفيه: «إن هذا اليوم من ملأ فيه سمعه وبصره ولسانه: غُفر له». [رواه أحمد في مسنده ح ٣٠٤٢، وصححه الشيخ أحمد شاكر].

ولا يخفى أن حفظ الجوارح فيه حفظ لصوم الصائم، وحج الحاج، فاجتمعت عدة أسباب معينة على الطاعة وترك المعصية.

٠٠ ثانية: الإكثار من الذكر والدعاء

قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله

التعبد لله بِسَمَائِهِ وصفاته

ثمرات وبركات

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن أجل المقاصد وأذيع العلوم: العلم بمعنى اسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العلا، والتعرف على الله تعالى من خلال اسمائه وصفاته يحقق العلم الصحيح بفاظه الأرض والسموات، والعلم باسم الله وصفاته يؤدي إلى عبادة الله تعالى ومحبته وخسته، ويوجب تعظيمه وإجلاله.

. [١٢٢ / ١]

وفقه أسماء الله تعالى وصفاته يوجب تحقيق الإيمان والعبادة لله وحده، وإفراده سبحانه بالقصد والحب والتوكلوسائر العبادات، كما بين ذلك أهل العلم.

ولذا يقول العز بن عبد السلام: «فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من: الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات». ويقول أيضًا: «ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة، وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالاعمال موجب للتوكل، وبيسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النعمة موجب للخوف، وبالتفقد بالإنعام موجب للشك، ولذلك قال سبحانه: ﴿أَكُرُوا اللَّهُ نُكْرَا كُنْتُمْ﴾.

ويقول ابن القيم رحمة الله: «لا يستقر للعبد قدم في المعرفة - بل ولا في الإيمان - حتى يؤمن بصفات الرب جلاله، ويعرفها معرفة تخرج عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتقديرها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلًا عن أن يكون من أهل العرفان». [مدارج السالكين: ٣٤٧ / ٣].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «إن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتتحقق في فهم معانيها. بل حقيقة الإيمان أن يعرف رب الذي يؤمن به، ويبتلي جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين».

ويحسب معرفته بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك تبر صفاته وأسمائه فن القرآن. [تفسير السعدي: ١ / ٢٤].

المقصود بالتعبد باسماء الله وصفاته وهو تحقيق العلم بها - ابتداءً - وفقه معاني أسمائه وصفاته، وأن يعمل بها، فيتصف بالصفات التي يحبها الله تعالى: كالعلم والعدل، والصبر، والرحمة.. ونحو ذلك، وينتهي عن الصفات التي يكرهها له تعالى من عبيده مما ينافي عبوبيتهم لله تعالى،

وإن كل ما في السموات والأرض من خير وبركة، وحسن وجمال، وبهاء وجلال، ما هو إلا أثر من آثار صفات ذي الجلال والكمال، «فَانظُرْ إِلَى أَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ» [الروم: ٥٠].

ومع أهمية هذا الجانب وجلاله قدره، إلا أن ثمة غفلة عنه، فنلاحظ الجهل باسماء الله وصفاته، وإهمال التعبد والدعاء بها، وضعف الانتفاع إلى ما تقتضيه هذه الأسماء الحسنی من الآثار والثمرات. وتظهر أهمية هذا الموضوع من خلال الآيات القرآنية المتعددة التي تحض على تبر القرآن الكريم؛ كما قال سبحانه: «كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مَبَارِكٌ لِيَبَرُرُوا أَيَّاتِهِ وَلِيَتَكَبَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ» [ص: ٢٩]، ونذ القرآن من لا يفهمه فقال تعالى: «فَمَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَانُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» [النساء: ٧٨]، ولا شك أن فقه أسماء الله (تعالى) وصفاته يدخل في ذلك بخوايا أولياً. - كما أن عبادة الله (تعالى) ومعرفته أكد الفرائض، ولا يتحقق هذا إلا بمعرفة أسماء الله وصفاته.

قال الأصفهاني (ت ٥٣٥): «قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [محمد: ١٩]، فيتبين على المسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها؛ فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً: طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها. [الحجۃ في بيان

التلازم بين توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة
ومما يستحق تقريره - هاهنا - أن هناك تلازمًا وثيقاً
بين إثبات الأسماء والصفات لله تعالى وتوحيد الله تعالى
بافعال العبادة، فكلما حُقِّ العبد أسماء الله وصفاته علماً
و عملاً، كلما كان أعلم وأكمل توحيداً، وفي المقابل: فإن هناك
تلازماً وطيناً بين إنكار الأسماء والصفات وبين الشرك.

يقول ابن القيم في تقرير هذا التلازم: «كل شرك في العالم
فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله - أو بعده - وظن
السوء به، لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد
لقومه: «أَئِفْكَا الْهَمَةُ دُونَ اللَّهِ ثُرِيدُونَ. فَمَا ظَنْكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ» [الصافات: ٨٦، ٨٧] أي: فما ظنكم به أن يجازيكم

وقد عبّرت معه غيره؛ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه
شركاء؟ أظنتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان؟ أم ظننتم
أنه يخفى عليه شيء من أحوال عباده حتى يحتاج إلى شركاء
تعرفه بها كالمملوك؟ أم ظننتم أنه لا يقدر وحده على استقلاله
بتغييرهم وقضاء حواجزهم؟ أم هو قاس فيحتاج إلى شفاعة
يساعدهم في ظرفه على عباده؟ والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك
وأساسه، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله،
فمستقلٌ ومستكثرٌ. ونورد أمثلة في توضيح هذا التلازم
والصلة بين توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات.

- فالدعاء - مثلاً - هو أحد العبادات وأعظمها؛ فالدعاء هو
العبادة - كما أخبر المصطفى ﷺ، وهو لا ينفك عن إثبات وفقه
اسماء الله تعالى وصفاته.

ويشير ابن عقيل إلى هذه الصلة بقوله: «قد ندب الله
تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

أحدها: الوجو، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن القير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

ال السادس: القراءة، فإن العاجز لا يدعى.

□ والتوكُل على الله تعالى وحده شرط في الإيمان، وأجل العبادات القلبية، ولا يتحقق التوكُل إلا بمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وقدوضح ذلك ابن القيم بقوله: «ولا يتم التوكُل إلا بمعرفة رب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئة وقدرة». [طريق الهجرتين].

وقال ابن تيمية رحمة الله: ولذلك لا يصح التوكُل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القردية النقاقة القائلين بأن يكون في ملوكه ما لا يشاء ولا يستقيم أيضًا من الجهمية النقاقة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكُل إلا من أهل الإثبات.

فأي توكُل لن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفلية وعلوية، ولا هو قادر باختياره، ولا له إرادة ومشيئة، ولا يقوم به صفة؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرّف، كان توكُله أصح وأقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم». اهـ. [مجموع الفتاوى]

□ وحسن الظن بالله والثقة به تعالى عبادة جليلة تقوم على فقه أسماء الله وصفاته، كالحكمة والقراءة، كما أن سوء الظن بالله من أثار إنكار أسماء الله تعالى وصفاته.

يقول ابن القيم: «وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء

الصفات التي لا يصح للمخلوق أن يتصف بها
كالكبر والظلمة والجبروت،
فيجب على العبد - إزاعها -
ومن العمل بها: أن يدعو الله تعالى بها، كما قال سبحانه: «وَلَلَّهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» [الأعراف: ١٨]، كما أن من العمل بها: تعظيمها وإجلالها، وتحقيق ما تقضيه من فعل المأمورات وترك المحظورات.

يقول ابن تيمية: «إن من أسماء الله تعالى وصفاته ما يحمد العبد على اتصف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك، ومنها ما يذم العبد على اتصف به كالإلهية والتجبر والتكبر، وللعبد من الصفات التي يُحمد عليها ويؤمر بها ما يمنع اتصف الرب به كالعبوبية والإفتقار وال الحاجة والذلة والسؤال ونحو ذلك». [الصفية ٢ / ٣٣٨].

وقال ابن القيم: «ما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته: كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، وأبغضهم إليه: من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإذاً أبغض من اتصف بالكبر والظلمة والجبروت: لأن اتصف بها ظلم إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العيبي، وخروج من اتصف بها من ريبة العيوبية، ومفارقته لمنصبته ومرتبته، وتعديه طوره وحده، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشک، فإنه لا تنافي العيوبية بل اتصف العبد بها من كمال عبوبيته، إذ المتصف بها من العيوب لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العيوبية». [طريق الهجرتين ص ١٢٩].

وقال الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحداً - من أحصاهادخل الجنة». [البخاري: كتاب التوحيد، باب ١٢].

وقيل: معنى أحصاها: عمل بها، فإذا قال: «الحكيم» مثلاً، سُلِّمَ جميع أوامره، لأن جمييعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: «القوس» استحضر كونه منزلتها عن جميع التناقض، وهذا اختيار أبي الوفا بن عقيل، وقال ابن بطال: طريق العمل بها: أن الذي يسُوغ الاقتداء به فيها - كالرحيم والكريم - فإن الله يحب أن يرى أثرها على عبده فليremen العبد نفسه على أن يصح له الاتصال بها، وما كان يختص بالله تعالى كالجبار والعظيم - فيجب على العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلّي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد: نتف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد: نتف منه عند الخشية والرهبة. [فتح الباري: ١١]

فهـما يختص بهـم، وفـيـما يـفعـلهـ بـغـيرـهـ، ولا يـسـلمـ مـنـ ذـلـكـ إـلـاـ مـنـ عـرـفـ اللـهـ، وـأـسـمـاعـهـ وـصـفـاتـهـ، وـعـرـفـ مـوجـ حـكـمـهـ وـحـمـدـهـ...
ولـوـ فـتـشـتـ مـنـ فـتـشـتـ مـنـ رـأـيـتـ عـنـهـ تـقـبـلـاـ عـلـىـ الـقـدـرـ وـلـامـةـ لـهـ،
وـأـنـهـ كـانـ يـنـبغـيـ أـنـ يـكـونـ كـذـاـ وـكـذاـ، فـمـسـتـقـلـ وـمـسـكـثـ، وـفـتـشـ
نـفـسـكـ هـلـ أـنـتـ سـالـمـ مـنـ ذـلـكـ». [زاد المـعـادـ].

- وأشار الشـيخـ مـحمدـ بـنـ عـبـدـ الـوهـابـ رـحـمـهـ اللـهـ إـلـىـ أنـ
أـصـولـ الـعـبـادـةـ الـثـلـاثـةـ: (الـحـبـ، وـالـرـجـاءـ، وـالـخـوفـ) مـنـ آثارـ
وـنـفـرـاتـ الـتـعـبـدـ، بـاسـمـ اللـهـ وـصـفـاتـهـ، فـقـالـ فـيـ مـسـائـلـ نـكـرـهـاـ فـيـ
تـقـسـيـرـ سـوـرـةـ الـفـاتـحةـ: «أـرـكـانـ الـدـيـنـ: الـحـبـ، وـالـرـجـاءـ، وـالـخـوفـ»،
فـالـحـبـ فـيـ الـأـوـلـىـ، وـهـيـ «الـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ»، وـالـرـجـاءـ فـيـ
الـثـانـيـةـ، وـهـيـ: «الـرـحـمـنـ الرـحـيمـ»، وـالـخـوفـ فـيـ الـثـالـثـةـ، وـهـيـ:
«مـالـكـ يـوـمـ الدـيـنـ». [تـارـيـخـ اـبـنـ غـنـامـ ٢ / ٣٦٠].

إـذـ ظـهـرـ بـهـذـهـ الـأـمـتـلـةـ مـدـىـ الـتـلـازـمـ الـوـثـيقـ بـيـنـ صـفـاتـ اللـهـ
تعـالـىـ وـمـاـ تـقـضـيـهـ مـنـ الـعـبـادـاتـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـلـةـ، فـيمـكـنـ أـنـ
نـخـلـصـ إـلـىـ مـاـ حـرـرـهـ اـبـنـ الـقـيـمـ يـقـولـهـ: «كـلـ صـفـةـ عـبـوـيـةـ خـاصـةـ
هـيـ مـنـ مـوـجـبـاتـهـ وـمـقـنـصـاتـهـ، أـعـنـيـ مـنـ مـوـجـبـاتـ الـعـلـمـ بـهـاـ
وـتـحـقـقـ بـمـعـرـفـتهاـ، وـهـذـاـ مـطـرـدـ فـيـ جـمـيعـ أـنـوـاعـ الـعـبـوـيـةـ الـتـيـ
عـلـىـ الـقـلـبـ وـالـجـوـارـ، فـعـلـمـ الـعـبـدـ بـتـفـرـدـ الـرـبـ تعـالـىـ بـالـضـرـ
وـالـنـفـعـ، وـالـعـطـاءـ وـالـمـنـعـ، وـالـخـلـقـ وـالـرـبـقـ، وـالـإـحـيـاءـ وـالـإـمـاتـةـ؛
يـثـمـرـلـهـ عـبـوـيـةـ التـوـكـلـ عـلـىـ بـاطـنـاـ وـلـوـزـمـ التـوـكـلـ وـثـمـرـاتـهـ
ظـاهـرـاـ، وـعـلـمـ بـسـعـهـ تعـالـىـ وـبـصـرـهـ، وـعـلـمـ أـنـهـ لـاـ يـخـفيـ عـلـيـهـ
مـثـقـالـ ذـرـةـ، وـإـنـهـ يـعـلـمـ السـرـ، وـيـعـلـمـ خـائـنـةـ الـأـعـيـنـ وـمـاـ تـخـفـيـ
الـصـدـورـ؛ يـثـمـرـلـهـ حـفـظـ لـسـانـهـ وـجـوـارـهـ وـخـطـرـاتـ قـلـبـهـ عـنـ كـلـ
مـاـ لـاـ يـرـضـيـ اللـهـ، وـإـنـ يـجـعـلـ تـعـلـقـ هـذـهـ الـأـعـضـاءـ بـمـاـ يـحـبـهـ اللـهـ
وـيـرـضـاهـ، فـيـثـمـرـلـهـ تـلـكـ الـحـيـاءـ بـاطـنـاـ، وـيـثـمـرـلـهـ اـجـتـنـابـ
الـمـحـرـمـاتـ وـالـقـبـائـحـ، وـمـعـرـفـتـهـ بـغـنـاهـ وـجـوـهـهـ وـكـرـمـهـ وـبـرـهـ
وـإـحـسـانـهـ وـعـظـمـتـهـ وـعـزـتـهـ تـشـمـرـلـهـ الـخـصـوـعـ وـالـإـسـكـانـةـ وـالـاحـمـةـ،
وـتـشـمـرـلـهـ تـلـكـ الـأـعـوـالـ الـبـاطـنـةـ أـنـوـاعـ الـعـبـوـيـةـ الـظـاهـرـةـ، هـيـ
مـوـجـبـاتـهـ، فـرـجـعـتـ الـعـبـوـيـةـ كـلـهـاـ إـلـىـ مـقـنـصـاتـ الـأـسـمـاءـ
وـالـصـفـاتـ». [مـفـاتـحـ دـارـ السـعـادـةـ ٢ / ٩٠].

أـفـارـقـ الـقـيـدـ بـاسـمـ اللـهـ تعـالـىـ وـصـفـاتـهـ

وـالـتـعـبـدـ بـاسـمـ اللـهـ تعـالـىـ وـصـفـاتـهـ لـهـ أـثـارـ الطـبـيـةـ فـيـ حـسـنـ
الـخـلـقـ وـسـلـامـةـ السـلـوكـ، كـمـاـ أـنـ تـعـطـيلـ أـسـمـاءـ اللـهـ تعـالـىـ
وـصـفـاتـهـ لـاـ يـنـكـلـ عـنـهـ لـمـاـ كـانـواـ يـنـفـونـ عـلـمـ اللـهـ تعـالـىـ.
ومـثـالـ تـلـكـ: أـنـ الـقـرـيـةـ النـفـاـةـ لـمـاـ كـانـواـ يـنـفـونـ عـلـمـ اللـهـ تعـالـىـ
الـمـحـيطـ بـكـلـ شـيـءـ، وـيـزـعـمـونـ أـنـ الـعـبـدـ يـخـلـقـ فـعـلـ نـفـسـهـ وـأـنـ الـخـيرـ
عـنـهـمـ هـوـ الـذـيـ أـوـجـدـهـ الـعـبـدـ وـقـعـلـهـ - عـلـىـ حـدـ زـعـمـهـ -، كـمـاـ قـالـ
دـخـولـهـ الـجـنـةـ عـوـضـ مـعـلـمـهـ، فـأـوـرـتـهـمـ تـلـكـ غـرـوـرـاـ وـعـجـباـ، وـإـنـماـ يـعـدـ الـعـلـمـ
نـعـمـةـ مـنـ اللـهـ، إـنـماـ يـنـبغـيـ لـهـ أـنـ يـشـكـرـ وـيـتـوـاضـعـ، وـإـنـماـ يـعـجـبـ
عـمـلـهـ الـقـدـرـيـةـ». [حلـةـ الـأـوـلـيـاءـ ٩ / ٢٦٣].

- وـالـتـعـبـدـ بـاسـمـ اللـهـ تعـالـىـ وـصـفـاتـهـ يـثـمـرـ المـوقـفـ
الـصـحـيـحـ تـجـاهـ الـمـكـروـهـاتـ وـالـمـصـائبـ الـنـازـلـةـ، فـإـنـ إـلـيـسـانـ ظـلـومـ
جـهـوـلـ، وـالـلـهـ تـعـالـىـ بـكـلـ شـيـءـ عـلـيـمـ، وـهـوـ سـيـحـانـ حـكـمـ عـدـ، وـلـاـ
يـظـلـمـ تـعـالـىـ أـحـدـاـ، قـالـ سـبـحـانـهـ: «كـبـتـ عـلـيـكـمـ الـقـتـالـ وـهـوـ كـرـهـ
لـكـمـ وـعـسـيـ أـنـ تـكـرـهـوـاـ شـيـئـاـ وـهـوـ خـيـرـ لـكـمـ وـعـسـيـ أـنـ تـحـبـواـ
شـيـئـاـ وـهـوـ شـرـ لـكـمـ وـالـلـهـ يـعـلـمـ وـأـنـمـ لـاـ تـعـلـمـونـ». [الـبـقـرـةـ ٢١٦].
يـقـولـ اـبـنـ الـقـيـمـ رـحـمـهـ اللـهـ: «مـنـ صـحـتـ لـهـ مـعـرـفـةـ رـبـهـ وـالـفـقـهـ

فـيـ أـسـمـائـهـ وـصـفـاتـهـ
عـلـمـ يـقـيـنـاـ أـنـ الـمـكـروـهـاتـ
الـتـيـ تـصـبـيـهـ وـالـحـنـنـ الـتـيـ
تـنـزـلـ بـهـ فـيـهـاـ ضـرـوبـ مـنـ
الـمـسـالـحـ وـالـمـنـافـعـ الـتـيـ لـاـ يـحـصـيـهـاـ
عـلـمـ وـلـاـ فـكـرـهـ، بـلـ مـصـلـحـةـ الـعـبـدـ فـيـهـاـ
كـرـهـ أـعـظـمـ مـنـهـ فـيـهـاـ يـحـبـ». [الـفـوـادـ].
صـ ٨٥.

وـيـقـولـ أـيـضـاـ: فـكـلـ مـاـ تـرـاهـ فـيـ الـوـجـودـ -
مـنـ شـرـ وـلـمـ وـعـقـوـبـةـ وـنـقـصـ فـيـ نـفـسـكـ وـهـوـ
غـيـرـكـ - فـهـوـ مـنـ قـيـامـ الـرـبـ تـعـالـىـ بـالـقـسـطـ وـهـوـ
عـدـ اللـهـ وـقـسـطـهـ، وـإـنـ أـجـراـهـ عـلـىـ يـدـ ظـالـمـ، فـالـسـلـطـ
لـهـ أـعـدـ الـعـادـلـينـ، كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ لـمـ أـفـسـدـ فـيـ الـأـرـضـ:
﴿بـعـدـنـا عـلـيـكـمـ عـيـادـاـ لـتـأـ أـوـيـ بـأـسـ شـبـيدـ فـجـاسـواـ
خـلـالـ الـدـيـارـ وـكـانـ وـعـدـ مـفـعـولاـ﴾ [الـإـسـرـاءـ ٥]. (مـدارـجـ
الـسـالـكـينـ: ١ / ٤٢٥).

وـفـيـ خـتـامـ هـذـهـ الـمـاقـلـةـ نـسـوـقـ أـمـثـلـةـ مـنـ أـسـمـاءـ اللـهـ تعـالـىـ
وـبـيـانـ مـعـانـيـهـ وـمـاـ تـقـضـيـهـ مـنـ الـعـبـادـاتـ، يـقـولـ الـأـصـفـهـانـيـ -
أـثـنـاءـ حـيـثـهـ عـنـ اسـمـ اللـهـ تعـالـىـ «الـرـزـاقـ»: الـرـزـاقـ: الـمـكـفـلـ
بـالـرـزـقـ، وـالـقـائـمـ عـلـىـ كـلـ نـفـسـ بـمـاـ يـقـيمـهـاـ مـنـ قـوـتهاـ، وـسـعـ الـخـلـقـ
كـلـهـ رـزـقـ، فـلـمـ يـخـصـ بـنـلـكـ مـؤـمـنـاـ دـوـنـ كـافـرـ، وـلـاـ وـلـيـدـ دـوـنـ عـدـ،
وـبـيـرـزـقـ مـنـ عـبـدـهـ وـمـنـ عـبـدـ غـيـرـهـ، وـالـأـغـلـبـ مـنـ الـمـلـوـخـ أـنـ يـرـزـقـ
فـإـذـاـ غـضـبـ مـنـعـ، حـكـيـ أـنـ بـعـضـ الـخـلـفـاءـ أـرـادـ أـنـ يـكـتـبـ جـرـاـيـةـ
لـبـعـضـ الـعـلـمـاءـ، فـقـالـ: لـأـرـيـهـ، أـنـاـ فـيـ جـرـاـيـةـ مـنـ إـذـاـ غـضـبـ عـلـىـ
لـمـ يـقـطـعـ الـعـلـمـ، فـقـالـ: لـأـرـيـهـ، أـنـاـ فـيـ جـرـاـيـةـ مـنـ دـأـبـةـ لـأـتـحـمـلـ
رـيـقـهـ اللـهـ يـرـيـقـهـ وـأـيـكـمـ﴾ [الـعـنـكـبـوتـ ٦٠].، وـالـلـهـ رـزـقـ إـذـاـ رـزـقـ،
فـإـنـهـ يـفـنـيـ مـاـ عـنـهـ فـيـقـطـ عـطاـءـهـ عـنـ أـفـضـلـ عـلـيـهـ، إـنـمـاـ يـفـنـيـ مـاـ
عـنـهـ فـنـيـ هـوـ وـانـقـطـعـ الـعـطـاءـ، وـخـرـائـنـ اللـهـ لـاـ تـنـفـدـ وـمـلـكـهـ لـاـ
يـزـوـلـ. [الـحـجـةـ فـيـ بـيـانـ الـمـحـاجـةـ ١ / ١٣٨].

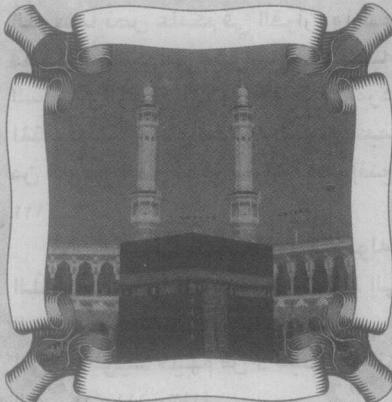
وـلـاـ نـكـرـ الـقـرـطـبـيـ مـنـ أـسـمـاءـ اللـهـ تعـالـىـ الـحـقـيـظـ مـحـتـجـاـ
بـقـولـهـ تعـالـىـ: «وـالـدـيـنـ أـشـخـاـوـاـ مـنـ دـوـنـهـ أـوـلـيـاءـ اللـهـ حـفـيـظـ
عـلـيـهـمـ» [الـشـوـرـىـ ٦].، قـالـ: يـجـبـ عـلـىـ كـلـ مـكـفـلـ أـنـ يـعـلـمـ
أـنـ اللـهـ هـوـ الـحـافـظـ لـجـمـيعـ الـمـكـنـاتـ، وـاعـظـمـ الـحـفـظـ: حـفـظـ
الـقـلـوبـ وـحـرـاسـةـ الـدـيـنـ عـنـ الـكـفـرـ وـالـنـفـاقـ وـأـنـوـاعـ الـفـتنـ،
وـفـنـونـ الـأـهـوـاءـ وـالـبـدـعـ؛ حـتـىـ لـاـ يـرـبـلـ عـنـ الـطـرـيـقـ الـمـثـلـ،
قـالـ اللـهـ تعـالـىـ: «يـبـتـتـ اللـهـ الـذـيـنـ أـمـنـواـ بـالـقـوـلـ الثـالـثـ
فـيـ الـحـيـاةـ الـدـيـنـيـاـ وـفـيـ الـأـخـرـةـ» [إـبـرـاهـيمـ ٢٧].
وـيـجـبـ عـلـيـنـاـ حـفـظـ حـدـودـهـ، فـيـدـخـلـ فـيـ تـلـكـ: مـعـرـفـةـ
عـلـيـنـاـ مـنـ حـقـوقـهـ، فـيـدـخـلـ فـيـ تـلـكـ: مـعـرـفـةـ
الـإـيمـانـ وـالـإـسـلامـ وـسـائـرـ مـاـ يـتـعـيـنـ عـلـيـنـاـ
عـلـمـهـ. [الـأـسـنـىـ، شـرـحـ أـسـمـاءـ اللـهـ
الـحـسـنـىـ ١ / ٣١١].

وـأـخـرـ دـعـوـانـاـ أـنـ الـحـمـدـ لـلـهـ
رـبـ الـعـالـمـينـ.

الْتَّبَعُوا وَلَا تَبِعُوكُمْ

تبصير الأمة

بمنزلة السنة



إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلوة
والسلام على رسول الله، وعلى آله
وصحبه ومن ولاه، وبعد..

فإن جماعة أنصار السنة المحمدية منذ
نشأتها الأولى، وعبر تاريخها الطويل،
وهي تدعى الناس إلى التمسك بالكتاب
والسنة بفهم سلف الأمة؛ حيث إن ذلك هو
السبيل الوحيد لعودة الأمة إلى قيادتها
وريادتها من جديد، ويأتي هذا المقال
تأكيداًدورها الرائد في دعوة الناس إلى
التمسك بالسنة، والدفاع والذب عنها،
وبيان حجيتها ومنزلتها كمصدر من
مصادر التشريع، وأنها وهي كالقرآن،
ونذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة
وآقوال سلف الأمة.

الأدلة من القرآن الكريم
أولاً: وجوب الایمان بالنبي ﷺ واتباعه والرضا

بحكمه

١- قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
أَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ
جَامِعٌ لَمْ يَدْهُبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ...» [النور: ٦٢].

قال ابن القيم: فإذا جعل من لوازيم الإيمان
أنهم لا يذهبون مذهباً - إذا كانوا معه - إلا
باستدانه، فأولى أن يكون من لوازمه إلا
يذهبوا إلى قول، ولا مذهب علمي، إلا بعد
استدانته، وإنته يعرف بدلالة ما جاء به على
أنه أدن فيه. [إعلام المؤمنين / ١: ٥٨]

٢- قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا
لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [الحجرات: ١: ٤٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في
تفسيره: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة».
[تفسير ابن جرير الطبرى].

وقال سفيان الثوري رحمة الله: «دعوا
السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي». [إعلام
المؤمنين / ١: ٧٨]

وقال ابن القيم رحمة الله: «أي: لا تقولوا
حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا
حتى يفتى، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو
الذي يحكم فيه ويمضيه». [المصدر السابق].

الحكمة واجبة الاتباع كالكتاب، خصوصاً وأن الله قد قرناها به.

وَسِنَةُ النَّبِيِّ مُبَيِّنَةٌ عَنِ اللَّهِ مَعْنَى مَا أَرَادَ دَلِيلًا عَلَى خَاصَّهُ وَعَامَّهُ، ثُمَّ قَرَنَ الْحَكْمَةَ بِكِتَابِهِ فَأَتَبَعَهَا إِيَاهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ هَذَا لَأْخَدَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ رَسُولِهِ . اهـ. [الرسالة: ٢٧٨]

قال الشافعي رحمه الله: سمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله . اهـ. [المصدر السابق]

قال ابن القيم رحمه الله: «والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به رب تبارك وتعالى على لسان رسوله ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم». اهـ. [الروح: ٤٥٨]

ثالثاً: وجوب طاعة النبي طاعة مطلقة، وأن طاعته طاعة لله تعالى

١- قال الله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ» [آل عمران: ١٣٢].

٢- قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مُنْكَرٌ نَّهَارُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرِدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنٌ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩].

قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله إن كان حياً، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السنة». [تفسير الطبرى: ٥١ / ٥].

قال الحافظ في الفتح: «فكان التقدير: وأطاعوا الله فيما نص عليهم في القرآن، وأطاعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما يتصه عليكم من السنة، أو المعنى: أطاعوا الله فيما أمركم به الوحي المتبع بتلاوته، وأطاعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن». اهـ. [فتح الباري: ١٣ / ١١].

قال الطيبى: «أعاد الفعل في قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في أولى الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته». اهـ. [فتح الباري: ١٣ / ١١ - ١١٢].

رابعاً: وجوب اتباع النبي ، وأن اتباعه لازم مجتبه دلت آيات القرآن الكريم على وجوب اتباع النبي

٣- قال تعالى: «فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنْهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥].
عن عروة بن الزبير: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراح من الحرة، فقال النبي : «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك». فقال الانصارى: يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك». قال الزبير: «ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: «فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنْهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» واستوى النبي للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه (أخضره) الأنصارى، وكان قد أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. [البخارى: ٤٥٨].

قال الشافعي رحمه الله: وهذا القضاء سنة عن رسول الله لا حكم منصوص في القرآن. [الرسالة: ٨٣]

٤- ثانية: السنة تبين القرآن وتوضحه

١- قال الله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الذِّكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ» [النحل: ٤٤]، فصح أن كلام النبي كله في الدين وهي من عند الله، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله؛ فهو ذكرٌ منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمونه لا يضيع منه شيء، وأن لا يحرف منه شيء أبداً. [الإحکام: ١ / ١٠٩].
قال حسان بن عطية: كان الوحي ينزل على رسول الله وبحضوره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك. [جامع بيان العلم]، وأخرجه أبو داود بلفظ: «كان جبريل ينزل على رسول الله بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن». [سنن الدارمي: ١ / ١٤٥].

٢- قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَنْذُلُ عَلَيْهِمْ أَيَّاتِهِ وَرِزْكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» [الجمعة: ٢].

وقال الله تعالى: «وَأَذْكُرُنَّ مَا يُتَّلَقَّى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ». وعطف الله تعالى الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغایرة، وأنها ليست إيات، ولا يصح أن تكون شيئاً آخر غير السنة، لأن الله تعالى أمن علينا بتعليمها، والمن لا يكون إلا بما هو صواب، وحق مطابق لما عنده فتكون

رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ أَبِيهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».
[البخاري: ٧٧٨].

٦- وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه مرفوعاً: ... وإنك من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهدىين، عصوا عليها بالنواخذة». [الترمذى: ٢٦٧٦] وصححه الألبانى.

٧- وقال رسول الله ﷺ: «تركتُ فيكم أمرين لَن تخلوا مَا تمسحتم بهما: كتاب الله وسنته تبليه». [رواه مالك في الموطأ، ٣٣٨، وصححه الألباني].

العاصمة من الضلال على التمسك بالقرآن و السنة معاً، وما عُلّق على شرطين لا يتم بأحدهما، فمن ثم يجب القطع بضلال من جدد حجية السنة، وادعى الاقتصار على القرآن الكريم، كما هو شعار المبتدعة في كل عصر ومصر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ولو تركتم سنة نبيكم الخالص™). [مسلم: ٢ / ١٢٤].

وقال أليوب السختياني: «إذا حدثت الرجل بسنة، فقال: دعنا من هذا، وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال». [حجية السنة ص ٣٣٢]

إن فصل السنة عن القرآن يفتح المجال للمبتدعة
كي يفسدوا معانٍ القرآن الكريم ما شاعوا أن
يفسدو، دون أن يجاهبها بما يبينها من السنة
الشريفة، وما أكثر النصوص القرآنية العامة، أو
المطلقة، التي يستدل بها المبتدعون إذا فهمت بمعزل
عن السنة التي تفسرها، وتبينها بياناً يتبعين
المصير إليه.

٩- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَصْرُ اللَّهِ أَمْرًا سَمِعَ مِنَ الْحَدِيثَ، فَحَفِظَهُ، حَتَّى يَبْلُغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقَهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهَ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقَهَ لَيْسَ بِفَقِيهٍ». [أبو داود، ٣٦٦٠، وصححه الألباني].

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قول النبي ﷺ
لوفد عبد القيس، بعد أن أمرهم بأربع، ونهاهم
عن أربع: «فاحفظوهن وادعوا إلينهن من وراءكم».
البيهقي في المختصر، ١٤٥٠، وأصل الحديث منفق عليه.

وقد توعّد رسول الله ﷺ من يعتمد الكذب عليه
بأن يتبعوا مقدّه من النار، وحذر من ذلك أشد
التحذير، وما ذاك إلا لأنه - أي الكذب عليه -
مستلزم للتبدل الأحكام الشرعية، واعتقاد الحرام
حلالاً، والحلال حراماً.

فِي جَمِيعِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ، وَالتَّأْسِيُّ بِهِ فِي ذَلِكَ
وَعَلَى أَنْ اتَّبَاعَهُ لَازِمٌ لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى:
— قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَكُمْ كُلُّمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ
أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوُ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكْرُ
اللَّهِ كَثِيرًا» [الْأَخْرَابِ: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي
يَحِبُّكُمُ اللَّهُ﴾

خامساً: السنة وحي القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى﴾ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿النَّجْم: ٤-٣﴾

قال ابن القيم رحمة الله: «لم يقل: وما ينطق بالهوى؛ لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ؛ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به، فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن نفسه، فنطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال». اهـ.

الأدلة من السنة النبوية

كذلك ورد في السنة من الأدلة ما يدل دلالة
قطاعة على حجية السنة الشريفة، فمنها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، كتب عليكم الحج». قال: فقام الأقرع بن حabis فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «لو قلت بها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطعوا أن تعملوا بها، الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع». [أحمد، وصححه شاكير: ٤٥٥، وصححه الألباني].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «لولا أشق على أمتي لأمرتهم
بالسواك عند كل صلاة». [البخاري: ٨٨٧]

٣- عن المقدام بن معدى كرب رضي الله عنه
قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ
وَمُثْلِهِ مَعَهُ، لَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَى أَرْيَكَتِهِ
يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنَ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَالٍ
فَأَحْلَوْهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَمْتُهُ، وَإِنْ مَا
حَرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَرَمَ اللَّهُ، لَا لَا يُحلُّ لَكُمْ
الْحَمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَلَا لِقَطْطَةٍ
مَعَاهِدٍ». [رواوه الإمام أحمد وأبو داود والترمذني وصححه
الألبان].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله». (البخاري: ٣٧ / ٣٧)

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

الإسلام! أما سمعتم الله قال في كتابه: «وَمَا أَتَّاكُمْ الرَّسُولُ فَخُنُودٌ وَمَا نَهَاكُمْ عَنِهِ فَأَنْتُهُوا» [الحشر: ٧]. قال عمران: فقد أخذنا عنه أشياء ليس لكم بها علم. [حجية السنة: ص. ٣٣٠، ٣٣١].

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إليه، فقالت له: أنت الذي تقول: «لعن الله النامصات والمتنصصات والواشمات...» الحديث؟ قال: نعم، قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره، فلم أجده ما تقول، فقال لها: إن كنت قرأتني لقد وجدتني، أما قرأت: «وَمَا أَتَّاكُمْ الرَّسُولُ فَخُنُودٌ وَمَا نَهَاكُمْ عَنِهِ فَأَنْتُهُوا»؟! قالت: بلى، قال: فقد سمعت رسول الله يقول: «لعن الله النامصات...». [البخاري: ٤٨٨٦].

قال ابن حزم - رحمه الله - في المثل (٢/ ٢٢٠): «في أي قرآن وجد أن الظاهر أربع، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يجب في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم، والإبل، والبقن، ومقدار الأعداد المأخونة منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخونة، وبيان أعمال الحج: من الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها، وبمزيلفنة، ورمي الجamar، وصفة الإحرام، وما يجب فيه، وقطع السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المأكل، وأحكام الذبائح والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأقضية، والتداعي، والأيمان، والأحباس، والعمرى، والصدقات، وسائر أنواع الفقه».

وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي ﷺ، وكذلك الإجماع إنما هو في مسائل يسيرة، فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكن لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر من ذلك، وسائل هذا كافر مشرك، حلال الدم والمآل». اهـ. [المثل (٢/ ٢٢٠)].

والحمد لله رب العالمين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان رجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم، فإذاكم وإياهم لا يضلونكم، ولا يفتونكم». [مسلم: ١/ ٩٥].

﴿أقوال سلف الأمة﴾

قال عمر رضي الله عنه: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذلهم بالسفن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله». [الدارمي: ١/ ٤٩]. ولما أرسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج، قال له: «اذهب إليهم فخاصهم، ولا تحاجهم بالقرآن، فإنه ذو وجوه، ولكن خاصهم بالسنة». [حجية السنة: ٣٢٩].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما: أنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله، فقال عمران: إنك أحمق؛ أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ أتجد في كتاب الله الصيام مفسراً؟ إن القرآن أحكم ذلك، والسنة تفسره». [جامع بيان العلم: ٢/ ١١٩٢].

وأخرج مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أبي سعيد: أنه سأله عبد الله بن عمر فقال: يا أبي عبد الرحمن، إننا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؛ فقال ابن عمر: يا ابن أخي، إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً، ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأينا يفعل. [الموطا: ص. ١٠٩].

وأخرج البيهقي في «المدخل» من طريق شبيب ابن أبي فضالة المكي، أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: «يا أبي نجيد، إنكم تحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن». فغضب عمران، وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثة، والغداة ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟! أسلتم عنا أخذتموه، وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟! أوجدت فيه: في كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بغير كذا، وفي كل كذا درهم كذا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟! أسلتم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن النبي ﷺ؟! قال في القرآن: «ولَيَطْوُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٩]. أوجدت فيه: قطعوا سبعاً، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدت فيه القرآن: لا جلب ولا جنب، ولا شغاف في

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام
على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى الله
وصحبه أجمعين، أما بعد:
فالسنة النبوية المباركة لها منزلة عظيمة
ومكانة سامية عند المسلمين قديماً وحديثاً، من
حيث وجوب العمل بها والرجوع إليها عند
التنازع وثبتوت حجيتها واستقلالها بتشريع
الأحكام ولو لم يرد بها نص قرآنٍ هذا من
ناحية، ومن ناحية أخرى فهي مبنية للفرقان
مفصلة لجمله مخصصة لعمومه مقيدة بطلاقه
وموضحة لمشكله، كل ذلك محل إجماع عند من
يعتد بقولهم، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا
الزنادقة والخوارج والروافض الذين فارقوا
جماعة المسلمين ونابدوهم واتبعوا غير سبيل
المؤمنين.

ويأتي هذا المقال تأكيداً لمكانة السنة النبوية
وبياناً لعلاقتها الوثيقة بالقرآن الكريم وأنه لا
يُنفك أحدهما عن الآخر ولا يستغنِّي عنها
بالقرآن، ورداً كذلك على الفئة الضالة المنحرفة
المسمى زوراً (بالقرآنين) الذين يزعمون أنهم
للقرآن يعظمون وبه يأخذون، وكذبوا فهم في
الحقيقة يفسدون في الأرض ولا يصلحون،
ولدين الله يحاربون، والقرآن بريء منهم ومما
يعلمون.

حالات السنة مع القرآن

للسنة مع القرآن ارتباط وثيق فيما حسنوا
لا يفترقان ولهذا الارتباط حالات عدة نفصّلها
فيما يلي:

الحالة الأولى:

وهي أن توافق السنة القرآن أو تؤكّد أمراً
ورد فيه، وفائدته ورود السنة على تلك الحالة
أنها تؤكّد وتقرب هذا الحكم الذي جاء في القرآن
الكريّم، والأمثلة على ذلك متعددة منها:
1- ما ورد في السنة من أحاديث، من مثل
قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلائق»

اتبعوا ولا تبتدعوا

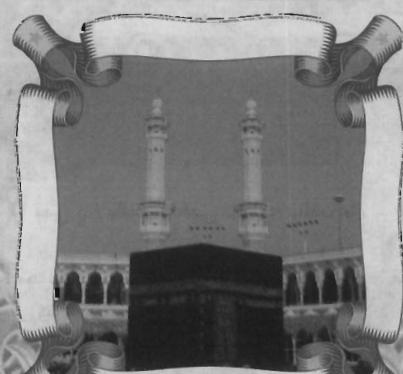
السنة

والقرآن

حسنوان

لا يفترقان

إعداد / معاوية محمد هيكل



من ضلوع وإن أعوج شيء في المضلعة أعلاه، فإن ذهبت تقييمه كسرته، وإن تركته لم ينزل أعوج.» [متفق عليه].

ومثل قوله ﷺ: «اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». [أبو داود ١٩٠٧ وصححه الألباني]. فهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في السنة، في هذا الباب، من الإحسان إلى النساء وحسن معاملتهن موافقاً ومؤكداً لما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَعَشَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرِهُوْهَا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كثِيرًا» [النساء: ١٩].

٢- ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد في السنة مثل قوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يعلم للظلم، وربما قال: يمهد للظلم، حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ: «وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [لفظ الترمذى ٣١١٠ واصله في البخارى].

فإن هذا الحديث موافق ومؤكدة للأية كما نرى.

الحالة الثانية:

وهي أن تأتي السنة مبينة وموضحة لما في القرآن الكريم، قال الله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الذِّكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ» [النحل: ٤٤].

قال الشاطبي في المواقف: روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسّر ذلك.

قال الأوزاعي: الكتاب أحرج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

وهذا البيان على أنواع:

١- تفصيل المجمل:

وهو أن تفصّل السنة ما أجمل في القرآن الكريم، والمُجمَلُ: هو لفظ لا يفهم المراد منه إلا باستفسار من المُجمَلِ، وبيان من جهة يعرف به المراد.

ومن أمثلة ذلك ما فصلته السنة من مواقف الصلاة، وعدد ركعاتها، وكيفياتها مثل ما ورد من قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتوني أصلّى». [البخاري: ٦٠٠٨]

وغير ذلك من الأحاديث، فإنه مفصل لما أجمل في قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ

وأطْبِعُوا الرَّسُولَ لِعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [النور: ٥٦].
ومن أمثلة تفصيل المجمل أيضاً: ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «فيما سقت السماء والعيون العشر، وما سقي بالنحضر نصف العشر». [البخاري: ٤٠٧ / ٣].
فهذا الحديث مفصل لما أجمل في القرآن الكريم من قوله تعالى: «وَأَتُوا الرِّزْكَةَ».

٢- تخصيص العام:

وهو أن تخصص السنة أمراً عاماً ورد في القرآن، والعام: هو لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد، والتخصيص هو صرف الدلالة أو الحكم إلى بعض العام، أو إلى أحد أنواعه. [ينظر: الذخيرة في أصول الفقه].

١- ومن أمثلة ما ورد في السنة من تخصيص العام ما ورد في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢]. فقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم من الآية الكريمة أن المقصود بالظلم عمومه، وهو يشمل أنواعاً كثيرة: ظلم الإنسان لنفسه، وظلمه لجيرانه، وغيرهما.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ». شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينما لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنين، إنما هو كما قال لقمان لابنه: «يَا بُنْيَّ أَلَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]. [متفق عليه].

فبين ﷺ أن الظلم هنا مخصوص، وهو الشرك، لا عموم لفظ «الظلم» وتلا ﷺ قوله تعالى: «إِنَّ الشُّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

فقد خصّت السنة اللفظ العام الذي ورد في القرآن الكريم، وبينت أن المقصود بالظلم أشدّه وأقبحه، وهو الشرك.

بـ- ومن أمثلة تخصيص العام أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فاما الميتتان فالحوت والجراد، وأاما الدمان: فالكبش والطحال» [صحيح الجامع: ٢١٠] فهذا الحديث مخصوص لعموم القرآن في قوله تعالى: «حُرِّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...» [المائدة: ٣]. فالآية هنا نصت على تحريم عموم الميتة والدم، والسنة استثنى من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد

والطحال.

٣- تقيد المطلق:

المطلق: هو ما دل على شائع في جنسه والمقيّد: هو المفظ يضاف إلى مسمى معنى زائد عليه فيُخرجه عن إطلاقه. [ينظر: الحديث الشريف من الوجهة البلاغية ص: ١٤].

والامر المطلق يرد في القرآن الكريم فتاتي السنة فتقيد هذا الإطلاق الذي ورد في القرآن الكريم:

أ- ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم في حد السرقة - مثلاً - في قوله تعالى: «وَالسَّارِقُ فَاقْطَعُوهُ أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [المائد: ٣٨].

ففي هذه الآية يأمر الله بقطع يد السارق، وهذا أمر مطلق، فهل تقطع اليد اليمنى؟ أم اليسرى؟ أم اليدان معاً؟ ثم أين موضع القطع؟ هل هو من العضد؟ أم من الرسغ؟ وهذا كله إطلاق في الآية، قيده السنة ببيانها أن المقصود بالأيدي إدحاماً، ويبعداً في القطع باليد اليمنى، وأن موضع القطع من الكف لا من المرفق، وأن القطع يكون في سرقة ما قيمة ربع دينار فصاعداً، والدينار يعادل (أربعة جرامات وربع الجرام من الذهب)، وهكذا فعل رسول الله ﷺ. فقد روى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقطع في ربع دينار فصاعداً. [ابو داود: ٤٣٥٠ وصححة الإبانى].

فهنا قد حدّدت السنة الموضع، وأن اليد لا تقطع في أقل من ربع دينار.

ب- ومن أمثلة أيضاً تقييده **الوصية المطلقة** في قوله تعالى: «مَنْ بَعْدَ وَصِيَةً يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنِ» [النساء: ١١]، بالثلث في قوله **«الثلث والثلث كثير»**. [البخاري: ٥٣٥٤ ومسلم: ١٦٦٨].

٤- أن توضح السنة أمراً مشكلاً ورد في القرآن الكريم:

والامر المشكّل: هو الملتبس الذي يلتبس على القارئ أو السامع فيختلط في غيره ولا يستطيع تحديده.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: «وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» [آل عمران: ١٨٧].

فقد فهم بعض الصحابة - وهو عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه - من لفظ الآية أن المقصود

به العقال الأبيض من العقال الأسود، وجعل يمسك بهما وينظر فيهما؛ فإذا ميز الأبيض من الأسود أمسك عن الطعام والشراب، فبين له النبي ﷺ توضيحاً للإشكال أن المراد من الخطيب الأسود هو سواد الليل، والمراد من الخطيب الأبيض هو أبياض النهار، وذلك لا يكون إلا بظهور الفجر الصادق.

فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: «حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» الآية. قال عدي: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادي عقالين: عقالاً أبيضاً وعقالاً أسود. أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادك لعربيض، إنما هو سواد الليل و أبياض النهار». [ابو داود ٢٣٥١ وصححة الإبانى].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: إنزلت: «وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» الآية. ولم ينزل «من الفجر»؛ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخطيب الأبيض والخطيب الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله به: «من الفجر»، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار. [البخاري: ١٩١٧].

الحالة الثالثة:

استقلال السنة بتشريع بعض الأحكام التي لم ترد في القرآن "اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ...".

(إرشاد الفحول / الشوكاني)
والسنة في ذلك تأتى دوراً أساسياً - فوق ما سبق من بيان، أو تفصيل، أو تقيد - أو تخصيص - وهو تمام التشريع الإسلامي، وهي في ذلك لا تخرج عن الإطار العام الذي حدده القرآن بوجوب طاعة الرسول ﷺ، وأن في ذلك طاعة الله.

وقد دل على ذلك القرآن والسنة

١- فمن القرآن الكريم: «وَآتِيْعُوا اللَّهَ وَآتِيْعُوا الرَّسُولَ وَآتِيْعُوا رَوْا» [المائد: ٩٢].

قال الشاطبي: وسائر ما قرن فيه طاعة الرسول بطاعة الله فهو دال على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن؛ إذ لو كان في القرآن لكان من طاعة الله.

وقوله تعالى: «فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يَخْلُفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [التور: ٦٣].

شيئاً لم يعهد إلى الناس عامة؟ قال: «لا، وأخرج إليهم كتاباً وفيه: ألا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده». [أبو داود: ٤ / ٦٦٩، وصححة الابناني].

٥ - زكاة الجنين ذكارة أمها:

فعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ذكارة الجنين ذكارة أمها». [أبو داود: ٢٨٣٠، وصححة الابناني].

فائدة:

قال ابن القيم رحمة الله: وردت السنة الصحيحة الصريحة المكتملة بذكر زكارة الجنين ذكارة أمها ، خلاف الأصول وهو تحريم الميتة. فيقال: الذي جاء على لسانه تحريم الميتة استثنى السمك والجراد من الميتة، فكيف وليس بميتة، فإنها جزء من أجزاء الأم والذكارة قد أتت على جميع أعضائها فلا يحتاج أن يفرد كل منها بذكارة.

والجنين تابع للأم وجزء منها، فهذا مقتضى الأصول الصحيحة ولو لم ترد السنة بالإباحة، فكيف وقد وردت بالإباحة الموافقة للقياس والأصول، وقد اتفق النص والأصل والقياس.

وهكذا فإن السنة قد تستقل ببعض الأحكام، وأحكامها في مجموعها لا تخرج عن مشكاة القرآن، قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتتكم القرآن ومنه معه».

قال الإمام الشافعي: وما سن رسول الله ﷺ فيحكم الله سنه، وكذلك أخبرنا الله في قوله: «وإِنَّكُمْ لَتَهَدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». وقد سن رسول الله ﷺ مع كتاب الله، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سن فقد الزمان الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعة، وفي العدول عن اتباعه معصيته... [الرسالة للإمام الشافعي].

وقد ذكر نحواً من ذلك ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين» حيث قال: «فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ؛ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديمًا على كتاب الله، بل امثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم؛ لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به. وقد قال الله تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»..».

والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة ببنية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظله في دين الإسلام، فاعتبروا يا أولى الآباب..
والله من وراء القصد.

يقول الشاطبي: فقد اختص الرسول عليه الصلاة والسلام بشيء يطاع فيه، وذلك السنة التي لم تأت في القرآن. [المواقف للشاطبي: ٤ / ١٣ - ١٤].

وعن المقدم بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتتكم الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله..». الحديث. [آخرجه أبو داود: ٣٨٤٩، وصححة الابناني].

قال الإمام الخطابي: في قوله: «أوتتكم الكتاب ومثله معه، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتى من الوحي الباطن غير المتنو مثل ما أعطي من الظاهر المتنو. ثانية: أن يكون معناه أنه أوتى من الوحي الكتاب وحياً يتلى، وأوتى من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به، كالظاهر المتنو من القرآن. [معالم السنن للخطابي: ١٠ / ٥].

وقد ثبت في السنة أحكام كثيرة استقلت بذكرها واحتضنت بشرعها، فوجوب العمل بها ومن هذه الأحكام:

١- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها:
فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تنحى المرأة على عمتها أو خالتها». وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها». [البخاري: ٥١٩].

٢- تحريم الحمر الإنسانية (الأهلية):
فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خiber. [البخاري: ٤٢١٧].

٣- تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير:
فعن أبي ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع. [البخاري: ٥٥٣]. وفي رواية مسلم: «وكل ذي مخلب من الطير». [مسلم: ١٩٣].

٤- النهي عن قتل المسلم بالكافر:
فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأله قيس بن عباد هل عهد إليه رسول الله

البعوا ولا تبتدعوا

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول

الله، أما بعد:

فلمما كان توحيد الله عز وجل هو مفتاح كل خير، وأساس كل حسنة، وباب كل هدى؛ فقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية من نشأتها، على يد رعيتها الأولى، وعلى امتداد تاريخها المبارك، على دعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وتطهير المعتقد من كل شوائب الشرك والوثنية، ونبذ الخرافية والبدع. و يأتي هذا المقال تأكيداً لدور الجماعة الرائد في تبصير الناس بالحق، وتصحيح معتقدهم، وتحذيرهم من الشرك، وفي هذه الصفحات نوضح بعض ملامح منهج الإسلام الرشيد في حماية جناب التوحيد؛ حتى يظل منيع الجانب، مصون الحمى، فمن ذلك:

٠٠٠ أولاً: تحريم إقامة المساجد على القبور

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرْضَهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَاءِهِمْ مَسَاجِدَهُمْ، لَوْلَا ذَلِكَ أَبْرَزَ قَبْرَهُ غَيْرَ أَنَّهُ حَسِيٌّ أَوْ حُسِيٌّ أَنْ يَتَخَذَ مَسْجِدًا». [البخاري ١٣٩٠]

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَنْ عَيْنَةَ أَنَّ عَائِشَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَيَّاسَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ طَفْقٌ يَطْرُحُ خَمِيسَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، قَاتِلًا اغْتَمَ بِهَا كَثْفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ -: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَاءِهِمْ مَسَاجِدٍ يُحَدِّرُ مَا صَنَعُوا». [البخاري ٤٢٥]

قال الحافظ ابن حجر: «وكانه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم». [فتح الباري ٢ / ١٦٠].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا اسْتَكَنَّ الْبَيْتُ ذَكَرْتُ بَعْضَ نِسَاءِهِ كَنِيسَةَ رَأَيْهَا بِأَرْضِ الْحَبِيشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةٌ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّا أَرْضَ الْحَبِيشَةَ، فَذَكَرْتُ مِنْ حَسِنَهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَقَعَ رَأْسُهُ فَقَالَ: «أَوْلَئِكَ أَذَّاتُ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ سَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَرُوا فِيهِ تَلْكَ الصُّورَةَ أَوْلَئِكَ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ». [البخاري ١٣٤١].

قال الحافظ ابن رجب: «هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين



المُنْهَجُ السُّلْطَانُ في حماية جناب التوحيد

إعداد/ معاوية محمد هيكل

صلى في مسجد فيه قبور قد يزيّن له الشيطان دعوة الميت، أو الاستغاثة به، أو الصلاة له، أو السجود له فيقع في الشرك الأكبر؛ ولأن هذا من عمل اليهود والنصارى، فوجب أن نخالفهم ونبعد عن طريقهم وعن عملهم السيء، والله ولي التوفيق». [فتاوى الشيخ ابن باز / ١٠٧].

وقال الألبانى - رحمة الله -: «أما شمول الأحاديث للنهي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور فدلائلها على ذلك أوضح؛ وذلك لأن النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها، من باب أن النهي عن الوسيلة يستلزم النهي عن المقصود بها والمتosل بها إليه، ومثاله: إذا نهى الشارع عن بيع الخمر فالنهي عن شربه داخل في ذلك كما لا يخفى، بل النهي عنه من باب أولى، ومن بين جدًا أن النهي عن بناء المساجد على القبور ليس مقصودًا بالذات، كما أن الأمر ببناء المساجد في الدور وال محلات ليس مقصودًا بالذات، بل ذلك كله من أجل الصلاة فيها، سلباً وإيجاباً، ويوضح ذلك المثال الآتى: لو أن رجلاً بنى مسجداً في مكان قبر غير مأهول، ولا ياتيه أحد للصلاة فيه فليس لهذا الرجل أي أجر في بنائه لهذا المسجد، بل هو عندي أثم لإضاعته المال، ووضعه الشيء في غير محله.

إذا أمر الشارع ببناء المساجد فهو يأمر ضمّاً بالصلاحة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور، فإنه ينهي ضمّاً عن الصلاة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء أيضًا، وهذا بين لا يخفى على العاقل إن شاء الله. [تحذير المساجد ٣١ - ٣٢].

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في الحديث دليل على بطلان الصلاة عند القبور، أو في المساجد المبنية على القبور؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، والنبي يقتضي الفساد عند الأصوليين، فالذى يصلى عند القبور؛ صلاته غير صحيحة، فعليه أن يعيد الفريضة؛ لأن صلاته عند القبر أو في المسجد المبني عليه قبر غير صحيحة؛ لأنها صلاة متهى عنها، والصلاحة المنهي عنها غير مشروعة، فهي لا تصح.

ثانية: النهي عن الغلو في الصالحين

يمثل الغلو ظاهرة خطيرة في تاريخ البشرية، فهو يُعد من أكبر أسباب الانحراف بالدين عن الصراط المستقيم، وهو السبب الرئيس الذي أدى إلى الافتتان بأصحاب القبور.

قال ابن عباس رضي الله عنهمما في قوله: «وَقَالُوا لَا تَدْرِنَ الْهَتَّكُمْ وَلَا تَدْرِنَ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوْقُ وَتَسْرًا» [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم ثور، فلما هلكوا أوحى

وتصویر صورهم فيها، ولا ريب أن كل واحد منها محروم، على انفراده، كما دلت عليه نصوص أخرى. قال: وال تصاوير التي في الكنيسة التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ظل، فتصویر الصور على مثل صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها، والاستشفاع بها يحرم في دين الإسلام، وهو من جنس عبادة الأوّلان، وهو الذي أخبر النبي ﷺ أن أهله شرارخلق عند الله يوم القيمة، وتصویر الصور للناسى برأيتها أو للتنزه والتلهي محروم، وهو من الكبائر وفعله من أشد الناس عذاباً يوم القيمة، فإنه ظالم يمثل بفعل الله تعالى التي لا يقدر على فعلها غيره، وأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاتاته، ولا في أفعاله.

حكم الصلاة في المساجد المبنية على القبور

قال شيخ الإسلام: «اتفاق الأئمة على أنه لا يُبنى مسجد على قبر؛ لأن النبي ﷺ قال: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور الأنبياء وصالحهم مساجد؛ ألا فلَا تتخذوا القبور مساجد، إلّي أنها حكم عن ذلك» [مسلم ٥٣٢].

وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإذا كان المسجد قبل الدفن غيره: إما بتسوية القبر، وإما بنبوشه إن كان حديثاً، وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد، وإما أن تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نقل؛ فإنه منهي عنه». [مجموع الفتاوى ٢٢ / ١٩٥].

قال ابن القيم - رحمة الله -: «وعلى هذا فيهم المسجد إذا بني على قبر كما يتبش الميت إذا دُفِنَ في المسجد، فلا يجتمع في دين الله مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحق للسابق، فلو وضعما معاً لم يجز، ولا يجوز ولا تصح الصلاة في هذا المسجد لنهي النبي ﷺ عن ذلك ولعنة من اتّخذ مسجداً، أو أودع عليه سراجاً، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله، وغريته بين الناس كما ترى». [زاد المعاد].

وقال الشيخ ابن باز - رحمة الله -: «المساجد التي فيها قبور لا يصلى فيها، ويجب أن تُتبش القبور وتُنقل رفاتها إلى المقابر العامة؛ كل قبر في حفرة كسائر القبور، ولا يجوز أن يبقى فيها قبور، لا ولی ولا غيره؛ لأن الرسول ﷺ نهى وحذر ودم اليهود والنصارى على عملهم ذلك، ومعلوم أن من صلى عند قبر؛ فقد اتّخذه مسجداً، ومن بني عليه ليصلى فيه؛ فقد اتّخذه مسجداً، فالواجب أن تُبعد القبور عن المساجد، ولا يجعل فيها قبور؛ امتنالاً لأمر النبي ﷺ، وحذر من اللعنة التي صدرت من ربنا عز وجل من بنى المساجد على القبور؛ لأنه إذا

الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي
كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم؛ ففعلوا،
فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك، وتُنسى العلم عبد.
[الخاري ٤٩٢٠].

وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وإن
كان القصد بها حسناً، فإن الشيطان أدخل أولئك في
الشرك من باب الغلو في الصالحين والإفراط في
محبتهم.

قال ابن القيم - رحمة الله -: «إن سبب عبادة وليغوث ويعوق ونسر واللات، إنما كانت في تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماشيل وعبدوها - وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بغير الرجل الذي يعتقد صلاحته، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون عندها، ويخشعون وي الخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السُّحر، ومنهم من يسجد لها، واكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه

في المساجد». [إغاثة اللهفان ١ / ١٨٤].

وَعِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَوْتُ النَّصَارَى إِنْ مَرِيمَةً فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ۔ [البخاري ٣٤٤٥] . وَالْأَطْرَاءُ هُوَ مُجَاوِزُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ

والكذب فيه. كما قال البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من الأوز به

ومن ذلك أيضاً
غلوه في النبي ﷺ

يا سيد يا رسول الله، يا أملي
يا مولى، يا ملادي، يوم تلاقاني

هـ لـ بـ اـ هـ كـ مـ اـ قـ دـ مـ تـ مـ نـ زـ لـ

جودا ورجح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف ما يساورني

من الخطوب وانف

قال ابن القيم رحمة الله: «من أسباب عبادة الأصنام: الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعلوا فيه حظاً من الإلهية، و شبّهوه بالله تعالى، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبغضه سبحانه، ويعتبر رسلاً، وأنزل كتبه بإنكاره والرد على

أهله. [إغاثة اللهمان ٢ / ٢٢٦].
وقال رحمه الله: «وما زال الشيطان يوحى إلى
عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليهما
من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن
الدعاء عندهما مستجاب، ثم ينلقهم من هذه المرتبة
إلى الدعاء بها، والإقسام على الله بها، فإن شأن الله
أعظمه من أن يقسسه عليه أو يسأله، بأحد من خلقه.

وقد سرى ذلك في نقوس كثير من الجهات
والطعام، وكثير من ينسب إلى العلم والدين حتى
عادوا أهل التوحيد، ورمواهم بالعظائم، ونفروا
الناس عنهم، ووادوا أهل الشرك وعظمواهم، وزعموا
أنهم أولياء الله ودينه ورسله، وبأيي الله ذلك: «وَمَا
كَانُوا أُولِيَّاً عَلَى إِنْ أُولِيَّاً هُدًى لِلْمُرْتَفَعُونَ» [الأنفال: ٣٤].
ثانياً: النهي عن التقرب إلى الله في مكان يعبد فيه غير الله

عن ثابت بن الصحاح قال: نذر رجل أن ينحر إبله
ببواة فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من
أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا، قال: «فهل كان فيه
عبد من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ
«أوف بذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، وإن
فيما لا يملك ابن آدم». [أبو داود ٣٣١٣ وصححه
الألبان].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم: معصية لله سبحانه وتعالى.

أولها: أن قوله: «أوف ببنزك» تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء، وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء: وجود النذ خالياً من هذين الوصفين، فيكون وجود الوصف مانعاً من الوفاء، ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به الثاني: أنه عق ذلك بقوله: «لا وفاء لنذر في مخصبة الله»، ولو لا اندراج الصورة المسئولة عن

في هذا اللفظ العام، وإن لم يكن في الكلام ارتباط
والمنذور في نفسه وإن لم يكن معصية؛ لكن ما
سئلَ النبي ﷺ عن الصورتين قال له: «فأوف بمنذرك»
يعني: حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك،
فكان جوابه ﷺ فيه أمر بالوفاء عند الخلو من هذا،
ونهى عنه عند وجود هذا.

الثالث: أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزًا
لسوغ النبي ﷺ للنذر الوفاء به، بل لأوجب الوفاء
به؛ إذ كان الذبح بالمكان المنذور به واجبًا، فإذا كان
الذبح بمكان عيدهم منهياً عنه، فكيف بالموافقة في
نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب
عيدهم. [اقتضاء الصراط المستقيم].

٦٠ صوراً فاضحة لعبد الأضرحة

ومع كل هذه الحيطة الشديدة التي احتاطها
الإسلام من أجل التوحيد، حتى لا يُخُدش جنابه،
ويُصان حماه، فمع كل ذلك - وللأسف الشديد - فقد
توجه القبوريون إلى الأضرحة وأصحابها بالعبادات
والقربات التي لا يصح أن تُصرف إلا لله عز وجل،
فتبركوا بها، وطافوا حولها، وجعلوها عيادة
ومنسخة؛ حتى وصل الأمر إلى أن حجوا لها،
وعظموها، واستغاثوا بها، وذبحوا وتنذروا لها.

ومن هذه الصور المخزية المعاصرة أنه قد زعم
 الخليفة السيد البدوي في مولده عام ١٩٩١م أن
السيد البدوي موجود معك أينما كنت، ولو استعنت
به في شدتك وقتلت: يا بدوي مدد؛ لاعنات وأغاثك. قال
ذلك أمام الجموع المحشدة بسراقد وزارة الأوقاف
بالقاهرة أمام العلماء والوزراء، وقد تناقلته الإذاعة
وشاشات التلفاز. [الأضرحة وشرك الاعتقاد ص ١٢١].

وما قام أحد في هذا الجمع ينكر الشرك الأكبر
على قائله، فإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا
بإله.

وفي أيام حكم السلطان المملوكي قيل لأحد
العلماء أن يفتي ببطل مولد البدوي لما يحدث فيه
من وثنيات وشركيات، واختلاط بين النساء
والرجال، وما يشيشه الصوفية من أن البدوي يشفع
لزوار مولده، فأبى هذا العالم أن يفتي قائلاً: «بان
البدوي ذو بطش شديد». سبحانك هذا بهتان عظيم.
[الأضرحة وشرك الاعتقاد ص ١٢٠].

وقد وصل تقدير القبوريين للأضرحة أن جعلوا
لها مناسك؛ فقد آل الأمر بهؤلاء الضلال بآن شرعاً
للقبور حجاً، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف
بعض غلامتهم في ذلك كتاباً سماه (مناسك حج
المشاهد)؛ مضاهاة منه للقبور بالبيت الحرام، ولا
يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين
عبد الأصنام. [إغاثة اللاهفان ١ / ١٩٧].

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «تأمل

الأسطورة التي يبتدعها سذجة كل صنم؛ إذ يزعمون
أن من زار هذا الوثن أو ذاك سبع مرات ماشياً كتب
له ثواب حجة، زعموا أن هذا للبدوي في طنطا،
والدسوقي في سوق، ولشبل في الشهداء...
وكذلك وصل بهم الضلال إلى أن من طاف بغير
عبد الرحيم القناوي بقنا سبع مرات أغناه ذلك عن
الحج إلى بيت الله الحرام!!!! [دمعة على التوحيد].

٦١ لكل ضريح تخصص

لقد وصلت الخرافنة ذروتها عندما جعل الصوفية
لكل قبر تخصصاً، فمن ذلك ما زعموه لمقام الشيخة
«صباح» في طنطا، فقد تخصصت واشتهرت ببركتها
في الشفاء من العقم، أما ضريح «عز الرجال» أحد
تلاميذ البدوي فقد تخصص في شفاء الأطفال،
وضريح محمد الحريري المعروف بـ (العمري) فقد
تخصص في أمراض الروماتيزم، وهكذا يفعل
القبوريون عند الأضرة. ما فعله أهل الجahليّة
الوثنية الذين كانوا يفعلون ذلك عند ما يسمونه
وثناً وصنماً؛ ويفعله القبوريون اليوم عندما
يسموهون وليناً وقبراً، والأسماء لا أثر لها ولا تغير
المعاني. [دمعة على التوحيد].

٦٢ الأنوار القرآنية تبديلًا وتأهيلًا للقبور

قال الله تعالى: «فَلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلُكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ
ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْقُعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا مِنْ أَنِّي لَهُمْ
سِبَا» [٢٢-٢٣].

يقول ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤٦١٢)
معلقاً على هذه الآية الكريمة: «فتأمل كيف أخذت هذه
الآية من المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها
إلى الشرك، وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه؛ فإن
العبد إنما يتعلق بالعبد لما يرجو من نفعه، وإن
فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلّق قلبه به، وحيثئذ فلا
بد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي يتعانق بها
عبداته أو شريكها، أو ظهيرها أو وزيرها أو معاونها
له، أو وجيهها ذا حرمة، وقد يشفع عنده؛ فإذا انتفت
هذه الأمور الأربعية من كل وجه وبطلت؛ انتفت
أسباب الشرك وانقطعت موارده.

فنفى (سبحانه) عن الهمتهم أن تملك مثقال ذرة
في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة
مالك الحق فنفى شركتها له، فيقول المشرك: قد تكون
ظهيرًا وزيرًا ومحاونة، فقال: «وَمَا لَهُمْ مِنْ
ظَهِيرٍ» فلم يبق إلا الشفاعة فنفأها عن الهمتهم،
وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه».

اللهم ثبتنا على التوحيد حتى نلقاك، واحشرنا
مع نبيك ومصطفاك، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،

وبعد:

فمن رحمة الله تعالى وحكمته أن شرع لعباده من العبادات والقربات ما يحقق لهم الخير والصلاح والاستقامة والغلاح في الدنيا والآخرة.

والحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، واحد مبانيه العظام - يأتي على رأس هذه العبادات التي تتحقق للعبد كمال التوحيد والاستسلام لله تعالى، كما تغرس فيه الانقياد التام لأوامر النبي ﷺ من خلال مناسكه العظيمة التي تجلّى فيها معانٍ العبودية لرب البرية في أسمى صورها من خلال مدرسة الحج التربوية، والتي يتربى عليها المسلم، وهذا ما نعرض لشيء منه في هذا المقال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

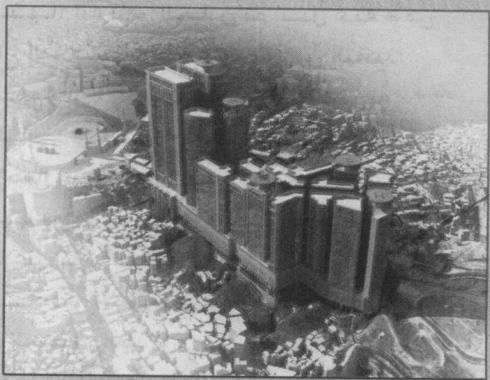
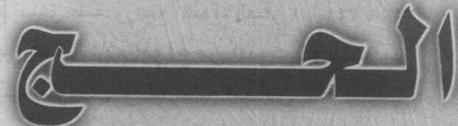
﴿أولاً: توحيد الله عزوجل﴾

فشعيّرة الحج تأتي على رأس العبادات التي تتحقّق المقصد الأعظم والهدف الأكبر لهذا الدين، وهو توحيد الله عزوجل الذي أرسلت به الرسال، ونزلت به الكتب، وخلق الله الخلق لأجله، وميّز بين الناس به، وحرّم به الدم والمال، وأدخل به الجنة، وهو: إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، ونبذ الشرك، وطرائق الشرك، سواء كان عبر الشفاعة، أو التوسل، أو التبرك.

هذا الذي يؤمر به الناس في حياتهم، كي يحصلوا ثواب الله تعالى ويتجنبوا عقابه، منذ البلوغ حتى الممات، كما قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْكُ أَمْرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الانعام: ١٦٢ - ١٦٣]، والحج يؤكد هذا الأصل بشعائره، ويرسّخه في النفوس، ويربيهم عليه بالظاهر التالية:

الأول: التلبية: فقد كان المشركون في جهنم يلبون فيقولون: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملّكه وما ملك»، فجاء النبي ﷺ ومنع هذا الشرك، وأمر الناس أن يقولوا في تلبيتهم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، فهذا

دروس تربيّة من فريضة الحج



إعداد / معاوية محمد هيكل

فِي

الحج يتعلم المرأة التوحيد
حالاً، ليرجع بعده فيكون كذلك في باقي
أيامه، كما كان في حجه.

ثانياً: التسلیم المطلق لرب العالمين

ومن هذه الدروس المباركة التي ينبغي أن يتربى عليها كل مسلم، وتستقر في قلب كل مؤمن ذلك التسليم المطلق والتقويض العظيم لأمر الله ورسوله من خلال قصة أم إسماعيل، كما ثبت في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن إبراهيم جاء بها وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند رحمة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكانة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هناك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثم قفَّى إبراهيم منطلقاً، فتسبَّعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: «الله أمرك بهذه؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت.
[البخاري ١٥٨٩]

إنه المنهج العظيم في التسلیم للنحوص،
ونبذ الرأي، وهو الأصل الأصیل والرکن الرکین
الذی یقوم علیه المعتقد السلفی الصحيح وعلیه
إجماع السلف، وبترکه وقع أهل الأهواء والبدع
فی التبديل والبدعة، من أجل ذلك اشتد نکیر سلف
هذه الأمة علی من ترك الآثار ورد النحوص.
قال الإمام البربهاري: إذا سمعت الرجل يطعن
على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار؛ فاتهمه
على الإسلام ولا تشک أنه صاحب هوی مبتدع.

وقال إبراهيم النخعي: لو أن أصحاب محمدَ
مسحوا على ظفر لما غسلته، التماس الفضل في
اتناعهم. [إبانة الكري: ١ / ٣٦].

إننا نجد في قصة أم إسماعيل وأمثالها
الجلال والقدوة الطيبة والأسوة العطرة، ونحو
نقلب أبصارنا بين البيت وزمزم، والصفا والمروءة؛
نجد البركة ماثلة أمام أعيننا من خلال عبادة
التسليم لأمر الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه لمن

شعار التوحيد وكلمته، يردده الحاج من
إحرامهم، وسائل أيامهم.

الثاني: القصد: فإن الحج يقصد لوجه الله تعالى وحده، لا لأجل فلان وفلان، لا النبي ولا صالح، يخرج الحاج من بلده وأهله، لا يبغي إلا الله تعالى وحده، حتى النبي ﷺ لا يدخل في قصده، فليس من شروط الحج، ولا من واجباته زيارة مسحده عليه السلام.

الثالث: الأعمال: كل أعمال الحج تجري لله تعالى، ليس لأحد حظ فيها، من البدء إلى الختام: من الإحرام، إلى المبيت بمنى، إلى الوقوف بعرفة، ثم المبيت بمذدلفة، ثم الطواف والسعي ورمي الحمار.

الرابع: الدعاء: الأدعية المأثورة في أعمال
الحج أدعية خالصة لله تعالى، منها التوحيد
ونفي الشرك، كدعاء الصفا والمروة، كما قال الله
تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَذْكُرْكُمْ أَبَاكُمْ أَوْ أَشْدَدْ ذَكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠)، قال
القرطبي: «قال ابن عباس رضي الله عنهم وعطاء
والضحاك والربيع: اذكروا الله كذكر الأطفال
أباءهم، أي فاستغثثوا والجئوا إلينه، كما كنتم
تفعلون حال صغركم بآبائكم، وقال طائفة: معنى
الأية: اذكروا الله، وعظموه، وذبّوا عن حرمته،
وادمنعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره، كما
تذكرن أولئك بالخير إذا غضّ أحد منهم،
وتحمّون جوانبهم وتذبون عنهم».

الخامس: لا حظ للمخلوق فيه: ليس في الحج
تبرك بمشاهد، أو أضرحة، أو قبور، أو أشخاص،
وليس فيه دعاء غير الله تعالى، أو الاستغاثة به،
أو التوسل؛ بل ليس للمخلوق منه إلا الإحسان،
بدعاء وعون.

فيسرع في الحج: الحج عن ميت، أو عاجز، أو عون ضعيف أو محتاج، فكل حظ للمخلوق في الحج ب بالإحسان إليه، وليس فيه أدنى شيء يدل أو يحث على التبرك به، أو التوجه إليه، وقد كان المشركون في حجهم يتفاخرون بآبائهم، ويدركونهم، فأمر الله تعالى المؤمنين بقوله: «فإذا قضيتم مناسككم فادركُوا الله كذركم آباءكم أو أشدَّ ذكرًا» [البقرة: ٢٠٠]، فأمرهم الله تعالى بذكره أشد من ذكر الآباء، ليعلمهم أن هذا موضع يعظم فيه الله سبحانه وحده دون غيره، وهذا قول آخر في تفسير الآية.

و هنتم حمى يثرب، قال المشركون: إنَّه يقدِّمُ عليكم
غَدًا قومٌ قدْ و هنتم الحمي، ولقوَ منها شدة،
فجلسوا ممَا يلي الحجر، وأمرهم النبي ﷺ أن
يرملوا ثلاثة أشواط، وي Mishawwa ما بين الركبتين ليرى
المشركون جَلَدهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين
رَعْتُمُ أنَّ الحمي و هنتم؟! هؤلاء أجدل من كذا
وكذا. [مسلم: ١٢٦٦]

قال ابن القيم رحمة الله: لا شيء أحب إلى الله
من مراومة ولية لعدوه، وإغاظته له، وقد أشار الله
سبحانه وتعالى إلى هذه العبودية في موضع من
كتابه، بل جعلها رحمة الله من أسباب تحصيل
الصidiqية، فقال: «فمن تعبد لله بمراومة عدوه، فقد
أخذ من الصديقية بسهم واخر، وعلى قدر محبة
العبد لربه وموالاته، ومعاداته لعدوه يكون نصيبه
من هذه المراومة». [مدارج السالكين / ١: ٤١٤].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله:
إنه لا يستقيم للإنسان إسلام ولو وحد الله وترك
الشرك إلا بادواة المشركون والتصریح لهم
بالعداوة والبغض. [مجموعة التوحید: ص ٢٥].

ويقول ابن القيم رحمة الله: وهذا باب من
العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس، ومن ذاق
طعنه ولذته، يكى على أيامه الأولى، وهذا يقوله
ابن القيم في زمانه، فماذا لو أدرك هذا الزمان وما
اختل فيه من القيم: حتى آل الأمر عند المنهزمين
والمبذلين لشرع الله في عصرنا إلى تنكيس أعلام
هذه الشعيرة، ورفعوا مكانها ريات الإخاء الديني
والتسامح الحضاري واحترام الآخر وحوار
الحضارات، فذابت بذلك شعيرة الولاء والبراء
تحت شعار نبذ التطرف والإرهاب والعنصرية
والكراهية.

والمتأمل في شعيرة الحج و المناسبة يجد رعاية
النبي ﷺ لهذه الشعيرة المباركة حتى كانت
خطبته في حجة الوداع تأكيداً لذلك فقال: «كل
شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع».
[متفق عليه]، وذلك تحريراً للجاهلية وتنتفياً منها
وترفعاً عنها وعن أصحابها.

وقد ربى النبي ﷺ صحابته على هذا المبدأ
الإيماني الأصيل كما ثبت في صحيح البخاري من
حديث عمرو بن ميمون قال: شهدت عمر رضي الله
عنه صلى بجمع، ثم وقف فقال: إن المشركون كانوا
لا يفجرون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق
ثبيرون، وأن النبي ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن
تطلع الشمس. [البخاري: ١٦٨٤].

فليذكِّر المسلمون اليوم وهم يؤمِّنون البيت

تعبد الله

بذلك، فقد نالت أم إسماعيل
الذكر الحسن والثناء الجميل إلى يوم
الدين؛ جزاء تسليمها وتفويضها الأمر لله، ولا
يزال الملايين من البشر يخطون على خطها،
ويتخذون من طريقها بين الصفا والمروة عبادةً
وشعيرة ونسكاً، ويا لها من منزلة نالتها
باعتراضها وتوكلها على خالقها!
وأعظم وأجل من قصة أم إسماعيل قصة أبي
إسماعيل إبراهيم عليه السلام؛ إذ أمر بذبح ابنه
كما ثبت في صحيح البخاري عن سفيان عن عمرو
عن عبيد بن عمير أن رؤيا الأنبياء وهي». ثم تلا
هذه الآية: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السُّعْدَى قَالَ يَا بُنْيَ إِنِّي
أَرَى فِي الْمُنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا
أَبَتْ أَفْعُلُ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ» [الصافات: ١٠٢].

فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا الإذعان
والاستسلام والامتثال لأمر الله، ولبي نداء ربه في
التضحية الكبرى ولم يضن بابنه، ولم يتأخر في
البذل، ولذا قال الله تعالى عنه: «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي
وَفَّى» [النجم: ٣٧]. وعلى نفس المنهج سار إسماعيل
عليه السلام؛ إذ اذاعناً وامتثالاً لأمر الله، إنها الأسرة
المباركة التي تربت على التوحيد وعاشته عملياً
في واقع الحياة، «رَحْمَةُ اللَّهِ وَبِرَّكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَحِيدٌ».

فما أحوج الأمة اليوم وهي تمر بتحديات
كثيرة أن تأخذ و تستقي من هذه المواقف الدروس
والعبر فتتأسى بهذه الصفات الطيبة من العلم
بالله والدعوة إليه وتوحيده، ونبذ الشركيات التي
عرقلت مسيرة الدعوة إلى الله تعالى.

وكذلك الصبر على البلاء، ومقارنة الأوطان،
والتضحيَّة في سبيل نشر هذا الدين العظيم في
العالمين، والدفاع عن سنة النبي الأمين، والتحذير
من تبديل المبذلين، وتضليل المضللين الذين فارقوا
منهج السلف الكريم، ولم يعتصموا بعروة
التسليم.

ثالثاً: إعلان البراءة من الشرك وأهله
من أعظم الدروس المستفادة من الحج
و المناسبة ما ثبت من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد

٠٠ تربية أفراد الأمة على الوحدة ونبذ الفرقـة ٠٠

لقد اهتم النبي ﷺ بهذا الأمر، وأولاه عناية خاصة، وقد تجلى ذلك في مظاهر شتى من أهمها: تسويته ﷺ بين أفراد الأمة، وعدم تمييزه بينهم إلا بالتفوّق؛ إذ يقول ﷺ: «إن ربكم واحد، وأباكم واحد، إلا لا فضل لعربي على عجمي ولا لجمعي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتفوّق». [أخرجه أحمد: ٢٣٥٣٦]. وصححه الألباني.

ومنها أمره ﷺ بالسمع والطاعة لمن يقيم كتاب الله عز وجل ولزوم الجماعة والنصر للأئمة؛ حيث قال: «إن أمر عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله عز وجل فاسمعوا له وأطيعوا». [مسلم: ١٨٣٨].

وقال ﷺ بالخيف من مني: «ثلاث لا يغلوّ عليها قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». [ابن ماجه: ٢٤٨٠] وصححه الألباني. ومنها تحذيره ﷺ من الاستجابة لتحرش الشيطان، حيث قال ﷺ: «إن الشيطان قد أليس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحرش بينهم». [مسلم: ٢٨١٢].

ومنها نهيه عمّا يسبب الفرقة ويؤدي إلى الفتنة في المجتمع، كالاستهانة بدماء الآخرين وأموالهم وأعراضهم حيث قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». [متفق عليه]. وقال أيضًا: «لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقباب بعض». [متفق عليه].

فما أحوجنا أن نترسم هذه الدروس وال عبر مع موسم الحج، حتى تكون حياتنا مستقيمة على الشرع الأغر المعظم، ونسأل الله أن يختتم لنا بخاتمة السعادة، وأن يلحقنا بسلفنا الصالح في عافية في الدين وحسن يقين، والحمد لله رب العالمين.

الحرام والمشاعر المباركة صراع الحق مع الباطل، وظهور الحق وبقاءه ظاهرًا عاليًا، وليتذكر كذلك فضل إظهار شعائر الإسلام وصوّلته، وأن الصراع مع الكفر والبدعة والفسقور باقٍ ما بقيت أمم تحارب الله وشرعه وسنة نبيه ﷺ.

فمهما بلغ عتو الكفر وتجبره؛ فإن النصر للمؤمنين الموحدين الصادقين، قال الله تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَأْتِيُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْقُعُ الظَّالِمُونَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» [غافر: ٥٢، ٥١].

وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». [مسلم: ١٩٢٠]

٠٠ التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقـي ٠٠

الإسلام هو الخضوع والذل لله وحده والإذعان لما جاء به رسوله ﷺ، ولا تثبت قدم أحد فيه ما لم يسلم لنصوص الوحي وينقد إليها، والحجج آية في الانقياد ومدرسة في التسلیم ربى النبي ﷺ فيه أصحابه رضي الله عنهم على توحيد متابعته وغرس في نفوسهم ضرورة التأسي به، يقول جابر رضي الله عنه واصفًا الحال: «رسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه القرآن ينزل، وهو يعرف تأويله، وما عمل من شيء؛ علمنا به» فأشمرت تلك التربية ثمرات يانعة مباركة.

وتجلّى مظاهر التربية على الاتباع في صور كثيرة منها:

مطالبته ﷺ الحجيج في موقفه عدة خلال الحج بالتأسي به، وتحفيزه إياهم على ذلك بذكر احتمال أن تكون هذه الحجة آخر حجة له؛ إذ قال ﷺ مراراً: «لتأخذوا عنّي مناسككم، فإني لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتي هذه». [مسلم: ١٢٩٧].

ومنها حثه ﷺ في خطبته يوم عرفة على الاعتصام بالتنزيل والتمسك به، لأن ذلك طريق الوقاية من الانحراف والضلال؛ حيث قال: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن انتصبتم به: كتاب الله»، ومنها تحذيره ﷺ أمنه من اتباع الأهواء والابتداع في الدين، إذ قال وهو على ناقته في عرفات: «ألا وإنني فرطكم على الحوض، وأكثركم بالآدم، فلا تسودوا وجهي، ألا وإنني مستنقذ أناسًا ومستنقذ مني أناس فاقرول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك». [رواه ابن ماجه: ٢٤٨١، وصححه الألباني].



اتبعوا ولا تبتعدوا

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فجماعة أنصار السنة منذ نشأتها الأولى على يد رعيلها الأول، وعلى مدار تاريخها المبارك، وهي تحرص أول ما تحرص على دعوة الناس إلى توحيد الله عز وجل، الذي هو أصل الدين وأساسه، والتحذير من الشرك وصورة وخطره على سلامة المعتقد.

ويأتي هذا المقال تأكيداً لهذا الدور البناء، والذي نوضح فيه صوراً من

الشرك الأصغر في الأقوال والأفعال، وذلك

صيانة لكتاب التوحيد حتى يظل منيع

الجانب مصون الحمى، فنقول

مستعينين بالله:

تعريف الشرك الأصغر

هو كل ما كان فيه نوع شرك لكنه لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر، أو هو كل قول أو عمل بالقلب أو الجوارح جعل العبد فيه نوع شرك لله تعالى ولم يصل إلى إخراج صاحبه من الملة، وقد أطلق بعض العلماء الشرك الأصغر على جميع المعاصي؛ لأن فيها اتباعاً للهوى، وتقديمًا على طاعة الله، مستدلين بقوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُ مِنْ أَتَّخَدَ إِلَهً هُوَأَهُ» [الجاثية: ٢٣]. (الفتاوى: ١٠/٢٦)،
معارج القبول -٤٣٣-، ٤٢٤، القول المفيد -١٠/٦١).

وقد ذهب كثير من المفسرين، وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنهم إلى أن الآية السابقة في الشرك الذي يعبد ما تهواه نفسه من معبودات، فما استحسن من شيء عبده. [انظر تفسير الطبراني والقرطبي والشوکانی ومجموع الفتاوى ١٠/٥٣٢]. وعلى ذلك؛ فإن المعاصي لا يدخل منها في الشرك الأصغر إلا ما كان فيه نوع إشراك مخلوق آخر.

حكمه

أما حكم الشرك الأصغر فهو كما يلي:
١- أنه كبيرة من كبائر الذنوب، بل هو أكبر الذنوب بعد الشرك الأكبر، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: لما رأى في يد رجل حلقة من صفر قال: «ما هذه؟» قال: من الواهنة. قال: «انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنه لو مت وهي عليك ما

أفلحت أبداً». [رواه أحمد وابن حبان وسنده حسن].
ويؤيده قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً». فجعل الحلف بالله كاذباً الذي هو من كبائر الذنوب أخف من الحلف بغيره صادقاً؛ لأنه من الشرك الأصغر، وقد ذهب

صور من
الشرك
الأصغر
يجب
الحذر
منه

إعداد / معاوية محمد هيكل

اليمين عبادة من العادات التي لا يجوز صرفها الغير لله، فيحرم الحلف بغيره تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله، ولا فليصمت». متفق عليه. فمن حلف بغير الله سواء أكان نبياً أو ولياً أو الكعبة، أو الملائكة، أو الأمانة، أو روح فلان، أو تربة فلان، أو حياة فلان أو غير ذلك؛ فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ووقع في الشرك في الشرك

تعالى التي لا يسمى بها سواه ك «الله» و«الرحمن»، كما ذكر ابن حجر رحمة الله أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته.

وأختلفوا فيما عدا ذلك مثل قول: «لعم الله» والمراد به: الحلف ببقاء الله تعالى وحياته، وقول: «بحق الله» وقول: «على يمين الله»، وقول: «علم الله» وقول: «أيم الله»، وقيل: إن «أيم» عوض عن «أو»، وقيل: إنها بمعنى «أحلف بالله»، كما اختلفوا في الحلف بفعل من أفعال الله.

وأما ما ورد في الأحاديث مما ظهره الحلف بغير الله حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»، وحديث: «أما وأبيك لتنبأه»، فقد أجيب عنه بعدة أجوبة منها: أن ذكر الحلف في الحديثين شاذ لم يثبت، كما بين ذلك الحافظ ابن عبد البر وغيره، وعلى فرض ثبوته أجبت بأن ذلك كان جائزًا في أول الإسلام ثم نسخ، وذلك هو الصواب، ويؤيده أن ذلك كان مستعملًا شائعاً ثم ورد النهي عن ذلك، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». [رواه البخاري].

اليمين عبادة

واليمين عبادة من العادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، فيحرم الحلف بغيره تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت». متفق عليه. فمن حلف بغير الله سواء أكان نبياً أم ولياً أم الكعبة، أم الملائكة، أم الأمانة، أم روح فلان، أم تربة فلان، أم حياة فلان أو غير ذلك؛ فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وقع في الشرك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك». [رواه أبو داود ٢٢٥٣ وصححه الألباني].

ولأن الحلف فيه تعظيم للمحظوظ به، فمن حلف بغير الله كائناً من كان؛ فقد جعله شريكاً لله عزوجل في هذا

بعض أهل العلم إلى أن الشرك الأصغر لا يغفر إذا مات العبد ولم يتب منه، مستدلين بعموم قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، وأجيب عن هذا الاستدلال بـ«الآيات التي تحدث عن الشرك في كتاب الله تعالى والتي رب فيها الحكم على وصف الشرك لم يختلف أهل العلم في أن المراد به الشرك الأكبر كما في قوله تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [المائدة: ٧٢]، وقوله: «إِنَّ أَنْشَرْكْتَ لِيَحْبِطَنَ عَمْلَكَ» [الزمر: ٦٥]. (مدارج السالكين: ١/٣٦٨، قرة العيون).

-٢- أن هذا الشرك قد يعظم حتى يؤول أصحابه إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، فصاحبه على خطير عظيم.

-٣- أنه إذا صاحب العمل الصالح أبطل ثوابه، كما في الرياء وإرادة الإنسان الدنيا وحدها بعمله الصالح بذلك على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشراكاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركته». [مسلم ٢٩٨٥].

صور من الشرك الأصغر
للشرك الأصغر صور كثيرة من أهمها:

أولاً: الشرك الأصغر في العادات القولية:

١- الحلف بغير الله، الحلف في اللغة: مصدر حلف، يحلف، وهو الملازم، لأن الإنسان يلزمه الثبات على ما حلف عليه، ويسمى اليمين؛ لأن المحالفين كان أحدهما يصدق بيمينه على يمين صاحبه ويسمى أيضًا (القسم).

اما الحلف في الاصطلاح: فهو توكيـد الشيءـ بـذـكرـ اـسـمـ اوـ صـفـةـ لـهـ تعالىـ مـصـدرـ بـحـرـفـ مـنـ حـرـوفـ الـقـسـمـ. وقد أجمع أهل العلم على أن اليمين المشروعة هي قول الرجل: والله، أو بالله، أو تالله، وقد حكى الإجماع على ذلك ابن المنذر وابن حزم وابن قدامة وابن عبد البر، وأجمعوا على انعقاد اليمين إذا كانت باسم من أسماء الله

١٠ حقیقتہ الیمن
والقصد منها إنما هو
تأكيد حالف قوله
بالقسم بالحلف به
الذی يقدر ان ينتقم
منه ويعاقبه إن كان
كاذباً، ولذلك ترى
أكثر العامة يحلفون
بالله كذباً غير
مباليين، فإذا استخلفوا
بمن يعظمونه من
الموتى والأولياء
ويعتقدون له السر
والتصريف تکعکعوا
وصلقووا

التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه
وتتعالى، وهذا من الشرك الأصغر إن كان
الحالف إنما أشرك في لفظ القسم لا
غير، أما إنما كان الحالف قد قصد بخلافه
تعظيم المخلوق الذي حلف به كتعظيم
الله تعالى، كما يفعله كثيراً من المتصوفة
الذين يحلفون بالأولياء والمشايخ أحياء
وأمواتاً، حتى ربما بلغ تعظيمهم في
قلوبهم أنهم لا يحلفون بهم كاذبون، فهذا
شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأن المخلوف
به عندهم أجل وأعظم وأخوف من الله
تعالى.

قال الشيخ حامد الفقي: وذلك لأن
حقيقة اليمين والقصد منها إنما هو
تأكيد حالف قوله بالقسم بالمحلوف به
الذى يقدر أن ينتقم منه ويعاقبه إن كان
كاذباً، ولذلك ترى أكثر العامة يحلفون
بالله كذباً غير مباليين، فإذا استخلفوا
بمن يعظمونه من الموتى والأولياء
ويعتقدون له السر والتصريف تکعکعوا
وصدقوا، وإن كان في ذلك ذهاب بعض
ما يحرضون عليه من منفعة، يقيمون
بها خوفاً من عقاب وانتقام وتصريف
ذلك الولي فيهم.

قال النووي في روضة الطالبين (١١/٦): قال الأصحاب - يعني
الشافعية: فلو اعتقد الحالف في
المخلوف به من التعظيم ما يعتقد في
الله تعالى: كفر.

٢- الاستسقاء بالأنواء:

الاستسقاء في اللغة: من سقي،
وال المصدر: سقيا، بفتح السين وتسكين
الكاف، والاسم: السُّقْيَا، والمراد: إنزال
الغيث.

والسين والتاء في الاستسقاء تدل
على الطلب، أي طلب السقية،
كالاستغفار فهو طلب المغفرة، فمادة
«استغفِل» تدل على الطلب غالباً. [القول
المفيد]

والأنواء: جمع نوء، وهو النجم
وفي السنة الشمسية ثماني وعشرون
نجماً، كنجم الثريا، ونجم الدبران. ومدة
النجم ١٣ يوماً، وهذه النجوم هي متازل
القمر، وفي نهاية كل منزلة يغيب نجم
من جهة المغرب، ويطلع نجم من جهة

المشرق، وأصل النوء: طلوع النجم،
ويقيل: غروب النجم، ثم أطلق على نفس
النجم. [التمهيد لابن عبد البر ج ١٦/٢٨٧]
[٤٤٠] وشرح السنة: ٤٤٠

فالاستسقاء بالأنواء: أن يطلب من
النجم أن ينزل الغيث، ويدخل فيه أن
ينسب الغيث إلى النجم، كما كان أهل
الجاهلية يزعمون، فكانوا إذا نزل مطر
في وقت نجم معين نسبوا المطر إلى ذلك
النجم، فيقولون: هذا مطر الوسي، أو
هذا مطر الثريا، ويزعمون أن النجم هو
الذي أنزل هذا الغيث.
الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى
قسمين:

القسم الأول: أن ينسب المطر إلى
النجم معتقداً أنه هو المنذر للغيث بدون
مشيئة الله و فعله جل وعلا، وهذا شرك
أكبر بالإجماع.

القسم الثاني: أن ينسب المطر إلى
النوء معتقداً أن الله جعل هذا النجم
سببًا في نزول هذا الغيث، فهذا من
الشرك الأصغر؛ لأن الله جعل ما ليس
بسبب سبباً، فالله تعالى لم يجعل شيئاً
من النجوم سبباً في نزول الأمطار، ولا
صلة للنجوم بتنزولها بأي وجه، وإنما
أجرى الله العادة بتنزول بعض الأمطار
في وقت بعض النجوم.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على
تحريم الاستسقاء بالأنواء، ومنها:

١- ما رواه مسلم (٧٣) في صحيحه
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم: «أصبح من الناس شاكراً،
ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال
بعضهم: لقد صدق نؤء كذلك وكذا» قال:
فنزلت هذه الآية: «فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاعِدِ
النُّجُومِ» حتى بلغ: «وَتَجَعَّلُونَ رِزْقَكُمْ
أَكْمَمُ ثَكَدُونَ» [الواقعة: ٢٨]، ومعنى
الآية الأخيرة أنكم تجعلون شكر ما أنعم
الله به عليكم من الغيث أنكم تذبذبون
 بذلك، وذلك بنسبة إنزال الغيث إلى غير
الله تعالى.

٢- ما رواه البخاري ومسلم عن زيد
بن خالد الجهنمي رضي الله عنه قال:
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه

الاستقاء
بالأنواع: أن يطلب من
النجم أن يتزل الغيث،
ويدخل فيه أن يتسب
الغيث إلى النجم، كما
كان أهل الجاهلية
يزعمون، فكانوا إذا
نزل مطر في وقت
نجم معين نسبوا المطر
إلى ذلك النجم،
فيقولون: هذا مطر
الوسعي، وهذا مطر
الثريا، ويزعمون أن
النجم هو الذي أنزل
هذا الغيث

في الاعتقاد الشركي، فاعتياض الناس عليه في عصر قد يؤدي بجهلهم أو بمن يأتي بعدهم إلى الوقوع في الاستسقاء الشركي بالأنواع.

بـ التسمي بأسماء فيها تعبيد
لغير الله تعالى كعبد الرسول وعبد
النبي وعبد الحسين، ولهذا غير النبي
صلى الله عليه وسلم أسماء من أسلم
من الصحابة وكان اسمه معبدًا لغير
الله تعالى .

جـ- سب الدهر، روى البخاري
ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه:
«يؤذني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا
الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهر»
فالله هو الفاعل حقيقة، فمن سب الدهر
فقد سب الله، وسب الدهر يكون من
الشرك الأصغر في حق من سب الدهر
وهو يعتقد عدم تأثيره، فالشرك من أجل
اللطف الذي فيه نوع تشريك بين الله
وبين الدهر في الفعل والتأثير، أما إن
كان السباب للدهر يعتقد ما يعتقده أهل
الجهالية من تأثير الدهر و فعله من دون
الله، كما قال الله تعالى: «وَمَا يُهْكِنُ
الاَّ الْدَّهْرُ» [الجاثية: ٢٤]. فهو شرك أكبر.

انظر: الأسماء والصفات للبيهقي ١/٣٧٨،
وزاد المعد ٢/٣٥٥، والشرك الأصغر [١٩٧].
وللحديث بقية في العدد القادم إن
شاء الله تعالى.

وسلم صلاة الصبح بالحدبية في إثر
سماء كانت من الليل، فما انصرف أقبل
على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال
ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:
«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما
من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته،
فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من
قال: مطرنا بنوء هذا وكذا، فذلك كافر بي
مؤمن بالكوكب».»

وهذا الحديث يشمل على
الصحيح - النوعين السابقين، فهذا
القول كفر، لكن إن نسب الغيث إلى
النجم من دون الله فهو كفر وشرك أكبر،
وإن نسب إليه نسبة تسبب فهو كفر
نعمة وشرك أصغر. [التمهيد ٢/٢٨٦، ١٦]

-٣- ما رواه مسلم (٩٣٤) عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً: أربع في أمتي من أمر الجahلية لا يتركونهن: الفخر في الاحساب، والطعن في الاتساب، والاستيقاء بالنحوم، والنهاة.

وإذا قال المسلم: «مطرنا بنوء هذا وكذا». ومقصده أن الله أنزل المطر في وقت هذا النجم على أن الباء تأتي للظرفية على معنى «في»، معتقداً أنه ليس للنجم أدنى تأثير لا استقلالاً ولا تسبباً، فقد اختلف أهل العلم في حكم هذا اللفظ، فقيل: هو محروم، وقيل: مكروه، ولا شك أن هذا اللفظ ينبغي ترکه، واستبدل الله باللفاظ الأخرى التي لا إيهام فيها، فإذا ما أن يقول: «مطرنا بفضل الله ورحمته»، فهذا هو الذي ورد الثناء على من قاله، كما سبق في الحديث القدسي، فهو أولى من غيره، وإنما أن يقول: «هذا مطر أنزله الله في وقت نجم كذا» أو يقول: «مطرنا في نوء كذا»، وتحو ذلك من العبارات الصريحة التي لا لبس ولا إشكال فيها، فقول: «مطرنا بنوء كذا». أقل أحواله الكراهة الشديدة، والقول بالتحريم قول قوي، لما يلي:

١- أنه قد جاء الحديث القدسي مطلاً بغير قائلٍ هذا اللفظ، وباعتبار قولهم كفراً بالله تعالى، وإيماناً بالكتاب.

اتبعوا

ولا تبتعدوا

الْجَازِمُ الْقَوْلُ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله

وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن صور من الشرك الأصغر في الأقوال، محذرين من الحلف بغير الله، والاستسقاء بالأنواع، وغير ذلك، وفي هذا المقال نتحدث عن الشرك في الأفعال وذلك من خلال الحديث عن الرقى والتمائم موضعين جملة من الأحكام المتعلقة بهذه المسألة الهامة حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، فنقول وبالله التوفيق:

به، ولو عرف معناه؛ لأنَّه يُكره الدعاء بغير العربية، وإنما يُرخص من لا يُحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً؛ فليس من دين الإسلام». اهـ.

وحكم هذه الرقية أنها مستحبة، وهي من أعظم أسباب الشفاء من الأمراض بإذن الله تعالى، قال ابن الق testim رحمة الله في زاد المعاد (٤ / ١٨٢): «إن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمتنع من وقوفه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً، وإن كان مؤذياً، أما الأدوية فإنما تنفع بعد حصول الداء». وقال في مدارج السالكين بعد قصبة اللدغ في الحديث الذي رواه البخاري (٢٢٧٦): «فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللدغ بقراءة الفاتحة عليه، فاغتنم عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء، هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان محسلاً قابلاً».

ثم قال رحمة الله: «فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة العليل، فمتي تخلف واحد منها؛ لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء، ولا بد بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن عرف هذا كما ينبغي؛ تبين له أسرار الرقى، وتميز بين النافع منها وغيره، ورقى الداء بما يناسبه من الرقى، وتبين له أن الرقية برaciها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع،

أولاً الرقية: هي الأذكار التي يُعوذ بها لرفع البلاء أو دفعه، والرقى تسمى العزائم والعزمات في الأصل: رقى كانوا يعزمون بها على الجن، فيقال: عزم الراقي، كانه أقسم على الداء. [لسان العرب، مادة: عزم].

أنواع الرقى

١- الرقية الشرعية: هي الأذكار من القرآن، والأدعية، والتعويذات الثابتة في السنة، والأدعية الأخرى المشروعة التي يقرأها الإنسان على نفسه، أو يقرؤها على غيره ليعيذه الله من الأضرار بائعها: من الأمراض، وشرور المخلوقات من السباع والمهوم والجن والإنس وغيرها، فيعيذه منها بدفعها قبل وقوعها، أو يعيذه منها بعد وقوعها بأن يرفعها ويزيلها عنه، وقد تكون الرقية بالقراءة والنفث على بدن المريض أو في يديه، ويمسح بهما جسده وموضع الألم فيه.

شروط الرقية الشرعية

قال الحافظ في الفتح (١٠ / ١٩٥): «اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو باسمه الله وصفاته، أو بالأدعية النبوية الثابتة، وباللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بقدر الله تعالى. اهـ بتصريف.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «كل اسم مجهر ليس لأحد أن يرجي به، فضلاً عن أن يدعو

في الرقى والتمائم

إعداد / معاوية محمد هيكل

رضي الله عنه أنه شكر إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يديك على الذي تالم من جسدك، وقل: بسم الله - ثلاثاً -، وقل سبع مرات: أعود بالله وقدرته من شر ما أجد وأهان». [مسلم: ٢٢٠٢]. وعن أبي داود بلفظ: «أعود بعزة الله وقدرته».

٩- عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن الرقية من الحمّة، فقالت: رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمّة.

[خ: ٥٧٤١]

١٠- وعن أنس رضي الله عنه قال: رخص النبي ﷺ في الرقية من العين والحمّة والنملة. [مسلم: ٢١٩٦] . والحمّة: تطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب، والعين: هي الحسد وهو حق وله تاثير، لكن لا تاثير له إلا ياذن الله، قال الله تعالى: «وَإِنْ يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْلُقُوكُنَّ بِأَبْصَارِهِمْ» [القلم: ٥١]. فسره بإصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العين حق». [البخاري: ٥٧٤٠، ومسلم: ٢١٨٧]. والنملة: قروح تخرج في الجنب.

هل طلب الرقية ينافي التوكيل؟

استدل أهل العلم على استحباب الرقية في حق المرضى والراقي بالآحاديث السابقة؛ وبما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ«قل هو الله أحد»، وبالمعونتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: «لما اشتكي كان يأمرني أن أفعل ذلك به». [البخاري: ٥٧٤٨]

وعن عروة بن الزبير عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيته جارية في وجهها سفعه، فقال: «استرقوها لها؛ فإن بها النّظر». [البخاري: ٥٧٣٩]، والنظرية: الإصابة بالعين.

وهذه إشارة مطلعة على ما وراءها من بعد نظره وحسن تأمله».

أمثلة من الرقى الشرعية

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا اشتكي؛ قرأ على نفسه بالمعوذات ويفتش، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيمينه، رجاء بركتها. [متفق عليه].

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ - أو أمر - أن يسترقى من العين. [البخاري: ٥٧٣٨، ومسلم: ٢١٩٥].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكي؛ رقاه جبريل عليه السلام. [مسلم: ٢١٨٥].

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد اشتكتك؟» فقال: «نعم، قال: بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشقفك». [مسلم: ٢١٨٦].

٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياه العرب؛ فلهم يقرؤهم، فيبيثونهم كذلك إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقال: إنكم لم تقرؤونا، ولا ن فعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيناً من الشاء، فجعل يقرأ باسم القرآن ويجمع بزقه ويتنفل فبرأ، فأتوا بالشاء: فقالوا: لا تأخذ حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوا، فحضره النبي ﷺ وقال: وما أدرك أنها رقية، خذوه واخربيوا لي بسهم. [متفق عليه].

٦- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لثابت: ألا أرقيك برقية النبي ﷺ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس، مذهب الناس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً. [البخاري: ٥٧٤٢].

٧- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يرقى يقول: «امسح الناس رب الناس، بيديك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت». [البخاري: ٥٧٤٤].

٨- وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان لي خالٌ يرقى من العقرب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرقى، قال: فتاتاه فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقى من العقرب؟ فقال: من استطاع منكم أن ينفع أخيه فليفعل». [مسلم: ٢١٩٩].

فهذه الأحاديث صريحة في استحباب طلب الرقية، وأنه لا نقص في توكل العبد إذا رقى نفسه أو طلب من غيره أن يرقى؛ لفعله وأمره بذلك لأهله ﷺ، وهو أفضل البشر توكلًا عليه الصلاة والسلام، وهو ﷺ لا يفعل ولا يأمر أهله إلا بما هو أفضل في حقه وحق أهل بيته رضوان الله عليهم.

وطلب الرقية من المسلم من جنس طلب الدعاء منه، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٨٢ / ١).

قال القرطبي رحمة الله: «الرقى بأسماء الله تعالى هو غاية التوكل على الله، فإنه التجاء إليه ويتضمن ذلك رغبة له، وتبركاً بأسمائه، والتعمير عليه في كشف الضر والبلاء، فإن كان هذا قادحًا، فليكن الدعاء والأنذكار قادحًا في التوكل، ولا قائل به، وكيف يكون ذلك؟ وقد رقى النبي ﷺ واسترقي، ورقاه جبريل، ورقته عائشة، وفعل ذلك الخلفاء والسلف، فإن كانت الرقى قادحة في التوكل ومانعة من اللحوق بالسبعين ألفًا، فالتوكل لم يتم للنبي ﷺ ولا لأحد من الخلفاء، ولا يكون أحد منهم في السبعين ألفًا مع أنهما أفضل من وافق القيامة بعد الأنبياء، ولا يتخل هذا عاقل». [المفهم ١ / ٤٦٤].

وقال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم عند شرح الحديث (٤٩): «ومن رجح التداوي قال: إنه حال النبي ﷺ الذي كان يداوم عليه، وهو لا يفعل إلا الأفضل، وحمل الحديث - أي حديث السبعين ألفًا - على الرقى المكرورة التي يخشى منها الشرك بدليل أنه قرئها بالكتي والطيرة، وكلاهما مكرور». اهـ.

﴿ النوع الثاني: الرقى المحرمة ﴾

ومنها الرقى الشركية، وهي الرقى التي يعتمد فيها الرافي أو المرقي على الرقية؛ فإن اعتمد عليها مع اعتقاده أنها سبب من الأسباب، وأنها لا تستقل بالتأثير؛ فهذا شرك أصغر، وإن اعتمد عليها اعتماداً كلياً حتى اعتقد أنها تنفع من دون الله، أو تضمنت صرف شيء من العبادة لغير الله، كالدعاء، أو الاستعادة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وإنما كان ذلك من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله، كما قرر ذلك الحافظ في الفتح (١٠ / ١٩٦). اهـ.

والدليل على تحريم الرقى الشركية: قول النبي ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». [أبو داود ٣٨٥، وصححه الألباني]. والتولة نوع من السحر يحب المرأة إلى زوجها.

والرقى الموصوفة بكونها شركاً في الحديث التي يستعان فيها بغير الله، وأما إذا ذكر فيها أسماء الله وصفاته وما أثر عن النبي ﷺ؛ فهذا حسن جائز ومستحب.

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: اغرضوا على رُقَّاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» [مسلم ٢٢٠٠].

ومن الرقى المحرمة كذلك: أن تكون الرقية فيها طالسم، أو الفاظ غير مفهومة، والغالب أنها رقى شركية.

قال الحافظ في الفتح (١٠ / ١٩٥): دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك: يُمْنَع، وما لا يعقل معناه لا يُؤْمِنُ أن يؤدي إلى الشرك؛ فيُمْنَع احتياطًا.

قال الخطابي: وكان عليه السلام قد رقى ورقى وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاعت الكراهة والمنع فيما كان بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو قوله يدخله الشرك.

وقال الشيخ حافظ حكمي كلاماً جامعاً مانعاً في «سلم الوصول»:

ثم الرقى من حُمَّةٍ أو عَيْنٍ
فإن تكن من خالص الوحيدين
فذاك من هدى النبي وشرعته
وذاك لا اختلاف في سُنْيَتِه

أما الرقى المجهولة المعاني
فذاك وسوساس من الشيطان
وفيه قد جاء الحديث أنه

شرك بلا مرية فاحذرنه
إذ كل من يقوله لا يدرى

لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس
على العوام لبسوه فالتبس

٦٠ ثانياً التمائم

التمائم لغة: جمع تميمة، وهي في الأصل خرزة كانت تعلق على الأطفال يتقوون بها من العين ونحوها [قاموس ولسان العرب مادة: تم].

وفي الاصطلاح: هي كل ما يُعلق على المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاوين لدفع البلاء أو رفعه.

٦١ من أنواع التمائم

الحجب والرقى التي يكتبها بعض المشعوذين ويكتبون فيها طلاسم وكتابات لا يفهم معناها، وغالبها شرك، واستغاثات بالشياطين، وتُعلق على الأطفال أو البهائم أو على أبواب البيوت أو على السيارات، يزعمون أنها سبب لدفع العين أو أنها سبب لشفاء المرضى من الإنسان أو الحيوان ومنها لبس الأحجبة التي يتخذها بعض الجهلاء لأولادهم يعتقدون أنها سبب لحفظهم من الموت، ومنها لبس حلقة الفضة للبركة، ولبس خواتم لها فصوص مُعينة يعتقدون أنها تحفظ من الجن، ولبس أو تعليق خيوط للعلاج من بعض الأمراض، ومنها الحروز وجلود الحيوانات وغيرها مما يعلق على الأطفال أو على أبواب البيوت أو نحو ذلك والتي يزعمون أنها تدفع المرض أو العين أو الجن وأنها سبب للشفاء من الأمراض، وهذه كلها محرمة، وهي من الشرك لقول النبي ﷺ «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [أبو داود، ٣٨٨٥، وصححه الألباني]. ولقوله ﷺ «من علق تميمة فقد أشرك» [صحيح الجامع: ٦٣٩٤] فهي من الشرك؛ لأنهم ظنوا أن لغير الله تأثيراً في الشفاء، وطلبوا دفع الأذى من غيره، لكن إن اعتقاد متذمها أنها تنفع بذاتها من دون الله فهي شرك أكبر، وإن اعتقاد أن الله عز وجل هو النافع وحده، لكن تعلق قلبه بها لدفع الضر فهو شرك أصغر وذلك لاعتماده على الأسباب وجعل ما ليس بسبباً [ينظر قرة عيون الموحدين - القول المفيد].

فهذه التمائم كلها ليس فيها نفع بأي وجه من الوجه، وهي من خرافات الجاهلية التي يروج لها السحرة والمشعوذون ويدجلون بها على الجهلة من الناس.

٦٢ حكم التمائم من القرآن

ويدخل في التمائم أن تكتب آيات من القرآن أو بعض الأذكار الشرعية (الرقى) في ورقة ثم توضع في جلد أو غيره، ثم تعلق على الأطفال أو بعض

المرضى، وقد اختلف في جواز تعليقها والراجح المنع من هذه التمائم لعدة أمور.

١- أن الأحاديث جاءت عاممة في النهي عن التمائم ولم يأت حديث واحد في استثناء شيء منها، ويؤيد ذلك أن الصحابة الذين رووا أحاديث النهي عن التمائم كابن مسعود وعقبة بن عامر رضي الله عنهما فهموا منها عموم النهي عن جميع التمائم.

أما ما ثبت عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما من الترجيح في تعليق التمائم من الأذكار الشرعية حرزاً قبل وقوع المرض؛ فهو معارض بما ثبت عن عائشة رضي الله عنها من أن ما علق قبل المرض فهو من التمائم المنهي عنها، ومعارض أيضاً بما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه من قطع التمييم والتثبيط في أمر التمائم مطلقاً، وبما ثبت عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: «وضع التمييم على الإنسان والطفل شرك»، وبما ثبت عن حذيفة من قوله لرجل وجد على عضده خيطاً: «ما هذا؟» قال: خيط رقى لي فيه. فقال حذيفة رضي الله عنه: «لو مت ما صليت عليك»، وبما ثبت عن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: «تعليق التمائم شعبة من شعب الجاهلية». وبما ثبت عن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمه من إنسان كان كعدل رقبة وهذا عند أهل العلم في حكم المرفوع، وبما ثبت عن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن» فعموم قوله يدل على نهيه عن جميع التمائم.

٢- أن تعليق التمائم من القرآن والأدعية والأذكار المشروعة نوع من الاستعاذه والدعاء، فهي على هذا عبادة من العبادات، والأصل في العبادات التوقيف، فلا يجوز إحداث عبادة لا دليل عليها.

٣- أن ما علق من ذلك يكون عرضة للامتهان وذلك لحمله حال قضاء الحاجة أو غير ذلك، مما يحدث من عبث الأطفال بها، وفي المنع صيانة للقرآن ولذكر الله من الإهانة.

٤- في المنع سد للذرية؛ لأنه يفضي إلى تعليق ما ليس بقرآن كتعليق التمائم الشركية كما هو الواقع عند كثير من المسلمين في العصر الحاضر.

ينظر: [شرح السنة للبغوي - فتح المجيد - معارج القبول - القول المفيد].

والحديث موصول في العدد القادم بمشيئة الله، والله من وراء القصد.

ملحق السلف

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن منهج السلف هو المنهج الحق للإسلام عقيدة وعملًا، وهو بذلك يمثل الخط المستقيم والامتداد الأصيل لما كان عليه المسلمين الأوائل الذين فارقهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض.

وقد ظهر مصطلح «السلف» وانتشر حين ظهر النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الاتساع إلى السلف» وأعلن أن ما كان عليه السلف الصالح.

وقوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم، فقال: «وَمَنْ يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَبْتَغِي غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلََّ وَنُنْصَلِّهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥).

وكما يجب اتباعهم فيما نقلوه، واقتفاء أثرهم فيما عملاه، يجب الاستغفار لهم، قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ يَبْنَأُونَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا يَخْوَانُنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا بَيْنَ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحجر: ١٠).

وعلى ذلك فالسلفية اصطلاح يطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه، وليس محصوراً في دور تاريخي معين، والسلفية بذلك تمثل الفهم الصحيح للإسلام، وليس قاصرة على تلك الفترة الزمنية المباركة كما يزعم من يريدون تعريتها عن مضمونها.

الأدلة على وجوب اتباع المنهج السلفي

الأدلة من القرآن الكريم

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- قال الله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأُوَلُونَ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ

◆◆ من هم السلف؟ ◆◆

السلف الصالح هم الصدر الأول الراسخون في العلم، المهدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الحافظون لسنته، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، واتخذتهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة، فجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وأفرغوا جهدهم في نصح الأمة ونفعها، وبدلوا في مرضاة الله أنفسهم.

وقد أثني الله تعالى عليهم في كتابه بقوله: «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتَّغَوَّنُ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَاسًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزْرُ أَخْرَجْ شَطَاطَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح: ٢٩).

وقوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأُوَلُونَ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبه: ١٠٠)، فذكر تعالى المهاجرين والأنصار ثم مدح أتباعهم، ورضي ذلك من الذين جاءوا من بعدهم.

سبيل التجاة

كعاد / معاوية محمد هيكل

أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد
اتبع غير سبيلهم قطعاً، والآية توجب ذم ذلك».

الأدلة من السنة النبوية

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم الجماعة، وهي ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سننه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفيه -: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثلاث وسبعين في النار». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة». (ابن ماجه ٣٩٢ وصححه الألباني).

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم. (الباعث على إنكار البدع ص ٣٢).

وصدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنهمما قال: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. (شرح أصول الاعتقاد ص ١٦٠).

وثبت عند مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهو كذلك». (مسلم ١٩٢٠).

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا

خالدين فيها أبداً ذلك المؤذن العظيم» (التوبة: ١٠٠). قال ابن كثير: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بمحسان ورضاه عنه بما أعد لهم من جنات النعيم المقيم.

وقال الشوكاني: ومعنى: «والذين اتبعوهُمْ بِإِحْسَانٍ» أي: الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم المتأخرن عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيمة.

وقال السعدي رحمه الله: «والذين اتبعوهُمْ بِإِحْسَانٍ» يعني في الاعتقادات والأقوال والأفعال، فهو لاءُ الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح.

٢- قال الله تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مَنْ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلَّهُ مَا
تَوَلَّ وَنُصْلِهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥).

قال ابن كثير: «أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبيّن له واتضح، قوله: «وَيَتَبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» هذا ملائم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة الحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ختمت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيمياً لنبיהם.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كلام من الوصفين يقتضي الوعيد؛ لأنَّه مستلزم للأخر، فهكذا مشaqueة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه فقد اتباع غير سبيلهم، هذا ظاهر، ومن اتباع غير سبيلهم فقد شاقه أيضاً، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على

أصحاب الحديث فلا أدرى من هم».

وقال ابن المديني: «هم أصحاب الحديث».

وقال البخاري: «يعني أصحاب الحديث».

وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم وأصحاب الأثر». (شرف أصحاب الحديث للبغدادي).

قال المناوي في «فيض القديرين» (٣٩٥/٣): وفيه معجزة بينة، فإن أهل السنة ما يزالون ظاهرين في كل عصر إلى الآن من حيث ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم لم تقم لأحد منهم دولة ولم تستمر لهم شوكة، بل كلما أودعوا ناراً للحرب أطفأها الله بنور الكتاب والسنة، فلله الحمد والمنة.

◆◆ السلف قدوتنا في العلم والعمل

والليك أخي القارئ صوراً مشرقة ومشترفة في العلم والعمل لسلف هذه الأمة لترى كيف كان حرصهم على طاعة ربهم واتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، لنجعلهم لنا في الخير قدوة، وفي البر أسوة:

١- عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل». قال

السلف الصالح هم

الصدر الأول الراسخون
في العلم، المهتدون بهدي
النبي صلى الله عليه وسلم
الحافظون لسننته، اختارهم
الله تعالى لصحبة نبيه،
وانتخبهم لإقامة دينه،
ورضيهم أئمة الأمة

سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.
(رواه مسلم: ٢٤٧٩).

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء». قال ابن عمر: فما تركته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

٣- وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبي موسى، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيده فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل». (رواه مسلم: ١٩٠٢).

٤- عن علي رضي الله عنه قال: اشتكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من الرحمى في يدها، وأنى النبي صلى الله عليه وسلم سبى فانطلقت فلم تجده، فأخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليه، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليها وقد أخذنا مصالحتنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «على مكانكما». فقد بیننا، ثم قال: «ألا أعلمكم ما خيراً مما سألتم؟ إذا أخذتما مصالحتكم: أن تكبروا الله أربعاء وتلاثين، وتسبحوا ثلاثاً وتلاثين، وتحمداً ثلاثة وتلاثين؛ فهو خير لكم من خادم». قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. (مسلم: ٢٧٢٧، وأبو داود: ٣٠٤٤). وأحمد: ٧٩٧.

النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٦٤).
قال ابن القيم رحمه الله: «بلغني عن شيخ الإسلام
أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه».
(الواجل الصيغ: ٢٢٩).

١٠- قال الإمام أحمد رحمه الله: ما كتبت حديثاً إلا
وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم
احتجم وأعطى أبي طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً
حين احتجمت. (سير أعلام النبلاء: ٢١٣/١١).

هكذا كان سلف هذه الأمة عبر العصور لا يحرضون
فقط على فعل الفروض والواجبات، بل كانوا يسّرون
إلى فعل المستحبات والمندوبات كحرصهم على الواجبات
لعلمهم أن في ذلك رضا ربهم ورفة لدرجاتهم؛ من أجل
ذلك نالوا السبق والفضل واستحقوا كل خير حتى صار
ذكرهم الطيب على كل لسان، وسيرتهم العطرة حديث
الركبان، وعرفوا بكل جميل واحسان.

إذا أردنا لآمنتنا أن تنوهن وتشعوبها أن تسعد
فلننهج النهج الذي نهجوا، ولنسلك الدرب الذي سلكوا،
فإنهم كانوا على أقوم طريق وأهدى سبيل، فرضي الله
عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، والحمد لله رب العالمين.

٥- قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد - يعني - سليمان بن حيان عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس قال: حدثني عنبيه بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه (يسار به) قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى اثنين عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيئتاً في الجنة». قالت أم حبيبة: فما تركتهنمنذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عنبيه: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبيه. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس».

٦- عن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من ركع أربع ركعات قبل الظهر وأربعًا بعدها، حرم الله عز وجل لحمه على النار. قالت: فما تركتهن منذ سمعتهن. (رواوه أحمد: ٢٥٥٣٩، والنسائي: ١٧٨٩).

٧- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». رواه البخاري ومسلم.
قال ابن القيم رحمه الله: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ بالآيات الأولى من سورة البقرة. أخرجه أبو بكر بن أبي داود في (شريعة القارئ) بأسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

٨- قال البخاري: ما أغبت أحداً قط منذ علمت أن الفيفية حرام، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني أغبت أحداً. (الطبقات للسبكي: ٩/٢٠).

٩- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». (رواوه

كان سلف هذه
الأمة عبر العصور لا
يحرضون فقط على فعل
الفروض والواجبات، بل
يسّرون إلى فعل
المستحبات والمندوبات
كحرصهم على الواجبات
لعلمهم أن في ذلك رضا
ربهم ورفة لدرجاتهم

الله، وبعد:

فإن مقاصد الإسلام التي دلت عليها نصوص الشريعة هي تحقيق مصالح العباد في العاجل والأجل، وهذا ما أكدته المحققون من علماء الأمة، قال العز بن عبد السلام: «إن الشريعة كلها مصالح، إما درء مفاسد أو جلب مصالح».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكثيلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها». [منهج السنة النبوية: ٧٤١/١]

وقال ابن القيم رحمه الله: «الشريعة مبناتها وأسسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمةً ومصالح كلها وحكمة». [إعلام المؤمنين: ١/٣].
ومقاصد الحكم في الإسلام لا يقدر على تحقيقها في واقع الناس إلا الحاكم؛ لما له من سلطان، فيتمكن به من تنفيذ ما يعجز عنه أحد المسلمين، وبذلك نختصر الطريق ونبلغ الهدف، ونتحقق المراد، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

مقاصد الحكم:

قال أهل العلم في تعريف الإمامة «الخلافة»: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به. [الأحكام السلطانية للماوردي: ص ٣]. يعني بذلك أن مقاصد الحكم في الإسلام تنتصر في مقتضياتها.

المقصد الأول: حراسة الدين

ويقصد بالدين هنا باداهة الإسلام، فهو الدين المطلوب حراسته بالحكم، وحراسته تعني شيئاً: حفظه وتنفيذـه.

أولاً: حفظ الدين:

وحفظ الإسلام يعني إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار عليها هو وصحابته الكرام ونقلوها إلى الناس من بعده، وعلى هذا لا يجوز

اتبعوا ولا تبتعدوا

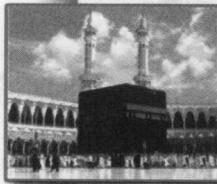
مقاصد الحكم

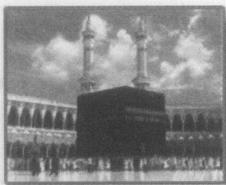
الإسلامي

وأثره على الفرد

والجتمع

إعداد / معاوية محمد هيكل





وَدِينُ الْحَقِّ لِيُظَهَرُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُسَرِّكُونَ [سورة التوبه: ٣٣]

ثانيًا: تنفيذه:

وأما تنفيذ الدين «الإسلام» فهو المظهر الثاني لحراسته، فيتحقق في أمرور منها: تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع الدولة، وفي علاقة الدولة - دار الإسلام - مع غيرها من الدول، ومنها: حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية، ومنها: إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام، إذ لا يمكن الادعاء بحفظ الدين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المقصد من مقاصد الحكم الإسلامي، قال الله تعالى الذين إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: ١٤].

المقصد الثاني: سياسة الدنيا بالدين

والقول الجامع في سياسة الدنيا بالدين هو إدارة شئون الدولة والرعاية على وجه يحقق المصلحة، ويدبر المفسدة، وهذا يتم إذا كانت إدارة شئون الحياة وفقاً لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها بناءً على قواعد الاجتهاد السليم فهذه هي السياسة الشرعية لأمور الدنيا بالدين، ومن أوجه هذه السياسة التي يضطلع بها الحكم الإسلامي ويلتزم بها الحاكم المسلم، والتي أشار إليها الفقهاء ما يأتي:

أولاً: إقامة العدل بين الناس

أول مظاهر لسياسة الدنيا بالدين، الالتزام التام

أي تبديل أو تحريف في هذه الحقائق والمعاني، لأن التحريف والتبدل يدخلان في نطاق الابتداع والإحداث في دين الله، ولا يجوز التردد أبداً في منع التبديل والتحريف بحجة حق الفرد في إبداء الرأي وحرية الفكر والاجتهاد، لأن الفرد إن كان مسلماً فليس من حقه أن يبدل دين الله، وإذا اختار لنفسه الضلاله ولعقيدته الفساد فليس من حقه أبداً أن يضل الآخرين أو يفسد عقائدهم، وإن كان الفرد غير مسلم فليس من حقه أبداً أن يخرج على نظام دار الإسلام ويشووه حقائق الإسلام وإلا كان ناقضاً لعقد الذمة، ومع هذا فقد يقع المسلم في زيف أو شبهة أو خطأ، نتيجة فهم سقيم أو تضليل خبيث، فيجب علىولي الأمر - الخليفة - أو نائبه، أن يعمل على كشف الشبهة وإظهار الصواب بالدليل والبرهان حتى يظهر الحق ويستبين السبيل وتقوم الحجة، فإن أصر المبطل على باطله وسعى إلى نشره في الناس منع من ذلك وأقيم عليه ما يوجبه الشرع.

وقد أشار الفقهاء إلى ما ذكرناه فقالوا: إن على الإمام «حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن راغب ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمها من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل». [أبو يعلى الحنبلي ص ١١].

ومن لوازم حفظ الدين: «تحصين التغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً ويسفكون فيها مسلماً أو معاهداً». [الماوردي ص ٤].

والحقيقة أن دفع الأعداء عن دار الإسلام ضروري لحفظ الدين وبقائه؛ لأن استيلاء الكفرة على دار الإسلام ضياع للإسلام وطمسم لحقائقه وفتنة عظيمة للمسلمين، وزعزعة لعقائدهم بسبب حكم الكفرة له وما يبذلونه لصرف المسلمين عن دينهم الحق بالوعد والوعيد والتلبيس والخداع والتضليل، بل نستطيع القول: إن من لوازم وتمام حفظ الدين إعلاءه وإظهاره على جميع أنظمة الكفر حتى لا يبقى للكفر حكم قائم ولا راية مرفوعة، وهذا ما أشار إليه الماوردي إذ يقول، وهو يعدد واجبات الإمام: «والسداس جهاد من عائد الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله». [الماوردي: ص ٤].

قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

مقاصد الإسلام التي دلت عليها نصوص شريعة هي تحقيق صالح العباد في العاجل، وهذا ما أكدته حقوقيون من علماء الأمة، فالعز بن عبد السلام: إن الشريعة كلها مصالح، ما درء مفاسد أو جلب صالح»

١- اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء، لأن الخليفة لا يستطيع أن يباشر أمور الدولة والقيام على مصالح الناس بنفسه؛ لأن ذلك فوق طاقته، وإنما يباشر أمور الناس بواسطة نوابه أي الموظفين الذين يختارهم، وذلك بتخير الكفاءة الأمينة، ومرد الكفاءة إلى القراءة على ما يتولاها، ومرد الأمانة عدم التفريط بشئون ما يولي عليه من مهام، وقد أشار القرآن الكريم إلى قانوني الأمور الواحـبـ مـرـاعـاتـهـ منـ كـلـ حـاـكـمـ،ـ قالـ تـعـالـىـ:ـ إـنـ خـيـرـ مـنـ اـسـتـأـجـرـتـ الـقـوـيـ الـأـمـيـنـ [القصص: ٦٢]ـ،ـ إـذـاـ وـفـقـ الـخـلـيـفـةـ إـلـىـ حـسـنـ اـخـتـيـارـ الـمـوـظـفـينـ الـأـكـفـاءـ الـأـمـانـاءـ وـمـنـعـواـ حـكـمـواـ بـالـعـدـلـ وـحـفـظـواـ حـقـوقـ النـاسـ وـمـنـعـواـ عـنـهـمـ الـظـلـمـ،ـ وـشـعـرـ النـاسـ بـالـأـمـنـ وـالـأـمـانـ وـالـاطـمـئـنـانـ وـارـتـدـعـ أـولـوـ الـأـطـمـاعـ وـأـهـلـ الـبـغـيـ،ـ وـلـاـ يـجـرـؤـ قـوـيـ أـنـ يـعـتـدـيـ عـلـىـ ضـعـيفـ؛ـ لـأـنـ الـدـوـلـةـ أـقـوـيـ مـنـهـ،ـ وـبـذـلـكـ يـامـنـ الـضـعـفـاءـ مـنـ عـدـوـانـ الـأـقـوـيـاءـ.

وهذا كله يؤدي إلى كسب قلوب الناس وتوفيق
سلطهم بالدولة وتعلقهم بالإمام، فيزداد حرصهم
على بقاء دولتهم، واستعدادهم للذود عنها؛ لأنها في
نظرهم كالبيت لهم وكالحارس لحقوقهم، أما إذا عين
الخليفة الموظفين العاجزين والفاشدين والخائبين فإن
الرعاية سيكتوون ببار فسادهم، ويعانون من ظلمهم
وبغيهم مما يؤدي إلى ضعف صلتهم بالدولة، فتكثر
الثُّنُود، انتشار الفوضى، وبعده الفساد.

الثورات و الفتن وتنتشر الفوضى ويعم الفساد .
ولا يشفع لل الخليفة عند الناس كرهه لتصرفات
ولاته الظلمة والفاشدين؛ لأن الناس يحملونه
مسؤولية أعمالهم؛ لأنه هو الذي ولاهم وأسند إليهم
الأعمال، فلا يكفي كون الخليفة صالحًا في نفسه، بل
لا بد من اختيار الأكفاء الأمانة، قال الماوردي عند بيان
واجبات الإمام: «استكفاء الأمانة، وتقليد النصائح
فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكله إليهم من
الأموال؛ لتكون الأعمال بالأكفاء مضبوطة والأموال
بالأمانة محفوظة».

٢- مراقبة الأمناء والأكفاء ومتابعتهم:

قد يخون الأمين ويغش الناصح، وحتى لو
تم يخونوا ويغشوا فال الوقوع في الأخطاء أمر غير
مستبعد، وظلم الناس خطأ كظمهم عمداً من جهة
حصول الضرر بالظلم وكراهيته للظالم، من
هنا يأتي الدور المهم للمراقبة المستمرة والدائمة
للموظفين حتى لا تقع خيانة أو غش، ويقل بذلك
الخطأ ويعرف الناس شدة الخليفة على إقامة العدل
ومنع الظلم، ويخرج هو من عهدة الخلافة ومسئوليته

العدل في إدارة شئون الناس، وعدم الحيدة عنه طلقاً؛ لأنَّه هو الأساس الذي لا قيام لدولة بدونه، ولا قاء لأمة بفقدِه، ولهذا كان من صفة عقد البيعة للإمام ن يقال فيها: «بَايَعْنَاكَ بِيَعْهَدْ رَضَا عَلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ الْإِنْصَافِ وَالْقِيَامِ بِفُرُوضِ الْإِمَامَةِ». [أبو يعلى: ص. ٩٦].

والعدل يتضمن إعطاء كل إنسان حقه، وعدم ظلمه ي شيء، فمن الظلم تكليفة بما لا يجب عليه شرعاً أو خذ ماله بغير وجه حق، أو منعه ما يستحق، وهذا ما شار إليه الفقهاء، فالفقية الماوردي يقول - وهو يعدّ أجياب الإمام -: جبایة الفيء والصدقات على ما وجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عَسْفٍ، وتقدير عطاء وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا قصیر فيه، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

. [ماوردي: ص ٢١].

والعلامة ابن خلدون يوضح الظلم الممنوع يقول: «ولا تحسين الظلم إنما هوأخذ المال أو تلك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب، كما هو الشهور، بل الظلم أعم من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد، وغصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه؛ فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمنتبهون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب لعمران». [مقدمة ابن خلدون: ص ٣٢٢]

وعلى هذا يجب على الخليفة أن يقوم بما يلزم
تحقيق العدل ومنع الظلم، وأول ما يلزم في هذا الباب
ختيار الموظفين الأكفاء والأمناء، والثاني مرافقتهم.

يجب على الخليفة
أن يباشر بنفسه مشارفة
الأمور، وتصفح أحوال
الرعاية بسياسة الأمة
وحراسة الله، ولا يعول
على التفويض تشاغلاً
بلذة أو عبادة، فقد يخون
الأمين ويغش الناصح

إلى الخليفة هارون الرشيد: إن على الخليفة أن يأمر بحفر الأنهر، وإجراء الماء فيها، وتحميل بيت المال وحده نفقات ذلك، وهذا نص كلامه: «فإذا اجتمعوا - أي أهل الخبرة - على أن في ذلك - أي في حفر الأنهر - صلحاً وزيادة في الخراج أمرت بحفر تلك الأنهر، وجعلت النفقه من بيت المال، ولا تحمل النفقة على أهل البلد، وكل ما فيه مصلحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم وطلبو إصلاح ذلك لهم، أجيبيوا إليه، إذا لم يكن فيه ضرر على غيرهم. وما ذكره أبو يوسف رحمة الله من ضرورة حفر الأنهر لأرض الخراج هو من قبيل التمثيل لا الحصر، يدل على ذلك عبارته: وكل ما فيه مصلحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم وطلبو إصلاح ذلك لهم أجيبيوا إليه».

(أرض الخراج: هي الأرض التي فتحها المسلمون وترکوها بيد أهلها على أن يدفعوا عنها ضريبة معينة تسمى: الخراج).

كما يمكن القياس على ما ذكره أبو يوسف في جميع الأعمال الازمة لاستغلال ثروات البلاد وخيراتها على وجه يعود بالنفع العميم على الجميع، وهذه يجب القيام بها، مثل تنظيم الري في البلاد، وإقامة السدود، وتحسين الزراعة، واستخراج المعادن والبترول، وإقامة المصانع، وإصلاح الطرق التي تسهل نقل المحاصيل، وإيجاد سبل العمل الشريفة للمواطنين، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها وعدها، وتختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف والأحوال.

والحمد لله رب العالمين.

الحكم، وقد نبه إلى ذلك الفقيه الحنبلي أبو يعلى فقال: «على الخليفة أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الله، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، قال تعالى: يَا دَاؤْدُ إِنَّ جَعْلَنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَنَعَّمْ الْهُوَى [٦٢: ص]، فلم يقتصر على التفويض دون المباشرة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلم راع وكلم مسؤول عن رعيته» [متفق عليه].

ثانية: إشاعة الأمن والاستقرار:

ومن واجبات الخليفة المهمة، وكذلك حكام المسلمين جميعاً: إشاعة الأمن والاستقرار في ديار الإسلام؛ حتى يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وينتقلوا في البلاد أمنين مطمئنين، إن هذا المقصود يتحقق بصورة كاملة بتطبيق الشريعة الإسلامية، أي بتطبيق العقوبات الشرعية على العابثين بأمن الوطن والمعتدين على الناس، شريطة أن يكون التطبيق عادلاً وعلى الجميع سواء بلا تمييز ولا محاباة، فإذا ما طبقت الأحكام الشرعية على المعتدين والخارجين على القانون، أمن الناس، وخفاف المجرم، وتحقق الاطمئنان.

وقد أشار الماوردي إلى ذلك قائلاً: «وعلى الخليفة إقامة الحدود لتصان حارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك».

ولا شك أن العقوبات الشرعية لها أثر بالغ وفعال في منع الإجرام وتحقيق الأمان في المجتمع، فهي من مظاهر رحمة الله بعباده.

فيها ينذر الإنسان عن ارتكاب الجريمة، فيتخلص من الإنم، وإذا وقع في الجريمة فإن إقامة الحد له تطهير وكفارة، فالحدود كفارات، كما أن هذا العقاب للمجرم مصلحة مؤكدة للمجتمع لما يترتب عليه من اطمئنان للناس على حياتهم وأموالهم وإخافة المجرمين، وهذه المصلحة العامة يهون معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ما اقترفت يدها. قال تعالى: **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَنْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ** [البقرة: ٩٧١].

ثالثاً: استثمار خيرات البلاد:

ومن مظاهر سياسة الدنيا بالدين: استثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعاية الاستقرار الاقتصادي والعيش الكريم، وقد أشار الفقهاء إلى هذا الواجب، فقد قال أبو يوسف في كتاب «الخراء» الذي وجهه

الوسطية

اتبعوا
ولا تبتدعوا

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد امتن الله عز وجل على هذه الأمة واصطفاها واختارها من بين سائر الأمم، فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وجعل لها من الفضل والمنزلة والمكانة ما أنها لها للشهادة على الأمم، فقال

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣).

أولاً: وسطية أمم الإسلام بين الأمم الأخرى:

١- في توحيد الله عز وجل وصفاته: فهي وسط بين اليهود والنصارى؛ بين اليهود الذين وصفوا العرب عز وجل بصفات النقص التي يختص بها المخلوق، وشبيهوه به؛ فقالوا: إنه بخيل، وفقير، وأنه يتبع فسقريبي، وأنه يتمثل في صورة البشر، وغير ذلك من الافتراضات، فمن ذلك قوله تعالى: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ نَفِيرٌ وَخَنَّ أَغْنِيَاءَ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَاتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوَقَوْنَا عَذَابَ الْحَرِيقِ» (آل عمران: ١٨١)، «وَقَاتَلَ الْيَهُودَ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةً عَلَّتْ أَيْمَانُهُمْ وَعَوْنَعَتْ أَيْمَانُهُمْ قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسوطَتَانِ يُنْقِضُ كُلَّ يَتَّهَمَ» (المائدة: ٦٤).

وبين النصارى الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق عز وجل؛ شبيهوه به، وقالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح ابن الله، وأنه يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ويثيب، ويعاقب.. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين وحدوا الله عز وجل، فوصفوه بصفات الكمال، ونزعوه عن جميع صفات النقص، وعن مماثلاته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات، وقالوا: إن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

٢- في أنبياء الله عز وجل، ورسله: فهي وسط أيضاً بين اليهود والنصارى؛ بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء، ورمواهم بكل شينٍ ونقصة، وغفوه، واستنكروا عن اتباعهم.

وبين النصارى الذين غلوا في بعضهم، فاتخذوهم أرباباً من دون الله، واتخذوا المسيح إلهًا من دون الله، قال الله تعالى: «أَنْجَدُوا أَجْبَارَهُمْ وَرَهِبَّكُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَمْسِحَ أَبْنَى مَرِيمَ وَمَامَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَجَدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

والشاهد يشترط فيه العدالة والخيرية، وهذه الأمة المنزلتها يستشهد بها ربنا تبارك وتعالى على الأمم أنها قد بلغتها رسالتُ الله، وقادت عليها الحجة، وأن الأنبياء قد بلغوها عن الله، ويكون النبي صلَّى الله عليه وسلم مركيًّا لهذه الأمة شهادتها.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ القيمة وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُانُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتُ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَدْعُ قَوْمَهُ، فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغْتُكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: مَنْ يَشَهِّدُ لِكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأَمْتَهُ، فَيَدْعُهُمْ فِي قَوْمِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَا عَلِمْتُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءُنَا نَبِيًّا، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ بَلَغَ فَصِدقَنَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣). (مسند أحمد ١١٧٥٧، وصححة الألباني في صحيح الجامع: ٨٠٣٣).

معنى الوسط في اللغة:

يأتي الوسط لغةً لعدة معانٍ، منها:

١- ما كان بين طرفي الشيء، وهو منه، كقولك: كسرت وسط الرمح، جلست وسط الدار، جئت وسط النهار.

٢- يأتي صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسط الشيء: أفضله وخياره، والفردوس أفضله الجنَّة، وهو أعلىها، وأوسطها.

٣- ويأتي بمعنى عدل. فالوسط من كل شيء: أعدل، وبذلك لا يخرج معنى الوسط عن العدل والفضل والخيرية، فعقيدتنا أفضله العقائد، وخيارها، وأعدلها، فلا إفراط فيها ولا تفريط.

عند أهل السنة والجماعة

إعداد / معاوية محمد هيكل

ويغالب الفطرة البشرية ويسادها، فلم يستطعوا الوفاء بذلك، كما حكى الله عنهم: «وَهُنَّا يَدْعُونَهَا مَا كَبِّلُوهَا عَلَيْهِمُ الْأَبْيَعَاءِ رَضْوَنَ اللَّهِ فِيمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَعَانَتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَيْدُهُمْ فَسِقُونَ» (الحديد: ٢٧).

أما الأمة الوسط فقد علموا، وعملوا، فهم الذين انعم الله عليهم؛ عبدوا الله وحده بما شرع ولم يعبدوه بالأهواء والبدع، ولم ينسوا نصيبيهم وحظوظهم في الدنيا، وقدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسطية أهل السنة بين سائر الفرق

١- فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق الضالة المنتسبة للإسلام كالخوارج والمغترلة والقدرية والشيعة فهم وسط بين المفرطين المضيدين وبين المفرطين الغالبين، ففي أسماء الله تعالى وصفاته أهل السنة وسط بين المعطلة الذين نفوا أسماء الله وصفاته من الجهمية وغيرهم، وبين الممثلة المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، فأهل السنة والجماعة يتبتون لله ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال تعالى: «لَئِنْ كَتَلَهُ شَقٌّ وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرِ» (الشورى: ١١).

ففي قوله تعالى: «لَئِنْ كَيْلَهُ شَقٌّ» رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: «وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرِ» (الشورى: ١١) رد للتعطيل؛ حيث أثبت الله لنفسه السمع والبصر، وسمى نفسه بالسميع والبصير.

فأهل السنة والجماعة يجعلون هذه الآية وأمثالها ميزاناً ومعياراً يسيرون عليه، وهو ميزان الاعتدال بين الجفاء في الأسماء والصفات وتعطيلها، وبين الإفراط في إثباتها وتشبيتها بصفات المخلوقين؛ فهم يعتقدون أن لله أسماء وصفات تليقان به سبحانه وتعالى، لا يشبه أحداً من خلقه ولا يشبهه أحدٌ من خلقه وهذا هو موقف الاعتدال بين المعطلة والممثلة. وفي القضاء والقدر هم وسط بين الجبرية وبين القدرة.

سُبْحَنَهُ، عَمَّا يُشَرِّكُونَ» (سورة التوبه: ٣١). وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم، وعزروهم، ووقوفهم، وصدقوهم، وأحببوا، وأطاعوهم، وأمنوا بهم جميعاً بعيداً لله عز جل وجل ورسلاً مبشرين ومنذرين، ولم يعبدوهم، أو يتخذوهم أرباباً من دون الله؛ فهم لا يملكون ضرراً ولا نفعاً، ولا يعلمون الغيب.

٣- في أمر الحال والحرام، فهي وسط أيضاً بين اليهود والنصارى، فاليهود حرم عليهم كثير من الطيبات، منها:

- ما حرم الله عز وجل عليهم جزاء بغيرهم وظلمهم، كما قال الله تعالى: «فَإِظْلَمُوا قَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتِ أَحْلَتْ لَهُمْ وَصِدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا» (النساء: ١٦٠)، والنصارى أسرفووا في إباحة المحرمات؛ فاحلوا ما نصت التوراة على تحريمه، ولم يأت المسيح عليه السلام بإباحته؛ فاستحلوا الخبائث، وجميع المحرمات؛ كالملحية، والدم، ولحم الخنزير.

أما المسلمين: فقد أحلوا ما أحل الله لهم في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الطيبات، وحرموا ما حرم عليهم من الخبائث؛ كما قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَرْمُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَنْهَى الَّذِي يَحْدُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرِيدَةِ وَالْأَنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الْطَّبِيبَتِ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيْثَ» (الأعراف: ١٥٧).

٤- وفي العبادات، فهي وسط بين اليهود والنصارى أيضاً:

فاليهود علموا، ولم يعلموا، فهم المغضوب عليهم، أعرضوا عن العبادات، واستنكروا عن طاعة الله، واتبعوا الشهوات، وعبدوا أنفسهم للهادفة فاشتغلوا ببنيائهم عن بنיהם وأخترتهم.

والنصارى لم يعلموا، وعبدوا الله على جهة، فهم الضالون، غلوّا في الرهبنة، وتبعدوا بعد ما أنزل الله بها من سلطان؛ فاعتزلوا الناس في الصوامع، وانقطع رهبانهم للعبادة في الأديرة، والزموا أنفسهم بما لم يلزمهم الله به، مما يشق على النفس والجسد،

الجبرية: الذين يغلون في إثبات القدر حتى
سلبوا العبد فعله واختياره، ويجعلونه محبراً على
أفعاله ليس له فيها اختيار ولا مشيئة، وإنما هو
كالآلة التي تتحرك بدون اختيارها، هذا مذهب الجبرية
من الجهمية وغيرهم، وبين مذهب القردية: الذين
ينحلون في قدرة العبد ومشيئته ويحصدون قدرة
الله ومشيئته وتقديره للأفعال والأعمال ويقولون: إن
العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بدون أن يكون لله في
ذلك تقدير برسالته أو كتابة في اللوح المحفوظ وإنما
هو شيء العبد يفعله مستقلاً هذا مذهب القردية.

وأهل السنة والجماعة بين الفريقين، فهم لا
يغلون في إثبات مشيئة الله وقدرته غلو الجبرية
فيتفقوا أفعال العبد، ولا يغلون في إثبات أفعال العبد
غلو القدرية فيتفقا مشيئة الله وقدرته وإنما يقولون:
العبد يفعل باختباره ومشيئته، ولكن لا يخرج عن
مشيئته الله وقدره وقضائه، وذلك كما في قوله تعالى:
«لَمْ يَأْتِ شَاءَ إِنْ كَانَ سَيِّئَمْ (٢٨) وَمَا نَشَاءُ إِنَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (التكوير: ٢٨).

فالله أثبت للعبد مشيئته وقدرة واختياراً وأرجع
ذلك وربطه بمشيئته سبحانه وتعالى، فقوله تعالى:
«وَمَا تَشَاءُونَ» رد على الجبرية، وقوله تعالى: «إِلَّا أَنْ
يشاءَ اللَّهُ رَدًا عَلَى الْقَرْدِيَّةِ».

وأهل السنة والجماعة وسط في نصوص الوعد
والوعيد وأصحاب الكبائر بين المرجئة وبين الخوارج
والمعتزلة، فالمرجئة يأخذونه بنصوص الوعد ويتركون
نصوص الوعيد، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية،
فالمعاصي عندهم أمرها هين وسهل ما دام العبد يؤمن
بربه يقولون: لا تضره المعاصي أبداً بنصوص الوعد

التي فيها: إن الله غفور رحيم، وإن
الله تواب، وإن الله رعوف بعباده،
فيأخذون بهذه النصوص وينسون
أن الله سبحانه وتعالى شديد
العقاب، وينسون أن الله سبحانه
وتعالى يغضب على من عصاه فيهم
يأخذون بطرف من الأدلة ويتركون
الطرف الآخر، والله جمعهما في
آية واحدة، كقوله: «غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ
الْتَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (غافر: ٣).

فهو مع كونه غافر الذنب وقابل
التوب، فهو أيضاً شديد العقاب من
عصاه، لكن المرجئة أخذوا بالطرف
الأول غافر الذنب وقابل التوب

وترکوا شدید العقاب وقالوا: ما دام الإنسان مؤمناً
فمهما عمل من المعاصي والكبائر فإنه كامل الإيمان
ولا تضره المعصية، أما الخوارج والمعتزلة فهم على
النقيض من المرجئة أخذوا بنصوص الوعيد وترکوا
نصوص الوعد فأخذوا بقوله تعالى: «شدید العقاب»
وقوله: «وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا» (الجن: ٢٣).

أخذوا نصوص الوعيد وقالوا: إن مرتکب
الكبيرة كافر خالد مخدلي في النار بدليل قوله: «شدید
العقاب»، ودليل قوله: «وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» (الجن: ٢٣).

فهذا فيه أن جميع العصاة في نار جهنم خالدين
فيها أبداً، ونسوا أن الله جل وعلا يغفر لمن يشاء من
أهل الإيمان، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ
بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (النساء: ٤٨)، فالمؤمن
السالم من الشرك والكفر إذا فعل كبيرة من كبائر
الذنوب فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، وإن
شاء عنده، خلافاً للوعيادة الذين يقولون: إن الله لا
يغفر له، و«شَدِيدُ الْعِقَابِ» (البقرة: ١٩٦) رد على المرجئة؛
لأن مرتکب الكبيرة معرض للعقوبة، لكن إن شاء الله
عاقبها، وإن شاء غفر له، وإذا عاقبها فإنه لا يخالد في
النار؛ لأنه لا يخالد في النار إلا الكافر، أما المؤمن فإنه
إن دخل النار بذنبه فإنه يخرج منها ولا يخالد فيها
بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ
وَعَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: اخْرُجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي
قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالَ حَبَّةِ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». ((أخرجه
البخاري: ١١/١)).

فالمؤمن الذي يرتكب الكبيرة معرض للعقوبة،

وإن شاء الله غفر له ولم يعاقبه وإن
شاء عاقبها، ولكنه لا يخالد في النار،
بل هو موعود أن يخرج من النار ولا
يُخالد فيها إلا أهل الكفر، هذا مذهب
أهل السنة والجماعة الوسط في أن
مرتكب الكبائر من المؤمنين لا يُعَذَّب
خلافاً للخوارج، وأنه عرضة للعقاب
خلافاً للمرجئة فهم جمعوا بين
النصوص وعملوا بها كلها فبدلك
صاروا وسطاً في هذا الباب بين
الوعيادة وبين المرجئة.

وكذلك أهل السنة والجماعة
وسط في أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الخوارج

ظهرت وسطية المسلمين
الذين وحدوا الله عز وجل،
فوصفوه بصفات الكمال،
ونزهوه عن جميع صفات
النفس، وعن مماثلته لشيء
من المخلوقات في شيء من
الصفات، وقالوا: إن الله ليس
كمثله شيء في ذاته، ولا في
صفاته، ولا في أفعاله

يُعِجِّبُ الرَّزَاعَ لِيغْيِظُهُمْ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا أَصْنَلَحَتْ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَاجْرًا عَظِيمًا» (الفتح: ٢٩).

فلا يبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبهم وينقصهم إلا كافر، كما في هذه الآية: «ليغْيِظُهُمُ الْكُفَّارُ».

فموقف الرافضة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم التكبير والتنقص والطعن فيهم، ويعتقدون ذلك من أفضل القربات، قبحهم الله:

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يحبون كل الصحابة وأل البيت: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعباس، وأهل البيت وغيرهم من الصحابة؛ لما جاء في الكتاب والسنة عن فضلهم وسابقتهم والنهي عن تنقصهم والأمر بالاقتداء بهم واتباعهم، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْفُرْ لَنَا وَإِلَّا حَوْنَا إِلَيْنَا الَّذِينَ سَقَوْنَا بِالْأَيْمَنِ وَلَا جَعَلُوكُمْ فَلَمَّا لَمَّا لَمَّا آمَنُوا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحجر: ١٠).

فأهل السنة والجماعة يحبونهم كلهم ويحتلونهم كلهم، لا يفرقون بينهم ويعتقدون فضلهم وسابقتهم، وأنهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن فضائلهم كثيرة في كتاب الله، وأن أحداً لا يمكن أن يصل إلى درجتهم مهما بلغ من العبادة ومهما بلغ من الأعمال الصالحة، فلا يمكن أن يلحق بالصحابه أحداً: «لو أنفق أحدكم مثل أحدنا ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (متفق عليه).

فأهل السنة والجماعة يخالفون الخوارج الذين يكفرون كثيراً من الصحابة، ويختلفون الشيعة الذين يغلون في علي رضي الله عنه وينقصون غيره من الصحابة، هذه وسطية الفرقه الناجية: أهل السنة والجماعة بين فرق الضلال من الخوارج والمرجنة

والشيعة والقردية، وبهذا صاروا الأمة الوسط، وصدق الله العظيم: «وَذَكَرَكَ جَعَلْتُكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِّنَكُوْنُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْفَتَّالَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبَعُ الرَّسُولَ مَمَّنْ يَنْقُلُّ عَلَى عَقْبِيَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِتُضْبِعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّكُمْ إِلَّا تَكُونُ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (البرقة: ١٤٣).

نسال الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من هذه الأمة الوسط وأن يوفقنا وإياكم لقول الحق والعمل به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبين الروافض والشيعة، فالخوارج كفروا كثيراً من الصحابة بناء على مذهبهم الفاسد في نصوص الوعيد، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أفضل الأمة وإذا صدر من أحدهم خطأ فإنهم أقرب إلى مغفرة الله من غيرهم من العصاة؛ لفضلهم وسيفهم، قال الله تعالى: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّتِي وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنصَارُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ» (سورة التوبه: ١١٧).

أما الرافضة فإنهم غلو في علي بن أبي طالب، حتى إن منهم من اعتقاده هو الله وهم غلة الشيعة الذين حرقوه على رضي الله عنه بالنار. فقد أمر بالأخذ بحفرت وأضرم النار ثم أقام فيها وهم أحياء، غضباً لله سبحانه وتعالى، وأقر الصحابة علينا على قتلهم إلا أنه يقولون: إنه لو قتلهم بالسيف لكان أحسن من قتلهم بالنار؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَعْذِبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ». (أخرجه الإمام أحمد: ٤٩٤/٣ وصححه الألباني).

لكنهم وافقوا على كفرهم وعلى قتلهم، وكثير من الروافض لا يعتقدون أن علياً إله، ولكن يقولون: هو أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان وأن هؤلاء مغتصبون للخلافة وظلموا علياً في أنهم أخذوا الخلافة قبله، وكان هو الوصي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذا كذب، فالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين هو أبو بكر، ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم من بعده عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، وهو الخليفة الرابع، هذا موقف أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقدون فضلهم وسابقتهم وأنهم أفضل الأمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «خيركم قرنى، ثم

الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». (البخاري: ١٥١٣، ٢٥٣٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسْبِوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أَحَدِ ذَهَبِي مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفِهِ». (البخاري: ٤، ١٩٥/٤، ومسلم: ٢٥٤٠، ٢٥٤٢). قال الله تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً يَنْهِمُ تَرَهُمْ رَعْلَاهُ سُجْدَاهُ يَبْتَعُونَ فَضْلَاهُ مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّاهُ سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ أَثَرَ السُّجُودَ ذَلِكَ مَثْهُمْ فِي التَّوْرِيهِ وَمَنْتَهُ فِي الْأَنْجِيلِ كَرْزَعَ أَخْرَجَ سُطْهَهُ فَأَزَارَهُ فَأَسْتَغْفَطَ فَأَسْتَغْفَطَ فَأَسْتَغْفَطَ عَلَى سُوقِهِ».

ظهرت وسطية المسلمين
الذين أنزلوا الأنبياء
منازلهم، وعزروهم، وورقوهم،
وصدقوهم، وأحبوه،
وأطاعوهم، وأمنوا بهم
جميعاً عبيداً لله عز وجل
رسلاً مبشرين ومنذرين،
ولم يعبدوهم، أو يتخذوهم
أرباباً من دون الله؛ فهم لا
يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا
يعلمون الغيب



اتبعوا ولا تبتدعوا

رمضان

شهر

القدر آن



الحمد لله الذي خص بالفضل شهر رمضان علىسائر الأيام، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام، والصلوة والسلام على سيد الأنام خير من صلى وصام، وعلى الله وصبيه الكرام، وبعد:

فَبَيْنِ الْأَيَّامِ وَالشَّهُورِ تَفَاوتُ فِي الْفَضْلِ بِحَسْبِ مَا جَعَلَ فِيهَا مِنْ مَزَایَا وَمَا أَوْدَعَ فِيهَا مِنْ بَرَكَاتٍ وَنِعْمَاتٍ، وَلِرَمَضَانِ مُزِيَّةٌ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الشَّهُورِ؛ مَا اسْتَجَمَعَ مِنَ الْفَضَائِلِ وَمَا حَوَاهُ مِنْ نَفَحَاتٍ، مَا يُسْتَشْعِرُ بِهِ الْمُسْلِمُ مَكَانَةُ رَمَضَانِ وَمَنْزِلَتُهُ بَيْنِ شَهُورِ الْعَامِ فِي خَصِّصَتِهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْوَانِ الْقَرِيبَاتِ، وَفِي مَقْدِمَةِ ذَلِكَ الصِّيَامُ وَالْقِيَامُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ طَلَبًا لِلْمَغْفِرَةِ وَالرَّضْوَانِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مِنْ صَامِ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفرَانٌ لِمَا تَقدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمِنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفرَانٌ لِمَا تَقدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ»

[متفق عليه].

وإن من فضائل رمضان ومزاياه أن الله عز وجل جعله مستودعاً لنزول القرآن العظيم، قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَنْ هُدًى لِلنَّاسِ وَبِيَنَتِنَّ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ» [البرقة: ١٨٥]. وقال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرِكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝» [القدر: ١ - ٣].

فضل القرآن ومنزلة حامله

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتَّلَوُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِحْرِرَةً لَنْ تَبُورَ لِوَقِيَّتِهِمْ أُجُورُهُمْ وَيُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٢٩]، وتلاوة القرآن على نوعين: تلاوة حكمية، وهي تصديق أخباره وتنفيذ أحكامه وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنوع الثاني: تلاوة لفظية وهي قراءته، وقد جاءت النصوص في فضلها كثيرة، وهذا من النصيحة لكتاب الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة». قلنا: من يا رسول الله؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» [مسلم: ٥٥].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء رحمهم الله: النصيحة لكتاب الله تعالى؛ هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذبُّ عنه لتأويل المحرفين، وتعرض

إعداد / معاوية محمد هيكل

الطاعنين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحکامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه، والتفكير في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته».

والقرآن هو حبل الله المتنى والذكر الحكيم والصراط المستقيم، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم، لا تشيع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تزيف به الأهواء، ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاحه جهنم وساعت مصيرًا.

والقرآن هو كلام الله تعالى أنزله على رسوله وتعبدنا بتلاوته، وجعل الخيرية في تعلمه وتعليمه، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». [رواوه البخاري]. وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو» [متفق عليه].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة شفيقاً لأصحابه» [رواوه مسلم].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفلا يغدو أحدهم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خيراً له من ناقتين وتلذث خيراً له من ثلاث، وأربع خيراً له من أربع، ومن أعدادهن من الإيل» [رواوه مسلم: ٨٠٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغضبتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» [رواوه مسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران». [متفق عليه].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين». [رواوه مسلم: ٨١٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد إلا في اثنين: رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به أثناء الليل وأثناء النهار، ورجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه أثناء الليل وأثناء النهار». [متفق عليه].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». [رواوه الترمذى وصححه الألبانى].

وقارئ القرآن يترجح على غيره في الدنيا والآخرة وعند الوضع في القبر، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

القرآن هو حبل الله
المتنى والذكر الحكيم
والصراط المستقيم،
من عمل به أجر، ومن
تركه واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما
تولى وأصلاحه جهنم
وساعت مصيرًا

يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. [رواه مسلم].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما ضاقت القبور بالموتى يوم أحد يسأل: أيهم أكثر أخذًا للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، ويوم القيمة يقال لصاحب القرآن: أقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها. [رواه الترمذى وقال حسن صحيح، وصححه الألبانى].

حامل القرآن له شأن آخر

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

وعن الفضيل قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقراء ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كاته قراءة من الليل». [رواه مسلم].

من أداب التلاوة

ينبغي أن يحرص القارئ لكتاب الله على تنظيف فمه بالسوالك، ويستحب أن يقرأ القرآن على طهارة تامة، ولا يمس القرآن إلا ظاهراً، ويجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن دون أن تمس المصحف، أما الجنب فلا يجوز له القراءة؛ لأن بمقدوره رفع الجنابة في الحال، أما الحائض فليست كذلك.

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف ولو استقبل القبلة لكان خيراً، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير، وعنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتکئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن. [متفق عليه].

وينبغي له أن يتعود بالله من الشيطان الرجيم إذا أراد الشروع في القراءة، قال تعالى: «إِنَّمَا قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَأَسْتَعْذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ» [النحل: ٩٨]، ويقرأ بهيئة الخشوع والتدبير: «أَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ» [محمد: ٢٤]، وقد بات جماعة من السلف كل منهم يتلو آية واحدة يتدبّرها ويرددّها إلى الصباح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى الله عليه فقرأ سورة فبرى حتى سالت دموعه على ترقوته. فالبكاء مستحب مع القراءة وبعدها.

وينبغي أن يرتل قراءة، وأن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، قال الله تعالى: «وَرَأَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» [المزمول: ٤]، ويستحب إذا مر بأية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضلها، وإذا مر بأية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب، وإذا مر بأية تنزيه لله تعالى نزه ربه سبحانه.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صلّيت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلّي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران

ينبغي أن يحرص القارئ لكتاب الله على تنظيف فمه بالسوالك، ويستحب أن يقرأ القرآن على طهارة تامة، ولا يمس القرآن إلا ظاهراً، ويجوز إلا ظاهراً، ويجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن دون أن تمس المصحف، أما الجنب فلا يجوز له القراءة؛ لأن بمقدوره رفع الجنابة في الحال

قرأها، يقرأ ترسلًا إذا مر بآية فيها تسبيح سبج، وإذا مر بسؤال سال. [رواه مسلم].

ويستحب طلب التلاوة من قارئ حسن الصوت، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: نَذَرْنَا ربنا. ويستحب تحسين الصوت بالتلاوة والاجتماع على قراءة القرآن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود». [متفق عليه].

والمزمار هو الصوت الحسن ويحرم تفسير القرآن بغير علم، كما يحرم المرأة والجال فيه بغير حق.

تلاوة القرآن في رمضان

وينبغي لكل مسلم في هذا الشهر المبارك أن يُقبل على مائدة القرآن، وأن يُكثر من تلاوته، فإن للتلاوة فيه مزية خاصة، وذلك لشرف الزمان، فقد كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة مرة، فلما كان العام الذي تُوفي فيه عرضه مرتين. [رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له].

وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يكتثرون من تلاوة القرآن في رمضان في الصلاة وفي غيرها، وكان الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان يقول: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم، وأقبل على قراءة القرآن من المصحف.

وكان قتادة رحمه الله يختتم القرآن في كل سبع ليالٍ دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخير منه في كل ليلة، وكان إبراهيم النخعي رحمه الله يختتم في رمضان في كل ثلاث ليالٍ، وفي العشر الأواخر في كل ليلتين، وكان الأسود رحمه الله يقرأ القرآن كله في ليلتين في جميع الشهر، وقال الحميدي: كان الشافعي يختتم كل يوم ختمة، وعن أبي حنيفة نحوه.

قال ابن رجب رحمه الله: «إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصًا في الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر أو الأماكن المفضلة كمكة ملن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد، وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم». [طائف المعارف: ١٩٢، ١٩١].

وجوب تعظيم القرآن الكريم

وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتقديره وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفاً مما أجمع عليه أو زاد حرفاً لم يقرأ به أحدٌ وهو عالم بذلك فهو كافر، وعلى المسلمين أن يسعوا في تحكيم كتاب ربهم في حياتهم الخاصة وال العامة، في سياستهم واقتصادهم واجتماعهم، وأخلاقهم، وحربيهم وسلمتهم، وأن ننتهز فرصة الشهر المبارك في إقامة حدوده وحرفوه، فنحل حلاله، ونحرّم حرامه، ونقف عند محكمه، ونؤمن بمعتاشيه، وننلوه حق تلاوته، فالقرآن لم ينزل لعمل الأحجبة ولا ليقرأ على الموتى، ولكن «لِتُذَرَّمَ كَانَ حَيَا وَبَحَقِّ الْقَوْلِ عَلَى الْكُفَّارِينَ» [يس: ٧٠]. والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:
فبين الأيام والشهور تفاوت في الفضل بقدر ما أودع الله
فيها من مزايا، وجعل فيها من نفحات، وقد ميز الله عز
وجل شهر رمضان على سائر شهور العام لما حوى من
خصال الخيرات، وأنواع الطاعات والقربات، كما ميز
العشر الأواخر منه على سائر الشهور، وجعل ليلة القدر فيه
أفضل ليلي الزمان.

وقد كان لهذه الأيام العشر منزلة عظيمة عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم، وكان لهم فيها هدي خاص، فقد كانوا أشد ما يكونون فيها حرصاً على الطاعة من قراءة القرآن والذكر والدعاة والقيام والاعتكاف وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وبين أيديينا في هذا المقال نبين بمشيئة الله تعالى الأعمال التي كان يحرص عليها الأولون حتى يتمنى لنا الاقتداء بهم والسير على نهجهم؛ فنقول مستعينين بالله عز وجل:
أولاً : إحياء الليل بالطاعات :

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر، فيحيي الليل كله في طاعة ربه. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره. [رواه مسلم].

- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها - أيضاً - قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشرين شد مئزره، وأحياناً ليلاً وأيقظ أهله».

وعنها رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلوة ونوم، فإذا كان العشر شمر وشد المئزر». [رواه أحمد].

وفي هذه الأحاديث دليل على فضيلة العشر الأواخر من رمضان، وشدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على اغتنامها والاجتهاد فيها بأنواع الطاعات والقربات من صلاة وقرآن وذكر ودعاء وصدقة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشد مئزره يعني يعتزل نساء ليتفرغ للصلوة والذكر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحيي الليل بالقيام والقراءة والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه لمذلة هذه الليالي وشرفها عند الله وطنطاً لليلة القدر التي من قامها إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه.

وظاهر هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحيي الليل كله في عبادة ربه من الذكر والقيام والصلوة والقراءة والدعاة والسحور وغيره، بهذا يحصل الجمع بينه وبين ما ورد في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما أعلمك قام ليلة حتى الصباح»؛ لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالقيام وغيره من أنواع العبادة، والذي نفته هو إحياء الليل بالقيام فقط.

تذكير الإخوان

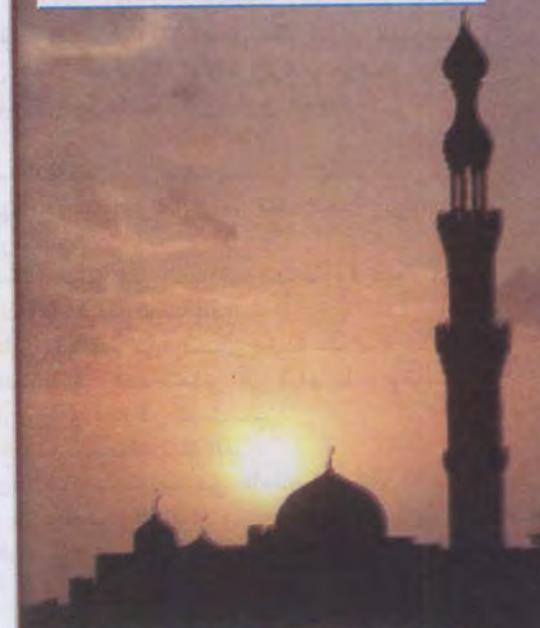
بخصائص

العشر الأواخر

من رمضان

معاوية محمد هيكل

إعداد /



والعبادة، ويتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلاً بحديث مباح مع أهله أو غيرهم.

قال الإمام الزهري رحمة الله: عجبًا لل المسلمين، تركوا الاعتكاف مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله.

ومن أسرار الاعتكاف: صفاء القلب والروح، إذ إن مدار الأعمال على القلب كما جاء في الحديث: «إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت سلح الجسد كله، وإذا فسست فسد الجسد كله إلا وهي القلب» [أخرجه البخاري].

فلما كان الصيام وقاية للقلب من مغبة الصوارف الشهوانية من فضول الطعام والشراب والنكاح، فكذلك الاعتكاف ينطوي على سر عظيم وهو حماية العبد من آثار فضول الصحابة وفضول الكلام والنوم وغير ذلك من الصوارف التي تفرق أمر القلب وتفسد اجتماعه على طاعة الله عزوجل.

متى يبدأ الاعتكاف؟

قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: قال الأئمة الأربعية وطائفة من العلماء: يدخل المعتكف قبيل غروب الشمس ويخلو بنفسه في المكان الذي أعده للاعتكاف بعد صلاة الصبح، وذلك في مغرب يوم العشرين من رمضان، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر.

شروطه: لا يشرع إلا في المساجد، فعن عائشة رضي الله عنها، السنة في المعتكف إلا يخرج إلا لحاجة لا بد له منها، ولا يعود مريضاً، ولا يمس امرأته، ولا يباشرها، ولا اعتكاف إلا في مسجد جماعة، والسنة فيمن اعتكف أن يصوم. رواه البهبهقي بسند صحيح وأبو داود بسند حسن.

قال ابن القيم رحمه الله: لم يذكر الله تعالى الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله النبي صلى الله عليه وسلم إلا مع الصوم. [زاد المعاد: ٨٧/٢]. وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو قول جمهور العلماء. وأما خروج المعتكف من المسجد فهو على ثلاثة أقسام:

١ـ الخروج لأمر طاغة لا بد منه طبعاً أو شرعاً لقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل من احتلام، وكذا الأكل والشرب، فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد، فإن أمكن فعله في المسجد فلا.

٢ـ الخروج لأمر طاغة لا تجب عليه، كعيادة مريض، وشهود جنازة، ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط في ذلك ابتداء اعتكافه، مثل أن يكون عنده مريض يجب أن

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوقظ عائشة رضي الله عنها، وورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلوة ونصح الماء في وجهه.

وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ماشاء الله أن يصلى، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلوة يقول لهم: «الصلوة الصلاة». ويكتل هذه الآية: «أَتَرْأَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَأَسْطَرُ عَنْهَا» [طه: ١٣٢].

وكانت امرأة أبي محمد حبيب الفارسي تقول له بالليل: «قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا».

يا نائمًا بالليل كم ترقد

قم يا حبيبي قد دنا الموعود

وخذ من الليل وأوقاته

ورداً إذا ما هجع الرقد

من نام حتى ينقضي ليه

لم يبلغ المنزل أو يجده

فينبغي للعقل أن يغتنم هذه الليالي المباركة بما يناسب منزلتها ومكانتها العظيمة عند الله تعالى، فإنها فرصة ثمينة وغنية عظيمة لا ينبغي أن يفوتها المسلم حتى يفوز برضوان الله تعالى، ويدرك سعادته الدنيا ونعم الآخرة.

وإنه من الحرمان العظيم والخسارة الفاححة أن نرى في هذه الأيام كثيراً من المسلمين لا يلتقطون إلى هذه الأوقات المباركة ويفغلون عنها، ويمضون أوقاتهم فيما لا فائدة فيه، فيا حسرة على العباد! **ثانية، الاعتكاف في العشر الأولى**

ومن خصائص هذه العشر المباركة استحب الاعتكاف فيها، والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عزوجل، وهو سنة بالإجماع، ولا يجب إلا بالنذر، دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى: «لَا تَنْهِرُوهُنَّ وَلَا شَدَّ عَنْكُمُونَ فِي الْمَسَاجِدِ» [البقرة: ١٨٧].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأولى من رمضان حتى توفاه الله عزوجل، واعتكف زواجه وأصحابه من وبعده.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرة أيام يوماً» [البخاري]. [٢٠٤٤]

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان ليتفرغ لطاعة الله، ويجهذه في تحصيل الثواب والأجر وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يستغل بالذكر

فينبغي للمسلم في العشر الاواخر من رمضان أن يجتهد في تحري ليلة القراءة، لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على قيام هذه الليلة المباركة وإحيائها والتهجد فيها والصلوة والدعاء.

قال سفيان الثوري: «الدعاء في تلك الليلة أحب إلى من الصلاة»، ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسناً، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في ليلي رمضان يكثر من تلاوة القرآن الكريم، لا يمر بآية رحمة إلا سأله، ولا بآية فيها عذاب إلا تعود، فيجمع بين القراءة والصلوة والدعاء والتفسير، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في الليالي العشر. وقد حرصت أمتنا عائشة رضي الله عنها على الاجتهاد في هذه الليلة، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم آرایت إن وافقت ليلة القراءة، ما أقول فيها؟ قال: «ولهم إنا نعوّب تحب العفو فاعف عنِّي» [أحمد والترمذى وابن ماجه ٣٨٥٠] (صححه الألباني).

والغافق من أسماء الله تعالى وهو المتتجاوز عن سيئات عباده الماحي لأنثارها عنهم وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» [رواه مسلم].

وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القراءة بعد الاجتهاد في الأعمال والليالي العشر، لأن الموحدين العاملين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا ولا حالاً ولا مقاماً فيرجعون إلى سؤال العفو من العفو عسى الله أن يقبلهم ويتجاوز عنهم ويشملهم بعفوه وإحسانه.

فأقبلوا على الله عز وجل بقلوب خاشعة لاغتنام الأجر في هذه الأيام العشر وخاصة ليلة القراءة، ففيها يُفتح الباب ويُقرب الأحباب ويُسمع الخطاب ويُكتبه للعاملين فيها عظيم الأجر والثواب، فاجتهدوا في طلبها فهذا أوان الطلب، واحذروا من الغفلة في الغفلة سوء المقابل.

وَغَدَا تُوفِي النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ

وَيَحْصُدُ الزَّارَوْنَ مَا زَرَعُوا

إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِنَفْسِهِمْ

إِنْ أَسَاعُوا فِيْنَسَ ما صَنَعُوا

اللهم إنا نعوّب تحب العفو فاعف عننا، والحمد لله رب العالمين.

يعوده أو يخشى من موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك، فلا بأس به.

٣- الخروج لأمر ينافي الاعتكاف كالخروج للبيع والشراء ونحو ذلك، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط لأنه ينافق الاعتكاف وينافي المقصود منه، فإن فعل انقطع اعتكافه ولا حرج عليه.

ثالث: تعرّي ليلة القدر:

ففي هذه العشر ليلة القراءة التي شرفها الله على غيرها، ومن بها على هذه الأمة بعظيم فضلها وجزيل أجرها وخيرها، وقد أنزل الله عز وجل في فضلها قوله تعالى **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ قِرْبَةٍ إِنَّمَا تَرَكَنَّ إِنَّمَا تَرَكَنَّ مُرْسِلَنَ** [الدخان: ٣-٥].

فقد وصفها الله تبارك وتعالى بأنها ليلة مباركة: لكثرتها خيرها وبركتها وفضلها، ومن بركتها أن هذا القرآن المبارك أنزل فيها، ووصفها سبحانه بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة ما هو كائن من أمر الله سبحانه وتعالى في تلك السنة من الأرزاق والأجال والخير والشر وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة التي ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفة ولا باطل، ذلك تقدير العزيز العليم، وقال تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقِرْبَةِ وَمَا أَنْزَلْنَاكُمْ مِّا لَيْلَةَ الْقِرْبَةِ** [ليلة القدر خير من ألف شهر] **نَزَّلَنَاكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالرُّوحُ فِيهَا يَادِنْ رَوْمَبِنْ كَلْتَرْسَوْنَ** [سلَّمُوهُنَّ حَنْ مَطْلَعَ النُّورِ] [القرآن: ١-٥].

والقدري معنى الشرف والتعظيم وبمعنى التقدير والقضاء: لأن ليلة القراءة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة، ويقضي من أموره الحكيمية: **لَيْلَةَ الْقِرْبَةِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** [القدر خير من ألف شهر] **نَزَّلَنَاكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالرُّوحُ فِيهَا يَادِنْ رَوْمَبِنْ كَلْتَرْسَوْنَ** [الأنبياء: ١٩-٢٠] [يتنزلون في ليلة القراءة إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة.

«والروح» هو جبريل عليه السلام وقد خصه بالذكر لشرفه وفضله، «سلام هي» يعني: أن ليلة القراءة سلام للمؤمنين من كل خوف لكثرة من يعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها: **حَنْ مَطْلَعَ النُّورِ** [القرآن: ٥] يعني أن ليلة القراءة تنتهي بطلع الفجر، قال مالك: بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكان تناصر أعماره لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه ليلة القراءة خيراً من ألف شهر.

حراسة

التوحيد

وصيانة حماه

معاوية محمد هيكل

إعداد /

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام

على رسول الله، وبعد:

فمنذ نشأتها الأولى على يد رعيتها الأول،
و عبر تاريخها الطويل، وجماعة انصار
السنة المحمدية تحرص في المقام الأول على
دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى؛ الذي
هو أصل الدين وأساسه، وتحذر من الشرك
وأخطاره وأضراره على سلامة المعتقد،
ويأتي هذا المقال تاكيداً لهذا الدور البناء،
وحراسة لجناب التوحيد، وذلك بالتحذير
من صور الشرك الأصغر في الأقوال والأفعال
حتى يظل التوحيد متبعاً الجانب، مصوناً
الحمى، فنقول مستعينين بالله تعالى:

تعريف الشرك الأصغر:

هو كل ما كان فيه نوع شرك، لكنه لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر، أو هو كل قول أو عمل بالقلب أو الجوارح جعل العبد فيه نذراً لله تعالى، ولم تصل هذه الندية إلى إخراج صاحبها من الملة. وقد أطلق بعض العلماء الشرك الأصغر على جميع المعاصي؛ لأن فيها اتباعاً للهوى، وتقديماً له على طاعة الله، مستدلين بقوله تعالى: «أَفَرَبِتُمْ
أَنْتُمْ إِلَهُمْ هُوَنَا» [الجاثية: ٢٣]. [الفتاوى: ٢١٦/١٠].
معارج القبول ٤٣٣-٤٤٢، القول المفيد ٦١/١].

وقد ذهب كثير من المفسرين وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الآية السابقة في الشرك الذي يبعد ما تهواه نفسه من معبدات، فما استحسن من شيء عبده. [تفسير الطبرى، والقرطبي، والشوكانى، ومجموع الفتاوى ٥٣٢/١٠].

وعلى هذا فإن المعاصي لا يدخل منها في الشرك الأصغر إلا ما كان فيه نوع إشراك مخلوق آخر.

حكمه:

اما حكم الشرك الأصغر فهو كما يلي:

١- إنـه كبيرة من كـبـائر الذنوب، بلـ هو أـكـبـر الذنوب بعد الشرك الأـكـبـر، والـدـلـيل عـلـى ذـلـك قـوـلـه صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـا رـأـى فـي يـدـ رـجـلـ حـلـقـةـ مـن صـفـرـ: «مـا هـذـهـ؟» قالـ: مـنـ الـوـاهـنـةـ. قالـ: «أـنـزـعـهـاـ، فـإـنـهـاـ لـا تـرـيـدـكـ إـلـا وـهـنـاـ، فـإـنـكـ لـوـ مـتـ وـهـيـ عـلـيـهـ مـا أـفـلـحـتـ أـبـدـاـ». [رواهـ أـحـمـدـ وـابـنـ حـبـانـ وـسـنـدـهـ حـسـنـ].

ويؤيدـهـ قولـ ابنـ مـسـعـودـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: «لـأـنـ أـحـلـفـ بـالـلـهـ كـانـبـاـ، أـحـبـ إـلـيـ مـنـ أـحـلـ بـغـيـرـهـ صـادـقاـ». صـادـقاـ.

فـجـعـلـ الـحـلـفـ بـالـلـهـ كـانـبـاـ الـذـيـ هوـ مـنـ كـبـائـرـ الذـنـوـبـ أـخـفـ مـنـ الـحـلـفـ بـغـيـرـهـ صـادـقاـ؛ لأنـهـ مـنـ الشرـكـ الأـصـغـرـ، وـقـدـ ذـهـبـ بـعـضـ أـهـلـ الـعـلـمـ إـلـيـ أـنـ الشـرـكـ الأـصـغـرـ لـا يـغـفـرـ إـذـا مـاتـ الـعـبـدـ وـلـمـ يـتـبـ مـنـهـ، مـسـتـدـلـيـنـ بـعـمـومـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «إـنـ اللـهـ لـا يـغـفـرـ أـنـ يـشـرـكـ بـهـ» [الـنـسـاءـ: ٤٨]، وـأـجـبـ عـنـ هـذـاـ الـاـسـتـدـالـلـ بـأـنـ الـآـيـاتـ الـتـيـ تـحـدـثـ عـنـ الشرـكـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ تـعـالـىـ وـالـتـيـ رـتـبـ فـيـهـ الـحـكـمـ عـلـىـ وـصـفـ الشرـكـ لـمـ يـخـتـلـفـ أـهـلـ الـعـلـمـ عـلـىـ أـنـ الـمـرـادـ بـهـ الشرـكـ الأـكـبـرـ، كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «إـنـهـ، مـنـ يـشـرـكـ بـالـلـهـ فـقـدـ حـرـمـ اللـهـ عـلـيـهـ الـجـنـةـ وـمـنـأـوـةـ الـنـارـ» [المـائـدـ: ٧٢]، وـقـوـلـهـ: «لـئـنـ أـشـرـكـتـ

لِيَجْعَلُنَّ عَلَكُمْ [الزمر: ٦٥]. [مدارج السالكين ٣٦٨، ٣٠٨/١٢، قرة العيون ٢٤٦]

-٢- أن هذا الشرك قد يعظم حتى يؤول بصاحبه إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، فصاحب على خطر عظيم.

-٣- أنه إذا صاحب العمل الصالح أبطل ثوابه، كما في الرياء وإرادة الإنسان الدنيا وحدها بعمله الصالح، بذلك على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركته» رواه مسلم.

صور من الشرك الأصغر

للشرك الأصغر صور كثيرة، منها:

أولاً: الشرك الأصغر في العبادات القولية:
١- الحلف بغير الله: وهو توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة لله تعالى مصدراً بحرف من حروف القسم.

وقد أجمع أهل العلم على أن اليمين المشروعة هي قول الرجل: والله، أو بالله، أو تالله، وقد حكم الإجماع على ذلك ابن المنذر، وأiben حزم، وأiben قدامة، وأiben عبد البر، وأجمعوا على انعقاد اليمين إذا كانت باسم من أسماء الله تعالى التي لا يسمى بها سواه، كـ«الله»، وـ«الرحمن»، كما ذكر ابن حجر رحمة الله على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته.

واختلفوا فيما عدا ذلك مثل قوله: «لعمر الله»، والمراد به: الحلف ببقاء الله تعالى وحياته، وقول: «بحق الله»، وقول: «عليَّ يمين الله»، وقول: «علم الله»، وقول: «أيم الله»، وقيل: «أيم» عوض عن واؤ القسم، وقيل: إنها بمعنى «أحلف بالله»، كما اختلفوا في الحلف بفعل من أفعال الله.

اليمين عبادة:

واليمين عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، فيحرم الحلف بغيره تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله، وإنما فليحسمت» متفق عليه.

فمن حلف بغير الله سواء أكان نبياً أم وليناً أم الكعبة أم غيرها فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ووقع في الشرك؛ لقوله صلى الله عليه

وسلم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر.
ولأن الحلف فيه تعظيم للمحلف به، فعن حلف بغير الله كائناً من كان فقد جعله شريكاً لله عز وجل في هذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، وهذا من الشرك الأصغر إن كان الحالف إنما أشرك في لفظ القسم لا غير، أما إن كان الحالف قد قصد بحلفه تعظيم المخلوق الذي حلف به كتعظيم الله تعالى، كما يفعله كثير من المتصوفة الذين يحلفون بالأولياء والمشايخ أحياء وأمواتاً، حتى ربما بلغ تعظيمهم في قلوبهم أنهم لا يحلفون بهم كاذبين مع أنه يحلفون بالله وهم كاذبون، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأن المحلف به عندهم أجل وأعظم من الله تعالى.

قال الشيخ محمد خليل هراس - رحمه الله - في كتاب دعوة التوحيد (ص ٥٥): إن الحلف بغير إنما نهي عنه؛ لأن في الحلف تعظيماً للمحلف به وهو لا ينبعي إلا لله، وفيه معنى إشهاد المحلف به على صدق الحالف، وهذا لا يصح إلا من يعلم صدق المحلف عليه أو كذبه، وهو الله تعالى، كما أن من يحلف به يجب أن يكون يملك عقاب من حلف به، والانتقام منه عند حلفه به كاذباً، وهو الله تعالى دون سواه.

قال النووي في روضة الطالبين (٦/١١): قال الأصحاب - يعني الشافعية - : فلو اعتقد الحالف في المحلف به من التعظيم ما يعتقه في الله تعالى؛ كفر.

٢- من الشرك الأصغر في الأقوال: التشريك بين الله تعالى وبين أحد من خلقه بـ(الواو):

العطف بالواو يقتضي مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولذلك فإنه يحرم العطف بها بين الله وبين أحد من خلقه في أي أمر من الأمور التي يكون للمخلوق فيها دخل في وقوعها كأن يقال: «ما شاء الله وشئت»، أو يقال: «هذا من بركات الله وبركاتك»، أو يقال: «ما لي إلا الله وأنت»، أو يقال: أرجو الله وأرجوك. ونحو ذلك، فمن تلفظ بهذه الألفاظ أو ما يشبهها فقد وقع في الشرك؛ لقوله تعالى: **فَلَا يَجْعَلُنَّ** **لِيَأَنَّهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُونَ** [البقرة: ٢٢]. قال ابن

الدهر، بيدي الأمر، أقبل الليل والنهار». فالله هو الفاعل حقيقة، فمن سب الدهر فقد سب الله، وسب الدهر يكون من الشرك الأصغر في حق من سب الدهر وهو يعتقد عدم تأثيره، فالشرك من أجل اللفظ الذي فيه نوع تشريك بين الله وبين الدهر في الفعل والتاثير، أما إن كان الساب للدهر يعتقد ما يعتقد أهل الجاهلية من تاثير الدهر و فعله من دون الله، كما قال الله عنهم: «**وَمَا يُبَدِّلُ إِلَّا الدَّهْرُ**» [الجاثية: ٢٤]، فهو شرك أكبر. [انظر: الأسماء والصفات للبيهقي ٣٧٨/١، وزاد المعاد ٣٥٥/٢، والشرك الأصغر ١٩٧].

٤- ومن الشرك الأصغر كذلك: التسمى بالأسماء التي فيها تعظيم لا يليق إلا بالله تعالى كملك الملوك، وقاضي القضاة ونحوها، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «أغْيِظْ رجُلًا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبِثْهُ وَأَغْيِظْهُ عَلَيْهِ: رَجُلٌ كَانَ يُسَمِّي مَلْكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلْكٌ إِلَّا اللَّهُ».

٥- التسمى بأسماء فيها تعبد لغير الله تعالى كعبد الرسول وعبد النبي وعبد الحسين، ولهذا غير النبي صلى الله عليه وسلم أسماء من أسلم من الصحابة، وكان اسمه معبداً لغير الله تعالى.

مثال ذلك ما جاء في ترجمة سيرة بن أبي سبيرة أن أباه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما ولدك؟ فقال: عبد العزى، وسبرة، والحارث، قال: لا تسم عبد العزى، وسم عبد الله، فإن خير الأسماء عبد الله، وعبد الله، والحارث، وهما، ودعا ولدته، فما زالوا في شرف إلى اليوم. رواه أحمد والحاكم.

وكذلك صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه غير اسم «عبد شمس» إلى عبد الله، وغير «عبد عمرو» إلى «عبد الرحمن» وغير «عبد كلال» إلى «عبد الله»، كل ذلك حماية «عبد عوف» إلى «عبد الله»، كل ذلك حماية لجناب التوحيد، وصيانته لحماه. وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

عباس رضي الله عنهما: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: ولولا حياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: ولولا لديك لأنانا للخصوص، وقول الرجل: ولولا الله وفلان فإن هذا كله به شرك». رواه ابن أبي حاتم بسند حسن.

وهذا يدل على أن هذه اللفظة وما يشبهها من الألفاظ التي فيها نسبة التاثير والتذليل لغير الله من الأشياء التي جعلها الله تعالى سبباً لكقول بعضهم: «هذا الخير من عرق الجبين»، ولولا فلان لم يحصل كذا، ونحو ذلك مما ينبه عنه.

وقد بين ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين أن هذا من الشرك الأصغر، وكذا قال به ابن رجب في طائف المعرف، وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «**وَمَا يَؤْمِنُ أَكْتَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ شُرِكُونَ**» [يوسف: ١٠٦]. قيل: معناها: أنهم يدعون الله أن ينجيهم من الهلاكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجينا، ولولا الكلب لدخل علينا اللصوص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، وواقياته منسوبة إلى الكلب، وقد يقع في هذا القول كثير من عوام المسلمين.

وقد استثنى بعض أهل العلم من هذا الحكم: ما إذا أضاف النعمة إلى سبب صحيح ثابت على سبيل الإخبار لا غير، مع اطمئنان القلب إلى أن المنعم الحقيقي هو الله تعالى، وأن هذا السبب إنما هو فضل الله وإن عماه فقالوا: بأن هذا جائز، ولهذا أدلة منها حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو في ضحاض من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». [روايه البخاري: ٦٢٠٨].

سب الدهر:

٣- ومن صور الشرك الأصغر: سب الدهر: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:
حماية لجناب التوحيد وصيانة لحماءه؛ تحدثنا
في المقال السابق عن صور من الشرك الأصغر في
الاقوال، وفي هذا المقال نتناول الحديث عن الشرك
الأصغر في الأعمال القلبية، فنقول مستعينين بالله
تعالى:

ثانياً: الشرك الأصغر في الأعمال القلبية:

١- التطير:

وهو لغة: مصدر «تطير» ويسمى «الطيرة»، و«الطير»
وأصله معرفة الخير والشر بدلالة الطير وهو التشاوُم
بالطير.

في الاصطلاح: التشاوُم بمرئي أو مسموع أو
معلوم.

أو هو التشاوُم بالطير والأشياء والألفاظ والبَقَاع،
وغيرها. [القول السديدي: ص ١١].

مرئي مثل: لو رأى طيراً فيتضاعم لكونه موحشاً.
أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحدهما يقول: يا
خاسر مثلاً، فيتضاعم.

أو معلوم: كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور
أو بعض السنوات. [معارج القبول، ٩٩٠/٣، القول
المفيد ص ٤٤٨].

ومعنى ذلك أن يكون الإنسان قد عزم على أمر ما،
فيري أو يسمع أمراً لا يعجبه؛ فيحمله ذلك على ترك
ما يريد فعله، ويلحق به في الحكم: عكسه وهو أن
يرى أو يسمع أمراً يُسرّ به، فيحمله ذلك على فعل أمرٍ
لم يكن عازماً مع فعله.

التطير ينافي التوحيد

والتطير ينافي التوحيد من وجهين:
الأول: أن المتطير قطع توكله على الله، واعتمد على
غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم
وتخييل، فاي رابطة بين هذا الأمر وما يحدث
له، وهذا لا شك يخل بالتَّوْحِيد؛ لأن التَّوْحِيد
عبادة واستعانة، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَنْهَاكُونَ
وَإِنَّمَا تَنْهَى عَنِ الْفَاحِشَةِ» [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى:
«فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ» [هود: ١٢٣]، فالطيرة بذلك
محرمة ومنافية للتَّوْحِيد، والتطير لا يخلو
من حالين:

الأول: أن يُحجم ويستجيب لهذه الطيرة، ويدع العمل،
وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم، يخشى من
تأثير هذا المتطير به، وهذا أهون. وكلا الأمرين نقص
في التَّوْحِيد وضرر على العبد، بل على العبد أن
ينطلق إلى ما يريد باشراح صدر واعتماد على الله
ولا يسيء الظن بالله عز وجل.

حماية

جناب

التوحيد

الخطبة الثانية



معاوية محمد هيكل

عدد /

من أمثلة التطير:

ما كان يفعله أهل الجاهلية من أن أحدهم إذا أراد سفراً زجر أو أثار طيراً، فإن اتجه ذات اليمين استبشر وعزم على السفر، وإن اتجه ذات الشمال تشاءع، وتترك السفر وقد كثر استعمال أهل الجاهلية للطvier في هذا الأمر؛ حتى قيل لكل من تشاءع: «تطير».

ومن أمثلة التشاوم أيضاً: التشاوم بسماع كلمة لا تعجبه كـ«يا هالك مثلاً» أو بمقالقة عجوز أو صاحب عاهة، أو رؤبة غراب، أو بومة في أول سفره أو نهاره؛ فتيرك السفر أو تيرك البيع والشراء في هذا اليوم.

ومن أمثلته أيضاً: التشاوم ببعض الأشهر كصفر، والتشاؤم ببعض الأرقام كثلاثة عشر، كما يحدث في الوقت الحاضر من بعض أصحاب الفنادق والعقارات فتجد بعضهم لا يضع هذا الرقم في أدوار العمارة أو في المصعد أو في مقاعد الطائرات، وكذلك من يمارسون الرياضة في هذا العصر لا يرتدون الملابس التي تحمل رقم ثلاثة عشر، كل ذلك يفعلونه تشاوماً بهذا الرقم ورعاً منه. وهذا من أعجب العجب. كما أنه خل عقدي خطير؛ حيث يُسايق الناس خلف هذه الأوهام سوقاً عجيباً، وتحكم فيهم الأرقام تحكماً غريباً في تصرفاتهم وسلوكياتهم كان عقولهم ذهبت وتفكيرهم غاب، فالحمد لله على نعمة التوحيد.

التطير من الشرك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة شرك». [رواه أحمد: ٣٦٨٧، وصححه الشيخ أحمد شاكر].

والسبب في كونه شركاً هو ما يعتقد المتظير من أن ما فعله من التطير سبيل إلى دفع مكروه عنه أو جلب الخير له، مع أنه سبب غير صحيح، وهو من خرافات الجاهلية، وما يزيّنه الشيطان في نفوس الجهلاء، فإذا وقع بعض ما طبّروا به في بعض الأحيان جعلهم الشيطان يتعلقون بهذا التطير ويظلون أنهم صحيح، كما أن في هذا التطير نوعاً من الاعتماد على الأسباب في دفع الضر وجلب النفع، فهي أسباب باطلة شرعاً وعقلاً، فهو قد اعتمد على سبب لم يجعله الله سبباً، وتعلق قلبه بهذه الأسباب الباطلة، كما أن التطير اعتماداً على هذه الأمور الباطلة في دعوى معرفة ما سيكون في المستقبل». [التمهيد: ١٩٥/٢٤، ومسلم بشرح النووي ٢١٩/١٣، القول السديد ١١٦].

تبنيه: هذا الحكم إنما هو في حق من اعتقد أن ما تطير به جعله الله علامة على هذا الأمر المكره أو سبباً في حصوله، أما من اعتقد أن هذا المتشاءع به يُحدث الشر بنفسه ويفعله استقلالاً أو اعتقد أنه يعلم الذي سبق في المستقبل ويخبر به، فهذا من الشرك الأكبر. [فيض القدير ٤/٢٩٤، القول المفيد ٥٧٧/١].

دفع إشكال:

أما ما ورد في البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا عدوٌ ولا طير، وإن كان الشؤم في شيءٍ ففي الدار والمرأة والفرس». وفي رواية: «لَا عدوٌ ولا طير والشُّؤم في ثلاثة: في المرأة والدار والدابة». [البخاري: ٥٧٥٣]. فالأقرب أن المراد بالشُّؤم في هذا الحديث ما يكون في بعض أعيان هذه الثلاثة من الخضر المحسوس، كالمرأة السيئة الخلق، والدار الضيقة، أو السيئة الجيران، والفرس السيئة الطبيع، ونحو ذلك، كما في الحديث الذي رواه ابن حبان بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء». [الصحيح الجامع: ٨٨٧].

وللشيخ حافظ حكمي كلام رائع في هذا الباب، ذكره في معارج القبول (ص: ٨٠٢، ٨٠١) هذا نصه: «والشُّؤم: ضد اليمين وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة اللستنة المؤذنة أو المبذنة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك، كذلك الدار الجدب أو الضيقة أو السيئة الجيران، وكذلك الدابة التي لا تلد أو الكثيرة العيوب الشينة الطبيع، وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنافية، فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقدون ليس من هذا؛ لأنهم يعتقدون أنها نفس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها، فيعتقدون أنه إن كان غنياً افترق لذاتها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه، لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجماً لا يوافق نجمه، بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوجهه إلى أوليائه، قال الله تعالى: **إِنَّ جَهَنَّمَ أَوْلَى لِلَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ** [الأعراف: ٢٧].

فالملخص أن الشُّؤم المثبت في الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد، ليس من باب الطيرة المنافية التي يعتقدونها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

ما المقصود بالفال وما هي شروطه؟

معنى الفال: وهو لفظ مشترك فيما يسوء أو يُسرّ، فيكون بحيث يقييد المعنى، إنما الذي يظهره ما يتبعه من وصف له، كان تقول فال حسن، وقال شر. والغالب في الفال السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا طير، وخيرها الفال». قالوا: وما الفال؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم». [البخاري: ٥٥٤٣].

قال ابن القيم رحمه الله: أخبر صلى الله عليه وسلم أن الفال من الطيرة، وهو خيرها، فابتطل الطيرة، وأخبر أن

يصدقنكم». [مسلم: ٥٣٧]. فما يوضح صلی الله عليه وسلم لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرية ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامه، ولا فيها دلاله، ولا نسبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه، ولطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسلاً، وانزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد، فقطع صلی الله عليه وسلم على الشرك من قلوبهم؛ لثلا يبقى فيها علقة منها، ولثلا يتلبسوها بعمل من أعمال أهل النار البة.. فمن استمسك بعروبة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتن، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرية من قبل استقرارها، وبادر خواطراها من قبل استمكانتها.

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال له ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر، فبادره بالإنكار عليه؛ لثلا يعتقد له تأثيراً في الخير أو الشر. وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاووس: واي خير عند هذا، لا تصبني. [فتح دار السعادة ٢٣٤/٢، ٢٣٥].

لا شرم إلا المعاصي: بعد أن قرر أن التشاوؤم باطل شرعاً وعقلاً، قال الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف (ص: ٧٧): «وفي الجملة فلا شرم إلا المعاصي والذنوب؛ فإنها تُسخط اللهم عن وجل، فإذا سخط على عبده شقي في الدنيا والآخرة، كما أنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة، فالشرم في الحقيقة هو معصية الله، واليُمن هو طاعة الله وتقواه».

والعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي، فمن قاربها وخالفتها وأصر عليها هلك، وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو إليها من شياطين الإنس، وهو أضر من شياطين الجن، قال بعض السلف: شيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك في المعصية.

ولهذا حذر النبي صلی الله عليه وسلم بقوله: «لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧٣٤١].

فالمعاصي وهو شرم على نفسه وعلى غيره؛ فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب، فيعم الناس خصوصاً من لم يذكر عليه عمله، فالبعد عنه متعين، فإذا كثر الحديث هلك الناس عموماً.

عافانا الله وإياكم من كل الذنوب والآثام وسائر الآفات، والحمد لله رب العالمين.

الفال منها، ولكنه خير منها، ففصل بين الفال والطيرية لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضره الآخر، ونظير هذا منعه الرقى بالشرك وإنذه بالرقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الحالية من المفسدة. [فتح دار السعادة ص: ٥٩٩].

ومن ذلك قول النبي صلی الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال: «سهل الله أمركم». [البخاري: ٢٧٣١].

شرط الفال:

ومن شرط الفال إلا يعتمد عليه والا يكون مقصوداً، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال. ومن البدع النمية والمحدثات الوخيمة أخذ الفال من المصحف، فإنه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ولهواً، **سلمة عاتلوا** [المائدة: ٦٦].

وما أدرى كيف حال من فتح المصحف على قوله تعالى: «**لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَنفُسِهِمْ**» [المائدة: ٧٨]، وقوله: «**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**» [النساء: ٩٣]، وأمثال هذه الآيات.

ويرى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية، وأنه تفاعل يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل: «**وَلَسْتَ شَهِيدًا وَكَاتِبًا كُلُّ جَيْلٍ كَفِيرًا**» [إبراهيم: ١٥]، فيقال: إنه أحرق المصحف غضباً من ذلك وأنشد أبياتاً سيئة.

والمقصود أن هذه بدعة قبيحة، والفال إذا قصده المتفائل، فهو طيرة كالاستقسام بالأسلام، وقد روى الإمام أحمد في تعريف الطيرية حديث الغضل بن العباس رضي الله عنهما قال: «إنما الطيرية ما أمساك أو ردك».

وروى في كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «من ربطه الطيرية عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك». [صححه الألباني في السلسلة ١٠٦٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال: «الطيرية شرك» ثلاثاً: «وما من إله ولكن الله يُذهب به بالتوكل». [صحح الترغيب والترهيب ٣٠٩٨، معارج القبول: ٨٠٢].

وهذه التنممة من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما في سنن الترمذى، والمعنى: وما من أحد إلا وقد يعتريه التطير، وهذا يدل على أن ما يقع في القلب من التطير من غير قصد من العبد ولم يستقر في القلب فمغفوف عنه، لكن إن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو محرم، ويفيد هذا حديث معاوية بن الحكم عند مسلم قال: قلت: وما رجال يتطردون؟ فقال صلی الله عليه وسلم: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدقنهم». وفي رواية: «فلا

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على
رسول الله، وبعد:

لقد دأبت جماعة أنصار السنة المحمدية وحرست
منذ نشاتها الأولى على بد رعيها الأول، وعبر
تاریخها الطویل، على دعوة الناس إلى توحید
الله تعالى؛ الذي هو أصل الدين وأساسه،
وتذہرهم من الشرك وأخطاره وأضراره على
سلامة المعتقد، وباتى هذا المقال تاكيداً لهاذا
الدور البناء، وحراسة لجناب التوحید، وذلك
بالتحذیر من الرياء وخطره على أعمال العباد،
فتقول مستعدین بالله تعالى:

أولاً: تعريف الرياء:

الرياء في اللغة: مشتق من الرؤية، وهي: النظر،
يقال: رأيته، مراءاة ورياء إذا أريته على خلاف
ما أنا عليه.

وفي الاصطلاح: أن يُظهر الإنسان العمل الصالح
لآخرين أو يُحسنه عندهم، أو يُظهر عندهم
بمظاهر مندوب إليه ليمدحوه ويعظم في أنفسهم.
[قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام].

- نصوص القرآن والسنة تحذر من الرياء:

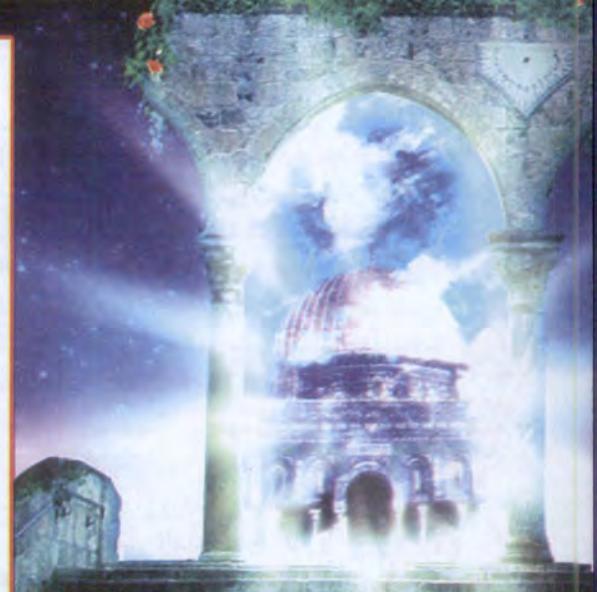
تضارفت نصوص الكتاب والسنة لتحذر المسلم
من أن يقصد بالعبادة غير الله؛ لأن ذلك من كبائر
الذنوب، وعدته الشريعة شركاً؛ ويتنافى مع حقيقة
الإخلاص؛ لأن المرائي جعل العبادات وسيلة
لتحصيل أهدافه ورغباته، وهذا سلوك مشين فلم
تشرع العبادات لذلك.

القرآن يحذر المرائين ويتوعدهم:

١- قال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَّلِّينَ ① الَّذِينَ
هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاكِنُونَ ② الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ③
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» [الماعون: ٤ - ٧]. فقد تهدى الله
وتوعى هذا الصنف من الناس المرائي بصلاته
بالويل والهلاك.

٢- قال الله تعالى: «يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا يُنْطَلِّو
صَدَقَتْكُمْ بِالْأَنْوَنَ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاةَ النَّاسِ
وَلَا يَوْمَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأُخْرِ» [البقرة: ٢٦٤]، فالرياء
يُبطل الصدقه، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل
المؤمنين.

٣- قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتْهَا لَوْفَ
الْيَتَمَّ أَعْنَلَهُمْ فِيهَا وَهُنْ فِيهَا لَا يَمْسُونَ ⑩ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ
لَمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنْكَارُ وَحَكِّطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَكَلَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ» [هود: ١٥ - ١٦].



حماية جناب التوحيد

التحذير من خطورة الرياء

الحلقة الثالثة

معاوية محمد هيكل



عدد /

في الجهاد حتى قُتل، ليقال: جريء، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ليُقال: عالم وقارئ، ورجل تصدق ليُقال: جواد. [رواه مسلم].

حكم الرياء

الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الشرك الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر فقال: هو مثل يسير الرياء، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر.

حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

أولاً: أن يكون الباعث على العبادة مراءة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل الناس ولم يقصد وجه الله، فهذا شرك، والعبادة باطلة.

ثانياً: أن يكون الرياء طارئاً على العبادة في أثنائها، يعني أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله، ثم طرأ الرياء أثناء العبادة، وهذا الوجه له أحوال:

أ- فإذا كانت العبادة لا ينبعي آخرها على أولها، فأولها صحيح على كل حال، والباطل آخرها. مثال ذلك: رجل معه مائة جنيه، وقد أعدها للصدقة فتصدق بخمسين منها مخلصاً، وتصدق بالباقي رباء. فالعمل الأول صحيح، والثاني باطل.

ب- أما إذا كانت العبادة ينبعي آخرها على أولها، فهي على حالين:

1- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه لا يؤثر عليه شيئاً؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم» [رواه البخاري: ٦٤٩٩].

مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية شعر بالرياء فدافعه، فذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته.

2- أن يطمئن إلى هذا الرياء، ولا يدافعه، فحينئذ يتبطل جميع العبادة؛ لأن آخرها مبني على أولها.

ثالثاً: ما يطأ بعد انتهاء العبادة، فإنه لا يؤثر عليها، إلا إذا كان فيه عدوان على الغير كالمُنْهَى والأذى بالصادقة، فإن إثم العدوان يكون مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها؛ لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَانُوا لَا يُطْلُو صَدَقَتُكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى» [البقرة: ٢٧].

فالآلية كما يقول القرطبي عامة في كل من ينوي بعمله غير الله، كان معه أصل إيمانه أو لم يكن، وهذا قول مجاهد وغيره من المفسرين.

4- قال تعالى: «فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِفَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَنِعْلَمَا وَلَا يُنْتَهِ عِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠]، قال ابن القيم: أي: كما أن الله واحد لا إله سواه، فكتلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة. [الجواب الكافي، ص ٢٣٤].

الأدلة من السنة

وقد وردت أدلة كثيرة من السنة تدل على تحريم الرياء، وأنه يُبطل العمل الذي يصاحبه، منها:

1- ما رواه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخْافُ عَلَيْكُمُ الشَّرَكُ الْأَصْغَرُ». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرِّيَاءُ»، يقول الله عز وجل يوم القيمة إذا جزى الناس ب أعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاءً. [صحيح الجامع ١٥٥٥].

2- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل رباء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» رواه مسلم في صحيحه.

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركته». [رواه مسلم ٢٩٨٥].

4- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذكر الدجال فقال: «أَلَا أَخْبَرْكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟ فَقُلْنَا: بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الشَّرَكُ الْخَفِيُّ»، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ، فِي زِينَتِهِ، مَا يَرِي مِنْ نَظَرٍ رَجُلٌ». [رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

وحدث أبي هريرة في خبر ثلاثة الذين هم أول من تسquer بهم النار يوم القيمة، وهم: رجل قاتل

٢٦٤]. القول المفید لابن عثیمین: ص(١٩٦).

صور من الرياء

١- المرأةءة بالعمل: كالمرأءة للمصلبي، وذلك بطول الركوع والتسجود، والمرأءة بالصوم وبالغزو أو بطول الصمت، وبذل المال، والمرأءة بصحبة العلماء أو العباد ليقال أنه صاحبهم، فيعظم بذلك في نظر الناس، وكذلك المرأةءة ببر الوالدين ليقال بار، والمرأءة بإكرام الضيوف والصدقة على الفقراء ليقال جواد كريم.

٢- المرأةءة بالقول: كالمرأءة بإقامة الحجة عند المحاجلة ليقال قوى الحجة، وسرد الأدلة إظهاراً لغزارة العلم ليقال: عالم، وكتحرير الشفاه أمام الناس رياء ليقال ذاكر، وتحسين القارئ صوته بالقراءة ليقال قارئ حسن الصوت، وهذا من السمعة المحرمة، وقد صح عن جندي مرفوعاً «من يرائي يراء الله به، ومن يسمع يسمع الله به» [البخاري ٦٤٩٩]، ومسلم [٢٩٨٧]، والمعنى أن الله يفضحه يوم القيمة بإظهار قصده السيئ.

٣- المرأةءة بالهيئة والزي، كتقسيير الثياب والظهور بمظاهر الزهاد من أجل أن يُمدح بذلك لا من أجل إظهار السنة والدعوة إليها.

هذا وهناك بعض الصور أدخلها بعض أهل العلم في الرياء والأقرب أنها لا تدخل فيه، ومنها:

١- ترك العادات من التواطل أمام الناس خوفاً من الرياء، فقد عَمِّ بعض العلماء الحكم في هذا، والأقرب في ذلك هو التفصيل: فمن علم من نفسه أنه سيقع في الرياء إن أدى هذه العبادة أمام الناس ينبغي له ألا يفعلها أمامهم، بل إنه قد ورد الندب إلى فعل التواطل في البيوت، وورد الندب إلى الإسرار بالصدق، وهذا أولى. [ويينظر: تفسير القرطبي للآية ٢٧١ من البقرة، الإحياء ٣-٣٣٩، الزواجر ٤٨/١، ٤٩، ٣٤٧].

٢- ترك المعصية خوفاً من ذم الناس، فإن الأقرب أن هذا ليس من الرياء؛ لأن المسلم مأموم بالستر على نفسه، ومأموم بأن يبتعد عما يسيء إلى عرضه، ومأموم بإبعاد قالة السوء عن نفسه، وترك المعصية وإخفاوها خوفاً من الذم داخل في هذا.

٣- الفرح بعلم الناس بعمله بعد أدائه للعبادة، قال في مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٨٣):

«إِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْعِبَادَةِ سَرُورُ الظَّهُورِ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِهِ مِنْهُ، فَهَذَا لَا يُحِيطُ الْعَمَلُ؛ لَأَنَّهُ قَدْ تَمَّ عَلَى نَعْتِ الْإِخْلَاصِ، فَلَا يَنْعَطِفُ مَا طَرَا عَلَيْهِ بَعْدَهُ». [٢٢٨/٢]

وقال الشيخ بن عثيمين في القول المفید (٢٢٨/٢): «وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة». انتهى. بل من عاجل بشري المؤمن كما ورد بالحديث.

بل هذا من عاجل بشري المؤمن كما ورد في الحديث، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُ النَّاسَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تَلَكَ عَاجِلٌ بُشَّرَى الْمُؤْمِنِ» [صحيح مسلم ٢٦٤٢].

هل يشرع تحصيل المنافع الدنيوية مع العبادة؟

من أراد بالعبادة وجه الله والدنيا معاً كمن يحج لوجه الله وللتجارة، وكمن يقاتل في سبيل الله وللغنيمة، وكمن يصوم لوجه الله وللعلاج، وكمن يتوضأ للصلاحة وللتبرد، وكمن يطلب العلم لله وللوظيفة، فهذا على الصحيح أنه مباح؛ لأن الوعيد إنما ورد في حق من طلب بالعبادة الدنيا وحدها، وأن الله عز وجل رب على كثير من العبادات منافع دنيوية عاجلة، كما في قوله تعالى عن الحج لله عز وجل:

«لِشَهَدُوا مَنَّتِيقَ لَهُمْ» [الحج: ٢٨].

وقوله تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) [سورة البقرة آية ١٩٨] عن ابن عباس ، قال : «كَانَتْ عَكَاظٌ وَمَجْنَةٌ وَذُو الْمَحَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ تَأَمَّلُوا مِنَ التَّحَمَّرَةِ فِيهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ سورة البقرة آية ١٩٨ في مواسم الحج رواه البخاري في الصحيح ح ٤٥١٩.

وكما في قوله تعالى: «فَلَمَّا كَانَتْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَذَّارًا ① يُرِيزُ الْمُتَكَبِّرَاتِ ② يُنَذِّرُ الْمُنْذَرَاتِ ③ وَيُنَذِّرُ الْمُنَذَّرَاتِ ④ بِأَنَّوْلَ وَبَيْنَ وَيْمَنِ لَكُمْ جَنَاحٌ وَجَمِيعُ لَكُمْ أَنْهَارًا» [نوح: ١٠-١٢].

وحدث أبي سعيد في قصة رقية اللدغ فهو صريح في جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن.

وقد ذكر القرافي في الفروق (ص ١٢٢) أن من

أخفى من دبيب النمل، لا أدلك على شيء إذا
قلته ذهب عنك قليلاً وكثيره؟ قال: قل اللهم إني
أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفر لك
ما لا أعلم» [البخاري في الأدب المفرد (٧٦٦)
وصححة الالباني].

٣- النظر فيما ينتظر المرائي من عقوبات
آخرية، ومن افطاعها أنه أول من يُسْعَر به
النار يوم القيمة.

٤- التدبر والتفكير في مآل المرائي في الآخرة،
والثمن البخس الذي يحرص عليه، والذي
يدل على ضيق أفقه؛ حيث يضيع ثواب عمله
الذي هو سبب لفوزه بجنت النعيم، ونجاته
من عذاب الجحيم، وذلك من أجل مدح الناس،
وتحصيل منزلة عند المخلوقين.

تعذير:

وفي الختام نلتفت الأنظار إلى مسألة مهمة
تتعلق بهذا الباب، وهي أنه لا يجوز لمسلم
أن يرمي أخيه بالرياء، فإن الرياء من أعمال
القلوب، ولا يعلمه إلا علام الغيوب؛ لأن اتهام
الناس بالرياء من صفات المنافقين: **«الذين**

لَمْ يُرْزُقُوا الْمُطْهُورِينَ **وَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي**
الصَّدْقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهَدُهُ فَيَسْخُرُونَ
وَتَهُمْ سَخِرُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ آئِمَّةٍ» [سورة التوبة:
.٧٩]

وسبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري ومسلم
عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال:
«لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، ف جاء أبو عقيل
بنصف صاع، وجاء إنسان آخر بأكثر منه،
فقال المنافقون: إن الله لغافن عن صدقة هذا،
وما فعل هذا الآخر إلا رياء». .

ومعنى تحامل: نحمل على ظهورنا للناس
بالأجرة من أجل أن تصدق بها؛ لأنه ليس
عندهم شيء يتصدقون به.

فالالأصل في المسلم السلام، وأنه إنما أراد
بعمله وجه الله، وأيضاً فإنه مندوب له في
بعض المواريث أن يظهر عمله للناس إذا
آمن على نفسه من الرياء، وأراد أن يقتدي به
الآخرون في الخير، وأن يحنو الناس حنوه في
أعمال البر والإحسان.

رزقنا الله وإياكم الأخلاص في القول والعمل،
والحمد لله رب العالمين.

جادل ليحصل طاعة الله بالجهاد، ويحصل
المال من الغنيمة فإن ذلك لا يضره، ولا يحرم
عليه بالإجماع.

فهذه النصوص من القرآن والسنة وكلام
أهل العلم تدل على جواز إرادة وجه الله
وهذه المنافع الدنيوية.

تببيه:

لكن أجر هذه العبادة ينقص منه بقدر ما خالط
نيته الصالحة من إرادة الدنيا، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «ما من غازية تغزو في
سبيل الله، فيصيّبون الغنيمة، إلا تعجلوا
ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، فإن
لم يصيّبوا غنيمة، تم لهم أجرهم» [سن أبي
داود: ٢٤٩٧، وصحيح الجامع ح ٥٧٤٦].

فهؤلاء بنص الحديث خرجوا بنية خالصة
غازيون في سبيل الله، وأخبر بأن الذين نالوا
شيئاً من الغنيمة ينقص أجرهم وثوابهم، ولا
يبطل مطلقاً، وذلك أن ما نالوه من الغنيمة
يعد ثواباً دنيوياً عاجلاً يؤيد ذلك ما جاء في
صحيح مسلم (ح ٩٤) عن خباب قال: «هاجرنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه
الله، فوجب أجراً علينا على الله، فهذا من مضى
أو ذهب ولم يأكل من أجره شيئاً كان منهن
صعب بن عمير... ومنا من أتيت له ثمرة
 فهو يهدبها» يعني يجنيها ويقطفها.

علاج الرياء وسبل الخلاص منه

١- الحرص على تقوية الإيمان في القلب
ليعظم رجاء العبد بربه، فيتوكل عليه، ويعرض
عن سواه، فالإيمان عصمة للعبد من وساوس
الشيطان وشهوات النفس.

٢- التضرع واللجوء إلى الله تعالى ودعاؤه
بأن يرزقه الإخلاص في كل عمل مما كان
شأنه، وأن يكثر من الأذكار النبوية، فهي
الحصن الحصين، وفيها مرضاة الرحمن وهي
مطردة للشيطان. ففي الحديث عن معاذ بن
يسار رضي الله عنه قال: انطلقت مع أبي بكر
الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال: يا أبا بكر! للشرك فيكم أخفى
من دبيب النمل. ف قال أبو بكر: وهل الشرك إلا
من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي صلى
الله عليه وسلم: «والذي نفسى بيده للشرك

حماية جناب التوحيد



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:
فقد جاءت الشريعة بحماية جناب التوحيد وصيانة
حماه من الأقوال والأفعال التي تفضي بالإنسان إلى
الوقوع في الشرك ولذلك كان في صدر الإسلام النهي من
النبي صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور، والنهي
عام للرجال والنساء، وذلك سداً لذرية الشرك؛ لقرب
عهدهم بالجاهلية، وخشية الافتتان بها، كما افتتن بها
أهل الكتابين من اليهود والنصارى، فعظموا قبور
الأنبياء واتخذوا عليها المساجد، حتى عبدت من دون
الله، فلما تمكن الإيمان في قلوب الصحابة رضوان الله
عليهم، واستقرت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وتعلقت
قلوبهم بالله وحده، أذن لهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بزيارة القبور، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله
 عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني
 كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها» [رواه مسلم]

[برقم ٩٧٧].

ومن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل
 الله عليه وسلم: «زوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت» [رواه
 مسلم برقم ٩٧٥].

ومن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول
 الله صل الله عليه وسلم: «إني نهيتكم عن زيارة القبور،
 فزوروها؛ فإن فيها عبرة» [آخرجه أحمد ٣٨/٣، وقال
 الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن].

بعض المترکات التي تتعلق بالقبور:

١- النهي عن قول الْهُجُر عند زيارة القبور:
 عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «كنت
 نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها؛ فإنها ترق القلب،
 وتندفع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هُجُرًا» [آخرجه
 الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم
 ٤٥٨٤].

والمراد بالْهُجُر: كل قول محظوظ شرعاً، ويأتي في مقدمة
 ذلك: الشرك بالله، وسؤال الموتى من دون الله، ودعاء
 المقيتين والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، فكل ذلك
 من الشرك.

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان رسول الله قد نهى
 عن زيارة القبور؛ سداً لذرية الشرك، فلما تمكن التوحيد في
 قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه)،

مِنْكَرَاتٌ تَقْعِيْدٌ الْقَبُورُ

معاوية محمد هيكل

إعداد /

والتوسل بالأولياء، وطلب الشفاعة منهم؛ حرام قطعاً، ومناف للشريعة، وفيه إشراك بالله تعالى.

٣- اتخاذ القبور مساجد:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أشتكي (مرض) النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأتها بأرض الحبشة، يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهم أتنا أرض الحبشة، فذكرنا من حُسنها وتصاوير فيها، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: (أولئك إذا ماتوا فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله) رواه البخاري وغيره.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من شرار الناس من تدركمهم الساعة وهم أحيا، والذين يتخذون القبور مساجد) [رواه أحمد ٣٨٤٢ وحسنه الأرناؤوط].

فمن يتأمل الأحاديث الكريمة، يظهر له بصورة لا شك فيها، أن الاتخاذ المذكور حرام، بل كبيرة من الكبائر؛ لأن اللعن الوارد فيها ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق عند الله لا يمكن أن يكون في حق من لم يرتكب ما ليس بكبيرة، وقد اتفقت المذاهب الأربع على تحريم ذلك، ومنهم من صرح بأنه كبيرة.

والاتخاذ المذكور في الأحاديث يشمل عدة أمور:-
- الصلاة إلى القبور مستقبلاً لها والسباحة على القبور، وبناء المساجد عليها.

٤- الذبح عند القبور:

يحرم الذبح عند القبور وهو من عادات الجاهلية، كما كانت تفعل عند قبور موتاهم، فيذبحون من البقر والغنم، وجاء الإسلام فحرم الذبح لغير الله تعالى، سواء كان الذبح للقبور أو للجان أو للمشايخ الذين يدعون الولاية والكرامة كذباً وزوراً، وكل ذبح لتعظيم غير الله أو لجلب خير أو دفع ضر كما يفعله عباد القبور فهو شرك أكبر، والذبيحة عند القبر ميتة لا تؤكل، ولا تزال روابس الجاهلية ومخلفاتها في نفوس الكثير من الناس؛ لفطر جهلهم بملة الحنيفة؛ ملة إبراهيم عليه السلام، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي قال: (لا عَقْرٌ في الإسلام) [أبو داود ٣٢٤ وصححه الألباني].

وقال عبد الرزاق: (كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة) [نيل الأوطار ٤ / ١٤٨].

ونهَاهم أن يقولوا هُجْرًا؛ فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله؛ فإن زيارته غير مأذون فيها، ومن أعظم الهرج الشرك عندها قولًا وفعلاً [إغاثة اللهفان: ٢٠٠ / ١].

٢- الطواف حول القبور والتوسل بالمقبور:

الطواف عبادة لا تجوز ولا تشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين، قال تعالى: «وَلِيَطْوُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» سورة الحج، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من طاف بالبيت سبعاً، وصلى ركعتين، كان كعدل رقة» [السلسلة الصحيحة للألباني ٢٧٢٥].

قال الشيخ علي محفوظ من كبار علماء الأزهر في كتابه القيم الإبداع في مضمار الابتداع ص ١٩١: (ومن البدع السيئة: الطواف حول الأضرحة، فإنه لم يُعهد - أي: الطواف - عبادة إلا بالبيت، وكذا لم

يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود) وقد سُئل فضيلة الشيخ حسن مأمون، مفتى الديار المصرية سؤالاً حول الطواف بالأضرحة والتوسل بها، نشرته مجلة الإذاعة المصرية، هذا نصه: ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة أضرحة الأولياء، والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء؟

الجواب: أود أن أذكر أولاً أن أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزاج الشرك بالله، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى، أحد هذه المزالق، وهي روابس جاهلية، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعي عليهم الرسول عبادتهم للأصنام، قالوا له: (ما نعبدُهُم إلَّا ليُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رَّبِّنَا)، فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله، أو التقرب منه.

ومن مظاهر هذه الزيارات: أفعال تتنافي كلية مع عبادات إسلامية ثابتة، فالطواف في الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة، وكل طواف حول أي مكان آخر، حرام شرعاً، والتقبيل في الإسلام لم يُسَنْ إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود، قال فيه عمر رضي الله عنه وهو يقبله: (والله لو لا أني رأيت رسول الله يقبل ما فعلت) فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح، أو أي مكان به حرام قطعاً.

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة والطواف حولها والتوسل بها، وتقبيل المقصورة والأعتاب،

المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً سمّاه (مناسك حج المشاهد)؛ مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام» [إغاثة اللهفان: ١٩٧/١].

٦- اتخاذ القبور أعياداً:

وذلك بأن تُقصد في أوقات معينة، ومواسم معروفة للتعبد عندها، وجاء النبي عن ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عياداً، وصلوا على إقان صلاتكم تبلغني حيث كنتم» [رواه أبو داود ٢٠٤٤ وصححه الألباني].

ووجه الدلالة من الحديث: أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عياداً؛ فقبر غيره أولى بالنبي كائناً من كان، ثم إنَّه قرن ذلك بقوله: (ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً)، أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، ف تكون بمنزلة القبور؛ فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور» [اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٢٣/١].

قال ابن القيم رحمة الله: « فمن مفاسد اتخاذ القبور أعياداً: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتغريق الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأولئان يسألونها أوثانهم» [إغاثة اللهفان، ص ١٩٤].

٧- إيقاد السرج عندها:

ويحرم تسيير القبور، أي: إثارتها بالشروع وغيرها؛ للنبي الصريح عن ذلك، ولما فيه من إضاعة المال، وإنفاقه في الحرام؛ طاعة للشيطان، كما أن فيه تشبيهاً بالمجوس عباد النار، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» [رواه أحمد والترمذى، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ٤٧/٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقيناً أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام، فهو من الشرك الذي أحدهوه) [اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٥٦].

قال تعالى: «فَلَمَّا حَلَّالَ وَسْكَى وَعَمَّاكَ وَسَاقَ لَوْرَى الْعَلَيْنِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَدْلُكَ أَرْبَتَ وَكَانَ أَوَّلَ الْمُلْكِينَ» [الأنتعام: ١٦٢ - ١٦٣].

قال ابن كثير في تفسيره: (يأمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه: أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله، ونسكه - أي ذبحه ونذرته - على اسمه وحده لا شريك له، أي: أخلص له صلاتك وذبحك؛ فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويدبحون لها، فامر الله تعالى بمخالفتهم) [تفسير ابن كثير: ٢٤٢ / ٢].

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله بأربع كلمات؛ قال: (لن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من أوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض) [رواه مسلم برقم ١٩٧٨].

٥- شد الرحال إليها:

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» [متفق عليه].

فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاحة فيها، والدعاء والذكر، والاعتكاف من الأعمال الصالحة، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم.

قال ابن تيمية: «وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم، واستنزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك، فيقصدون بالسفر والزيارة رضا غير الله، والرغبة إلى غيره، ويشدون الرحال؛ إما إلى قبرنبي أو عبد صالح، داعين له راغبين إليه، ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا، ومنهم من يرى أن ذلك أدنى له من حج البيت، ومن شيوخهم من يقصد الحج، فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفياً بزيارة القبر وظن أن هذا أبلغ». [اقتضاء الصراط المستقيم: ٤٥٧].

قال ابن القيم: «وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال

أن يزال المسجد، وإنما أن تُزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلح فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه) [مجموع الفتاوى١٩٤ / ٢٢].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «أما شمول الأحاديث للنهي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور، فدلائلها على ذلك أوضح؛ وذلك لأن النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها، من باب النهي عن الوسيلة، ويستلزم النهي عن المقصود بها، والمتوصل بها إليه، مثاله إذا نهى الشارع عن بيع الخمر، فالنهي عن شربه داخل في ذلك كما لا يخفى، بل النهي عنه من باب أولى».

ومن بين الأدلة أن النهي عن بناء المساجد على القبور ليس مقصوداً بالذات، كما أن الأمر ببناء المساجد في الدور والمحلات ليس مقصوداً بالذات، بل ذلك كله من أجل الصلاة فيها، يوضح ذلك المثال الآتي: لو أن رجلاً بنى مسجداً في مكان قُفر غير مأهول، ولا يأبه به أحد للصلاحة فيه، فليس لهذا الرجل أي أجر في بنائه لهذا المسجد، بل هو عندي أثثم لإضاعته المال، ووضعه الشيء في غير محله.

فإذا أمر الشارع ببناء المساجد، فهو يأمر ضمناً بالصلاحة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور فهو ينهي عن الصلاحة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء أيضاً، وهذا بين لا يخفى على العاقل، إن شاء الله تعالى». [تحذير الساجد، ص ١٣٧].

وأوضح الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله في كتابه إعانته المستفيد شرح كتاب التوحيد- دليلاً بطلان الصلاة عند القبور، أو في المساجد المبنية على القبور؛ وذلك لأن الرسول نهى عن ذلك، والنبي يقتضي الفساد عند الأصوليين، فالذي يصلح عند القبر صلاته غير صحيحة، فعليه أن يعيد الفريضة؛ لأن صلاته عند القبر أو في المسجد المبني عليه القبر غير صحيحة؛ لأنها صلاة منهى عنها، والصلاحة المنهي عنها غير مشروعة، فذلك لا تصح.

والله من وراء القصد.

قال ابن القيم: قال أبو محمد المقدسي: ولو أبى اتخاذ السرّاج على القبور لم يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله، ولأن فيه تضييقاً للمال بدون فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبة بتعظيم الأصنام. [إغاثة اللهفان، ص ١٩٧].

ونقل شارح فتح المجيد عن الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني قوله: «فإن هذه القباب والمشاهد قد صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، فقد شيد على القبور البناء، وسرجت عليها الشموع، وأرختت عليها الستور؛ فيعتقد أن ذلك لجلب خير أو لدفع ضر». (فتح المجيد ص ٢٣٨).

٨- البناء عليها وتجميصها والكتابة عليها:
عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله أن يُجْعَصَ القبر، وأن يُقْعَدَ عليه، وأن يُبَنَّى عليه» [رواه مسلم برقم ٩٧٠].

وقد أمرنا بهدم ما بُني علينا من مشاهد وقباب وأضرحة، فمن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الآن أبعثك على ما بعثتني عليه رسول الله، أن لا تدع تمتالاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» [رواه مسلم برقم ٩٦٩]. وهذا الأمر خاصة مسند إلى أولياء الأمر وليس لأحد الناس.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله أن تُجْعَصَ القبور، وأن يُكتب عليها وأن يُبَنَّى عليها، وأن توطأ» [رواه الترمذى ١٠٥٢، وصححه الألبانى].

حكم الصلاة في المساجد المبنية على القبور

عن أبي مرثد الغنوبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها) [رواه مسلم ٩٧٢].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي نهى عن الصلاة بين القبور. رواه البزار وصححه الألبانى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «اتفق الأئمة أنه لا يُبَنَّى مسجد على قبر؛ لأن النبي قال: (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، إلا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم، وكما أنه لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإذا كان المسجد قبل الدفن غير، إما بتسوية القبر، وإنما بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بُني بعد القبر؛ فإما

حماية جناب التوحيد



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد: في سلسلة حديثنا عن حماية جناب التوحيد تحدثنا في المقال السابق عن صور من المفاسد التي تقع عند القبور؛ كالطواوف حولها، والذمر لها، والبناء عليها، والصلوة عندها، إلى غير ذلك مما ذكرناه، وفي هذا المقال نتحدث عن الأسباب والد الواقع التي أدت إلى فتنة الناس بالقبور عبر العصور، وذلك نصيحة للأمة وإبراء للذمة.

فقول مستعينين بالله عز وجل:

أولاً: الفتوح الأبياء والصالحين:

ويعد هذا من أعظم الأسباب التي أدت إلى فتنة الناس بالقبور وتعظيمها والتتعلق بها، وقد حذر القرآن الكريم من هذا الداء الخطير والشر المستطيل، فقال تعالى: **«لَمْ يَأْكُلِ الْحَكَمَّ لَا تَنْلُوَنِي وَبِيْكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَشْعُرُوا أَهْوَاهَ قَوْمٍ قَدْ كَسَلُوا إِنْ قَبْلَ وَأَمْكَلُوا كَثِيرًا وَمَكَلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»** [المائدة: ٧٧]. قال ابن كثير: «ينهى الله تعالى عن الغلو والإطماء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عبادته عليه السلام، حتى رفعوه فوق المنزلة التي اعطاه الله إياها، فتقلوه من خير النبوة إلى أن اتخاذه إليها من دون الله، يعبدونه، بل غلو في اتباعه وأشياعه من زعم أنهم على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلًا، أو ضلالاً أو رشدًا، أو صحيحاً أو كذباً، ولذلك قال الله تعالى: «لَمْ يَأْكُلِ الْحَكَمَّ وَبِيْكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَمَا أَمْرَأُ إِنْ كَانَ مِنْ دُورِ اللَّهِ وَالْتَّسِيقُ أَنْ تَرِكَ وَمَا أَمْرَأُ إِنْ لَعَبَدَنِي إِلَيْهَا دَحْكَالَ إِنَّ اللَّهَ إِلَّا مُوْسِكَنَهُ كَمَا تَشَرَّكَتْ»، [سورة التوبه: ٣١]. وقال تعالى: **«لَمْ يَأْكُلِ الْحَكَمَّ لَا تَنْلُوَنِي وَبِيْكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَشْعُرُوا أَهْوَاهَ قَوْمٍ قَدْ كَسَلُوا إِنْ قَبْلَ وَأَمْكَلُوا كَثِيرًا وَمَكَلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»** [المائدة: ٧٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». [النسائي (٣٥٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشرك في بني آدم أكثره عن أصلين؛ أولاهما: تعظيم قبور الصالحين، وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الأدميون...». [الفتاوى: ٤٦٠/١٧].

ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو فيه، وتعظيمه فوق الحد، فقال: «لا تطروني كما اطربت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». [رواوه البخاري]. والإطماء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

تعظيم

القبور فتنة

كل العصور

معاوية محمد هيكل

إعداد /



كما قال البوصيري في غلوه في النبي صلى الله عليه وسلم:

يا أكرم الخلق ما لي من الود به

سواء عند حدوث الحادث العم

فإن من جوهر الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

قال ابن القيم رحمة الله: إن من أعظم مكائد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته، ما أواهه قدِيماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور إلى أن عبدوا أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً، وبنيت لها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها غل، ثم جعلت أصناماً، وعبدت من دون الله، وكان هذا الداء العظيم». [إغاثة اللهافان ١٨٩].

وكان أول هذا الشرك وببداية هذا الداء في قوم نوح كما قال تعالى: «رَبَّا لَأَنْتَرَبَّ الْعَيْلَجَ لَا تَرَبَّ وَمَا لَأَسْوَأَ لَا يَغُوتَ وَيَعْوَقَ وَتَرَبَّ وَقَدْ أَسْلَأَ كَبِيرًا» [نوح: ٢٣ - ٢٤]. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصاباً، وسموها باسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت. [البخاري: ٤٩٢٠].

قال ابن القيم رحمة الله: «إن سبب عبادة ود ويفوthe ويعوق ونسر واللات، إنما كانت بسبب تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التمايز وعبدوها». ثم بين رحمة الله أساليب الشيطان وخطواته في إغواء بني آدم، وكيف تدرج بالقبورين حتى عبدوا غير الله، وانغمسوا في أحوال الشرك والوثنية، وسقطوا في الفتنة.

فقال رحمة الله: ما زال الشيطان يوحى إلى عباد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء والإقسام على الله بها، فإن شان الله أعظم من أن يُقسم عليه أو يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدها ومنسكاً، ورأوا أن ذلك انفع لهم في دينيهم وأخريتهم! وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم: من تجريد التوحيد، ولا يعبد إلا الله.. فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن مِنْ نهْيَ عن ذلك فقد تقصى أهل هذه الرُّتب العالية وحطّهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا

حرمة لهم ولا قدر، فيغضّب المشركون وتمشّئ قلوبهم، كما قال تعالى: «وَلَا تَذَكِّرَ اللَّهَ وَحْدَهُ أَشَأَرْتَ قُلْبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَجْرِ لَكُلُّ ذَكْرٍ لِلَّذِينَ مِنْ دُونِنِي إِذَا مُّنْتَهَى لَمْ يَتَّهِمُونَ» [الزمر: ٤٥]. أ.هـ . من إغاثة اللهافان

وهكذا ينصب إبليس شرّاكه لصيد ضحاياه منبني آدم؛ ليفسد عليهم عقائدهم، ويستخدمهم عوناً له وإداة نشر الشرك في الأرض.

ثانياً: تقليد الكفار والمشركين:

وهذا مزلق خطير من مزالق الشرك، والافتتان بالقبور، وقد حذرت الشريعة من هذا الداء؛ لما يترتب عليه من أضرار وأخطار جسيمة على العقيدة، وتشويه معالم الدين.

قال تعالى محدثاً من مواليتهم: «يَأَيُّهُمُ الَّذِينَ مَاتُوا لَا تَنْجِلُوا إِلَيْهِمْ وَالَّذِينَ أَنْذَلْتُمْ تَقْبِيَهُمْ أَنْذَلْتُمْ إِذَا تَعْنَى وَمَنْ يَوْمَ يَنْكُمْ فَإِنَّهُمْ بِهِمْ إِذَا اللَّهُ لَا يَهْدِي إِلَيْهِمْ الْقَوْمَ الظَّلَمِينَ» [المائدة: ٥١].

قال السعدي رحمة الله: «يرشد الله تعالى عباده المؤمنين لا يتخذوهم أولياء فإن بعضهم «أولياء بعض» يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يداً على من سواهم؛ فإنهم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضرركم، بل يحرضون على إضلالكم؛ فلا يتولاهم إلا من هو مثلكم، ولهذا قال: «وَمَنْ يَوْمَ يَنْكُمْ فَإِنَّهُمْ بِهِمْ» [المائدة: ٥١]؛ لأن التولى النائم يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولى القليل يدعو إلى الكثين، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً، حتى يكون العبد منهم». [تفسير السعدي].

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «لَئِنْ جَاءَكَمْ عَلَى شَرِيعَتِنَا أَنْتُمْ فَأَنْتُمُهُمْ وَلَا تَأْتُنَا إِلَيْنَا أَنْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [الجاثية: ١٩، ١٨].

قال شيخ الإسلام: إن الله تعالى قد جعل محمداً على شريعة من الأمر شرعاً لها، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في (الذين لا يعلمون) كل من خالف شريعته، وأهواهُمْ هي ما يهونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتواضع ذلك، فهم يهونونه، وموافقتهم فيه اتباع ما يهونونه». [اقتضاء الصراط ١/٨٥].

ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مشابهة المشركين، فقال: «من تشبه بقوم فهو منهم». [آخرجه أبو داود (٤٠٣١) وصححه الألباني].

ثم بين شيخ الإسلام أن هذا التشبيه هو الذي جر عباد القبور، وساقهم إلى ما هم فيه من ضلال، فقال رحمة الله: «وَالَّذِينَ يَعْظِمُونَ الْقُبُورَ وَالْمَشَاهِدَ لَهُمْ شَبَهٌ شَدِيدٌ بِالنَّصَارَى، حَتَّى إِنِّي لَمَ قَدِمْتُ الْقَاهْرَةَ، اجْتَمَعَ لِي بَعْضُ مُعْظَمِهِمْ مِنَ الرَّهْبَانِ، وَنَاظَرُنِي فِي الْمَسِيحِ وَدِينِ النَّصَارَى، حَتَّى بَيَّنَتْ لَهُ سَبَبُ فَسَادِ ذَلِكَ، وَاجْتَبَتْهُ عَمَّا يَذَعِيهُ مِنَ الْحَجَّةِ، وَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَفَ كِتَاباً فِي الرُّدِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاحْضَرَهُ إِلَيْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَ يَقْرَءُهُ عَلَيٌّ لاجِيبٌ عَنْ حَجَّ

النصاري، وأبين فسادها..

وكان مما قلته للنصراني: أنت مشركون، وبينت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماطل والقبور، وعبادتها، والاستغاثة بها. قال لي: نحن ما نشرك بهم ولا نعبدتهم، وإنما نتوسل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح فيتعلقون بالشباك الذي هو عليه، ونحو ذلك... فقلت له: وهذا أيضاً من الشرك، ليس هذا من دين المسلمين، وإن فعله الجهل، فاقر أنه مشرك، حتى إن قسيساً كان حاضراً في هذه المسألة، فلما سمعها قال: نعم، على هذا التقرير نحن مشركون!!

وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكن سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكن السيد الحسين والسيدة فقيسة!! فالنصاري يفرحون بما يفعله أهل البدع والجهلة من المسلمين مما يوافق دينهم ويشاهدونهم فيه. [الفتاوى: ٤٦١/٢٧]

ومن تأمل ما يفعله القبوريون - من ضلالات - يظهر له بوضوح أن ما يفعلونه ما هو إلا امتداد لعادات وثنية شركية كانت سائدة قبلبعثة المصطفى عليه السلام.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «في (بنارس) بلدة بالهند قبر أبي البشر أدم عليه السلام، وقبر زوجته، وقبور قضاته، وهي تحت قباب مصطفحة بالذهب كقبة أمير المؤمنين علي بالنجف، وقباب غيره، وجميع هذه القبور تعبد بالطواوف حولها، والتتسح بها، وتلاوة الأدعية والأوراد عندها؛ كغيرها من تماطل معبوداتهم، مع الخشوع، وبذل الأموال، والذنور لها ولسنتها». أهـ.

وهكذا يتبيّن لنا خطر مشابهة الكافرين والمشركين على عقائد المسلمين وائرتها في نشر الفساد في الأرض.

ثالثاً: ضلالات وخرافات يرتفع لها سدة القبور، يزعم الكرامات، استغلالاً للجهال:

لقد اتّخذ سيدة القبور أساليب متعددة من أجل جذب البسطاء والجهلة، وخداعهم بما يروجون لهم من ضلالات وخرافات عن أصحاب القبور تحت رعن الكرامات.

قال الشوكاني رحمة الله: «قد يجعل الشيطان طائفه من إخوانه منبني آدم يقفون على القبر يُخادعون من يأتي إليه من الزائرين، ويهؤلون عليهم الامر، ويصنعون أموياً من أنفسهم وينسبونها إلى الميت، ويصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها «كرامات» لذلك الميت، ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشريع وتنستيفي، ويتلقاها من يحسنظن بالآموات، ويقبل عقله ما يروي عنهم من الأكاذيب، فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهل في بلية عظيمة من الاعتقاد الشركي، وينذرون لذلك الميت كرائم أموالهم، وينحبسون على قبره من أمالاكم ما هو أحبه إلى قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً واجزاً كبيراً!! ويعتقدون أن ذلك قربة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة...». [شرح الصدور ص ٣٢]

ولا حول ولا قوة إلا بالله.
ويوضح ابن القيم رحمة الله طرائق القبورين وأساليبهم في خداع الناس، ويكشف زيفهم وضلالهم، ويدحض شبهاتهم فيقول: «ومنها حكايات حكت لهم عن تلك القبور؛ أن فلاناً استغاث بالقبر الفلامي في شدة؛ فخلص منها، وفلاناً دعا في حاجة فقضيت له، وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب القبر فكشف ضره..».

وعند هؤلاء السذنة شيء كثير من ذلك يطول ذكره، وهو من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنقوس مولعة بقضاء حوانها، وإزالة ضرورتها، والشيطان له تلطّف في دعوة هؤلاء، فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده، فيدعو العبد عنده بانكسار وذلة، فيجيب الله دعوته؛ لما قام بقبليه، لا لأجل القبر، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، والله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً، فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، أو مُحبّاً له، أو راضياً بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر.

وكثير من الناس يدعوا دعاء يعتقد فيه، أو يشترط فيه، أو يسأل ما لا يجوز أن يسأل، يحصل له ذلك أو بعده، فيظن أن عمله صالح مرض لله، ويكون بمنزلة من أثمٍ له وأمد له بآمال والبنين، وهو يظن أن الله يسارع له في الخيرات، وقد قال الله تعالى: «لَكُمْ سُرُورًا مَا دُعْتُمْ بِهِ، فَتَحْتَ أَعْيُنَهُمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَرٍّ حَتَّىٰ إِذَا تَرَوُهُمْ أَوْلَوْكَتُهُمْ بَعْدَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» [الأنعام: ٤٤]. [إغاثة اللهفان: ٢٢١].

ولو ذهبنا نتحدث عن ضلالات وخرافات القوم المزعومة بـ«الكرامات» لسوت من أجل ذلك صفحات وصفحات، فإلى الله تعالى المشتكى.

مسألة مهمة:

لا يعني إنكارنا لما يدعوه هؤلاء من كرامات منسوبة للمقربين زوراً وبهتاناً إننا ننكر أصل الكرامة، كلام فالكرامة الشرعية ثابتة غير مشكوك فيها من اختارهم الله من عباده واصطفاهم لا مطعن في ذلك، وما يميز هؤلاء إخفاء تلك المنح والمواهب الربانية وعدم المتاجرة بها، بل تدفعهم إلى محبة الله والإخلاص له، ومن راجع سير سلف صالحى الأمة تبين له ثبوت الكرامة الربانية للصحابية والتبعين ومن سار على الهدى المستقيم.

وختاماً، بهذه الأسباب التي ذكرناها، وغيرها كثير، هي التي أدت بالناس إلى تعظيم القبور، والافتتان بها عبر العصور، فصرفوا إليها العبادات، ودعوا أربابها لقضاء الحاجات وتغريب الكربات، وقدموا لها الذنور والهبات، وطافوا حولها وتبكريوها بها، إلى غير ذلك من الضلالات، فالواجب على العلماء والداعية أن يذلّوا النصح والتوجيه للأمة ببيان حقيقة التوحيد، ونماره، وبركاته، والتحذير من الشرك وأخطاره، حتى ينذر الباطل، وتنقطع أسبابه، «وَبَحْثُ اللَّهِ الْعَلِيِّ يَكُلُّهُ». وكـ«كثرة المجرمون» [يونس: ٨٢].

والله من وراء القصد.

الدعوة إلى وحدة الأمة وجمع الكلمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الوحدة بين المسلمين أمل تهفو إليه النفوس، وترتاح لتحقيقه القلوب، وهي مطلب شرعى جليل القدر عظيم الشأن، ومن أجل المساعي التي يسعى إليه المصلحون، وهو عمل لا يعرف قدره إلا من اصطلى بinar الفرقـة والأمـة، فـالآمـة الـيـوم كـم عـانـت مـن التـناـزع وـالتـفـرـق وـالتـشـتـت الـذـي سـرـى فـي كـيـانـها وـدـبـ في أـرـكـانـها.

وـالـوـاقـع الـذـي يـعـشـه الـمـسـلـمـون الـيـوم يـسـتـوجـب مـن كـل مـسـلـم يـخـشـى اللـه وـيـتـقـيـه أـن يـسـعـي سـعـيـا جـادـاـ حـثـثـتـا لـتـحـقـيقـها عـلـى مـسـتـوـيـ الفـردـ وـالـأـمـةـ.

معاوية محمد هيكل

إعداد /

بِلَّهٗ وَإِلَّا سُولُّ فَلَقَّبُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ يَتِيمَكُمْ » [الأنفال]:
[١] أي: أصلحوا ما بينكم من التناحر والتقطاع والتدابر بالتواد والتحاب والتواصل، ف بذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع والتخاصم والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات الدين: تحسين الخلق لهم والعفو عن المسيئين منهم، فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر». اهـ. [تفسير السعدي: ٣٤٦].

وـيـوـم أـحـد وـبـعـد أـن مـنـيـ الـمـسـلـمـون بـالـهـزـيمـةـ بـسـبـبـ مـخـالـفـتـهـمـ أـمـرـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، قـالـ الصـحـابـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ: «أـنـيـ هـذـاـ» [٥]: من أـنـيـ أـصـابـنـاـ ماـ أـصـابـنـاـ وـهـرـمـنـاـ؛ أـخـبـرـهـمـ رـبـنـاـ فـقـرـئـ مـنـ عـنـدـ أـنـسـكـمـ » [ال: ١٦٥] حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكـمـ ما تحـبـونـ، فـعـودـوا عـلـىـ أـنـفـسـكـمـ بـالـلـوـمـ، وـأـذـرـوا مـنـ الـأـسـبـابـ الـمـهـكـةـ.

وـفـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ لـماـ قـالـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـلـصـاحـبـةـ: «لـاـ يـصـلـيـنـ أـحـدـ الـعـصـرـ إـلـاـ فـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ». فـمـنـ الصـاحـبـةـ مـنـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـقـتـ العـصـرـ، فـالـصـلـاـةـ لـيـقـاتـهـ، وـمـنـهـمـ مـنـ أـخـرـهاـ حـتـىـ صـلـاـهـاـ بـعـدـ وـقـتـهاـ فـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ؛ أـخـذـاـ مـنـ بـظـاهـرـ النـصـ، فـلـمـ يـعـنـفـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـحـدـاـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ، بـلـ استـاصـلـ مـادـةـ الـخـلـافـ وـالـنـزـاعـ وـصـفـهـمـ جـمـيعـاـ صـفـاـ وـاـحـدـاـ كـالـبـيـانـ الـمـرـصـوصـ لـقـتـالـ الـعـدـوـ. وـهـذـاـ يـؤـصـلـ أـصـلـاـ شـرـعـيـاـ مـهـمـاـ. كـمـ قـرـرـهـ الـفـقهـاءـ، وـهـوـ أـنـ الـخـلـافـ فـيـ الـفـهـمـ فـيـ مـسـائـلـ الـفـروعـ لـيـبـنـيـ

لـآنـ الـفـرـقـةـ هـيـ الـتـيـ مـكـنـتـ الـأـعـدـاءـ مـنـ رـقـابـنـاـ، وـأـسـبـابـهاـ عـدـيـدةـ، فـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـجـعـ الـخـلـافـ بـيـنـنـاـ فـيـ الـاقـوالـ وـالـمـذاـهـبـ الـفـقـهـيـةـ حـاـلـاـ يـحـولـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـ تـحـقـيقـ الـوـحدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـأـخـوـةـ الـإـيمـانـيـةـ، فـمـصـلـحـةـ الـاـنـتـلـافـ وـالـاجـتـمـاعـ مـصـلـحـةـ كـلـيـةـ لـاـ بـدـ أـنـ تـاتـيـ فـيـ مـقـدـمـةـ الـأـلـوـلـيـاتـ، فـالـمـصـالـحـ الـعـامـةـ تـبـعـهـاـ الـخـاصـةـ.

لـقدـ اـمـتـنـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ عـبـادـهـ بـنـعـمـةـ الـاـنـتـلـافـ، فـقـالـ

سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ: «وَأَذْكُرُوا يَمْنَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفْتُ بَيْنَ قَوْلِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ يَعْنَمِي إِلَيْهَا» [آل عمران: ١٠٣]. وـبـيـنـ سـبـحـانـهـ أـنـهـاـ مـنـ أـعـظـمـ أـسـبـابـ النـصـرـ، فـقـالـ عـزـ

منـ قـائـلـ: «هـوـ الـذـيـ أـيـدـىـ إـصـرـهـ وـالـمـؤـمـنـيـنـ» [٢] وـأـلـفـ يـتـ قـلـوـبـهـ لـوـ أـنـقـتـ مـاـ فـيـ الـأـرـضـ جـمـيعـاـ مـاـ فـيـ الـقـلـتـ بـيـنـهـ وـلـكـيـنـ اللـهـ أـلـفـ يـهـمـ إـلـيـهـ، عـزـ وـجـلـ حـكـمـهـ » [الـأـنـفـالـ: ٦٢]. فـالـقـايـيـدـ حـدـثـ بـاـمـرـ رـبـيـانـ، وـأـمـرـ مـعـنـويـ، وـهـوـ اـجـتـمـاعـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـالـفـ قـلـوبـهـمـ، وـالـوـاجـبـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ تـحـقـيقـ هـذـهـ الـوـحدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ؛ لـأـنـهـاـ مـنـ مـقـتـضـيـاتـ الـإـيمـانـ.

إـنـ رـابـطـةـ الـدـيـنـ تـلـاشـيـ أـمـامـهـاـ رـابـطـةـ النـسـبـ وـالـعـصـبـيـةـ؛ لـأـنـ التـفـرـقـ مـنـ خـصـائـصـ الـجـاهـلـيـةـ، وـلـنـ يـؤـتـىـ الـمـسـلـمـوـنـ مـنـ قـلـةـ عـدـهـمـ، وـلـكـنـ يـؤـتـوـنـ مـنـ قـبـلـ ذـنـبـهـمـ، وـمـنـ أـعـظـمـهـاـ: التـفـرـقـ وـالـاـخـتـلـافـ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ: «وَلـاـ شـرـعـاـ وـلـاـ نـسـقـاـ وـلـاـ دـهـرـاـ وـلـاـ حـكـمـاـ وـلـاـ صـرـبـرـاـ» [الـأـنـفـالـ: ٤٦].

وـلـقـدـ كـانـ مـنـ أـعـظـمـ الـدـرـوـسـ الـتـيـ اـسـتـفـادـهـاـ الـمـسـلـمـوـنـ يـوـمـ بـدـرـ وـأـحـدـ هـوـ دـرـسـ الـوـحدـةـ وـالـاـنـتـلـافـ، وـبـنـدـ الـفـرـقـةـ وـالـاـخـتـلـافـ، فـفـيـ غـرـوـةـ بـرـ مـاـ اـخـتـلـفـ الـصـاحـبـةـ فـيـ اـمـرـ الـغـنـائـمـ اـنـزـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ: «يـسـلـوـنـكـ عـنـ الـأـنـفـالـ قـلـ الـأـنـفـالـ»

الفرقة فقال سحاته: «**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ فَرَقُوا وَأَخْتَلُفُوا** [١٥] **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْتَاهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** [١٦] **يَوْمَ**
تَبَيَّضُ وُجُوهُ وَسُوْدَ وُجُوهٌ فَإِنَّ الَّذِينَ أَسْوَدُتُ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُ [١٧] **مَنْ**
عَدَ إِيمَانَكُمْ فَذَوَقُوا الْعَذَابَ إِنَّمَا كُنُتمْ تَكْفُرُونَ» [آل عمران: ١٥٦، ١٥٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، وقال الله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْئًا لَّا يَنْتَهُ** [١٨] **نَعَّى إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ مُمْبَثُهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ**» [الأنعام: ١٥٩].

وهذه الآية كما قرر الإمام ابن كثير -رحمه الله- عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفًا له بجعله الدين مللاً ونحلاً، ففي هذا العمل يكون قد لحقته البراءة من الله ورسوله. اهـ.

ودللت الآية على أن الدين يأمر بالاجتماع وينهى عن التفرق والاختلاف في أصل الدين وسائل مسائله الأصولية والفرعية، وهذا تحذير من الله عز وجل لهذه الأمة حتى لا تسلك مسلك الأمم السابقة الذين جاءهم الدين والبيانات الموجبة لاجتماعهم، فتفرقوا واختلفوا وصاروا شيئاً وأحياناً، والسنة النبوية كذلك تعظم شأن الوحدة والاعتصام، وتحذر من الفرقة والاختلاف.

ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضي لكم ثلاثة ويكره لكم ثلاثة، فيرضى لكم أن تبعدوه ولا تشركون به شيئاً، وأن تعتصموا بحب الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم ينششو الكذب حتى يخلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهاد، إلا يخلون رجل بامرأة إلا ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، ومن أراد بمحبحة الجنة فليلزم الجماعة». [رواية الإمام أحمد، والترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تتکافأ دمائهم، ويیسعى بدمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقسامهم، وهم يد على من سواهم». رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد عن عبد الله بن عمر.

ومما يدل على مراعاة أمر الوحدة الظاهرة وأثرها على الأعمال القلبية الباطنة قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسوى صنوف أصحابه في الصلاة، قائلًا:

أن يؤدي إلى التنازع والفرقة؛ لأن كلا الغريقين مجتهد ويترددان بين أجر وأجرين، فكلاهما محسن.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال القضاء أبداً على الاختلاف في مسائل الفروع ما دام دليلاً ظنيناً محتملاً؛ إذ لو أمكن ذلك لكان أولى الناس بالآيات التي يتحقق بها العصور به عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أولى الناس بالآيات التي يتحقق بها العصور به عصر بلا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما قد رأيت؟

الفرقة أمر قدرى يجب دفعها بالأمر الشرعي

تضافت نصوص الشريعة التي تأمر الناس بالاعتصام بالسنة، وتوجب عليهم لزوم الجماعة، وتحذرهم من الشذوذ والفرقة، وإن كانت الفرقа أمرًا قدرياً كونياً إلا أنها مأمورة بقطع مادتها، وإنها أسبابها، وبتر دواعيها، واستئصال شافتها.

قال الله تعالى: «**وَلَا يَرُؤُونَ مُخْتَلِفِينَ** [١٩] **إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبِّكَ** [٢٠] **وَلَذِكَرَ خَلْقَهُ**» [هود: ١١٩، ١١٨]، اختلف المفسرون من السلف في هذه الآية تبعاً للأمر القدرى والشرعى، قال ابن عباس والحسن، رضي الله عنهم: أي: للاختلاف خلقهم.

وروى ابن وهب عن طاووس: أن رجلين اختلفا إليه فاكثرا، فقال طاووس: اختلفتما وأكثربما، فقال أحد الرجلين: لذلك خلقنا. فقال طاووس: كذبت. فقال: ليس الله يقول: «**وَلَا يَرُؤُونَ مُخْتَلِفِينَ** [١٩] **إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبِّكَ وَلَذِكَرَ خَلْقَهُ**» [هود: ١١٩]، قال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة، وقيل: للرحمة والاختلاف.

وقال الحسن: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف، فقيل له: لذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لعذابه، وهو لرحمة لرحمته. [انظر: تفسير ابن كثير ٤٩٠/٧].

ولا تعارض بين الأقوال، ففريق تكلم بالأمر الكوني القدرى، وفريق تكلم بالأمر الشرعي، والفريق الثالث جمع بين القولين، فأهل طاعة الله المنفذون لأمره الشرعي هم أهل رحمته سبحانه، وأما أهل الاختلاف المفارقون للحق الذي شرعه لهم لم يخرجوه عن قضائه وقدره وحكمته الكونية كما هو معلوم ومقرر، فلا يجوز الاحتجاج بالقدر في المعايب، ولكن يفتح به في المصالحة؛ إذ المعايب نحن منهبون عنها شرعاً.

حقيقة الاجتماع والاختلاف بين المسلمين

الاجتماع والاختلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله، فقد أمر الله عباده بالاجتماع والاختلاف ونبذ الفرق والاختلاف، فقال تعالى: «**وَأَغْتَسِلُوا بَعْدَ** [١٣] **الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا**» [آل عمران: ١٣]، كما حذرهم من

وإنما دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وأقوال أئمة السلف في هذا الباب توضح بجلاءً لا خفاء فيه هذا المبدأ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجهه، ويبغضه ويعدب من وجه آخر».

ثم قال: «إنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد أو في الشخص الواحد الأمران: كالذم والنهي، والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يُمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية، ولكن يسلب مع ذلك ما مدح به غيره على فعل بعض الحسنات السنّية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الميزان». [مجموع الفتاوى: ٣٦٦/١٠].

ثم قال: «من سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعليم وأحبه ووالاه وأعطي الحق حقه، فيعظام الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيحمد ويدم ويثاب ويعاقب، ويحب من وجهه، ويبغض من وجهه، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم». [منهج السنة النبوية: ٥٤٣/٤].

سلامة المنهج أساس الوحدة

إن من أهم أسباب فشل محاولات توحيد الصف: غياب صحة المعتقد وسلامة المنهج والاختلاف المدوم والتعمّب للجماعة والحزن، لذلك فدعوتنا إلى الاختلاف والوحدة بين المسلمين لا تكون أبداً على حساب المنهج السليم ولا على حساب التفريط في قواعد الدين وأصوله؛ لأن حرصنا على الاختلاف ووحدة الصف لا قيمة له ولا معنى إن نحن فرطنا في العقيدة، أو تساهلنا بما يؤدي إلى تمييع أصولها، ولو حدث ذلك لوقعنا في الشفاق والفرقة من حيث أردنا الوحدة والاختلاف، ولم لا والتوحيد أساس الوحدة؟!

ولذلك فنحن حينما ندعو للاختلاف لا نعني الاختلاف مع أصحاب المذهب الضالة والمنحرفة عن منهج أهل السنة من الخوارج والروافض، والقدريه والمعتزله، وغيرهم من فرق الضلال المنحرفة عن الصراط المستقيم.

بل لا بد من التفرق في دعوتنا للوحدة والاختلاف، بين هؤلاء المبتعدة من الفرق الضالة وبين المختلفين من أهل السنة المتبتعين لمنهج السلف؛ فهؤلاء هم الذين نسعى لتاليفهم وجمع صفوفهم.

فال مختلفون من أهل السنة، وإن وقع بعضهم في تاويل فاسد وافق فيه بعض الفرق الضالة دون أن يدعوا إلى

«أقيموا صفوكم... (ثلاثاً)، فوالله لنقيمن صفوكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم». [روايه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة]. وروى مسلم بسنته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح المناكب في الصلاة ويقول: «استوا ولا تختلفوا فختلف قلوبكم».

ومن أجل هذا التوجيه النبووي الكريم، وبيان العلاقة الوطيدة بين الظاهر والباطن، بادر الصحابة وأمثالها واستجابوا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال النعمان بن بشير رضي الله عنه: «فرأيت الرجل يلصق منكبه بمنكب صاحبه، وكعبه بكعبه».

ومن هذا الباب أيضاً ما رواه أحمد وغيره بسند صحيح عن أبي ثعلبة الخشنِي رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا منزلة تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما ذلک من الشيطان». فكانوا بعد ذلك إذا نزلوا منزلة ضم بعضهم إلى بعض حتى إنك تقول لو بسطت عليهم كساء لعهم».

والذي يتأمل واقعنا المعاصر اليوم يرى بين أصحاب المنهج الواحد تفرقاً وتمزقاً وشحناً وبغضناً حتى أصبح الولاء على الأسماء والأشخاص واللافتات، مما انعكس ذلك بالسلب على عقيدة الأخوة والرابطة الإيمانية، فاهتررت علاقتنا الأفراد وساد سوء الفلن، وكثُرت الغيبة والنفيمة وغاب العدل والإنصاف، وألصقت التهم بالأخيار؛ مخالفين بذلك ميثاق الخلق الإسلامي القويم، وبذلك سلم منا أعداء الدين، ولم يسلم منا إخواننا في الدين.

ميزان وضوابط

الواجب علينا شرعاً أن نزن تصرفاتنا بميزان الشرع، وأن نعيid النظر من جديد من أسلوب معاملاتنا وأسس الحوار وأدابه فيما بيننا، فمن استمسك بدين الله أحببناه ووالليناه، ومن وقع منه بعض الأخطاء والمخالفات التي لا تخرجه عن دائرة الإسلام، فإن عقد الأخوة لا يزال باقياً له مع استمرار النصح له دائماً، وبغض ما يأتيه من مخالفات، فنجبه من وجهه، ونبغضه من وجه آخر، وهذا هو المنهج الصحيح لقاعدة الحب والبغض، وأساسها قول الله عن جل جلاله: «وَآخِرُونَ أَعْرَفُونَ بِذَنْبِهِمْ حَطَّوْا عَمَلاً كَلِيلاً وَأَخْرَى سَيِّئَةً

الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [التوبه: ١٠٢].

فمن أخطأ أو زل فلا ينبغي أن نبغضه أو نذمه بإطلاق كما فعلت الخوارج، فكفروا مرتكب الكبائر، كذلك لا نمدح بإطلاق ولا نرفعه لدرجة جبريل وميكائيل، عليهما السلام، وأبي بكر وعمر، رضي الله عنهم، كما فعلت المرجئة.

مذهب تلك الفرق أو يفاصيل أهل السنة ويفارقهم عليه، فإن هذا لا يُخرجه عن مسمى أهل السنة والجماعة، بل إن من علماء أهل السنة والجماعة من وقع في بعض التأویلات وافق فيها مذهب الأشاعرة، لكن دون أن يتبع مذهبهم أو يدعو إليه، ومن أمثل هؤلاء العلماء الأجلاء: ابن حجر العسقلاني، والنوفوي، وابن الجوزي، وابن عقيل، وغيرهم، فهو لاء الأعلام استدرك عليهم علماء أهل السنة بعض التأویلات التي وافقوا فيها مذهب الأشاعرة، ومع ذلك لم يخرج أحد من هؤلاء الأعلام عن مسمى أهل السنة والجماعة.

فيجب علينا أن نفرق بين من ينكرون طريق الإسلام، ويتحرّفون عن منهج أهل السنة إلى منهاج أهل البدع والضلال، وبين الذين يخطئون وهم يسيرون على منهج أهل السنة، وإليه يدعون وبه يستمسكون، فهو لاء أخوّج إلى النصيحة والحوار منهم إلى التشريع والاحتقار.

إن غياب الفقه الشرعي المتكامل لحقيقة منهج أهل السنة والجماعة، وغياب الإطار الأخلاقي والسلوكي الذي تميّز به دائمًا الأفضل من أئمة السلف على مر العصور هو الذي أدى إلى هذا الواقع الاليم الذي تعيشه هذه الجماعات التي ترفع شعار أهل السنة والجماعة.

إن الجماعة -كما يقرّ شيخ الإسلام ابن تيمية- سبب ونتيجة في نفس الوقت، فالحرص على الاجتماع والائتلاف والموالة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى ومحبة الخير لآخرين والحرص على هدايتهم وإخلاص النصل لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر عليهم في كل حال، كل ذلك سبب لتنزيل رحمة الله عز وجل على الناس، وإسباغ نعمه عليهم، ومن رحمة الله على الناس ونعمه عليهم المحافظة على اجتماعهم وائتلافهم وموالتهم ببعضهم بعضاً.

اختلاف السلف في كثير من القضايا العلمية لم يمنعهم من الائتلاف

لقد اختلف السلف والأئمة وتعددت اجتهاداتهم في كثير من القضايا العلمية والعملية، ونتج عن ذلك تعدد المدارس الدعوية والفقهية.

إشهار

بعد الإطلاع على القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية، تقرر إشهار فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بأسنا

التربعة، تحت رقم (٣٢٢) لسنة ٢٠١٣م، بتاريخ ١٨/٨/٢٠١٣م.

والله ولي التوفيق

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،

وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال: من عادني لي ولينا فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنؤافل حتى أحبه، فإذا أحبته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سأله لأعطيته، ولئن استعادني لاعيذنَه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساعته (صحيح البخاري (٦٥٠٢)).

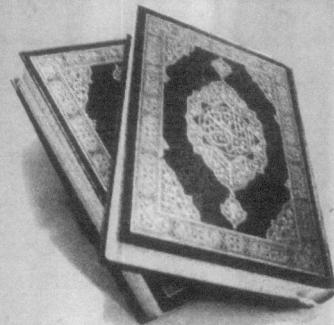
ذكرنا في العدد الماضي جملة من الفوائد العقدية والتربوية المستفادة من "حديث الولي" وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه من فوائد فنقول مستعينين بالله عزوجل:

أولاً: عقيدتنا في كرامات الأولياء:

من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات الأولياء واثباتها والتصديق بها، خلافاً لمن أنكرها من المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة وهي دعوى باطلة لأن الكرامة لا تقترن بدعوى الرسالة وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم. قال الإمام الطحاوي: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبئ واحداً أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم" (شرح الطحاوي: ٧٤٥/٢).

وقال السفاريني - رحمه الله - في منظومته: وكل خارق أتى عند صالح من تابع لشرعنا وناصح فإنها من الكرامات التي بها تقول تبعاً للأدلة، ومن نفأها من ذوى الصلال فقد أتى في ذلك بالمحال؛ فإنها شهيرة، ولم تزل في كل عصر، يا شقاً أهل الزلل. (لوامع الأنوار البهية / للعلامة

اتبعوا ولا تبتدعوا



ولالية الله بين

أهل السنة

ومخالفاتهم

الحلقة الثانية

معاوية محمد هيكل

إعداد /

السفاريني ج ٢ ص ٣٩٢).

الأدلة على كرامات الأولياء:

منها ما ذكره الله تعالى في كتابه من مجيء الرزق لمريم تفضلًا منه سبحانه؛ وليس من أحد من البشر، وكذلك إنبات الرطب واجراء النهر لها؛ ولم يكن شيء منها قبل ذلك، ومنها، ازورار الشمس عن أهل الكهف؛ فلا تسبيبهم مع أنهم في مكان متنفتح افتتاحاً واسعاً، ومنها، إحضار الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام. ومنها، تكلم الغلام في المهد، ومنها، عجز الملك عن قتل الغلام حتى قال: بسم الله رب الغلام (انظر: صحيح البخاري، ح ٢٣٥٨، ٥٠٨٤).

ومنها ما وقع للصحابية رضي الله عنهم وهي كثيرة جداً، مثل ما كان من أسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته) رواه البخاري (٥١٨).

وعباد بن بشر، وأبي بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة؛ فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما رواه البخاري (٤٦٥).

وقصة الصديق رضي الله عنه في الصحابيين (ما ذهب بثلاثة أصياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا دى من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا) رواه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧). وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكّة - شرفها الله تعالى - وكان يؤتى بعنبر يأكله، وليس بمكة عنبة رواه البخاري (٣٠٤٥).

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد

للفظ في الأولياء:

ومع ما ذكرنا من كرامات الأولياء فإننا نؤمن ببطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو؛ فأولياء الله ليسوا مقصودين، ولا يعلمون الغيب، وليس لهم قدرة على التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم، ومن فعل ذلك فليس بولي الله بل كذاب أفال

وَنِي لِلشَّيْطَانِ.

ثَانِيَاً، أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ لِزُومِ الْاسْتِقَامَةِ؛

لَا تَلَازِمُ بَيْنَ الْوَلَايَةِ وَظُهُورِ الْأَمْرُوكَارِقةِ
لِلْعَادَةِ، فَكَثِيرٌ مِنْ أَوْلَيَاءِ اللَّهِ الصَّادِقِينَ مِنْ
الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ لَمْ يَحْدُثْ لَهُمْ خَوَارِقَ
وَهُمْ مَنْ هُمْ فِي الْفَضْلِ وَالسَّبْقِ.

يَقُولُ الْلَّيْلُثُ: «لَوْ رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى
الْمَاءِ فَلَا تَصْدِقُهُ حَتَّى تَعْرَضَ عَمَلَهُ عَلَى
السَّنَةِ». قَالَ الشَّافِعِي رَحْمَهُ اللَّهُ: «قَصْرٌ
وَاللَّهُ الْلَّيْلُثُ بِلْ لَوْ رَأَيْتَهُ يَطْبِيرُ فِي الْهَوَاءِ فَلَا
تَصْدِقُهُ حَتَّى تَعْرَضَ عَمَلَهُ عَلَى السَّنَةِ».

لِذَلِكَ فَالْخَوَارِقُ الَّتِي تَحْدُثُ لِلْعَبَادِ وَتَجْرِي
عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ مِنْهَا كَرَامَاتُ رَحْمَانِيَّةٍ وَمِنْهَا
خَوَارِقُ شَيْطَانِيَّةٍ، وَضَابِطُ الْكَرَامَةِ لِزُومِ
الْاسْتِقَامَةِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحْمَهُ اللَّهُ، وَإِذَا عَرَفَ
أَنَّهُ لَابِدَ لِلْوَلِيِّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَقْتَدِيَّاً فِي
أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَأَنَّ
ذَلِكَ هُوَ الْمَعيَارُ الَّذِي يَعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ
الْبَاطِلِ، فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا يَخْالِفُ
هَذَا الْمَعيَارَ فَهُوَ دُولَةُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحُوزُ لِأَحَدٍ
أَنْ يَعْقِدَ فِيهِ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ، فَإِنْ أَمْتَلَ
هَذِهِ الْأَمْرُورَ تَكُونُ مِنْ أَفْعَالِ الشَّيَاطِينِ
كَمَا نَشَاهِدُهُ فِي الَّذِينَ لَهُمْ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ
فَإِنَّهُ قَدْ يَظْهُرُ عَلَى يَدِهِ مَا يَظْنُ مِنْ لَمْ
يَسْتَحِضْهُ هَذِهِ الْمَعيَارُ أَنَّهُ كَرَامَةٌ، وَهُوَ فِي
الْحَقِيقَةِ مَخَارِقُ شَيْطَانِيَّةٍ وَتَلَبِيسَاتٍ
إِبْلِيسِيَّةٍ، وَلَهُذَا نَرَاهُ يَظْهُرُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ
بِلِّ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَمِنْ يَتَرَكُ فِرَائِضَ اللَّهِ
سَبَحَانَهُ وَيَتَلَوُثُ بِمَعَاصِيهِ لَأَنَّ الشَّيَاطِينَ
أَمْلَلُ إِلَيْهِمْ؛ لِلَاشْتِراكِ بَيْنِهِ وَبَيْنِهِمْ فِي
مَخَالِفَةِ مَا شَرَعَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ لِعِبَادَهِ»
(وَلَآيَةُ اللَّهِ وَالطَّرِيقُ إِلَيْهَا صِ ٢٣٧).

فَالْكَرَامَةُ الْحَقَّةُ الَّتِي بِهَا نَجَّا الْعَبْدُ إِنَّمَا
هِيَ اسْتِقَامَتُهُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ حَتَّى
يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ قَالَ الْجُوزِجَانِيُّ: «كُنْ طَالِبًا
لِلْاسْتِقَامَةِ لَا طَالِبًا لِلْكَرَامَةِ؛ فَإِنْ نَفْسَكَ

مَتَحْرِكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَرَبِّكَ يَطْلُبُ مِنْكَ
الْاسْتِقَامَةِ». (مَجْمُوعُ الْفَتاوَىٰ ١١/ ٣٢٠ - ٣٢١).

ثَالِثًا، أَعْظَمُ الْكَرَامَاتِ:

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ مِنْ أَعْظَمِ الْكَرَامَاتِ، مَا أَكْرَمَ
اللَّهُ بِهِ سَلْفُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ وَعَلَمَاءُهَا الْأَفَدَادُ
الْمُجَدِّدُونَ وَالْمُصَلِّحُونَ فِيهَا؛ حَيْثُ بَارَكَ فِي
أَوْقَاتِهِمْ، وَأَعْمَارَهُمْ، وَعِلْمَهُمْ، وَأَعْمَالَهُمْ؛
فَكَتَبَ بَعْضُهُمْ مَا يَعْجَزُ غَيْرُهُ عَلَى نَسْخَهِ
فِي مُدَّةِ عُمُرِهِ كُلِّهِ. (انْظُرْ طَبَقَاتَ الشَّافِعِيَّةِ ٢٣٣-٣٣٣/ ٢).

وَكَانَ لَعْوَمِهِ وَمَوْلَفَاتِهِ مِنَ الْأَثْرِ الْعَظِيمِ
مَا نَرَاهُ إِلَيْهِ يَوْمَنَا هَذَا، وَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَقاءَ
وَالنَّعَمَ وَالْاِنْتِشَارِ، وَكَمْ كَانَ لِلْمُصَلِّحِينَ عَلَى
مَدَارِ الْعَصُورِ مِنَ الْأَثْرِ الْمَبَارَكِ فِي أَقْوَامِهِمْ،
وَكَمْ يَتَرَقَّبُ عَلَى مَوَاقِفِهِمُ الْحَمِيدَةَ مِنَ الْأَثْرِ
جَلِيلَةِ وَثَمَارِ عَدِيدَةِ تَجْنِيَهَا الْأَمْمَةِ وَتَنَعَّمُ

بِهَا طَلِيلَةِ سَنَنِ أَوْ قَرْوَنِ؟

وَتَأْمَلُ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي فَضْلِ مِنْ آتَاهُمُ الْعِلْمَ:
يُؤْتِيَ الْحَكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحَكْمَةَ فَقَدْ
أُوتَ حِكْمَةً كَثِيرًا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُوتُوا أَلْكَبِ
الْبَقَرَةُ وَتَأْمَلُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ أَيْضًا فِي
أَعْظَمِ شَهَادَةِ فِي الْقُرْآنِ، (شَهَادَةُ اللَّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَالْمَلِكُ كُلُّهُ وَأَذْلَلُوا أَهْلَمُرْ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْمَهِيرُ الْحَكِيمُ) (سُورَةُ آلِ حُمَّرَانَ، الْآيَةُ ١٨).

فِيَّا لَهَا مِنْ كَرَامَاتِ وَعَطَايَا وَهَبَاتِ مِنْ خَالِقِ

الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ لِعِبَادِهِ وَأَوْلَيَّاهُ

مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ

عَلَى الْهُدَىٰ لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدَلَاءُ

وَقَدْرُ كُلِّ امْرَىٰ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ

وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَفُزِّ عِلْمٌ تَعْشُ حَيَاً بِهِ أَبْدًا

النَّاسُ مَوْتٌ وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءٌ

رَحِمَ اللَّهُ سَلْفُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ وَمَنْ تَبَعَهُمْ

بِالْحَسَنَىٰ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِصَحْبَةِ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

معاوية محمد هيكل



من خلال بعث النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه بهذه المهمة المباركة إلى اليمن مربينا ومعلماً وداعياً ووالياً وقاضياً. ويتجلى هذا بوضوح في هذا الحديث الشريف الذي نعرض لشيء من فقهه وفوائده.

فعن ابن عباس رضي الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله». (وفي رواية: فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، (وفي رواية: أن يوحدوا الله تعالى)، ثم قال: فإنهم أطاعوا لك بذلك، (وفي رواية: فإذا عرفوا الله) فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنهم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنىائهم؛ فترد على فقرائهم، فإنهم أطاعوا لك بذلك؛ فإذا كانوك وأرائهم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». (متافق عليه: البخاري (١٤٥٨) (٧٣٧٢) (١٤٩٦) ومسلم (١٩)).

الفوائد المستفادة من الحديث

أولاً، فيه فضل معاذ رضي الله عنه؛ فقد ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم نائباً عنه وفبيغاً لدعوتة للناس وقد وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله: (وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). (صحيح سنن الترمذى، ٣٧٩٠)، وأثنى عليه صلى الله عليه

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا ريب أن السعي إلى إصلاح الأفراد والمجتمعات عمل من أجل الأعمال وأعظمها، ينبغي أن تتحشد له الطاقات، وتتكثّر له جهود المصلحين.

والمتأمل في كتاب الله عزوجل يجد أن الحديث عن الإصلاح ينصب في المقام الأول على إصلاح العقيدة، و يأتي في مقدمة مقاصد القرآن الكبرى؛ يجد أن استقامة أعمال المكلفين وتصراتهم لا تصلح إلا بإصلاح عقيدتهم وتصوراتهم وطريقة تفكيرهم؛ لذلك كان أول أمر في القرآن على الإطلاق هو الدعوة إلى العبودية لرب البرية كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَنَّكُمْ تَنْعَمُونَ» (البقرة: ٢١)، وهو المنهج الذي سلكه الأنبياء، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دعوتهم لأممهم قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا تُوحِّي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنَا فَاعْبُدُونَ» (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى: «وَسَلَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَّاهَ يُعْبُدُونَ» (الزخرف: ٤٥).

وتحقيق العبودية بمفهومها الجامع التي أرادها الله عزوجل تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَمُشَكِّرَةِ وَحْشَاءِ وَمَعَافِقِ لِلَّهِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّكَ أَمْرَتَنِي أَنَّمَا أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٣، ١٦٢).

ويأتي هذا المقال كدرس عملي تطبيقي لذلك المنهج السلفي الإصلاحى البناء، وذلك

وسلم بقوله: (نعم الرجل معاذ بن جبل).
 (صحيح الجامع: ٦٧٠)، وخصه بالمنحة
 النبوية الفالية فقال صلى الله عليه وسلم:
 (يا معاذ والله إني لأحبك). (صحيح سنن أبي
 داود: ١٣٤٧).

ثانياً: فيه وجوب بعث الدعاة لدعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وتعليمهم شرائع الإسلام، وأمرهم بالتزامها، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك توجيه الدعاة وتبصيرهم بأحوال المدعوين كي يكونوا على دراية تامة بمن يدعونهم، وبما يوردون عليهم من شبّهات حتى يتمكنوا من ردّها ودفعها بالحجج الدامغة الناصعة، والبراهين القوية الساطعة؛ وأهل الكتاب عندهم من الشبهات والخلل العقدي والجدل ما يحتاج إلى جهد دعوي كبير، ودعاة يتميزون بالفهم السديد، والعلم الغزير.

ولقد كانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار معاذ رضي الله عنه لهذا الشأن العظيم؛ لما عُرِفَ عنه من العلم والفضل والورع والحكمة، وقوّة الحجّة وسعة الصدر، ثم هو من أهل بدر وشهادتها وهو ابن إحدى وعشرين سنة. فما أروع الاختيار، وما أجمل أن يترسم خطاء العلماء وأولياء الأمان وذلك ببيت الدعّاة إلى الآفاق للتعرّيف بالإسلام والدعوة إليه حتى تنهض الأمم وتسعد الشعوب.

ثالثاً: فيه بيان منهج الدعوة إلى الله والبدء فيها والتدبر بالآلام فالآلام، وأن أول واجب يُدعى إليه شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأنهما أصل الدين وقطب رحاه، وبهما نجاة العبد في دنياه وأخراه. قال الخطابي رحمة الله: «في هذا الحديث من العلم: أنه رتب واجبات الشريعة، فقدم كلمة التوحيد، ثم أتبعها فرائض الصلاة لأوقاتها، وأخر ذكر الصدقة؛ لأنها إنما تجب على قوم من الناس دون آخرين» (أعلام الحديث في

شرح البخاري

**وقال القرطبي: الحديث حجة من يقول:
”إن أول الواجبات التلفظ بكلماتي الشهادة
مصدقها“ (المفهم ١/١٨١).**

وقال ابن حزم: "أول ما يلزم كل أحد، ولا يصح
الإسلام إلا به، أن يعلم المرء بقبليه علم يقين
وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر،
ويينطق بلسانه ولا بد بأن لا إله إلا الله وأن
محمدًا رسول الله.. وهو قول جميع الصحابة
وجميع أهل الإسلام" (المحل، ١/٣).

رابعاً، فيه أن العبادات لا تصح ولا يعتد بها قبل التوحيد؛ فهو شرط لقبولها؛ لأنه أصل الدين وأساسه، وساق شجرته وعمود فسطاته؛ وهو مفتتح الدعوات والرسالات؛ ومن أجله خلق الله المخلوقات فقال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦)، أي يوحدونه وبعد فهونه.

قال الحافظ ابن حجر رحمة الله: "المراد بعبادة الله توحيده، وبتوحيده الشهادة له بذلك، ولنبيه بالرسالة، ووقدت البداعة بهما، لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء في دين الإسلام" (فتاوى ابن حجر، ج 3، ص 201).

غيرهم إِذْ يَهُمَا . (فتح الباري، ١٥٨/١).
وَفِي ذَلِكَ رُدٌّ وَاضْعَفَ عَلَى بَعْضِ الْجَمَاعَاتِ
الْمُعَاصِرَةِ الَّذِينَ يَتَرَكُونَ الدُّعَوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ
وَنَبْذَ الشَّرَكِ وَالخَرَافَاتِ وَالْبَدْعِ، وَيَهْتَمُونَ
بِدُعَوَةِ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ
بِهَدْفِ الْحِرْصِ عَلَى وَحْدَةِ الْأُمَّةِ وَجَمْعِ
الْكَلْمَةِ-زَعْمُوا-، وَتَنَاسِي هُؤُلَاءِ أَنْ كَلْمَةَ
التَّوْحِيدِ أَسَاسُ تَوْحِيدِ الْكَلْمَةِ، وَأَنَّهَا مَتَّهَجٌ
الْأَنْبِيَاءُ وَأَصْلُ الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ
قَالَ تَعَالَى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُرْجِحُ إِلَيْهِ أَنَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَعْبُدُهُنَّ» (الأنبياء،
٢٥)، وَلَذِلِكَ دُعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَرْسَلَ مَعَادِنَهُ وَغَيْرَهُ لِيُبَلْغُوا النَّاسَ رِسَالَةَ
الإِسْلَامِ.

حقيقة التهجد

وَحْقِيقَةُ التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ

صلوات الله وسلامه عليهم هو إفراد الله - سبحانه وتعالى - بما يختص به من الريوبوبيه والألوهية والأسماء والصفات، قال ابن القيم رحمة الله: "ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء وملكيه، كما كان عباد الأصنام مقيرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، واحلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والتفضي، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله بيتبغى بذلك وجه الله) البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣).

وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوحة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكافار وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المستكرفة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ لأن المنافقين يقولونها بأستئتم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار. بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان. وقول القلب، يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنافية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علمًا ومعرفة ويقيناً وحالاً، ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفه،

ويقابلها تسعه وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتشغل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، ولكن السر الذي ثقل بطاقه ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات.

وتتأمل أيضاً ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق - الموت - عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت، لأن ذلك كان أمراً آخر، وأيماناً آخر، ولذلك الحق بأهل القرية الصالحة...» (مدارج السالكين، ١/٣٣٠ - ٣٣٢) بتصرف يسيراً.

خامساً: فيه رد على الأشاعرة وأهل الكلام الذين جعلوا أول الواجبات على المكلفين، هو الشك في وجود الله تعالى، ثم البحث وإثبات ذلك من طريق العقل! «سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً».

قال الإمام القرطبي رحمة الله في سياق ذمه لعلم الكلام: «ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقاً بالذم؛ إحداهما: قول بعضهم: إن أول واجب الشك؛ إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر؛ ثانيةهما: قول جماعة منهم: إن من لم يعرف الله بالطرق التي ربّوها لم يصح إيمانه». (فتح الباري، ١٣/٥٠-٥١) باختصار.

فالنبي عليه الصلاة والسلام أرسل معاداً ليبلغ الناس أول الواجبات وأهم المهام؛ إلا وهو شهادة التوحيد وعبادة الله، وأما الإيمان بوجود الخالق وربوبيته فهو مما جعله الله في قراره نفوس البشر قبل خلقهم، قال الله تعالى: «وَإِذَا أَخْذَ رَبِّكَ مِنْ بَيْنِ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ ذُرِّيهِمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمُ الْأَسْتَرِ يُرِيكُمْ قَالُوا يَلَى شَهَدَتَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (الأعراف، ١٧٢).

بل إن الله قد فضح من جهر بإنكار وجوده سبحانه وتعالى؛ فقال عن فرعون وقومه:

«وَجَهَدُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَلُوهَا أَنفُسُهُمْ طَلَّمَا وَعَلَّمَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الْمُقْبَدِينَ» (النمل: ١٤)، ”والبخاري رحمة الله في بدأته كتاب التوحيد بهذا الحديث، يشير إلى الرد على المتكلمين الذين جعلوا عمدتهم، في إثبات ما يثبتون، ونفي ما ينفون؛ العقل.“

فهذا الحديث دلَّ على أن أول ما يجب على العبد: عبادة ربِّه تعالى بأمثال أوامره، واجتناب ما نهى عنه، وأن المقصود من الدعوة: وصول العباد إلى ما خلقوا له، من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له. ولا سبيل لذلك إلا باتباع الوحي الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيجب أن يتبع، وأن يكون هو الأصل المعمول عليه في معرفة عبادة الله، والإيمان به، وبرسله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والإيمان بأسمائه وصفاته وعبادته بها، خلافاً لطريقة المتكلمين، الذين جعلوا عمدتهم عقولهم في إثبات وجود الله تعالى، بناء على حدوث الكون، ثم إثبات صفاته نفياً وإثباتاً بالقياس العقلي، ثم إثبات النبوات، ثم بعد ذلك يتكلمون في السمعيات“ (بتصرف من شرح كتاب التوحيد: ٤٢، ٤٣/١، للشيخ عبد الله الغنيمان).

قال ابن أبي العز الحنفي رحمة الله، ”ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمن به العبد الشهادتان، ومتيقنون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يُؤمر بتتجديده ذلك عقيب بلوغه...“ (شرح الطحاوية، ص: ١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله، ”المقصود هنا أنه ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه، إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانتظروا واستدلوا حتى تعرفوه. فلم

يُكَلِّفُوا أَوْلًا بِنَفْسِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَا بِالْأَدْلَةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ، إِذْ كَانَتْ قُلُوبَهُمْ تَعْرِفُهُ وَتَقْرَبُهُ، وَكُلُّ مُوْلَودٍ يُولَدُ عَلَى الْفَطْرَةِ، لَكِنَّ عَرْضَ الْفَطْرَةِ مَا غَيْرَهَا وَالْإِنْسَانُ إِذَا ذُكِرَ ذَكْرًا مَا فِي فَطْرَتِهِ“، اهـ. (مجموع الفتاوى: ٣٣٨/١٦).

فائدة مهمة ودفع شبهة:

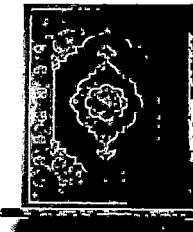
نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن إمام الحرمين الجويني رحمة الله أنه استدل بقوله صلى الله عليه وسلم: ”إِذَا عَرَفُوا اللَّهَ“، على أن أول واجب معرفة وجود الله تعالى، كما في ”الاستقامة“ (١٤٣/١)، مع أن في بعض الفتاوى الحديث ما يفسر المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: ”إِذَا عَرَفُوا اللَّهَ“، مثل لفظ، ”فَلَيْكُنْ أَوْلًا مَا تَدْعُوهُمْ“، إلى أن يوحّدوا الله، فإذا عرفوا الله، وفي لفظ، ”فَادْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، إِذَا عَرَفُوا اللَّهَ“، والمعنى: فإذا عرفوا أنه يجب عليهم أن يُفرِّدوَ الله بالعبادة...“ إلخ، فالمراد بالعبادة، التوحيد، والمراد بالتَّوْحِيدِ: الإقرار بالشهادتين؛ لأن الفاظ الحديث يفسر بعضها بعضاً.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه في صدر الحديث، ”إنك تقدم على قوم أهل كتاب“، ولا شك أن أهل الكتاب يعرفون الله بمعنى أنهم لم ينكروا وجوده عزوجل، والشرك واقع عندهم في العبادة. ”فلله ما أفقهه من روى هذا الحديث بهذه الألفاظ المختلفة لفظاً ومتferenceً معنى، فعرفوا أن المراد من شهادة (ألا إله إلا الله) هو الإقرار بها عملاً ونطقاً وعملاً خلافاً لما يظن بعض الجهال أن المراد من هذه الكلمة هو مجرد النطق بها، أو الإقرار بوجود الله أو ملكه لكل شيء من غير شريك، فإن هذا قد عرفه عباد الأوثان، وأقروا به فضلاً عن أهل الكتاب ولو كان كذلك لم يحتاجوا إلى الدعوة إليه“، (تيسير العزيز الجميد ص: ١٢٦).

وللحديث بقية في العدد القادم بمشيئة الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

اصلاح العقيدة

أساس كل إصلاح



البعوا ولا تبتعدوا

معاوية محمد هيكل

الحمد لله

ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً وإنجهاً يوم القيمة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن لها نورٌ ولا برهانٌ، ولا إنجهاً، وكان يوم القيمة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف» (رواية أحمد: ٨٣١٠، وصححه الشيخ أحمد شاكر).

وهي الفارقة بين الكفر والإيمان وتركها من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة». (صحيح الترمذى: ٢٦١٩).

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: «كان أصحابُ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُونَ شَيْئاً مِّن الْأَعْمَالِ تُرْكُهُ كُفُرَّ غَيْرَ الصَّلَاةِ» (صحيح الترمذى: ٢٦٢٢).

(٢) فيه دليل على أن الوتر ليس بواجب لأن الله تعالى افترض في اليوم والليلة خمس صلوات فحسب وهو قول الجمهور لهذا الحديث وغيره.

(٣) فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء.

(٤) فيه الإشارة إلى أنه من حكم فرض الزكاة، إرساء ما يسمى اليوم بالتكافل الاجتماعي، فهو في مصلحة المجتمع عموماً، وليس مجرد استخلاص للأموال! قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إن الله تعالى بعث محمداً هادياً، ولم يبعثه جابياً».

الحمد لله، والصلة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد ذكرنا في المقال السابق جملة من الفوائد المستفادة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله. (وفي رواية: فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) (وفي رواية: أن يوحدوا الله تعالى). ثم قال: فإنهم أطاعوا لك بذلك، (وفي رواية: فإذا عرفوا الله)، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنهم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم؛ فترد على فقراءهم، فإنهم أطاعوا لك بذلك؛ فإذا ياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. (متفق عليه: البخاري، صحيح الترمذى: ١٤٥٨، ومسلم: ١٩).

ونكمل اليوم ما يستفاد من هذا الحديث، فنقول وبالله تعالى التوفيق، من فوائد الحديث:

(١) فيه بيان أهمية الصلاة وعظم شأنها، وأنها أعظم الأركان بعد الشهادتين فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أخبرك برأس الأمر وعموده وذررة سنامه؟! قلت: بلّى يا رسول الله! قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذرة سنامه الجهد...» (صحيح الترغيب، ٢٨٦٦). وهي نور ونجاة من حافظ عليها فعن عبد الله

(الحكم الجديرة بالإذاعة: ٢٦).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "فرض الزكاة على المسلمين من أظهر محسن الإسلام ورعايته لشئون معتنقيه؛ لكثرتها فوائدتها، ومسيس حاجة فقراء المسلمين إليها، فمن فوائدها تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها".

(٥) فيه انتقاء خير أموال الناس في الزكاة وأن أخذها من الظلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "الزكاة، لمواساة الفقراء فلا يُناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء". (فتح الباري: ٣٦٠ / ٣).

قال الإمام التوسي رحمه الله: "وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال، في أداء الزكاة، بل يأخذ الوسط، ويحرم على رب المال إخراج شر المال" انتهى. (صحيح مسلم بشرح النووي: ١٩٧ / ١).

(٦) فيه أن أهل كل بلد أحق بصدقتهم ما دام فيهم أحد من ذوي الحاجة. نقل الإجماع على ذلك، أبو عبيد القاسم بن سلام قال: (العلماء اليوم مجمعون على: أن أهل كل بلد من البلدان؛ أحق بصدقته، ما دام فيهم من ذوي الحاجة واحداً فما فوق ذلك) (الأموال: ص ٧٠٩).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (يجوز نقل الزكاة وما في حكمها؛ لصلاحة شرعية) (الاختيارات الفقهية ص: ٤٥٣).

(٧) فيه أن زكاة المال تجب على كل من بلغ عنده نصابها، وإن كان صغيراً أو مجنوناً، كما هو قول الجمهور؛ لعموم قوله: "تؤخذ من أغنىائهم".

(٨) فيه الرد على المعتزلة والأشاعرة والمتكلمين ومن نحا نحوهم؛ الذين يرون أن العقائد لا تثبت بخبر الأحاديث؛ بل لا بد لثبوتها (عندهم) من خبر متواتر، قال الألباني رحمه الله: هذا الحديث دليل قاطع على أن العقيدة تثبت بخبر الواحد، وتقوم به الحجة على الناس ولو ذلك لما اكتفى

رسول الله صلى الله عليه وسلم بارسال معاذ رضي الله عنه وحده! وهذا بين ظاهر (وجوب الأخذ بحديث الأحاديث: ٨).

وقد بوب البخاري بذلك فقال: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، وساق خمسة عشر حديثاً مستدلاً بها على ذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحاً هذه الترجمة: "المراد بالإجازة: جواز العمل به (أي بخبر الأحاديث)، والقول بأنه حجة، وقد الترجمة الرد به على من يقول: إن خبر الواحد لا يُحتج به إلا إذا كان رواه أكثر من شخص حتى يصير كالشهادة" (فتح الباري: ١٣ / ٢٢٣).

وقال ابن بطال رحمه الله: "انعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الأحاديث" (فتح الباري: ١٣ / ٣٢١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "معلوم مشهور استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القبول بأخبار الأحاديث، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتاخروهم على روایة الأحاديث في صفات الله تعالى، ومسائل القدر، والرؤيا، وأصول الإيمان والشفاعة، وأخراج الموحدين من المذنبين من النار... وهذه الأشياء، علمية لا عملية، وإنما تروى لوقوع العلم للسامع بها، فإذا قلنا لمن خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمامة في نقل هذه الأخبار على الخطأ، وجعلناهم لاغعين هازلين مشتبهين بما لا يفيد أحداً شيئاً ولا ينفعه، ويصير كأنهم قد دونوا في أمر الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه" (محضر الصواعق المرسلة: ٣٣٢ / ١).

وقال ابن حزم رحمه الله: "القرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد في أنهما من عند الله، فمن جاءه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأنه صحيح، وأن الحجة تقوم بمثله، أو قد صح مثل ذلك الخبر في مكان آخر، ثم ترك مثله في هذا المكان لقياس أو لقول فلان وفلان؛ فقد

براهينه وأياته". (تيسير الكريم الرحمن، ٩٥٤).

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تتمثروا، ولا تقتلوا ولیداً، وإذا ثقيتَ عدوكَ من المشركين؛ فادعهم إلى ثلاث خصالٍ -أو خلالٍ- فرأيتهم ما أجابوك فأقبل منهم، وكف عنهم؛ ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك؛ فأقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبواً أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإنهم أبواً، فسلهم الجزية، فإنهم أجابوك؛ فأقبل منهم، وكف عنهم. فإنهم أبواً، فاستعن بالله وقاتلهم. (صحيف مسلم، ١٧٣١).

وشهد شاهد من أهله:

وليس معنى الجهاد في سبيل الله لدعوة الناس إلى الإسلام، وازالة معاشر الشرك من الوجود، ليس معنى هذا أن الإسلام يكره الناس على الدخول فيه، كلا، فإن الله تعالى يقول: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) البقرة/٢٥٦.
ولذلك من رفض من المشركين الدخول في الإسلام ترك ودينه، ولكن بشروطه تعدها معه، وهو ما يسمى بـ"عقد الجزية" أو "عقد الذمة". فليهودي أن يبقى على يهوديته في دولة الإسلام، وكذلك النصراني وغيرهم من أهل سائر الأديان.

وتاريخ المسلمين شاهد على بقاء غير المسلمين في دولة الإسلام من غير أن يكرهوا على تغيير دينهم. وقد اعترف بذلك كثير من المستشرقين أنفسهم.

قال المستشرق الألماني أولرش هيرمان: "الذي

خالف أمر الله وأمر رسوله" (الإحكام، ٩٨/١، ١٠٨، ١٠٢ بتصرف).

وقال أيضاً، بعد أن ساق الأدلة على أن خبر الواحد العدل يوجب العلم والعمل معاً ويجب قبوله قال: "فصح بهذه إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم..". (الإحكام، ١٠٢/١).

وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله: "والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة مما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله: من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي، سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما...". (الباعث للحثيث، ١٢٥/١).

(٩) فيه الرد على المستشرقين والمستغربين من زنادقة الشرق والغرب، الذي يصورون لأقوامهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة السيف، وسفك دماء الناس... وهذا القول على إطلاقه باطل، فالإسلام انتشر بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأيد بالسيف، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغه بالدعوة بمكة ثلاثة عشر عاماً، ثم في المدينة قبل أن يومر بالقتال، والصحابة والمسلمون انتشروا في الأرض ودعوا إلى الله، ومن أبى جاهدوه؛ لأن السيف منفذ، قال تعالى: "وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ". والحقيقة أن الإسلام جاء بدعة الناس لإحياء ما وقري في قلوبهم وفطرهم، من توحيد الخالق، وتعبيدهم إليه، والكفر بما سواه من معبودات، وليس شمة إجبار للناس في هذا قال الله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ".

قال العلامة السعدي رحمه الله: "هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه، واتضاح آياته، وكونه: "هو دين العقل والعلم ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد.. فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى الإكراه عليه؛ لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تحضى

دعاة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام، يقول الله جل جلاله: وَعَزْتِي وَجَلَّتِي؛ لأنْصُرْتُكَ، ولو بعد حين» (السلسلة الصحيحة: ٨٧٠). ولربما تأخرت إجابة الدعاة، ولكن الله ليس بغاللٍ عما يعمّل الظالمون، قال سبحانه: «وَلَا تَحْسِبْنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» (إبراهيم: ٤٢).

وقال ميمون بن مهران: «في الآية تعزية للمظلوم، ووعيد للظالم» (مساوى الأخلاق للخرائطي ص ٢٢٠).

ومن أجزل ما رواه التاريخ لما حبس بعض البرامكة وولده قال: يا أبت، بعد العزو والأمر والنهي والأموال صرنا في القيد والحبس. فقال: يابني، لعلها دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها). (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر ١٢٢/٢).

ونقل الشيخ بكر أبو زيد رحمة الله في كتابه (تصنيف الناس بين الظن واليقين: ص ٢٥) كلاماً لابن القيم يشعر منه بدن المؤمن في التحذير من الوقوع في الظلم، وخاصة ما يقع في هذا العصر من التطاول والتعدي على الأعراض، والذي لم يسلم منه حتى الصفة؟ قال: «كم أورثت التهم الباطلة من أذى للمكلوم بها من خفقة في الصدر ودمعة في العين، وزفرات تظلم يرتجف منها بين يدي ربه في جوف الليل؛ لئلا يكشفها، مادا يديه إلى مغيث المظلومين، كاسر الظالمين، والظالم يغط في نومه، وسهام المظلومين تتقدّمه من كل جانب؛ عسى أن تصيب منه مقتلاً. فيا لله، ما أحظم الفرق بين من نام وأعين الناس ساهرة تدعوه، وبين من نام وأعين الناس ساهرة تدعوه عليه؟» فما أشترخ الظلم، وما أقطع عاقبته! ويا ويل من وجّهت له سهام المظلومين! فاتقوا الله وخافوه، واعلموا أنكم ملاقوه، واحدروا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيمة، وغدا إلى ديان يوم الدين نمضي، وعند الله تجتمع الخصوم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينتقلبون.

والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

لفت نظري أثناء دراستي لهذه الفترة- فترة العصور الوسطى- هو درجة التسامح التي تتمتع بها المسلمين، وأحسن هنا صلاح الدين الأيوبي، فقد كان متسامحاً جداً تجاه المسيحيين. إن المسيحية لم تمارس الموقف نفسه تجاه الإسلام ”انتهى“ (مجلة العالم الإسلامي)، العدد ٢٩٠.

وقال ول ديورانت (فيلسوف ومؤرخ أمريكي): ”كان أهل الذهمة المسيحيون، والزهدشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون في عهد الخليفة الأموية بدرجة من التسامح لا تجد لها نظيراً في المسيحية في هذه الأيام. فقد كانوا أحرازاً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضائهم وقوانينهم“ انتهى.

وأما إكراه النصارى للمسلمين على تغيير دينهم، وقتلهم وتعذيبهم إن رفضوا ذلك، فشوأهده من التاريخ القديم والمعاصر واضحة للعيان، وما محاكم التفتيش إلا مثال واحد فقط من هذه الواقع. انظر: ”التسامح في الإسلام“ د. شوقي أبو خليل.

(١٠) فيه بيان خطورة الظلم وشناعته، ووعيد الله للظالم بعاجل مجازاته، قال صلى الله عليه وسلم: ”اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً؛ فإنه ليس دونها حجاب“. (السلسلة الصحيحة: ٧٦٧).

(إنه ليس دونها حجاب)، أي: مانع، بل هي معروضة عليه تعالى. قال السيوطي: أي ليس لها ما يصرفها ولو كان المظلوم فيه ما يقتضي أنه لا يستجاب له مثله من كون مطعمه حراماً أو نحو ذلك، حتى ورد في بعض طرقه (إن كان كافراً)، قال ابن العربي: ليس بين الله وبين شيء حجاب عن قدرته، وعلمه، وإرادته، وسمعه، وبصره، ولا يخفى عليه شيء، وإذا أخبر عن شيء أن بينه وبينه حجاباً، فإنما يريد منعه) (تحفة الأحوذى للمباركا فوري: ٣/٢٦٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”اتقوا

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد،
ففي هذا المقال أضع بين أيديكم شرحاً منهجياً
ميسراً لجذب نبوي جليل القدر، عظيم الشأن، فيه
من الوصايا الجامعة النافعة ما يتجلى فيها حرص
النبي صلى الله عليه وسلم البالغ على هداية أمته،
وصلاح أمرها من بعده؛ فلأوصاهم في مفتتح الوصايا
باتقوى لأنها الغاية الأسمى، والمطلوب الأستوى،
ولا يصل إليها العبد؛ إلا بتحقيق بقية الوصايا
وذلك يلزم جماعة المسلمين وأمامهم، وينبذ الخلاف
والفرقـة واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم،
وسنة خلافاته الراشدين، واجتناب البدعـ والمحدثـات
في الدين.

فلا نجاة للعبد إلا بهذه الوصايا مجتمعة، فأكرم
بها من وصايا وأنعم بها من توجيهات، وهـمـ البيان
والتفصـيلـ، فـنـقـولـ مـسـتعـينـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ،ـ
عن العريـاضـ بنـ سـارـيـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ،ـ صـلـيـ بـناـ
رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ذـاتـ يـوـمـ،ـ ثـمـ أـقـبـلـ
عـلـيـنـاـ بـوـجـهـهـ،ـ فـوـعـظـنـاـ مـوـعـظـةـ بـلـيـقـةـ،ـ ذـرـفـتـ مـنـهـاـ
الـيـوـنـ،ـ وـوـجـلـتـ مـنـهـاـ الـقـلـوـبـ،ـ فـقـالـ رـجـلـ،ـ يـاـ رـسـولـ
الـلـهـ،ـ كـانـ هـذـهـ مـوـعـظـةـ مـوـدـعـ،ـ فـلـأـوـصـنـاـ؟ـ
قـالـ،ـ أـوـصـيـكـ بـتـقـويـ اللـهـ،ـ وـالـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ،ـ إـنـ كـانـ
عـبـدـاـ حـبـشـيـاـ،ـ فـإـنـهـ مـنـ يـعـشـ مـنـكـمـ فـسـيـرـيـ اـخـتـلـافـاـ
كـثـيرـاـ،ـ فـعـلـيـكـ بـسـنـتـيـ وـسـنـةـ الـخـلـفـاءـ الرـاشـدـينـ
الـمـهـدـيـيـنـ،ـ تـمـسـكـواـ بـهـاـ،ـ وـعـضـواـ عـلـيـهـاـ بـالـتـواـجـدـ،ـ
وـإـيـاـكـمـ وـمـحـدـثـاتـ الـأـمـورـ،ـ فـإـنـ كـلـ مـحـدـثـةـ بـدـعـةـ
وـكـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ.ـ (ـصـحـيـحـ الـمـشـكـاـ،ـ ١٦٥ـ).

الفوائد المستنـدةـ منـ الحديثـ

(١) فيه بلاغـةـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ وقدـ
وـصـفـ العـرـيـاضـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ مـوـعـظـةـ بـأـنـهـ،ـ
بـلـيـقـةـ،ـ وـبـلـاغـةـ،ـ وـجـازـةـ الـلـفـظـ،ـ وـكـثـرـةـ الـمـعـنـىـ،ـ معـ
الـبـيـانـ.

وـقـدـ جـمـعـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فيـ وـصـيـتـهـ،ـ
بـيـنـ الـحـقـوقـ الـوـاجـبـةـ لـلـهـ تـعـالـىـ فيـ قـوـلـهـ،ـ "ـأـوـصـيـكـ
بـتـقـويـ اللـهـ،ـ"ـ وـبـيـنـ حـقـوقـ الـعـبـادـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ فيـ
قـوـلـهـ،ـ "ـأـوـصـيـكـ...ـ وـالـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ،ـ"ـ وـجـمـعـ بـيـنـ
الـأـمـرـ بـالـغـاـيـةـ فيـ قـوـلـهـ،ـ "ـأـوـصـيـكـ بـتـقـويـ اللـهــ".ـ

وـبـيـنـ الـأـمـرـ بـالـوـسـيـلـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـغـاـيـةـ فيـ بـقـيـةـ
الـوـصـاـيـاـ،ـ كـمـ أـنـهـ جـمـعـ بـيـنـ التـرـغـيـبـ فيـ قـوـلـهـ،ـ
"ـفـعـلـيـكـ بـسـنـتـيـ...ـ وـبـيـنـ التـرـهـيـبـ لـقـوـلـهـ،ـ "ـإـيـاـكـمـ

الوصايا

النبوة

الجامعة

مطاوية محمد هيكل

٢٢٣ إعداد

- من الأحاديث في معناه، على المبالغة في لزوم السمع والطاعة للعبد إذا كان خليفة، وإن كان ذلك لا يقع. (فتح القوي المبين، ٩٧).
- وقال الطيبى رحمة الله، وهذا وارد على سبيل المبالغة لا التحقيق، كما جاء: من بنى لله مسجدا، ولو كوفضصن قططا. يعني: لا تستنكفوا عن طاعة من ولی عليكم، ولو كان عبدا حبشا، إذ لو استنكفتم عنه لأدئ إلى: إثارة الحروب، وتهييج الفتنة، وظهور الفساد في الأرض.. فعليكم بالصبر والمداراة، حتى يأتي أمر الله. (شرح المشكاة، ٦٣٤/٢).
- لحريم الخروج على ولاة الأمور.
- (٥) فيه رد على الخوارج ومن شايعهم: الذين يرون الخروج على الحاكم المسلم الظالم! فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم، ولو كان أقل الناس نسبا، كما جاء في الحديث، "وان كان عبدا حبشا، وأمر بطاعته، ولو كان محترما في الخلقة لدى الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي، كان رأسه زبيبة. (صحيح البخاري، ٦٩٣).
- الزبيبة، العتبة اليابسة. وأمر بطاعته، ولو كان أقل الناس قوة، كما قال أبو ذر رضي الله عنه، إن خليلي أوصاني أن اسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجده الأطراف. (صحيح مسلم: ١٨٣٧).
- وأمر بطاعته، ولو ظلمك في نفسك وما لك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، يكون بعدى أئمه، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بستي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جهنمان إنس. قال حذيفة، كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال، تسمع وتُطيع للأمين، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع. (صحيح مسلم: ١٨٤٧).
- وأمر بطاعته، ولو استأثر بالدنيا، ووقع في المعصية والبدعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنكم سترون بعدى أئمة، وأمورا تذكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال، أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حكمكم. (صحيح البخاري، ٧٥٢).
- تنبيه: والطاعة في هذه الأحاديث وغيرها مقيمة بما ليس بمعصية لله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، لا طاعة لخالق في معصية الخالق.
- وهذا مما ينبغي للدعاة إلى الله الاعتناء به؛ فإن كثيرا من الدعاة اليوم يُطيلون الكلام فيما ليس فيه كبير منفعة؛ فضلاً عما لا منفعة فيه؛ فضلاً عمما ترجى منه المقدرة.
- أهمية الموعظة وأثرها
- (٢) فيه أهمية الموعظة في الدعوة، وبيان حسن أثرها على الناس.
- وشرطها، أن تكون من مواضع الكتاب والسنّة، غير ممزوجة بقصص الكاذبين والقصاصين الذين يفسدون ولا يصلحون.. قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله، المواضع تكون بالكلام الذي يرقق القلب، ويوثر في النفس، ويبحث على الأخلاص والعمل، وتكون بالأيات والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة، ولا تكون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ فإن هذه لا يشغل بها، وإنما يشغل بما صحي وثبت. (شرح الأربعين).
- والدعوة لا توتى ثمارها إلا إذا وضعت في مكانها الصحيح، قال ابن مسعود رضي الله عنه، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السامة علينا. (متفق عليه: البخاري، ٦٨ مسلم: ٢٨٢١).
- وقال رضي الله عنه: إن للقلوب شهوة واقبالا، وفترة وابرارا، فخذلواها عند شهوتها واقبالها، وزروها عند فترتها وابرارها. (أدب المجالسة، ١٠٧).
- (٣) فيه أن الوصية بتقوى الله أهم الوصايا وأعظمها؛ فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم قدّمها على غيرها من الوصايا؛ فكذلك هي وصية الله للأمم أجمعين، قال الله تعالى: «ولقد وصينا آلَيْنَا أُولُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِنَّا كُمْ أَنَّا قَرَأْنَا آتَيْنَا» (النساء، ١٣١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم، أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله، وحسن الخلق. (السلسلة الصحيحة، ٩٧).
- طاعة ولاة الأمور:
- (٤) فيه الأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم، أي كان حاله، وطريقة توثيق الحكم، ولو كان عبدا! قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله، وقد أجمع العلماء على أن العبد ليس أهلا للخلافة، ويحمل ما جاء في هذا الحديث وغيره

(صحيح الجامع، ٧٥٢٠).

مِيزَانُ ضُرُورِي وضَابطُهُمْ: (٩) فِيهِ التَّنْبِيَّهُ إِلَى أَصْلِهِمْ مِنْ أَصْوَلِ الطَّائِفَةِ الْمُنْصُورَةِ، وَالْفَرَقَةِ النَّاجِيَّةِ؛ الَّذِي هُوَ الْفَارَقُ الْفَاَصِلُ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَدْعَةِ وَالْفَرَقَةِ، عَلَى اخْتِلَافِ مُشَارِبِهِمْ، وَتَفاوتِ مَا أَحَدُهُو فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.. فَكُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلْإِسْلَامِ يَدْعُونَ أَنَّهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، فَإِذَا جَحَدَ أَحَدُهُمْ (فَضْلًا عَنْ كُلِّهِمَا) فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ، وَمِنْ أَخْذِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ بِفَهْمِ سُلْفِ الْأَمَّةِ، وَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فَمَنْ تَبعَهُمْ يَأْخُذُهُنَّ... فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُنْصُورُونَ حَقًا فِي الدُّنْيَا، النَّاجِونَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُنَّا هُوَ الْمَنْهَجُ الرَّاضِيُّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاوَاتِ، فَحَمَدًا لِلَّهِ عَلَى نَعْمَهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الْأَصْلِيِّ، وَالرَّكْنِ الرَّكْنِيِّ... فَقَدْ حَادَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَسَلَكَ سُبُلاً لَيْسَ لَهُ فِيهَا إِمَامٌ إِلَّا الشَّيَاطِينُ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، خطط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خططا ثم قال، هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شمالي وقال، هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو له، ثم قرأ، «وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ هُنْتَرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِي» (صحيح المشكاة، ١٦٦)، فعل قدر الإعراض عن فهم السلف الصالحة للكتاب والسنّة يكون الاتّباع لهذه السبل، وتلك الشياطين.

وَإِيَّاكُمْ وَمَهْدِيَّاتُ الْأَمْوَارِ

(١٠) فِيهِ التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ الْإِحْدَاثِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنْ دِينَ اللَّهِ تَامٌ وَكَامٌ.. لَا يَقْبَلُ النَّفْقَ فِيهِ، وَلَا الزِّيَادَةَ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، «إِلَيْهِمْ أَكْلَتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ يَنْهَىٰ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِنْتَهَىٰ وَبِنَاءً» (المائدة، ٣)، قَالَ ابْنُ عَبَاسٍ رضي الله عنهما، أَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَدْ أَكْمَلَ لَهُمُ الْإِيمَانَ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى زِيَادَةٍ أَبَدًا، وَقَدْ أَتَمَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرَهُ فَلَا يَنْقَصُهُ أَبَدًا، وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ فَلَا يَسْخُطُهُ أَبَدًا. (تفسير الطبرى، ٥١٨/٩).

فَمَنْ زَادَ عَلَى مَا أَكْمَلَ اللَّهُ وَأَتَمَهُ وَرَضِيَهُ... فَقَدْ ابْتَغَى غَيْرَ الْإِسْلَامِ «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ إِسْلَامِ دِينِنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، وَقَالَ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ». (صحيح البخارى، ٧٤٥)

وَلَا يَقْتَضِي السَّمْعُ وَالْطَّاعَةُ لَوْلَى الْأَمْرِ مَحْبَبَتِهِ إِنْ كَانَ ظَالِمًا أَوْ فَاسِقًا أَوْ مُبْتَدِعًا.. بَلْ يَجْبُ كُرْهُ مَا عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمٍ وَفُسْقٍ وَبَدْعٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ وَلَى عَلَيْهِ وَالْفَرَأَهُ يَاتِي شَيْنَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلَيْكُرْهُ مَا يَاتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزَعُنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ. (صحيح مسلم، ١٨٥٥).

دَاءُ الْفَرَقَةِ وَعَلَاجُهَا،

(٦) فِيهِ الْإِرْشَادُ إِلَى الدَّوَاءِ الشَّافِيِّ وَالْكَالِيِّ لِدَاءِ الْفَرَقَةِ، وَبِلَاءُ الْاِخْتِلَافِ؛ فَقَوْلُهُ، «فَعَلَيْكُمْ بِسَنْتِي، وَسَنَةُ الْخَلِفَاءِ الرَّاشِدِينَ»، هُوَ وَحْدَهُ الْجَلِّ النَّاجِحِ، وَالْدَّوَاءُ النَّاجِعُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ اجْتَمَعُوا بِهِ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَلَيْسَ دُونَ ذَلِكَ سُوَى خَرْطِ الْقَاتِدِ؛ فَهَلَمُوا إِلَى سَنَةِ نَبِيِّكُمْ وَمِنْهَاجِهِ الصَّالِيِّ تَفَوَّزُوا وَتَسْعَدُوا.

(٧) فِيهِ تَفْضِيلُ الْخَلِفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ، وَالْحَدِيثُ يَدْلُعُ عَلَى تَفْضِيلِ الْخَلِفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْفَضْلِ كَتْرِيَّبِهِمْ فِي الْخَلْفَةِ. (شَرْحُ الْمُشَكَّةَ، ٦٣٥/٢).

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ، فَإِنْ قَلْتَ مِنَ الْخَلِفَاءِ الرَّاشِدِينَ؟ قَلْتُ، لَا شَكَّ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْهُمْ هَاهُنَا، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْخَلْفَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكًا عَصْوَضًا. (نَحْبُ الْأَفْكَارِ، ١٤٩/٢).

(٨) فِيهِ أَنَّ سُنَّةَ الْخَلِفَاءِ الرَّاشِدِينَ هِيَ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَوْلُهُ، «فَعَلَيْكُمْ بِسَنْتِي، وَسَنَةُ الْخَلِفَاءِ الرَّاشِدِينِ الْمَهْدِيِّينَ، تَمْسَكُوا بِهَا...»، أَوْضَحَ دَلِيلَهُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَاءِ الْضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ، «تَمْسَكُوا بِهَا» جَاءَ بِالْأَفْرَادِ، وَلَمْ يَقُلْ، «بِهِمَا»، وَالْأَصْلُ فِي الضَّمِيرِ أَنَّ يَرْجِعَ إِلَى آخر مذكور (وَهُوَ سُنَّةُ الْخَلِفَاءِ) وَلَكِنْ لَا كَانَتْ سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَنَّةُ خَلِفَائِهِ الرَّاشِدِينَ شَيْنَا وَاحِدًا جَاءَ بِالْأَمْرِ بِالْتَّمْسَكِ بِهِمَا بِضَمِيرِ مُفْرَدٍ؛ فَقَالَ، «تَمْسَكُوا بِهَا».

عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم)، وذكر شيخ الإسلام، أن تخصيص عموم النهى عن البعد بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع لا يقبل، فالواجب التمسك بالعموم). (الاقتضاء، ٥٨٢/٥٨٨).

وقال الشاطئي رحمة الله، (كل بدعة ضلاله) محمول عند العلماء على عمومه لا يستثنى منه شيء البتة، وليس فيها ما هو حسن أصلًا، إذ لا حسن إلا ما حسنَه الشرع، ولا قبيح إلا ما قبحَه الشرع، فالعقل لا يحسن ولا يقبح، وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيله أهل الضلال) (انظر فتاوى الإمام الشاطئي ص: ١٨٠، ١٨١).

وقال أيضًا في "الاعتصام" معترضًا على من قسم البدعة إلى أحكام الشرع الخمسة، "إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى.

قال، وهو- أي هذا التقسيم- في نفسه متدافع؛ فإن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى، لا من نصوص الشرع، ولا من قواعده؛ إذ لو كان هناك من الشرع ما يدل على وجوب أو ندب أو إباحة ما كان ثم بدعة، ولكن العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجامع بين كون تلك الأشياء بداعًا وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متناقضين" انتهى.

ويتباء على ذلك يتبع خطأ من قسم البدع إلى خمسة أقسام، وأنه ليس على صواب، لأننا نعلم علم اليقين أن أعلم الناس بشريعة الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أنصح الخلق لعباد الله، وأنه أفصح الخلق وأبلغهم نطقاً صلى الله عليه وسلم، وأنه أصدق الخلق خبراً عن الله، وأنه خير معلم عليه الصلاة والسلام، فكيف يتستنى لأحد يأتي من بعده فيقول، البدعة ليست ضلاله، بل هي حسنة، وسيئة، أو هي محمرة، ومحبحة، ومكرورة، ومندوحة، وواجبة.

فليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر فالخير كل الخير في الاتباع والشر كل الشر في الابتداع، والحمد لله رب العالمين.

ابن رجب رحمة الله، " وكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه- فهو ضلاله، والدين منه بريء، وسواء من ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأفعال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة. (جامع العلوم والحكم، ١٢٨/٢).

فيه علامه ويرهان على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الفرقـة والاختلافـ التي أخبر عنها قد وقعت كما أخبرـ حتى صار حال عامة الطوائف المنتسبة إلى الإسلام كما قال الله تعالى: «كُلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحُون»! ولا شك أن هذا من البلاء الجسيم، والابتلاء العظيم لهذه الأمة المحمدية؛ فقد قضى ربنا هذا الاختلاف قدرًا وكونًا، وأمرنا بضده دينًا وشرعًا؛ فقال جل وعلا: «واعتصموا بحبل الله جميـعاً ولا تفرقوا»، قال ابن مسعود رضي الله عنه: حـبل الله، الجـمـاعـة. (تفسير الطبرى، ٧١/٧).

ليس في الإسلام بدعة حسنة:

(١١) فيه رد على المتصوفة ومن يرى أن في الإسلام بدعة حسنة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال، "كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ" فائـى لها الحـسـنـ؟! قال ابن عمر- رضـي الله عنـهماـ: " كـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ وـانـ رـأـهـ النـاسـ حـسـنـةـ" (الإبـانـةـ الـكـبـرـىـ، ٢٠٥).

وقال الإمام مالك رحمة الله، من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول، «الـيـوـمـ أـكـمـلـتـ لـكـمـ دـيـنـكـمـ..»، فـماـ لمـ يـكـنـ يومـنـذـ دـيـنـاـ؛ فـلاـ يـكـونـ الـيـوـمـ دـيـنـاـ. (الاعتصام، ٦٥-٦٦).

قال الأمـيرـ الضـنـاعـيـ رـحـمـهـ اللهـ، " ليسـ فيـ الـبـدـعـةـ مـاـ يـمـدـحـ (ـبـلـ كـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ)." (ـسـبـلـ السـلـامـ، ١٠/٢).

وقال شـيخـ الإـسـلـامـ ابنـ تـيمـيـةـ، (ـلـ يـحلـ لـأـحـدـ أنـ يـقـابـلـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ الـكـلـيـةـ الـجـامـعـةـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـهـيـ قـوـلـهـ، " كـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ" بـسـلـبـ عـمـومـهـاـ، وـهـوـ أـنـ يـقـالـ، لـيـسـتـ كـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ، فـإـنـ هـذـاـ إـلـىـ مـشـاقـقـ الرـسـوـلـ أـقـرـبـ مـنـهـ إـلـىـ التـاوـيـلـ) ، وـقـالـ، (ـإـنـ قـصـدـ التـعـيمـ الـحـيـطـ ظـاهـرـ مـنـ نـصـ رـسـوـلـ اللهـ صلىـ اللهـ

مسارح الماء والراف في فنادق

الإسكندرية

د. إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وبعد:

فقد امتن الله علينا وفضل بشهر رمضان، وخصه بما لم يخص به غيره من شهور العام، فقد جعله الله مستودعاً لجلائل الأعمال، وفضائل الطاعات، فخصه ببركة نزول القرآن، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام، وخصّ منه بالفضل والأجر البابلي العشر الأواخر، وأودع فيها ليلة حوت كنوز الخير والذخائر، وقد أدرك سلف هذه الأمة منزلة هذا الشهر فعظموه، وبذكر الله وطاعتْه عمروه، والاعتكاف فيه عبادة جليلة القدر، وسنة عظيمة الأجر، حرص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فارق الدنيا، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم من بعده ويفي هذا المقال بعض لجملة من فقهه وفوانذه: شحذا للهم وتقوية للعزائم، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً؛ تعريف الاعتكاف:

الاعتكاف لغة، الإقباب على الشيء والاحتباس فيه؛ من، عَكَفَ على الشيء، أي إذا أقبل عليه مواطنًا لا يصرف عنه وجهه، ومنه قيل مَنْ لازم المسجد، وأقام على العبادة فيه، عاكفٌ وممعكفٌ. «لسان العرب» لابن منظور (٢٥٥/٩) الاعتكاف شرعاً، «هو الإقامة في المسجد بنينة التقرب إلى الله عَرَّ وجُلٌّ، ليلاً كان أو نهاراً». انظر (المحل)،

ثالثاً، أدلة مشرعية:

دل على مشروعية الكتاب والسنة والإجماع،

البخاري (٢٠٢٧) واللطفلي له، ومسلم (١١٦٧). قال شيخ الإسلام عن هذا الحديث، (فقد بين أن من اعتكف العشر الأواخر فإنه يعتكف ليلة إحدى وعشرين) (شرح عمدة الأحكام ٧٧٩/٢).

القول الثاني، يبدأ الاعتكاف من بعد صلاة فجر اليوم الواحد والعشرين، وهي رواية عن أحمد، واختيار ابن المنذر، وابن القيم، والصنعاني. واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت، (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه) (متفق عليه، البخاري ٢٠٤١، ومسلم ١١٣٧).

قال الشيخ ابن عثيمين، "جمهور أهل العلم على أن ابتداء الاعتكاف من ليلة إحدى وعشرين لا من فجر إحدى وعشرين، وإن كان بعض العلماء ذهب إلى أن ابتداء الاعتكاف من فجر إحدى وعشرين مستدلاً بحديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري، (فلمما صلى الصبح دخل معتكفه).

لكن أجاب الجمهور عن ذلك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام انفرد من الصباح عن الناس، وأمامية الاعتكاف فهي من أول الليل، لأن العشر الأواخر تبتدئ من غروب الشمس يوم عشرين" اهـ (فتاوي الصيام ص ٥٠١).

متى ينتهي الاعتكاف؟

ينتهي وقت الاعتكاف في أيام العشر الأواخر، من بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربع، وذلك حتى يكون مستوفياً للعشر بكماله. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، "يخرج المعتكف من اعتكافه إذا انتهى رمضان، وينتهي رمضان بغروب الشمس ليلة العيد" اهـ فتاوى الصيام (ص ٥٠٢).

وإذا اختار البقاء حتى يصلى الفجر ويخرج من معتكفه إلى صلاة العيد فلا بأس، فقد استحب ذلك بعض السلف.

شروط صحة الاعتكاف:

١- الكتاب، قوله تعالى، (وعهدنا إلى إبراهيم وأسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقوله تعالى، (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد)، فإضافته إلى المساجد المختصة بالقربات وترك الوطء المباح لأجله دليل على أنه قربة.

٢- السنة، عن عائشة رضي الله عنها، (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده) (البخاري برقم ٢٠٢٦) ومسلم برقم (١١٧٢).

٣- الإجماع، نقله ابن المنذر وابن حزم والنwoyi وابن قدامة وشيخ الإسلام والقرطبي وابن هبيرة والزرκشي وابن دشـ.

حكم الاعتكاف:

الاعتكاف قربة وطاعة وفعله سنة، وهو في رمضان أكد، وأكده في العشر، ولا يجب إلا بالنذر. قال ابن المنذر رحمة الله، "وأجمعوا على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً إلا أن يوجبه المرء على نفسه نذراً فيجب عليه" اهـ. "الإجماع" (ص ٥٣).

ودليل وجوبه بالنذر، (أن عمر رضي الله عنه سأله النبي صلى الله عليه وسلم قال، كنت نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام؟ قال، (فأوف بذريتك). (البخاري ٢٠٣٢).

بداية الاعتكاف ونهايته،

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين، القول الأول، يبدأ قبل غروب شمس ليلة إحدى وعشرين، وهو مذهب جمهور الفقهاء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، ودليل ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه، قال، من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر". أخرجه البخاري ومسلم (روايه

٦- إذن الرجل لزوجه، فلا يصح للمرأة أن تعتكف وزوجها شاهد إلاً بيادنه. قال الحافظ بن حجر، (قال ابن المندزرو وغيره، في الحديث - حديث عائشة في نقض أخباره نسائه - أن المرأة لا تعتكف حتى تستاذن زوجها، وأنها إذا اعتكفت بغير إذنه كان له أن يخرجها، وإن كان بيادنه فله أن يرجع فيمنعها، وعن أهل الرأي - الأحناف - إذا أذن لها الزوج ثم منعها أثُمَ بذلك وامتنع، وعن مالك ليس له ذلك، وهذا الحديث حجة عليهم) (الفتح ج ٤/ ٢٧٧).

مبطلات الاعتكاف:

أولاً، الجماع، الجماع يحرّم على المعتكف ويفسد عليه الاعتكاف. لقوله تعالى: **وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ** في المساجد (البقرة، ١٨٧). قال ابن حزم، (وأتفقوا أنَّ الوطءَ يفسد الاعتكاف) **مِراثِبِ الْإِجْمَاعِ** (ص ٤٤). وقال النووي، (إن جامع المعتكف ذاكراً للاعتكاف، عالماً بتحريره؛ بطل اعتكافه بياجماع المسلمين). **المجموع** (٥٢٤/ ٦).

ثانياً، مباشرة الزوجة بشهوة، فإن كان لغير شهوة لم يبطل اعتكافه باتفاق الأئمة.

ثالثاً، إنزال النبي بال مباشرة أو تكرار النظر أو الاستمناء.

تنبيه: ولا يبطل الاعتكاف بالاحتلام.

رابعاً، الحيض والنفسان للمرأة لفوات شرط

الطهارة

خامساً، ذهاب العقل بجنون أو سكر.

سادساً، الردة. قال تعالى "لَئِنْ أَشْرَكْتْ

لَيُحِبِّطَنَ عَمَلَكَ"

سابعاً، الخروج لغير حاجة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت، "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِلَيْهِ أَوْ كَانَ مُعْتَكِفًا". (البخاري ٢٠٩٢)

ومسلم (٢٩٧) قال ابن قدامة في المغني: (٤٦٤)، "وَتَرَادَ بِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ الْبُولُ وَالْغَائِطُ، كَئِي بِدِلْكِ عَثَمَّاً؛ لَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ

١- الإسلام: وهو شرط لصحة جميع العبادات. قال الشيرازي، (لا يصح من الكافر كالصوم) (المجموع ج ٦/ ٤٧٥).

٢- العقل والتمييز.

٣- النية، وهي شرط لصحة جميع العبادات.

٤- المسجد: يشرع الاعتكاف في مسجد تقام فيه صلاة الجمعة لحديث عائشة رضي الله عنها وفيه، "وَلَا اعتكاف إلَّا في مسجد جماعة" (صحيح الإبراء ٤/ ١٣٩).

والأفضل أن يكون في مسجد جامع حتى لا يضطر للخروج لصلاة الجمعة، والأفضل أن يكون في المساجد الثلاثة والمسجد شرط

لصحة اعتكاف الرجل اتفاقاً. وأما المرأة فذهب جمهور العلماء إلى أنها كالرجل لا يصح اعتكافها إلا في المسجد ولأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنون في الاعتكاف في المسجد فاذن لهن، ولكن يعتكفن في المسجد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. قال النووي في المجموع (٥٠٥/ ٦)، "لَا يَصْحُ الْأَعْتَكَافُ مِنَ الرَّجُلِ وَلَا مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ، وَلَا يَصْحُ مَسْجِدٌ بِيَتِ الرَّجُلِ وَهُوَ الْمَغْرِبُ الْمَهِيَّ لِلصَّلَاةِ" اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، المرأة إذا أرادت الاعتكاف فإنما تعتكف في المسجد إذا لم يكن في ذلك محذور شرعاً، وإن كان في ذلك محذور شرعاً فلا تعتكف اهـ (الفتاوى ٢٦٤/ ٢٠).

٥- الصوم: وهذا الشرط مختلف فيه والمصحح من قوله أهل العلم أن الاعتكاف يصح من غير صوم، وهو مذهب الشافعية، والمشهور عند الحنابلة، وقول طائفة من السلف، وأختاره ابن حزم، وأبن دقيق العيد، وأبن باز وأبن عثيمين. "لأن إيجاب الصوم حكم لا يثبت إلا باتفاق، ولم يصح فيه نص ولا إجماع". المغني لابن قدامة (١٨٨/ ٣).

وقال ابن باز رحمه الله، (ولا يشترط أن يكون معه صوم على الصحيح، ولكن مع الصوم أفضل) "مجموع فتاوى ابن باز" (٤٤/ ١٥).

التقرب إليه اعتكاف.. مما قل من الأذان أو كثُر إذا لم يخص القرآن والسنة عدداً من عدد، ووقتاً من وقت" اهـ. المحتوى (١٧٩/٥).

وكذلك لا حد لأكثر زمان الاعتكاف. نقل الإجماع على ذلك، التنوبي، وأبن الملقن، وأبن حجر، قال التنوبي: (وأجمعوا على أنَّه لا حد لأكثر الاعتكاف، والله أعلم). "شرح التنوبي على مسلم" (٦٨/٨).

نصائح ووصايا للمعتكفين:

وفي الختام أقول لإخواني المعتكفين، هذا أوان الجد والتشمير، وتحصيل الزاد ليوم العاد، فاحرصوا على اغتنام الأوقات وتعميرها بالطاعات والقرىات، وعليكم بتلاوة القرآن وتديري معانيه، والإكثار من الذكر والاستغفار، والتضرع إلى الله في الأحسان، وتحري ليلة القدر في الليالي الأولى، فهي المقصد الأسنى من الاعتكاف، واحذرؤا من اتخاذ المعتكف موضع عشرة ودعوة للولائم، ومجلبة للزائرين، وتجاذب أطراف الحديث فيما بينهم، فهذا خروج بالاعتكاف عن مقصوده فما شرع والله لهذا. فالاعتكاف أعظم فرصة للخلوة بالله؛ لصلاح القلب، وقوية الصلة به سبحانه.

قال ابن رجب رحمه الله، "الخلوة المشروعة لهذه الأمة، هي الاعتكاف في المساجد، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغل عنه، وعكف بقبله وقبيله على ربه وما يقرره منه، بما يقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه.

وكلما قويت المعرفة بالله، والمحبة له والأنس به؛ أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال. كان بعضهم لا يزال منفردا خاليا بربه فقيل له، أما تستوحش؟ قال، كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكري." (لطائف المعارف ١٩٠).

أعانت الله واياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال. والحمد لله رب العالمين.

يحتاج إلى فعلهما، وفي معناه الحاجة إلى المأكولات والمشروبات، إذا لم يكن له من يأتيه به، فله الخروج إليه إذا احتاج إليه، وكل ما لا بد له منه، ولا يمكن فعله في المسجد، فله الخروج إليه، ولا يفسد اعتكافه وهو عليه، ما لم يطل" اهـ.

وقال علماء اللجنة الدائمة: "السنة لا يزور المعتكف مريضاً أثناء اعتكافه، ولا يجب الدعوة، ولا يقضي حاجه أهله، ولا يشهد جنازة، ولا يذهب إلى عمله خارج المسجد، لما ثبت عن عاشة أنها قالت: (السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه) رواه أبو داود (٢٤٧٣) اهـ.

فتاوي اللجنة الدائمة (٤١٠/١٠).

تبنيه، شروط هذه البطولات- كالصيام- أن يكون عالماً ذاكراً مختاراً.

قضاء الاعتكاف:

١- من خرج من اعتكافه المستحب بعد الشروع فيه فإنه لا يلزمه القضاء ولكن يستحب فقط؛ لأن الأصل براءة الذمة، وهو مذهب الشافعية والحنابلة، وقول عند الحنفية.

٢- أمّا من ذدر اعتكافاً، ثم قطعه، أو أفسده؛ وجباً عليه قضاوه. نقل الإجماع على ذلك، ابن رشد، والزرقاني، وأبن قاسم. قال الزرقاني، (وأمّا المندور غير المعين، فلا خلاف في وجوب قضافه). "شرح الزرقاني على الموطأ" (٣١٤/٢).

أقل زمن للاعتكاف:

اختالف العلماء في أقل زمن للاعتكاف فذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا حد لاعتكافه، وهو مذهب الحنفية، والشافعية، وقول للحنابلة، واختاره ابن حزم، والشوكاني، وأبن باز، وحكي ابن عبد البر أنه قول أكثر الفقهاء. واستدلوا بعموم قوله تعالى: "وَلَا تُتْبِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَذَّابُهُنَّ فِي الْسَّجْدَةِ" (البقرة، ١٨٧).

قال ابن حزم، "الاعتكاف في لغة العرب الإقامة.. فكل إقامة في مسجد لله تعالى بنية

سبيل المؤمنين

في فقه التعامل مع المخالفين

معاوية محمد هيكل

رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو في باب الاجتهداد، ثم قال: «وغير ذلك مما اختلفوا فيه، و كانوا مع ذلك أهل مودة وتفاصل، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة، فلما حدث الأهواء المردية التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهرت العادات وتحزب أهله، فصاروا شيئاً وأحزاباً؛ دل على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه»، (الاعتصام ٢٣١/٢).

ويقول ابن تيمية، وأما الاختلاف في الأحكام، فاكتثر من أن ينضبط، ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير، (مجموع الفتاوى ١٧٣/٢٤).

ويقول شيخ الإسلام-رحمه الله-، «وهذا التفرق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبارها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها.. وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا أصلحوا وملكو؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب» (مجموع الفتاوى ٤٢١/٣).

أما الخلاف فإنه لا يلزم متى كان في المسائل

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد، فقد تضافرت نصوص الشريعة التي تأمر الناس بالاعتصام بالسنة، وتوجب عليهم لزوم الجماعة، وتحذرهم من الشذوذ والفرقة؛ لأن الافتراق وصف مذموم في الشرع الحنيف، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا يَشْيَأُونَ لَتَتَّبَعُونَ» (الأعراف ١٥٩)، وقد نهى الله تعالى عنه شيئاً مطلقاً كما قال: «وَاعْتَصِمُوا بِعِبْدِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفَرُوا» (آل عمران ١٠٣)، وقال: «أَنْ أَفِيلُ الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ» (الشورى، ١٣).

وقال تعالى: «وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَّشُوا وَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَنْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأفظال، ٤٦).

أما الاختلاف فإنه قد يكون رحمة، وأهله معذرون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، «والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يُفضِ إلى شر عظيم من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتاباً سماه، كتاب الاختلاف، فقال أحمد، سمه كتاب السعة، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاوه، مما في ظهوره من الشدة عليه، (مجموع الفتاوى ١٥٩/١٤).

وقد وقع الخلاف بين أفضل قرون هذه الأمة من الصحابة والتابعين ولم يوجب افتراقاً ولا شقاوة، ولذا لم يكن مذموماً، وقد نقل الشاطبي جملة مما اختلف فيه أصحاب



أن يتَّحَلُّ بها في لَجْجِ الْخَلَافِ، خُلُقُ العَدْلِ، وَالْإِنْصَافِ. فَإِنْ صَدَقَ التَّجَرُّدُ فِي طَلْبِ الْحَقِّ، وَالْإِنْصَافِ فِي اسْتِبْيَانِ سَبِيلِهِ، لَا يَتَمَّ لَعِبْدُ إِلَّا إِذَا تَخَلَّصَ مِنْ أَرْدِيَةِ التَّعَصُّبِ الْأَعْمَى؛ سَوْءَ تَعَصُّبِ لِرَأْيِهِ أَوْ لِرَأْيِ مَتَّبِعِهِ؛ فَإِنَّ التَّعَصُّبَ يُعْمِي وَيُصْمِّمُ عَنِ الْهَدَىِ، وَيَقْعُدُ بِدُولِيهِ عَنِ التَّبَاعِ الْحَقِّ، وَقَلَّ أَنْ تَجَدْ مَتَّعِصِّبًا إِلَّا وَهُوَ يَتَقْلِبُ فِي سَلْسَلَةِ مِنَ الْأَقْاتِ، فَهُوَ يَرِي مَحَاسِنَ مَا يَسْتَحِسِنُهُ مِنْ رَأْيِهِ وَمَذْهَبِهِ، وَيَعْمِي عَنِ مَسَاوِيَهِ، وَلَا يَرِي نَقْدَةً— وَلَا بِالْأَدْلَةِ— إِلَّا ضَرِبَاً مِنَ الْحَسَدِ، كَمَا يَعْتَقِدُ أَنْ تَعَصُّبَهُ لِرَأْيِهِ ثَبَاتٌ عَلَىِ الْجَقِّ، وَالْمَدْفَاعُ عَنْ فَهْمِهِ لِلْدَلِيلِ انتِصَارٌ لِلْدَلِيلِ، وَيَظْنُنُ الْإِطْلَاعَ عَلَىِ أَدْلَةِ مَخَالِفِهِ تَعْرُضًا لِلشَّبَهِ، وَيَنْشُفُ بِيَاهْمَارِ مَذْهَبَهُ عَنِ إِمْعَانِ التَّثْبِيتِ وَالْمَرْاجِعَةِ لِأَفْكَارِهِ. (ركائز الانصاف، ص ٢٣ بتصريف).

وَالَّذِي يُمْلِيَهُ صَدَقُ التَّدِينِ وَتَقوِيَ اللَّهُ عَلَىِ كُلِّ عَبْدٍ، هُوَ الْقَوْلُ بِالْحَقِّ عَلَىِ مَقْتَضِيِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ لَا يُعْوِّقُهُ إِنْ كَانَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ يَقُولُ اللَّهُ— تَبَارَكَ وَتَعَالَى—: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا كُوُّتُوا فَوَمِينَ بِالْقَسْطِ شَهَادَةً لِلَّهِ وَلَوْلَئِنْ أَنْفَسْكُمْ أَوْ أَلْوَلِيَّتُمْ كَوَافِرَ إِنْ يَكُنْ عَنْكُمْ أَذْنَقَرَ كَذَّالَةً أَوْلَى). يَهْمَّا فَلَا تَشَعُّوْ المَوْرَى أَنْ تَتَّلَوْا وَلَمْ تَأْتُوا أَنْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَسْتَعْلَمُ حَيْثَا (النساء، ١٢٥). هذه الآية العظيمة احتوت مَعَالِمَ الْحَقِّ، وَدَلَّتْ عَلَىِ مَوَازِينِ الْعَدْلِ، الَّتِي لَا يَتَّخِرُ نَفْعُهُ عَمَّنْ تَدْبِرُهَا، فَعَمِلَ بِهَا، فَهِيَ مِنَ الْمَنْجِيَاتِ مِنْ مَقْبِتِ التَّعَصُّبِ؛ يَقُولُ— سَبِحَانَهُ—: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا كُوُّتُوا فَوَمِينَ بِالْقَسْطِ) (النساء، ١٢٥)؛ أي، بِالْعَدْلِ وَقَوْلِ الْحَقِّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ بِرَاهِينَهُ، (شَهَادَةُ اللَّهِ) (النساء، ١٢٥)، الشَّهَادَةُ بِالْحَقِّ تَكُونُ لِلَّهِ— سَبِحَانَهُ— ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، لَا افْتِصَارًا لِلنَّفْسِ أَوْ الْعَالَمِ الْمُتَبَعِ، (وَلَوْلَئِنْ أَنْفَسْكُمْ) (النساء، ١٢٥)؛ أي، أَشْهَدُ الْحَقِّ وَلَوْ عَادَ ضَرُّهَا عَلَيْكِ، وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْأَمْرِ فَقُلِّ الْحَقُّ فِيهِ.

(فَلَا تَشَعُّوْ المَوْرَى) (النساء، ١٢٥) من حظوظ النَّفْسِ بِالتَّعَصُّبِ لَهَا أَوْ لِقَرِيبِهِ، أَوْ لَشَيْخِ حَبِيبٍ، لَأَنْ ذَلِكَ يَحْبِسُكُمْ عَنْ (أَنْ تَتَّلَوْا) (النساء، ١٢٥)، (وَلَمْ تَلْوُا) (النساء،

الَّتِي يَسْوَغُ فِيهَا الْاجْتِهَادُ وَابْدَاءُ الرَّأْيِ، وَهُوَ مَا لَا يَعْرِضُ قَاطِعاً مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجْمَاعِ الْأَمَّةِ. سَوْءَ مِنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ أَوْ أَوْضَاعِ الدُّعَوَةِ وَأَحْوَالِ الْعَمَلِ.

وَيَلْخَصُ ابنُ الْقِيمِ الْمَعْنَى الَّذِي نَرِيدُ بِقَوْلِهِ: ”وَقَوْعُ الاختِلَافِ بَيْنَ النَّاسِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا بَدْ مِنْهُ لِتَفَوُّتِ إِرَادَتِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ وَقُوَّى إِدْرَاكِهِمْ، وَلَكِنَّ الْمَذْمُومَ بِفِي بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَعَدْوَانَهُ، وَلَا إِذَا كَانَ الاختِلَافُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَؤْدِي إِلَى التَّبَيِّنِ وَالْتَّحْزِبِ، وَكُلُّ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ قَصْدُ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَمْ يَضُرْ ذَلِكَ الاختِلَافُ، فَبَانَهُ أَمْرٌ لَا بَدْ مِنْهُ فِي النَّشَأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ“ (الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ ٢/٥١٩).

قواعد التعامل مع المخالف:

ولتحصيل الأخوة الإيمانية واجتماع الكلمة ونبذ الفرقـة وسائل يمكن استلهامها واستنباطها من النصوص الشرعية والأقوال السلفية منها:

القاعدة الأولى: الإنصاف ونبذ التَّعَصُّبِ، فَمَنْ تَقْضِيَ مِنْ أَحْوَالِ الْأَمَّةِ أَخْبَارَهَا، وَسَيَرِي بِفَكِّهِ أَغْوَارَهَا، أَنْفَى أَنْ كَثِيرًا مِنْ مَظَاهِرِ التَّشَرِّذِمِ، وَانتِفَاشِ الْبَاطِلِ، مَرْدُ شَطَرِ كَبِيرِهِمْ إِلَى تَغْيِيبِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَالرُّكُونُ إِلَى الْهُوَى وَالْأَجْحَافِ.

وَمَا تَقْذِفُ بِهِ بَعْضُ الْمَطَابِعِ مِنْ أَسْفَارِهِ وَمَا يَجْرِي عَبْرِ وَسَائِلِ التَّوَاصِلِ، شَنَّ بَهَا أَصْحَابُهَا هَجُومًا مَضَارِيَا عَلَى قَضَائِيَا الْإِخْتِلَافِ، مِنْ خَلَالِ كِتَابٍ وَمَقْلَالَاتٍ وَخَطْبٍ وَبِيَانَاتٍ عَبْرِ الْفَضَائِلِ تَقْطُرِ غَيْبَةً وَنَمِيمَةً وَتَبْدِي عِيَا وَتَفْسِيْقاً وَتَجْرِيْخَا لِلْأَبْرِيَاءِ مِنَ الدُّعَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ، تَشَهَّدُ نَاطِقَةً بِنَعِيِ الإنْصَافِ، وَنَدِرَةً أَهْلِهِ الْأَشْرَافِ، ”وَصَدَقَ مَالِكُ بْنُ دِيَنَارٍ يَوْمَ أَنْ قَالَ: “لَيْسَ فِي النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلَى مِنَ الْإِنْصَافِ“، وَقَالَ جَعْفُرُ بْنُ سَعْدٍ: ”مَا أَقْلَى الْإِنْصَافُ! وَمَا أَكْثَرُ الْخَلَافَ!“ (الأدَابُ الشَّرِعِيَّةُ؛ لِابْنِ مَلْجَهِ ٢/١٨٨).

وَكَمَا قَالَ الْمَتَّبِنيُّ:

وَلَمْ تَرْلِ قَلْةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذُوِيَّ رَحْمٍ بِذَلِكَ فَبَانَ تَاجُ الْأَوْصَافِ، الَّتِي يَنْبَغِي



والسir على مسار الحجّة، مع التفاصي عن منازل القائلين بها ورتبهم؛ تجرداً للحق المبين، وتحرزاً من التعصب المقيت؛ كما قال ابن تيمية - رحمة الله -، "ولا يجوز لأحد أن يرجح قوله على قول بغير دليل، ولا يتغىّب لقول على قول، ولا لقائل على قائل بغير حجّة" (إقامة الدليل على إبطال التحليل ٢١٥/٢).

فالمنصف من يحفظ لأهل العلم مكاناتهم دون أن يجعل لها دخلاً في وزان الآراء، ويستحضر أن العبرة ليست بقدر القائل، ولكن العبرة بما ساق من دلائل، ورحمه الله الألباني إذ قال، "الحق يُعرف بدوره ودلائله، لا بحالاته وقائله، عند أهل الإنصاف، وليس عند ذوي التعصب والاعتراض" (فقه الواقع؛ للمحدث الألباني رحمة الله تعالى، ص ٤).

نصيحة في فقه التعامل مع المخالف من الأفراد والجماعات والطوائف:

بعدما اتضح لنا مما سبق من حديث عن فضيلة الإنصاف وأهمية التخلق به في جمع الكلمة وقطع جذور الفرقـة والفتنة بين أبناء الأمة أقول، اعلموا رحمة الله أن الإنصاف يقتضي ووجوب علينا قبول الحق من جاء به لكونه موافقاً للدليل، مُؤيداً بالبراهين، ولا أثر لقائله - كائناً من كان - في قوله أو رفضه، وهذا كان أهل السنة يتقبلون ما عند جميع الطوائف من الحق، ويردون ما عندها من الباطل، بغض النظر عن المؤالي منها أو المغاديـ.

قال تعالى، «فَهَذِهِ اللَّهُرِبَكَ، أَمْتَوْلَيَاً أَنْشَلَنَّوْ
فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَأْذِنُهُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ
مُسْتَقِيمٍ» (البقرة، ٢١٣)، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، (... اهديني ما اختلف فيه من الحق يا ذننك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (رواه مسلم ٧٧٠).

وقال ابن القيم رحمة الله، " فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان، ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديـه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليـه، فهو من هدى الله ما اختلف فيه من الحق" (الصواعق المرسلة ٥١٦/٢).

(١٣٥)؛ أي، تحرّفوا، أَتُتَعَرِّضُوا (النساء، ١٣٥) عنها بالكتمان، (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ حَيْثُماً) (النساء، ١٣٥)، وسيجازيكم بذلك. (تفسير ابن كثير ٤٣٣/٢).

وقال تعالى: «وَلَا يَخْرُجَنَّكُمْ شَيْئاً فَوْمَ عَلَى
الْأَنْعَدِلُوا أَعْدَلُهُمْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» (المائدـة، ٨)، ومن الإنصاف والعدل فيهم قبول ما عندـهم من الحق، قال شيخ الإسلام - رحمة الله -، "وهذه الآية نزلت بسبب بغضـهم للكفار، وهو بغضـ مأمورـه، فإنـ كانـ البغضـ الذي أمرـ اللهـ بهـ قدـ تـهىـ صـاحـيـهـ أنـ يـظـلـ مـنـ اـبـغـضـهـ، فـكـيفـ فيـ بـغـضـ مـسـلـمـ يـتـاوـيلـ وـشـبـهـةـ أوـ بـهـوـيـ نفسـ فـهـوـ أـحـقـ أـنـ لـاـ يـظـلـ" (منهجـ السنـةـ ١٢٧/٥).

وعن عبد الله بن عمرو قال، قال صلى الله عليه وسلم، "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرِ
مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكُلَّتَا يَدِيهِ يَمِينَ-
الَّذِينَ يَعْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ، وَمَا وَلُوا" (رواه مسلم ٤٨٢٥).

وقال عمار رضي الله عنه، "ثلاث من جمعـهنـ، فقدـ جـمعـ الإـيمـانـ، الإنـصـافـ منـ نفسـكـ، وـيـنـذـلـ السـلامـ لـلـعـالـمـ، وـالـإـنـفـاقـ مـنـ الـإـقـتـارـ" (رواه البخارـيـ مـعـلـقاـ؛ انـظـرـ صـحـيـحـ البـخـارـيـ معـ الفـتـحـ ٨٣/١).

وقال ابن القيم - رحمة الله -، في كتابه، إعلام الموقعين، (٤٩٧/٣)، "وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْبُبُ الْإِنْصَافَ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ حَلْيَةٍ تَحْلُى بِهَا الرَّجُلُ، خَصْوَصاً مَنْ تَصْبِحُ نَفْسَهُ حَكْمًا بَيْنَ الْأَقْوَالِ
وَالْمَذَاهِبِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ، «وَأَمْرَتُ
لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ»، (الشورى، ١٥)؛ فورثة الرسول
مَنْصِبَهِمُ الْعَدْلُ بَيْنَ الطَّوَافِـ، وَلَا يَمِيلُ أَحَدُهُمْ
عَـمـقـيـهـ وـذـوـيـهـ مـذـهـبـهـ وـطـائـفـهـ وـمـتـبـوـعـهـ،
بـلـ يـكـونـ الـحـقـ مـطـلـوـبـهـ. يـسـيرـ بـسـيرـهـ، وـيـنـزـلـ
بـتـزـولـهـ، يـدـيـنـ بـدـيـنـ الـعـدـلـ وـالـإـنـصـافـ...ـ".

قال ابن عبد البر رحمة الله، "من بركة
العلم وآدابـهـ، الإنـصـافـ فـيـهـ، وـمـنـ لـمـ يـنـصـفـ، لـمـ
يـفـهـ وـلـمـ يـتـفـهـ" (جامعـ بـيـانـ الـعـلـمـ وـفـضـلهـ:
٢٥٨/١).

فـالـقـرـئـ، أـنـ الـمـيـارـ وـقـاعـدـةـ الـاعـتـيـارـ فـيـ قـبـولـ
الـأـقـوـالـ وـتـرـجـيـحـ الـاجـتـهـادـاتـ، هوـ قـضـوـ الدـلـيلـ.



البدعية، ولكن يسلب مع ذلك ما مدح به غيره على فعل بعض الحسنات السنوية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائمًا بالقسط الذي أنزَلَ اللَّهُ لِهِ الْكِتَابَ الْمِيزَانَ». (مجموع الفتاوى١٠/٣٦٦).

ولذلك «كان أئمَّةُ السَّلْفِ الْمُجَمِّعِ عَلَى عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، يَقْبَلُونَ الْحَقَّ مِنْ أُورَدَهُ عَلَيْهِمْ، وَيَوْصَوْنَ أَصْحَابَهُمْ وَأَتَبَاعَهُمْ بِقَبْوُلِ الْحَقِّ إِذَا ظَهَرَ فِي غَيْرِ قَوْلِهِ» (الفرق بين التصيحة والتغيير/ابن رجب ص٢).

وفي الختام بعد ذلك نقول، لا يصح ولا يجوز بأي حال لجماعة أو طائفة أن تجعل كل همها واهتمامها بتشويه أخرى غيرها وتجرحها، بمناسبة وغير مناسبة، وكأنها منيع لكل شر، ومصدر لكل جرور، وليس فيها من الخير شيء، وهذا من الظلم والعدوان، ولا يرضي الواحد الديان، بل هو اتباع لخطوات الشيطان والطريق إلى الخسران، ثم هم في المقابل لطائفتهم يتغصبون، وعن أقوال قادتهم ينافحون، ولا خطائهم يبررون، وكأنهم معصومون، ومن كل عيب مبررون، أما غيرهم فلا خطائهم يجسدون وبالضوء عليها يسلطون، وباصحابها يشتعلون، وكأنهم مجرمون، وهذا من أعظم الغرور والزور الذي ابتلينا به في هذه العصور، وزكاء للفتان والصراعات والشرور، مما ينذر بعواقب وخيمة، وبلايا جسيمة على البلاد والعباد.

فكن متصفاً وتمسك بالحق، «دون أن تجرون»، وخذ من كل طائفة ما معها من الحق فإن الحق عليه نور، ولا تتغصب لطائفة على الإطلاق، فإن التعصب ممقوت ومذموم ومشؤوم، ودر مع الحق حيث دار، مقتضاها منهج الآخيار، فالحق لا يعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، ولا تننس أنك بين يدي الله مسئول.

وفي ذلك سلوك لسبيل المؤمنين في التعامل مع طائف المخالفين، وتجاهله لك يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

«فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّبِعَ هَذِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْوُلِ الْحَقِّ مِنْ جَاءَ بِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَعَدُوٍّ وَحَبِيبٍ وَغَيْرِهِنَّ، وَيَرْدُدُ الْبَاطِلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ كَانَتْ مَنْ كَانَ» (إعلام الموقعين١٤٤/١٠٤).

وقد علمنا ربنا في القرآن ذلك حين ساق كلام ملكة سبا - وقت كفرها - ثم وافتها عليه، قال تعالى - عنها - «تَأَلَّتْ إِنَّ الْمُلُوَّكَ إِذَا نَكَلَ أَقْرِبَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَمَهَا أَذْلَّهُ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ»، (النمل، ٣٤).

ولنا دل الشيطان أبو هريرة رضي الله عنه إلى آية الكروبي لتكون له علاجاً وحرزاً من الشيطان، وذلك مقابل فكه من الأسر، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقك وهو كذوب» (روايه البخاري ٢٣١١).

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله مبيناً منهجه في التعامل مع طائف المخالفين له من أهل الكلام وغيرهم، (وئيس كل من ذكرنا شيئاً من قوله - من المتكلمين وغيرهم - يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به) (مجموع الفتاوى١٥/١٠١).

وقال موضحاً الميزان الدقيق في التعامل، «إذا اجتمع في الرجل الواحد، خير وشر، وير وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة.... هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعزلة ومن وافقهم فلم يجعلوا الناس الامستحقة للثواب فقط أو مستحضاً للعقاب فقط» انتهى (مجموع الفتاوى٢٨/٢٠٨).

وقال أيضاً: «وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران، كالذم والنهي، والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يملاح الرجل بتترك بعض السينيات



سبيل المؤمنين

في فقه التعامل مع المخالفين

معاوية محمد هيكل

اصلاح ذات البين

الحاجة الثانية

فيريضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا. ويكُرَّهُ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (صحيح مسلم: ١٧١٥).

اصلاح ذات البين:

إن رابطة الدين تتلاشى أمامها رابطة النسب والعصبية؛ لأن التفرق من خصائص الجahادية، ولن يوتى المسلمون من قلة عددهم، ولكن يؤتون من قبل ذنبوبهم، ومن أعظمها، التفرق والاختلاف، ولقد كان من أعظم الدروس التي استفادها المسلمون يوم بدر واحد، هو درس الوحدة والاختلاف، ونبذ الفرقـة والاختلاف؛ ففي غزوة بدر لما اختلف الصحابة في أمر القتال أنزل الله عز وجل، «يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ أَلَا أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاقْتُلُوا أَلَا اللَّهُ وَآصِلُّوْهُ ذَاتَ يَتِيمِكُمْ» (الأنسال: ١)، أي، أصلحوا ما بينكم من التناحر والتقطاع والتداير بالتواد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع والتناحر والتشارجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين، تحسين الخلق لهم والعفو عن المسيئين منهم، فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغض والإدبار». اهـ (تفسير السعدي: ٣٤٦).

وفي غزوة أحد، وبعد أن مُنِيَ المسلمون بالهزيمة؛ بسبب مخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الصحابة رضي الله عنهم، «أَنَّى هَذَا؟ أَيْ، مَنْ أَنْصَبْنَا مَا أَصَبْنَا وَهُزِمْنَا؟ أَخْبَرْهُمْ رِبَّنَا فَقَالَ، «قُلْ هُوَ مَنْ عَنِيْتُمْ أَنْقِسْكُمْ» (آل عمران: ١٦٥)، حين تنازعتم وعصيتم من بعد

الحمد لله، والصلة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فقد تحدثنا في العدد الماضي عن قواعد فقه التعامل مع المخالفين، وذكرنا أول هذه القواعد وهو الإنعام ونبذ التعصب، وفي هذا العدد تكمل ما بدأناه، فنقول وبالله التوفيق، القاعدة الثانية: العرص على الاعتصام والاختلاف، ونبذ الفرقـة والاختلاف،

لقد أمنَ الله تعالى على عباده المؤمنين بنعمـة الوحدة والاعتصام بحبله المتين فقال سبحانه، «وَاعْصِمُوا بَعْثَلَ اللَّهَ جَمِيعًا وَلَا تَنْقِرُوا وَإِذْ كُرِّرَتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُرِّرَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ فَالَّذِي يَعْلَمُ فَأَصْبِحُمْ يَنْعِمُونَ إِخْرَانًا» (آل عمران: ١٠٣).

وبيـن سـبحـانـه وتعـالـيـه أـنـهـ مـنـ أـعـظـمـ أـسـابـيـبـ النـصـ فـقـالـ عـنـ مـنـ قـاتـلـ، «وَإِنْ يُرِيدُوا أـنـ يـعـدـ عـوـرـاـ فـقـالـ حـنـبـلـ اللـهـ هـرـ الـذـيـ لـيـكـ يـتـعـصـبـ وـالـقـوـمـ يـرـبـيـنـ وـالـذـيـ يـتـبـيـعـ قـلـوـبـهـمـ وـلـيـكـنـ أـلـلـهـ أـلـفـ يـتـبـعـهـ حـكـيـمـ»، (الأنسـالـ: ٦٢-٦٤)، فـالـتـأـيـدـ حدـثـ بـاـمـرـ رـبـانـيـ، وـأـمـرـ مـعـنـوـيـ، وـهـوـ اـجـتـمـاعـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـالـفـ قـلـوـبـهـمـ.

كـماـ حـذـرـ رـبـنـاـ تـبـارـكـ وـتـعـالـيـهـ مـنـ الفـرـقـةـ وـنـتـاشـجـهاـ فـقـالـ سـبـحـانـهـ، «وـلـاـ تـكـرـرـنـ كـالـذـيـ نـقـرـرـوـ وـأـخـتـلـفـوـ مـنـ بـعـدـ مـاـ جـاءـهـ الـبـشـرـ وـأـلـقـبـهـ لـهـ عـذـابـ عـظـيـظـ يـوـمـ يـقـيـضـ وـجـهـ وـيـسـودـ وـجـوـهـ قـاـمـاـ الـلـيـلـ أـسـوـدـ وـجـوـهـهـمـ أـهـرـمـ بـعـدـ إـبـتـيـعـمـ فـدـقـوـقـ الـذـادـ يـمـاـ كـمـ تـكـرـرـنـ»، (آل عمران: ١٠٥-١٠٦).

وقـالـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، «إـنـ اللـهـ يـرـضـيـ لـكـمـ ثـلـاثـاـ وـيـكـرـهـ لـكـمـ ثـلـاثـاـ»،



لْتَقِيمَ صَفْوَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
قَالَ فِرَايَتِ الرَّجُلُ يَلْصَقُ مِنْكُبَهُ بِمِنْكُبِ صَاحِبِهِ
وَرِكْبَتِهِ بِرِكْبَةِ صَاحِبِهِ وَكَعْبَهُ بِكَعْبَهِ۔ (السلسلة
الصحيحة) (٧١/١).

هذا هو طريق النجا

في ظل هذا الواقع المؤسف الذي تعشه الأمة والذى ضربت فيه الفرقـة بأطنابها في كل اتجاه، يجب علينا أن نزن تصرفاتنا بميزان الشرع الحكيم، وأن نعيد النظر من جديد في طريقة التعامل وأسس الحوار والتعايش فيما بيننا، فمن استمسك بدين الله أحببناه وواليناه، ومن وقع منه بعض الأخطاء والمخالفات التي لا تخرجه عن داشرة الإسلام، فإن عقد الأخوة لا يزال باقـيا له مع استمرار النصح له دائمـاً، وبغضـ ما يأتـه من مخالفـات، فنحبـه من وجهـه، ونبغضـه من وجهـ آخرـ وهذا هو المنهـج الصحيح لقاعدة العـبـ والبعـضـ، وأسـاسـها قولـ الله عـزـ وجلـ: «وَآخـرـونـ أَعـرـوا يـدـؤـبـهـ خـاطـئـا عـمـلاـ وَآخـرـ سـيـئـا عـنـ اللـهـ أـنـ يـتـبـ عـلـيـهـ لـمـ أـنـهـ عـنـوـرـ رـحـمـ» (التوبـةـ، ٢٠، ١٠).

فمن أخطأ أو زلـ فلا يتبغـي أن تبغـضـهـ أو نذمهـ بـإـطـلاقـ كما فعلـتـ الخـواـجـ، فـكـفـرـواـ مـرـتكـبـ الـكـبـائـشـ وكـذـلـكـ لا نـمـدـحـهـ بـإـطـلاقـ، وـلـاـ تـرـفـعـهـ لـدـرـجـةـ جـبـرـيلـ وـمـيـكـائـيلـ، عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ، وـأـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ، كـمـاـ فـعـلـتـ الـمـرـجـنةـ. وـإـنـماـ دـيـنـ اللـهـ وـسـطـ بـيـنـ الـفـالـيـ فـيـهـ وـالـجـلـيـ عـنـهـ.

التوحيد أساس الوحدة

نـحنـ حـيـنـماـ نـدـعـوـ لـلـاـنـتـلـافـ لـاـ نـعـنـيـ الـاـنـتـلـافـ مـعـ أـصـحـابـ الـمـذاـهـبـ الـضـالـلـةـ وـالـمـنـحرـفـةـ عـنـ مـنـهـجـ أـهـلـ السـنـةـ مـنـ الـخـواـجـ وـالـرـوـافـضـ، وـالـقـدـرـيـةـ وـالـمـعـتـزـلـةـ، وـغـيـرـهـمـ مـنـ فـرـقـ الـضـلـالـ الـمـنـحرـفـةـ عـنـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ. بـلـ لـاـ بـدـ مـنـ التـفـرـقـةـ فـيـ دـعـوتـاـ لـلـوـحـدـةـ وـالـاـنـتـلـافـ، بـيـنـ هـوـلـاءـ الـمـبـتـدـعـةـ مـنـ الـفـرـقـ الـضـالـلـةـ وـبـيـنـ الـمـخـلـفـينـ مـنـ أـهـلـ السـنـةـ الـمـتـبـعـينـ مـنـهـجـ السـلـفـ؛ فـهـوـلـاءـ هـمـ الـذـيـنـ نـسـعـيـ لـتـالـيـفـ قـلـوبـهـمـ وـجـمـعـ صـفـوـفـهـمـ. إـنـصـافـ أـهـلـ السـنـةـ وـدـفـاعـهـمـ عـنـ عـلـمـاءـ الـأـمـةـ؛

ما أراكـمـ مـاـ تـحـبـونـ، فـعـودـواـ عـلـىـ أـنـفـسـكـمـ بـالـلـوـمـ، وـاحـذـرـواـ مـنـ الـأـسـبـابـ الـمـهـلـكـةـ.

وـفـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ، مـاـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـلـصـحـابـةـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـوـمـ الـأـحـزـابـ، (لـاـ يـصـلـيـنـ أـحـدـ الـعـصـرـ إـلـاـ فـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ)؛ فـإـذـرـكـ بـعـضـهـمـ الـعـصـرـ إـلـاـ طـرـيقـ، فـقـالـ بـعـضـهـمـ: لـاـ نـصـلـيـ حـتـىـ تـأـتـيـهـاـ، وـقـالـ بـعـضـهـمـ: بـلـ نـصـلـيـ، لـمـ يـرـدـ مـاـنـ ذـلـكـ. فـذـكـرـ ذـلـكـ لـلـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـلـمـ يـعـنـفـ وـاحـدـاـ مـنـهـمـ. (صـحـيحـ الـبـخـارـيـ) (٤١٩).

فـقـدـ اـخـتـلـفـ الصـحـابـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ وـهـمـ فـيـ طـرـيقـ عـنـدـمـاـ حـانـ وـقـتـ الـعـصـرـ، فـمـنـهـمـ مـنـ صـلـاـهـاـ لـأـنـ الـصـلـاـةـ لـمـ يـقـاتـلـهـ، وـمـنـهـمـ مـنـ أـخـرـهـاـ حـتـىـ صـلـاـهـاـ بـعـدـ وـقـتـهـاـ فـيـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ؛ أـخـذـاـ مـنـهـ بـظـاهـرـ النـصـ، فـلـمـ يـعـنـفـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـحـدـاـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ، بـلـ اـسـتـأـصـلـ مـادـةـ الـخـلـافـ وـالـنـزـاعـ وـصـفـهـمـ جـمـيعـاـ صـفـاـ وـاحـدـاـ كـالـبـنـيـانـ الـرـصـوـصـ لـقـتـالـ الـعـدوـ.

وـالـجـمـيلـ هـنـاـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـ يـخـبـرـهـمـ مـنـ الـأـقـرـبـ لـلـصـوـابـ وـلـمـ يـخـبـرـهـمـ بـمـاـ كـانـ يـقـصـدـ لـيـظـلـ الـجـمـيعـ مـتـحـابـيـنـ مـاـ دـامـ الـجـمـيعـ مـجـتـهـدـيـنـ وـلـمـ يـقـصـرـوـاـ.

وـهـذـاـ يـؤـصـلـ أـصـلـاـ شـرـعـيـاـ مـهـمـاـ كـمـ قـرـرـهـ الـفـقـهـاءـ، وـهـوـ أـنـ الـخـلـافـ فـيـ الـفـهـمـ فـيـ مـسـائلـ الـفـرـوعـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـؤـدـيـ إـلـىـ الـتـنـازـعـ وـالـفـرـقـةـ؛ لـأـنـ كـلـاـ الـفـرـيقـيـنـ مـجـتـهـدـ وـيـتـرـدـدـانـ بـيـنـ أـجـرـ وـأـجـرـيـنـ، فـكـلـاـهـمـ مـحـسـنـ.

وـلـاـ يـمـكـنـ بـأـيـ حالـ مـنـ الـأـحـوـالـ الـقـضـاءـ أـبـداـ عـلـىـ الـخـلـافـ فـيـ مـسـائلـ الـفـرـوعـ مـاـ دـامـ دـلـيـلـهـ ظـنـيـاـ مـحـتمـلـاـ؛ إـذـ لـوـ أـمـكـنـ ذـلـكـ لـكـانـ أـولـىـ الـعـصـورـ بـهـ عـصـرـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـلـكـانـ أـولـىـ النـاسـ بـأـلـاـ يـخـتـلـفـوـهـمـ أـصـحـابـهـ، فـمـاـ بـالـهـمـ اـخـتـلـفـوـهـمـ مـعـ ذـلـكـ كـمـاـ قـدـ رـأـيـتـ؟!

أثر الوحدة الظاهرة في تأليف القلوب

وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ مـرـاعـةـ أـمـرـ الـوـحـدـةـ الـظـاـهـرـةـ وـأـثـرـهـ مـعـ الـأـعـمـالـ الـقـلـبـيـةـ الـبـاطـنـةـ قـوـلـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـهـوـ يـسـوـيـ صـفـوـفـ أـصـحـابـهـ فـيـ الـصـلـاـةـ، قـائـلـاـ: «أـقـيـمـواـ صـفـوـقـكـمـ (ثـلـاثـاـ) وـالـلـهـ

أهل السنة والجماعة منصفون في الحكم على الآخرين، لا يرعنون أن الناس فوق ما يستحقون، ولا ينقصون قدرهم، ومن الإنفاق بيان خطأ المخطئ من أهل العلم والفضل، والتأنى له، والترحم عليه، كما أن من الإنفاق التحذير من خطأه؛ لئلا يفتر أحد بمكانته فيقلده فيما أخطأ فيه، وأهل السنة لا يتواون عن الحكم على من خالف السنة عمداً بأنه مبتدع ضال.

وقد ثبتت في زماننا ثابتة لم تعرف عقولها إلى العلم سبيلاً، ولا إلى الإنفاق طريقاً ثالثاً من الإمامين الجليلين ابن حجر والتوكوي خاصة، فحكموا عليهما بأنهما من أهل البدع الضالين، وبلغت السقاية بعضهما أن قال بوجوب إحراق كتابيهما «فتح الباري» و«شرح مسلم» .

وهذا من التطاول القبيح على علماء السلف، وليس معنى هذا أنهما لم يخططا في مسائل وبخاصة في باب صفات الله تعالى، وقد علق عليهما علماؤنا، وبينوها، وردوا عليهما، مع الترحم عليهما، والثناء بما يستحقانه، والدعاء لهم، والوصية بالاستفادة من كتبهما، وهذا هو الإنفاق الذي عُرف به أهل السنة والجماعة، بخلاف من بدأ بهما، وضللهما، وبخلاف من استدل بكلامهما كأنه شرع منزل، وجعل ما يعتقد أنه هو الحق الذي لا ريب فيه، واليك باقة من كلام علمائنا لنقف على الإنفاق والعلم والحكم بالعدل على هذين الإمامين.

قال علماء الجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «موقفنا من الإمام التوكوي والحافظ ابن حجر والباقلاني، والبيهقي، وأبي الفرج بن الجوزي وأمثالهم من تأول بعض صفات الله تعالى، أو فوّضوا في أصل معناها: أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عنا

خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرن الثلاثة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالقوها فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمة الله، سواء تأولوا الصفات الذاتية، وصفات الأفعال، أم بعض ذلك. «فتاوي الجنة الدائمة» ٢٤١/٣).

كونوا سلفيين على الجادة؛

فإن المتأمل في سيرة سلفنا ومن سار على نهجهم من الأئمة وعلماء الأمة يجد أنهم اختلفوا وتعددت اجتهاداتهم في كثير من القضايا العلمية والعملية، وتنج عن ذلك تعدد المدارس الدعوية والمذاهب الفقهية، وقع بعضهم في أخطاء اجتهادية وتأويلات بعيدة، ولكن الإخلاص في النية لله وحده، والصدق في القول والعمل، والالتزام بالعلم الشرعي والأخلاق النبوية الكريمة جعلهم يحرضون على وحدة الكلمة والمحافظة على الجماعة، والأدب في الحوار، والصبر على المخالف، والدعاء له بالخير مع التزام ما يراه حقاً وصواباً، والدعوة إليه، ذلك أنهم كانوا يعون هذه الحقيقة جيداً.

فقد كان هدفهم الأساس التعاون فيما بينهم والمحافظة على جماعتهم واتلافهم ووحدة كلمتهم والوقوف صفاً واحداً أمام عدوهم المشترك هو حياتهم، وهو أعظم ما ميزهم عبر العصور، وهو سر نصرهم في كل ميادين الحياة.

فرضي الله عنهم وأرضاهم فإنهم كانوا أئمَّةَ الأُمَّةِ قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه فاعرفاً لهم فضلهم، وتمسكواً بما استطعتم من أخلاقهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.



سبيل المؤمنين في فقه التعامل مع المخالفين

(ضوابط فقه الخلاف وأقسامه)

معاوية محمد هيكل

أعداد

الحلقة الثالثة

المكره بالقدر المحبوب، والواجب اتباع الشرع والآيمان به، وليس ترك الشع ولاحتجاج بالقدر.

قال تعالى: **وَأَنْتُصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَيْبِعًا وَلَا تَنْرَقُوا** (آل عمران: ١٠٣).

فدللت الآية على أن الاجتماع يكون على حبل الله المنزل من السماء إلى الأرض، وهذا هو الاجتماع المأمور به شرعاً.

وهذا يوضح لنا المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه الاجتماع، وليس كما يظن البعض أن يجتمع الناس على أي شيء، وهذا مهم كبير لأن تجتمع القلوب على غير حبل الله المتين وشرع الله القويه.

وقال تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَنْرَقُوا وَأَخْلَقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** (آل عمران: ١٠٥).

فيه إشارة إلى أن الاختلاف المذموم والذي يؤدي إلى الافتراق؛ هو الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكثير بعض الأمة بعضاً، أو تفسيقه، دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو المعتبر عنه بالاجتهاد. ونحن إذا تقضينا تاريخ المذاهب الإسلامية لا نجد افتراقاً نشاً بين المسلمين إلا عن اختلاف في العقائد والأصول، دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشريعة.

«والبيانات» هي الدلائل التي فيها عصمة من الواقع في الاختلاف لو قيضت لها أفهم.

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي حديثنا عن «قواعد فقه التعامل مع المخالفين» نكمل ما بدأناه في العدد الماضي بالكلام عن القاعدة الثالثة وهي «ضوابط فقه الخلاف وأقسامه» فنقول وبالله التوفيق.

دلت الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة على وجود الاختلاف بين بنى البشر وتقدير الله ذلك عليهم، فهو أمر قدري كوني؛ قال الله تعالى: **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّلُونَ مُتَّفِقِينَ** ﴿١٦﴾ **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَنَّتَ كُلُّمَّا رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** » (هود: ١١٩، ١١٨).

قال ابن كثير رحمه الله: قال الحسن رحمه الله: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربكم، فمن رحم ربكم غير مختلف. فقيل له لذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه. وكذا قال عطاء والأعمش. اهـ.

وقد دلت الأدلة على أن الاختلاف بين الناس واقع لا محالة، وقضاء الله به نافذ لسبق الكلمة منه بتأجيل الفصل والقضاء بين الناس إلى أجل مسمى.

وهذا الاختلاف من قدر الله الذي أمرنا شرعاً أن نفر منه إلى قدر الله بالاختلاف والاجتماع، فندفع القدر بالقدر، وننزع القدر

وبيّنوا توضيحاً فنام، قلْتُ، الحمدُ للهُ الذي جعلَ في الأمْرِ سُعَةً. (صحيح سنن الترمذى، ٢٩٤٤).
والشاهد من هذا ظاهر، وهو جواز الأمرىء،
في الوقت، القراءة، والاغتسال من الجنابة.

(٢) ومن ذلك أيضاً، الاختلاف في وجوه القراءات، وصفة الأذان، والإقامة، وأدعية استفتاح الصلاة، والتشهد، ومحل سجود السهو، وصلة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنابة، ونحو ذلك مما قد شرع جميعه. (ينظر، الاقتضاء ١٣٢)، ومجموع الفتوى (٢٤٢/٢٤).

(٣) ومن هذا الباب، الواجب المخين، مثل، كفارة اليدين، قال تعالى، (فَكَفَرُهُمْ إِطْمَامُ عَشَرَةِ مَسَكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعِمُنَ أَهْلِكُمْ أَرْكَسُوهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَبَّةِ) (إمامدة، ٨٩)، فاي واحد من الثلاثة فعل، من الإطعام، أو الكسوة، أو العتق أجزاء، أما الصيام فلا يجوز الانتقال إليه إلا إذا عدلت الثلاثة.

ثانياً، اختلاف التضاد،

وهو أن يكون كل قول من أقوال المخالفين يضاد الآخر ويحكم بخطئه أو بطلانه في أصل الحكم الشرعي لا من جهة الفتوى.

ووقوع هذا النوع من الخلاف بين الملل والأديان من المعلوم بالضرورة والمجمع عليه بين المسلمين، ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة والمنافقون الذين ينادون بوحدة الأديان والمساواة بين الملل وأنها كلها حق وصواب وأنه لا فرق عندهم بين يهودي ونصراني. وقال تعالى، (وَمَنْ يَبْتَغَ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُفْلِحْ مَنْ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولن يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». (صحيح مسلم، ١٥٣).

أنواع اختلاف التضاد،

ينقسم اختلاف التضاد إلى خلاف سانع (أي معتبر وغير مذموم)، وخلاف غير سانع (أي غير معتبر ومذموم).

(التحرير والتنوير ٤/٤٣)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ناهيَا عن الاختلاف ومُحَذِّراً، (قال ذروني ما تركتم. فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلفُهم على أُنبِيائِهم) (صحيح مسلم، ١٢٣٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «لا تختلفوا فتختلف قلوبُكُم» (صحيح الترغيب ٥١٣).

والواجب الشعري عند الاختلاف يكون بأمرىء،

(١) السعي إلى التوحد والاجتماع على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

(٢) محاربة البدع والأهواء والانحرافات المنهجية التي كانت سبباً في تمزيق شمل الأمة واضعاف وحدتها.

أنواع الخلاف الواقع بين المسلمين:

ينقسم الخلاف الواقع بين المسلمين إلى:
اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التضاد ينقسم إلى، خلاف سانع (أي معتبر غير مذموم)، وخلاف غير سانع (أي غير معتبر مذموم).

أولاً، اختلاف التنوع

وهو ما كانت المنافة فيه لا تقتضي إبطال أحد القولين للأخر، لثبت صحتها في الشرع.
وأمثلة هذا النوع كثيرة منها،

(١) ما جاء عن عبد الله بن أبي قيس قال، (سألت عائشة عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف كان يوتر؟ من أول الليل، أو من آخره؟ فقالت، كل ذلك قد كان يصلي، ربما أوتر من أول الليل، وربما أوتر من آخره، فقال، الحمد لله الذي جعل في الأمْرِ سُعَةً. قلت، فكيف كان يصلي في الجنابة، أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت، كل ذلك قد كان يفعل، قد كان ربما أنس، وربما جهر، قال، فقلت، الحمد لله الذي جعل في الأمْرِ سُعَةً. قلت، فكيف كان يصلي في الجنابة، أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت، كل ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام،



أولاً، الخلاف السائغ المعتبر

وهو ما لا يخالف نصاً من كتاب أو من سنة
أو إجماعاً، أو قياساً جلياً، وهذا سواء في الأمور
الاعتقادية. وهذا نادر. أو في الأحكام بين
الفقهاء.

وهذا النوع من الخلاف يرجع إلى تفاوت
أفهام العباد، وتفاوت قدراتهم على البحث
والاجتهاد.

ضوابط الخلاف السائغ:

(١) حُكْمُ الدَّلِيلِ الراجِحِ مَعَ قَصْدِ الْحَقِّ،
كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله -، إنه إذا
كان في المسألة نصٌ خفي على بعض المجتهدين،
وتعذر عليهم علمه، ولو علم به لوجب عليه
اتباعه، ولكنه لما خفي عليه اتبع النص الآخر،
وهو منسوخ أو مخصوص، وهو لم يعلم بالدليل
المخصوص أو الناسخ أو لم يصح عنده (مجموع
الفتاوى ٣٦/٢٥-٣٧).

فالعامل قد يراجع المسألة وهو يريد الحق،
لكن خفي عليه الدليل الواضح الذي يحسن
المسألة، فهذا من الخلاف السائغ. وهذا أغلب
الخلاف الذي عليه الأئمة الأربع وغيرهم من
علماء الأمة رحمهم الله تعالى، فلا يُظنُ أبداً
بواحد منهم أنه يعتمد مخالفة الدليل.

(٢) عَدَمُ مُخَالَفَةِ النَّصْنَ الشَّرِيعِيِّ أو
الْإِجْمَاعِ،

وهو ألا يكون في المسألة نصٌ شرعي واضح،
ولا إجماع متيقن معلوم، فإذا اجتهد الفقيه
فيها، ويدلل فيها وسعه، فإن خلاف غيره من
العلماء سواء كانوا سابقين أو معاصرین،
فالخلاف يكون سائغاً، كما نصر ذلك شيخ
الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وهذا الضابط من أهم الضوابط، ولبيانه
يسوق مثلاً قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أَمْهَاتُكُمْ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِكَلْمَةِ (تحريم)
نَصٌّ فِي الْمَسَأَةِ، وَلَا يَمْكُنُ أَنْ يُنَاقِشَ هَذِهِنَّ قولَ،
هَلْ هَذَا حَرَامٌ أَمْ مَكْرُوهٌ؟ فَإِنَّهُ وَاضْعَفُ وَجْهُ
فِي أَعْلَى درجات الوضوء في ذَلِكَةِ الْأَفْلَاطُ، فَلَا
يُقْبَلُ أَبْدًا مُخَالَفَةً مَا جَاءَ فِيهِ نَصٌّ التَّحْرِيمِ،
بِخَلْفِ الْأَدْلَةِ الظَّاهِرَ مِنْهَا هُوَ التَّحْرِيمِ».

وغير ذلك من الدلالات التي هي أقل وضوها
من النص.

وكذلك مثل النص «الإجماع»، فإنَّ الأئمة
معصومة أن تجتمع على ضلاله، والإجماع
يدخل فيه ما علم من الدين بالضرورة.

(٣) لَا يَكُونُ الْخِلَافُ سَائِقًا إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَالْبَصِيرَةِ وَالْاجْتِهَادِ وَالْفِقَهِ فِي الدِّينِ،

فلا يفتح باب الاجتهاد على مصارعيه
لعموم الناس وكل شخص من طلاب العلم، بل
لابد له من ضوابطه. وضوابط الاجتهاد، أن
يبين العالم الفقيه المجتهد أقصى وسعة في
تحري الحق وقصده، عندئذ يكون الاجتهاد
ويكون التقلب بين الأجر والأجررين كما في
الحديث: (إذا حُكِمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَاصْبَرَ
فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)
(صحيح الترمذ، ٥٢٩٦).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنواع
المجتهدين فقال: «بِخَلْفِ الْجِنَاحِ وَهُوَ يُرِيدُ الْحَقَّ،
الْمَشْجُوجُ فِي الْبَرْدِ بِوَجْهِ الْفَسْلِ فَاغْتَسَلَ
فَمَاتَ، ظَرَبَهُ صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قَالَ: (قَتْلَوْهُ
قَتْلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟) فَإِنَّمَا شَفَاءُ
الْعَيْنِ السُّؤَالُ».

فإنكر عليهم «اجتهادهم». فهم اجتهدوا
عن غير أهلية، فليس عندهم مؤهلات
للاجتهاد، ولذلك إنكر عليهم النبي صلى
الله عليه وسلم، ولم يقل كما قال في الحديث
الآخر: (إذا اجتهد الحاكم فاصبر فله أجران)،
وان اجتبه فأخطأه فله أجر)، وإنما قال: (قتلوه
قتلهم الله، ألا سألهوا إذ لم يعلموا؟) فإنما شفاء
العين السؤال) فإن هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد
إذ لم يكونوا من أهل العلم». (مجموع الفتاوى
١٤١/٢٠).

(٤) لَا يَكُونُ الْخِلَافُ سَائِقًا مَعَ الْبَغْيِ،
وذلك أن البغي يعارض قصد الحق الذي
هو من لوازم الخلاف السائغ، قال تعالى: «وَمَا
اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ»؛ قال شيخ الإسلام،
«البغي إنما تضييع للحق، وإنما تعد للحق،
 فهو إنما ترك واجب، وإنما فعل محرم، فعلم أنه



بن سعيد الشالنجي، سأله أَحْمَدُ - أَيُّهُ أَبِنْ حَبْلٍ -، هَلْ تَرَى بِأَسَانِي أَنْ يَصْلِي الرَّجُلَ تَطْوِعاً بَعْدَ الْعَصْرِ وَالشَّمْسِ بِيَضَاءِ مِرْتَقَعِهِ؟ قَالَ: لَا نَفْعَلُهُ، وَلَا نَعِيبُ فَاعِلَّهُ. قَالَ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَهَذَا لَا يَدْلِي عَلَى أَنَّ أَحْمَدَ رَأَى جَوَاهِرَ، بَلْ رَأَى أَنَّ مَنْ فَعَلَهُ مَتَّاولًا، أَوْ مَقْلَدًا مِنْ تَاوِلَهُ، لَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُعَابُ قَوْلَهُ؛ لَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَوَارِدِ الْإِجْتِهادِ السَّائِعَ «أَنْتَهِي مِنْ 『فَتْحِ الْبَارِيِّ』 لِابْنِ رَجِبِ (١٢٧/٤).

(٢) وَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَلَا يَحْكُمُ عَلَى مُخَالِفِهِ بِالْأَضَالِلِ أَوِ الْبَدْعَةِ.

قَالَ أَبْنُ الْقِيمِ - رَحْمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَذَاهِبَ الْعُلَمَاءِ في قِنْوَتِ الْفَجْرِ، «فَأَهْلُ الْحَدِيثِ مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ هُوَلَاءِ (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ الْقِنْوَتَ) وَبَيْنَ مَنْ اسْتَحْبَهُ عِنْدَ التَّوازِلِ»، وَغَيْرُهَا، فَإِنَّهُمْ يَقْتَنُونَ حِيثُ قَنَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَرَكُونَهُ حِيثُ تَرَكَهُ، فَيَقْتَدُونَ بِهِ فِي فَعْلَهِ وَتَرْكِهِ، وَيَقُولُونَ، فَعَلَهُ سُنَّةُ، وَتَرَكُهُ سُنَّةً، وَمَعَ هَذَا فَلَا يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ دَأَوْمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُونَ فَعْلَهُ، وَلَا يَرَوْنَهُ بَدْعَةً، وَلَا فَاعِلَّهُ مُخَالِفًا لِلسُّنَّةِ، كَمَا لَا يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَهُ عِنْدَ التَّوازِلِ، وَلَا يَرَوْنَ تَرَكَهُ بَدْعَةً، وَلَا تَارِكَهُ مُخَالِفًا لِلسُّنَّةِ، بَلْ مَنْ قَنَّتْ، فَقَدْ أَحْسَنَ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَقَدْ أَحْسَنَ...» (زادُ الْعَادِ ١١٥/٤).

(٣) وَهَذِهِ الْمَسَائلُ لَا يَجُوزُ مَعَهَا الْاِفْتِرَاقُ، وَلَا الْهِجْرُ، وَلَا الْمَعَاوَدَةُ.

قَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ أَبْنُ تِيمِيَّةَ - رَحْمَهُ اللَّهُ -، «مَسَائلُ الْإِجْتِهادِ مَنْ حَمَلَ فِيهَا يَقُولُ بِعَضُ الْعُلَمَاءِ: لَمْ يَنْكِرْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَهْجُرْ، وَمَنْ حَمَلَ بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ لَمْ يَنْكِرْ عَلَيْهِ»، أَنْتَهِي مِنْ «مَجمُوعِ الْفَتاوَىِ» (٢٠٧/٢٠).

وَقَالَ أَبْنُ الْقِيمِ - رَحْمَهُ اللَّهُ -، «وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ لَا يُوجِبُ مَعَاوَدَةً، وَلَا اِفْتِرَاقًا فيِ الْكَلْمَةِ، وَلَا تَبْدِيدًا لِلشَّمْلِ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اخْتَلَفُوا فيِ مَسَائلَ كَثِيرَةٍ مِنْ مَسَائلِ الْفَرْوَعِ...» (الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ، ٥١٧/٢).

وَاللَّهُ الْمُوْقَدُ وَالْمُسْتَعَنُ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مُوجِبُ التَّفْرِقِ هُوَ ذَلِكُ.

وَقَالَ أَيْضًا، «وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الْإِخْتِلَافِ الْمَذْمُومُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ كُلَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَظْهُرُ لَهُمُ الْحَقُّ وَيَجِدُهُمْ بِالْعِلْمِ، فَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ...» (مِنْهَاجُ السَّنَةِ النَّبِيُّوَةِ، ٣٦٤/٥).

فَالشَّخْصُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَبْغِي عَلَى مُنَاظِرِهِ أَوْ عَلَى مُخَالِفِهِ يَحْرُصُ عَلَى الْإِسْتَدَالَ لِلَّهِ بِالْأَدَلَّةِ الْإِنْتِصَارَ لِرَأْيِهِ أَوْ مِنْهُبِهِ، وَهَذَا الْبَغْيُ يَتَنَافَى مَعَ قَصْدِ الْحَقِّ، فَقَاصِدُ الْحَقِّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَجَرِّدًا عَنِ الْهَوَى.

(٤) لَا يَكُونُ الْخَلَافُ سَائِقًا مَعَ ظُهُورِ الْأَدَلَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الدِّلِيلَ الظَّاهِرَ يَحْسِمُ مَادَّةَ الْخَلَافِ، فَإِنَّ كَانَ الْخَلَافُ سَائِقًا قَبْلَ ظُهُورِ الدِّلِيلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ بَعْدَ ظُهُورِهِ، وَبِهِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ شِيخُ الْإِسْلَامِ رَحْمَهُ اللَّهُ: «فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَعْدِلَ عَنْ قَوْلِ ظَهَرَتْ حِجْتَهُ بِحَدِيثٍ صَحِيحٍ وَآفَقَهُ طَافِقَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِلَى قَوْلِ آخرٍ قَالَهُ عَالَمٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مَا يَدْعُ بِهِ هَذِهِ الْحُجَّةُ وَإِنْ كَانَ أَعْلَمُ، إِذْ تَطَرَّقُ الْخَطَا إِلَى آرَاءِ الْعُلَمَاءِ أَكْثَرٍ مِنْ تَطَرُّقِهِ إِلَى الْأَدَلَّةِ الْشَّرِعِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْأَدَلَّةَ الْشَّرِعِيَّةَ حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ عَبَادِهِ، بِخَلَافِ رَأْيِ الْعَالَمِ».

مَجْمُوعُ الْفَتاوَىِ (٢٥٠/٢٠).

وَقَالَ أَيْضًا فيِ «كِتَابِ الْإِيمَانِ»، «وَلَهُذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا عَرَفَ شَخْصُ الْحَقِّ لَا يَجُوزُ تَقْلِيدُ أَحَدٍ فِي خَلَافَهِ»، أَنْتَهِي.

وَذَلِكَ كَانَ الشَّافِعِيُّ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَقُولُ: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ؛ فَهُوَ مِنْهُبِي» (أَبْنُ عَابِدِيْنَ فيِ «الْحَاشِيَّةِ» (٦٢/١)). فَالدِّلِيلُ الظَّاهِرُ هُوَ الَّذِي يَحْسِمُ مَادَّةَ الْخَلَافِ.

تَبَيَّنَاتِ مَهْمَةُ حَوْلِ مَسَائلِ الْخَلَافِ السَّائِعَةِ، إِذَا تَجَزَّقَ الْمُسْلِمُ بَعْدَ الْبَحْثِ فِيَ الْمَسَالَةِ أَنَّهَا مِنْ مَسَائلِ الْخَلَافِ السَّائِعَةِ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَمْوَالًا مَهْمَةً،

(١) أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُنْكِرَ أَوْ يَعِيبَ عَلَى مُخَالِفِهِ، لَأَنَّهَا مِنْ مَسَائلِ الْإِجْتِهادِ.

قَالَ أَبْنُ رَجِبٍ - رَحْمَهُ اللَّهُ -: «قَالَ إِسْمَاعِيلَ



التحذير من الابتداع في الدين والرد على شبهات الخالفين

معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم... .

(١٥١/٤)

أولاً: تعريف البدعة:

هي ما أحدث على غير مثال سابق، وهي
على قسمين:

(١) الأول، ما لا علاقة له بالدين، فهذه
بدعة من جهة اللغة، كالخترات الحديثة
من سيارات وطائرات وغير ذلك مما ظهر في
هذه الأزمان، ولم يكن معروفاً من قبل.

والأسأل في هذه البدع أنها مباحة، ما
لم يتعارض منها شيء مع نص من نصوص
الشريعة، فتأخذ حكمه وقتئذ.

(٢) الثاني، ما له علاقة بالدين، وهو ما
يُراد منه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى،
لكنه لم يوجد في العهد النبوى، مع وجود
المقتضى لفعله ولم يُفعل، ولم يكن ثمة مانع
من فعله.

(أ) أما وجود المقتضى، فهو أن تتوفر دواعي
ال فعل، لكنه لم يُفعل، مثل ترك الأذان لصلة
العيد، وقد توفر الداعي لذلك، وهو دعوة
الناس لهذه الصلاة كما يُدعون للصلوات
الجماعية الأخرى... فلما لم يأمر صلى الله
عليه وسلم بترك الأذان، ولم يُفعل... دل ذلك على
أن الأذان لصلة العيد بدعة محدثة.

وأما مسألة جمع القرآن - مثلاً - فلم يوجد
الداعي إلى جمعه في العهد النبوى؛ لأن
الوحي مستمر في تنزيل القرآن، وإنما وجد
في عهد أبي بكر رضي الله عنه عندما قتل
جعفر من سادات الصحابة وقراء القرآن في

وبعد، فإن مما يتميز به أهل السنة
والجماعة عن غيرهم من فرق الضلال أن
لديهم منهاجاً علمياً منضبطاً يتعاملون
على أساسه، ويحكمون على من خالفهم وفق
أصوله وميزانه، ويردون علم ما جعلوا إلى
عالمه، وبذلك يحصل لهم رضي الله تعالى
الذي لا يضر معه سخط ساخت.

وأما أهل البدع والزيغ والانحراف، فإن من
أظهر سماتهم أنهم يتكلّون - في انحرافهم عن
الصراط المستقيم - على التشبّه من القول،
ويُلبّسون الحق بالباطل، هُنْقَنْتُونَ وَيُفْتَنْتُونَ
من أراد الله فتنته!

ومن ذلك تلبّسهم على الناس باستحسان
البدع، حتى صارت عندهم أولى من الأخذ
بالسنن الثابتة، فصاروا يتقدّرون إلى ردهم بما
تهاهم عنه:

وصدق أيوب السختياني رحمة الله إذ
يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً، إلا
ازداد من الله بعدها (البدع لابن وضاح ٦٧).
ويكفي البدعة شوئها ومهانتها أنها على دين
لم يأذن به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم، ولم يعرفها الصحابة، رضي الله عنهم،
وهم قدوة المتقين!

قال إبراهيم النخعي رحمة الله، كفى على
قوم وزراً أن تخالف أعمالهم أعمال أصحاب
نبيهم صلى الله عليه وسلم. (إعلام المؤمنين

قول النبي صلى الله عليه وسلم، من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد. (صحيح مسلم ١٧١٨)

وهذه البدع كلها مذمومة شرعاً، باطل التعبد بها... لا يخرج عنها بدعة من البدع المحدثة، وإن حسنه قصد فاعلها، أو ظنها حسنة... فليس في دين الإسلام بدعة حسنة!

قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- كل بدعة ضلاله، وإن رأها الناس حسنة! (السنة للمرزوقي ٦٨)

وقال الحافظ ابن رجب- رحمة الله- عند حديث، (كل بدعة ضلاله)، من جوامع الكلم، لا يخرج عنده شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين. (جامع العلوم والحكم ٢٦٦/١)

ثالثاً: أقسام البدع؛

وقد قسم أهل العلم البدعة في الدين إلى قسمين:

(١) البدع الحقيقية، وهي ما لا دليل عليها في الشرع، كمن يحدث عبادة من غير نص شرعي، فيستحب أو يوجب ما لم يستحبه ولا يوجبه الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذه عبادات لم تأت من عند الله، فلا يحبها الله، ولا يرضها، ولا يثيب عليها...

وقد جاء عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذا هو ب الرجل قائم، فسأل عنه، فقالوا، أبو إسرائيل، نذر أن يصوم ولا يتعبد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، «مُرُوه فليتكلّم ولنيستظل ولنيتعبد، ولنيصوم صومه». (صحيح البخاري ٤٦٧)

فانظر كيف نهاد النبي صلى الله عليه وسلم عن التقرب إلى الله بما لم يأت فيه نص من الشرع، ولم يقره على فعله، ولم يعتبر

معركة اليمامة، فخاف المأمور عمر رضي الله عنه أن يضيع شيء من القرآن، فأشار إلى أبي بكر بجمعه في مصحف واحد، ففعل، فكانت حسنة من حسناته رضي الله عنه.

(ب) وأما انتقاء المانع، فهو أن يتتوفر الداعي للفعل، لكن يمنع منه مانع ما، مثل اتخاذ مكبرات الصوت واسطة يُنقل فيها صوت المؤذن إلى أهل البلد، فقد كانت الحاجة لذلك موجودة، لكن منع منها عدم وجود تلك المكبرات في ذلك العهد.

وكذلك مثل مسألة اجتماع الناس في صلاة التراويح على إمام في المسجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى التراويح بالناس ثم ترك ذلك لمانع، وهو خشية أن تفرض عليهم هذه الصلاة، فتشق على بعض المسلمين... فلما انقطع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وسلم، تنبه الفاروق رضي الله عنه إلى أن المانع من عدم الاجتماع للصلاحة قد زال، فامر أبيه بأن يوم الناس، فكان جمعهم هذا إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتبين من ذلك أن ما توفر الداعي لفعله في العهد النبوى، ولم يوجد مانع من الفعل، ثم لم يُفعَل، فإن عدم الفعل هو السنة، و فعله هو البدعة والضلالة...

قال الإمام ابن القيم رحمه الله، فإن تركه صلى الله عليه وسلم سنة، كما أن فعله سنة. (إعلام الموقعين ٣٩٠/٢)

ثانياً: التحذير من البدع؛

وقد جاءت الشريعة بالتحذير من البدع والزجر عنها، مع بيان فسادها، وعدم انتفاع صاحبها منها.

أما الزجر عنها فهي مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم، «كل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار». (صحيح سنن النسائي ١٥٧)

واما فساد هذه (العبادة) وردها، ففي مثل

وسلم، كل بدعة ضلاله. (صحيح سنن ابن ماجه ٤٢)).

. (وكل) من ألفاظ العموم والشمول كما هو معروف.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يصدر عامة خطبه (وليس أمامه مبتدع قط) بقوله: «إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة».

وقال شيخ الإسلام رحمة الله، «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الكلية الجامدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله: «كل بدعة ضلاله» بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلاله، فإن هذا إلى مشaqueة الرسول أقرب منه إلى التأويل»، (الاقتضاء، ٥٨٢/٢).

الوجه الثاني: أنه لا يوجد قائل بالبدعة الحسنة من أهل القرون المفضلة (الصحاببة فمن بعدهم)، وقد قال الإمام أحمد، إياك أن تتكلّم في مسألة ليس لك فيها إمام. (سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١١).

الوجه الثالث، أن الصحابة والتابعين كانوا أبعد الناس عن هذا الفهم المعوج للحديث، وقد قال الشاطبي، يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي، مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل. (المواقفات ٢٨٩/٣).

فتتجد ابن مسعود - مثلاً - أنكر بشدة على أنس يجلسون في بيت من بيوت الله، يكبرون ويحمدون وبهلوان، إلا أنهم اتخذوا الحصى ليُبعدوا بها أدكارهم (كمال أهل «حلقات الذكر البدعي»، اليوم)، فقال لهم رضي الله عنه: «عدوا سيناتكم شيئاً، وَيَحْكُمْ يَا أُمَّةً مُحَمَّدًا مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءًا، وَيَحْكُمْ يَا أُمَّةً مُحَمَّدًا أَسْرَعَ هَلْكَتُكُمْ أَهُولَاءَ صَحَابَةَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلِ»،

حسن فيتها، وإنما أقره على ما كان مشروعًا، وهو الصوم.

ومن هذه البدع أيضاً، بدعة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالرهبانية وترك التزوج مع وجود الداعي إليه وقد المانع الشرعي تماماً، ومن ذلك ما يفعله الشيعة الروافض يوم عاشوراء من ضرب الصدور ولطم الرؤوس، وشج الرؤوس بالسيوف، وإراقة الدماء، والنوح والعويل، حزناً على الحسين رضي الله عنه زعموا!!

(٢) البدع الإضافية: وهي ما ثبت أصلها في الشرع، لكن الأحداث طرأ على تفاصيل أداء هذه العبادة، من الزمان والمكان والكيفية.. مثل كون محبة النبي صلى الله عليه وسلم (كما هو معلوم) ثابتة في الشرع، بل هي ركنه الذي لا يصح إيمان العبد إلا به... إلا أن ترجمة هذه المحبة على غير مراد الشرع يكون مذموماً غير محظوظ، كمن يحتفل في يوم مولدته بالغناء والرقص والآنسيد...

ومن أمثلة ذلك أيضاً، الذكر أدبار الصلوات أو في أي وقت على هيئة الاجتماع بصوت واحد، أو يدعوا الإمام والناس يؤمّنون أدبار الصلوات، فالذكر مشروع ولكن أداءه على هذه الكيفية غير مشروع، وبذلة مختلفة للستة، ومن ذلك تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام وليله بالقيام.

رابعاً: ليس في الإسلام بدعة حسنة:

يستدل البعض بالحديث الصحيح، من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء... (صحيح مسلم ١٠١٧)).

ويقولون: إن هذا الحديث يدل على أن في الإسلام بدعة حسنة؟

والجواب باختصار من وجوهه:

الوجه الأول، ليس في الإسلام بدعة حسنة، بل كما قال رسول الله صلى الله عليه

حتى وجد كومين من طعام وثياب. فصار وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مُذهبة، ثم قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها...» الحديث.

فهذا الانصاري كان أول المتصدقين، وصدقته سبب تتبع الناس على الصدقة، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة... فقد سن للناس ما هو موجود في الشرع، ولم يأت بشيء جديد وما سنّه كان السبق والمبادرة بالصدقة المشروعة من قبل - حتى تتبع الناس بعده. قال الألباني رحمة الله: «من سن في الإسلام سنة حسنة من سن لغة، وفتح طريقاً إلى أمر مشروع بالكتاب والسنة أماته الناس مع الزمن، أو مع الغفلة.. فأحياناً هذه السنة النصوص عليها. (سلسلة الهدى والنور شريط ٣٩٠)).

الوجه السادس: وفي الختام نقول لمحسن البدع، إذا كان في الشريعة بحسب زعمك «بدعة حسنة» فإننا نبتعد ترك «البدعة الحسنة» ونرى عدم جوازها وعدم العمل بها، لأن ذلك هو الأنفع لعاجلتنا وأجلتنا وأجمع لكلمتنا وأبعد عن الفرقة والخلاف.

فإن كان قولنا هذا «صحيحاً»، وعليه برهان فلا تجوز مخالفته، وإن لم يكن عليه برهان فهو «بدعة حسنة» وهو معمول بها عندكم، فالبدعة على جميع الفروض باطلة وهو ما نريده والله الحمد.

وينتظر يتبين لنا مما سبق، أنه لا علاقة للحديث بالبدعة الحسنة، التي لا وجود لها في دين الإسلام، وأن هذا التقسيم ليس إلا «بدعة سيئة»، ليست من الإسلام في شيء، وإن الصفت به.

فيما أهل الإسلام، استقيموا يرحمكم الله، واتبعوا ولا تبتعدوا فقد كفيتكم. والحمد لله رب العالمين.

وآنيته لم تُكسر. والذي نفسي بيده! إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحون بباب ضلاله. (السلسلة الصحيحة ١١٥)).

ولما رأى سعيد بن المسيب رجلاً صلى بعد النداء من صلاة الصبح فأكثر الصلاة، حسنه ثم قال: إذا لم يكن أحدكم يعلم فليسأل، إنه لا صلاة بعد النداء إلا ركعتين! فقال الرجل: يا أبا محمد! أتخشى أن يعذبني الله بكثرة الصلاة؟ فقال: بل أخشي أن يعذبك الله بترك السنة. (الفقيه والمتفقه ٣٨١/١)).

الوجه الرابع: أن الله سبحانه وتعالى امتن على الأمة المحمدية بشريعة سمحاء كاملة فقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» (المائدة ٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه. (السلسلة الصحيحة ٢٨٦٦)). فاستحال شرعاً أن يتقرب أحد إلى الله بعبادة بذاتها لم يرد فيها نص من الكتاب والسنة، وقد أحسن الإمام مالك حين قال: فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً. (الاعتظام للشاطبي ٦٥/١)).

الوجه الخامس: إن فهم معنى السنة الحسنة في الحديث يكون بمعرفة سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لها، فمختصر قصة الحديث أنه جاء قوم من الأعراب حفاة عراة يشكرون الفاقلة، فظهر سوء حالهم في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب الناس، وذكرهم بالله، وحثهم على الصدقة.. وكان مما قال: تصدق رجل من ديناره، من درهماه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمرة. (حتى قال) ولو بشق تمرة.

فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتبع الناس

نَصْلَانِ الْمُصْرِفِينَ السَّيِّدِ

وَالرُّكْبَةُ عَلَى لِهَافَةِ الْأَنْجَوْسَتِ الْمُكَالِبَةِ

معاوية محمد حيك



الصحيح، إن انطلاق العقل لدى هؤلاء وابداعه وفتواحته في المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية، وتتنوع نشاطاته، كان نتيجة ذلك الإيمان بالوحى.

(السلفية وقضايا العصر (١٩٧١-١٩٨١))
تقديم "العقل" على "العقل" هو الأصل الأهم في المنهج السلفي وأعظم سماته؛

فاتباع السلف في الفهم والتفسير من السمات البارزة للمنهج السلفي، ففي الصفات الإلهية إثباتها بلا كيفية، وفي المسائل الأخرى، اتخاذ الأوائل قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولاً ثم الاقتداء بالصحابة؛ لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتاویله من أهل العصور التالية، وكانوا مؤتلقين في أصول الدين ولم يفترقوا فيه ولم يظهر فيهم البدع والأهواء"، فيتميزون بأنهم يبدلون بالشرع ثم يخضعون العقل له، بما يتفق مع الشرع، وأن الأوائل كانوا أكثر فهماً ودرارياً للشرع من غيرهم.

وتختلرأصون العقيدة لديهم في الإيمان بصفات الله عز وجل وأسمائه من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، بل أمروها كما جاءت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد؛ فلم تكن مشكلة العقل والنقل أو الوحي والمعرفة الإنسانية موجودة لدى السلف الأولين، ذلك أن العقل المؤمن كان حاسماً في موقفه المنهجي المبني على منطق العقل السليم، الوحي من علم الله الذي يمثل الحق المطلق في كل ما قدمه من قضايا، ومن ثم، فإن أي تشكيك في قضية من قضاياه ينقض ذلك الإيمان أي أن هذا التشكيك يعني موقعاً غير عقلي. العقل مصدر للمعرفة، وهو الوسيلة التي كلفنا الله على أساسها وأمرنا أن نتنظر في أمر الرسالة، ومن ثم الوحي من خلالها، (فَإِنَّمَا أَعْطَيْنَاكُمْ بِهِ مَا كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ) (سورة آل عمران، ٤٦)، لكن هذا العقل جزء من الإنسان المخلوق المحدود، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذي يقدمه الوحي، إنه علم الإنسان أمام علم الله، وهي معادلة واضحة وعقلية.

لكن ذلك لم يكن لدى أولئك السلف، أنه ينبغي أن يضم العقل وأن تبطل وظيفته الإبداعية ما دام الوحي موجوداً، لم ينظروا إلى إيمانهم بالوحى وحقائقه المطلقة على أنه استغناء عن العقل، ومن ثم عزل له، كلاً إن العكس هو

نستهی إلى “فوضى”؟

أوجه الشبه بين المدرسة العقائدية الحديثة

وألا تتجاهل العقولانية القديمة

١- اتفاق المدرستين على تقدیس العقل، وتقديمه على النص، وإخضاع الثاني للأول، وجعل العقل مصدراً للتلقي مقدماً في الاستدلال على الكتاب والستة، وما يتبع ذلك من تأويل النصوص وتحريفها أو ردها، وعدم التسليم لها، والمتبالغة في رفع شعار الحرية الفكرية، وإن كان على حساب العقيدة.

٢- استباحة الخوض في سائر أمور الخير، التي لا يعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة على تصورها، وعدم احترام ما ورد عن طريق الوحي في القرآن والسنة عن بعض المخلوقات الغيبية والأخبار، إنكاراً، أو تكذيباً، أو تهكمًا، أو تشكيكاً؛ وذلك فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، والوحي والنبوة، والملائكة والجن، والقدر والبعث وأحوال الآخرة.

٣- الاستهانة بأحكام الله وشرعيه،
وبالحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات
والعادات وعدم التسليم لله فيها.

٤- الجرأة على إثارة الشبهات والأراء الشاذة في العقيدة وأصول الإسلام، واحياء المذاهب المحرفه بين المسلمين وتمجيدها، والدعاه لها باسم التسامح الدينى وحرمة الفكر والاعتقاد.

٥- اتفقت المدرستان على رد النصوص
التي لا تناسب أهواهم وأصولهم
الفاسدة وعقولهم القاصرة، ويتمثل
ذلك في إنكارهم لحجية خبر الأحاداد، بل
والآحاديث الصحيحة والمتواترة إذا لم
تناسب أذواقهم كما فعلوا تجاه آحاديث
القدر والشقاوة، وأنهاديث احتجاج
موسى وأدم، وحديث الذباب، وأنهاديث
نشراط الساعة، فقد رددوا آحاديث نزول
عيسى عليه السلام، والدجال والمهدي

في كتاب الله أو على نسان رسوله وردوا
علمها إلى قائلها.

قال شيخ الإسلام في "نقض المنطق" (من ٣٠٩)، "العقل عندهما مَا وافق هديهم، وإنجهول مَا خالفهم، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار".

فطريقتهم في إخضاع العقل للنص، لا العكس مخالفين بذلك قواعد المتكلمين من المعتزلة والأشعرية الذين قدموها العقل وأولوا النصوص تبعاً له، مستدلين بما استدل به شيخ الإسلام من قوله تعالى، “أَنْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٌ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ”， وقوله، “وَإِذَا فَرَأَى لَهُمْ سَأَلَوْا إِنْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِنَّ رَسُولَ رَبِّكُمْ رَأَيْتُ الْمُتَقْرِئِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا” (النساء، ٦١)، فالآثار هي الرواية، وفي الآية الثانية دليل على نفاق من يحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات من الأمور المأخوذة من بعض طواغيت المشركين والكتابيين. وهذا الاعوجاج في التفكير الذي قومه ابن قيمية؛ هو الذي يتخذه أصحاب المنهج العقلي المعتزلي؛ المعاصرون الذين يحاولون إخضاع الدين والشريعة لمتطلبات العصر المتجددة، ومن جملة هؤلاء الشيخ محمد عبد وتلاميذه مدرسته العقلانية، ومن تأثيراته منهجه من أتباعه كغلي عبد الرزاق، وطه حسين، وقاسم أمين، والكواكبى. ومنهجهم يصرحون فيه بوجوب تأويل النص ليتوافق مفهوم العقل؛ وهو مبدأ “خطر”， بإطلاق كلمة “العقل” يُرد الأمر إلى شيء غير واقعي؛ وهناك عقل وعقلك وعقله هلاك، وليس هناك عقل مطلق لا يتناوله النص والهوى والجهل يحاكم النص القرآني إلى مقرراته، وإذا أوجينا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيرة فاتنا



الله ورسوله” (الاعتراض ٢٣١/٢) وقال أبو المظفر السمعاني رحمة الله: “أعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أنسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والتأثر تبعاً للمعقول.

وأما أهل السنة قالوا: الأصل الاتباع والقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم وبطلي معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين يبني على المعقول وجوب لا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئاً حتى يعقلوه، فنحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله تعالى وما تعبد الناس به من اعتقاده وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتناولوه بينهم ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندهم إلى رسول الله من ذكر عذاب القبر وسؤال الملائكة والجحوض والميزان والصراط وصفات الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها” (“صون المنطق” ص ١٨٢).

سؤال: أي عقل هذا الذي زعموه ونخبذه ليكون حكماً فيئي

لقد تصدى علماء السلف عبر العصور للدعاة المدرسة العقلية مفتدين شبهاً بهم وضلالاتهم ومن هؤلاء الأفذاذ الأعلام في عصرنا العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي حيث يقول رحمة الله: ”ولا يفترئ إنسان بما أتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير، ووسطة في العلم، فيجعل عقله أصلاً، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعاً، فيما وافق منها عقله قبله واتخذه ديناً، وما خالفه منها لوى به لسانه وحرّفه عن موضعه، وأولئك على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره، ولا ردّه ما وجد في

والدابة.

٦- اتفاقهم على تز السلف، والتهوين من شأنهم، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل، وأن الاتجاهات السلفية عقيمة.

٧- الدعوة لتفسير القرآن والسنة وتأويلها تاوياً عقلانياً جديداً حسب كل عصر دون اعتبار تأويل السلف والصحابة، ودون التقيد بالصطلاحات الشرعية والقواعد والمناهج التي قام عليها الدين ومنهج السلف.

أقوال علماء الأمة في تخييم نصوص الكتاب والسنة والرد على المقلانيين:

يقول ابن تيمية رحمة الله: ”ولا يوجد في كلام أحد من السلف أنهعارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط، قد تعارض هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول، فيجب تقديم العقل، والنقل يعني، القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين، فإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه.“ (مجموع الفتاوى، ١٣٢٨/٢٩).

ويقول الإمام الشاطبي رحمة الله: ”إن الشريعة بيّنت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على السنة أنبيائه ورسله، ولذلك قال تعالى: ”وَمَا كَانَ مُعْرِّيَنَ حَتَّىٰ يَتَّبَعَ رَسُولًا“ (الإسراء، ١٥).

وقال تعالى: ”فَإِن تَنْزَعُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَيَّ أَنْتَ وَرَسُولِي“ (النساء، ٥٩) وقال: ”إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِي“ (يوسف، ٤٠)، وأشار به ذلك من الآيات والأحاديث، فخرجت عن هذا الأصل فرقـة زعمت أن العقل له مجال في الاستقلال بالتشريع، وأنه محسن ومقبول في دين الله، فابتدعوا في دين الله ما ليس منه“. (الاعتراض ٣٩/٢).

وقال أيضاً: ”لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، فإنه من التقدم بين يدي



أن العقل يُحيلها، وأنه مُضطَرٌ فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن الله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول، إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من يُنكر حقيقة حشر الأجياد، والأكل والشرب الحقيقية في الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مُضطَرٌ إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش، يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مُضطَرٌ إلى التأويل.

ويُنفي ذلك دليلاً على فساد قول هؤلاء، إنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيل العقل بل منهم من يزعم أن العقل جَوَزَ وأوجَبَ ما يُدعي الآخر أن العقل أحاله.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي يَأْيُ عَقْلٍ يُوَزِّنُ الْكِتَابَ
وَالسُّنْنَةُ^{١٥} فَرَضَيَ اللَّهُ عَنِ الْإِمَامِ مَا لَكَ بِنِ
أَنْسٍ حَيْثُ قَالَ: «أَوْكَلْنَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجَدَّلَ
مِنْ رَجُلٍ تَرَكَنَا مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلٌ إِلَى
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدِّلِ هُوَلَاءَ».
(مجموع الفتاوى١٦/٢٦).

هذا، وإن فريقاً من قدسوا عقولهم، وخدعواهم أنفسهم، واتهموا سُنَّة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أنكروا رفع الله تباري عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء حين بدأنا وروحاً، ونزلوه آخر الزمان حكمًا وعدلاً، لا شيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون ردها إلى الحكم منها، واتبعاً لما ظنوه دليلاً عقلياً، وما هو إلا وهم وخيال. ورددوا ما ثبت من سنته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزولاً على ما أصلوه من أنفسهم من أن العقائد لا يستدل عليها بأحاديث الأحاداد، واتهاماً لبعض الصحابة فيما نقلوا من الأحاديث، وفي ذلك جرأة منهم على التفات الأذاء من

أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان“.

والله المستعان، وصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ظننه إلى ذلك سبيلاً ثقة بعقله واطمئناناً إلى القواعد التي أصلها بتفكيره واتهامه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو تحديداً لمهمة رسالته، وتضييقاً لدائرة ما يجب اتباعه فيه، واتهاماً لثقة الأمة وعدولها، وأئمة العلم، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة، ووصلت إلينا عن طريقهم قولًا وعملًا.

فإن في ذلك قبلًا للحقائق، وإهداها للإنصاف، مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة، وإلى القضاء على أصولها. إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متباينة، وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء، ويشوب تفكيرهم الأغراض، فلا يكادون يتفرقون على شيء، اللهم إلا ما كان من الحسبيات أو الضروريات. فـأي عقل من العقول يجعل أصلاً يحكم في نصوص الشريعة فترد أو تنزل على مقتضاه فهماً وتأوياً.

- أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟

- أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القول بالجبر.

- أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وانكار رؤية المؤمنين بهم يوم القيمة؟

- أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكفين المشينة والقدرة على الأفعال؟

- أم عقل من قالوا بوحدة الوجود... إلخ.

ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: “ثُمَّ الْمُخَالَفُونَ لِكِتَابِ
وَالسُّنْنَةِ وَسَلْفُ الْأَمَةِ مِنَ الْمُتَأْوِلِينَ لَهُمَا الْبَابُ
فِي أَفْرَمِ مَرِيجٍ، فَبِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَا، يَزْعُمُ



الصوم وأثره في تزكية النفوس وتهذيب السلوك

معاوية محمد هيكل

١٥٢

أولاً، أثر الصوم في حفظ العوارض وصيانتها
من الوقوع في الآثام والمتكررات:

فالصوم الحقيقي الذي يحقق تزكية النفس ويسمو بها في مدارج السعادة والرضا، هو صوم الجوارح مما يغضب الله ويسخطه، قال ابن القيم - رحمه الله -: «والصادم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الرذور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث؛ فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحًا، وكذلك أعماله، ففي بمنزلة الرانحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته، وأمن فيها من الرذور والكذب والفحش والظلم، هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب... فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام؛ فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسد، فهمكما الآثام تقطعه توابه، وتفسد ثمراته، فتشيره

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد، فإن من مقاصد العبادات وأهدافها في الإسلام، تزكية النفوس وتهذيب السلوك، وعبادة الصوم بما حوت من أسرار وحكم تاتي في طبيعة العبادات في هذا الباب، فالصوم لم ينطر إليه الشرع على أنه حرام مؤقت من الطعام والشراب، بل اعتبره خطوة على طريق تربية النفس وقدربها على الطاعة والامتثال، وتطهيرها من شهواتها المحظورة، وزنواتها المنكورة، وقد أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأكد عندما قال: (ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث) (صحيح الجامع: ٥٣٧٦)

إن الصوم عبادة روحية سامية، تربى في المؤمن القدرة على التحرر من العادات اليومية المألافة، وتتعلم الصبر وقوية الإرادة والعزمية، وتقرس في نفسه سلوك المراقبة، والأخلاق، وال وجود، والبذل والكرم.. إنه تجديد للعهد والعودة والإقبال على الله.

بِمُنْزَلَةِ مَنْ لَمْ يَصُمْ، (الوايل الصيب ٥٧)
)) ٥٨

مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَتَعْيِمَهَا، وَقَبُولُ مَا تَرْكُو بِهِ مَمَّا فِيهِ حَيَاةُ الْأَبْدِيَّةِ، وَيُكْسِرُ
الْجُوعُ وَالظُّلْمُ مِنْ حَدَّتِهَا وَسُوفِرَتِهَا، وَيُدْكِرُهَا
بِحَالِ الْأَكْنَادِ الْجَانِحةِ مِنَ الْمَسَاكِينِ. وَتَضْيِيقُ
مَحَارِي الشَّيْطَانِ مِنَ الْعَبْدِ يَتَضَيِّقُ مَحَارِي
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَتَخْسِسُ قُوَى الْأَخْضَاءِ
عَنِ اسْتِرْسَالِهَا لِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ فِيمَا يَضْرُرُهَا
فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا، وَيُسْكِنُ كُلَّ عُضُوٍّ مِنْهَا
وَكُلَّ قُوَّةٍ عَنْ جَمَاهِهِ وَتَلْجَمُ بِلِجَاهِهِ، فَهُوَ
لِجَاهِ الْمُتَقْنِينَ، وَجَنَّةُ الْمُتَحَارِبِينَ، وَرِياضَةُ
الْأَبْرَارِ وَالْمُقْرِبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ
سَائِرِ الْأَغْمَالِ، فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا،
وَإِنَّمَا يَتَرَكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ
أَجْلِ مَغْبُودِهِ، فَهُوَ تَرَكٌ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ
وَتَلَذُّذَاتِهَا إِيشَارًا لِحَبَّةِ اللَّهِ وَمِرْضَاهِهِ، وَهُوَ
سَرُّ بَيْنِ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ سَوَاءً،
وَأَنْبَاعَادَ قَدْ يَطَّلُعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُفْطَرَاتِ
الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكٌ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ
وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَغْبُودِهِ، فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطْلُعُ
عَلَيْهِ بِشَرٍّ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ.

ثَالِثًا: مِنْ بَرَكةِ الصَّوْمِ أَنَّهُ
يُحْفَظُ عَلَى الْجَوَارِحِ صَحَّتِهَا

وَالصَّوْمُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حَفْظِ الْجَوَارِحِ
الظَّاهِرَةِ، وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحَمِيتِهَا عَنِ
التَّخْلِيفِ الْجَابِلِ لِهَا الْمَوَادِ الْفَاسِدَةِ؛ الَّتِي
إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتَفْرَغَ الْمَوَادِ
الرَّدِيَّةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صَحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ
يَخْفِظُ عَلَى الْفَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صَحَّتِهَا، وَيُعِيدُ
إِلَيْهَا مَا اسْتَلْبَثَهُ مِنْهَا أَنْدِي الشَّهْوَاتِ، فَهُوَ
مِنْ أَكْبَرِ الْغَافِونَ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
(يَأَلِيهِ الَّذِينَ مَا شَرَكُوكُنْتُ عَلَيْكُمُ الْأَصْيَامَ كَمَا كَيْبَ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمْ تَكُنْ تَفَوَّنَ) (الْبَقْرَةُ
١٨٣). وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
(الصَّوْمُ جَنَّةٌ). وَأَمْرَ مَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ شَهْوَةُ
النَّكَاحِ وَلَا قُدْرَةُ لَهُ عَلَيْهِ بِالصَّيَامِ، وَجَعَلَهُ
وَجَاءَ هَذِهِ الشَّهْوَةُ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَصَالِحَ
الصَّوْمِ مَا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْمُغْصُولِ السَّلِيمَةِ
وَالْمُفْطَرِ الْمُسْتَقِيمَةِ، شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِنَادِهِ رَحْمَةً
بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَحِينَيْهِ لَهُمْ وَجَنَّةً.

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ فَقَهْمَا سَلَفُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ
مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَالْأَنْفَقَةِ الْمَرْضِيَّينَ
فَصَانُوا صِيَامَهُمْ وَنَهَارَهُمْ وَلَيَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ
وَالرَّفَثِ وَالْفَسُوقِ. فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْأَنْصَارِيِّ قَالَ، «إِذَا صَمَتْ فَلَيَصُمْ سَمْعُكَ
وَيَصْرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْحَارِمِ، وَدَعَ
أَذِي الْجَارِ، وَلَيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارَ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ
صَوْمَكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فَطْرَكَ وَيَوْمَ صَوْمَكَ
سَوَاءً» (شعب الإيمان، ٣٤٧).

وَعَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (مَنْ لَمْ يَدْعُ
قُولَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِنْ
يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهِ) (الْبَخَارِيِّ ١٩٠٣).

قَالَ الْمَهْلَبُ، «فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ حُكْمَ الصِّيَامِ
الْإِمْسَاكُ عَنِ الرَّفَثِ، وَقُولُ الزُّورِ، كَمَا يَمْسِكُ
عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَإِنْ لَمْ يَمْسِكْ عَنِ ذَلِكَ،
فَقَدْ تَنَقَّصَ صِيَامَهُ، وَتَعْرُضَ لِسُخْطَرِ رَبِّهِ،
وَتَرَكَ قِبْوَلَهُ مِنْهُ»، ((شَرْحُ الْبَخَارِيِّ ٤/٢٣)).

وَعَنْ حَفْصَةَ بْنِ سِيرِينَ - رَحْمَهُ اللَّهُ -
قَالَتْ، «الصِّيَامُ جَنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرُقْهَا صَاحِبُهَا،
وَخَرَقَهَا الْفَيْبَةُ»، (عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ»
٧٨٩٥).

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَّةِ رَحْمَهُ اللَّهُ قَالَ،
«الصَّائِمُ فِي عِبَادَةِ مَا لَمْ يَقْتَبْ أَحَدًا، وَإِنْ كَانَ
ثَانِيَاً عَلَى فِرَاشِهِ»، (عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ»
٧٨٩٥).

قَالَ ابْنُ حِجْرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»، «إِنَّ
هَذِهِ الْمَاعِصِيَّ يُزِيدُ قَبْحَهَا فِي الصِّيَامِ عَلَى
غَيْرِهَا، وَإِنَّهَا تَخْدُشُ فِي سَلَامَةِ الصِّيَامِ، بِلْ
رَبِّما اقْتَضَتْ عَدْمُ الثَّوَابِ عَلَيْهِ».

ثَالِثًا: الصَّوْمُ يَرْوِسُ النَّفْسَ وَيَهْذِبُها،
وَيُضْيِقُ عَلَى الشَّيْطَانِ مَسَالِكَهُ
وَلِبَيَانِ الْمَقْصُودِ مِنَ الصِّيَامِ وَمَنَافِعِهِ
شَرْعًا وَعَقْلًا وَطَبْيًا، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحْمَهُ
اللَّهُ، «مَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الصِّيَامِ حَسْبُ
النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَاتِ، وَفَطَامُهَا عَنِ الْمَأْلُوْفَاتِ،
وَتَعْدِيلُ قُوَّتِهَا الشَّهْوَانِيَّةِ، لِتَسْتَعْدُ لِطَلْبِ

وَتَزَاهَتْهَا فِي الدُّنْيَا، وَلِسَعْادَتِهَا فِي الْآخِرَةِ.
خَامِشًا: مِراقبَةُ اللَّهِ وَأَثْرُهَا فِي سَعَادَةِ الْجَمْعِ
وَكَمَا تَؤْهِلُ هَذِهِ "الْمِرَاقبَةِ" النُّفُوسَ
الْمُتَحَلِّيَّةِ بِهَا سَعَادَةَ الْآخِرَةِ، تَؤْهِلُهَا سَعَادَةَ
الْدُّنْيَا أَيْضًا، انتَظِرْ هَلْ يُقْدِمُ مِنْ تِلَابِسٍ
هَذِهِ "الْمِرَاقبَةِ" قَبْلَهُ، عَلَى غَشِ النَّاسِ
وَمُخَادِعَتِهِمْ؟ هَلْ يَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ
أَكْلًا لِأَمْوَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ؟ هَلْ يَحْتَالُ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي مَنْعِ الزَّكَاةِ، وَهَدَمْ هَذِهِ الرُّكَنَيْنِ
مِنْ أَرْكَانِ دِينِهِ؟ هَلْ يَحْتَالُ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا؟ هَلْ
يَقْتَرِفُ الْمُنْكَرَاتِ جَهَارًا؟ هَلْ يَجْتَرِحُ السَّيْئَاتِ،
وَيُسْدِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سَتَارًا؟ كَلَّا، إِنْ صَاحِبُ
هَذِهِ "الْمِرَاقبَةِ" لَا يَسْتَرِسُ فِي الْمَعَاصِي، إِذَا لَا
يَطْمُولُ أَمْدَ غُفْلَتِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا نَسِيَ
وَأَلَمَ بِشَيْءٍ مِنْهَا؛ يَكُونُ سَرِيعُ التَّذَكِيرِ، قَرِيبُ
الْفَنِيءِ وَالرجُوعُ بِالْمُرْجُوعِ الصَّحِيحَةِ (إِنَّ
الَّذِينَ آتَوْا إِذَا مَسَّهُمْ كَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ يَتَبَرَّوْنَ) (الْأَعْرَافِ، ٢٠١) فَالصِّيَامُ
أَعْظَمُ مُرِبٍّ لِلْإِرَادَةِ، وَكَابِحٌ لِجَمَاحِ الْأَهْوَاءِ،
فَإِنْجَدَرَ بِالصَّائِمِ أَنْ يَكُونَ حَرًّا، يَعْمَلُ مَا يَعْتَقِدُ
أَنَّهُ خَيْرٌ، لَا عَبْدًا لِلشَّهَوَاتِ. إِنَّمَا رُوحُ الصِّيَامِ
وَسُرُّهُ فِي هَذِهِ الْقَصْدِ.

وَالْمُلَاحَظَةُ؛ الَّتِي تَحْدُثُ هَذِهِ "الْمِرَاقبَةِ"،
وَهَذَا هُوَ مَعْنَى كُونِ الْعَمَلِ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَقَدْ لَاحَظَهُ مِنْ أَوْجَبِ مِنْ الْأَئْمَةِ "تَبَيَّنَتْ
النِّيَّةُ" فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَيُؤَيِّدُهُذَا مَا وَرَدَ مِنْ
الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ كَمَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، (مِنْ صَامِ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا عَفْرَ
لَهُ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ...) (الْبَخَارِيِّ (٢٠١٤)،
وَمُسْلِمٌ (٧٦٠))، قَالُوا، أَيُّ مِنَ الصَّفَاتِ، وَقَدْ
يَكُونُ الْفَغْرَانُ لِلْكَبَائِرِ مَعَ التَّوْبَةِ مِنْهَا، لَأَنَّ
الصَّائِمَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، يَكُونُ مِنَ التَّائِبِينَ عَمَّا
اقْتَرَفَهُ فِي مَا قَبْلِ الصِّيَامِ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ
الْقَدِيسِيِّ، (كُلِّ عَمَلٍ أَبْنَى آدَمُ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ،
فَإِنَّهُ لَيْ وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) (الْبَخَارِيِّ (٥٩٢٧))
وَفِي رَوَايَةِ (يَدِعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِ...)
(الْبَخَارِيِّ (١٩٠٤)) (تَفْسِيرُ الْمَنَارِ (٢) (١١٧)).
وَاللَّهُ الْمُسْتَعِنُ بِلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَتَقْبِيلُ اللَّهِ مِنْكُمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكَانَ هَذِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِيهِ أَكْمَلُ الْهُدَىِ، وَأَعْظَمُ تَحْصِيلَ الْمَقْصُودِ،
وَأَنْسَلَهُ عَلَى النُّفُوسِ.

وَلَا كَانَ هَذِهِ النُّفُوسُ عَنْ مَأْنَوَاتِهَا
وَشَهَوَاتِهَا، مِنْ أَشَقِ الْأَمْرَовِ وَأَضَعِفِهَا، تَأْخِرُ
فَرْضُهُ إِلَى وَسْطِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، ثُمَّ
تَوَطَّنَتِ النُّفُوسُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ،
وَأَنْفَقَتِ أَوْمَارَ الْقُرْآنِ، فَتَقَلَّتِ إِلَيْهِ بِالْتَّدْرِيجِ.
(زادُ الْمَعَادِ، ٢٨/٢).

رابعاً: الصِّيَامُ يَرْبِي فِي النُّفُوسِ سُلُوكَ
الْمِرَاقبَةِ وَالْحَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى
فَالصِّيَامُ يَرْبِي فِي النُّفُوسِ وَيَعْمَقُ فِيهَا سُلُوكَ
"الْمِرَاقبَةِ" لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا السُّلُوكُ الْإِيمَانِيُّ
إِذَا سَادَ مُجَمِّعًا وَصَارَ مَهْبِبًا عَالَمًا بَيْنَ أَفْرَادِهِ،
فَإِنَّهُ يَبْرُزُ لَهُمْ حَيَاةً مُبَارَكَةً طَيِّبَةً، وَيَكْفِلُهُمْ
الْآمِنَ، وَيَضْمَنُ لَهُمُ الْإِسْتِقْرَارَ، وَيَقْوِدُهُمْ إِلَى
أَقْوَمِ طَرِيقٍ، وَأَهْدِي سَبِيلَ.

ويَوْضُعُ أَثْرُ هَذِهِ السُّلُوكِ الْإِرَاقِيِّ عَلَى
الْمُجَمِّعِ الشِّيَعِيِّ رَشِيدِ رَضَا، فَيَقُولُ - رَحْمَةُ اللَّهِ -
«وَاعْدَادُ الصِّيَامِ نُفُوسُ الصَّائِمِينَ لِتَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى يَظْهُرُ مِنْ وَجْهِ كَثِيرٍ، أَعْظَمُهُمَا شَانًا،
وَأَنْصَعُهُمَا بِرَهَانًا وَأَظْهَرُهُمَا أَثْرًا، وَأَعْلَاهُمَا حَطَرًا -
شَرْفًا - أَنَّهُ أَمْرٌ مُوكَلٌ إِلَى نُفُوسِ الصَّائِمِ، لَا
رَقِيبٌ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَسَرِيبُنَّ الْعَبْدِ
وَرَبِّهِ، لَا يَشْرُفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ سَبَحَانَهُ، إِذَا
تَرَكَ الْإِنْسَانُ شَهَوَاتِهِ وَلِذَاتِهِ، الَّتِي تَعْرَضُ لَهُ
فِي عَامَةِ الْأَوْقَاتِ، مُجْرِدُ الْأَمْتَاحَ لِأَمْرِ رَبِّهِ،
وَالْخُضُوعُ لِرَأْشَادِ دِينِهِ، مَدَةُ شَهْرٍ كَامِلٍ فِي
السَّنَةِ، مَلَاحِظًا عِنْدَ عَرُوضِ كُلِّ رَغْبَةٍ لَهُ -
مِنْ أَكْلِ نَفِيسٍ، وَشَرَابِ عَذْبٍ، وَفَاكِهَةٍ يَانَعَةٍ،
وَغَيْرِ ذَلِكَ كَزِينَةٌ زَوْجَةٌ، أَوْ جَمَالَهَا الدَّاعِي
إِلَى مَلَابِسِهَا - أَنَّهُ لَوْلَا اطْلَاعُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ
وَمِرَاقبَتِهِ لَهُ، لَا صَبَرَ عَنْ تَنَازُلِهَا، وَهُوَ فِي أَشَدِ
الْتَّوْقُ لَهَا؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ تَكْرَارِهِذِهِ
الْمُلَاحَظَةُ الْمَاصِحَّةُ لِلْعَمَلِ، مَلْكَةُ "الْمِرَاقبَةِ"
لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْحَيَاةُ مِنْهُ سَبَحَانَهُ، أَنْ يَرَاهُ حَيَّثُ
نَهَاءُ، وَفِي هَذِهِ "الْمِرَاقبَةِ"، مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ
تَعَالَى، وَالْإِسْتِرْفَاقُ فِي تَعْظِيمِهِ وَتَقْدِيسِهِ،
أَكْبَرُ مُعِدٍ لِلنُّفُوسِ وَمُؤْهِلٍ لَهَا لِضَبْطِ النُّفُوسِ

الوسطية بين أهل السنة ومخالفاتهم

معاوية محمد هيكل

أحمد

فذلك قوله، وكذلك جعلتكم
أمة وسطاً لتكونوا شهادة
على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيداً». (مسند أحمد
١٧٥٧، وصححه الألباني في
صحيح الجامع، ٨٠٣٣).

معنى الوسطية:
أولاً، الوسطية لغة،
الوسطية مأخذة من مادة
وسط، وهي كلمة تدل على
العدل والفضل والخيرية،
والنصف والتوسط بين
الطرفين.

قال ابن فارس: «الواو
والسين والطاء، بناء صحيح
يدل على العدل والنصف.
وأنعدل الشيء؛ أو سطه
وسطه. قال تعالى: (أمة
وسطاً)» (معجم مقاييس

بلغوها عن الله، ويكون النبي
صلى الله عليه وسلم مزكيًا
لهذه الأمة شهادتها. فعن أبي
سعید الخدري - رضي الله
عنه قال: قال رسول الله: «يُجِيءُ
صلى الله عليه وسلم، يَجِيءُ
النبي يوم القيمة ومعه
الرجل، والنبي ومعه الرجال،
والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر
من ذلك، فيُسأل له، هل بلغت
قومك؟ فيقولون، نعم، فيذبح
قومه، فيُسأل لهم، هل بلغكم
هذا؟ فيقولون، لا، فيُسأل
له، من يشهد لك؟ فيقول،
محمد وأئمته، فيذبح محمد
وأئمته فيُسأل لهم، هل بلغ هذا
قومه؟ فيقولون، نعم، فيُسأل،
وما علمكم بذلك؟ فيقولون،
جاءنا نبينا، فأخبرنا أن
الرسُّل قد بلغوا فصدقناه،

الحمد لله والصلوة
والسلام على رسول الله، وبعد،
فقد امتن الله على هذه
الأمة واصطفها فجعلها خير
الأمم.. أمة وسطاً خياراً، لا
إلى الأفراط ولا إلى التفريط،
لا إلى الفلو ولا إلى الجفاء،
وجعل لها من الفضل والمنزلة
والمكانة ما أهلها للشهادة على
الأمم، فقال سبحانه: «وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَاً لِتَكُونُوا
شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَرَبُّكُمُ الرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (آل عمران: ١٤٣).

والشاهد يشتهر في
العدالة والخيرية، وهذه الأمة
منزلتها السامية؛ فإن ربنا
تبارك وتعالى يستشهادها
على الأمم أنها قد بآيتها
رسالات الله، وقامت عليها
الحججة، وأن الأنبياء قد

به رسوله من غير تعطيل
ولا تمثيل ومن غير تكييف
ولا تحريف". (الصفدية
(٣١٠/٢)

ويأتي هذا الموضوع ببيان
"الوسطية" التي تميز بها
أهل السنة والجماعة عن
غيرهم من الفرق الضالة
التي انحرفت عن هذا المنهج
وذلك من خلال أصولهم
العقدية المباركة.

الأصل الأول: وسطية
أهل السنة في أسماء الله تعالى
وصفاته،

فأهل السنة والجماعة
وسط في هذا الباب بين أهل
مقالات باطلتين، مقالة
من "عطل" الصفات وفيه
مقدمة من "شبهة الله"-
ومقالة من "شبهة الله"-
تعالى- بصفات المخلوقين
كما هو طريق "المثلة"؛
فالتعطيل باطل لأنه جحد
ونفي ما أثبته الله لنفسه
من صفات الكمال، والتشبيه
باطل لأنّه تمثيل الله
بالمخلوقات.

وأما أهل السنة
فمتهجهم قائم على إثبات
"بلا تمثيل"، وتنزيهه "بلا
تعطيل"، كما قال -تعالى-:
"لَيْسَ كَمُثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ
الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ"؛ فسلموا
من الأفتئن، وموضوا في سواء
السبيل. (مجموع الفتاوى: ٥٧/٥٢٧)

"المثلة" يضررون الله
الأمثال، ويذعنون أن صفات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية،
"الإسلام وسط في الملل بين
الأطراف المتجادلة، والسنة
في الإسلام كالإسلام في الملل،
فالسلمون في صفات الله
تعالى وسط بين اليهود الذين
شبها بالخالق بالمخلوق
فوصفوا بالخالق بالصفات
التي تختص بالخلق، وهي
صفات النقص، فقالوا إن
الله فقير. وإن الله بخيلى..
وإن الله تعب لما خلق العالم
فاستراح! وبين النصارى
الذين شبوا بالخلق

بالخالق فوصفوه بالصفات
المختصة بالخالق فقالوا،
هو الله. والسلمون وصفوا
الخالق بصفات الكمال
ونزهوه عن صفات النقص
ونزهوه أن يكون شيء كفوا
له في شيء من صفات الكمال،
 فهو منزه عن صفات النقص
مطلقاً، ومنزه في صفات
الكمال أن يماثله فيها شيء
من المخلوقات... وكذلك
أهل السنة في الإسلام فهم في
الصحابة وسط بين
الرافضة التي يغلون في
على فيجعلونه معصوماً أو
نبياً أو إلهًا، وبين الخوارج
الذين يكفرون به... وهم في
الصفات وسط - بين المعلطة
الذين ينفون صفات الله أو
بعضها ويشبهونه بالجماد
والعدو، وبين المثلة الذين
يمثلون صفات الله بصفات
خلقه فيصفون الله بصفات
خلقه - فيصفون الله بما
وصف به نفسه وبما وصفه

اللغة (١٠٨/٦)).
يقول ابن منظور،
وسط الشيء وأوسطه،
أعدله" (لسان العرب
(٤٣٠/٧).

ثانياً، الوسطية في
الشرع، جاءت الوسطية في
الشرع بمعنى العدالة
والخيرية، والتوسط بين
الأطراف والتفسير، كما
في قوله تعالى، وكذا
جعلناكم أمة وسطاً.

قال الإمام الطبرى -
رحمه الله -، إنما وصفهم
بأنهم "وسط" ، للتوضيح
في الدين، فلا هم أهل علو
فيه، علو النصارى الذين
غلو بالترهيب، وقليلهم في
عيسي ما قالوا فيه، ولا هم
أهل تقصير فيه تقصير
اليهود الذين بدأوا كتاب
الله، وقتلوا أنبياءهم،
وكذبوا على ربهم، وكفروا
به، ولكنهم أهل توسط،
واعتدال فيه. " انتهى ".
تفسير الطبرى " (١٤٢/٣).

وسطية الإسلام بين الأمم
ووسطية أهل السنة بين الفرق
وكما أن الإسلام وسط
بين الأمم، فأهل السنة
والجماعة - أتباع السلف
الصالح، الذين هم على مثل
ما كان عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه، وسط
بين الفرق. فهم ورثة هذه
الصفة الوسطية المباركة،

الله تعالى تماثل صفات المخلوقين، كقول بعضهم: (يَدُ اللهِ كَيْدِي) و(سَمِعَ اللهُ كَسْمِعِي) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فهدي الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط في هذا الباب، والذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فامنوا بجميع أسماء الله وصفاته الثابتة في النصوص الشرعية، فيصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به أعراف الخلق به رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تأويل ومن غير تمثيل ولا تكليف، ويؤمنون بأنها صفات حقيقية، تليق بجلال الله تعالى، ولا تمثل صفات المخلوقين، عملاً بقوله تعالى: (لَيْسَ كَيْثِيرٌ شَفَّٰهٌ وَهُوَ أَسَيْعُ الْجَمِيرِ) (الشوري: ١١).

فأهل السنة يعتمدون على النصوص الشرعية، ويقدمونها على العقول البشرية، و يجعلون العقل البشري وسيلة لهم للتوصُّص الشرعية، وشرطها في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلًا بذلك، فهم قد توسعوا في أمر العقل أيضاً، فلم يقدموه على النصوص كما فعل أهل الكلام من

المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، ولم يهملوه ويذموه كما يفعل كثير من المتصوفة، الذين يعيرون العقل، ويقررون من الأمور ما يكتب به صريح العقل، ويصدقون بأمور يعلم العقل الصريح بطلانها من لم يعلم صدقه (ينظر، (الطحاوية ٢٧٦)، (٨٠٣)، (مجمع الفتاوى ١٦٨/٣)، (درء التعارض ١/١٠٥، ٢٠).

الأصل الثاني، وسطية أهل السنة في باب القضاء والقدر، فأهل السنة والجماعة وسطي في هذا الباب بين القدرية والجبرية.

فالقدريّة نفوا القدر، فقالوا، إن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فالله تعالى على زعمهم لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها منهم، بل العباد مستقلون بأفعالهم، فالعبد على زعمهم هو الحال لفعله، وهو يريد له إرادة مستقلة، فثبتوا حالاً مع الله سبحانه، وهذا إشراك في الريوبوبيّة، فيه شبه من المجوس الذين قالوا بـان تكون خالقين، فهم (مجوس هذه الأمة).

والجبرية غلو في إثبات القدر، فقالوا، إن العبد مجبور على فعله، فهو كالريشة في الهواء لا فعل له ولا قدرة ولا مشينة.

فهدي الله أهل السنة والجماعة للقول الحق والوسطية في هذا الباب، فأثبتوا أن العباد فاعلونحقيقة، وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة، وأن فعل العبد واقع بتقدير الله ومشيئته وخلقه، فالله تعالى خالق العباد وخلق أفعالهم، كما قال سبحانه، (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَنْتَلُونَ) (الصافات، ٩٦).

كما أن للعباد مشيئة تحت مشيئة الله، كما قال تعالى: (وَمَا تَنَاءَنَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير، ٢٩).

ومع ذلك فقد أمر الله العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين، ولا يرضى عن الفاسقين، وقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فمن أطاع عن بينة اختياره لا يستحق العقاب (وَمَا رَبُّكَ يُظَلِّمُ لِلْعَيْدِ) (فصلت، ٤٦).

فأهل السنة يؤمنون بمراتب القضاء والقدر الأربع الثابتة في الكتاب والسنة، وهي:

(١) علم الله المحيط بكل شيء، وأنه تعالى عالم بما كان وما سيكون، فيما سيعمله الخلق قبل أن يخلقهم.

(٢) كتابة الله تعالى لكل ما هو كائن في اللوح المحفوظ



قبل أن يخلق السموات
والأرض بخمسين ألف سنة.
(٣) مشيئة الله النافذة،
وقدرته الشاملة، فما شاء
الله كان، وما لم يشا لم يكن،
 وأن كل ما يقع في هذا الوجود
قد أراده الله قبل وقوعه.

(٤) أن الله خالق كل
شيء، فهو خالق كل عامل
و عمله، وكل متحرك
و حركة، وكل ساكن وسكنه
(ينظر: منهج السنة
(٥/٢٧٦)، الطحاوية (٣١٧))
معارج القبول (٣٩٤٠))

الأصل الثالث: وسطية أهل
السنة لا الصحابة رضي الله عنهم
وكذلك أهل السنة

وسطي في أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بين الخوارج وبين الروافض
والشيعة، فالخوارج كفروا
كثيراً من الصحابة بناء على
مذهبهم الفاسد في "تصوّص
الوعيد"، وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
هم أفضل الأمة وإذا صدر
من أحدهم خطأ فإنهم أقرب
إلى مغفرة الله من غيرهم من
العصاة؛ لفضلهم وسبقتهم،
قال الله تعالى: «لَمَّا ثَابَ
اللَّهُ عَلَى الَّذِي قَاتَلَنَا
وَالْأَسْكَارَ أَذْرَتِ الشَّعْوَةَ
فِي سَاعَةِ الْمَرْءَةِ»، (سورة
التوبية: ١١٧).

اما الرافضة فإنهم غلوا
في علي بن أبي طالب، حتى
إن منهم من اعتقد أنه هو الله
وهم "غلاة الشيعة" وكثير

رَبَّنَا أَغْزَنَنَا وَلِأَخْوَانَنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
تَجْعَلْنَا فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ
أَمْتَنَّا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »
(الحضر، ١٠).

فأهل السنة والجماعة
يحبونهم كلامهم ويتولونهم
كلهم، ولا يفرقون بينهم
ويعتقدون فضلهم
واباقتهم، وأنهم صخابة
الرسول صلى الله عليه
وسلم، وأن فضائلهم كثيرة في
كتاب الله، وأن أحداً لا يمكن
أن يصل إلى درجتهم مما
بلغ من العبادة ومهمماً بلغ من
الأعمال الصالحة، فلا يمكن
أن يلحق بالصحابة أحداً،
لو أنفق أحدكم مثل أحداً
ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا
نصيفه، (متفق عليه).

فأهل السنة والجماعة
يختلفون الخوارج الذين
يكفرون كثيراً من الصحابة،
ويختلفون الشيعة الذين
يغلون في علي رضي الله
عنه وينقصون غيره من
الصحاباة، هذه وسطية
الفرقة الناجية والطائفية
المتصورة أهل السنة
والجماعة بين فرق الضلال
من الخوارج والمرجنة
والشيعة والقدريّة، وبهذا
صاروا الأمة الوسط والله
الحمد والثانية.

والله من وراء القصد
وصلى الله وسلم وبارك
على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

من الروافض لا يعتقدون أن
”علياً إله“، ولكن يقولون: هو
أحق بالخلافة من أبي بكر
و عمر وعثمان، وأن هؤلاء
مفتضبون للخلافة وظلموا
علياً في أنهم أخذوا الخلافة
قبله، وكان هو الوصي من
رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وكل هذا كذب،
فال الخليفة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم باجماع
المسلمين هو أبو بكر ثم من
بعده عمر بن الخطاب، ثم
من بعده عثمان بن عفان،
ثم علي بن أبي طالب، وهو
ال الخليفة الرابع، فلا يبغض
 أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويسبهم
وينتقصهم إلا كافر، كما
في هذه الآية، ليغفظ بهم
الكافر. فموقع الرافضة
من صحابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم التكفير
والتحقّص والطعن فيهم،
ويعتقدون ذلك من أفضل
القرىات، قبحهم الله.

أما أهل السنة والجماعة
فإنهم "يحبون كل الصحابة
وآل البيت"؛ علي بن أبي
طالب رضي الله عنه،
والعباس، وأهل البيت
وغيرهم من الصحابة؛
لما جاء في الكتاب والسنة
عن فضلهم وسابقتهم،
والنبي عن تقصّهم، والأمر
بالاقتداء بهم واتباعهم،
قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ
جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

الموضوعية عند أهل السنة والجماعة

معاوية محمد هيكل



وحدودها لما يترتب عليها من الأحكام
الدنوية والأخروية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله،
”معرفة حدود الأسماء واجبة، لاسيما
حدود ما أنزل الله على رسوله“، (الفتاوى،
٢٧/٢٠)

وقال رحمة الله أيضاً، إذا تبين ذلك فاعلم أن
”مسائل التكبير والتفسير“ هي من مسائل
”الأسماء والأحكام“ التي يتعلّق بها الوعد
والوعيد في الدار الآخرة وتتعلّق بها المواردة
والمحادثة والقتل والمعصمة وغيرها ذلك في
الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه واجب الجنة
للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين وهذا من
الأحكام الكلية في كل وقت ومكان. (مجموع
الفتاوى، ٤٦٨/١٢).

وقال الحافظ ابن رجب رحمة الله، (وهذه
المسائل، أعني مسائل الأسماء والإيمان،
والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جداً؛ فإن
الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة
والشقاوة واستحقاق الجنة والنار والاختلاف
في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة).

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وبعد:
فإن عقيدة أهل السنة والجماعة - والتي
هي عقيدة الإسلام الصحيحة - وسط
بين عقائد الفرق الضالة المفترضة إلى دين
الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة
وسط دين فريقين أو أكثرهما متضادة، أحدهما
غلام في هذا الباب والآخر قصر فيه، أحدهما
أضرط والثاني فرط، فهي حق بين باطلين؛
فأهل السنة وسط أي مذدول خيار - بين
طرفين متطرفين في جميع أمورهم.

وقد بينا في المقال السابق طرفا من الأصول
العقدية التي تبين وسطية أهل السنة بين
الفرق، وفي هذا المقال تكمل ما بدأناه فنقول
وبالله التوفيق
أولاً، وسطية أهل السنة في باب الأسماء
والأحكام

والمراد بالأسماء، أسماء الدين، وهي تلك
الآلفاظ التي رتب الله - عزوجل - عليها وعدا
ووعيداً، مثل، مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.
والمراد بالأحكام، أحكام أصحاب هذه الأسماء
في الدنيا والآخرة.

وتاتي أهمية معرفة هذه الأسماء الشرعية



النزاع.

فالخوارج "الحرورية" والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم "الإيمان" إلا من صدق بجناه، وأقرّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتب جميع الكبائر، فمن ارتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمناً باتفاق بين الفريقين.

ولكتئام اختلافوا، هل يسمى "كافراً" أو لا؟ فالخوارج يسمونه "كافراً"، ويستحولون دمه وماليه؛ ولهذا كفروا عليناً ومحاوياً - رضي الله عنهما - وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحولون من الكفار، وأماماً المعتزلة فقالوا، إن مرتکب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المترذلين؛ وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزاز.

وأتفق الفريقان (الخوارج والمعتزلة) أيضاً، على أنَّ من مات على كبيرة ولم يتبع منها فهو مخلدٌ في النار.

فوق الاتفاق بينهما في أمرين،

(١) نفي الإيمان عن مرتکب الكبيرة.

(٢) خلوته في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضاً في موضعين،

١- تسميته كافراً.

٢- استحلال دمه وماله، وهو الحكم الديني. وأمام المرجنة، فنذهبهم، أنه لا يضرُّ مع الإيمان معصية؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحق دخول النار ومذهب "أهل السنة والجماعة" وسط بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد تقصر من إيمانه بقدر ما ارتكب من المعصية، فلا ينقوش عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة؛ ولا يقولون بأنه كامل الإيمان كالمرجنة والجمالية.

وحكمه في الآخرة عندهم، أنه قد يعفو الله - عزوجل - عنه فيدخل الجنة ابتداء، أو يعذبه بقدر معصيته، ثم يخرجه ويدخله الجنة، وهذا الحكم أيضاً وسط بين من يقول بخلوده في النار، وبين من يقول، إنه لا

(جامع العلوم والحكم، ص ٧٢).

وهو مخالفة الخوارج للصحابية، حيث أخرج الخوارج عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأقوالهم. ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المترذلين.

ثم حدث خلاف المرجنة وقولهم، إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.

(وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة، مثل ذلك، "الإسلام" و"الشرك" نقىضان لا يجتمعان ولا يرتفعان والجهل بالحقائقين أو أحدهما أو قع كثيراً من الناس بالشرك وعبادة الصالحين لعدم معرفة الحقائق وتصورها). اهـ. (منهج التأسيس، ص ١٢).

لذلك فإنَّ مما يتبع الاعتناء به معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله؛ لأن الله سبحانه ذم من لا يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى: (الآغْرِبُ أَشَدُ كُفُرًا وَنَفَاقًا وَأَعَدُّ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُورًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيهِ حَكْمٌ) (التوبية، ٩٧).

وفي هذا الباب العقدي الخطير تجلت وسطية أهل السنة والجماعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: "وفي باب أسماء الإيمان والدين (أي، فهم وسط) بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجنة والجمالية"؛ ("الواسطية" ص ١٩٠).

والحرورية، هم الخوارج الذين خرجن على عليٍ - رضي الله عنه - حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية - رضي الله عنه - فنزلوا واجتمعوا "بحروراء"؛ وهي بلدة قرب الكوفة، وسموا بذلك نسبة إليها.

ومسألة "الأسماء والأحكام" من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت في ذلك الحين وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك

وقد امتحنوا- أي، احترقوا- فيدخلهم
الجنة ويسكب عليهم من ماء الحياة، فتُثبت
أنجسادهم، ويسنميهم أهل الرحمة بالجهنميين.
وروى الإمام أحمد وأبو داود والنمساني وأبي
حنبل في صحيحه والحاكم من حديث جابر-
رضي الله عنه- أنَّ رسول الله- صلى الله
عليه وسلم- قال: (شفاعتي لأهل الكباش من
أهنتي).

وسبب ضلال الطائفتين، أن كل واحدة منها
نثرت إلى جانب من نصوص الوحيين وتركت
حانيا.

”المرجئة“ نظروا إلى نصوص الوعد والمغفرة والرحمة والفضل والرجاء، فأخذوا بها، ونسوا أو قنعوا نصوص الوعيد والتهديد والعقوبة، ومنئوا أنفسهم بأنها في الكفار، وليست في أصحاب العاصي، من المسلمين.

وَالْوَعِيدَيْهَا عَلَى النَّقِيقِ نَظَرُوا إِلَى
نَصْوَصِ الْوَعِيدِ وَالْعَقْوَبَةِ وَالتَّهْدِيدِ،
وَأَلَيْمِ الْعَذَابِ وَشَدَّةِ الْحِسَابِ مَنْ حَسِنَ اللَّهُ
تَعَالَى، وَغَفَلُوا عَنْ نَصْوَصِ الْوَعْدِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْمَغْفِرَةِ لِلْمُوْمَدِينَ، وَأَنْهُمْ لَيْسُوا كَالْمُشْرِكِينَ
الْكَافِرِينَ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنْجِيلُ الْمُشْرِكِينَ
كَالْمُغْنِيْرِينَ ﴿٤٥﴾ مَا كُرِيْئَتْ تَكْبُرُونَ» (الْقَلْمَنْ)، (٣٦)،
وَقَالَ سَبِّحَانَهُ: «أَفَنَّ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَّ كَانَ
وَفَاسِقًا لَا يَسْتَأْتِي» (السَّجْدَةُ: ١٨).

أمام أهل السنة والجماعة وسلف الأمة فأخذوا بهذا وهذا، وأمنوا بكل ما جاء في الوحيين، هؤلئوا، قاتلوا الكبيرة من المسلمين مستحق لدخول النار، كما جاء في النصوص، لكنه غير مخلد فيها، كما جاء في النصوص أيضاً، فاعملوا وحكموا كل ما جاء عن الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولم يهدروا شيئاً منها، وحققوا الوسطية التي وصفهم الله تعالى بها.

ويعدُّه فهذا منهجنا الوسطي المبارك منهج أهل السنة والجماعة والفرقـة التاجية الذي تدين الله تعالى به وتدعو إليه ونسـال الله أن يثبتـنا عليه حتى نلقـاه، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمـين.

يُستحق على المعصية عقاباً، (انظر، "شرح الشيخ الهراس").

ثانياً، وسطية أهل السنة في باب الوعيد
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله
تعالى -: "أهل السنة سطّ في باب وعيد
الله بين المرجئة وبين الوعيادية من القدرة
وغيرهم" - ("الواسطية" ص ١٨٨).

فأهل السنة والجماعة وسط في باب "الوعيد"
بين المفرطين من "المجنحة" الذين قالوا: لا
يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر
طاعة، أو زعموا أن الإيمان مجرد التصديق
بالقلب والنطق باللسان، والأعمال ليست من
الإيمان!

وسموا "مرجنة" نسبة إلى الدرجاء؛ أي، التأخير؛ لأنهم أخرروا الأعمال عن الإيمان.

وزعم "غلاتهم" أن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين! ولا شك أن هذا "كفر" ولا يكون الرجل مؤمنا بذلك، و"الماتريدي" يقول، إن الأقرار بالمساند ركن زائد وليس بأصلٍ!

هؤلاء في طرف، ويقابلهم في الطرف الآخر،
”الوعيدية“، وهم الخوارج والمعتزلة، وقول
شيخ الإسلام، ”من القدرة وغيرهم“ يشمل
المعتزلة لأنهم قدرية، ويشمل الخوارج،
وقد أتفقا على أن ارتكب الكبيرة مخلد في
النار لا يخرج منها أبداً إذا مات عليها ولم
يتتب منها، لأنهم يقولون، إن الله تعالى يجب
عليه عقلاً أن يعذب العاصي، كما يجب
عليه أن يثيب المطاع؛ فمن مات على كبيرة
ولم يتتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله
له، فعندهم أن من ارتكب كبيرة مرأة ولم يتتب
منها، كمن عاش حياته على عبادة الأوثان
ومات عليها؟

ومذهبهم ياطل مخالف لكتاب والشّئه وأهله
صَلَّى، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْقِرُ أَنْ شَرِكَ بِهِ
وَيَعْقِرُ كَمَوْنَ دَلَّكَ لَمَنْ نَكَّاهَ» (النّساء: ٤٨)۔

وَمَا جَاءَ فِي الْمُصْحِّحَيْنَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُشَفِّعُ فِي أَنَاسٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ دَخْلَهَا النَّارَ بِذَنْبِهِمْ، فَيُخَرِّجُهُمْ مِّنَ النَّارِ

سیل الزجاجة من المتش

معاوية محمد هيكل

أعداد

سبيل النجاة من أشد الفتن، وأخطرها على دين
ال المسلم، وبخاصة في أيامنا هذه...
قال الألباني رحمة الله: (هذا حديث عظيم الشأن
من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ونصحه
لأمته، ما أحرج المسلمين إليه للخلاص من الفرقة
والحزبية التي فرقت جمعهم وشتت شملهم،
وأذهبت شوكتهم، فكان ذلك من أسباب تمكن العدو
منهم، مصدق قوله تبارك وتعالى: (ولا تنازعوا
فتشسلوا وتذهب ريحكم) (السلسلة الصحيحة،
٥٤١/٦).

ومن فوائد هذا الحديث:

(١) فيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير؛ فإنهم **مُذَّهِّبُو** هذا الدين العظيم وهم يسألون عن الخير سؤال متعلم مسترشد، طالب للعلم والعمل جميعاً.. فرضي الله عنهم وأرضاهم.

(٢) فيه فضيلة لحذيفة رضي الله عنه؛ حيث كان حريضاً على النجاة؛ التي لا تكون إلا بمعرفة الخير واتباعه، ومعرفة الشر واجتنابه... وبهذا بعث الله

قال صلى الله عليه وسلم: إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِيٌّ إِلَّا
كَانَ حَقًا عَلَيْهِ أَنْ يَدْلِيَ أَمْتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ
وَيُنذِّرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ... الْحَدِيثُ (صحيح
مسلم (١٨٤٤)).

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى
آله وصحبه ومن والاه... أما بعد:

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكانت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. قتلت، يا رسول الله! إنا كنّا في جاهلية وشر؛ فجاءتنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.

قاشیش داده خواهد

فَلَمْ يَرْجِعُوهُ إِلَيْهِمْ

قائمة ملخصات

قائمه

كتابات في أدب الأطفال

فَهَذَا هُوَ الْمُكَلَّفُ

فیضانات اندک و نایاب

قال: عبد الله بن مهران

قائمه فرانز لانج كونينغ و جاكوب

قال: فاعتنزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يُدرِّك الموت وأنت على ذلك. (متفقٌ
الآخر) (١٢٣) موسوعة (١٨١)، (المأثرة والخاتمة).

Music & Art

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي ترسم

النصح، وخاتمة الشفقة..

وقد جاءت تصوّص الكتاب والسنّة في التحذير من الشر وأهله إجمالاً وتفصيلاً:

(٩) فيه معجزة ظاهرة، ودليل من دلائل النبوة؛ فقد وقع ما ذكر في هذا الحديث كما جاء مرتباً.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال عياض: المراد بالشر الأول: الفتنة التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي يبعد: ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتذكر: الأمراء بعده؛ فكان فيهم من يتمسك بالسنّة والعدل، وفيهم من يدعوا إلى البدعة، ويعمل بالجور.

قلت (الحافظ): والذي يظهر أن المراد بالشر الأول: ما أشار إليه من الفتنة الأولى، وبالخير: ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدُخْن: ما كان في زمنها من بعض الأمراء، ك زياد بالعراق، وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدُعَّة على أبواب جهنم: من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم.

(فتح الباري (٣٦/١٢)).

(١٠) فيه الأمر بلزوم الجماعة وأنها سبيل النجاة من الفتنة.

فما القصود بالجماعة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الجماعـة هي الاجتماع، وضـدها الفرقـة، وإن كان لفظ الجمـاعة قد صـار اسمـاً لنفسـ القـومـ المجتمعـين".

(مجموعـ الفتـاويـ (١٥٧/٣)).

وقد تعددت أقوالـ السـلفـ والعلمـاءـ في تحـديدـ ذلكـ المعـنىـ المـاخـوذـ منـ دـلـالـاتـ نـصـوصـ الشـرـيعـةـ عـلـىـ أـقوـالـ: (انـظـرـ الـاعـتـصـامـ لـلـشـاطـيـ (٢٦٠/٢)).

أـحـدـهـاـ: أـنـهـاـ السـوـادـ الـأـعـظـمـ مـنـ أـهـلـ الإـسـلـامـ.

وـالـثـانـيـ: جـمـاعـةـ أـنـمـةـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـجـتـهـدـينـ.

وـالـثـالـثـ: الصـاحـابةـ رـضـوانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ عـلـىـ وـجـهـ الـخـصـوصـ.

وـالـرـابـعـ: جـمـاعـةـ أـهـلـ الإـسـلـامـ إـذـ أـجـمـعواـ عـلـىـ أـمـرـ.

وـالـخـامـسـ: جـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ إـذـ اجـتـمـعواـ عـلـىـ أـمـيرـ.

"وـمـنـ أـمـنـ النـفـرـ فيـ تـكـ الأـقـوـالـ يـجـدـ أـنـ أـغـلـبـهاـ مـنـ اـخـتـالـفـ التـنـوعـ، لـ اـخـتـالـفـ التـضـادـ": فـكـ صـاحـبـ قولـ فـسـرـ الـجـمـاعـةـ بـبعـضـ معـناـهـاـ، أوـ بـفردـ مـنـ أـفـرـادـ مـدـولـهـاـ، تـمـثـيلـاـ لـ حـصـراـ وـاحـاطـةـ."

"وـهـذـهـ عـادـةـ مـعـروـفةـ لـلـسـلـفـ فيـ تـفـسـيرـ الـأـفـاضـلـ".

(الصـوـاعـقـ الـرـسـلـةـ (٦٩٩/٢)).

العقـ لاـ يـعـرـفـ بـكـثـرـةـ الـأـتـائـ.

فـإـنـهـ لـاـ يـسـتـدـلـ عـلـىـ الـحـقـ بـكـثـرـةـ أـهـلـهـ، فـأـهـلـ الـحـقـ

وـخـيـرـ مـاـ دـلـلـاـ عـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ التـوـحـيدـ؛ فـهـوـ لـبـ الـدـيـنـ وـأـسـاسـهـ، وـهـوـ الشـرـطـ الـلـازـمـ فيـ كـلـ عـمـلـ: فـلـاـ تـرـفـعـ وـلـاـ تـقـبـلـ طـاعـةـ إـلـاـ بـهـ..

ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ تـاتـيـ وـاجـبـاتـ الـدـيـنـ فـالـمـسـتـحبـاتـ..

وـشـرـ ماـ أـذـرـنـاـ عـنـهـ الشـرـكـ: فـإـنـهـ أـعـظـمـ الذـنـوبـ؛ وـهـوـ الذـقـنـ الـوـحـيدـ الـذـيـ لـاـ يـعـفـهـ اللـهـ، وـلـاـ تـنـفـعـ مـعـهـ جـمـيعـ الطـاعـاتـ وـالـقـرـيـاتـ، فـالـجـنـةـ عـلـىـ أـهـلـهـ حـرـامـ؛

وـالـتـارـلـهـمـ دـارـ وـقـرـارـ.. فـتـعـوـذـ بـالـلـهـ مـنـهـ مـنـ أـهـلـهـ..

ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ تـاتـيـ الـمـحـرـمـاتـ مـنـ الـبـدـعـ وـالـمـعـاصـيـ؛

شـالـكـرـوهـاتـ..

(٣) فيه أن عدم معرفة الشر مظنة الوقوع فيه: فلا تكفي معرفة الخير في الوقاية من الشرور!

قال الفاروق عمر رضي الله عنه: "إـنـماـ تـنـقـضـ عـرـىـ الـإـسـلـامـ عـرـوةـ عـرـوةـ؛ إـذـ نـشـأـ فـيـ الـإـسـلـامـ مـنـ لـمـ يـعـرـفـ الـجـاهـلـيـةـ". (منهج السنّة (٣٩٨/٢)).

وـمـنـ قـوـلـ الشـاعـرـ:

عـرـفـ الشـرـ لـلـشـرـ لـكـ لـتـوـقـيـهـ

وـمـنـ لـاـ يـعـرـفـ الـخـيـرـ مـنـ الشـرـ يـقـعـ فـيـهـ:

(٤) فيه أن معرفة ما ينفع وما يضر في الدين لا يكون إلا من طريق الوحي وحملته؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الغير والشر.

(٥) فيه الاعتراف بعظميّة الله جل وعلا؛ فقد كانت العرب في جاهلية وشن، يعبدون الأوثان والأصنام، ويتنازعون فيما بينهم؛ فيعتدي القوي على الضعيف... فامتن الله عليهم بالإسلام؛ فتحولوا من ذل عبودية غير الله إلى عز عبادة الله وحده، ومن الغل والبغض والحسد فيما بينهم.. إلى أن صاروا إخواناً متحابين متألفين..

(٦) فيه بيان خطر من يتصدر للناس على أنهم دعاة، وليس لدعوتهم طريق إلا إلى جهنم! فخذدار أن تسلم دينك إلا من تقبل أن يكون حجة بينك وبين خالقك: قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين". (صحيح الجامع (٢٣١٦)).

وقال صلى الله عليه وسلم: يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم: فاياكم واياهم، لا يضلونكم، ولا يفتونكم. (صحيح مسلم (٧)).

(٧) فيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تحذير أمته من الفتنة والشروع التي ستكون من بعده ابتلاء للناس وامتحاناً لهم؛ وهذا فيه كمال

وصاحبته الكرام رضي الله عنهم، ولذلك لا يجوز التعميم

وقد بين الشاطبي رحمة الله ضابط الحكم على تجمع معين أنه "من الفرق الضالة" فقال: "وذلك أن هذه الفرق إنما تعد فرقا بخلافها للفرقة الناجية" في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشرعية لا في جزئي من الجزيئات، إذ الجزئي والفرعي الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيئا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، إلى قوله، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزيئات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشرعية بالمعارضة" (الاعتراض: ٢٠٠ / ٢).

(١١) فيه أن العزلة إذا فقد الإمام، وافتقر المسلمون... هي سبيل النجاة؛ ولذلك بالغ في الأمر بها فقال: "فأعزّل تلك الفرق كلها، ولو أن تعصي بأصل شجرة، حتى يدرك الموت وأنت على ذلك" قال البيضاوي: المعنى: إذا لم يكن في الأرض خليفة، فعليك بالعزلة، والصبر على تحمل شدة الزمان، وغضّ أصل الشجرة، كنایة عن مكابدة المشقة، كقولهم، فلان يغضّ البحارة من شدة الألم. (فتح الباري: ٣٦ / ١٣).

(١٢) فيه الرد والتخيير من طرفي الضلال، أهل الشهوات، وأهل الشبهات: قوله صلى الله عليه وسلم: "يُمْتَذِّنُ بِقَيْرَهُ هَدِيَّيْنِ" تعرف منهم وتقترن بهم أهل الشهوات، طلاب الدنيا، وساتل الإماراة... وقوله: "ذِعَةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمِ..." وهو أهل الشبهات، من الخوارج وأضرابهم.

(١٣) فيه الرد على كل من اتخذ طريقا غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم: سواء كان ذلك في باب الاعتقاد أو العبادة أو العاملة والسلوك... فإن طريق الهدىية المؤصل إلى الله سبحانه وتعالى واحد فقط؛ وهو هدى النبي صلى الله عليه وسلم وطريقه، وأما هدى غيره وطريقه غيره.. فهي من سبل الشيطان وجنوده...

قال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه، ثمقرأ: "وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ" (صحيح المشكاة: ١٦٦).

والله من رواهقصد، والحمد لله رب العالمين.

هم الجماعة وإن كانوا أقل عدداً فالحق لا يعرف بالرجال.

قال الفضيل- رحمه الله -: "عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون، واجتنب طريق الردى وإن كثر الماكون" (الاعتراض: ٨٣ / ١، ٨٣ / ٢)، والمجموع للنحوبي (٢٧٥ / ٨).

بل قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الجماعه ما وافق الحق؛ ولو كنت وحدك" (رواه الألماكي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٢٢ / ١ - رقم ١٦٠).

وقال نعيم بن حماد: "إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ" (الباعث على إنكار البعد (ص ٢٢)).

وقال سفيان الثوري "لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة" (شرح السنة: ٢٧٩).

وقال الترمذى: "تفسير الجماعة، عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث".

سئل ابن المبارك: من الجماعة؟

فقال: أبو بكر وعمر.

قيل له: قد مات أبو بكر وعمر.

قال: فلان وفلان.

قيل له: قد مات فلان وفلان.

فقال: أبو حمزة السكري جماعة.

قال الترمذى: "أبو حمزة هو، محمد بن ميمون، كان شيخاً صالحًا".

رواه ابن عساكرة في تاريخ دمشق، (١٣ / ٣٢٢ - ٢ / ٣٢٢).

اهـ

ما هو ضابط الحكم على تجمع معين أنه من "الفرق الضالة"؟

توهم البعض أن الدعوات المعاصرة الموجودة على الساحة في زماننا على اختلاف أسمائها من جملة "الفرق الضالة النارية" وأن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة" يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة" (رواه أبو داود: ٤٥٩٧) وصححه الألباني).

وبه صحيح الترمذى (٢٦٤١) (قالوا، ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) ينطبق على هذه الدعوات، وهذا خطأ، فالدعوات المعاصرة متفاوتة فيما بينها قرباً وبعداً من مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فبان الدعاء عبادة جليلة القدر عظيمة الشأن، وهو من أعظم الطاعات، وأنفع القربات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، والحديث عن الدعاء في هذا المقال سيكون بإذن الله تعالى من

جهتين:

أولاً، من جهة أهميته: للدعاء أهمية كبيرة، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار باردة يعلمهها:
١- أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره عزوجل، قال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ أَذْعُونَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر: ٦٠)، وقال: «وَأَدْعُوكُمْ مُخَلِّصِينَ لِهِ الَّذِينَ» (الأعراف: ٢٩)، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره.

٢- الدعاء هو العبادة، قال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ أَذْعُونَ أَسْتَجِبْ لِكُلِّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ سَيَدِّلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِلِينَ» (غافر: ٦٠)، قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: «والآية الكريمة دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ هُنَّ دَلَّالُونَ»، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه واستكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالقه، ورازقه، وموجده من العدم، وخلق العالم أجمع، ورازقه، ومحبيه، ومميته، ومثبته، ومعاقبه؟! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم» (تحفة الذاكرين ص ٢٨).

وكما جاء في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة» (صحيح الجامع ٣٤٠٧).

٣- الدعاء أكرم شيء على الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس شيء أكرم على الله عز

أهمية

الدعا في

حياة المسلم



معاوية هيكل

إعداد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحررته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه» (العبودية .٩٥)

٧- الدعاء سلام من العجز، ولدليل على الكياسة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام» (صحيح الجامع ١٠٤)، فأضعف الناس رأياً، وأنذهم همة من عجز عن الدعاء، ذلك أن الدعاء لا يضره أبداً، بل له فيه من المنافع ما لا يحصى.

٨- ثمرة الدعاء مضمونة باذن الله: فإذا أتي الداعي بشرط الإجابة فإنه سيحصل على الخير، وسينال نصيباً وافراً من ثمرات الدعاء ولا بد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من أحد يدعونا بداعٍ إلا آتاه الله ما سأله، أو كف عنه من سوء مثله، ما لم يدع بآشئم أو قطيعة رحم» (صحيح الجامع ٥٦٧٨).

ومن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يدعو، ليس بآشئم ولا بقطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلات: إما أن يجعل له دعوته، وأما أن يدخلها له في الآخرة، وأما أن يدفع عنه من السوء مثلها»، قال: إذا نكث، قال: «الله أكثُر» (صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

ومن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم ينصب وجهه إلى الله، يسأل الله مسألة إلا أعطاه إياها، إما عجلها له في الدنيا، وأما ذخرها له في الآخرة ما لم يجعل»، قالوا: يا رسول الله، وما عجلته؟ قال: «يقول: دعوت دعوت، ولا أراد يستجاب لي» (صحيح الأدب المفرد ٥٤٨).

ففي ما مضى من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يهمل، بل يعطي ما سأله، إما معجلاً، وأما

وجل من الدعاء» (صحيح الأدب المفرد ٥٤٩).

فالدعاء لما كان هو العبادة، كان أكرم على الله من هذه الحبيبة، لأن العبادة هي الغاية التي خلق الله سبحانه الخلق من أجلها، كما قال تعالى: «وَمَا نَكْفُتُ لِنَفْسٍ وَلَا إِنْسَانٍ إِلَّا يُعْلَمُ» (الذاريات: ٥٦) (تحفة الذاكرين ٣٠).

٤- الدعاء سبب لصرف غضب الله ودفعه عن العبد: فمن لم يسأل الله يغضبه عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يسأل الله يغضبه عليه» (صحيح الأدب المفرد ٥١٢)، ففي هذا الحديث دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات، لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه (تحفة الذاكرين ٣١).

ولقد أحسن من قال:

لَا تَسْأَلْ بِنَبْيَ آدَمَ حَاجَةً

وَسَلْ الَّذِي أَبْوَابَهُ لَا تَحْجَبُ

اللَّهُ يَغْضُبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ

وَبِنَبْيَ آدَمَ حِينَ يُسَأَلْ يَغْضُبُ

٥- الدعاء دليل على صدق التوكل على الله: فسر التوكل على الله وحقيقةه هو اعتماد القلب على رب وحده سبحانه وتعالى.

وأعظم ما يتجلّى التوكل حال الدعاء، ذلك أن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه، ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب إن لم يكن أعظمها.

٦- الدعاء وسيلة لسمو النفس وعلو الهمة: فالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامي، ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من منتهرم.

وبالدعاء يسلم من ذلك كلّه، فيظل مهاب الجانب، مهور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأحسن النجاح.

إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتعلق بين يديه ما أحب معه أن يؤخر عن قضاءها، وتندوم لي تلك الحال» (مدارج السالكين ٢٢٩).

١٢- حصول المودة بين المسلمين فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم بظاهر الغيبة استجيبت دعوته، ودل ذلك على موافقة باطننه لظاهره، وهذا دليل القوى والصدق والترابط بين المسلمين، قال تعالى: يقوي أواصر المحبة، ويثبت دعائهما، قال تعالى: **وَلَنِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنَ وَدُرَّا** (مريم: ٩٦).

والدعاء بلاشك من العمل الصالح الذي تحصل به هذه المودة بين المسلمين.

١٣- الدعاء من صفات عباد الله المتقين: قال جل شأنه عن أبيائه عليهم السلام: **إِنَّهُمْ كَانُوا لَسْكَنُوتُ فِي الْخَيْرِ وَلَدَقْنُوتُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً** **لَا خَشِبُونَ** (الأنبياء: ٩٠)، وقال عن عباده الصالحين، **وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا يَخْرِبْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَامًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (الحشر: ١٠)، إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

١٤- الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء: قال تعالى عن طاولت وجندوه لما برزوا لجالوت وجندوه: **فَالَّذِينَ كَانُوا أَغْرِيَ عَلَيْنَا سَكِّرًا وَكَيْتُ أَقْدَامَنَا وَأَصْرَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِ** (البقرة: ٢٥٠)، فماذا كانت النتيجة؟ **فَهُمْ مُؤْمِنُونَ** **وَلِذِنَ الْهُرُوفِ كَوَدْ كَالْوَتْ** (البقرة: ٢٥١).

١٥- الدعاء مفرز المظلومين، وملجا المستضعفين: فالمظلوم أو المستضعف إذا انقطع به الأسباب، وأغلقت في وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفع عنه مظلمته، ويعينه على من تسلط عليه وظلمه، ثم رفع يديه إلى السماء، وبث إلى الجبار العظيم شكوكه نصره الله وأعزه، وانتقم له من ظلمه ولو بعد حين.

ولهذا دعاؤه عليه السلام على قومه عندما استضعفوه، وكذبوا، ورددوا دعوته.

وكذلك موسى عليه السلام دعا على فرعون عندما طفى، وتجبر، وتسلط، ورفض الهدى ودين

مؤجلًا، تفضلًا من الله جل وعلا (تحفة الذاكرين .٣٣).

قال ابن حجر: «كل داع يستجاب له، لكن تنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه» (فتح الباري ١١/٨٥).

١٩- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله: قال عليه الصلاة والسلام: «ولا يرد القدر إلا الدعاء» (السلسلة الصحيحة ١٥٤).

قال الشوكاني عن هذا الحديث: «فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة» (تحفة الذاكرين ٢٩).

وقال: «والحاصل أن الدعاء من قدر الله عز وجل، فقد يقضى على عبده قضاء مقيداً بـأَنَّ لَا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه» (تحفة الذاكرين .٢٨).

١٠- الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله: قال صلى الله عليه وسلم: «من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سثل الله شيئاً يعطى أحبابه إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء» (تحفة الذاكرين ٣٠).

ولهذا يجدر بالعبد إذا وجد من نفسه النشاط إلى الدعاء والإقبال عليه أن يستكثر منه، فإنه مجاب، وتقضى حاجته بفضل الله، ورحمته، فإن فتح أبواب الرحمة دليل على إجابة الدعاء» (تحفة الذاكرين .٢٨).

١١- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ويركتها: فقد يقوم العبد بمناجاة ربِّه، وإنزال حاجاته ببابه فيفتح على قلبِه حال السُّؤال والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتعلق بين يديه ما ينتسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحب إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون آخر عنده من حاجته، ويكون فرحة بها أعظم من فرحة بحاجته تو عجلت له وفاتها تلك الحال (مدارج السالكين ٢٢٩).

قال بعض العباد: «إنه تكون لي حاجة

كأن يطلب من حي قادر حاضر أن يطعمنه، أو
يعينه فهذا جائز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-
وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء
كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه. وأما المخلوق
الغائب والميت فلا يطلب منه شيء». (انظر كتاب
قاعدة جليلة في التوسل لابن تيمية ص ١٦٥).

وقال ابن سعدي في (القواعد الحسان
ص ١٥٥): «ومن هذا قوله سبحانه في قصة
موسى عليه السلام: (فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه) (القصص: ١٥) اهـ».

تعريف دعاء العبادة، أما دعاء العبادة فهو
شامل لجميع القراءات الظاهرة والباطنة؛ لأن
المعبد لله سائل بلسان مقاله ولسان حاله رب
قبول تلك العبادة، والإثابة عليها؛ فهي العبادة
بعندها الشامل، ومن أعظم ما يدخل فيها ذكر
الله، وحمده، الثناء عليه -عزوجل- بما هو
أهلـهـ.

ولهذا «لو سألت أي عابد مؤمن: ما قصدك
بصلاتك، وصيامك، وحجتك، وأدانتك لحقوق الله
وحق الخلق؟

-لكان قلب المؤمن ناطقاً قبل أن يجيئك
لسانه: بأن قصدي من ذلك رضي ربـيـ، ونيلـ
ثوابـهـ، والسلامة من عقابـهـ؛ وهذا كانت النية
شرطـاـ لصحة الأعمال وقبولـهاـ واثمارـهاـ الثمرة
الطيبة في الدنيا والآخرة». (انظر القواعد
الحسـانـ ص ١٥٥ـ).

ولهذا فصرـفـ دعاء العبادة لغير الله يعدـ
شرـكاـ أكبرـ؛ لأنـ منـ يـدـعـوـ غيرـ اللهـ إنـماـ يـتـقـرـبـ
إليـهـ حتىـ يـجـبـ دـعـاءـهـ، وـيـثـبـهـ عـلـىـ فعلـهـ.

ـوهـذـاـ دـعـاءـ المسـائـلةـ إـلاـ فـيـمـاـ يـوـجـهـ لـمـخـلـوقـ
الـحـيـ، الـحـاضـرـ، الـقـادـرـ؛ قـلـيـسـ منـ العـبـادـةـ، يـدـلـكـ
عـلـىـ ذـلـكـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ فيـ سـوـرـةـ الـقـصـصـ،
وـهـيـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ: (فـاسـقـنـتـ اللـهـ مـنـ شـيـعـيـهـ عـلـىـ
الـلـهـ مـنـ عـدـوـهـ). (الـقـصـصـ: ١٥ـ).

ـوـالـأـدـلـةـ عـلـىـ ذـلـكـ كـثـيرـةـ. وـلـهـذـاـ بـقـيـةـ إنـ
شـاءـ اللـهـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ.

الـحـقـ، فـاـسـتـجـابـ اللـهـ لـهـمـاـ، وـحـاقـ بـالـظـالـمـينـ الـخـزـيـ
فـيـ الدـنـيـاـ، وـسـوءـ الـعـذـابـ فـيـ الـعـقـبـ.

ـوـكـذـلـكـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ لـكـلـ مـنـ ظـلـمـ،
وـاسـتـضـعـفـ، فـإـنـ لـجـأـ إـلـىـ رـبـهـ، وـفـزـعـ إـلـيـهـ
بـالـدـعـاءـ أـجـابـهـ بـمـنـهـ وـكـرـمـهـ، وـاـنـتـصـرـلـهـ وـاـنـ كـانـ
فـاجـراـ.

ـ١٦ـ الـدـعـاءـ دـلـيـلـ عـلـىـ الإـيمـانـ بـالـلـهـ، وـالـاعـتـرـافـ
لـهـ بـرـبـوـبـيـتـهـ، وـأـلـوـهـيـتـهـ، وـأـسـمـاـهـ وـصـفـاتـهـ؛ فـدـعـاءـ
الـإـنـسـانـ لـرـبـهـ مـتـضـمـنـ إـيمـانـهـ بـوـجـودـهـ، وـأـنـهـ غـنـيـ،
سـمـيـعـ، بـصـيـرـ، كـرـيمـ، رـحـيمـ، قـادـرـ، مـسـتـحـقـ لـلـعـبـادـةـ
وـحـدـهـ دـوـنـ سـواـهـ.

ثـانـيـاـ: أـنـوـاعـ الـدـعـاءـ

ـكـلـ دـعـاءـ وـرـدـ فـيـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ فـإـنـهـ يـتـنـاـوـلـ
نـوـعـيـنـ اـثـنـيـنـ وـيـنـدـرـجـ تـحـتـهـمـاـ، وـهـذـانـ النـوـعـانـ هـمـاـ.
ـ١ـ دـعـاءـ الـمـسـائـلةـ. ـ٢ـ دـعـاءـ الـعـبـادـةـ.

ـقـالـ الشـيـخـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ السـعـديـ فـيـ كـتـابـهـ
الـقـوـاـدـعـ الـحـسـانـ لـتـفـسـيرـ الـقـرـآنـ (صـ ١٥٤ـ ١٥٥ـ):
ـكـلـ مـاـ وـرـدـ فـيـ الـقـرـآنـ مـنـ الـأـمـرـ بـالـدـعـاءـ، وـالـنـهـيـ
عـنـ دـعـاءـ غـيرـ اللـهـ، وـالـثـنـاءـ عـلـىـ الـدـاعـيـنـ. يـتـنـاـوـلـ
ـدـعـاءـ الـمـسـائـلةـ، وـدـعـاءـ الـعـبـادـةـ. وـهـذـهـ قـاـدـعـةـ
ـفـيـ بـاـنـ اـكـثـرـ النـاسـ إـنـمـاـ يـتـبـارـلـهـمـ مـنـ لـفـظـ الـدـعـاءـ
ـوـالـدـعـوـةـ دـعـاءـ الـمـسـائـلةـ فـقـطـ، وـلـاـ يـظـنـونـ دـخـولـ
ـجـمـيعـ الـعـبـادـاتـ فـيـ الـدـعـاءـ.

ـوـهـذـاـ خـطـأـ جـرـهـمـ إـلـىـ مـاـ هـوـ شـرـمـهـ؛ فـإـنـ
ـالـآـيـاتـ صـرـيـحةـ فـيـ شـمـولـهـ لـدـعـاءـ الـمـسـائـلةـ، وـدـعـاءـ
ـالـعـبـادـةـ، اـهــ.

ـتـعـرـيفـ دـعـاءـ الـمـسـائـلةـ: هـوـ أـنـ يـطـلـبـ الـدـاعـيـ مـاـ
ـيـنـفعـهـ، وـمـاـ يـكـشـفـ ضـرـهـ.

ـأـوـهـ مـاـ تـضـمـنـ مـسـائـلةـ، أـوـ طـلـبـاـ، كـانـ يـقـولـ
ـالـدـاعـيـ: أـعـطـنـيـ، أـكـرـمـنـيـ، وـهـكـذـاـ... وـهـذـاـ النـوـعـ
ـعـلـىـ ثـلـاثـةـ أـضـرـبـ:

ـ١ـ سـؤـالـ اللـهـ وـدـعـاؤـهـ: كـمـنـ يـقـولـ: اللـهـمـ
ـأـرـحـمـنـيـ وـاغـفـرـلـيـ، فـهـذـاـ مـنـ الـعـبـادـةـ للـلـهـ.

ـ٢ـ سـؤـالـ غـيرـ اللـهـ فـيـمـاـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ الـمـسـؤـلـ:
ـكـانـ يـطـلـبـ مـنـ مـيـتـ أوـ غـابـرـ أـنـ يـطـعـمـهـ، أـوـ يـنـصـرـهـ،
ـأـوـ يـغـيـثـهـ، أـوـ يـشـفـيـهـ، فـهـذـاـ شـرـكـ أـكـبـرـ.

ـ٣ـ سـؤـالـ غـيرـ اللـهـ فـيـمـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ الـمـسـؤـلـ:

التوحيد أصل الدين وأساس الله



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

عن معاذ بن جبيل رضي الله عنه، قال كنت رذف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فأنْ حَقَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعذَبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فقتلت يا رسول الله أهلاً بشّر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا، متفق عليه (٢٧٦).

وفي هذا الحديث جملة من الفوائد الجليلة عظيمة النفع والفائدة تركز على أهمها فنقول وبالله

التفيق:

الصلوة والسلام، تفقيه الناس بالشهادتين، وأن يخلعوا الأوثان والأصنام، وأن يعبدوا الله وحده.

هذا أول شيء دعت إليه الرسل، وهذا هو الواجب على كل مسلم مكلف، وأن يوحده الله، وأن يخصه بالعبادة قبل كل شيء، كما قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْغِفْ

معاوية هيكل

اعدا

يشركوا به شيئاً، فمعرفة التوحيد هي أصل الأصول، وأصل الدين، وأساس الملة، أصل الدين أن تعلم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا هو أعظم واجب، وهو أول شيء دعت إليه الرسل ودعا إليه نبينا عليه

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: فيه بيان عظم كلمة التوحيد وبيان فضلها، حيث بين النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث حقين وكلاهما مرتبط بكلمة التوحيد:

الأول: حق الله على العباد،
وهو أن يعبدوه ولا

البلغ.“ (١١/٨)
والثاني، حق العباد
على الله تعالى:

وهو أن لا يعذب من
لا يشرك به شيئاً، وهذا
فضل عظيم من الكريم
جل جلاله، ولكن لماذا سمي
هذا حقاً على الله تعالى
مع إيماننا بأنه لا ملزم له
سبحانه ولا موجب عليه؟

قال الشيخ الغنيمان
بياناً لذلك في شرحة
لكتاب التوحيد من ١٠،
“اختلاف العلماء في قوله
صلى الله عليه وسلم:
(وحق العباد على الله إلا
يعذب من لا يشرك به
شيئاً)، ما المقصود بالحق
للعباد على الله؟

فقال قوم: إن للعباد
على الله حقاً مستحقاً
على سبيل القياس
بحقوق العباد، وهذا
قول طائفة ضالة وهم
المعتزلة، فقاتلو الله جل
وعلا على خلقه، ولهذا
يقول العلماء: إنهم مشبهة
الأفعال ونفافة الصفات، أي:
يعطّلون صفات الرّب جل
وعلا ويشبهون أفعال الرّب
جل وعلا بأفعال خلقه،
فيجعلون للعبد أجراً
يطلبه من الله، كما أن من
عمل عملاً لإنسان فإنه
يستحق عليه أجراً، وهذا
خطأ محض؛ فإن الله جل

أبي العز-رحمه الله- في
شرحه: ولهذا كان الصحيح
أن أول واجب يجب على
المكلف شهادة أن لا
إله إلا الله، لا التّنظُر
ولا القصد إلى التّنظُر،
ولا الشك، كما هي أقوال
لأرباب الكلام المذموم.
بل أئمّة السلف كُلُّهم
متفقون على أن أول ما
يؤمر به العبد الشهادتان،
ومتفقون على أن من فعل
ذلك قبل البلوغ لم يؤمر
بتتجديده ذلك عقب
بلوغه، بل يؤمر بالطهارة
والصلاحة إذا بلغ أو ميز عنده
من يرى ذلك، ولم يوجب
أحد منهم على وليه أن
يُخاطبه حينئذ بتتجديده
الشهادتين، وإن كان الأقرار
بالشهادتين واجباً باتفاق
المسلمين، ووجوبه يُسبّق
وجوب الصلاة، لكن هو أذى
هذا الواجب قبل ذلك.
(شرح الطحاوية ٢٥-٢٦)

وهذا قريب من كلام
شيخ الإسلام ابن تيمية
فقد قال-رحمه الله-
في “درء تعارض العقل
والنقل”: والمقصود هنا أن
السلف والأئمة متفقون
على أن أول ما يُؤمر
به العبد الشهادتان،
ومتفقون على أن من
فعل ذلك قبل البلوغ لم
يؤمر بتتجديده ذلك عقب

لَدِيَكَ» (محمد: ١٩)،
وقال تعالى: «وَقَنَى رَبُّكَ
أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَنَا» (الإسراء: ٢٣)،
وقال تعالى: «وَأَغْبَدُوا اللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَنَا» (النساء: ٣٦)،
وقال تعالى: «وَلَقَدْ
بَعْثَنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنْ أَغْبَدُوا اللَّهَ وَأَجْتَبُوا
الطَّاغُوتَ» (النحل: ٣٦).

فالواجب على كل
مكلف: أن يتفقه في
الدين، وأن يخصن الله
بال العبادة، وأن يعرف معنى
(لا إله إلا الله)، ومعنى
شهادة (أن محمداً رسول
الله)، وأن معنى الأولى:
توحيد الله والإخلاص
له، وصرف العبادة له دون
كل مساواه، والإيمان بأن
هذا هو الحق، وهو أصل
الدين وأساس الملة، كما
قال الله سبحانه: «ذَلِكَ
يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَطَلُ» (لقمان: ٣٠)
من دونه البطل مع الإمام برسول الله
وأنه رسول حقاً، محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب،
وأن الواجب اتباعه والسير
على منهاجه، وأن الأعمال
لا تقبل إلا بالأمررين:
الإخلاص لله، والتابعة
لرسوله صلى الله عليه
 وسلم؛
يقول الشيخ ابن

وعلا لا يحق عليه أحد شيئاً، فهو المالك لكل شيء، وهو الخالق لكل شيء.

وقال فريق آخر: إنه ليس للعباد على الله حق يطلب، وإنما ذلك مجرد وعد فقط، فـ(حقه) يعني: تتحقق موعوده.

أي أن وعده حق، وما وعد به سيقع، فقد وعد أهل الخير بالإثابة، ووعد أهل الشر والشرك بالعقاب، وهذا يعني الحق عندهم، وهذا أيضاً ليس صحيحاً.

القول الثالث وهو الصواب، أن للعباد على الله حق أحقه هو على نفسه جل وعلا، ولم يلزم إيه أحد من الخلق، بل هو تفضل منه واحسان ورحمة، كما كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق جل وعلا: **(وَكَانَ حَمَّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** (الروم: ٤٧)، ولا يوجب أحد حقه عليه، ويقول جل وعلا: (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (الأنعام: ٥٤).

فالحق الذي جعله للعباد، أن يثبت الطائع الإثابة التي يستحقها، ولهذا قال: (إلا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، هذا هو الحق الذي أحقه الله جل وعلا على نفسه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: كون المطبع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعلده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقاً زائداً على هذا، كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: **(وَكَانَ حَمَّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** (الروم: ٤٧)، ولكن أهل السنة يقولون هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه لم يوجد به عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه أوجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه دون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلوطوا في ذلك). انتهى. من "تيسير العزيز الحميد".

نفي الشرك يستلزم التوحيد

(وقوله إلا يعذب من لا يشرك به شيئاً) قال الحافظ: "اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة

باللزوم؛ إذ من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذب الله، ومن كذب الله فهو مشرك، وهو مثل قول القائل: ومن توضاً صحت صلاته. أي: مع سائر الشروط. اهـ).

يعني: أن قوله: (يعبد الله ولا يشرك به شيئاً) يستدعي فعل كل ما جاء به الرسول؛ لأن هذا أمر معلوم، يعني: فلا يقل قائل: إن هذا ليس فيه ذكر الصلاة، ولا الصوم، ولا الحج، ولا كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً).

فال العبادة هي أن تفعل ما أمرك الله جل وعلا به على لسان رسوله، وتترك ما نهاك عنه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا بد في عبادة الله أن تكون مع الذل والخضوع والتعظيم، وترك ما تنهى عنه مع الرجاء والخوف، هذه هي العبادة.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على فضل معاذ وعظيم منزلته حيث شرف بارداد النبي - صلى الله عليه وسلم - له، وأيضاً تخصيصه بهذا العلم. وفيه كذلك أدب



في بعض الأحوال، أو عن بعض الأشخاص لا على سبيل الإطلاق؛ فجائز للمصلحة؛ كما كتب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عن بقية الصحابة خشية أن يتكلوا عليه، وقال معاذ: «لا تبشرهم فيتكلوا». ونظير هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: «بشر الناس أن من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة» (مسلم: كتاب الإيمان/باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) بل قد تقتضي المصلحة ترك العمل؛ وإن كان فيه مصلحة لرجحان مصلحة الترك، كما هم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم، ولكن ترك ذلك خشية افتتان الناس، لأنهم حديثوا عهد بكفر(البخاري: كتاب العلم، باب ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، ومسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة). وللحديث بقية ياذن الله تعالى ذكر فيها تتمة الفوائد، والحمد لله رب العالمين.

أسلم ثمانى عشرة سنة، وهو أحد الأربعـة الذين قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عنـهم خذـوا القرآن عنـ أربعـة، وهو من قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - «أعلمـهم بالحالـ والحرامـ معاـذ بن جـبل» فهوـ من علمـاء الأنصـارـ. ولـذا بـعـثـه النبي - صلى الله عليه وسلم - في آخرـ حـياتـه إلى الـيـمـنـ نـاثـياـ عنـه دـاعـياـ وـمـعـلـماـ وـقـاضـياـ، وـعـادـ فيـ خـلـافـةـ أبيـ بـكـرـ وـوـلـاهـ عمرـ عـلـىـ الشـامـ بـعـدـ أبيـ عـبـيـدةـ، ثـمـ مـاتـ مـنـ عـامـه فيـ طـاعـونـ عـمـواـسـ سـنـةـ ثـمـانـىـ عـشـرـةـ عنـ أربعـ وـثـلـاثـينـ سـنـةـ. رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ. (انظـرـ: أـسـدـ الغـابـةـ ١٩٤٥، وـانـظـرـ: فـتـحـ المـجـيدـ صـ٤٣ـ، وـالـإـصـابـةـ ٢١٩ـ/ـ١٠ـ).

الفـائـدةـ التـالـيـةـ: جـواـزـ كـتـمـانـ الـعـلـمـ لـمـصـلـحةـ. قالـ الشـيـخـ اـبـنـ عـثـيمـيـنـ فيـ شـرـحـهـ لـكـتابـ التـوـحـيدـ: «هـذـهـ لـيـسـ عـلـىـ إـطـلاقـهـ؛ إـذـ إـنـ كـتـمـانـ الـعـلـمـ عـلـىـ سـبـيلـ الإـطـلاقـ لـاـ يـجـوزـ لـأـنـهـ لـيـسـ بـمـصـلـحةـ، وـلـهـذـاـ أـخـبـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـعـاـذـاـ وـلـمـ يـكـتـمـ ذـلـكـ مـطـلـقاـ، وـأـمـاـ كـتـمـانـ الـعـلـمـ

معـاـذـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ. فـهـوـ حـينـ سـئـلـ قـالـ اللـهـ وـرـسـولـهـ أـعـلـمـ، وـحـينـ عـلـمـ أـسـتـاذـنـ مـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ يـعـلـمـ النـاسـ لـيـسـتـبـشـرـواـ، وـهـكـذـا يـنـبـغـيـ لـطـالـبـ الـعـلـمـ معـ شـيـخـهـ،

«مـعـاـذـ بـنـ جـبلـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ مـنـ عـلـمـاءـ الصـاحـبةـ وـأـفـاضـلـهـ وـأـكـابـرـهـ، وـمـنـ السـابـقـينـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ، وـهـوـ أـنـصـارـيـ مـنـ الـخـزـرـجـ، وـجـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ الـذـي روـاهـ التـرـمـذـيـ وـغـيـرـهـ: أـنـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ لـهـ: (يـاـ مـعـاـذـ وـالـلـهـ! إـنـيـ لـأـحـبـكـ؛ فـلـاـ تـدـعـنـ دـبـرـ كـلـ صـلـاـةـ أـنـ تـقـولـ: اللـهـمـ أـعـنـيـ عـلـىـ ذـكـرـكـ وـشـكـرـكـ وـحـسـنـ عـبـادـتـكـ)، وـجـاءـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ: (إـنـ مـعـاـذـ يـحـشـرـ أـمـامـ الـعـلـمـاءـ بـرـتوـةـ)، وـالـرـتـوةـ: إـمـاـ أـنـ تـكـوـنـ الـمـكـانـ الـمـرـتفـعـ، أـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ أـمـامـهـ بـمـسـافـةـ لـفـضـلـهـ

وـهـوـ مـنـ شـهـدـ العـقـبةـ التـالـيـةـ، وـغـزـوـةـ بـدـرـ وـمـاـ بـعـدـهـ، وـأـخـيـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ. وـكـانـ عـمـرـهـ حـينـ

التوحيد أصل الدين وأساس الملة



الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فعن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، قال كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ: «يَا مُعاذَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قَلَتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَقَلَتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَلَا أَبْشِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا»، مُتَفَقُّ عَلَيْهِ (٢٧٦).

وهذا الحديث فيه من الفوائد الجليلة عظيمة النفع والفائدة ذكرنا جملة منها في العدد الماضي
وفي هذا المقال ثبتنا هذه الفوائد فنقول وبالله التوفيق

ما كان من العمل” (البخاري ٣٤٣٥، ومسلم ٣٣)، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ”من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة“ (البخاري ٣٤٣٥، ومسلم ٢٨).

- التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ”... فإن الله حرّ على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله“ (البخاري ٤٢٥ ومسلم ٣٣).

- يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان بذلك على ذلك ما رواه البخاري ومسلم

معاوية هيكل

امداد

ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: ”يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتريك بقربها مغفرة“ (روايه الترمذى ٣٤٥، وصححه الألباني).

- التوحيد هو السبب الأعظم لدخول الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمه ألقاها إلى مريم روح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على

من فوائد الحديث:

فضائل التوحيد وثمراته وبركاته

- التوحيد الخالص يثمر الأمان التام في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ”الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَتَسْوَأْ لِمَنْ يَرْتَهُوا لَمْ يَأْتُوهُمْ وَمَمْنَعَهُمْ مُهَاجَرَةً“ (الأنعام: ٨٢).

- التوحيد هو السبب الأعظم لتفريح كربات الدنيا والآخرة، ويدفع الله به العقوبات في الدارين، وبيسط به النعم، وتعم به البركات.
- يحصل لصاحبته المدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنية.

- يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويکفر به السيئات،



هذا العبد.
 - تكفل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهدى، والتيسير لليسرى، واصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.
 - ومن فضائله أن الله عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان ويدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأنس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه الله: (وشاهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم) (القول السيد للشيخ السعدي ص ٢٦).

وقال شيخ الإسلام تيمية رحمه الله: (وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله) (مجموع الفتاوى ٢٨/٣٢).

حقيقة التوحيد والرد على المرجنة

قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُبشرهم فيتكلوا"؛ يعني: لا يتكلوا على مجرد التوحيد ويقعوا في المعاصي، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى في أحاديث أخرى، وحذر أمته من الاتكال وأكَّد أنه لا بد مع التوحيد من حق الإسلام.

القلب حب الله لصاحب الإيمان وزينه في قلبه، وكراهية الكفر والفسق والعصيان، وجعله من الراشدين.

- التوحيد يخف عن العبد المكاره، وبهؤن عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقى المكاره والألام بقلب منشرح نفسه مطمئنة، وتسلیم ورضا بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انتشار الصدر.

- التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متبعاً لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيه، وبذلك يتم فلاحه، ويتحقق نجاحه.

- التوحيد إذا كمل في القلب، وتحققتا كاملاً بالإخلاص التام؛ فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب، ورجمت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض وعماراتها من جميع خلق الله كما في حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعون سجلاً من الذنوب، كل سجل مد البصر، وذلك لكمال إخلاص أصحابها. وكم من يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "... آخر جوا من كان في قلبه مثال حبة من خردل من إيمان".

- التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم: "من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أونفسه" (البخاري ٩٩).

- جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

فالتوحيد شرط لقبول الأعمال: «فَمَنْ كَانَ يَنْهَا لِفَتَأْ رَبِّهِ فَلَيَقْعُدَ عَلَّا صَلِّمَا وَلَا يَشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

وكل عمل لا يقوم على التوحيد فلا وزن له ولا قيمة: «أَتَلَّ الْيَتَمَ كَفَرُوا بِرَبِّهِ أَعْنَلَهُمْ كَمَّا أَشَّتَّتْ بِهِ الْأَرْضُ فَوَمَ عَاصِفٌ لَا يَقْدِرُهُ وَمَا كَسَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَذَلِكَ هُوَ الظَّلَلُ الْبَيِّنُ» (إبراهيم: ١٨).

- يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصائب، فالمخلص لله في توحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربِّه ورضوانه، وبهؤن المخلص لله ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخط الله وعقابه.

- التوحيد إذا كمل في

عن الطريق، والحياة شعبية من الإيمان، فجعل قول "لا إله إلا الله" - وهي قول - جعلها أفضل الإيمان، وأفضل الشعب، وجعل الحياة من شعب الإيمان، وجعل إماطة الأذى من الطريق من شعب الإيمان، وهكذا الصلاة والصوم والجهاد وغير ذلك، كله من شعب الإيمان؛ فهو قول، عمل قول القلب واللسان، عمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

المرجنة خطرهم على الأمة عظيم

قد عاهم مداعاة لترك العمل والتکاسل عن الطاعات، مما ضر أحدهم - وفق مذهب المرجنة - لترك الفرائض ما دام أياماته محفوظاً ودينه موفوراً، وهو مع ذلك بمنزلة جبريل وميكائيل، إن هذا المنطق يورث في أفراد الأمة اتكالاً وتغريضاً وتصيرأ في الطاعات؛ اتكالاً على سلامتها الإيمان وصحته، وقد كان الصحابة والهداة من السلف على خلاف ذلك، فقد كانوا يربطون ربطاً مباشرياً بين عمل الجوارح وإيمان القلب فهذا التابعي الجليل ابن أبي مليكة رحمه الله يذكر أنه أدرك ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "كلهم كان يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل" رواه البخاري، وهذا ابن مسعود ينقل رأي الصحابة في ارتياط العمل بالإيمان فيقول: "ولقد رأيناها إماطة الأذى

معرفة، كالجهمية، ومنهم من يرى أنه قول وتصديق، كمرجنة الفقهاء - كما ذكر الطحاوي في العقيدة - وكلها خطأ، وغلط.

والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، هذا قول أهل السنة، وهو الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما قال جل وعلا في كتابه المبين، **"لَئِنْ أَلْرَدْنَا**
"تُولُواْ وَجُوْمُوكْمُ قِيلَ الْشَّرِيقَ وَالْمَغْبِرَ
"وَلَكِنَ الْبَرُّ مِنْ مَاءِنَ يَأْتِيَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخْرَ
"وَالْمَلِكَةَ وَالْكَنْبَرَ وَالْأَنْبَيْنَ
"وَمَاقَ الْمَالَ عَلَىْ جِنْدِهِ دَوَىْ الْمَرْفَ
"وَالْأَنْتَمَ وَالْسَّكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
"وَالْسَّابِيلَةَ وَفِي الرَّقَابِ وَأَقَادَةَ
"الصَّلَةَ وَمَاقَ الْزَّكَوةَ وَالْمُؤْفَرَ
"يَمْهُدُهُمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَأَقْدَرُهُمْ فِي
"الْأَسَاءَ وَالْمُشَرَّكَةَ وَعِنْ الْأَنْبَيْنَ أَذْلَكَ
"الَّذِينَ مَدَقُواْ وَأَذْلَكَ هُمُ الْمُنْقَوْنَ"

(البقرة: ١٧٧)، فجعل هذا كله صدق، وإيمان، وتفوي، والآيات في هذا كثيرة.

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبدقيس: "أمركم بالإيمان بالله، ثم فسر ذلك بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وقام الصلاة، وابتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأداء الخمس، وقال عليه الصلاة والسلام: الإيمان بضع وستون شعبة، أو قال: بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى

فقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكوة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله". (صحيف البخاري: ٢٥).

فالطاعات كلها من حق الإسلام، وكذلك ترك المعاصي، وهذا لما ارتد من ارتد من العرب وامتنعوا عن أداء الزكوة في عهد الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم الصديق وقال: "إن الزكوة من حق الله"، الزكوة من حق لا إله إلا الله، والله لم يمنعني عناها - وفي لفظ عقالاً - كانوا يؤذونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتالهم على منعه، فقاتلهم حتى خضعوا للحق، ودخلوا في دين الله، وأدوا الزكوة، وامتثلوا أمر الله.

خطورة الفكر الإرجاني على الأمة وتعديل السلف منهم

أولاً: الإرجاء في الأصطلاح تأخير العمل وإخراجه عن حقيقة الإيمان، قال ابن كثير في بيان سبب تسمية المرجنة بهذا الاسم: "قيل مرجنة لأنهم قدمو القول وأرجووا العمل - أي آخره - وهم أقسام وفرق متعددة مختلفة في تحديد معنى الإيمان عددها الأشعري في المقالات اثنى عشر فرقة، فمنهم من يرى أن الإيمان قول فقط، كالكرامية، ومنهم من يرى أنه مجرد



عن دلالة نصوص الوحي،
وخرق للإجماع.

واياك ثم إياك - أيها
المسلم - أن تفتر بـما فاده به
بعض الناس من التهويين
بواحد من هذه أحسن
الإيمان لـاسيما ما تلقفوه
عن الجهمية وغلاة المرجنة
من أن "العمل" كمالٍ في
حقيقة الإيمان ليس ركتاً
فيه وهذا إعراض عن المحكم
من كتاب الله - تعالى - في
نحو ستين موضعاً، مثل قول
الله - تعالى -: «ونودوا أن
تكلم الجنة أو يرثموها بما
كنتم تعملون» (الأعراف،
٤٣)، ونحوها في السنة كثير،
وخرق للإجماع الصحابة
ومن تبعهم بـالحسان.

واياك يا عبد الله من
الجنوح إلى الغلو فتبطئ -
وأنت لا تشعر - في مزالق
الخوارج الذين تبني - في
المقابل - مذهبهم بعض
نابتة عصرنا.

بل إياك ثم إياك أن
تجعل أيّاً من مسائل العقيدة
الإسلامية "عقيدة أهل
السنة والجماعة" مجالاً
لـالقبول والرد، والحدف
والتصحيح، بما يشغب به ذو
هوى، أو ينتحله ذو غرض
 فهي - بحمد الله - حق
مجمع عليه فاحذرهم أن
يفتنوك "انتهى".

ثبتنا الله وإياكم على
التوحيد والسنّة، وعصمنا
من الفتنة ما ظهر منها وما
بطن.. أمين.

من: "صحيحه" بعد: "كتاب بدء الوحي" وفي
هذا تأكيد على أن حقيقة
الإيمان هذه مبناتها على
الوحي وأكثر أبوابه التي
عقدها - رحمه الله تعالى
- للرد على المرجئة وغيرهم
من المخالفين في حقيقة
الإيمان، وبعضاً للرد على
المرجئة خاصة كما في الباب
٣٦ منه (انظر الفتاوى
.٣٥١/٧).

ولأهميةه - أيضاً - أفرد
الائمة بالتأليف منهم: أبو
 Ubayd، وأحمد بن حنبل،
وابن أبي شيبة، والطحاوي،
وابن منده، وشيخ الإسلام
ابن تيمية، وغيرهم - رحم
الله الجميع -.

وعلى هذه الحقيقة
للإيمان بـبني المروي - رحمه
الله تعالى - كتابه: "تعظيم
قدره الصلاة" والصلة هي
أعظم الأعمال وأعمها وأوتها
وأجلها بعد التوحيد، وهي
شعار المسلمين، ولهذا يعبر
عنهم بها، فيقال: اختلف
أهل الصلاة، واختلف أهل
القبلة.

ولعظم شأنها عنون
أبو الحسن الأشعري -
رحمه الله تعالى - كتابه في
الاعتقاد باسم "مقالات
الإسلاميين واختلاف
المصلين" أي أن غير المصللي
لا يُعد في خلاف ولا إجماع.
والخلافة في تلك
الحقيقة الشرعية للإيمان،
ابتداع، وضلال، واعتراض

"أي الصلاة" إلا منافق معلوم
النفاق، وقد كان الرجل
يؤتى به يهادى بين الرجلين
حتى يقام في الصف" (رواہ
مسلم)، فانظر كيف ربط
رمي الله عنه النفاق بترك
العشاء.

وقال إبراهيم التيمي: "
ما عرضت قوله على عملي
إلا خشيت أن يكون مكذباً"
ذكره البخاري.

حقيقة الإيمان عند السلف

قال شيخ الإسلام ابن
تيمية - رحمه الله تعالى -
في: "الفتاوى" ٢٠٩/٧: "قال
الشافعي رحمه الله تعالى:
وكان الإجماع من الصحابة
والتابعين بعدهم، ومن
أدركناهم، يقولون: الإيمان
قول وعمل ونية، ولا يجزئ
واحد من الثلاث إلا بالأخر".
انتهى.

وقال البخاري رحمه
الله تعالى: "لقيت أكثر
من ألف رجل من العلماء
بـالأمسـار، فـما رأـيـتـ أحدـاـ
ـمـنـهـ يـخـلـفـ فيـ أنـ الإـيمـانـ
ـقولـ وـعـملـ، وـيزـيدـ وـينـقصـ".
آخر جـهـةـ الـالـاكـاثـيـ فيـ "أـصـولـ
ـالـاعـتـقادـ" بـسـنـدـ صـحـيـحـ.

قال الشيخ بـكرـأـبـوـزـيدـ
ـرحمـهـ اللهـ فيـ (درـةـ الفتـنةـ عنـ
ـأـهـلـ السـنـةـ /ـ الفـصـلـ الثـالـثـ):
ـ"ـوـجـلـالـةـ هـذـهـ المسـائـةـ
ـوـأـهـمـيـتـهـ اـفـتـحـ الـإـمـامـ مـسـلمـ
ـرحمـهـ اللهـ تعالىـ -ـ صـحـيـحـهـ:ـ
ـبــ"ـكـتـابـ الـإـيمـانـ"ـ وـسـاقـهـ
ـالـإـمـامـ الـبـخـارـيـ -ـ رـحـمـهـ اللهـ
ـتعـالـىـ -ـ فيـ "ـالـكـتـابـ الثـانـيـ"



المسح على الجوارب والخفاف..

سُنَّة نَبُوَيَّة، وسِمَةٌ مَنْهَجِيَّةٌ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه.. وبعد:

فمن خصائص الشريعة الإسلامية التي تميزت بها عن غيرها من الشرائع: التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، وهذا مبدأ شامل لجميع الأحكام الشرعية لا يقتصر على باب دون باب، وهو وسيلة تعين على تحقيق العبودية لله عز وجل، والمسح على الجوارب والخفاف مثل جلٍ على هذا، فهو سنة نبوية، ورخصة شرعية يحبها الله ورسوله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رِحْصَهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عِزَائِهُ». وفي رواية: «كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيهِ» (صحيح الجامع: ١٨٨٦، ١٨٨٥).

وفي هذا المقال نعرض لجملة من الأحكام المتعلقة بهذه السنة النبوية المباركة، فنقول وبالله التوفيق.

اماًء الامر معاوية محمد هيكل

بل قال رحمة الله: (من لم يمسح على الخفاف فاتهموه على دينكم) (أبو تعييم في الحلية ٣٢/٧).
وعَدَ سهل بن عبد الله التستري المسح على الخفاف من خصال «أهل السنة» (السنة للالكاني ١/٣٣).

كما قرر ذلك أيضا الإمام أبو حنيفة (في الفقه الأكبر ص ٤)، وأبو الحسن الأشعري في (الإبانة ص ٦١)، والبربهاري في (شرح السنة، ص ٣٠)
وقال الإمام محمد بن نصر المروزي: (وقد انكر طوائف من أهل الأهواء والبدع من «الخوارج» والروافض، المسح على الخفاف) ((السنة من ١٠٤) والمجموع للنووي ١/٥٠٠).

وقال الإمام النووي: (أجمع من يعتقد به في الإجماع على جواز المسح على الخفاف في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها... وإنما انكرته الشيعة و«الخوارج» ولا يعتد بخلافهم) (شرح مسلم ٣/١٦٠).

اولاً: المسح على الخفاف علم على عقيدة أهل السنة وشمار لهم، يميزهم عن أهل الأهواء والبدع

المعروف أن مسألة المسح على الخفاف من مسائل الفقه وليس من مسائل العقيدة؛ ولكنها أذاحت في مسائل الاعتقاد لأجل أن «أهل السنة» تميّزوا بأنهم يرون المسح على الخفاف خلافاً للطوائف المتردفة من «الروافض» و«الخوارج» وغيرهم، ولأجل هذه المخالفة صارت هذه المسألة «علمًا» يميّز أهل العقيدة الصحيحة عن أهل البدع والأهواء وأصحاب العقائد الباطلة، بل صارت «ميّاناً» منه جيًّا يفرق به ما بين «السنّي» وما بين «الرافضي» و«الخارجي» ونحوهما. وهذا هو وجه ايراد المسألة في مصنفات كتب العقيدة السلفية.
ومن أوائل الأئمة الذين قدروا تلك المسألة الإمام سفيان الثوري في «عقيدته» حيث قال شعيب بن حرب بعد أن أمرى عليه جملة من أصول أهل السنة والجماعة: يا شعيب بن حرب! لا ينفعك ما كتب لك حتى ترى المسح على الخفاف دون خلدهما أحدل عندك من غسل قدميك (أصول الاعتقاد للالكاني ١/١٧٠).



الأدلة من السنة

وأما السنة فقد بلفت الأحاديث التي تبين جواز المسح على الخفين قوله وفعلاً حضراً وسفراً حد التواتر، ونقل ابن المنذر انظر، «الأوسط» (١٤٣٠) عن الحسن البصري أنه قال: «حدثني سبعون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسح على الخفين» ومن هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة، ونقل ابن قدامة عن الإمام أحمد أنه قال: «ليس في قلبي من المسح شيء، فيه أربعون حديثاً عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم» (انظر: «المغني» ١/٣٦٠).

ومن هذه الأحاديث:

١- عن الغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاهويت لأنزع خفيه، فقال: ((دعهما، فإني أدخلتكم طاهرتين، فمسح عليهما)) (رواه البخاري: ٢٠٦، واللفظ له ومسلم: ٢٧٤).

٢- عن عبد الله بن عمر عن سعد بن أبي وقاص عن ((النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسح على الخفين)), وأن عبد الله ابن عمر سأله عن ذلك فقال: نعم، إذا حدثك شيئاً سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تسأل عنه غيره (رواه البخاري: ٢٠٢).

٣- عن همام بن الحارث، قال: رأيت جريراً بن عبد الله قال، ثم توضأ ومسح على خفيه، ثم قام فصلّى، فسئل، فقال: ((رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل هذا)) قال إبراهيم: (فكان يعجبهم: لأن جريراً كان من آخر من آسلم) (رواه البخاري: ٣٨٧، واللفظ له ومسلم: ٢٧٢).

يعني أن هذا الحديث ليس منسوحاً بآية المائدة كما يدعوه البعض؛ لتأخر إسلام جريرا.

٤- وعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى كاظمة قوم (يعني: اليمضة) فتوضاً ومسح على نعليه وقدمييه. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١٦٠).

وقال ابن عبد البر: «عمل بالمسح على الخفين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسائل أهل بدر

وقال الإمام الشعبي: (واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك «الرافضة») (منهج السنة) (٤٣٣/١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: (وقد تواترت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، «الرافضة» تخالف هذه السنة المتواترة، كما تخالف «الخوارج» نحو ذلك) (منهج السنة ٤/١٧٤).

وقال ابن أبي العز شارحاً كلام الطحاوي: (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الآثر). قال: (تواترت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، «الرافضة» تخالف هذه السنة المتواترة...) (شرح الطحاوية ص ٤٣٩، ٤٣٧).

وهذا دليل على أن أهل السنة لا يعارضون الآثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام بالأقويسنة أو بالدلائل العقلية، وإنما يجعلونها «مقدمة» على ما هو دونها من القياس والدلالة العقلية ونحو ذلك؛ لأن منهجم في الاستدلال يؤخذ من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

ثانياً: حكم المسح على الخفين والنعلين:
المسح على الخفين والنعلين ثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع.

الدليل من القرآن:

أما القرآن فقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُسْطَنَتِ إِلَى الْكَلَوةِ فَاغْسِلُوا رُجُوفَكُمْ وَأَبْدِيكُمْ إِلَى الْمَرْفَقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)) (سورة المائدة: ٦) على قراءة الجري في قوله «أرجلكم»، وهي قراءة سبعية، وبقراءة الجر تكون معطوفة على (رؤوسكم): لأنها الأقرب إليها والعطف على الأقرب معروف في لغة العرب، فيكون حكم الرجل «المسح على الخف» لأنه هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما يكون لابساً للخفين (انظر: سبل السلام للصناعي ١/١٠٦).

وقال ابن كثير رحمه الله: «هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان؛ قاله أبو عبد الله الشافعي رحمه الله. (تفسير ابن كثير



نَصْ يُقْيِدُ الْمَسْحَ بِهَا.

قال ابن عثيمين رحمه الله، ”المسح على الخف، الصحيح أنه لا يشترط فيه ما يشترطه الفقهاء من كونه ساتراً ل محل الفرض، وما سُمِّي خفًا فهو خف سواء كان محرقاً، أو رقيقاً، أو ثخيناً، أو سليمًا“ . (الشرح المتع ٤/٣٩٧).

خامساً: والوضوء باقٍ إن خلَعَ النعل أو الخف:

ما ثبت عن علي رضي الله عنه أنه دعا بماء قهوة مسح على نعليه ثم دخل المسجد فخلع نعليه ثم صلى . (شرح معاني الآثار: ٦١٥).

قال شيخ الإسلام رحمه الله، ”ولا ينتقض وضوء الماسح على الخف والعمامه بنزعهما، ولا يجب عليه مسح رأسه ولا غسل قدميه“ (الفتاوى الكبرى ٣٠٥/٥).

وقال ابن حزم: (الطهارة لا ينقضها إلا الأحداث، أو نصٌّ واردٌ بانتقادها، وخلع الخفين ليس حدثاً، ولم يرد نصٌّ يبيّن أن خلع الخفين سبب لانتقاد الوضوء، فصح أنَّه على طهارته، وأنَّه يصلى ما لم يحدث) (المحل ١/٣٤١).

سادساً: ولا ينتقض الوضوء - كذلك - بانتهاء وقت جواز المسح؛ لأنَّه لا دليل على نقض الوضوء بذلك، والأصل بقاء ما كان على ما كان؛ والماسح رخصة تتماشى مع قاعدة رفع الحرج والتيسير؛ وليس العكس.

قال ابن حزم رحمه الله: ”ليس في شيء من الأخبار أن الطهارة تنتقض عن أعضاء الوضوء ولا عن بعضها بانقضاء وقت المسح؛ وإنما نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يمسح أحد أكثر من ثلاث للمسافر أو يوماً وليلة للمقيم. فمن قال غير هذا فقد أفحى في الخبر ما ليس فيه، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل“ (المحل ١/٣٢٩).

وقال الإمام الشوكي رحمه الله بعد ذكره لثلاثة أقوال في المسألة، ”الرابع: لا شيء عليه؛ لا غسل القدمين، ولا غيره، بل طهارته صحيحة يُصلِّي بها ما لم يُحدث كما لو لم يخلع. وهذا المذهب حكاه ابن المنذر عن الحسن البصري وفتادة وسليمان بن حرب؛ وأختاره ابن المنذر؛ وهو المختار الأقوى“ (شرح المذهب: ١/٥٢٧).

والحدبية، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة والتابعين أجمعين، وفقهاء المسلمين في جميع الأمصار، وجماعة أهل الفقه والأشرك لهم يجيز المسح على الخفين في الحضر والسفر للرجال والنساء“ (التمهيد: ١١/١٣٧).

ثالثاً: ويكون المسح على ظاهر الخف فقط

لما جاء عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على الخفين على ظاهرهما . (صحيح سنن الترمذى ٩٨).

وقال علي رضي الله عنه بعد أن توضأ ومسح على ظاهر قدميه: لو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيت موتي فعلت؛ لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما . (سنن الدارمي ٧٤٢).

رابعاً: شروط المسح على الخفين

(١) أن تكون الخفاف طاهرة:

فلا يصح المسح على الخف النجس العين؛ نص على ذلك الماكية، والشافعية، والحنابلة.

(٢) أن يكون لابساً لها على طهارة؛ فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأهويت لانزع خفيه فقال: دعهما فإني أدخلتهمما ظاهرتيين؛ فمسح عليهما . (متفق عليه: البخاري ٢٠٦، مسلم ٢٧٤).

(٣) أن يكون مسحهما في الحديث الأصغر لا في الجنابة أو ما يوجب الغسل؛ ودليل ذلك حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا سفراً أو مسافرين لا ننزع أو نخلع خفافنا ثلاثة أيام وليلتين من غائط ولا بول إلا من الجنابة) (صحيح ابن حبان: ١٣٢٠).

(٤) أن يكون المسح في الوقت المحدد شرعاً:
فقد سئل علي بن أبي طالب عن وقت المسح على الخفين فقال رضي الله عنه: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام وليلتين للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم . (صحيح مسلم: ٢٧٦).

وأما ما عدا ذلك من الشروط فلم يرد في ذلك

جورييه في مرضه، ثم قال لعواده: " فعلت ما كنت أتهى الناس عنه" (شرح كنز الدقائق للزيلاعي: ٥٢١)

ثامناً: ولا وجه للتفرق بين المفهوم والجورب:

من حيث جواز المسح عليهما؛ لأن التفارق مخالف للنص والأثر وصحيح القياس والنظر؛ قال ابن عمر رضي الله عنهما: "المسح على الجوربين كالمسح على الخفين" (مصنف عبد الرزاق: ٧٨٢)

قال القاسمي رحمه الله: "كل المروي في المسح على الجوربين مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه قيد ولا شرط، ولا يفهم ذلك لا من منطقه، ولا من مفهومه، ولا من إشارته.

وجلي أن النصوص

- تحمل على عمومها إلى ورود مخصوص
- وعلى إطلاقها حتى يأتي ما يقيدها.

- ولم يأت هنا مخصوص ولا مقييد لا في حديث ولا أثر" (المسح على الجوربين: ٧٣).

ولقد جاءت الآثار لتؤكد عدم اشتراط تلك الشروط

فقد جاء عن الإمام النووي رحمه الله قوله: "وحكى أصحابنا عن عمر، وعلي رضي الله عنهما جواز المسح على الجورب، وإن كان "رقيقاً"؛ وحکوه عن أبي يوسف، ومحمد واسحاق، وداود". (شرح المذهب: ٥٠١).

وهذا ينقض دعوى الإجماع على عدم جواز المسح على الجوربين الرقيقين! فاحفظ هذا؛ ولا تتساءل.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "امسح عليها ما تعلقت به رجلك؛ وهل كانت خفاف المهاجرين والأنصار إلا مخرقة مشقة مرقبة؟" (مصنف عبد الرزاق: ٧٥٣).

وفي الختام أقول: إن فيما سبق من الأحاديث والآثار وأقوال أهل العلم ما يكفي للعمل بهذه السنة النبوية المباركة والرخصة الشرعية التي جاء بها الشرع الحنيف تخفيفاً على الناس وتيسيراً لهم.

والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين

سابعاً: المسح على الجوربين سنة نبوية:

وليس جواز المسح مقتضاً على التعلين والخلفين فحسب! بل على الجوربين كذلك.

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على الجوربين والتعلين. (صحيح سنن أبي داود: ١٥٩)
قال ابن منظور: "الجورب، لفافة الرجل" (لسان العرب: ٢٦٣/١)

وقال البهوي: "هو ما يلبس في الرجل على هيئة الخف من غير الجلد" (الروض المربع: ٥٤)
وعن ثوبان رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعة فأصابهم البزد، فلما قدموا على رسول الله أمرهم أن يمسحوا على العصائب والتساخين. (صحيح سنن أبي داود: ١٤٦)

قال الخطابي رحمه الله: "وقال بعضهم: التساخين، كل ما يُسخن به القدم، من خف وجورب ونحو ذلك." (غريب الحديث: ٦١/٢)

وقال الإمام أبو داود رحمه الله: "ومسح على الجوربين علي بن أبي طالب، وابن مسعود، والبراء ابن عازب، وأنس بن مالك، وأبي أمامة، وسهل بن سعد، وعمرو بن حرثي؛ وروي ذلك عن عمر بن الخطاب، وابن عباس" (سنن أبي داود: ٤١/١).

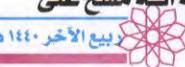
وزاد القاسمي في عدّهم: فكان المجموع ستة عشر صاحبياً. (انظر: المسح على الجوربين: ٥٥)

وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: مضت السنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بعدهم من التابعين، في المسح على الجوربين؛ لا اختلاف بينهم في ذلك. (المحل: ١١٨/٢)

هذا هو مذهب علماء الصحابة وأفاضلهم؛ الذي لا يعدل له مذهب قط، فاستمسك به كما في كل أمر من أمور دينك.

قال ابن القيم رحمه الله: "وكما أن الصحابة سادة الأمة وأنتما وقادتها فهو سادات المفتين والعلماء."

قال مجاهد: العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" (إعلام الموقعين: ١٢/١)
روي عن الإمام أبي حنيفة أنه مسح على





حسن الظن برب العالمين وجزاء الموحدين

معاوية محمد هيكل

قرب من ربه جل وعلا ازداد الله منه قريباً وحبياً، وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه قريب من عبده إذا ناداه ودعاه فقال: «إِذَا سَأَلَكَ عَبْدًا عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلَا يُسْتَحْجِبُوا إِلَيَّ وَلَا يُؤْمِنُوا بِي لَمَّا هُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة: ١٨٦)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) رواه مسلم، وفي قوله تعالى في الحديث: (إن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) ما يدل على هذا المعنى العظيم، وهو أن عطاء الله وثوابه أكثر وأفضل وأعظم من عمل العبد وكذاه، ولذلك فإنه يعطي العبد أكثر مما فعله من أجله، فسبحانه وتعالى ما أعظم كرمه، وما

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» (صحيح البخاري: ٧٤٠٥).

ذكرنا في المقال السابق جملة من الفوائد المتعلقة بهذا الحديث الجليل، وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامساً: ثمرات القرب من الله وبركاته على المسلمين: في الحديث بيان سعة فضل الله وعظيم كرمه على عبده المؤمن، وأن العبد كلما

أجل إحسانه، وما أوسع جوده

سادساً: مسائل عقدية مهمة مستفادة من الحديث:

(١) القرب والدُّنُو من صفات الله الفعلية الثابتة له سبحانه بالكتاب والسنة.

(والقريب) اسم من أسمائه تعالى؛ لقوله سبحانه: «إِذَا سَأَلْتَ عِبَادَكَ عَنِّي فَإِنَّ قَرِيبَ الْجَبَرِ أَعْيُثُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ» (البقرة: ١٨٦)، ولقوله تعالى: «فَاسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُؤْتُونَ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ فِي قَرِيبٍ مُّجِيبٍ» (هود: ٦١)، ول الحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس! أدعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، ولكن تدعون سميغاً قريباً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» (مسلم: ٦٧٠٤).

وأهل السنة والجماعة من السلف وأهل الحديث يعتقدون أن الله عزوجل قريب من عباده حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، وهو مستوى على عرشه، بائن من خلقه، وأنه يتقارب إليهم حقيقة، ويدنو منهم حقيقة، ولكنهم لا يفسرون كل قرب ورد لفظه في القرآن أو السنة بالقرب الحقيقي؛ فقد يكون القرب قرب الملائكة، وذلك حسب سياق اللفظ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما دُنُوه وتقريره من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيمة، ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر» (مجموع الفتاوى: ٤٦٦/٥).

ويقول في موضع آخر: (... ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قريبة يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا

من الأمور الجائزة، وينظر في النص الوارد، فإن دل على هذا؛ حمل عليه، وإن دل على هذا؛ حمل عليه،...) (مجموع الفتاوى ١٤/٦).

(٢) الهرولة والمشي صفتان فعليتان خبرياتان ثابتتان لله عزوجل كما في الحديث: "... وإن أتاني يمشي؛ أتيته هرولة" (البخاري: ٧٤٠٥، ومسلم: ٢٦٧٥). وكما في الحديث الآخر: "يا ابن آدم قم إلى أمري إليك، وامش إلى أهرول إليك" (صحيح الجامع: ٤٣٤٠).

قال أبو إسماعيل الهروي: (باب الهرولة لله عزوجل) (الأربعون في دلائل التوحيد ص ٧٩). ثم أورد الحديث.

وقال أبو موسى المديني في الحديث عن الله تبارك وتعالي: "من أتاني يمشي؛ أتيته هرولة؛ وهي مشي سريع، بين المشي والعدو" (غريب الحديث: ٢٦٨٤).

وهذا إثباتاً منها رحمة الله للصلة على حقيقتها وهي المشي السريع.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: (وقد أجمعنا على أن الحركة، والنزول، والمشي، والهرولة، والاستواء على العرش، والى السماء قديم، والرضي، والفرح، والغضب، والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة) (نقض الدارمي على المريسي: ٥٦١/١).

وقال ابن القيم: (قال تعالى في الله المشركين المعتظلين: «أَلَّهُمْ أَنْجُلْ يَسْمُونْ يَهَا أَمْ لَمْ يَأْتِ يَطْسُونْ يَهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنْ يَبْصُرُونْ يَهَا أَمْ لَهُمْ مَآذُنْ يَسْمَعُونْ» (الأعراف: ١٩٥)، فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلاً على عدم إلهية من عدّمت فيه هذه الصفات، فالبطش، والمشي من أنواع الأفعال، والسمع، والبصر من أنواع



السميع البصير. وليس في إتيان الله تعالى
هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف
ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال: إنه
ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله
يُفْعَلَه كيف يشاء). (مجموع الفتاوى
والرسائل، ١٨٨/١).

وقال أيضاً: فما الذي يمنع أن يكون إتيانه هرولة، إذاً كنا نؤمن بإتيانه حقيقة، فإذاً كان يأتي حقيقة فلابد أن يكون إتيانه على صفة من الصفات، فإذاً أخبرنا أنه يأتي هرولة، قلنا: آمنا بالله). (شرح البخاري (٣٧٧/٨).

التحذير من سوء الظن وخطر ذلك على العبد:

وأتماماً للفائدة اختتم بكلام رائع نافع للإمام ابن القيم رحمة الله يدل على عظيم فقهه وسموه فهمه، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «الظَّانُوا بِاللَّهِ ظَنٌّ أَسْوَءُ عَيْنَيْمَ دَارِيْرَةَ الْأَسْوَءِ» (الفتح: ٦).

قال-رحمه الله-: «إن أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا: من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف محب حمده وحكمته.

فمن قنط من رحمته، وأيس من روحه
فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن بأنه لا
ينصر دينه وكتابه، وأنه يدلي الشرك على
التوحيد، والباطل على الحق إدلة مستقرة،
يضمحل معها التوحيد والحق أضمهلا لا
يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء،
ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله،
وخصاته ونعمته.

فبان حمده وعزته، وحكمته والهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة، والظفر الدائم لأعدائه المشككين به، العادلة بـ ٤.

فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاتة وكماله، ومن

الصفات، وقد وصف نفسه سبحانه بـ
صفة أربابهم وبـضـد ما وصفه به المعلـة
والـجمـيمـة) (الصـوـاعـقـ الـرسـلـةـ ٣١٥/٣).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: (... تقريره إلى عباده العابدين له والمغارعين لطاعته، وتقريره إليهم لا يشابه تقريرهم، وليس قريبه منهم كقربيهم منه، وليس مشيه كمشيههم، ولا هرولته كهرولتهم، بل هو شيء يليق بالله لا يشبه فيه خلقه سبحانه وتعالى كسائر الصفات، فهو أعلم بالصفات وأعلم بكيفيتها عزوجل.. المعنى يجب إثباته الله من التقرب، والمشي والهرولة، يجب إثباته الله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، من غير أن يشابه خلقه في شيء من ذلك) (فتاوي نور على الدر ١/٦٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين: (صفة "المهزولة" ثابتة لله تعالى؛ كما في الحديث، وهذه "المهزولة" صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل؛ لأنَّه أخبر بها عن نفسه، فوجب علينا قبولها بدون تكييف، لأنَّ التكييف قول على الله بغير علم، وهو حرام، وبدون تمثيل؛ لأنَّ الله يقول: «لَيْسَ كُتُشِلَهُ شَوْءٌ» **وَهُوَ أَسْمَاعُ الْأَصْيَرِ**» (الشَّورِي: ١١). (الجواب المختار ص ٢٤).

وقال: (من المعلوم أن السلف يومئذ بـ
الله تعالى يأتي إثباتاً حقيقةً للفصل بين
عبداته يوم القيمة على الوجه اللائق به،
كما دل على ذلك كتاب الله تعالى، وليس
في هذا الحديث القدسي إلا أن إثباته يكون
هرولة لمن أتاه يمشي، فمن أثبت إثبات الله
تعالى، حقيقة لم يشكل عليه أن يكون
شيء من هذا الإثبات بصفة الهرولة على
الوجه اللائق به. وأي مانع يمنع من أن نؤمن
بأن الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله
تعالى به عن نفسه وهو سبحانه وتعالى
يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو

فأكثراً الخلق؛ بل
كلهم- إلا من شاء الله- يظنون بالله غير
الحق ظن السوء؛
فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس
الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما
أعطاه الله؛ ولسان حاله يقول: ظلموني ربِّي!
ومنعني ما أستحقه؟ ونفسه تشهد عليه
بهذا، وهو ببساطه يتذكره، ولا يتجرأ
على التصريح به، ومن فتش نفسه، وتغلغل
في معرفة دفاترها وطوابيدها رأى ذلك فيها
كاملاً كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من
شئت ينبعئك شراره عما في زناده؟
ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتمباً
على القدر وملامحة له، واقتراحاً عليه
خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون
كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر.
وتفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك ١٦

فإن تنزع منها نفع من ذي عظيمة
والله إلّا إلّا ناجيا
فليعطن الليب الناصح لنفسه بهذا الموضع،
وليتب إلى الله تعالى، وليستغفره كل وقت
من ظنه بربه ظن السوء، ولبيطن السوء
بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل
شر، المركبة على الجهل والظلم؛ فهي أولى
بطن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل
العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد؛
الذى له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة
التابعة، المنزه عن كل سوء في ذاته، وصفاته،
وأفعاله، وأسمائه.

فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذاك، وأفعاله كذلك؛ كلها حكمة، ومصلحة، ورحمة، وعدل، وأسماؤه كلها حسنة». (بتصرف يسير جداً)، من كتاب زاد المعاد (٢٠٦-٢١١))

ولله الحمد والمنة وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم
وأخلاصهم، ويسوى بينهم وبين أعدائه
فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن يترك خلقه سدى، معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسلاً، ولا ينزل عليهم كتبه؛ بل يتركهم همّاً كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح-
الذى عمله خالصاً لوجهه الكريم على
امتثال أمره- ويبطله عليه بلا سبب من
العبد فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أن له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بيته وبين خلقه وسائقه يرفعون حواتهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقررون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائقه بينهم وبينه؛ فيدعونهم، ويحبونهم كحبه، ويحافظونهم ويرجونهم فقد ظن به أقيح الظن وأسوأه!

ومن ظن به أنه إذا ترك لأجله شيئاً لم يعوضه خيراً منه، أو من فعل لأجله شيئاً لم يعطه أفضل منه فقد ظن به ظن السوء.
ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتصرع إلية، وسألة، واستعن به، وتوكل عليه: أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.

ومن ظن به أنه يثبّه إذا عصاه بما يثبّبه
بـه إذا أطاعه، وسألـه ذلك في دعائـه فقد
ظنـ به خلافـ ما تقتضـيـه حكمـتـه وحـمـدـه،
وـ خـلـافـ ما هـ هوـ أـهـلـهـ، وـ مـا لـ اـفـعلـهـ.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه، وأسخطه،
وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه ولية،
ودعا من دونه ملكاً، أو بشراً؛ حياً، أو ميتاً،
يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه، ويخلصه
من عذابه فقد ظن به ظن السوء، وذلك
زيادة في بعده من الله، وفي عذابه.

حسن الظن برب العالمين وجراء المودين

معاوية محمد هيكل

إعداد

حسن الظن بالله من سمات عباد الله الموحدين، إن حسن الظن بالله تعالى من عبوديات القلب العظيمة، وهو مقام على كريم جليل من مقامات الدين الرفيعة: فإنه جل وعلا لا يُخَيِّب أملَ أمل، ولا يُضيئ عملَ عامل، (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضيئ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (هود١١).

وهذا الإحسان كلما قوي في قلب العبد أثمر ثماراً طيبة مباركة وعوائد حميدة على صاحبه في الدنيا والآخرة.

وحسن الظن بالله هو فرج عن المعرفة بالله؛ فإن العبد كلما كان أعظم معرفة بالله وبأسمائه وصفاته، وأنه جل وعلا وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأنه سبحانه تواب رحيم، جواد كريم، عفو غفور، يقبل التوبة عن عباده ويعوض عن السيئات، وأنه لا يتعاظمه ذنب، وأنه واسع المغفرة، عظيم المَنْ والصفح، إلى غير ذلك من صفات الكمال والجمال، ونوعت العظمة

الحمد لله وكفى، والصلوة والسلام على نبيه الذي اصطفى وعلى الله وصحبه ومن لأثره اقتضى، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن آتاني يمشي أتيته هرولة» (صحيف البخاري: ٧٤٥).

وهذا الحديث قد ددَّ العلماء من أحاديث الرجاء العظيمة فيه إرشاد للعبد وحض على حسن ظنه بربه، وترغيب في الإكثار من ذكره، مع بيان أجراه وعظيم فضله، وقد ذكرنا في المقالين السابقين جملة من الفوائد المتعلقة بهذا الحديث، وفي هذا المقال نعرض لجملة أخرى من فوائد هذا الحديث المبارك فنقول وبالله التوفيق:

حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه: فإن الله لا يخيب أمله فيه أبداً؛ فإنه سبحانه لا يخيب أمل أمل، ولا يضيئ عمل عامل؛ فإنه لا أشباح للصدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحسن ظنه به» (مدارج السالكين ٤٧١/١).

وقال أيضاً: «فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه؛ ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه» (مدارج السالكين ١٢١/٢).

قال الحسن البصري رحمة الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن» (تفسير ابن كثير ٤٥١/٣).

لذلك فإن حسن الظن النافع له أركان ثلاثة: المحبة، والخوف، والسعى، فالمحبة ناجمة عن المعرفة «لذى الكمال»، والخوف ناجم عن المعرفة «لذى الجلال»، والسعى دليل المحبة والخوف ودليل المعرفة الحقة.

ومن رجا شيئاً كان محباً له خائفاً من فواته عليه، ساعياً لتحصيله بقدر ما أوتي من طاقة، أما الرجاء الذي لا يصحبه خوف وسعى ولا يزيد عن محبة وأمنية فهو أشبه بمن يطلب الحصاد دون حرث، كما قال الشاعر:

فرطت في الزرع وقت البذر من سفة

فكيف عند حصاد الناس تدركه

الفرق بين حسن الظن والغرور

قال ابن القيم رحمة الله: «الفرق بين حسن الظن والغرور، أن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساعدته وساق إليه: فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهيار في الماكي؛ فهو غرور. وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطانته رجاءً ورجاؤه بطالة وتغريطاً: فهو المغرور. (الجواب الكافي ص ٢٤).

والجلال؛ فكلما ازداد العبد معرفة بربه وامتلا قلبه بخشيته وحبه زاد حظه ونصيبه من حسن ظنه به.

فحسن الظن بالله معدود في أعظم العطایا والمن، وأجمل الهبات والمنح، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره، ما أعطي عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عزوجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عزوجل الظن إلا أعطاه الله عزوجل ظنه، ذلك لأن الخير في يده» (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ٨٣).

حسن الظن بالله عقيدة وعمل

إن حسن الظن بالله تعالى يعني: اعتقاد ما يليق بالله تعالى من أسماء وصفات وأفعال، واعتقاد ما تقتضيه من آثار جليلة وعظيمة، كاعتقاد أن الله تعالى يرحم عباده ويعفو عنهم إذا هم تابوا إليه وأنابوا، ويقبل منهم طاعاتهم وعبادتهم، وكذلك اعتقاد أن لله تعالى الحكم الجليلة فيما قدره وقضاه.

وحسن الظن بالله لا بد أن يصاحب العمل، ومن ظن أن حسن الظن بالله تعالى ليس معه عمل، فهو لم يدرك بعد ولم يفهم هذه العبادة العظيمة القدر على وجهها الصحيح، فحسن الظن لا يكون مع ترك الواجبات، و فعل المحرمات، ومن ظن ذلك فقد وقع في الغرور، والرجاء المذموم، والإرجاء المبتدع، والأمن من مكر الله، وكلها طوام ومهلك.

قال النووي رحمة الله: (قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه. قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح. فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء، أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الالتفاف عن المعاصي، والتقيّب، والحرص على الإكثار من الطاعات، والأعمال، وقد تعدد ذلك أو معظمه في هذا الحال، واستحب إحسان الظن المتضمن للأفتقار إلى الله تعالى، والإذعان له) (مسلم بشرح النووي ٢٥٦/٩).

وقال ابن القيم رحمة الله: «كلما كان العبد



أفجعل المسلمين كال مجرمين

أن يجتهد في القيام بما عليه من ذلك، موقفنا أن الله تعالى يقبل عمله، ويغفر ذنبه؛ فإن الله تعالى قد وعد بقبول التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة، فاما لو عمل هذه الأعمال وهو يعتقد أو يظن أن الله تعالى لا يقبلها، وأنها لا تنفعه، فذلك هو القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وهو من أعظم الكبائر، ومن مات على ذلك، وصل إلى ما ظن منه. فاما ظن المغفرة والرحمة مع الإصرار على المعصية؛ فذلك محض الجهل والغرور، وهو يجر إلى مذهب المرجئة» (المفهم شرح مسلم ٥٦٧).

الثاني: عند المصائب، وعند حضور الموت
فعن جابر رضي الله عنه قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة يقول: (لا يموتون أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن) (رواه مسلم ٢٨٧٧).

ويجب على المؤمن أن يحسن الظن بالله تعالى، وأكثر ما يجب أن يكون إحساناً للظن بالله؛ عند نزول المصائب، وعند الموت، قال الخطابي: تدب للمحتضر تحسين الظن بالله تعالى، وتحسين الظن بالله وإن كان يتأكد عند الموت وفي المرض، إلا أنه ينبغي للمكلف أن يكون دائمًا حسن الظن بالله». (الموسوعة الفقهية ٢٢٠/١٠)

فتبيين مما سبق أن حسن الظن بالله تعالى لا يكون معه ترك واجب ولا فعل معصية، ومن اعتقاد ذلك نافعاً له فهو لم يثبت لله تعالى ما يليق به من أسماء وصفات وأفعال على الوجه الصحيح، وقد أوقع نفسه بذلك في مزالق الردى، وأما المؤمنون العاملون بربهم فإنهم أحسنوا العمل وأحسنتوا الظن بربهم أنه يقبل منهم، وأحسنوا الظن بربهم عند موتهم أنه يغفو عنهم ويرحمهم ولو كان عندهم تقصير، فيرجي لهم تحقيق ذلك منه تعالى كما وعدهم.

وفي الحديث بيان فضل الذكر وجذراء الذاكرين؛ قال الله عز وجل مع عبده حين يذكره، وهذه المعية هي معية خاصة، وهي معية الحفظ والعون والتثبيت والتسديد كقوله سبحانه

إن إحسان الظن بالله لا يعني مساواة العاصين بالصالحين، يقول ابن القيم رحمة الله: «كيف يحسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساحته وما يغضبه، فبالله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه ومظالم العباد عندهم؟ فإن كان ينفعهم قولهم حسناً ظلونا بك أذك لن تعذب ظلماً ولا فاسقاً، فليصنع العبد ما شاء، وليرتكب كل ما نهاه الله عنه، وليرحمن ظنه بالله، فإن النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد». (الجواب الكافي: ٤٣).

من مواطن حسن الظن بالله تعالى

الأصل في المسلم أن يكون دائمًا حسن الظن بربه تعالى، وأكثر ما يتبع على المسلم حسن الظن بربه تعالى في موضعين:

الأول: عند قيامه بالطاعات:

فيلاحظ في الحديث علاقة حسن الظن بالعمل أوضح ما يمكن، فقد أعقبه بالترغيب بذكرة عز وجل والتقرب إليه بالطاعات، فمن حسن ظنه بربه تعالى دفعه ذلك لإحسان عمله. قال الحسن البصري رحمة الله: «إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل». (روايه أحمد في «الزهد» ص ٤٠٢).

وقال ابن القيم رحمة الله: «وبالجملة، فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك، فلا يتأتى إحسان الظن». (الجواب الكافي (ص ١٣ - ١٥) مختصرًا)

وقال القرطبي رحمة الله: قيل: معناه:

(١) ظن الإجابة عند الدعاء.

(٢) وظن القبول عند التوبة.

(٣) وظن المغفرة عند الاستغفار.

(٤) وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها؛ تمسكاً بصادق وعده، وجزيل فضله. وهذا يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: «اذعوا الله وأنتم مُوقنون بالإجابة» (صحيف الجامع، ٢٤٥).

وكذلك ينبغي للتأني والمستغفر، وللعامل



«كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعلمه وأمر بمعرفة ونهي عن منكر؛ فهو من ذكر الله».

ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس ماجلسات يتلقى أو يُفتقه فيه الفقه الذي سمّاه الله رسوله فقهاً؛ فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله أهـ. (مجموع الفتاوى ٦٥٣/١٠).

وقوله: «ذَكْرِيٌّ فِي نَفْسِهِ» يشمل: القول باللسان، والذكر بالقلب، والعمل بالجوارح. والقول باللسان يُشترط فيه تحريك اللسان، سواء كان بالذكر أو بالدعاء أو قراءة القرآن. والذكر بالقلب تعظيمها وخوفها ورهبة واجلالاً لله عز وجلـ. والعمل بالجوارح طاعة واقتیاداً لله تبارك وتعالـ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونفيه». وقال القرطبي: «والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربهـ. كما قال تعالى: فاذکروني اذکرکم». أهـ.

قال ابن القيم رحمه الله: «والذكر نوعان: أحدهما: ذكر أسماء رب وصفاته والثناء عليه، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق بهـ. والثاني: ذكر أمره ونفيه وأحكامهـ. وهو أيضان نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخباراً عنه: أمر يكداـ، ونفي عنه كذاـ، وأحب كذاـ، وسخط كذاـ، ورضي كذاـ.

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليهـ، وعند نفيه فيهرب منهـ، فذكر أمره ونفيه شيءـ، وذكره عند أمره ونفيه شيء آخرـ. فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذكريـ فذكره أفضل الذكريـ وأجلهـ وأعظمـهـ. أهـ. (الوايل الصيب ٢٣٤).

فاللهـمـ اجعلنا من عبادكـ الموحدينـ وأوليائـكـ الصالحينـ، وثبت قلوبـنا على دينـكـ حتى نلقـاكـ يا ربـ العالمـينـ.

موسى وهارون: «إنتي معكـما أسمـعـ وأـرىـ» (طـهـ: ٤٤)؛ فمن ذكرـ اللهـ في مـلاـ ذـكـرـ اللهـ تعالـيـ فيـ مـلاـ خـيرـ مـنـهـ، وـهـمـ المـلاـ الـأـعـلـىـ منـ الـمـلـائـكـةـ، كـمـ جـاءـ فيـ عـمـدـةـ الـقـارـيـ: «وـإـنـ ذـكـرـنـيـ فيـ مـلاـ أـيـ: فيـ جـمـاعـةـ، ذـكـرـتـهـ فيـ مـلاـ خـيرـ مـنـهـ يـعـنـيـ الـمـلـائـكـةـ الـمـقـرـبـيـنـ»؛ قالـ الطـبـرـيـ: «وـمـنـ جـسـيـمـ مـاـ يـرـجـيـ بـهـ لـلـعـبـدـ الـوـصـولـ إـلـىـ رـضـارـيـهـ، ذـكـرـهـ إـيـاهـ بـقـلـيـهـ، فـإـنـ ذـلـكـ مـنـ شـرـيفـ أـعـمـالـهـ عـنـهـ».

وقـالـ الحـاـفـظـ اـبـنـ حـجـرـ فيـ الـفـتـحـ، قـوـلـهـ: إـنـ ذـكـرـنـيـ فيـ نـفـسـهـ ذـكـرـتـهـ فيـ نـفـسـيـ. أـيـ: إـنـ ذـكـرـنـيـ بـالـتـنـزـيـهـ وـالـتـقـدـيـسـ سـرـاـ.

وقـالـ الرـبـيـعـ بـنـ أـنـسـ: «إـنـ اللـهـ ذـاـكـرـ مـنـ ذـكـرـهـ»ـ. وزـادـ مـنـ شـكـرـهـ، وـمـعـدـ بـ مـنـ كـفـرـهـ»ـ.

قالـ اـبـنـ رـجـبـ: قالـ اللـهـ تعالـيـ: (فـاـذـكـرـوـنـيـ أـذـكـرـكـمـ)ـ وـذـكـرـ اللـهـ لـعـبـدـهـ: هـوـ ثـنـاؤـهـ عـلـيـهـ فيـ مـلاـ الـأـعـلـىـ بـيـنـ مـلـائـكـةـ وـمـبـاهـاتـهـ بـهـ، وـتـنـوـيـهـ بـذـكـرـهــ. أـهـ.

وـأـوـصـيـ الـأـلـبـيـرـيـ اـبـنـهـ فـكـانـ مـاـ قـالـ لـهـ:

وـأـكـثـرـ ذـكـرـهـ فـيـ الـأـرـضـ دـأـبـاـ
لـتـذـكـرـ فـيـ السـمـاءـ إـذـ ذـكـرـتـاـ

مفهوم الذكر وحقيقة معناه

ومـفـهـومـ ذـكـرـ اللـهـ أـعـمـ مـنـ مـجـرـدـ ذـكـرـ بالـلـاسـانـ. قالـ تـعـالـيـ: (فـاـذـكـرـوـنـيـ أـذـكـرـكـمـ)ـ؛ قالـ اـبـنـ عـبـاسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ: «أـذـكـرـوـنـيـ بـطـاعـتـيـ أـذـكـرـكـمـ بـمـعـونـتـيـ»ـ.

وقـالـ سـعـيدـ بـنـ جـبـيرـ: أـذـكـرـوـنـيـ أـذـكـرـكـمـ بـطـاعـتـيـ أـذـكـرـكـمـ بـمـغـفـرـتـيـ، وـقـبـيلـ: أـذـكـرـوـنـيـ فيـ النـعـمـةـ وـالـرـحـمـاءـ أـذـكـرـكـمـ فـيـ الشـدـدـةـ وـالـبـلـاءـ، بـيـانـهـ: «فـلـوـلـاـ أـتـهـ كـانـ مـنـ الـمـسـبـحـيـنـ لـلـبـلـثـ فـيـ بـطـنـهـ إـلـىـ يـوـمـ يـبـعـثـونـ»ـ (معـالمـ التـنـزـيلـ لـلـبـغـوـيـ).

وقـالـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ: «أـذـكـرـوـنـيـ فـيـمـاـ اـفـتـرـضـتـ عـلـيـكـمـ أـذـكـرـكـمـ فـيـمـاـ أـوـجـبـتـ لـكـمـ عـلـىـ نـفـسـيـ»ـ.

لـذـلـكـ فـمـجـالـسـ الذـكـرـ أـعـمـ مـنـ أـنـ تـكـونـ مـجـالـسـ التـسـبـيـحـ وـالتـحـمـيدـ وـالتـهـلـيلـ وـالتـكـبـيرـ.

قالـ عـطـاءـ: مـجـالـسـ الذـكـرـ هـيـ مـجـالـسـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ؛ كـيـفـ تـشـتـرـىـ، وـتـبـيـعـ، وـتـصـلـىـ، وـتـصـومـ، وـتـنـجـحـ وـتـطـلـقـ، وـتـحـجـ، وـأـشـبـاهـ هـذـاـ.

وقـالـ شـيـخـ الـإـسـلـامـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ رـحـمـهـ اللـهـ:



المسلمون وتحديات العصر

معاوية محمد هيكل

إصدار ١

(أن تدعى عليكم). أي: تدعى، بأن يدعو بعضهم بعضاً لمقاتلتهم، وكسر شوكتكم، وسلب ما ملكتموه من الدّيار والأموال.

(كما تدعى الأكلة). أي: كما أنَّ الفتنة الأكلة يتدعى بعضهم بعضاً إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع، فيأكلونها صفوًا من غير تعب.

(ومن قلة). أي: أنَّ ذلك التَّدعى لأجل قلة نحن عليها يومئذ.

(كثير). أي: عدد، وقليل مددًا.

(ولكنكم غثاء كفثاء السُّيُل). ما يحمله السُّيُل من رغوة ومن فُتات الأشياء التي على وجه الأرض؛ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم.

(وليذعن). أي: ليخرجنَّ.

(المهابة). أي: الخوف والرُّعب.

(وليقذفنَّ). أي: وليرمِّنَ الله.

(الوَهْن). أي: الضعف، وكأنَّه أراد بالوهن ما يوجبه، ولذلك فسرَّه بحبِّ الدُّنيا وكراهة الموت.

(وما الوَهْن؟) أي: ما يوجبه وما سببه؟ قال الطيبُ رحمة الله: سؤال عن نوع الوَهْن، أو كأنَّه

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، والصلوة والسلام على سيد المسلمين ونبي الأمة صلى الله عليه وسلم.

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُوشكُ الأُمُمُ أَنْ تَدْعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدْعَى الأَكْلَةَ إِلَى قَصْعَتِهَا». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكُنُّكُمْ غَثَاءُ كَفَثَاءَ السُّيُلِ، وَلَيَذْعُنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوكُمُ الْمَهَابَةُ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذَفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فقال قائل: يا رسول الله! وما الوَهْن؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ».

صحيح أبي داود (٤٢٩٧).

هذا الحديث يعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته؛ إذ يخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بما سيقع للأمة من بعده من فتن وأزمات، وبما تواجهه من أخطار وتحديات، وبما تعانيه من أدوات وأسقام، وذلك حتى تتمكن من الأخذ بأسباب العلاج والتجاهز، ل تسترد الأمة عافيتها، وتستعيد مجدها وتستأنف دورها في قيادة البشرية من جديد.

معاني مفردات الحديث:

(يُوشكُ الأُمُمُ). أي يقرُّبُ فرقُ الكفر وأمم الصالحة.

الله عليه وسلم، وصدق رسالته، وقد استقصى هذه الأحاديث المشار إليها الحافظ ابن كثير في تاريخه، وعقد لها باباً خاصاً فقال: (باب ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده، فووّقت طبق ما أخبر به سواءً بسواء)، ثم ذكرها في فصول كثيرة؛ فليراجعوا من شاء في "البداية والنهاية" (٦/٢٥٦-١٨٢)، يجد في ذلك هدى ونوراً بإذن الله.

ثانية: تداعي أمم الكفر على المسلمين واحتلال ديارهم ونهب ثرواتهم وانتهاك مقدساتهم.

في الحديث إشارة إلى أن أمم الكفر الذين تکالبوا على أمة الإسلام من كل أقطار الدنيا قد ملا صدورهم حقد دفين وبغض شديد للإسلام والمسلمين، ولهذا شبههم النبي صلى الله عليه وسلم في شراستهم بالأكلة الجياع التي انتوت نفوسهم على شراهة واندفع شديد يغذيه جوع دفين، اجتمعوا على قصعة ينهشون لحمها من كل جانب.

وأن تاريخ هؤلاء الكفّرة الضرّورة ليشهد بما اقترفوه وما فعلوه بال المسلمين عبر العصور من الجرائم الوحشية، والإبادات الجماعية، فقد احتلوا ديار المسلمين، وعاثوا فيها فساداً، فكسرموا شوكتهم، واستباحوا بيضتهم، ونهبوا ثرواتهم، ووقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، من تداعي أمم الكفر على المسلمين، وووّقت أكثر البلاد الإسلامية تحت نير الاحتلال على اختلاف أشكاله، وذاق المسلمون منهم صنوف القهقر والتنكيل، وإذا أردت تفصيلاً عن مأساة المسلمين فالتأريخ الأسود يتبّيك بما جرى في الحروب الصليبية، واحتياج التتر للبلاد الإسلامية، وتعديب أهلها وتشريدهم وقتلهم، وكذلك ما حدث من تحالف قوى الكفر والشر من كل اتجاه للقضاء على الخلافة الإسلامية "حافظة الدين وعنوان عز المسلمين" فأسقطوها وأجهزوا عليها، مما أدى إلى أفال شمسها، وقسموا العالم الإسلامي إلى دوليات، وقدموها فلسطينين - بعدما مزقوا شامة الإسلام - إلى "اليهود" كأشهى وليمة في عصر الوهن، فاحتلوا أرضها، ودنسوا مقدساتها، وساموا أهلها

أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن. (قال: حب الدنيا وكراهية الموت). وهذا متلازمان، فكانهما شيء واحد، يدعوهما إلى إعطاء الدنيا في الدين من العدو المبين، ونسأل الله العافية. (انظر: عون المعبود ٢٣٧/١١).

الفوائد المستفادة من الحديث:

ولا: من أعلام النبوة في الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الأمور الغيبة باطلاع الله تعالى له:

فقد ميز الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم واختصه على سائر البشر بالوحى، وأمره أن يبيّن هذه الحقيقة للناس، فقال: **«قُلْ إِنَّمَا
بَشِّرُ مُتَكَبِّرِينَ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَجْدٌ**» (الكهف: ١١٠)، وعلى هذا كان لكلامه صلى الله عليه وسلم صفة العصمة من الخطأ؛ لأنّه كما وصفه ربّه عزوجل: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَيِّ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» (النجم: ٤-٣)، وليس هذا الوحي محصوراً بالأحكام الشرعية فقط، بل يشمل نواحي أخرى من الشريعة؛ منها: الأمور الغيبة، فهو صلى الله عليه وسلم وإن كان لا يعلم الغيب كما قال عنه ربّه: **«وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثُرَتْ
مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِذْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَيْرٌ لِّغَيْرِ
يُؤْمِنُونَ**» (الأعراف: ١٨٨)، فإن الله تعالى يطلعه على بعض المغيبات، وهذا صريح في قول الله تعالى: **«عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهُرُ عَلَى عَيْمَهِ أَهْدَىٰ** (إِلَّا مَنْ أَرَضَنِي مِنْ رَسُولِي) (الجن: ٢٧-٢٦)، وقال: **«لَا يُجِطُّونَ شَيْئاً مِّنْ عَلِيهِ إِلَّا يَمَاشَهُ**» (البقرة من الآية: ٢٥٥).

فالذي يجب اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب بنفسه، ولكن الله تعالى يعلمه ببعض الأمور الغيبة، ثم هو صلى الله عليه وسلم يطلعنا على ذلك بطريق الكتاب والسنة، وما نعلمه من تفصيلات أمور الآخرة من الحشر والجنة والنار ومن عالم الملائكة والجن ونحو ذلك، وما كان وما سيكون؛ ليس هو إلا من الأمور الغيبية التي أطلع الله تعالى نبيه عليها ثم بلغنا إياها، فلا يصح بعد هذا أن يرتّب مسلم في حديثه لأنّه يخبر عن الغيب؛ ولو جاز هذا للزم منه ردّ أحاديث كثيرة جداً قد تبلغ مائة حديث أو يزيد، هي كلها من أعلام نبوته صلى

سوء العذاب.

ثالثاً: خوف الغرب الكافر من انتشار الإسلام
وعداوهم الأبدي السافر له على مر العصور
فمنذ الوهلة الأولى لظهور الإسلام الوليد في
المدينة قال "أبو ياسر بن أخطب" لأخيه "حيي
بن أخطب": أهُو هُو؟ (أي: هل محمد صلى الله
عليه وسلم هو النبي الذي ننتظره، الموجودة
بشارته في كتابنا؟)، قال "حيي بن أخطب": نعم
والله.

قال "أبو ياسر": أتعرفه وتبثُّه؟

قال "حيي بن أخطب": نعم.

قال "أبو ياسر": فما في نفسك منه؟

يعني ما موقفك منه؟

قال حبي بن أخطب: "عداؤه والله ما
بقيت" سيرة ابن هشام (١٥٧:١)
والمتتبع لتاريخ "الصراع" بين الغرب وشعوب
الإسلام يلاحظ حقاً يصاحبه خوف رهيب
من الإسلام وظهوره، وهذا الحقد وذلك الخوف
يتضح جلياً في أقوالهم ويظهر موقفاً لا يتغير
تجاه الإسلام، إنه محاولة تدمير الإسلام وإنهاء
وجود شعوبه دون رحمة.

فهذا "الآن مورهيد" يقول: إن احتلال
الإنكлиз لمصر سنة ١٨٨١ كانت مواجهة مؤمرة
إسلامية خطيرة وتيار محمدي متغصب"
(محاضرات الجامعة الإسلامية ١٣٣٥ / ص ٣١)).
وهذا الجنرال الفرنسي "غورو" عندما
تغلب على جيش "ميسلون" خارج دمشق توجه
فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع
الأموي وركله بقدمه قائلاً: (ها قد عدنا يا
صلاح الدين) ("قادة الغرب يقولون" ص ٨٤))
ويفي ذكرى مرور مائة سنة على استعمار
الجزائر قال الحكم الفرنسي في الجزائر: إننا
لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون
القرآن ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن
العربي من وجودهم ونقتل اللسان العربي من
السنتمهم".

وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام
١٩٦٧م تجمهر الجنود حول حائط المبكى
وأخذوا يهتفون مع "موشي ديان": (هذا يوم
بيوم خير... يا ثارات خير) ("قادة الغرب

يقولون" ص (٣٤، ٣٣، ٢٨)).

وهذا "جلاد ستون" رئيس وزراء إنكلترا
يقول: ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي
المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق
ولا أن تكون هي نفسها في آمان (الإسلام على
مفترق الطرق (ص ٣٩)).

وهو القائل أيضاً: (لن تستقيم حالة الشرق
ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطي به
القرآن) (المرأة ومكانتها للحسين (ص ١٢)).

وهذا "كروم" يقول: (جئت لأمحو ثلاثاً،
القرآن، والكعبة، والأزهر). (الخنجر المسموم،
لأنور الجندي: ص ٢٩)

وأثناء الحرب الدموية على "البوسنة" وما
قام به "الصرب" من إبادات جماعية نشرت
"جريدة ليلىان" البوسنية في السابع من
يونية لعام ١٩٩٣م صورة من خطاب "جون
ميجر" رئيس وزراء بريطانيا إلى "دوجلاس
هوج" رئيس مكتب الأجانب والكوندولت يوضح
في خطابه السبب الحقيقي لامتناع الغرب عن
مساعدة "البوسنة" بل التضييق عليها وتركها
لوحوش "الصرب" وكان السبب بكل صراحة
أنهم من المسلمين).

ونشرت مجلة "ديرشبيجل" الألمانية
الواسعة الانتشار بحثاً عن "خطر الإسلام" على
الحضارة الغربية في عددها الثامن لعام ١٩٩١
تقول فيه: (إن الغرب انتقم لهزيمته أمام "صلاح
الدين" في القدس زمن الحروب الصليبية مرتين:
الأولى: عندما دعم الغرب مصطفى كمال
أتاتورك للقضاء على "الخلافة الإسلامية" في
إسطنبول).

والثانية: دعم الغرب "اليهود" لتأسيس دولة
لهم في فلسطين).

وصدق الله العظيم القائل في كتابه: (ولَا
يَرَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِن
أَسْتَطَعُوْا) فالله المستكفي.

رابعاً: عودة الأمة إلى الله والأخذ بأسباب

النجاة سبيل الخلاص من الغثاثية والوهن:
ففي الحديث تحذير للأمة من الأسباب التي
أدت إلى تكالب الأمم وهجومهم على أمّة الإسلام،
ألا وهو: "حب الدنيا وكراهيّة الموت"، فإن هذا

الله به الكفر” (أخرجه أحمد ١٦٩٩٨، والسلسلة الصحيحة ١ / ٣٢ (مجلة التمدن الإسلامي ٤٢١/٤٢٤).

وقوله ”بَعْزُ عَزِيزٌ“، أي: إن من أسلم يعزه الله، ويعزه بالإسلام، ومن امتنع ”أَذْلَهُ اللَّهُ“ تعالى بالصغار والجزية، ولذلك كان تميم الداري راوي الحديث يقول كما في مسند الإمام أحمد: (قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية).

وقال الألباني أيضًا في كتابه (تحذير الساجد): ”أن الظهور المذكور لم يتحقق بتمامه وإنما يتحقق في المستقبل، ومما لا شك فيه أن دائرة الظهور اتسعت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ولا يكون التمام إلا بسيطرة الإسلام على جميع أنحاء الأرض، وسيتحقق هذا قطعًا لإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك. انتهى.

ومصداق هذا الحديث من كتاب الله تعالى قوله عزوجل: **إِنَّ رَبِّكُمْ أَنْ يُطْعَمُوا نُورُ اللَّهِ يَأْتِي فِيهِمْ هُنَّ أَنْجَلُوا إِنَّمَا أَنْجَلُوا نُورًا وَلَوْ كَرَّةَ الْكَثِيرِ وَلَوْ كَرَّةَ الْمُنْتَهَى وَلَوْ كَرَّةَ الْمُحْقِيقِ لَيَظْهُرُمْ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرَّةَ الشَّرِيكِ**“ (التوبه: ٣٢-٣٣).

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالنصر والتمكين والرفعة فقال: (بِشَّرَهُذِهِ الْأُمَّةِ بِالْتَّيسِيرِ وَالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ بِالْدِينِ وَالْتَّمْكِينِ فِي الْبَلَادِ وَالنَّصْرِ....) (صحيح الترغيب ١٣٣٢)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلقي فتعال فاقتله.....) (صحيح مسلم ٢٩٢٢)); وسيتحقق بإذن الله تعالى الوعد الرباني بانتصار الإسلام وال المسلمين **وَلَتَنْصُرَكُمُ اللَّهُ مَنْ يَتَصْرِفُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْتُ عَزِيزٌ**“ (الحج: ٤٠).

نسأل الله العلي القدير أن ينصر الإسلام وال المسلمين، وأن يمكن لدينه في الأرض ويفتح له قلوب الناس. والله المستعان.

الحب والكرابية هو الذي يستلزم الرضا بالذل، والاستكانة إليه، والرغبة عن الجهاد في سبيل الله على اختلاف أنواعه؛ من الجهاد بالنفس والمال والسان وغير ذلك، وهذا هو حال غالب المسلمين اليوم.

والحديث يشير إلى أن الخلاص مما نحن فيه يكون بنبذ أسباب الوهن، والأخذ بأسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، حتى يعود المسلمون اليوم كما كان أسلافهم: ”يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة“.

قال الألباني -رحمه الله-: وما أشار إليه هنا الحديث قد صرّح به في حديث آخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أدناه، البقل ورضيتم بالثرثع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (صحيح أبي داود ٣٤٦٢).

فتأمل كيف اتفق صريح قوله في هذا الحديث: ”لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم“ مع ما أشار إليه الحديث الأول من هذا المعنى، الذي دل عليه كتاب الله تعالى أيضًا، وهو قوله: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْنِي مَا يَقُومُ حَتَّى يَنْعِزَ مَا يَأْتِشُمْ**“ (الرعد من الآية: ١١). فثبت أن هدف الحديث إنما هو تحذير المسلمين من الاستمرار في ”حب الدنيا وكراهية الموت“، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمين تتبهوا له، وعملوا بمقتضاه؛ لصاروا سادة الدنيا، ولما رفرت على أرضهم راية الكفار، ولا بد لهذا الليل أن ينجلي، ليتحقق ما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، من أن الإسلام سيعم جميع أنحاء الأرض، وسيصل مشارق الأرض ومحاربيها؛ فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض). أو قال: إن ربّي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومحاربيها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها) (صحيح أبي داود ٤٥٢).

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وير إلا أدخله الله هذا الدين، يعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل

أولاً: تعريف الحياة

الحياة لغة:

مصدر حي من الحياة، والغيث يسمى حيَا- بالقصر- لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت “بالحياة” حياة الدنيا والأخرة، فمن “لا حياة” فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة” (الجواب الكافي، ص ٨٣).

قال ابن القيم رحمة الله: (ولهذا كان خلق “الحياة” مشتقا من ”الحياة“ اسمًا وحقيقة فاكمل الناس ”حياة“ أكملهم حياة، ونقصان ”حياة“ الرء من نقصان ”حياته“، فإن الروح إذا ماتت لم تحس بما يؤتلها من القبائح، فلا تستحب منها، فإذا كانت صحيحة الحياة أحسست بذلك، فاستحببت منها) (تهذيب مدارج السالكين ٩٤٨/٢)

وفي الشرع:

”خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال، والأقوال، وينع من التقصير في حق ذي الحق.“
”الموسوعة الفقهية“ (٢٥٩/١٨).

ثانياً: الحياة نوعان:

جبلٌ غريزيٌ وكسبٌ إيمانيٌ:
قال ابن رجب: ”اغلُم أنَّ الْحَيَاةَ نُوْعَانٌ، أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ حَلْقاً وَجِلْهَا غَيْرُ مُكْتَسِبٍ، وَهُوَ مِنْ أَجْلِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَمْنَحُهَا اللَّهُ الْعَبْدُ وَيُجْبِلُهُ عَلَيْهَا.“

النوع الثاني:

”ما كان مُكتسباً من معرفة الله، ومعرفة عظمته وقربيه من عباده، وأطلاعه عليهم، وعلمه بخاتمة الأغرين وما تخفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان.“ (جامع العلوم والحكم ٥٠٢/١).

قال القرطبي في المفہوم: ”وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان من الحياة المكتسبة والغريزية، وكان في الغريزية أشد حياء من العذراء في حذرها، وكان في المكتسبة في الذرورة العليا صلى الله عليه وسلم. (المفہوم ١٣٦/١).“

ثالثاً: الترغيب في الحياة في القرآن والسنة:

أولاً: في القرآن الكريم:

قال تعالى: (لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ حَسْبِهِمْ مَا رَأَيْتُمْ فَلَا يَرَوْنَ مَا لَمْ يَرَوْا) (الأعراف: ٢٦).
فسر لباس التقوى بأنه الحياة كما روي عن الحسن.
(تفسير الألوسي ٣٤٤/٤)

وعن عبد الجهني قال: لباس التقوى الحياة

الحياة وأثره في حياة الأمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله

وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي دعت إليها الشريعة ورغبت فيها ”خلق الحياة“، فهو عمدة الأخلاق وسيدها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعا، وهو خلق الإسلام، وقرين الإيمان، ومنيع كل خير، وبه تحيى القلوب وتسمو النقوص، وتسعد في الدنيا والآخرة.

وباتي هذا المقال، تأكيداً لهذه المعاني النبيلة ودعوة للتخلص والتخلق بهذا الخلق النبيل، فنتقول وبالله تعالى التوفيق:

معاوية محمد هيكل

إصدار



(تفسير القرطبي ٨/١٧٥).

وقال تعالى: **فَإِنَّمَا إِعْدَهَا تَمَشِي عَلَى أَسْتِحْبَاتِكُمْ فَالَّذِي أَنْتُمْ إِلَيْهِ مُنْتَهُونَ**

(القصص: ٢٥).. قال عمر رضي الله عنه:

“ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها” (الدر المنشور ١٤٤/٥). سلف: يعني: سلطة جريئة

قال الطبرى: (فَإِنَّمَا تَمَشِي عَلَى أَسْتِحْبَاتِكُمْ وَهِيَ تَسْتَحْبِي مِنْهُ) (جامع البيان ١٨/٢٢١).

”وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياة من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء“ (تفسير السعدي ١٢٧).

ثانياً، في السنة النبوية:

(١) الحياة خلق الإسلام:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياة) (السلسلة الصحيحة ٩٤٠).

يعنى: الغائب على أهل كل دين طبع وسجية التي بها قوامه وجماله “الحياة”， لأن متمم مكارم الأخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم لإنعامها، ولما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله أسمى الأخلاق وأشرفها.“ انتهى. (انظر

شرح الزرقاني على الموطأ ٣/٦٠٤).

(٢) الحياة أجمعت عليه رسالات الأنبياء:

عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحب فاصنع ما شئت) (رواه البخاري ٦١٢).

قال الخطابي: (معنى قوله: (النبوة الأولى): أن الحياة لم ينزل أمره ثابتًا، واستعماله واجباً منذ زمان النبوة الأولى، وأنه ما من نبأ إلا وقد ندب إلى الحياة وبعث عليه، وأنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، ولم يبدل فيما بدل منها) (معالم السنن ٤/١٠٩).

قال المناوى: (معناه: أن مما بقي فادركونه من كلام الأنبياء المتقدمين أن “الحياة” هو المانع من اقتراف القبائح والاشتغال بمنهييات الشرع ومستهجنات العقل وذلك أمر قد علم صوابه

وظهر فضله واتفقت الشرائع والعقول على حسنها، وما هذه صفتة لم يجر عليه النسخ والتبدل) (فيض القدير ١/٤٣).

(٢) الحياة شعبة من الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله. وأدنها: إماتة الأذى عن الطريق.

والحياة شعبة من الإيمان) (رواہ مسلم ٣٥).

قال الخطابي: (معنى قوله: (الحياة شعبة من الإيمان) أن الحياة يقطع صاحبه عن المعاصي ويحرجه عنها، فصار بذلك من الإيمان) (معالم السنن ٤/٣١٢).

وقال السعدي: (هذا الحديث من جملة النصوص الدالة على أن الإيمان اسم يشمل عقائد القلب وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فكل ما يقرب إلى الله، وما يحبه ويرضاه من واجب ومستحب فأنه داخل في الإيمان. وذكر هنا أعلاه وأدنى، وما بين ذلك وهو: الحياة. ولعل ذكر الحياة؛ لأن السبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان. فإن من استحيا من الله للتواتر نعمه، وسواعده كرمه، وتجليه عليه بأسمائه الحسنية، والعبد مع هذا كثير التقصير مع هذا الرب الجليل الكبارين يظلم نفسه ويجني عليها أوجب له هذا الحياة التوقي من الجرائم، والقيام بالواجبات والمستحبات) (بهذه قلوب الأبرار ص ١٧٩).

(٤) الحياة منبع كل خير:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياة لا يأتي إلا بخير) (رواہ البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧).

قال ابن بطال: (معناه: أن من استحيا من الناس أن يرؤه يأتي الفجور ويرتكب المحaram، فذلك داعية له إلى أن يكون أشد حياء من ربِّه وخالقه، ومن استحيا من ربِّه فإن حياءه زاجر له عن تصييب فرائضه وركوب معاصيه؛ لأن كل ذي فطرة صحيحة، يعلم أن الله تعالى النافع له والضار والرزاقي والمحيي والميت، فإذا علم ذلك فينبغي له أن يستحيي منه عز

وجل (شرح صحيح البخاري ٩/٢٩٧).
قال ابن رجب: (الحياء لا يأتي إلا بخير); فإنه يكتف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويبحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار (جامع العلوم والحكم ١/٥٠١).

قال ابن حجر: (إذا صار الحباء عادة، وتخلق به صاحبه، يكون سبباً يجعل الخير إليه، فيكون منه الخير بالذات والسبب) (فتح الباري ١٠/٥٢٢).
فالحياء فضيلة من فضائل الفطرة، وهو مادة للخير والفضيلة، وبهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (الحياء خير كلهم) (صحيح مسلم ٣٧).

قال ابن القيم رحمة الله: (خلق "الحياء" من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعاً بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حباء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهم الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء) (مفتاح دار السعادة ٢٢٧).

(٥) الحباء والإيمان قرينان لا يفترقان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحياء والإيمان قرناً جميماً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر" (صحيح الجامع ١٩٥).

قال الطيبى: "فيه رائحة التجريد، حيث جرد من الإيمان شعبة منه، وجعلها قرينة له على سبيل الاستعارة، كأنهما رضيَا لبان ثدي، فتقاسما على لا يفترقا" (فيض التقدير ٣/٤٢٦).

(٦) حقيقة الحباء من الله:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله حق الحباء. قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحي. والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحباء؛ أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكرة الموت والليل، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيى من الله حق الحباء) (صحيح الترمذى ٢٤٥٨).

قال ابن رجب: (يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوى، يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله، ويتضمن أيضاً حفظ البطن من إدخال

رابعاً: الحباء صفة من صفات الله تعالى:

الحياء والاستحياء صفة خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، "والحيي" اسم من أسماء الله تعالى
أدلة القرآن الكريم:

- قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي»، أَنْ يَتَرَبَّ مُثْلَمًا مَوْضَعَهُ فَمَا وَقَوْهَا» (البقرة: ٢٦).
- قوله تعالى: «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنِ الْحَقِّ» (الأحزاب: ٥٣).



قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله: «من فوائد الآية، إثبات الحياة لله عزوجل. ووجه الدلالة، أن نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال دليل على ثبوته فيما يقابلاها؛ وقد جاء ذلك صريحاً في السنة (مجموع الفتاوى) أدلة السنة النبوية».

(١) حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه مرفوعاً: (... وأما الآخر فاستحي؛ فاستحي الله منه، وأما الآخر فأعرض؛ فأعرض الله عنه) رواه البخاري (٦٦)، ومسلم (١٤٥٠).

(٢) حديث سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم حبيٌّ كريم، يستحب أن يبسط العبد بيده إليه فيردّهما صفرًا) (صحيح الجامع ٢٠٧٠).

(٣) حديث يغلب بن أمية رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى حبيٌّ ستير، يحبُّ الحياة والستير فإذا اغتسل أحدكم فليس ستير» (صحيح الجامع ١٧٥٦).

وقوله: «حبيٌّ» فيه تسميتُه سبحانه بهذا الاسم، ووصفه جَلَّ وعلا بِمُقْنَصَاه، وهو ثابت على وجه لا تقص فيه؛ بل على الوجه اللائق به سبحانه من غير تكليف ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل.

وممن أثبتت صفة الاستحياء من السلف شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه: (الفصول في الأصول عن الأئمة الفضолов الزاماً لذوي البدع والفضолов)، وكان من أئمة الشافعية، ونقله عنه إقراراً له شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) ٤٥٥/٩.

وقال المباركفوري: «ووصفه تعالى بالحياة يحمل على ما يليق له، كسائر صفاته، نؤمن بها ولا تكفيها» (تحفة الأحوذى) ٥٤٤/٩.

وقال ابن القيم رحمه الله: «أَمَا حَيَاءُ الرَّبِّ تبارك وتعالى من عبده فنوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكifice العقول، فإنه حياء كرم، وبر، وجود، وجلال، فإنه تبارك وتعالى: حبي، كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام» (مدارج السالكين) ٢٦١/٢.

وقال الشيخ خليل هرّاس رحمة الله:

((وحياوه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده، وكرمه، وعظيم عفوه، وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفتر شيء إليه وأضعفه ثديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضحيته، فيستره بما يهيوه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر)).

اهـ(شرح التنوينية ٨٠/٢)

خامساً: أسباب تفصيل الحياة :

قال الإمام الهروي في «منازل السائرين»: «الحياة من أول مدارج أهل الخصوص، يتولد من تعظيمه منوط بود»، قال ابن القيم: يعني: «أن الحياة حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمؤدة، فإذا افترنا توأد بينهما الحياة». وقال بعضهم: «توأده من شعور القلب بما يستحبى منه، ونفرته عنه، ويتولد من هذا الشعور والتفرة الحياة»، والجنديد يقول: «إن توأده من مشاهدة النعم ورؤية التقصير»، قال ابن القيم: «ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإن للحياة عدة أسباب» (مدارج السالكين) ٢٧٤/٢، ٢٧٥.

ويتولد الحياة كذلك عن المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته؛ لأنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياة من الله، والهيبة له؛ فقلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غداً بين يديه، وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذكر دوام حسنه إليه، وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه، هاج منه الحياة من الله، فاستحي من الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه، يتحرك بما يكره، فظهور قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه»

(تعظيم قدر الصلاة للمرزوقي) ٨٢٥/٢

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق؛ فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهم بلغنا رمضان، والحمد لله رب العالمين.

رمضان دريم



ليلة القدر نور على الكون أضاء

معاوية محمد هيكل

أداء

أنه حاضر في أذهان المسلمين، لشدة اقتباعهم عليه..
إيماء إلى شهرته بينهم.

والثالث: تعظيم الوقت الذي أنزل فيه. (انظر
تفسير الرازي ٢٧/٣٢، والتحرير والتنوير
٤٥٦/٣٠).

(١) يقدّر الله سبحانه وتعالى فيها كُلَّ ما هو كائن
في السُّنَّة: قال تعالى: **فِيَوْمٍ فَرَقَّ كُلُّ آمِرٍ حِكْمَةٌ أَمْرًا**
مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كَانَ مُرْسِلِينَ (الدخان: ٥-٤).

ففي تلك الليلة يقدّر الله سبحانه مقادير الخالق
على مدار العام، ويكتب فيها الأحياء والأموات،
والناجون والإلّاكون، والسعاداء والأشقياء، والعزيز
والذليل، وكل ما أراده الله سبحانه وتعالى في السُّنَّة
المقبلة، يكتب في ليلة القدر هذه ” (تفسير ابن
جريج ١٦/٤٨٠، تفسير ابن كثير ٤٦٩).

(٢) وفي سبب تسميتها بليلة القدر عدة أقوال
أهمها: أنها سميت بليلة القدر، من القدر وهو
الشرف. وقيل: لأنّه يقدر فيها ما يكون في تلك
السنة. وقيل: لأنّ للقيام فيها قدرًا عظيمًا.
(ينظر: المغني ١٨١/٣، والشرح الممتع لابن عثيمين
٤٩٢/٦).

(٣) أنها ليلة مباركة: **إِنَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَّكَةً**،
قال تعالى: (الدخان: ٣).

(٤) ولا ريب أنها كانت أبرز ليلة وأنيمتها على العالمين،

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وبعد:

فإن ليلة القدر لها شأن عظيم عند الله تعالى، ولها
خصائص تختص بها، ولذا فقد أفردت لها هذا
المقال، وسوف أتناول فيه ستة أمور:

١- فضل ليلة القدر.

٢- وقت ليلة القدر.

٣- ما يشرع في ليلة القدر.

٤- هل تنتقل ليلة القدر من ليلة إلى أخرى.

٥- الحكمة من رفع العلم بليلة القدر.

٦- علامات ليلة القدر.

وهذا أوان الشروع في المقال، فأقول وبالله تعالى
ال توفيق:

أولاً: فضل ليلة القدر

(١) أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ، قال تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلَةٍ الْقُدْرَ**؛ وقد أجمع المفسرون على أن المراد، إنما أُنْزِلَتْ
القرآن في ليلة القدر، ولكنَّه تعالى ترك التصریح
بالذكر، فلم يأت بذكر الاسم الظاهر للقرآن بل
عَرَّفَ عَنْهُ بِالضمیر **أَنْزَلْنَا**، وهذا من بدایع النظم
القرآنی.

الذي يدل على عظم القرآن من دلالة قوله:
أَحَدُهَا، أنه أنسدَ إِنْزَالَه إِلَيْهِ سُبْحَانَه وَجَلَّه
مُخْتَصًا به دون غيره، وهو تشریف عظیم للقرآن
يُبَشِّرُ عَنْ كُمَالِ العِنایَةِ به.

والثاني: أنه جاء بضمیره دون اسمه الظاهر، شهادة
لَه بِالنَّبَاهَةِ وَالاستغفار عن التصریح، وإيماء إلى

بتتنزيل ما فيه الحكمة والهدى، والنجاة من الصلال والردى. قال القاشاني، ووصفها باباركة، لظهور الرحمة والبركة، والهداية والعدالة في العالم بسيها. وأذياد رتبته؟ وكماله بها. كما سماها (ليلة القدر) لأن قدرة وكماله إنما ظهر بها.

(محاسن التأويل للقاسمي ٦٢٢١ / ١٧).

(٥) العبادة فيها تفضل العبادة في ألف شهر.

قال تعالى: **«ليلة القدر خير من ألف شهر»** (القدر: ٣). قال الشيخ السعدي رحمة الله: "أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تحرير فيه الآيات، وتندesh له العقول، حيث من تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعف القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمّر عمرًا طويلاً نيفاً وثمانين سنة" (تفسير السعدي: ٩٣).

(٦) ينزل فيها جبريل الملائكة بالخير والبركة.

قال تعالى: **«تَنَزَّلُ الْكَلِمَاتُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَأْذِنُ رَبُّهُمْ مَنْ كُلَّ أَتَرَ»** (القدر: ٤).

قال ابن كثير رحمة الله: "يكثُر تنزّل الملائكة في هذه الليلة؛ لكثرة بركتها، والملائكة يتنزّلون مع تنزّل البركة والرحمة. كما يتنزّلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويصغرون أجنبتهم لطلاب العلم بصدق؛ تعظيمًا له" (تفسير القرآن العظيم: ٤٤٤/٨).

(٧) ليلة القدر سلام.

قال تعالى: **«سَلَامٌ هُوَ حَقٌّ مَطْلَعُ النَّورِ»** (القدر: ٥). هي ليلة خالية من الشر والأذى، وتكتفيها الطاعة وأعمال الخير والبر، وتكثر فيها السلام من العذاب؛ فهي سلام كلها. (والأخيار عنها بالسلام نفسه - وهو الأمان والسلامة - للمبالغة في أنه لم يشأها كدر، بل فرج الله فيها عن ذنبي كل كرية وفتاح له فيها سبل الهداية، فأناله بذلك ما كان يتطلع إليه الأيام والشهور الطوال). (محاسن التأويل للقاسمي ٦٢٢١ / ١٧).

ثانية: ما يشرع في ليلة القدر

(٨) يشرع في هذه الليلة الشريقة قيام ليلها بالصلوة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" (رواه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٦٠).

(٩) ويشرع فيها كذلك الاعتكاف؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر، التماساً لليلة القدر.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان اعتكف معن، فليعتكف العشر الأواخر، وقد أربت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وقت" (رواه البخاري ٢٠٢٧، ومسلم ١٦٧).

(١٠) ويشرع الدعاء فيها والتقرّب به إلى الله تبارك وتعالى

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قلت، يا رسول الله، أرأيتك إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو فاغف عنّي" (صحيح الترمذى ٣٥١٣).

والحكمة من سؤال الله العفو في هذه الليلة قد أبانه الحافظ ابن رجب في قوله: (وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر. بعد الاجتهد في الأعمال فيها وفي ليلي العشر. لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يردون لأنفسهم عملاً صالحًا ولا حلاً ولا مقلاً. فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المقص) (لطائف المعارف: ٢٠٦).

الإيمان باسم الله "العفو":

قال الغزالى رحمة الله: "العفو": هو الذي يمحو السيئات وتجاوز عن العاصي وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبع عن السنّة، والعفو ينبع عن المحو، والمحو أبلغ من السنّة، وأصل العفو المحو والطمسم، وهو من أبنية المبالغة.. (المقصد الأستنى، ص ٨٩).

(١١) العمل الصالح:

قال الله تعالى: **«ليلة القدر خير من ألف شهر»** (القدر: ٣).

قال كثير من المفسرين، أي، العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر؛ ففي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر (تفسير القرطبي ١٣١/٢٠).

ثالثاً: وقت ليلة القدر

ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع، وهو مذهب الشافعية، والحنابلة، وقول للمالكية واختاره ابن تيمية، والصنعاني، وابن باز، وابن عثيمين.

الأدلة من السنة:



وفيه جمْعٌ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلِفَةِ فِيهَا“ . انتهى من ”شرح صحيح مسلم للنووي“ (٤٣٦) .

وقال الحافظ ابن حجر، ”وارجحها كلها، أنها في وتر من العشر الآخرين، وأنها تنتقل، كما يفهم من أحاديث هذا الباب“ (فتح الباري، ٤١٣) .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله، ”والراجح أنها منتقلة في ليالي العشر كلها، وأوتارها أخرى، ومن اجتهد في العشر كلها في الصلاة والقرآن والدعاء وغير ذلك من وجوه الخير أدرك ليلة القدر بلا شك وفاز بما وعد الله به من قامها إذا فعل ذلك إيماناً واحتساباً“ (مجموع الفتاوى، ٥٠٠/٦) .

خامساً: الحكمة في رفع العلم بليلة القدر وعدم تعينها:

والحكمة في إخفاء ليلة القدر وعدم تعينها لكي يحصل الاجتهاد في التمسها في جميع الليالي، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال، خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتل�回 رجلان من المسلمين، فقال: ”خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتل�回 فلان وفلان (تنازعا)، فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم...“ (البخاري ٢٠٢٣) .

قال البيهقي، ”قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها في الابتداء، غير أنه لم يكن ماذداً لها في الإخبار بها؛ لئلا يتتكلوا على علمها فيحيوها دون سائر الليالي، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أنسىها؛ لئلا يسأل عن شيء من أمر الدين فلا يخبر به“ (فضائل الأوقات للبيهقي ٢٤٤) .

قال الحافظ ابن حجر، ”قوله: «فعسى أن يكون خيرا» فإن وجه الخيرية من جهة أن خفاءها يستدعي قيام كل الشهر، أو العشر، بخلاف ما لو بقيت معرفة تعينها“ (فتح الباري، ٤/٣١٤) .

سادساً: علامات ليلة القدر، من علامات ليلة القدر أن الشمس تطلع في صبيحتها صافية، ليس لها شعاع.

الدليل من السنة: عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال، ”... أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها“ (رواه مسلم ٧٦٢) .

ويفي لفظ آخر مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ”وأشارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها“ (رواه مسلم ٧٦٢) .

ووفقاً للإمام واياكم لإدراك ليلة القدر واغتنامها والفوز بها، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

(١) عن عاشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، ”تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان“ (رواية البخاري، ٢٠١٧، ومسلم ١١٦٩) .

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال، ”التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى“ (رواية البخاري ٢٠٢١) .

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ”أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرى رؤياكم قد تواترت في السبع الأواخر، فمن كان متatrها فليتحررها في السبع الأواخر“ (رواية البخاري ٢٠١٥، ومسلم ١١٦٥) .

رابعاً: هل تنتقل ليلة القدر من ليلة إلى أخرى؟

الصحيح من قول أهل العلم أن ليلة القدر لا تختص بليلة معينة في جميع الأعوام، بل تنتقل في ليالي العشر الأواخر من رمضان، وهو مذهب الشافعية، والحنابلة، وقول عند المالكية، وهو قول أكثر أهل العلم.

الأدلة من السنة:

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، (كنت أجاور هذه العشر، ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معى فليثبت في معتكfe، وقد أربأ هذه الليلة، ثم أنسىتها، فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وقت، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، فاستهلت السماء في تلك الليلة فامطرت، فوكف المسجد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين، فبصّرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلى طيناً وماء“ (رواية البخاري ٢١٠٨، واللطف له، ومسلم ١١٦٧) .

(٢) عن عبد الله بن أنسٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، ”أربت ليلة القدر ثم أنسىتها، وأراني صبغها أسجدة في ماء وطين، قال، فمطربنا ليلة ثلات وعشرين، فصلّى بنا رسول الله، فانصرف، وإن أثر الماء والطين على جبهته“ (رواية مسلم ١١٦٧) .

قال النووي رحمه الله، ”وقال المحققون، إنها تنتقل ف تكون في سنة، ليلة سبع وعشرين، وفي سنة، ليلة ثلاثة ثلات، وسنة، ليلة إحدى، وليلة أخرى وهذا أظهر،